الجمهورية الجزارية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر كلّيّة: أصول الدين

للعلوم الإسلامية ـ قسنطينة ـ قسم : الكتاب والسنة

الرقم الترتيبي: ...../.....

رقم التسجيل: ..... /.....

مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطّالب: إشراف الأستاذ:

عبد العزيز ثابت أ.د. سامي الكناني

لجنة المناقشة

أ.د. رابح دوبه	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة	رئيسا
أ.د. سامي الكناني	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة	مقرّرا
أ.د. رمضان بخلوف	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة	عضوا
أ.د. عمار جيدل	جامعة الجزائر	عضوا
أ.د. نادية وزناجي	جامعة باتنة	عضوا

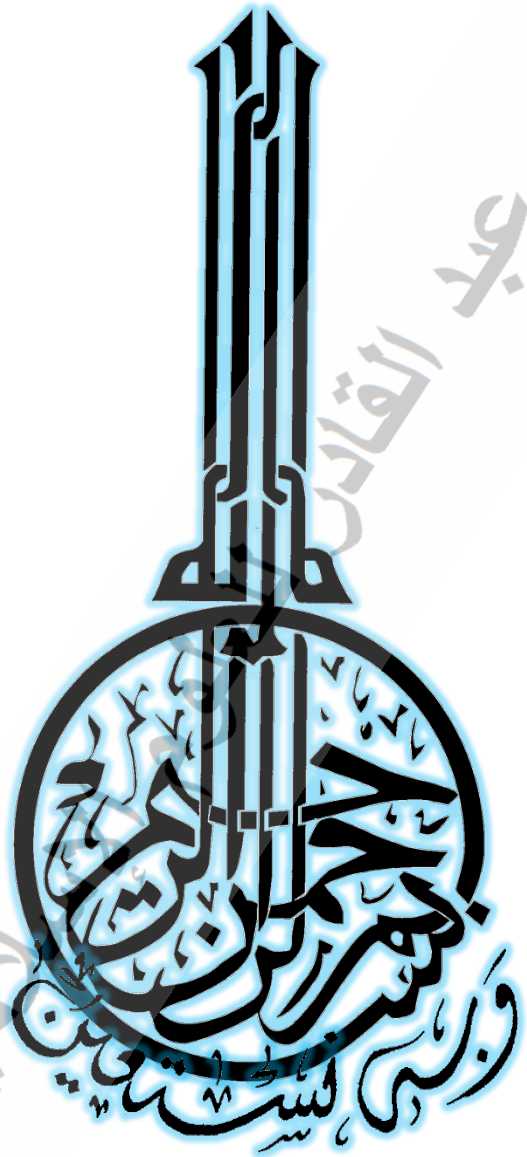

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩] .

اِعْتِذَارٌ

كتب أستاذ العلماء البلغاء؛ القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني إلى العماد الأصفهاني معتذراً عن كلام استدركه عليه:

«إنه قد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا، وها أنا أخبرك به ، وذلك أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»

(أبجد العلوم 71/1 ، كشف الظنون 17/1).

إهداء

إلى:

روح والدي ، «وقل رب ارحمهما كما ربيّاني صغيرا»

إلى روح الشيخ محمد الغزالي قدّس الله سرّه، وطيّب ثراه.وأعلى محياه ، وتغمّده برحمته ، و أسكنه فسيح جناته .

.

عبد العزيز ثابت .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

و قوفا عند قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: «لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ»،

أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى المشرف على الرسالة: الدكتور سامي الكناني ،الذي ظل يستحثني ويشجعني على المضي في السعي حتّى بلغ هذا المجهود ما قدر له أن يبلغه ، فجزاها الله خير الجزاء.

إلى الأساتذة الكرام؛ أعضاء لجنة المناقشة، على منحهم إيانا جزءا من وقتهم الثمين في مناقشة هذه المذكرة وإثرائها بملاحظاتهم القيمة.

كما أشكر عمال مكتبة الدكتور أحمد عروة على تعاونهم وحسن تعاملهم، ولا يفوتني شكر كل من ساهم من قريب، أو من بعيد في إنهاء هذا العمل،فجزاهم الله جميعا خير ما يجزي به عباده المخلصين.

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وتبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله قص على نبيه أحسن القصص ليثبت فؤاده ويقوي حجته ، ويكبت أعداءه وخصومه ، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله المنزل عليه من ربّه وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك اللهم صلى على سيدنا محمد أفضل الصلوات ، وأزكى التسليمات وعلى الآل والأصحاب خير التحيات وبعد :

فإنّ من أجلّ موضوعات القرآن شأنا وأعظمها أثرا في بيان هداياته وتوجيهاته القصة القرآنية ، ولا عجب أن تنوعت القصة القرآنية ، وتفنن القرآن في أساليب عرضها ذلك لأنّها من أهم وسائله في خدمة الأغراض التي جاء لها .

والمتأمل لكتاب الله يلاحظ عنايته بالقصص حتّى إنّها بثت في ثنايا الكتاب بشكل بارز ملحوظ ، وذلك لما يهدف إليه إيرادها من الحكم والأسرار الجليلة نلخص جملة منها فيما يلي :

ـ الهدف الأكبر والأعظم للقصص القرآني هو إثبات النبوة وأنهّ وحي يوحى من الله تعالى .

ـ بيان تأييد الله لأنبيائه ورسله

ـ العظة والاعتبار

ـ إيضاح أسس الدعوة إلى الله

ـ مجادلة أهل الكتاب وبيان أخطائهم بالحجة القاطعة

ـ بيان سنن الله في الأمم والأفراد

ـ القصص القرآني ضرب من ضروب الأدب والبيان الرفيع

ـ بيان وحدة الدين عند الله وأنّ الدين المبني على التوحيد وجد منذ أن وجد الإنسان ومن أجل ما تتبوؤه القصة من مكانة كانت جديرة بالدراسة والبحث

أولا :إشكالية البحث :

إذا كانت القصة القرآنية من وسائل القرآن في الدعوة و الجدال ، والتربية والتوجيه كما بيّنت في المقدمة فالسؤال المطروح هو :

إلى أي حد وفق المفسرون في معالجتهم للقصص القرآني بالشكل الذي يتناسب مع الغرض الذي سيقت له القصة ضمن محاور القرآن ؟

هل تعاملوا مع القصص القرآني بما يكشف عمّا فيه من نواح إعجازية وتربوية في إطار موضع القصة في السورة وموضع القصص القرآني من محاور القرآن الأخرى ؟

إنّ تعدد الطرق التي عولجت بها القصة القرآنية يدعو إلى تحديد المنهج الأصوب أو الأقرب إلى الصواب في تناول القصة القرآنية حتّى نبعد بها عمّا يشوه جمالها وروعتها ويطمس بلاغتها أو ينفي عناه قدسيتها في النفوس كقصص حق لا يأتيه الباطل ، ولا تحوم حوله الشكوك ولتبقى القصة القرآنية تؤدي دورها كأداة من أدوات القرآن في بيان هداياته للناس بأبلغ أسلوب وأنجحه وأعظمه تأثيرا في القلوب والعقول

ثانيا :أهمية الموضوع

1 ـ تتجلى أهمية الدراسة في كونها خادمة لكتاب الله جلّ وعلا ، حيث خصت بموضوع تبوأ مكانة كبرى من كليات القرآن ومحاوره ألا وهو محور القصص القرآني

2 ـ خصت هذا الدراسة بتحليل ونقد العديد من كتب التفسير على اختلاف مذاهب أصحابها في كيفية معالجتاها وتحليلها للقصة القرآنية

3 ـ محاولة إبراز جهود المفسرين في المحافظة على جمال القصة القرآنية وأهدافها السامية ومدى تمسكهم بالمنهج الأمثل الذي يخدم الغرض للقصة القرآنية

ثالثا :أسباب اختيار الموضوع :

إنّ ممّا لفت انتباهي إلى قضية القصة القرآنية كموضوع للبحث الشكل الذي عولجت به في كتب التفسير المتنوعة من خلال إحالة النظر في كثير منها أثناء الدراسة والتدريس أنّ كثيرا من المفسرين ـ ولا أزعم جميعا ـ لا يولون القصة القرآنية ما تستحقه من العناية الفائقة التي تليق بها ، وكثيرا ما يذهلون عن بيان أهداف وأغراض القصة منشغلين بكثرة الروايات وسرد الوقائع التي تكون في كثير من الأحيان من نسج الخيال ، وفي بعض كتب التفسير حشو ممل ممّا لا طاقة للعقول والأذهان به من هنا .

في قصة نوح أوجز القرآن « فقال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنيين » ، ولكن المفسرين لم يقنعهم هذا الإيجاز البلاغي فراحوا يدعون الأصناف التي حملتها السفينة من شتى الحيوانات والطيور ، والقرآن لم يشر إلى الوقت الذي قضته السفينة فوق الماء والحاجة لا تدعو إليه ولكنهم أسهبوا في الأقوال المتضاربة .

وفي قصة إبراهيم أخمدوا العبرة بكثرة حديثهم في وصف النار وكيف أنّ عبدة الأوثان استمروا في جمع الأوثان شهرا ، وأنّ لهب النار أضاء فارس والروم ، ودخانها سد ما بين الخافقين وأزهق أرواح الطيور في أوكارها و الأسد في عرينها يتبارون في سوق الروايات المتضاربة لتحديد الأيام التي قضاها موسى في التابوت ، وفي وصف الكنز التي تحت جدار الغلامين في المدينة ...

«إنّ كثيرا من المفسرين أولعوا بالتعليق على ما ورد في القرآن من قصص ولعا كبيرا تجاوزا فيه حدود الروايات المنسوبة إلى الصحابة والتابعين على علات كثيرة في هذه الروايات وجالوا في ساحات التخمين والتزيد جولات مسهبة حينا موجزة وحينا آخر ومنسوبة إلى غير تلك الطبقة من بالأسماء حينا وبدون أسماء حينا آخر ، حتّى يكاد يفهم من عبارتهم وأساليب إيرادهم أنّ القصص القرآنية

لذاتها وبقصد الأخبار لا بقصد العظة، وكثيرا ممّا أوردوه لا يتفق مع دلالات الآيات ، ولا تحمله أهدافها ولا تقتضيه عبارتها كما فيه مفارقات كبيرة وما هو أدخل في باب الخرافة منها في باب الحقائق» «[1]»

لقد أخرجوا القصة إلى نطاق بحوث التاريخ والوقائع واتخذ بعض القصص القرآني حجة نطاق الجدل بين أصحاب المذاهب الكلامية ، واتخذت بعض أحداث القصص كحجة لأحكام فقهية ، واتخذت بعض محتويات القصة كاسم مؤمن آل فرعون ، وحقيقة الذبح وأسماء الكهف ، والغلامين اليتيمين وعاقر الناقة في نطاق البحث والنقاش واستنباط حقائق التاريخ لذاتها ، وبالجملة كانت القصة القرآنية مجالا فسيحا لخيال بعض المفسرين الذين أفسدوا معاني القرآن وشوهوا عظاته البالغات ، وإذا كان فريق من المفسرين قد سلك منهجا أسرف فيه في إيراد الروايات وأفسح للخيال مجالا واسعا ، فإنّ فريقا قد أساء للقصة من جهة أخرى ، إذ حكموا عقولهم في فهم القصص القرآني ، فراحو يصرفون الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعو إلى التأويل ، فالنمل عندهم في قصة سليمان عليه السلام قبيلة ضعيفة والمائدة هي عبارة عن حقائق المعارف ، وبلغت الجرأة بفريق آخر إلى القول بالتخييل والتمثيل فليس شرطا في زعمهم أن يكون مقصد القرآن من أخبار والوقائع قد حدث فعلا وصدقا ، بل يجوز أن يكون ضربا من القول شبيها بما يوضع من حكاية بين أشخاص مفروضين ، أو على أسنة الطيور والحيوانات للإيحاء فقط بمغزى الحكايات من الإرشاد إلى فضيلة والحث عليها أو لتحذير من رذيلة والتنفير منها .

وهم بذلك يريدون إزالة روعة الحق في قصص القرآن عن النفوس والتهوين من قدسيته مع أنّه من المقطوع به لدى المسلمين ولدى المنصفين من الباحثين منهم أنّ كل ما ذكره القرآن من الأخبار حق لا شك فيه .

[1] ـ انظر: القرآن المجيد : محمد عزة ، دط ، بيروت ، المكتبة العصرية ، دت ، ص 233.

إنّ هذه النظرات المختلفة للقصص القرآني بحاجة إلى بحث ودراسة لاستكشاف وجوه الصواب أو الأخطاء التي تناول بها المفسرون القصص القرآني وبيان المنهج الأمثل في فهمها وتنحصر أسباب اختياري لهذا الموضوع كبحث للدكتوراه في نقاط ثلاث هي :

ـ الأولى : أهمية القصة القرآنية كمحور من محاور القرآن الكبرى

ـ الثانية : الطريقة التي تناول بها المفسرون القصص القرآني والتي لم تكن في أغلب الأحيان ذات جدوى إذ نأت بالقصة القرآنية عن الغرض الذي سيقت له.

ـ الثالثة : إنّ القصة القرآنية خصت ببحوث عملية وبمؤلفات ومصنفات لكنها لم تتعرض لنقد مناهج المفسرين في تناولها ببحث مفصل ، إلاّ إشارات في مقدمات بعض كتب التفسير .

ولأجل ذلك اشتدت الرغبة وألحت في إفراد هذا الموضوع ببحث مستقل حصل عنوانه :

(مناهج المفسرين في تناول القصص القرآني)

رابعا : أهداف الدراسة

1 ـــــ خدمة القرآن الكريم والقصة القرآنية على وجه أخص

2 ـ دراسة أهم كتب التفسير بغية الوقوف على مناهج أصحابها في التعامل مع القصص القرآني

3 ـ نقد الكثير من الخرافات والأباطيل التي علقت بالقصص القرآني وروجها الكثير من المفسرين

4 ـ تدوين أهم الأسس الواجب اتباعها في التعامل مع القصة القرآنية للوصول إلى المنهج الأمثل في دراستها من أجل محافظة على أغراضها وفوائدها الذي سيقت لها .

خامسا : خطة البحث

جاء هذا البحث العلمي في خطة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة أبواب

أمّا المقدمة فقد خصصت للتعريف بهذا البحث العلمي ببيان أهميته وأسباب اختياره وطرح الإشكالية والأهداف المرجوة منه ، ثم ذكر الدراسات السابقة التي لها صلة بموضع البحث ، معرجا بعدها للحديث عن الخطة التي سار عليها ، مع ذكر منهج الدراسة ، وإيضاح طريقة التعامل مع المادة العلمية الواردة في البحث

أمّا الفصل التمهيدي فتحدثت فيه عن القصة عند العرب قبل مجيء الإسلام وذلك بالتنويه على أنّ العرب قد عرفوا هذا النوع من الأدب ولم يكونوا بمعزل عنه ، فكلام القرآن عن القصة فيد دليل على معرفة العرب لهذا النوع ، وهذا ما أردت بيانه في هذا الفصل التمهيدي ، وأمّا الباب الأول فقد خصصته للقصص القرآني ، وقد جعلته في فصول خمسة الفصل الأول عرفت فيه القصص في اللغة والاصطلاح وعرفت القصة القرآنية ، والفصل الثاني تكلمت فيه عن أهمية القصص القرآني ومكانته بين موضوعات القرآن ، والفصل الثالث تحدثت فيه عن طريقة القرآن في عرض القصص القرآني ، والفصل الرابع أشرت فيه للخصائص الفنية للقصة القرآنية ، والفصل الخامس بينت فيه أغراض وفوائد القصة القرآنية ، والباب الثاني فقد خصصته للتفسير وبيان نشأة هذا العلم ومراحل تطوره وأهم خصائص كل مرحلة ، وقد قسمته إلى أربعة فصول الفصل الأول كان في تعريف التفسير والتأويل وبيان الفرق بينهما ، وأمّا الفصل الثاني كان الكلام فيه عن أهمية التفسير والحاجة إليه ، والفصل الثالث خصصته لبيان نشأة علم التفسير ومراحل تطوره، والفصل الرابع تحدثت فيه عن التفسير بالمأثور وأهم خصائصه ، والباب الثالث تطرقت فيه لبيان منهج المفسرين بالمأثور في معالجة القصص القرآني وقد قسمته إلى فصلين الفصل الأول أوردت فيه نماذج توضح طريقة بعض المفسرين في معالجة القصص القرآني ، والفصل الثاني خصصته للدراسة النقدية ، وأمّا الباب الرابع فقد جعلته لبيان منهج المفسرين بالرأي في معالجة القصص القرآني ، وقد قسمته إلى خمسة فصول ، الفصل

الأول عرفت فيه بالتفسير بالرأي وشروطه وضوابطه ، والفصل الثاني تكلمت فيه عن منهج المفسرين بالرأي المحمود في معالجة القصص القرآني حيث سقت جملة من النماذج من بعض تفاسيرهم توضح طريقة معالجتهم للقصة القرآنية ، والفصل الثالث تحدثت فيه عن منهج المفسرين بالرأي المذموم في معالجة القصص القرآني بإيراد نماذج من بعض تفاسيرهم، والفصل الرابع كان للحديث عن منهج المدرسة العقلية في تناول القصص القرآني وكذلك بإيراد نماذج من بعض تفاسيرهم أو ما نقل عن بعضهم من أقوال تفسيرية في بعض قصص القرآن ، والفصل الخامس تكلمت فيه عن بعض الاتجاهات المنحرفة التي تناولت بعض قضايا القصص القرآني ، وختمت البحث بفصل ختامي اقترحت فيه نموذجا أمثل لتفسير القصة القرآنية .

وأمّا الخاتمة فقد ضمنتها أهم ما توصلت إليه من النتائج مع اقتراح بعض الموضوعات الجديرة بالبحث في القصص القرآني

سادسا: منهج البحث :

إنّ البحث في مناهج المفسرين في تناول القصة القرآنية يقتضي اتباع المنهج القائم على تتبع وتقصي طرائق المفسرين في كتبهم وجمع الأمثلة والنماذج للوقوف على خصائص الطريقة التي تناول بها كل مفسر للقصة القرآنية وهذا ما يعرف بالمنهج الاستقرائي ويقتضي هذا النوع من الدراسة أيضا إتباع منهج تحليلي نقدي لبيان أوجه التوفيق والصواب في دراسة القصة وكذلك بيان بعض المآخذ التي تؤخذ على بعض المفسرين في معالجة القصة القرآنية .

سابعا :الدراسات السابقة :

لقد لفت موضوع القصص القرآني انتباه العلماء والباحثين في القديم والحديث ، وكتبت فيه بحوث ومؤلفات تنوعت وتباينت في الجوانب التي عالجتها من القصة القرآنية كتب في منهج القصة في القرآن الكريم من ذلك كتاب (منهج القصة في القرآن الكريم) لمحمد شديد الرفاعي ، وكتب في الجانب الفني من القصة القرآنية كما فعل خالد أحمد أبو جندي في كتابه: (الجانب الفني في القصة القرآنية) ، وتناول آخرون موضوع الرمزية في القصص القرآني فكتب أحمد محمد جمال كتابه (القصص الرمزي في القرآن) ، واتجه اهتمام بعض الباحثين إلى أهداف القصص القرآني ، فكتب منصور الرفاعي عبيد كتابه: (أهداف القصة في القرآن) ، وخص آخرون الجانب التاريخي منه فكتبوا في قصص الأنبياء والمرسلين من ذلك كتاب عبد الوهاب النجار قصص الأنبياء وكتاب قصص (الأنبياء والرسل) لمحمد إسماعيل إبراهيم وكتاب (أنبياء الله) لأحمد بهجت وكتاب (النبوة والأنبياء) لمحمد على الصابوني. ، وكتب الطالب والباحث سليمان محمد على الدقور رسالة دكتوراه بعنوان اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني نوقشت بكلية الشريعة في جامعة اليرموك بالأردن تحت إشراف الأستاذ فضل حسن عباس ـ رحمه الله ـ اهتم فيها ببيان طريقة بعض العلماء والباحثين في التأليف في مجال القصص القِرآني حيث عرض لذكر مؤلفاتهم وأتبعها بالدراسة النقدية، كما تكلم عن اتجاهاتهم في التصنيف ، وتكلم عن بعض المقدمات المهمة في القصص القرآني ، وأشار في مبحث إلى القصص القرآني عند المفسرين وتنوع مسالكهم إزاء القصص القرآني وتحدّث عن إفراط بعضهم في الروايات بشكل مسهب وإغفالهم للجانب الجمالي للقصة والهدف الأسمى ، وكل هذا في مبحث صغير لم يتعرض فيه لذكر نماذج أو عينات عن بعض المفسرين في كتبهم ولم يخص تفسيرا بعينه ، بل تكلم بصفة عامة ، وقد أفدت من رسالته فيما وضعه في آخرها من مقترحات لدراسة القصة القرآنية

وحاول الأستاذ عبد الكريم الخطيب أن يبحث موضوع القصص القرآني بشكل يحدد فيه مفهوم القصة القرآنية وخصائص القصص القرآني فألف كتابه المسمى (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه

) غير أنّ تلك المؤلفات لم يرد فيها مبحث مفصل في كيفية معالجة المفسرين للقصص القرآني الأمر الذي دفعني إلى محاولة لإفراد ذلك ببحث علمي دقيق .

ثامنا :مصادر الدراسة :

عدت في هذا البحث إلى جملة من المصادر و المراجع ، وقد تباينت وتنوعت حسب احتياج البحث لها ، يأتي في مقدمتها كتب التفسير بأنواعها من مأثور إلى بالرأي ، والاعتماد والرجوع إليها كان بغية الوقوف على طرائق المفسرين في معالجة القصص القرآني وهذا هو صميم البحث ، فأخذت منها نماذج توضح طريقتهم في تناول القصص ، ومن بين هذه الكتب تفسير ابن أبي حاتم ، وتفسير جامع البيان للإمام الطبري ، وتفسير ابن كثير ، وتفسير محاسن التأويل للقاسمي ، والمحرر الوجيز لابن عطية ، والتفسير الكبير للرّازي ، وأنوار التنزيل للبيضاوي ، وغيرها من أمهات التفسير على اختلاف مذاهب ومناهج أصحابها ، وعدت كذلك إلى مصادر علوم القرآن وأصول التفسير كالبرهان في علوم القرآن للزركشي ، والإتقان للسيوطي ، ومناهل العرفان للزرقاني ، والتفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ، ومقدمة ابن تيمية في أصول التفسير مع بعض شروح العلماء عليها ، وذلك لتأصيل وتوثيق المسائل المتعلقة بعلوم القرآن وأصول التفسير، وبالنسبة لكتب الحديث وأمهات السنة فكان الرجوع إليها لتخريج الأحاديث الواردة في البحث ويأتي في مقدمتها الصحيحين والسنن الأربعة ، ثمّ المسانيد والمصنفات الأخرى ،مع الرجوع إلى بعض المصنفات في علم مصطلح الحديث لتوثيق المسائل التي لها صلة بالتفسير وعلوم القرآن ، كما تمّ الرجوع إلى جملة من المعاجم والقواميس اللغوية في التعريف ببعض المصطلحات ، والاعتماد كذلك على بعض الدواوين الشعرية وكتب اللغة لتوثيق بعض الأبيات الشعرية الواردة في كتب التفسير ،مع العودة كذلك إلى كتب التراجم و الطبقات في الترجمة لبعض الأعلام ، وغيرها من المراجع المعاصرة المتعلقة بالقصص القرآني ، فقد استعنت بها في تحليل بعض مواضيع القصص القرآني وقضاياه .

فصل: تمهيدي القصة عند العرب قبل مجيء الإسلام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فصل تمهيدي: القصة عند العرب قبل مجيء الإسلام

ارتأيت قبل الولوج في صميم البحث، الحديث عن القصة عند العرب قبل مجيء الإسلام ببيان أنّ العرب عرفوا هذا النوع من الأدب، وأنّهم لم يكونوا بمعزل عنه، وذلك أنّ القرآن الذي تحدى الله به العرب جاء متحديا لهم في جنس ما نبغوا فيه، وبرعوا فيه وبلغوا فيه شأنا كبيرا، وذلك في باب الفصاحة والبلاغة واللغة، فحديث القرآن عن القصة والقصص فيه دليل واضح وبرهان قاطع على معرفة العرب للقصة والقصص.

إنّ المتصفح بنظر ثاقب ، والمتأمل تأملا دقيقا يدرك حقيقة أنّ القصة والقصص منشؤها الأحداثوالصراعات التي تنشب بين بني الإنسان داخل المجتمعات التي يقطنونها ولا شك أنّ هذه الأحداث التي تعتريه والآهات والأحزان الناجمة عنها تهزّ كيانه وتوقد مشاعره فتدفعه إلى التعبير عنها وتصويرها في حكايات تروى، وفي صدد هذا يقول عبد الكريم الخطيب: «ممّا لا يكاد يتصور أن تخلوا حياة إنسان من قصة، أوعدة قصص، ذلك أنّ الأحداث المتميزة والمواقف الحرجة المتأزمة هي النطف التي تتخلق منها القصص، بعد أن تستجنّ في كيان الإنسان، وتستجيش في مشاعره وتسكن إلى وجدانه، وتتغذى من نبضات قلبه، وخفقات صدره وإذا كان ذلك كذلك فإنّ حياة الإنسان سلسلة متصلة من القصص لما يطرقه دائما من أحداث تهزّ كيانه، وما ساق إليه من مواقف مزعجة محرجة تتشكل منها صور مثيرة تروي وتحكي، إذ أنّ الحياة لا تدع الإنسان أي إنسان دون أن تطرقه بأحداثها

أوترميه بمزعجاتها...»«[2]»،ويقول محمد قطب عبد العال: «والإنسان العربي كغيره من البشر خاض الصراع ومع الصراع تحدث القصص وتتحقق المآسي وتحل النكبات»«[3]».

وإذا ما جئنا نستبين ونستطلع طبيعة البيئة التي عاشها العرب قبل الإسلام، ألفينا أنفسنا أمام طبيعة قاسية غلب عليها الصراع المحتدم بين الناس من أجل البقاء وفرض السيطرة، فنشبت حروب وصراعات في العصر الجاهلي بين القبائل، وفي خضم هذه الحروب والنزاعات تظهر الأحداث والحكايات فتدفع بالبعض منهم إلى صياغتها في قالب قصصي ينضوي تحت لواء المنثور والمنظوم.

كما يمكن لمس هذا الجانب القصصي في ما يختلج النفس البشرية الإنسانية من مشاعر إنسانية كالحب والعشق والحزن وغيرها من المعاني النبيلة تدفع الكثير منهم إلى التعبير عنها إمّا في الجانب الشعري الغالب في تلك الفترة فنجد كثيرا من الشعراء يتغنى ببطولاته وتضحياته في أرض القتال والمعارك وهي في حقيقته قصص وقعت في تلك الحرب أوالمعركة، ثمّ تلقتها الأجيال فيما بعدها جيلا عن جيل ،ولنأخذ على سبيل المثال عنترة الذي ملأ الدنيا ببطولاته وشجاعته المتناهية التي صوّرها في شعره، وممّا قال:

وَمُدَجَّجٍكَرِهَ الكمَاةُ نزَالهُ لا مُمعنِهَرَبًا ولاُ مُستَسْلم

فشككت بالرُّمْحِ الأصَمِّ ثيابهُ ليسَ الكريمُ على القنا بمحرّم

[2]- القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، د ط، بيروت، دار المعرفة ، ص 14.

[3]- نظرات في قصص القرآن، ، مجلة دعوة الحق ، 1986، العدد 59،ص 13.

فتركتهُ جزَرَ السِّباع ينشنَهُ يقضمن حسنَ بنانه والمِعصم

ومشكٍّ سابغة هَتكتُ فروجَها بالسيفَ عن حامي الحقيقةِ معلْمِ

ربَذٍ يداهُ بالقِدَاحِ إذا شتا هَتّاكِ غاياتِالتجاز ملوَّم

لما رآني قَدْ نزلتُ أريدهُ أبدَى نَوَاجذَه لغير تبسُّم

فطعنته بالرمحِ ثمَّ علَوْته بمهندٍصافي الحديدَةِ مِخْذَم«[4]»

ففي هذه الأبيات يصف لنا عنترة نفسه وهو يصول ويجول في زمام المعركة وبيّن لنا كيفية نزاله للأبطال ولقائه مع الشجعان وعنترة في شعره هذا يلتزم الواقعية أيّما التزام، ففي كل ما تحدّث به هو صادق وواقع حكاه في نسيج شعري رائع، على غرار تلك الملاحم اليونانية التي أغرق فيها أصحابها في الخيال والأسطورة، لأنّ طبيعة العربي وشخصيته تأبى عليه أن يعتزّ بشيء يتقمّص فيه شخصية غيره،ولذلك نرى رمي كثير من المؤرخين والمستشرقين والروائيين العرب بنقص الخيال في جانبهم القصصي وضعفهم في الأدب التمثيلي، وقد ردّ هذه المزاعم وأجاب عن هذه الشبهات العديد من الباحثينوالدّارسين، وقد بيّن بعضهم هذه النقطة فقال: «... ونعود ونسأل لماذا لم يكن للعرب خيال كهذا الذي نسج لليونان هذه الملاحم، وأراهم هذه الرؤى المعجبة الرائعة، لماذالم يقم شاعر عربي بمثل ما قام به

[4]ـ انظر: شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ،أحمد بن الأمين الشنقيطي ،دط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1432هـ ـ 2011م ، ص 110 ـ 111 .

هوميروس مثلا، فيصنع إلياذة تحكي الحروب التي كانت تدور في الجزيرة العربية على صورة صارخة متصلة.

هناك فرضان لا ثالث لهما:

- إمّا أن يكون الأدب العربي قد كان فيه شيء من هذا في دور مبكر من حياته دور الرؤىوالأحلام، فكان هناك شعر مغرق في الخيال، يصور المواقع الحربية على نحو ما فعل شعراء اليونان في تصوير حروبهم، وأنّ هذا الشعر قد ذهب به النسيان كما ذهب بكثير من الأحلام، أوأنّ العقل العربي نفسه قد زهد فيه حين صحا، وأبى أن يصحبه وأن يمسك به و يحرص عليه... شأن كثير منم الشبان يمرون بملاعب طفولتهم وأشيائها، فيزرون وجودهم عنها، ويحقرون شأنها على حين يحرص بعضهم على الاحتفاظ بذكريات طفولته ومعابث صباه، ومعاودة الحياة معها؟ وهذا الفرض لم يقم له شاهد من شواهد التاريخ ينبئ عنه أويحدّث به.
- وأمّا الفرض الثاني فهو أنّ الطبيعة العربية لم تكن تقبل أحلام اليقظة هذه حتّى في دور طفولتها الأولى، وأنّها كانت في وعي دائم ويقظة كاملة منذ يومها الأول في الحياة تحت ظروف الحياة القاسية التي لا تدع لأحد أن يغفو أو ينام، وهذا هو الفرض الذي نميل إليه، ونأخذ به في التعليل لخلو الأدب العربي من قصص الأساطير وشعر الملاحم.

وعلى هذا نستطيع أن نقرر أنّ قصور العرب ،أو تقصيرهم في خلق مثل هذه الملاحم وتلك الأساطير لم يكن لينقص في طبيعتهم، ولا لضعف في ملكة الخيال عندهم، كما يقول بذلك المستشرقون ويردده المستغربون منّ،وإنّما كان ذلك عن احترام لشخصيتهم أن يلبسوها غير لباسها وأن يعيروها ما ليس لها... فإنّ اعتزاز العربي بشخصيته واحترامه لها وتقديره لمشخصاتها كان يأبى عليه أن يكون على أيّة صورة إلاّ صورته تلك التي عرفها وعاش فيها... فهو مؤمن أوثق الإيمان بذاته، حريص أشدّ الحرص على أن يحتفظ بكل ما له من صفات وسمات...»«[5]» .

كما يمكننا إدراك الحس القصصي عند العرب قبل الإسلام في جانب آخر غير النتاج الشعري، وأعني بذلك الأمثال المأثورة عن العرب وأهل الجاهلية، فإنّ تتّبع وتقصي كل مثل يدلنا على أنّه ناجم عن قصة حقيقية وقعت في أيام العرب، فعلى وجازة هذا المثل وقصره إلاّ أنّه يعبر عن قصة كبيرة لها أشخاص وفيها أحداث، يقول الدكتور محمد قطب عبد العال: «ومن يقرأ الأمثال العربية المركزة الموجزة ذات الإيقاع الحاد والحاسم فسيدرك أنّ ثمّة قصة وراء هذا المثل، ولأنّ العربي قادر على التركيز والإيجاز قدرته على الإطناب وتتبع الخيوط والأحداث فلقد صاغ هذه القصة وجرّدها في قليل من اللفظ حتى يضمن لها الثبات والمداومة. .

[5]- انظر :القصص القرآني منطوقة ومفهومة، عبد الكريم الخطيب، ص 22-23.

إنّ المثل العربي القديم بالنسبة للقصة أشبه بالكود والذي يستخدمه الحاسب الآلي، فما أن تأتي بكود ما يشير على موضوع إلاّ وظهرت لك معلومات إضافية عن هذا الموضوع، وكذلك المثل...»«[6]».

وإذا جئنا إلى مثل من أمثال العرب المشهورة وتتبعناه وجدناه يومئ عن قصة ولنأخذ على سبيل المثال قولهم: «كيف أعاودك وهذا أثر فأسك»، فيروى أنّ: «هناك أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما فأجذبت بلادهما، وكان قريبا منهما واد فيه حية قد حمته من كل واحد، فقال أحدهما للآخر: يا فلان لو أنّي أتيت هذا الوادي ، فرعيت فيه إبلي وأصلحتها فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أحدا لم يهبط ذاك الوادي إلاّ أهلكته؟ قال: فو الله لأهبطنّ، فهبط ذلك الوادي فرعى إبله به زمان، ثمّ إنّ الحية لدغته فقتلته، فقال أخوه ما في الحياة بعد أخي خير، وأطلبنّ الحية أولأتبعنّ أخي فهبط ذلك الوادي فطلب الحية ليقتلها، فقالت: ألست ترى أنّي قتلت أخاك، فهل لك في الصلح فأعدك بهذا الوادي فتكون به وأعطيك ما بقيت دينارا في كل يوم قال أقابلة أنت؟ قالت: نعم، قال: فإنّي أفعل، فحلف لها وأعطاها المواثيق لا يضر بها، وجعلت تعطيه كل يوم دينارا، فكثر ماله ونبت إبله حتّى كان من أحسن الناس حالا، ثمّ ذكر أخاه فقال: كيف ينفعني العيش وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان، فعهد إلى فأس فأحدها،ثمّ قعد لها فمرت به فتبعها فضربها فأخطأها ودخلت الجحر ووقع الفأس

[6]- انظر: نظرات في قصص القرآن، ص 15.

بالجبل فوق جحرها فأثرّ فيه، فلمّا رأت ما فعل قطعت عنه الدينار، فلمّا رأى ذلك وتخوف شرها ندم، فقال لها: هل لك في أن نتوافق ونعود إلى ما كنّا عليه، فقالت كيف أعاودك وهذا أثر فأسك »«[7]».

وبهذا يتأكد في نفسية القارئ والمطالع معرفة العرب الأوائل لهذا النوع من الأدب، وأنّ حديث القرآن عن قصص الأوائل عن الأنبياء والصالحين وغيرهما ممّا قصه الله علينا فيه دليل على وجود القصةوالقصص عند العرب، لكنّ القصص القرآني قصص هادف يرمي إلى استخلاص الدروس والعبر.

[7] ـ انظر : مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، ط 1 ، تحقيق نعيم حسين زرزور ،بيروت ، دار الكتب العلمية ،1408 هـ ، 1988 م، ج 2 ، ص 174 .

الباب الأول:

القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

تعريف القصة القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :القصة في مفهومها اللغوي

إنّ البحث في تحديد المعنى الاصطلاحي للقصة يقضي بلزوم الوقوف على المعنى اللّغوي للفظة «القصة» فالكلمة مشتقة من مادة «قصّ» ، وإذا أمعنا النظر في المعاجم اللغوية وجدناها تمدنا بمعان كثيرة للفظة «القصّ» تدور بين تتبع الأثر، ورواية كالخبر ففي صحاح الجوهري: «قصّ أثره:تتبعه قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴾«[8]»، وكذلك اقتصّ وتقصص ، واقتصت الحديث رويته على وجهه، والاسم القصص بالفتح وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، و القصص بالكسر جمع قصة«[9]» و في مقاييس اللغة لابن فارس:«القاف و الصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبعته، ومن الباب القصة و القصص كل ذلك يتتبع فيذكر»«[10]»

أمّا لسان العرب لابن منظور ففيه عن مادة القصة: «يقال قصصت الشيء إذا اتبعت أثره شيئا بعد شيء،ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾«[11]»والقصة الخبر ، وهو القصص، وقص عليه خبره يقصه قصصا أورده والقصص الخبر المقصوص والقصص بكسر القاف: جمع قصةوالقاص يقصص القصص لإتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا».«[12]»، وأما في تاج العروس فنقرأ عن القصة

---

[8] سورة الكهف :الآية 64

[9] ـ الصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري ،ط 4 ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطا، بيروت ،دار العلم للملايين ،1984، مادة «قصص »،ج 3 ، ص 115.

[10] ـ معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس، د ط ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ص 11.

[11] ـ سورة القصص : الآية11.

[12] ـ لسان العرب :أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ،د ط ، دار المعارف ،مادة« قصص»، ج 5 ، ص3650 ـ 3651.

في مفهومها اللغوي قوله:«قص أثره يقصه قصا وقصصا:تتبعهوقص عليه الخبر أعلمه بهوالقاص من يأتي بالقصة »«[13]» ،ويفيدنا معجم متن اللغة عن معنى القصة بالآتي:

«قص قصصا أثره تتبعه وهو أصل المعنى وقص الخبر: أعلم به وحدث والقصة: الحديث والخبر والأمر، والقصة التي تكتب جمع: قصص»«[14]» ، ويضيف الراغب الأصفهاني في مفرداته معنى دقيقا للقص عندما يقول: «ومنه قيل لما بقي من الكلأ قصص لأنه يتتبع»«[15]»وقد وردت لفظة « قص» باشتقاقها وتصاريفها في القرآن الكريم، في مواضع كثيرة، وبمعان مختلفة، فمنها: القصص بمعنى التسمية كقوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾«[16]» ،وجاءت بمعنى التلاوة في قوله تعالى﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ ﴾«[17]»ووردت بمعنى البيان، قال الله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾«[18]»وأتت بمعنى تتبع الأثر مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ ﴾«[19]» وقوله:﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾«[20]»ووردت أيضا بمعنى أخبر، قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ

---

[13] ـ تاج العروس من جواهر القاموس : أبو فيض مرتضى الزبيدي ، دط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1994 ، ص 355.

[14] ـ متن اللغة : محمد رشيد رضا ، دط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1379 هـ ـ 1960 م ، ج 4 ، ص 597.

[15] ـ المفردات في غريب القرءان : الرّاغب الأصفهاني ، ط1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1428 هـ ـ 1998 م ، ص 405.

[16] ـ سورة النساء :الآية 164.

[17] ـ سورة الأعراف :35.

[18] ـ سورة النمل :الآية 76.

[19] ـ سورة القصص : الآية 11.

[20] ـ سورة الكهف : الآية 64

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[21]»وقال سبحانه :﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾«[22]»يعني لا تخبرهم. «[23]»

المبحث الثاني: تعريف القصة اصطلاحا:

المطلب الأول :القصة الأدبية:

القصة في المدلول الشامل للكلمة لون من ألوان الأدب القصصي الذي يروي الأخبار على أنواعها، ويعرض الأحداث، ويسوق الحكايات والنوادر وينسج الأساطير والخرافات طلبا للمتعة والفائدة «[24]»

فالقصة فن من الفنون الأدبية يقوم على سرد حادثة أو مجموعة من الحوادث مستمدة من الواقع أوالخيال، أو منهما معا وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي والقواعد الجمالية «[25]»

المطلب الثاني: القصة القرآنية:

عرّف عبد الكريم الخطيب القصة القرآنية بقوله: «عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن فهو والأمر كذلك وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق مما جاء فيه من أشخاصوأحداث و ما يتصل بالأشخاص من أمكنة وأزمنة»«[26]»

---

[21]ـ سورة القصص : الآية 25.

[22]ـ سورة يوسف : الآية 5.

[23]ـ الوجوه والنظائر لكتاب الله العزيز : أبو عبد الله الحسين بن محمد الدّامغاني ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 م ، ص 386.

[24] ـ المعجم المفصل في اللغة والأدب : إميل يعقوب ، دط ، بيروت دار العلم للملايين ، د ت ،ج 2 ، ص 979.

[25]ـ انظر : قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية : إميل يعقوب ـ مي شيخان ، ط1 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1987م ، ص 317.

[26]ـ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : ، ص 39.

أمّا الطاهر بن عاشور فيرى: «أنّ القصة الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصا مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم»«[27]»

إنّ اشتقاق القصة كما رأينا في التعريف اللغوي لها يعني البحث عن الآثار وتتبع الأخبار ولا يكون ذلك إلاّ للشيء السحيق العميق الذي طوّف في ضمير الماضي وأوغل في أطوائه وأخبائه وضرب في متاهات الدهور والأحقاب وذلك لإحضار ما نريد على صورته الأولى وحالته الأصلية وإعادة عرضه من جديد ولا يكون جوادنا في هذا المضمار إلا الأسلوب القصصي ،وانطلاقا من ذلك فإن ما يعد من أخبار القرآن قصصا إنما هو ما جاء فيه من أحداث ماضية واقعة، تعرض القصة منه ما ترى عرضه ليحقق العبرة ويحدد أبعاد الموعظة.

لقد استعمل القرآن الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي وفرق بينهما وبين قصته في المجال الذي استخدمتا فيه ،فاستعمل الأول «النبأ» في الأحداث التي مضى الزمن بعيدا عنها كقصة أصحاب الكهف﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾«[28]»﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ ﴾«[29]»﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾)«[30]»)﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ ﴾«[31]»

[27] ـ التحرير والتنوير: ،دط ،الدار التونسية للنشر ، د ت ، ج1،ص 64.

[28] ـسورة الكهف: الآية 13.

[29] ـ سورة هود : الآية 49.

[30] ـ سورة الشعراء :الآية 69.

[31] ـسورةإبراهيم:الآية 9

أمّا في شأن الخبر فقال سبحانه وتعالى:﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾«[32]»فالخبر كشف عن وقائع قريبة العهد بالوقوع أو ماتزال مشاهدة ماثلة للعيان .

لقد جاء في القرآن الكريم ذكر أحداث وقعت في محيط الدعوة كحادثة الإفك، وغزوة بدر ،وغزوة أحد، وقصة الثلاثة الذين خلفوا، كما جاء فيه ذكر أحداث المستقبل كخبر الروم في سورة الروم (﴿ الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾«[33]»، وفتح مكة ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾«[34]» ،ولم يسم القرآن ما ذكر من الوقائع والأخبار المستقبلة قصصا فليس من الواقع إقحام تلك الأخبار والوقائع في قصص القرآن.

وخلاصة القول أنّ القصص القرآني عرض أحداث ماضية واقعة فمادة قصصه تجيء كلها من الغيب الماضي دون أن يكون فيه شيء من واقع الحال.

[32]ـ سورة محمد : الآية 31.

[33]ـ سورة الروم : الآيتان 1 ـ 2.

[34]ـ سورة الفتح : الآية 27.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

أهمية القصص القرآني ومكانته بين موضوعات القرآن

المبحث الأول: أهمية القصص القرآني وقيمته بين محاور القرآن

كان القصص الحسن من أبرز الأساليب القرآنية في شرح الإسلام وبيان رسالته،ومزج تعاليمه بالقلوب، وكان هذا القصص تاريخا لسير الدعوة الدينية في الحياة وكيف خطت مجراها بين الناس منذ فجر الخليقة؟ وماهي العقبات التي اعترضتها وهل وقفت عندها أوتغلبت عليها وما صنع الأنبياء إزائها؟ وكيف تقبلت الدعوة رسالات الله أو صدت عنها؟ وبماذا انتهى الصراع بين الغي والرشد؟ «[35]»

إنّ القصص القرآني من أنجع الطرق التي اتبعها القرآن في تهذيب النفوس وسياسة الجماعات ،وقد امتاز هذا القصص بسمو غاياته، وشريف مقاصده، وعلو مراميه.

اشتمل على الأخلاق مما يهذب النفوس، ويجمل الطباع وينشر الحكمة و الآداب،وعلى طرق في التربية والتهذيب شتى،تساق أحيانا مساق الحوار، وطورا مسلك الحكمة والاعتبار، وتارة مذهب التخويف والإنذار، كما حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم، والشعوب وحكامهم وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم في الأرض وتمت عليهم كلمة الله الحسنى، وقص أنباء قوم ظلوا فساءت حالهموخربت ديارهم، وحق عليهم النكال، يضرب بسيرهم المثل ويدعوا الناس إلى العظة والتدبر.

لقد كثرت في القرآن القصص لتحصي جملة من الأمراض الاجتماعية و تستأصل جرثومها بصنوف العبر، وشتى النذر

إنّالحضارات المندثرة كجثث الموتى قد يشرحها الطبيب ليتعرف أسباب هلاكها، وليضيف بهذه المعرفة حصانة جديدة إلى علم الطب،تتوقى بها الإنسانية ما تجهل من متاعبوآلام

[35] ـ نظرات في القرءان : محمد الغزالي ، دط ، باتنة ، دار الشهاب للطباعة والنشر، د ت ، ص 110.

وإنّ روح القصص القرآني هو احتواؤه على جملة من السنن الكونية في قيام الأمم وفنائها، وتعلم هذه القوانين الاجتماعية الخالدة يشبه دراسة علوم الكون المختلفة وما تلك المحاورات النابضة التي أثبتها القصص القرآني إلا معالم خالدة لضبط الحقيقة و توليد العبرة منها.

المبحث الثاني : القصص القرآني بين موضوعات القرآن:

القرآن الكريم كتاب هداية و إعجاز﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾«[36]»﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾«[37]» وتـــــــــدور موضوعات القرآن كلها على غرض رئيسي واحد هو دعوة الناس إلى أن يكونوا عبيدا لله عز وجل بالفكر والاختيار كما خلقهم عبيدا له بالجبر والاضطرار ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾«[38]»، وكل ما في القرآن من موضوعات، متفرع عن هذا المقصد الرئيسي الأسمى، إذ كان لابد لكي يدين الناس بالعبودية لله وحده من أن يطلعوا على دلائل وجوده ووحدانيته وأن يستيقنوا قيام الناس لرب العالمين من بعد الموت وأن الذي ينتظرهم بعد ذلك إما سعادة عظيمة في جنات الخلد أو شقاء ونيل في نار تلظى.

فهذا هو الموضوع الأول، و طريقة عرض القرآن له تقرير كليات العقيدة التي لابد من الاعتقاد بها، ثم عرض الأدلة على هذه الكليات وأهمها وجود الله ووحدانيته بأسلوب يشترك في فهمه سائر أصناف الناس وطبقاتهم، فتراه ينبه الناس إلى أدلة الكون وما فيه من دقة النظام وروعة الخلق و جمال التنسيق دون أن يعرض لشيء من الأدلة المنطقية الفلسفية أوالعلمية التي تختص بفهمها فئات من الناس، ثمّ كان لابد من أن تقوم حياة الناس في

---

[36] ـ سورة البقرة :الآية 2

[37] ـ سورة يونس : 57

[38] ـ سورة آل عمران : 83

دنياهم على نظام معين يضمن لهم مصالحهم وأسباب عيشهم، ويجمعهم على صراط التحابب والتعاون فكان من مقتضى ذلك أن يعرض القرآن لموضوع ثان هو التشريع وقد أوضح القرآن في عرضه لهذا الموضوع الأحكام المتعلقة بسائر المعاملات المدنية المختلفة، حيث قرر الأحكام المتعلقة بالبيع والإجارة والشركات وعامة العقود المالية وغيرها، وقرر الأحكام المتعلقة بمختلف الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث وسائر ما يتعلق بذلك من أحكام الأسرة، وتحدث عن الجنايات والجرائم المختلفة وعقوباتها ،وعما ينبغي أن تكون عليه علاقة المسلمين كدولة بالدول والجماعات الأخرى،غير أن طريقة عرض القرآن لهذه النظم والأحكام اختلفت إلى ثلاث طرق:

فمنها ما نص القرآن على حكمه بعبارات حاسمة واضحة مفصلة لا إبهام فيها ولا إجمال، وذلك مثل فريضة الميراث وحقوق الورثة في مال الموروث، ومثل عقوبات بعض الجرائم كالزنا والقذفوجريمة القتل وقطع الطرق ،ومنها ما اكتفى ببيان حكمة من وجوب أوحرمة أو إباحة، وعرّف بها إجمالا، ثم وكل إيضاح الشروط والصفات وكيفية التطبيق إلى بيان الرسول صلى الله عليه وسلم مثل عامة العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ومثل كثير من أحكام المعاملات، ومنها ما وضع فيه المبادئ الأساسية وقرر بحقه الأحكام الكلية ،ثم أناط تعيين وجوه التطبيق فيه بأعراف الناس و تطورات الزمن والأحوال.

ثمّ كان لابد، لتقوم حياة الناس على مبدأ قويم، ونظام صالح ولتتوفر ضمانات تطبيق ما وضعه أمامهم من الأحكام التشريعية من أن يحيا القلب الإنساني بمراقبة الله عز وجل في كل الظروفوالأحوال، وأن تقوم بين الناس وشاج من الأخلاق الفاضلة والمحبة والإيثار من أجل ذلك عرض القرآن لموضوع ثالث هو الأخلاقيات فعني به عناية كبرى وجعله من الثمرات الأولى للإيمان بالله عز وجل، وأوضح أن هناك تلازما شديدا بين عبودية الإنسان لله عز وجل والسلوك الأخلاقي الفاضل في المجتمع.

والطريقة القرآنية لعرض هذا الموضوع أنه يربط بين مبادئ العقيدة والإيمان بالله عز وجل، والمبادئ السلوكية في الحياة ويكشف عن التلاؤم الذي بينهما، وأن الثانية نتيجة وثمرة للأولى فهو يوضح لك الرابطة المتينة بين اعتقادك بأنك عبد الله عز وجل والتواضع ولين الجانب لإخوانك من الناس، ويأمرك بالثاني من حيث أمرك بالأول فهو يقول:« وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما»«[39]»

وهو يوضح لك التلازم بين اعتقادك بأن الرزق إنما يأتي من عند الله عز وجل وبتقديره، و بأن المال هو مال الله جعل الناس خلفاء فيه وبين ما ينبغي أن تلزمه بصدد الإنفاق من القصد في ذلك وعدم الإقتار ولا الإسراف فيقول:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾«[40]» ،ثمّ يوضح أساس هذا الأمر فيقول﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾«[41]»

فالقرآن يقوم المعايير الأخلاقية تقويما دينيا، ويجعل وجه ضرورة الالتزام بها الإيمان بالله عزّ وجل بكل ما يستلزمه من توابع ومتممات، بل إنه ليهدد أولئك الذين يفضلون العتو والفساد في الأرض بأخلاقهم السيئة، بأن أفئدتهم وعقولهم لم تتفتح لفهم الحقائق وأنها ستضل منصرفة عن أن تعي شيئا من دلائل الإيمان بالله فيقول:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾«[42]»

---

[39] ـ سورة الفرقان : الآية 63

[40] ـ سورة الإسراء : الآية 29.

[41] ـ سورة الإسراء: الآية 30 .

[42] ـ سورة الأعراف :146.

ثمّ كان لابد من عرض العبر والآيات المختلفة التي مرت مع التاريخ كي يستنير بها العقل في مجال اعتباره واستدلاله وكي تتجلى مظاهر عظمة الله عز وجل وقدرته فيما سجله الزمن من وقائع وأحداث، فمن أجل ذلك عرض القرآن لموضوع آخر هو القصص، قصص الأمم الخيالية وما آل إليه أمرها من الهلاك والدمار، وقصص كثير من الأنبياء الذين تعاقبوا على الدعوة إلى دين واحد، وكرروا إبلاغ الناس حقيقة واحدة لم يختلفوا عليها ولم يتفرعوا عنها في طرائق متعددة أو متباينة:

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾«[43]»﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾«[44]»

إنّ المساحة التي شغلتها القصة القرآنية من كتاب الله مساحة واسعة، ما نظن موضوعا آخر كان له ما كان للقصة من نصيب

إنّ القصة أوسع محاور القرآن «[45]»، والمتدبر في قصص القرآن من حيث توزعها في سوره يقف على الملاحظات التالية:

1- إنّ العهد المكي أوسع من العهد المدني
2- إنّ هناك سورا قرآنية لم يذكر فيها شيء من القصص كما أن هناك سورا ذكرت فيها قصة واحدة

---

[43] ـ سورة الشورى : الآية 13.

[44] ـ سورة الأنبياء: الآية 25.

[45] ـ انظر: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ،: فضل حسن عباس ،د ط ، الجزائر ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، د ت ، ص 10.

3- لو استقرأنا القرآن الكريم لوجدنا أن نصف السور المكية تقريبا لم تخل من ذكر هذه القصص، سواء كان ذلك موجزا أو مفصلا، أما السور المدنية فإن بضع سور منها فقط هي التي ذكر فيها شيء من القصص بإيجاز

4- إنّ هذا القصص كان موزعا توزيعا موضوعيا على السور القرآنية فسورة مريم فصل فيها نبأ إبراهيم وبنيه وذريته، وقصص الأنبياء العرب فصل أكثر ما فصل في السور المكية

وتفصيل القول في ذلك أن السبع الطوال كانت أكثر سورة فيها نالت نصيبا من القصص سورة الأعراف، ذلك لأنها جاءت تعالج موضوع العقيدة من حيث تاريخها البعيد، ابتدأت بقصة آدم، ثمّ ذكرت قصة نوح بعد فصول كثيرة من الآيات،ثم جاءت قصص هود وصالح ولوط وشعيبوموسى.

أمّا السورة المكية الثامنة في السبع الطوال فهي سورة الأنعام فلا نجد فيها سوى قصة إبراهيم ذكرت من حيث استدلاله عليه السلام على الإله الحق وهو متسق تماما مع موضوع السورة التي جاءت تتحدث عن العقيدة من حيث رد الاقتراحات التي اقترحها المشركون، وعلاج الشبهات التي أثاروها.

وبقية السبع الطوال كلها سور مدنية، والقصص التي ذكرت فيها مع قلتها حديث عن بني إسرائيل فحسب،فإذا تجاوزنا السبع الطوال وجدنا سورتي يونس وهود تحدثنا عن بعض القصص وإن كان نصيب الثانية أكبر من نصيب الأولى،ثم جاءت سورة يوسف وهي تنفرد بقصة سيدنا يوسف عليه السلام بتفصيل أحداثها، وتخلوا السورة التي بعدها وهي سورة الرعد من ذكر هذا القصص القرآني.

أمّا سورة إبراهيم ففيها إشارة موجزة لقصة موسى، وشيء من نبأ إبراهيم عليهما السلام،وسورة الحجر التي تليها تتحدث عن قصة إبراهيم وضيفه، وتقفي بقصة لوط وأشارت إشارتين موجزتين إلى أصحاب الحجر وأصحاب الأيكة.«[46]»

أمّا سورة النحل فلا ترى فيها شيئا من هذا القصص إلا بعض الآيات ثناء على إبراهيم عليه السلام في آخر السورة ،وتأتي سورة الإسراء ، ولا تقرأ فيها لمحة عن قصة آدم وهذا يتلاءم مع موضوع السورة، ثمّ إشارة متلائمة أيضا مع موضوع السورة إلى الآية التي أعطيتها ثمود، إشارة كذلك إلى الآيات التي أعطيها موسى،ثمّ تأتي سورة الكهف فتذكر جملة من القصص هي: قصة الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة آدم، وقصة موسى والعبد الصالح، وقصة ذي القرنين،وأمّا سورة مريم فبدأت بالحديث عن زكريا ويحي، ثم جاءت فيها قصة مريم وميلاد المسيح عليه السلام، كما عرجت السورة على ذكر جملة من الأنبياء وثناء الله عليهم، وتأتي سورة طه فتفصل الحديث عن موسى عليه السلام، وبعد فاصل من الآيات تحدثنا عن قصة آدم عليه السلام،وأمّا سورة الأنبياء فكان الحديث فيها كما ينبئ اسمها عن الأنبياء ثناء ومنة وتفضلا، وكان الحديث فيها موجزا إيجازا تاما، والرسول الوحيد الذي فصلت السورة في قصته كان إبراهيم عليه السلام فهو أبو الأنبياء حري بهذا التفصيل،وتأتي سورة الحج فلا نقرأ فيها شيئا من القصص، إلا ما ذكر عن إبراهيم وهو حديث ذو صلة بالحج، وتأتي سورة المؤمنون فتحدثنا بإيجاز عن نوح وهود ولمحة عن موسى وهارون،أمّا سورة النور فإن موضوعها الذي جاءت تتحدث عنه جعلها خالية من هذا القصص،وأمّا سورة الفرقان فجاءت علاجا للشبهات التي أثارها المشركون حول الرسالة والرسول وما ذكر فيها من أخبار السابقين لم يكن عما جرى بين الأنبياء

[46]ـ انظر :القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، فضل حسن عباس ، ص 30 ـ 31.

وأقوامهم من حوار وجدال إنما كان بيانا لما حل بأولئك الأقوام بعبارات قصيرة موجزة ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾«[47]»

ثمّ تأتي سورة الشعراء وهي أكثر الطواسين تعدادا لقصص الأنبياء ابتدأت بالحديث عن موسى وفصلت تفصيلا لا يكاد يوجد في غيرها ثم تحدثت عن إبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ،وتليها سورة النمل فيتجه الحديث فيها عن موسى عليه السلام ومبدأ رسالته، ثم تذكر داود وسليمان وتفصل في شأن سليمان ليعود الحديث عن ثمود وقوم لوط ولكن بما ليس فيه تفصيل، ثمّ تأتي سورة القصص وهي آخر الطواسين والحديث فيها عن موسى عليه السلام منذ ولادته إلى أن أرسل إلى فرعون، وبعد القصص العنكبوت، والإشارات فيها إلى الأنبياء موجزة وقد حدثتنا عن نوح وإبراهيم ولوط وإشارة إلى عاد وثمود في آية، وعن قارون وهامان في آية، وأمّا سورة الروم فقد اكتفت بالإشارة إلى الروم وغلبتهم وأشارت إشارة مجملة إلى إرسال الرسل ونصر الله لهم ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾: «[48]»و بعدها تجيء سورة لقمان فلا نجد فيها من القصص غير لقمان ووصاياه لابنه وهو يعظه،وتليها سورة السجدة فلا نجد فيها ذكرا للقصص وبعدها سورة الأحزاب التي فصلت الحديث عن تلك الغزوة التي أيد الله فيها المؤمنين بجنود لم يروها وكفر الله المؤمنين القتال وخذلان المؤيدين للكفار من أهل الكتاب وإنزالهم من صياصيهم...،وأمّا سورة سبأ فقد ذكرت فيها قصة سبأ، وقصة داود وسليمان،وأمّا سورة فاطر فكان الحديث فيها عن بدائع صنع الله فاطر السماوات والأرض، ولم يكن فيها شيء من القصص.«[49]»

---

[47] ـ سورة الفرقان : الآية 38

[48] ـ سورة الروم : الآية 47

[49] ـ انظر: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، فضل حسن عباس ، ص 35 ـ 37 .« بتصرف»

ومثلها سورة يس فلم يرد فيها إلاّ المثل لأصحاب القرية ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾«[50]»،لكن سورة الصافات تذكر الأنبياء من حيث الثناء عليهم و فصلت في خبر إبراهيم،وتبرز سورة ص بالحديث عن بعض ما ابتلي بعض الأنبياء كداود وسليمان وأيوب وكل ذلك كان تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وثناء بإيجاز عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذي الكفل،أمّا سورة الزمر فلم يذكر فيها شيء من قصص الأنبياء عليهم السلام،وتأتي الحواميم السبع فيكون الحديث في الأولى وهي غافر عن نبأ موسى، وتفيض في الحديث عن مؤمن آل فرعون،وأمّا سورة فصلت ففيها إشارة في معرض الحديث عن أهل مكة ووعيدهم إن أعرضوا،ووأمّا سورة الشورى فليس فيها شيء من القصص القرآني،وتأتي سورة الزخرف وفيها إشارة عن إبراهيم عليه السلام، وشيء عن خبر موسى مع فرعون، وما كان من اعتزاز فرعون وفخره بنفسه وبملكه،وأمّا سورة الدخان فتحدثنا شيئا عن خبر فرعون متسقا مع ما أصيب به أهل مكة حين دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم بسنين كسنين يوسف،لكن سورة الجاثية خالية من القصص ،إلا إشارة موجزة عن بني إسرائيل وما خصهم الله به من التكريم ولكنهم اختلفوا من بعدما جاءهم العلم بغيا بينهم،وتأتي سورة الأحقاف وهي السورة الأخيرة في الحواميم وفيها إشارة إلى قصة عاد ساكني الأحقاف،ثمّ تأتي ثلاث سور مدنية وهي سورة محمد – صلى الله عليه وسلم- وسورة الفتح وسورة الحجرات، فلا يكون فيها شيء من هذا القصص،ويبدأ المفصل فنجد إشارة موجزة في بعض سوره كما في سورتي (ق) و القمر، وكما جاء عن ذكر موسى وقومه في سورة الصف، ومن خبر أصحاب الجنة، وصاحب الحوت في سورة (ن).. والسورة الوحيدة التي في المفصل فصّل فيها، كانت سورة نوح حيث كانت كلها حديثا عن نوح عليه السلام«[51]».

---

[50]ـ سورة يسن : الآية 13

[51]ـ انظر: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، فضل حسن عباس ، ص 40.

وجاءت إشارات إلى القصص في سور المزمل والفجر والشمس والبروج التي انفردت بقصة أصحاب الأخدود، وسورة الأعلى التي أشارت إلى ذكر إبراهيم وموسى عليهما السلام.،وهناك سورتان من المفصل كان فيهما بعض التفصيل عن بعض الأنبياء وهما: الذاريات حيث فصلت في نبأ إبراهيم وفيها إشارات إلى قوم لوط وفرعون وعاد وثمود وسورة النازعات التي أجملت الحديث عن خبر موسى – عليه السلام – مع فرعون «[52]»

[52]ـ انظر: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، فضل حسن عباس ، ص 41 .

الفصل الثالث :

طريقة القرآن في عرض القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :طريقة القرآن في عرض القصص:

لما كانت القصة في القرآن تهدف إلى مقاصد دينية وإيمانية كانت طريقة القص في القرآن متميزة عن المألوف في هدا الفن، لكي يتلاءم أسلوب عرض القصة مع الوفاء بحق الغرض الذي سيقت لأجله، ومن أبرز سمات طريقة القرآن في القصص ما يلي:

1- القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها، ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها «[53]»

2- لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في«[54]» سورة أوسور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها،لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع.

3- من مميزات قصص القرآن نسج نظمها على أسلوب الإيجاز ليكون شبهها بالتذكير لأقوى من شبهها بالقصص.

4- القصة لا ترد في القرآن بتمامها دفعة واحدة بل يقتصر على الجزء الذي يناسب الغرض الذي تساق القصة لأجله، كما يكتفي بالجملة من الآية، أو شطر البيت من الشعر للاستشهاد به، وهذا الجزء الذي يذكر إنما يذكر بالحدود الملائمة للغرض كذلك.

فقصة موسى مع فرعون في سورة غافر وردت في جو كأنه جو معركة لأن فيها بيان الصراع بين الحق والباطل، والمعركة بين الإيمان والكفر فتذكر السورة من القصة ما يلاءم ذلك: محاولة قتل موسى، والتفكير بقتل أبناء الذين آمنوا معه ثم ظهور الرجل المؤمن بين قوم فرعون يكتم إيمانه فينصر موسى ويدافع عنه، واحتيال فرعون للتهرب من دلائل الحق وبراهينه إلى أن تأتي نهايته بالهلاك والعذاب الأليم، وبحفظ الله تعالى لهذا المؤمن الحكيم«وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو

---

[53] ـانظر :التحرير والتنوير : محمد الطاهر بن عاشور ، ج 1 ، ص 64

[54] ـ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 64.

أن يظهر في الأرض الفساد. وقال موسى إني عذت بربي و ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن قال ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب. يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل قوم الأحزاب. مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد. ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد. يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم.....فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد. فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب»«[55]»

لا تكاد تجد القرآن يسرد حوادث القصة سردا تاريخيا تبعا لسلسلة الحوادث والوقائع إذ من شأن ذلك أن تبتعد القصة بالقارئ عن المناسبة والغرض الأصلي اللذين ذكرت بصددهما.

تقرأ مثلا في قصة أصحاب الكهف قوله تعالى ﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا ﴾«[56]»

[55] ـ سورة غافر : الآيات 26 ـ 46.

[56] ـ سورة الكهف : الآيات 13 ـ 14.

فوصف أصحاب الكهف بأنهم فتية انفردوا عن أقوالهم الكافرين فآمنوا بالله وحده، من أجل ذلك عزموا على أن يعتزلوهم في شواهق الجبال وبكون الكهوف. فمن هؤلاء القوم؟وفي أي بلد كانوا؟ وكم كان عدد هؤلاء الفتية؟ وماهي أسماؤهم؟

لقد كان مقتضى السرد التاريخي أن تجيب القصة على هذه الأسئلة كلها، ولكنها لو سارت على هذا المنوال لما وفّت بالغرض الذي استهدفته، ولا انصرف فكر القارئ إلى تتبع أحداث تاريخية شاهقة يتطلع إلى معرفتها، ولغفل بذلك عن العبر والعظة اللتين سيقت القصة من أجلهما.

وهذا هو سر الاقتضاب الذي تجده في أكثر قصص القرآن وهو سر يمكن أن ينتبه إليه الإنسان من خلال شعوره بالرغبة في أن تكون القصة القرآنية غنية بمزيد من التفصيل إذ هو لا يرغب في ذلك إلا بدافع مما يتصف بها الإنسان عادة من فضول الفكر وحب الاستطلاع،ولو استجيبت رغبته، لندّ فكره عما وضعه القرآن في سبيله من الانضباط ضمن خط الهداية والموضوع المتعلق بها.

5- يهدف المنهج التربوي في القصة القرآنية إلى أن لا يندمج القارئ مع القصة، وينصرف إليها بكل تفكيره فيطول به العهد وينساق المساق الأصلي للقصة فتراه يبث التوجيهات والعظات في ثنايا القة وختامها، من ذلك ما نقرؤه في ثنايا حوار موسى ومؤمن آل فرعون فموسى يقول:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾«[57]» وهذا يشير إلى فظاعة من اتصف بذلك .

[57] ـ سورة غافر : الآية 27.

وفي ثنايا كلام مؤمن آل فرعون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾«[58]»،﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾«[59]»

وفي سورة طه يقص الله علينا خبر موسى وفرعون إذا تشعبت أحداث القصة وكاد السامع أن يغفل عن مساق القصة والغرض منها، بالتأمل في واقعها وغريب أحداثها فوجئ القارئ بأسلوب بالغ الحكمة والروعة أثناء ذلك بحديث آخر جديد يتوجه إلى السامع بالموعظة والإرشاد ويشده إلى الغرض الكلي الذي سيقت القصة من أجله حتى إذا حقق هذا الحديث القارئ أثره المطلوب في نفس السامع عاد السياق مرة أخرى إلى القصة وأحداثها.

تأمل هذا كله في قوله تعالى يقص علينا نبأ موسى وفرعون ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾«[60]»

فانظر كيف توقف سير القصة ليظهر من ورائها في حكمة حديث آخر يتحول فيه الخطاب مما بين موسى فرعون إلى ما بين الله وعباده متضمنا الامتنان بالنعم والتحذير

[58] ـ سورة غافر : الآية 28.

[59] ـ سورة غافر : الآية 35.

[60] ـ سورة طه : الآيات 49 . 56.

من النقم،والتنبيه إلى عظيم سطوة الله وجبروته حتى إذا اصطفت القصة بهذا الجو الإرشادي، واستعاد السامع أو القارئ بذلك انتباهه إلى الغرض الكلي الذي من أجله نزل القرآن عادت القصة إلى مسارها بدئا من قوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾«[61]».

وفي قصة لقمان نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾«[62]» يأتي البيان القرآني بتعقيب على هذه الموعظة بقوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾«[63]»فهذا يعد وصية لقمان الأولى من كلام لقمان، بل هو من كلام الله تعالى يوجهه سبحانه لعباده لمناسبة وعظ لقمان يحقق غرضين كبيرين

الأول: التأكيد على وصية لقمان (لا تشرك بالله) ببيان أنه أعظم الحقوق، وأنه لا يجوز التساهل إزاء قضية الإيمان وتوحيد الله لأي اعتبار، ولو كان هو حق الوالدين البالغ غاية التقديس.

الثاني: تأكيد حق الوالدين وبيان أنه أجل حقوق العباد على الإنسان ولكنه مع ذلك لا يفوّت حق الله تعالى :﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾«[64]»

وتقرأ في سورة يوسف قصة يوسف مع إخوته وعزيز مصر وهي قصة طويلة، سيقت لتأكيد أن القرآن كلام الله وأن محمد –صلى الله عليه وسلم– لا دخل له في شيء منه فتجدها تعترض بالجمل المعترضة التي تنبه القارئ إلى العبرة والعظة كلما أوشكت أحداث القصة ومشاهدها المثيرة أن توقعه في غفلة وذهول عنها انظر إلى قوله عز وجل: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ

---

[61] ـ سورة طه : الآية 56.

[62] ـ سورة لقمان : الآية 13.

[63] ـ سورة لقمان : الآية 14.

[64] ـ سورة لقمان : الآية 15.

﴿ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾«[65]»وانظر إلى قوله سبحانه: ﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾«[66]»

إنّ صنع القصة بروح الموعظة والعبرة وتدبيجها بالجمل والعبارات الإرشادية التي تتوجه من القاصر إلى السامعين أوالقارئين، دون أن تتعرض صياغة القصة بذلك إلى الاضطراب والتفكك أوالتوهين لبنيتها الفنية، يعد ذروة عمل تربوي ناجح لا تجده في مظهره الكامل الدقيق. إلاّ في كتاب الله عز وجل.

6- ومن طريقة القرآن في عرض قصصه تكرار القصة مجملة ومفصلة ومن أمثلة ذلك ذكر قصص أقوام نوح وهود وصالح ولوط وموسى عليهم السلام مجملة في مثل سورة القمر: ﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾«[67]»، ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾«[68]»، ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾

«[69]»، ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴾«[70]»، ﴿ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴾«[71]».

---

[65] ـ سورة يوسف : الآيات 39 ـ 40.

[66] ـسورة يوسف: الآيات 55 ـ 58.

[67] ـ سورة القمر : الآية 9

[68] ـ سورة القمر : الآية 18

[69] ـ سورة القمر : الآية 23

وذكرت هذه القصص مفصلة في مثل سورتي الأعراف وهود وقصة اتخاذ بني إسرائيل العجل ذكرت مجملة في سورة البقرة ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾«[72]»، وذكرت مفصلة في سورة طه،ومنها تكرير القصة وفي كل تفصيل وإجمال فقصة آدم فصل فيها في سورة البقرة ما كان من قول الله للملائكة وقولهم﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾«[73]»,وأجمل هذا في مثل سورة الحجر﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾«[74]»،لكن فيها من البيان التفصيلي لما منع إبليس من السجود لأدم ما ليس في سورة البقرة «قال يا إبليس مالك ألاّ تكون مع الساجدين, قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون»«[75]» والذي في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾«[76]»، ومنها ذكر لقصة مفصلة فحسب ومن أمثلة هذا قصة يوسف عليه السلام وقصة سليمان وبلقيس.

ومنها ذكر لقصة مجملة فحسب بلا تكرير ومن أمثلة ذلك قصة داود وسليمان إذ يحكمان في الحرث المذكورة في سورة الأنبياء ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾«[77]»،وللإجمال في القصص القرآنية مظهران آخران:

---

[70] ـ سورة القمر : الآية 33

[71] ـ سورة القمر : الآية 41

[72] ـ سورة البقرة : الآية 50

[73] ـ سورة البقرة : الآية 30

[74] ـ سورة الحجر : الآية 29

[75] ـ سورة الحجر : الآية 33

[76] ـ سورة البقرة : الآية 34

[77] ـ سورة الأنبياء: الآية 78.

أحدهما :في القصص عامة وهو أن القرآن لا يحدد تاريخ الوقائع فهو يقص علينا خلق آدم عليه السلام ثم استخلافه في الأرض, ولكن لا يذكر متى كان ذلك ويذكر بعثة هود ونوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام, وما كان من شأنهم مع أممهم دون أن يعنى بتاريخ الإرسال وتاريخ المصائب النازلة بهم.

وثانيهما :أنه لا يذكر الأسماء كثيرا فهو يقول ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾«[78]»ويقول: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾«[79]»ويقول:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾«[80]»ولم يسم أحدا في هذه القصص،ومن قصصه ما يذكر فيه بعض الأسماء ويترك بعضا والقصة واحدة قال الله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾«[81]»فذكر اسم إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولم يسم الذي حاجه،وقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾«[82]» فذكر موسى ولم يسم فتاه.

وقال: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾«[83]» فذكر اسم زيد ولم يسم زوجه زينب بنت جحش،ولهذه الطريقة في التسمية والإهمال صلة تتعلق بأغراض القصة في القرآن وهي للعبرة والعظة والإشارة إلى سنن الله,الخلق والكون. وليس في الأسماء التي لم تذكر في القصص ما نستفيد به. فهل ترى فائدة في العلم باسم الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها أو اسم الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ؟ !

77ـ سورة البقرة : الآية 259.

[79] ـ سورة الأعراف : الآية 175.

[80] ـ سورة الفيل : الآية**1**.

[81] ـ سورة البقرة : الآية 258.

[82] ـ سورة الكهف : الآية 60.

[83] ـ سورة الأحزاب : الآية37.

7- القرآن يأخذ من القصة ما يحقق أهدافه من التهذيب والوعظ فحينا يقص القصة كلها محبوكة الأطراف موصولة الأجزاء مرتبطا بعضها ببعض في تسلسل واتساق يسلمك السابق منها إلى لاحقه حتى تصل إلى خاتمتها كما نراه في قصة يوسف عليه السلام, وفي معظم الأحيان يأخذ من القصة بعضها, لأن في هذا ما يحقق الهدف،وقد يلمح القرآن ويشير إلى القصة تلميحا يستغني به عن الاطالة اعتمادا على أن القصة معروضة مشهورة. وقد يتكرر جزء من القصة في القرآن إذا استدعى المقام تكرير هذا الجزء.

ومن الأمثلة عن ذلك قصة إبراهيم عليه السلام، فقد تحدث القرآن الكريم كثيرا عن إبراهيم, فعندما عرض له أول مرة في سورة البقرة كان في معرض الرد على اليهود والنصارى وهنا ذكر من قصة إبراهيم ما يؤيد دعوة محمد صلى الله عليه وسلم- وبيان أن محمد قد تبع ملة إبراهيم وأن إبراهيم وصى بنيه من بعده وصايا هي تلك التي جاء بها محمد باذاعتها قال عز وجل في سورة البقرة: « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير »«[84]»وقال«وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»«[85]»وقال:«وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم, ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم»«[86]»وقرأ في البقرة أيضا عن إبراهيم﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ

[84] ـ سورة البقرة : الآية 120

[85] ـ سورة البقرة : الآية 124.

[86] ـ سورة البقرة : الآية 127ـ 129

﴿«[87]»، وعرض القرآن مرة ثانية لإبراهيم في سورة البقرة وهو في معرض الحديث عن انفراد الله بالألوهية, وأنه لا شريك له في السماوات ولا في الأرض, فعرض من قصته في هذا المقام ما يناسب العرض إذ عرض الحديث الذي دار بين إبراهيم وبين الملك الذي أتاه الله الملك فادعى الألوهية فأفحمه إبراهيم بالحجة ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[88]»وكان الحديث عن إبراهيم وسؤله ربه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴾«[89]»مرتبطا تمام الارتباط بالحديث عن الله الذي يحيي ويميت.وجاء بجانب من قصة إبراهيم في سورة الأنعام وكان يتحدث عن قلة غناء عبادة غير الله, وضلال من يتخذ من دون الله آلهة لا تنفع ولا تضر وحيرته وفقد صوابه إذ يقول :﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[90]»

فقد ناسب المقام أن يورد هنا من قصة إبراهيم في هذا الحديث الذي دار بينه وبين ابيه آزر, ينكر فيه إبراهيم على أبيه أن يتخذ من دون الله إلها, ثم يمضي القران مبينا كيف اهتدى إبراهيم إلى الله الحق بعد أن رأى سواه ليس خليقا بالألوهية, ولا يصلح للعبادة فيقول: ﴿ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ

---

[87] ـ سورة البقرة : الآية 135

[88] ـ سورة البقرة : الآية 258.

[89] ـ سورة البقرة : الآية 260.

[90] ـ سورة الأنعام : الآية 71.

إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾,وجاء الحديث عن استغفار إبراهيم لأبيه في سورة التوبة بعد نهي الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن استغفاره للمشركين فكان الربط قويا متينا ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾«[91]»وكان الحديث عن إبراهيم في سورة هود فتحدثت عن نجاته وعذاب قومه وذلك

في معرض الحديث عن نجاة من نجا من الأنبياء وهلاك من هلك من أقوامهم الذين لم يؤمنوا بهم ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾«[92]»

أمّا الحديث عن إبراهيم في سورة إبراهيم فقد جاء بعد الحديث عن نعم الله التي لا تحصى, وهنا ذكر بتلك النعمة الكبرى وهي نعمة أمنهم في حرمهم, تلك النعمة التي استجاب الله فيها لدعوة إبراهيم, ويضم القرآن إلى هذه النعمة دعاء إبراهيمأن يجنبه ربه عبادة الأصنام قال عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ

[91] ـ سورة التوبة : الآيتان 113 ـ 114.

[92] ـ سورة هود : الآية 76.

أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾«[93]»

وورد جزء من قصة إبراهيم في سورة مريم ولما كان المقام مقام تنزيه الله عن الشريك ورد من القصة تلك المناقشة التي دارت بين إبراهيم وأبيه يبين فيها إبراهيم خطر الرأي في الإشراك بالله

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾«[94]»

ولما كان الحديث في سورة الأنبياء عن وحدانية الله كذلك وأن ما سواه لا يكون إلها يعبد ورد في هذه السورة من قصة إبراهيم ما يوضح هذه الحقيقة ويؤكدها في الذهن فقص القرآن حادثة تحطيمه الأصنام حادثا عمليا يبين قلة غنائها وأنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها فكيف يصلح أن تكون معبودة من دون الله ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ

[93] ـ سورة إبراهيم : الآية 35 ـ 37.

[94] ـ سورة مريم : الآية 41 ـ 46.

إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾«[95]»

وفي سورة الشعراء حديث عن الرسل ودعوتهم إلى عبادة الله وحده بهذه الدعوة أرسل موسى وهودا وصالحا فلما جاءت قصة إبراهيم ذكرت من تلك الناحية فعرض إبراهيم ما دفعه إلى ترك عبادة ما كان قومه يعبدون وإلى الاتجاه إلى الله وحده بالعبادة,, قال عز وجل ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾([96])

[95] ـ سورة الأنبياء : الآيات 51 ـ 66.

[96] ـ سورة الشعراء : الآيات 69 ـ 83.

كما عرض في سورة العنكبوت ما تحدّث به إلى قومه ممّا يدفعهم إلى تلك العبادة ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾«[97]»

وتعرض سورة الصافات في براعة جزءا من قصة إبراهيم تنفرد به هو قصة الذبح والفداء تؤكد خلق إبراهيم الموصوف بالحلم في غير موضع, يحدثنا القرآن عما يدل عن حلم الولد, وحلم الوالد، ويذكر التسليم لله والرضا بحكمه :﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾«[98]»،وتعرض السورة أيضا حادث تحطيم الأصنام عرضا آخر غير العرض الذي ورد في سورة الأنبياء. يصور تصويرا ملموسا عجز الآلهة وقلة حيلتها ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾«[99]»

ويتبين مما سبق أن القرآن الكريم يذكر من أجزاء القصة ما يناسب الغرض في كل سورة.

القصة القرآنية ترد بين الإطناب المناسب والتوسط والإيجاز وقد يأتي ذلك في قصة بعينها يذكر القرآن فيها نمطا فيه تفصيلا ونمطا آخر فيه توسط. ونمطا ثالثا فيه إيجاز, وكل نمط من هذه

[97] ـ سورة العنكبوت : الآية 17

[98] ـ سورة الصافات : الآيات 99 ـ 111

[99] ـ سورة الصافات : الآيات 91 ـ 93

الأنماط يتعاون مع بقية الأنماط دون تكرار ممل, أو خلل أو معيب، وأظهر مثل ذلك قصة موسى عليه السلام – عليه السلام- فقط أطنب القرآن في ذكر جوانب مبسوطة منها في سورتي «الأعراف» و «طه» وذكر جوانب منها متوسطة الطول في سورة الشعراء وعرضها موجزة مركزة في سورة النازعات حيث قال سبحانه ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾«[100]»

ومن القصص التي سيقت في القرآن المجيد بتوسط أقرب إلى القصر ما ورد في سورة الكهف وهي سورة متوسطة الطول مجموع آياتها مائة وعشر آيات وقد ورد فيها ثلاث قصص هي: قصة أهل الكهف وقصة موسى مع فتاه والعبد الصالح وقصة ذي القرنين

والقصة الثانية من هذه المجموعة القصصية نموذج القصة الرائعة التي تحتشد بالحركة والصراع والمفاجآت والإيحاء, وهي تشغل أقل من صفحتين من صفحات المصحف الشريف وهذه القصة هي قصة الرحلة في طلب العلم والاجتهاد في كشف الحقائق والأسرار وهي قصة الموازنة بين ما نعلم وما لا نعلم وما ندرك من الأسباب الظاهرة وما يغيب عنا من الأسباب الخفية وهي في الحقيقة قصة الحياة ومن في الحياة فكم من حادث يقع في هذا الكون لا نعرف أسبابه ولا نعرف منطقه ولا حسابه, فيأخذنا العجب وربما ثرنا كما ثار موسى حين رأى خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ولو كشف الله لنا عن جانب من حكمته آتانا من عنده رحمة وعلمنا من لدنه علما كهذا العبد الصالح الذي صحبه موسى لذقنا من لذة العرفان ما ذاق ومن ذاق عرف ومن عرف لزم.

[100]ـ سورة النازعات : الآية 15 ـ 26 .

وربما سأل سائل فقال: ولكن سورة بأكملها إلا قليلا منها قد خصصها القرآن لا يراد قصة واحدة مع أن آياتها تزيد عن المئة وهي قصة يوسف عليه السلام ونستطيع أن نفهم –وفوق كل ذي علم عليم– أنّ السر في هذا الإطناب يرجع إلى أنّ القصة تتعلق بالعفة والأمانة والأخلاق, ولأنها نموذج رائع للإنسانية المتحصنة بالصيانة والسمو والتأبي أمام سعار الشهوة, وثورة الجنس ولذلك رأى القرآن أن يجعلها درسا أخلاقيا باقيا لا يهمه فيه سرد الأحداث بل يهمه أولا وقبل كل شي ضرب القدوة العليا في التعفف والتطور : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾«[101]»

القرآن المجيد تارة يجعل طرفي القصة فيه –أو بطلها بتعبير العصر– الأب وابنه, ويجعل الأب صالحا والابن طالحا, كما في قصة نوح وابنه التي ذكرها القرآن في إيجاز ضمن قصة الطوفان التي أوردها في سورة هود,, وفيها يقول ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾«[102]»

وتارة يأتي القرآن في القصة بالسورة المقابلة للصورة السالفة فيكون الطرفان أوالبطلان هما الأب والابن ولكن الأب في هذه المرة هو الفاسد والابن هو الصالح وفي ذلك من التلوين والتنويع وإظهار المقابلات ما فيه ,يقول الله تعالى في سورة مريم﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ

[101]ـ سورة يوسف : الآية 24.

[102]ـ سورة هود : الآية 45 ـ 49.

جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾«[103]»

القصة في القرآن المجيد لا تفضل شخصية المرأة, فقد ورد في القرآن الكثير من قصص النساء كقصة امرأة العزيز وقصة امرأة فرعون وقصة أم موسى، وفي القرآن المجيد يجعل المرأة في بعض قصصه مثلا ساميا في التصون والعفاف, والرمز الكريم إلى تقدير الرجولة المستقيمة كما في قصة موسى مع ابنه شعيب ويوجز القرآن في تصوير موقف لها بهذه الآيـــــــــــــــــــة﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾«[104]»

وقد يجعل المرأة في القصة عنوانا للأمومة الحانية كما جاء في سورة القصص عن أم موسى: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾«[105]»

---

[103] ـ سورة مريم : الآيات 41 ـ 50

[104] ـ سورة القصص : الآية 26

[105] ـ سورة القصص: الآية 10 ـ 11

وقد يجعل المرأة في القصة رمزا للأخت الوفية الصادقة والبنت المطيعة في آن واحد, جاء في سورة القصص: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾«[106]»

وأحيانا يجعل القرآن المرأة عنوانا يمثل المرأة المطيعة الناذرة النذر الخالص لله:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾«[107]»

وأحيانا يجعل القرآن المرأة في قصته تمثل الطهر والصفاء فيقول في سورة التحريم ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾«[108]» ،وتارة يجعل القرآن المرأة مثلا في احتمال الأذى من أجل العقيدة والايمان كما تحدث عن امرأة فرعون قائلا: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[109]»

---

[106] ـ سورة القصص : الآيتان 11 ـ 12.

[107] ـ سورة آل عمران : الآيتان 35 ـ 36.

[108] ـ سورة التحريم : الآية 12.

[109] ـ سورة التحريم : الآية 11.

المبحث الثاني :تكرار القصة في القرآن

التكرار خاصة من خصائص أسلوب القرآن بصورة عامة وهو في طريقة عرض القرآن جزء من تلك الطريقة وإطلاق كلمة تكرار في أسلوب القصة فيه كثير من التسامح فإن تعرض القرءان لما حدث لنبي من الأنبياء مع قومه في أكثر من موضع ليس هو التكرار بالمعنى الحقيقي إنما هو استشهاد بالقصة لأغراض متعددة لذلك لا نجد القصة تعاد كما هي وإنما يذكر الجزء المناسب للغرض والمقصد الذي اقتضى الاستشهاد بالقصة باستعراض سريع أما جسم القصة فلا يكرر إلا نادرا ولاستنباط دروس وعبر جديدة منه مما يحوله على الحقيقة غير مكرر.

وقد أوضح الإمام ابن قتيبة «[110]»الحكمة من تكرار قصص القرآن بقوله: (أمّا تكرار الأنباء والقصص فإن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة بفرض بعد فرض تيسيرا منه على العباد وتدريجا لهم إلى إكمال دينه, ووعظ بعد وعظ تنبيها لهم من سنة الغفلة وشحذا لقلوبهم بتجدد الطاعة وناسخ بعد منسوخ استعبادا لهم واختبارا لبصائرهم لقول الله عز وجل﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾«[111]»لغرض آخر لأن معنى

---

[110] ـ هو الشيخ الأديب أحمد بن عبد الله بن مسلم أبو جعفر بن قتيبة أبو جعفر الكاتب ، ولد ببغداد ، ثمّ انتقل إلى مصر وولي قضائها ، روى عن أبيه وجماعة ، وحدث عنه أبو الفتح المراغي النحوي ، وعبد الرحمان بن إسحاق الزجاجي ، وخلق سواهم ، من مصنفاته : تأويل مشكل القرآن ، وتأويل مشكل الحديث ، توفي بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلثمائةللهجرو بمصر . ، انظر: ترجمته : معجم الأدباء ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1411هـ ـ 1991م ، ج 1 ، ص 394 ـ 395 .

[111] ـ سورة الفرقان : الآية 32

«الأول: الأمر بالأخبار أنه مأمور بالعبادة لله والإخلاص له فيها. ومعنى الثاني أنه يخص الله وحده دون غيره بالعبادة والإخلاص»«[112]»

وقال في موضع آخر «وكانت وفود العرب ترد على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بلا سلام فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا لهم ,وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة،فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم.. وقصة عيسى إلى قوم , وقصة نوح إلى قوموقصة لوط إلى قوم.. فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب»«[113]».

ومن العلماء الذين تعرضوا لقضية التكرار في القصص القرآني الإمام الزركشي«[114]» في كتاب البرهان حيث بين أنّ التكرار أسلوب من أساليب العرب,, وأنّ الكلام حين يكرر فإنه في النفوس يتقرر, وعرف التكرار بقوله,«وحقيقته إعادة اللفظ أومرادفه لتقرير معنى خشية تناسي الأول لطول العهد له فإن أعيد لا لتقرير المعنى السابق لم يكن منه كقوله تعالى«قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين, قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل الله أعبد مخلصا له ديني, فاعبدوا ما شئتم من دونه»«[115]» ،فأعاد قوله: « قل الله أعبد مخلصا له

---

[112] ـ تأويل مشكل القرءان ،: أبومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ط1، تحقيق أحمد صقر ،مصر ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، 1373هـ ـ 1954م، ص 180.

[113] ـالمصدر نفسه: ص 182.

[114] ـ هو بدر الدين أبو عبد الله بن محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي المصري ، ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة ،أخذ عن عدة مشايخ منهم جمال الدين الأسنوي ، وسراج الدين البلقيني وغيرهم ، برع في الفقه والأصول ، من مصنفاته : البرهان في علوم القرآن ، البحر المحيط في أصول الفقه ، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة في الحديث وغيرها ، توفي سنة أربع وتسعين و سبعمائة بمصر ، انظر: ترجمتهفي :شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، ج 6 ، ص 335.

[115] ـ سورة الزمر : الآيات : 11 ـ 15.

ديـني» بعـد قولـه:«قـل إني أمـرت أن اعبـد الله مخلصـا لـه الـدين» لا لتقريـر الأول, بـل لغـرض آخـر،لأنّ المعـنى الأول الأمـر بالإخبـار أنّ مـأمور بالعبـادة لله والإخـلاص لـه فيهـا ، ومعـنى الثـاني أنّ يخـص الأول وحـده دون غـيره بالعبـادة والإخـلاص ،ولـذلك قـدّم المفعـول علـى فعـل العبـادة في الثـاني وأخّـر في الأولّ ،لأنّ الكـلام أولا في الفعـل، وثانيـا: فيمـا فعـل لأجله الفعل«[116]».

المطلب الأول :فوائد تكرار القصص القرآني

إذا التكـرار عمومـا ذا فائـدة بيانيـة في سـائر الموضـوعات,, فإنّـه في القصـص القـرآني أعظـم نفعـا وأكثـر فائـدة وقـد تكلـم في هـذا الشـأن علمـاء كثـيرون مـنهم الامـام ابـن قتيبـة. والخطـابي, وممـن فصـل مـنهم في هـذا الموضـوع بـدر الـدين الزركشـي في كتابـه «البرهـان في علوم القرآن»

حيـث قـال: «ومنـه تكـرار القصـص في القـرآن كقصـة إبلـيس في السـجود لأدم وقصـة موسى وغيره من الأنبياء وإنما كرر هذا لفائدة خلت عنه في الموضع الاخر وهي أمور.

أحـدهما: أنّـه إذا كـرر القصـة زاد فيهـا شـيئا, ألا تـرى أنـه ذكـر الحيـة في عصـا موسـى عليـه السـلام, وذكرهـا في موضـع أخـر ثعبـان, ففائدتـه أن لـيس كـل حيـة ثعبانـا, وهـذه عـادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته أو قصيدته كلمة لصفة زائدة

الثـاني: أنّ الرجـل كـان يسـمع القصـة مـن القـرآن، ثمّ يعـود إلى أهلـه ثم يهـاجر بعـده آخـرون يحكـون عنـه مـا نـزل بعـد صـدور الأولـين وكـان أكثـر مـن آمـن بـه , مهاجريـا فلـولا تكـرر القصـة لوقعـت قصـة موسـى إلى قـوم وقصـة عيسـى إلى قـوم آخـرين, وكـذلك سـائر القصـص ,فمـاأراد الله سـبحانه وتعـالى اشـتراك الجميـع فيهـا فيكـون فيـه إفـادة القـوم وزيـادة تأكيد وتبصرة لآخرين وهم الحاضرون.

[116]ـ انظر : البرهان في علوم القرءان ،ط 3، دار الفكر ، 1400 هـ ـ 1980م ، ج 3 ، ص 10 ـ 11 .

الثالث: تسلية لقلب النبي –صلى الله عليه وسلم– مما اتفق للأنبياء مثله مع أقوامهم , قال تعالى :﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾«[117]»

الرابع: إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخطر ما فيه من الفصاحة

الخامسة: أنّ الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام فلهذا كررت القصص دون الأحكام,

السادسة:أنّ الله تعالى أنزل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثل آية لصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ثمّ بيّن وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاما بأنّهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبروا

السابع:أنّه لما سخر العرب بالقرآن قال: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾«[118]»، وقال في موضع آخر﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾«[119]»

فلو ذكر قصة آدم في موضع واحد مثلا واكتفى بها لقال العربي بما قال الله تعالى: «فأتوا بسورة من مثله»ايتونا أنتم بسورة من مثله, فأنزلها سبحانه في تعداد السوردفعا لحجتهم من كل وجه.

الثامن:أنّ القصة الواحدة من هذا القصص كقصة موسى مع فرعون وإن تظن أنها لا تغاير الأخرى فقد يوجد في ألفاظها زيادة ونقصان وتقديم وتأخير, وتلك حال المعاني

---

[117] ـ سورة هود : الآية 119.

[118] ـ سورة البقرة : الآية 23.

[119] ـ سورة هود : الآية 13.

الواقعة بحسب تلك الألفاظ فإن كل واحدة لابد وأن تخالف نظيرتها من نوع معنى زايد فيه لا يوقف عليه إلاّ منها دون غيرها فكأن الله فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء ثمّ قسم تلك الأجزاء على تارات التكرار لتوجد متفرقة فيها فاجتمعت في هذه الخاصية من نظم القرآن عدة معان عجيبةمنها:أنّ التكرار فيها مع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هجنة ولا أحدث مللا فباين بذلك كلام المخلوقين.

منها: أنّهألبسها زيادة ونقصانا وتقديما وتأخيرا ليفرج بذلك الكلام من أن تكون ألفاظه واحدة بأعينها فيكون شيئا معادا فنزهه عن ذلك بهذه التغيرات.ومنها: أنّ المعاني التي اشتملت عليها القصة صارت متفرقة في تارات التكرير فيجد البليغ – لما فيها من التغيير– ميلا إلى سماعها لما جبلت عليه من حب الشغل في الأشياء المتجددة.

ومنها: ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد وقد كان المشركون في عصر النبي – صلى الله عليه وسلم– يعجبون من اتساع الأمر في تكرير هذه القصص مع تغاير أنواع النظم وتباين وجوه التأليف فعرفهم الله سبحانه وتعالى أنّ الأمر مما يتعجبون منه مردود إلى قدرة من لا تلحقه نهاية ولا يلحق كلامه عدد «[120]»لقوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾«[121]»

وفي هذا المعنى يقول الصابوني :« وقد ذكرت قصص الأنبياء في سور عديدة فجاءت مكررة حسب الظاهر ولكن هذا التكرار له حكمته البليغة وإشارته الدقيقة فإنه يدل على إعجاز القرآن على أنه حقا كتاب منزل من عند الله فإن أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء يستحيل عليه إذا كتب قصة مرة واحدة أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير

[120]ـ انظر : البرهان في علوم القرءان : ج3 ، ص 25 ـ 28.

[121]ـ سورة الكهف : الآية 109.

الأولى مع المحافظة على متانة الأسلوب وفصاحة الألفاظ وبلاغة التعبير ، ولابد أن يرى الفرق بين الأسلوبين واضحا كلّ الوضوح ... أما القرآن فهو تفنن في سرد القصص بنفس تلك الفصاحة والبيان ، والروعة والاتقان فجاءت القصة فيه مكررة معبرة عن معنى واحد ولكن بألفاظ أخرى وعبارات مختلفة فسبحان القادر على كل شئ الذي أنزل كتابه المعجز تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»«[122]»

وقد وقفت على كلام نفيس للعلامة محمد الطاهر بن عاشور في بيان أسرار التكرار في القصص فرأيت من الفائدة ذكره وهو قوله: «وفيما ذكرنا ما يدفع عنكم هاجسا رأيته خطر لكثير من أهل اليقين والمتشككين وهو أن يقال لماذا لم يقع الاستغناء بالقصة الواحدة في حصول المقصود منها. وما فائدة تكرار القصة في سور كثيرة؟ وربما تطرق هذا الهاجس ببعضهم إلى مناهج الإلحاد في القرآن والذي يكشف لسائر المتحيرين حيرتهم على اختلاف نواياهم وتفاوت مداركهم أن القرآن-كما قلنا- هو بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتأليف وفوائد القصص تجتلبها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرا لها لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرى. كما لا يقال للخطيب في قوم. ثمّ دعته المناسبات إلى أن وقف خطيبا في مثل مقامه الأول فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة_ إنه أعاد الخطبة_ بل إنه أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته. وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هذا المقصد الخطابي، ثم تحصل معه مقاصد أخرى أحدها رسوخها في الأذهان بتكريرها.

الثاني. ظهور البلاغة:

[122]- النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني ، ط 2 ، دم، 1980 م، ص 107.

فإنّ تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يَثْقُلَ على البليغ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق آدائها من مجاز أو استعارات أو كناية، وتفنن الألفاظ وتراكيبها مما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات مثل:«ولئن رددت. ولئن رجعت» وتفنن المحسنات البديعية المعنوية واللفظية ونحو ذلك. كان ذلك من الحدود القصوى في البلاغة فذلك وجه من وجوه الإعجاز ».

الثالث: أن يسمع اللاحقون من المؤمنين في وقت نزول القرآن ذكر القصة التي كانت فاتتهم مماثلاتها قبل إسلامهم أو في مدة مغيبهم، فإن تلقي القرآن عند نزوله أوقع في النفوس من تطلبه من حافظيه.

الرابع: أنّ جمع المؤمنين جميع القرآن حفظا كان نادرا بل تجد البعض يحفظ بعض السور فيكون الذي حفظ إحدى السور التي ذكرت فيها قصة معينة عالما بتلك القصة كعلم من حفظ سورة أخرى ذكرت فيها تلك القصة.

الخامس: أنّ تلك القصص تختلف حكاية القصة الواحدة منها بأساليب مختلفة ويذكر في بعض حكاية القصة الواحدة ما لم يذكر في بعضها الآخر وذلك للأسباب:

منها: تجنب التطويل في الحكاية الواحدة فيقتصر على موضع العبرة منها في موضع ويذكر آخر في موضع فيحصل من متفرق مواضعها في القرآن كمال القصة أو كمال المقصود منها، في بعضها ما هو شرح لبعض ،ومنها أن يكون بعض القصة المذكور في موضع مناسبا للحالة المقصودة من سامعيها ومن أجل ذلك تجد ذكرا لبعض القصة في موضع وتجد ذكرا لبعض آخر منها في موضع آخر لأنّ في ما يذكر منها مناسبة للسياق الذي سيقت له،فإنّها تارة تساق إلى المشركين ، وتارة إلى أهل الكتاب وتارة تساق إلى المؤمنين وتارة إلى كليهما وقد تساق للطائفة من هؤلاء في حالة خاصة، ثمّ

تساق إليها في حالة أخرى، وبذلك تتفاوت بالإطناب والإيجاز على حسب المقامات، ألا ترى قصة بعث موسى كيف بسطت في سورة «طه» وسوره «الشعراء».

وكيف أوجزت في آيتين في سورة الفرقان: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾«[123]»

ومنها: أنّه قد يقصد تارة التنبيه على خطأ المخاطبين فيما ينقلونه من تلك القصة، وتارة لا يقصد ذلك

فهذه تحقيقات سمحت بها القريحة وربما كانت بعض معانيها في كلام السابقين غير صريحة «[124]».

ويذكر سيد قطب جانبا من حكمة التكرار في القصص بقوله:« يرد القصص في القرآن في مواضع ومناسبات وهذه المناسبات التي يساق القصص من أجلها هي التي تحدد مساق القصة التي تعرض منها والطريقة التي تؤدي بها تنسيقا للجو الروحي والفكري والفني الذي تعرض فيه، وبذلك تؤدي دورها الموضوعي وتحقق غاياتها، وتلقي إيقاعها المطلوب ويحسب أناس أنّ هناك تكرارا في القصص القرآني لأنّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنّه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت من ناحية القدر الذي يساق وطريقة الأداء في السياق وأنه حينما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه، ينفي حقيقة التكرار، ويزيغ أناس فيزعمون أنّهناك خلقا للحوادث أوتصرفا فيها يقصد به إلى مجرد الفن ،ولكن الحق الذي كل ما ينظر فيه القرآن وهو مستقيم الفطرة مفتوح البصيرة هو أنّ المناسبة الموضوعية هي التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع كما تحدد طريقة العرض وخصائص

[123] ـ سورة الفرقان : الآيتان 35 ـ 36

[124] ـ التحرير والتنوير: ج 1 ، ص 68 ـ 69

الأداء لأن القرآن كتاب دعوة لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار».«[125]»

والخلاصة أنّه :

ليس بصحيح ما يحسبه أهل النظر العابر والتفكير القاصر من أن القصة في القرآن تتكرر أو تعاد بل هي تتناثر خلال روضة القرآن كتناثر اللآلي المفردات فتساق جوانب من القصة هنا وهناك وهنالك وفي كل موطن تتركز العناية والاهتمام على عنصر خاص أو عناصر يراد تجليتها والتركيز عليها لمناسبة من المناسبات أو حكمة من الحكم أو سبب من الأسباب..

[125]ـ ظلال القرآن : سيد قطب ،ط 7 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1391هـ ـ 1971م ، ج 1 ، ص 64.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع :

الخصائص الفنية للقصة القرآنية

إنّ خضوع القصةالقرآنية للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، فالتعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني فيما يعرضه من الصور والمشاهد، ويجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدات الدينية، بلغة الجمال الفنية[126].

ومن أبرز الخصائص الفنية للقصة القرآنية المظاهر التالية:

المبحث الأول:التشويق في الاستهلال بالقصة ووضع المدخل إليها:

إنّ أهم مظاهر التشويق في القصة ينبغي أن يكون متجمعاً وبارزاً في أولها، حتى يندفع القارئ بذلك إلى المضي في استطلاعها، والتأمل في مختلف مراحلها.

فالقصة في القرآن تبدأ في كثير من الأحيان بأغرب مشهد يلفت النظر فيها، حتّى إذا أثار ذلك انتباه القارئ انطلق البيان القرآني في عرض سائر مشاهدها، وقد يكون هذا المشهد الذي أقيم في مدخل القصة متأخراً من حيث سلسلة الوقائع والأحداث المتلاحقة فيها، فيعمد البيان القرآني إلى استدراك ما تركه من قبل، ويعرضه خلال القصة بمناسبة ما وفي إطار يزيد من جمال العرض وروعته،ولنقرأ. مثلاً لذلك – قصة موسى وفرعون في أول سورة طه، فانظر هذا المشهد الذي افتتح به مدخلاً للفقه.

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾-«[127]»

---

[126]. ــ انظر : التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، ط13 ، بيروت ،دار الشروق، دت ، ص 143.

[127]ـ سورة طه : الآيتان 9 ــ 10.

فلا ريب أنّه مشهد يلفت النظر ويبعث على الانتباه والتطلع إلى ما وراءه ولكن البداءة به فوتت على القارئ معرفة ما سبق ذلك من الأحداث، فيستدركها البيان القرآني في ثنايا العرض ويصورها للقارئ وكأنها قصة ضمن قصة.

وتأمل كيف كانت المناسبة، وكيف عادت القصة إلى عرض الأحداث من أولها بمناسبة معينة، فعندما ذهب موسى إلى حيث النار المشتعلة، سمع هناك نداء الله عز وجل يكلمه ويشعره بمسؤولية الرسالة التي سيكلف بها، فيقول موسى إنه وحده ضعيف عن تحمل هذه المهمة الشاقة، فليكن أخوه هارون معيناً له في ذلك، فيجيبه الله إلى ذلك ويذكره ممتناً لنعمه التي أسبغها عليه منذ ولادته، وهكذا تأتي المناسبة وتعود القصة من أولها بهذا الشكل:

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ ﴾ (128).

وهذا الأسلوب في عرض القصة يُعَدُّ من أحدث الأساليب الفنية في إخراج الروايات والقصص كتابةً وتمثيلاً لكن هذا الأسلوب ليس دائماً هو المتبع في عرض القصة القرآنية فهناك أساليب أخرى فقد ينتزع أهم مظاهر العبرة من القصة فتصاغ بشكل خلاصة لها، ثم يوضع تمهيداً ومدخلاً إليها، وذلك كالطريقة التي ابتدأت بها قصة أهل الكهف فقد مهد لها أولاً بهذه الخلاصة عنها:

128 ـ سورة :طه الآيات ، 36-40.

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾[129]،ثمّ بدأ يعرض تفصيلها قائلاً:﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾[130].

ومن تلك الأساليب المشوقة أن يمهد لها بعبارات يكشف فيها عن حكمة أحداثها وسبب وقائعها لتتجسد بذلك العبرة التي ينبغي أن تؤخذ منها، حتّى إذا تنبه فكر القارئ ذلك بدأ يسرد عليه القصة وهو متيقظ لمراميها ومكان الهداية منها، وذلك كالأسلوب الذي مهد به لقصة موسى وفرعون في أول سورة القصص فقد ذكر الله عزّ وجل بين يدي هذه القصة هذه الآيات الممهدة﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[131]،ومن الأساليب الفنية للقصة القرآنية أن تذكر القصة مباشرة بلا مقدمة، ولا تلخيص، ويكون في مفاجآتها الخاصة ما يغني مثال ذلك قصة مريم عند مولد عيسى، وكذلك قصة سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس.

المبحث الثاني: تنوع طريقة المفاجأة:

فمرة يكتمُ سر المفاجأة عن البطل وعن النظارة، حتّى يكشف لهم معاً في آن واحد. مثال ذلك قصة موسى مع العبد الصالح العالم في سورة الكهف، فهي تجري هكذا.

---

[129] ـ سورةالكهف: الآية 9 – 12.

[130] ـ سورةالكهف:الآية 13.

[131] ـ سورةالقصص: الآية 4 – 5.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[132].

فإلى هنا نحن أمام مفاجآت متوالية، لا نعلم لها سراً، وموقفنا منها كموقف بطلها موسى. بل نحن لا نعرف من هو هذا الذي يتصرف تلك التصرفات العجيبة ولا ينبئنا القرآن باسمه، تكملة للجو الغامض الذي يحيط بنا. وما قيمة اسمه؟ إنما يراد به أن يمثل حكمة الغيب العليا، التي لا تترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تراها العين المحدودة؛ فعدم ذكر اسمه يتفق مع هذه الشخصية المعنوية التي

[132] ـ سورة الكهف: الآية60 – 78.

يمثلها،وإنّ القوى المجهولة لتتحكم في القصة منذ نشأتها؛ فها هو ذا موسى يريد أن يلقى هذا الرجل الموعود فيمضي في طريقه ولكن فتاه ينسى غداءهما عند الصخرة وكأنما نسيه ليعودا. فيجد هذا الرجل هناك وكان لقاؤه يفوتهما لو سارا في وجهتهما ولو لم تردهما الأقدار إلى الصخرة كرة أخرى كل الجو غامض مجهول وكذلك اسم الرجل الغامض المجهول،ثمّ يأخذ السر في التجلي، فيعلمه النظارة حين يعلمه موسى:

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾«133».

وفي دهشة السر المكشوف يختفي الرجل كما بدأ. لقد يخطر للأذهان الدهشة بعد أن تصحو أن تسأل: من هذا؟ ولكنها لن تتلقى جواباً. لقد مضى في المجهول، كما خرج من المجهول، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، ثم تبقى مجهولة أبداً.

ذلك أفق من آفاق التناسق كذلك، كان موضعه في فصل التناسق هنالك فليرده القارئ بنفسه إلى تلك الآفاق!

- ومرة يكشف السر للنظارة، ويترك أبطال القصة عنه في عماية؟ وهؤلاء يتصرفون وهم جاهلون بالسر، وأولئك يشاهدون تصرفاتهم عالمين. وأغلب ما يكون ذلك

133 ـ سورة الكهف :الآيات 79 ـ 82.

في معرض السخرية، ليشترك النظارة فيها، منذ أول لحظة، حيث تتاح لهم السخرية من تصرفات الممثلين!

وقد شاهدنا مثلاً من ذلك في قصة أصحاب الجنة ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾[134]،وبينما نحن نعلم كهذا، كان أصحاب الجنة يجهلونه: ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴾[135].

وقد ظللنا نحن النظارة ونسخر منهم، وهم يتنادون ويتخافتون، والجنة خاوية كالصريم؛ حتى انكشف لهم السر أخيراً بعد أن شبعنا تهكماً وسخراً﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴾[136]. وذلك جزاء من يحرم المساكين!،فهذا لون من التناسق كذلك، يضاف إلى نظائره هنالك.

– ومرة يكشف بعض السر للنظارة، وهو خاف على البطل في موضع، وخاف على النظارة وعن البطل في موضع آخر، في القصة الواحد. مثال ذلك قصة عرش بلقيس الذي جيء به في غمضة، وعرفنا نحن أنه بين يدي سليمان، في حين أن بلقيس ظلت تجهل ما نعلم:﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾[137]،فهذه مفاجأة عرفنا نحن سرها سلفاً. ولكنّ مفاجأة الصرح الممرد من قوارير، ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معها حينما

---

134 ـسورة القلم: الآيات 17 – 20.

135 ـ سورة القلم:الآيات21 – 25.

136 ـ سورة القلم: الآيتان 26 – 27.

137 ـ سورة النمل: الآية 42.

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ ﴾«138».

– ومرة لا يكون هناك سر، بل تواجه المفاجأة البطل والنظارة في آن واحد«139»، ويعلمان سرها في الوقت ذاته: وذلك كمفاجآت قصة مريم، حين تتخذ من دون أهلها حجاباً، فتفاجأ هناك بالروح الأمين فيهيئة رجل فتقول: ﴿ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾«140». نعم إننا عرفنا قبلها بلحظة أنه الروح ولكن الموقف لم يظل فقد أخبرها:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ﴾«141». وقد فوجئنا كذلك معها إذ أجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾«142».

3- المبحث الثالث :العرض التمثيلي:

الذي يعتمد على إبراز المشاهد جلية مشرقة أمام الناظر أو المتخيل ويطوي ما بينها من الروابط اعتماداً على سير المخيلة وتصورها والقصة إذا ما أريد عرضها بأسلوب تمثيلي حتى لابد فيها من طي تلك الأحداث التي يعرفها الفكر والخيال بالبداهة، بل إن القيمة الفنية للقصة وحيوتها تقل إذا ما شغل فكر الناظر أو السامع بالحديث عن تلك الروابط.

---

138 ـ سورةالنمل: الآية 44.

139 ـ انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ، ص 186 ـ187 .

140 ـ سورة مريم: الآية 18.

141 ـ سورة مريم: الآية 19.

142 ـ سورة مريم: الآية 23 – 24.

والقصة القرآنية قائمة على هذه السمة والنهج مهما كانت القصة أو كان موضوعها فانظر إلى قصة نوح التي وردت في سورة هود وتأمل قوله عز وجل: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾«[143]»، فأنت تجد نفسك في هذه الآيات أمام الإخبار الإلهي الذي ينزل على نوح بشأن قومه وأمره إياه بأن ينصرف إلى إنشاء السفينة لينجوا بها مع القلة من أصحابه المؤمنين ، فإنّ قومه مقدمون على هلاك بطوفان ، ثمّ يسدل الستار على هذا المشهد ليبرز من ورائه مشهد آخر تبصر فيه نوح عليه السلام وهو منهمك في صنع السفينة ، ولا ريب أنّ بين المشهدين أحداثا طوتها القصة وهي عزم نوح على القيام بهذا الأمر ، و إحضار المواد والوسائل لذلك ، ولكنّها أحداث جزئية يستقل بمعرفتها الخيال ، فلا ينبغي أن يفسد ذكرها عرض القصة وانظر إلى قصة موسى وفرعون في سورة طه حينما يأمر الله موسى عليه السلام وهو واقف في المكان الذي آنس النار ليلا بأن يذهب إلى فرعون فيبلغه أمر الله عزّ وجل ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾«[144]»

فأنت في أول الآيات أمام مناجاة بين موسى وربه عز وجل يأمره الله فيها بالذهاب مع أخيه هارون إلى فرعون لتذكيره وتبليغه أمر الله عز وجل ويطمئنهما بأنه لن يصيبهما مكروه، ثمّ يطوى هذا المشهد، ويبرز عقبه مشهد آخر تجد فيه كلاً من موسى

[143] ـ سورة هود:الآية 36 – 38

[144] ـ سورة طه : الآيات 45 ـ 48

وفرعون وجهاً لوجه في مناقشة حول حقيقة الله عز وجلودلائل ووجوده، وهو المشهد الذي يبدأ بقوله جل وعز: «قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى».

أمّا ما بين هذين المشهدين من ذهاب موسى إلى مصر ووسائل ذلك، ثمّ طريقة التوصل إلى فرعون، ثمّ عرض الدعوة إلى الإسلام عليه فهو شيء معلوم يستقل بتصويره الحس والخيال وليس من الدقة الفنية في شيءالاهتمام بعرض ذلك وسرده على السامع أو الناظرالاعتناء بفن التصوير، وهو أبرز الخصائص الفنية في القصة، فالتعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها فتسجيل القصة حادثاً يقع، ومشهداً يجري، لا قصة تروى ولا حادثاً قد مضى»[145].

[145] ـلمعرفة هذه الميزة الفنية للقصة القرآنية، ينظر ما كتبه سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن، ص 180 – 198.

الفصل الخامس :

أغراض وفوائد القصة القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:أغراض القصة في القرآن

تشترك القصة في القرآن مع موضوعاته الأخرى في القصد إلى تحقيق الغرض الكلي الذي تنزل من أجله وهو هداية الناس إلى الدين الحق متمثلاً في التوحيد الخالص والعبودية الحقة لله رب العالمين، فلم تأت قصص القرآن للتسلية والمتعة في قص الأخبار، وتتبع الأنباء.

يقول الشيخ الطاهر بن عاشور: «منّ الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: «نَحْنُنَقُصُّعَلَيْكَأَحْسَنَالْقَصَصِبِمَاأَوْحَيْنَاإِلَيْكَهَذَاالْقُرْآنَ. وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ»«[146]». فعلمنا من قوله أحسن، أن القصص القرآنية لم تسق مساق الإحماض وتجديد النشاط، وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير وشر، لأن غرض القرآن أسمى وأغلى من هذا ولو كان من هذا لتساوى كثيراً من قصص الأخبار الحسنة الصادقة فما كان جديراً بالتفضيل على كل جنس القصص«[147]»، وقد يبين القرآن الكريم في مواضع كثيرة، الغاية السامية من سوق القصص، قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾«[148]». وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

---

[146] ـ سورة يوسف : الآية 3

[147] ـ محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 1، ص64.، ولمعرفة أغراض القصة القرآنية :انظر:ماكتبه سيد قطب في التصوير الفني، ص 144 ـ 154

[148] ـ سورةيوسف:الآية 111.

بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾«149».وقال جلّ جلاله: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾«150».

والمتدبر في آيات الله يقف على أغراض عظيمة وفوائد جمة سيقت لأجلها قصص القرآن مبثوتة في ثنايا الكتاب الكريم، فسأحاول في هذه المبحث أن آتي على ذكر أهمها وأعظمها ومنها:

المطلب الأول: إثبات الوحي ونبوة محمد – صلى الله عليه وسلم –

إنّ الهدف الأكبر والأعظم للقصص القرآني هو إثبات نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم– وأنّ القرآن وحي يوحى من الله تعالى وذلك لأن علم الماضي قد ذهب واندثر والنبي – صلى الله عليه وسلم – أمي لا يقرأ ولا يكتب، وقد علم التاريخ ورجاله أنه لم يقصد إلى أحدٍ من علماء اليهودية أو النصرانية، يسمع منهم أخبار موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء والمرسلين ولو فعل ذلك كما كتمه عن الناس ولاموه عليهم، وقد عرف بين قومه بالأمانة والصدق.

فلما جاء بهذه الأخبار ينبئ بها نبأ الأنبياء مع أممهم فيطابق ما كان عند أهل الكتاب صواباً لم يدخله خطأ، ويصحح ما كان عندهم دخله تغيير أو تبديل، ويخبر لوقائع لا يعملها أهل الكتاب، ولا ذكرت في تراثهم فكان كما قال الله تعالى في وصف القرآن: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾«151».

وهذا مع أنّ أهل الكتاب كانوا يخفون تلك العلوم التي عندهم ولا يطلعون أحداً عليها، فدّل ذلك القصص على أنه لا يمكن إلا أن يكون تلقياً عن عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم السر

---

149 ـ سورة الاعراف: الآية 176.

150 ـ سورة هود: الآية120.

151 ـ سورة المائدة: الآية 48.

في السموات والأرض ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾«152»،وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الوجه من الإعجاز وصرح به في مواضع متعددة، فنجده مثلاً عقب ذكر قصة مريم وكفالة نبي الله زكريا لها يقول : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾«153».

وقال عز وجل في سورة هود بعد ذكر جملة من قصص الأنبياء وأحوالهم مع أممهم :﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(154)، وفي أعقاب قصة نبي الله يوسف –عليه السلام– يقول : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾(155).

ويقول بعد ذكر قصة موسى وفرعون وما تعلق بها من أخبار: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾(156).

ويسرد علينا قصة موسى بتفصيل أوسع وأسلوب مختلف في سورة القصص حتى إذا انتهى من بيانها وتصويرها خاطب محمد –صلى الله عليه وسلم– بقوله: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ

---

152 ـ سورة النمل: الآية 6.

153 ـسورة آل عمران: الآية 44.

154 ـ سورة هود: الآية49.

155 ـسورة يوسف: الآية102.

156 ـ سورة طه: الآية 99.

ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾«157».

لقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أمياً لم يقرأ كتاباً قط ولا تعلم من عالم قط، وقومه كذلك أميون، وهو لم يشاهد تلك الحوادث ولا التقى شخصيات تلك الوقائع التي قصصها القرآن، بل قد تعرض للامتحان فيما يأتي به من قصص الغيب الماضي، فطرح عليه أهل الكتاب أسئلة مما يعلمونه مغيباً عنه فسألوه بواسطة أهل مكة عن أهل الكهف والروح وعن ذي القرنين فأجابهم عن ذلك كله بتفصيل دقيق فعلم من ذلك أنه وحي يوحى.

المطلب الثاني :في عرض قصص القرآن.

وخصوصاً قصص الأنبياء ودحض إدعاءات تزعم نشأة الأديان أن الإنسان الأول كان في ظروف الحياة القاسية، فجره الخوف من مظاهر الطبيعة وعجزه عن تفسيرها إلى أن يتصور لكل منها إلهاً فجعل للريح إلهاً، وللمطر إلهاً، وللخصب إلهاً، وضع التماثيل لهذه الآلهة وعبدها، ثم تطور الحال إلى الأديان السماوية وإلى توحيد الله تعالى

إنّ القرآن الكريم الذي وصفه الحديث: «فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ»[158].

يعطينا الأجوبة الكثيرة لإبطال هذا الزعم الوهمي نذكر منها:

---

157 ـسورة القصص: 44 – 46.

أ) إنّ الدين السماوي المبني على توحيد الله قد وجد مع وجود الإنسان، ضمين أهبط الله آدم زوجه إلى الأرض قال لهم: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[159].

ثمّ كان موقف الأنبياء جميعهم على ضد ما توهمه هؤلاء فقد قاموا كلهم بإبطال العقائد الزائفة التي تفشت في الناس بسبب البعد عن العلم واتباع الهوى قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾«160»، فبنى الأنبياء دعوتهم على نبذ التقليد لكي يتحرر العقل ويعمل ببصيرته النافذة فيتوصل إلى الحق ويعتصم به قال عز وجل: ﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ ﴾«161».

ب)إنّ الأنبياء – كما قصص القرآن علينا – إنما دعوا قومهم إلى الله تعالى وتوحيده بالحجج القاطعة، والأدلة الساطعة، وعلى أوجه كثيرة متنوعة.

فنبي الله نوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[162]، وإبراهيم عليه السلام يقول لمن حاجه في ربّه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ

---

158 ـ انظر: الجامع المسند «سنن الترمذي» :محمد بن عيسى بن سورة الترمذي،ط 2 ، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان ،بيروت ، دار الفكر ، 1403هـ ـ 1983م ، أبواب فضائل القرءان ، باب ماجاء في فضل القرءان ، رقم 2908، ص ، عن علي رضي الله عنه.

159 ـ سورةالبقرة:الآية 38.

160 ـ سورة الزخرف: الآية23.

161 ـ سورة الزخرف: الآية 24

162 ـ سورة نوح:الآيات 15 – 17.

ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡىِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِى بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[163]،وموسى عليه السلام يقول لفرعون عندما سأله: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[164]. والقرآن حافل بالحجج كقوله: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[165]. وقوله: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَىۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾[166]،وكل ذلك يحكم بالبطلان على من زعم تأثر العقيدة أو الدين في القرآن وفي دعوة الأنبياء بعادة أو عرف أوأثر من المجتمع فالقضية قضية حجة وبرهان والقرآن يتحدى كل مخالف: «قلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ».«[167]»

- المطلب الثالث :وحدة الدين والعقيدة لجميع الأنبياء :

إنّ المتدبر في القصص القرآني يتجلى له أن من أغراضه الأساسية التأكيد على وحدة العقيدة في دعوة الأنبياء، وإثبات أن الدين كله لله سبحانه، وأن الأساس الذي جاء به الأنبياء المتتابعون في تاريخ الرسالات أساس واحد لا يختلف فيه نبي عن آخر، وكما أن الدين واحد فإن مصدره واحد أيضاً.

إنّ من جملة ما يهدف إليه القرآن إبراز الصلة الوثيقة بين الإسلام الحنيف وسائر الأديان الإلهية الأخرى التي دعا إليها الرسل والأنبياء، يحتل منها الإسلام مركز

---

163 ـ سورة البقرة: 258.

164 ـ سورة طه: 49 – 50.

165 ـ سورة الأنبياء: 22.

166 ـ سورة الطور: 35.

167 ـ سورة البقرة : الآية 111

الخاتمية التي يجب على الإنسانية الانتهاء إليها ولتظهر الدعوة على أنها ليست بدعاً في تاريخ الرسالات بل هي وطيدة الصلة في أهدافها ومفاهيمها، كما أنها تمثل امتداداً لتلك الرسالات الإلهية، وتلك الرسالات تمثل الجذر التاريخي للرسالة الإسلامية فهي رسالة لها امتداد في التاريخ الإنساني، ولها هذا القدر من الأنصار والأتباع والمؤمنين الذين يضحون في سبيلها، ومن الأمثلة على هذا الهدف من القصص القرآني وهو التذكير بوحدة الدين ما نقرأه في سورة الأعراف من قصة عاد وثمود وأهل مدين، بقول عز وجل:

﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾«168».

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾«169».

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾«170».

وهكذا كان الأمر بالنسبة إلى الأمم كلها على نحو ما نقرأ في كتاب الله ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(171).

إنّ صلة الإسلام برسل الله وثيقة الأنبياء إخوة لعلات كما ورد في الحديث الشريفعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «أنا أولى

---

168 ـ سورة الأعراف:الآية65 .

169 ـسورة الأعراف: 73.

170 ـ سورة الأعراف:الآية 84.

171 ـ سورة النحل: 36.

الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[172].

إنّ المسلم حين يقرأ كتاب الله يتعمق ووعي يشعر أنه وثيق الصلة بدعوة الخير والتوحيد منذ فجر التاريخ، فكل دعاة الحق وكل أنصار الله هم سلفنا تربطنا بهم دعوة الإسلام، وبذلك تكون تجارينا من أغنى التجارب وأوفاها يقول عز وجل: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾[173].

إنّ الإسلام بالنسبة إلى الديانات السابقة يكملها ويمثل الكمال فيها قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–«مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة»[174].

إنّ معرفة جوانب من حياة الرسل والأنبياء الذين يمثلون صفوة البشرية شيء عظيم، يسمو الإنسانية إلى المستوى الكريم ويذكر الدعاة إلى الله بواجبهم في التبليغ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[175].

---

[172] ـ انظر: صحيح البخاري :محمد بن إسماعيل البخاري ،دط ،دار الفكر ،1424هـ ـ 2003 م ،كتاب الأنبياء ،باب قول الله : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، رقم 3274 ، ص 849 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[173] ـسورة الشورى: 13.

[174] ـ رواه الترمذي : أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب ما جاء في فضل النبي صلى الله عليه وسلم رقم ، 3692، ج 5،ص 246 ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

[175] ـ سورة الأنعام: 90.

- **المطلب الرابع :معرفة سنن الله:**

وهي من أعظم الفوائد المتعلقة بالتاريخين الماضي والحاضر وهذا باب واسع وفروعه كثيرة نقتصر منه على ما يأتي:

أ) بيانسنة الله في الرسل عليهم الصلاة والسلام وذلك أنّ أممهم تكذبهم وتقاوم دعوتهم، ثمّ ينتصر الحق على الباطل. نستفيد هذا تفصيلاً مما نتلوه من قصص الرسل في سورتي الأعراف وهود وغيرهما من السور التي حدثت عن المرسلين وأممهم ومن حكمة الله في هذا تسلية نبينا – صلى الله عليه وسلم – وتبشيره أن تكون له العاقبة. وأصل ما ذكرناه آيات من الكتاب العزيز منها قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[176] وفي تسليته – صلى الله عليه وسلم – وتبشيره تسكين لباله ، ثمّ نحن نستفيد من ذلك كله وممّا لقيه نبينا – صلى الله عليه وسلم – من المكذبين. وانتصار الحق على الباطل فيما بعد نستفيد أنّ هذا الابتلاء من سنن الله في رسله وهم صفوة خلقه وأن العاقبة لهم بإذن الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[177].

---

[176] ـسورة الأنعام: الآيتان 33 – 34.

[177] ـ سورة الصافات: الآيات 171 – 173.

ب) سنة الله في الأمم وهو يشمل:

1- سنة في تغيير ما بها.

2- سنة في تربيتها.

فأمّا سنته في تغيير ما بها: فهو أنّ ما تكون فيه من خير وسعادة لا تنقلب عنه إلى شر وشقاء حتى تغير ما بها من صلاح واستقامة يستفاد هذا من مثل قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[178]. ومثل هذه الآية الآيات الناطقة بأن الله إنّما يأخذ الأمم بذنوبها وقد نبه القرآن على هذه السنة بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[179]. بعد قوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[180]. وأعمّ من هذه الآية آية الرعد: ﴿ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾[181]. فهي – والله أعلم – عامة في تغيير الحسنات والسيئات، فكما أنّ الله لا يغير بالأمم من خير وسعادة حتى تغير ما بها من صلاح واستقامة ولا يغير ما بها من شر وشقاء حتى تغير ما بها من فساد واعوجاج.

---

[178] ـ سورة النحل: الآية 112.

[179] ـسورة الأنفال: 53.

[180] ـ سورة الأنفال: 52.

[181] ـ سورة الرعد: 11.

وشواهد الأمرين كثيرة في كتاب الله تعالى، وهل غيّر الله ما بالمؤمنين في غزوة أحد إلاّ بعد أن غيّروا ما بأنفسهم، يتجلى هذا لمن تدبر الآيات التي أنزلها الله في هذه الغزوة،ثمّ من سنن الله في تغيير ما بالأمم من خير وسعادة أن لا ينزل بها ما ينزل حتى يعذر إليها. تستفيد هذا من تصفحك أخبار الذين أهلكهم الله بذنوبهم فترى أنّه لم ينزل بهم ما أنزل حتى بعث إليهم رسله. وقد نبه القرآن على هذه السنة في آيات منها قوله : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾«182». وقوله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾«183» وهذا من رحمة الله بعباده وعدله فيهم.

وأمّا سنته في التربية فإنّنا نراها مجلوة في الابتلاء بالشر لعلها تنيب وترجع وبالخير عساها تشكر نعمه، ومما قرر هذه السنة قوله تعالى يخاطب رسوله – صلى الله عليه وسلم – يقص عليه شأنا من شؤونه في الأمم ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾[184]. وقوله :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾«185»،وقد ابتلى الله المؤمنين في غزوة أحد بما ابتلاهم فكان

---

182 ـ سورة هود :الآية 117 .

183 ـ سورة الإسراء: الآية 15 .

184 ـ سورة الأنعام: الآيات 42 ـ 43.

185 ـ سورة الأعراف: الآيات 94 – 95.

من أسباب تنبههم،ويكشف عن هذا الآيات التي جاءت في غزوة أحد من سورة آل عمران وسنن الله التي يهدي إليها القرآن كثيرة – وقد نبهنا على هذا فيما قبل – ومنها سنته في خلق الإنسان مستعداً للاستفادة من غيره حتى الحيوان. فقد تعلم ابن آدم القائل من الغراب كيف يواري سوأة أخيه وهو من فوائد قوله تعالى فيد سورة المائدة: «فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ»«[186]».

ومنها سنته في خلق الإنسان أيضاً نزاعاً إلى ما اعتاده وألفه وأن عرف قبحه. فقد سأل بنو إسرائيل موسى – عليه السلام – وقد أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾«[187]»، وليس هذا كل ما تفيده قصص القرآن من سنن الله في الإنسان، بل نبهنا بالمثالين على هذا النوع من السنن وسبحان من علت أسرار كتابه أن تحيط بها الأفهام.

5- معرفة ما هو ابتداع البشر في التشريع ممّا لم يأذن به الله تعالى ولكن شرعوه من عند أنفسهم افتياتاً على الله وشرعه. ومن أمثلة هذا ما يستفاد من قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ

3- سورة المائدة : الآية 31

[187] سورةالأعراف:الآية 138

ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾«188».فيستفاد من هؤلاء الآيات:

1- أن ليس من شرع الله في شئ ما كان عليه المشركون من جعلهم ولله نصيباً من زروعهم وأنعامهم ولأوثانهم نصيباً فما كان لله صرفوه إلى الضيفان والمساكين وما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام وخدمتها فإن سقط شيء مما جعلوه لله تعالى في نصيب الأوثان فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان وقالوا أنها محتاجة.

2- وأن ليس من شرع الله أيضاً ما كانوا عليه من قتل الأولاد.

3- ولا قولهم: هذه أنعام وحرث حجر أي حرام لا يطعمها إلاّ من نشاء بزعمهم أي الرجال دون النساء وتحريمهم ظهور بعض الأنعام وهي الحوامي كانوا لا يركبونها وذكرهم أسماء الأصنام دون اسم الله تعالى على أنعام يذبحونها.

4- ولا قولهم ما في بطون هذه الأنعام من أجنة البحائر والسوائب خالص للرجال دون النساء، وذلك ما ولد منها حياً. وما ولد منها ميتاً فهو للرجال والنساء جميعاً،ومنأمثلة هذا أيضاً ما يستفاد من قوله تعالى:﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ

188 ـ سورة الأنعام: الآيات 136 – 139.

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ»[189]. وذلك أن المشركين عبدوا الأصنام سموها آلهة فسجل القرآن عليهم أنهم سموها هم وآباؤهم من تلقاء أنفسهم وأن الله لم ينزل بها من سلطان أي حجة وأنهم يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس قال بعض المفسرين أي ليس لهم مستند إلا حسن الظن بآبائهم.

- **المطلب الخامس: معرفة النظام التشريعي وتطوره:**

فمن قرأ كثيراً من القصص القرآنية عرف النظم الإلهية في التشريع، وما تتفق فيه الشرائع وتختلف، فتوحيد الله الموحي به إلى جميع الرسل الذي يستفاد من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[190].

يستفاد تفصيلاً من مثل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[191]. وقوله: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[192]. وقوله: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[193]. وقوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[194]، ومن قرأ قوله

---

189 ـ سورة النجم: الآيات 19 – 23.

190 ـ سورةالأنبياء: الآية 25

191 ـ سورة الأعراف: الآية 59.

192 ـ سورة الأعراف: الآية 65.

193 ـ سورة الأعراف: الآية 73.

194 ـسورة الأعراف: الآية 84 .

تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[195]. علم أنّ الله حرم القتل من شريعة آدم عليه السلام.

ومن قرأ قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾«[196]» علم أنّ الله شرع القصاص في شريعة موسى عليه السلام،ومن قرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[197]. عرف نموذجاً من شريعة موسى عليه السلام ومن قرأ قوله تعالى: حكاية عن المسيح عليه السلام وقد تكلم في المهد: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴾«[198]»علم نموذجاً ممّا تعبد الله به عيسى عليه السلام وأمّا القصص التي يؤخذ منها اختلاف بعض النظم، فمنها قوله تعالى حكاية عن المسيح بن مريم: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾«[199]». فأحلّ له بعض الذي حرّم عليهم مما فصل في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ

---

[195] ـ سورة المائدة: الآية 27 .

[196] ـ المائدة: الآية 45.

[197] ـ سورة البقرة: الآية 83.

[198] ـ سورة مريم: الآية 30 – 31.

[199] ـسورةآل عمران: الآية 50.

ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[200]. فإحلاله لذلك مثال لاختلاف الشرائع المستفاد من القصص،ومنها قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[201]». وقوله بعدها: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[202]. وذلك أن شريعة آل يعقوب في حكم السارق أن يسلم السارق إلى المسروق منه فيسترقه سنة، ولم يكن ملك مصر يومها يدين بهذا وذلك قوله تعالى: «مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ». بل كان الأمر عنده أن يأخذ المجني عليه من السارق مثلي السرقة فهذه قصة بينت نظامين مختلفين في وقت واحد، وهما نظامان مختلفان للنظام المعروف في شريعة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –.

أمّا النظام التشريعي المستفاد من القصص المتعلقة بالتاريخ الحاضر فمنه ما له صلة بالشرائع الغابرة مثل ما استفيد أنّ حكم الله رجم الزاني المحض في شريعة موسى عليه السلام من قوله تعالى : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾«[203]» فالمراد أن حكم الله على ما بينته السنة رجم الزاني المحصن، فهذه الآية من آيات حكت أمراً كان على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو أن

---

200 ـ سورة الأنعام: الآية 146.

201 ـ يوسف:الآية 74 – 75.

202 ـ يوسف: الآية 76.

203 ـ سورة المائدة : الآية 43

يهوديين زنيا وكان اليهود قد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم من الأمر برجم من أحصن منهم، واصطلحوا فيما بينهم على الجلد مائة والتعميم فأرادوا أن يتحاكموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في اللذين زنيا وقالوا إن حكم بالجلد والتعميم فخذوا عنه واجعلوه حجة فيما بينكم وبين الله وإن حكم بالرجم فلا تتبعوه في ذلك«204». وفي صحيح البخاري أنّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لهم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا نفضحهم ويجلدون قال عبد الله بن سلام: كذبتم إنّ فيها آية الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال ابن سلام ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم فقالوا صدق محمد وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ ﴾«205».

المطلب السادس: بيان تأييد الله للأنبياء وأتباعهم:

بيان أنّ الله تعالى ينصر أنبياءه ورسله في النهاية ويهلك الكافرين المكذبين ولا يخفي ما في ذلك من تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتقوية نفوس المؤمنين وزجر الضالين المعاندين وزحزحتهم عن مواقفهم فتتأثر النفوس كل نفس بحسب ما تحتاج إليه إن يتولى عليها بيان نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وإحقاق الحق وإزهاق الباطل ويتكرر رفع راية العدل ومحق قوة الظلم من خلال وقائع القصص التي يذكرها القرآن بل بما يقع من التصريح بهذا التنبيه وإثارة هذه القضية في كثير من مناسبات القصص.

---

204 ـ رواه البخاري : كتاب المناقب باب قول الله تعالى «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» رقم 3635 ، ج 2 ، ص889، عن عبد الله بن عمر.

2 ـ سورة المائدة: الآية 41.

تأمل هذه الآيات تعقيبا على قصص الأنبياء في سورة هود ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[206]،وفي سورة غافر يقول تعالى عقب قصة موسى وفرعون ومؤمن آل فرعون وإنجاء الله موسى والمؤمن وإهلاك فروع ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[207].

ثالثاً: بث المعاني الدينية الواضحة وترسيخ قواعد الدين بما يقع في ثنايا القصص من حوار ومواعظ وحجاج يصغي إليها السامع ويتابعها القارئ سواء كان موافقا أم مخالفاً مؤمنا أو كافرا، لما في القصص من التشويق والإثارة تأمل ما يلقيه مؤمن آل فرعون لما خشي على موسى من طغيان فرعون وبطشه: «وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَنْ يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ. مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ. وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ.

---

[206] ـ سورة هود: الآية 100 – 102.

[207] ـ سورة غافر: الآية 51 – 52.

يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ. وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ. الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ. وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِفَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ. وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ. يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ. وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ. لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ. فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ. وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنْ النَّارِ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ. وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنْ الْعَذَابِ. قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ. إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الأَشْهَادُ. يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ. هُدًى وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ. فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ. إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. لَخَلْقُ السَّمَوَاتِوَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ. وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ. إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ. وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ. اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ. ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّا تُؤْفَكُونَ. كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ. اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ. الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. إِذْ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ. فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ. ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ

تُشْرِكُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ. ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ. ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ. اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ. وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون. فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)«[208]».

ففي قصة موسى مع فرعون هنا برزت التوجيهات على لسان الرجل المؤمن يقرر أموراً على غاية من الأهمية وهي جميعها معادن دينية وتوجيهات صريحة تضمنها الحوار القصصي مما يجعل وقعها في النفوس أبلغ وأعمق.

[208]ـ سورة غافر : الآية 28 ـ 54.

- المطلب السابع: الاتعاظ والاعتبار:

وهذا من أعظم فوائد القصص القرآني قال الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾«209». فالمصائب النازلة بالأمم الغابرة بما بيّنه الله في كتابه عظات وعبر لنا فإنّما لم تنزل بهم إلاّ لانحرافهم عن سبيل الله تعالى وفسوقهم ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾«210». كما بيّن الله للمؤمنين أنّ ما نالهم في غزوة أحد بعد التأييد والنصر من آثار تنازعهم وفشلهم وعصيانهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال عز وجل ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ﴾«211». وفي هذا من العبرة أنّ الفشل والتنازع وعصيان من يمثل القيادة المطاعة بحق لا يأتي بخير،وقد نبّه القرآن على هذه الفائدة في مواضع فقال بعد ذكر الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها: ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾«212»،وقال بعد التنبيه على إهلاك الله قروناً ذوي قوة﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾«213»

---

209 ـسورة يوسف: الآية 111.

210 ـ سورة الكهف: الآية 59.

211 ـسورة آل عمران: 152.

212 ـ سورة الأعراف: الآية 176 .

213 ـ سورة ق: الآية 37 .

- **المطلب الثامن: معرفة ما يلزم للدعوة من صفات وأساليب :**

من ذلك الفصاحة وقوة الحجة وإتقان أسلوب المناظرة ويستفاد هذا من قصص كثيرة منها قصة موسى عليه السلام حيث يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾«214».ويقول في موضع آخر: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[215]،كما يستفاد ذلك أيضاً من قصة إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾«216»، ومن قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾«217».

---

214 ـ سورة طه: الآية 25 – 28.

215 ـسورة القصص: الآية 34.

216 ـ سورة البقرة: الآية 258.

217 ـسورة الأنعام: الآية 75 – 79.

المطلب التاسع – بيان قدرة الله وعظمته وجبروته:

إنّ مما يهدف إليه القصص القرآني تربية النفوس على الشعور بعظمة الله وقدرته التي لا تحد وسلطانه الذي لا يفلت منه أحد وبيان أن لله تصرفات فوق السنن المعروفة قال الله عز وجل: ﴿ وَمَارَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾«218».وقال سبحانه: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾«219» و قوله تعالى :﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾«220».

إنّ الأمم الغابرة التي استكبرت وغرّتها قوتها لما جاءها بأس الله صارت حصيداً ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾«221». ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾«222».ففي القصص القرآني عبرة لكل أمة متجبرة مستكبرة تظن أنها تنجو من أخذ الله وبطشه: ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾«223» وهي سنة لا تختلف ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ

---

218 ـ سورة الأنفال: الآية 17 .

219 ـ سورة الأنفال: الآية 9.

220 ـ سورة يس: الآية 29 .

221 ـسورة الأنبياء: الآية 15.

222 ـ سورة مريم: الآية 98.

223 ـ سورة سبأ : الآية 45

وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾«[224]».

المطلب العاشر: التنبيه إلى عداوة الشيطان.

من أغراض القصة القرآنية تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم عليه السلام وإبراز هذه العداوة عن طريقة القصة أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس الخير قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾«[225]»ولقد نجد تكرر قصة آدم بأساليب مختلفة للتأكيد على هذا الغرض بل يكاد يكون هذا الغرض هو الهدف الأساسي من قصة آدم.

- المطلب الحادي عشر: أهداف تربوية مختلفة:

إنّ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ، نزل يهدي الإنسان للتي هي أقوم ويزكي النفس البشرية ويوثق صلتها بالخالق عز وجل، والقصة من أعظم وسائله لبلوغ تلك الغاية الشريفة ومن أجل ذلك نجد في القصص القرآني الذي جاء مبثوتاً في ثنايا القرآن أغراضاً تربوية سامية فمنها:

أ- تربية الإنسان على الخلق الفاضل ففي قصة آدم التوبة والإنابة ، وفي قصة نوح الصبر والثبات وفي قصة يوسف العفة وفي قصة إبراهيم وإسماعيل البذل والفداء ، وفي

---

[224]- سورة الأحزاب : الآية 43

[225]- سورة فاطر : الآية 6

قصة موسى العزم وتحمل الشدائد وفي عيسى الزهد والعفاف وفي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كمال الفضائل وجماع الشمائل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾«226».

ب- التنفير من الأخلاق الفاسدة وبيان عواقبها ومثال ذلك ما بينته قصة صاحب الجنتين من عواقب الاغترار بالنعمة والإعراض عن شكر المنعم ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴾«227». وكذلك ما أوضحته قصة أصحاب الجنة من بيان عاقبة الشح المطاع وحرمان المساكين ، ومثلها قصة قوم سبأ وما كشفت عنه من عواقب البطر ونكران النعم: ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾«228».وغيرها من قصص القرآن كقصة أصحاب الأخدود ، وقصة أصحاب القرية ، وقصة القرية كانت حاضرة البحر ، وقصة الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها.

جـ- التركيز على أنّ التدين الحق لا ينفصل عن الحياة العملية ولا ينفصم عن واقع هذا الإنسان ، وإنما هو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، بل هو جزء منه كما هو جلي في قصة شعيب مع قومه ودعوته إياهم إلى العدل والقسطاطس المستقيم في المكيال والميزان وقد ظنوا جهلاً منهم أن لا صلة للدين بهذه الأمور فكانوا كما وصفهم

226 ـسورة الأنعام: الآية 90.

227 ـسورة الكهف: الآية 42.

228 ـسورة سبأ: الآية 17.

القـــــــــــرآن: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾«229».

د- التنبيه إلى أسباب السعادة الروحية والمادية كبيان فضيلة العلم وصلته بالخلافة في الأرض والملك ويستفاد ذلك من قصة آدم الذي علمه ربه الأسماء، ومن قصة طالوت الذي زاده الله بسطة في العلم والجسم، وفي قصة سيدنا سليمان عليه السلام الذي فاخر بفضيلة العلم: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴾«230».

كما يستفاد ذلك من قصة ذي القرنين: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾[231].

ومن قصة موسى والعبد الصالح.

هـ- تعليم الإنسان أنّ كلمة الله هي البالغة، وبيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة ، والحكمة الإلهية البعيدة كقصة موسى مع العبد الصالح: ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴾«232».

وصفوة القول أنّ القصة في القرآن من أروع الأساليب في المنهج التربوي القرآني ، لما لها من كبير التأثير وعظيم الوقع على القارئ والسامع ، ويزيد ذلك جلاءً أن قصص القرآن أحسن القصص جمع بين الإقناع والامتاع في نظم بديع ، وتصوير جميع يجمع بين الحق والجمال: «إنَّ

---

229 ـ سورة هود: الآية87.

230 ـسورة النمل:الآية 16.

231 ـ سورة الكهف: الآية 84.

232 ـ سورةالكهف: الآية 65.

هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ»«نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ» وتناول من الأغراض عدداً وفيراً من الصعب استقصاؤه لأنه يكاد يتسرب إلى جميع الأغراض القرآنية ، فإثبات الوحي والرسالة، وإثبات وحدانية الله ، وتوحد الأديان في أساسها والإنذار والتبشير ومظاهر القدرة الإلهية ، وعاقبة الخير والشر ، والصبر والجراء والشكر والبطر ، وكثير غيرها من الأعراض الدينية و المرامي الخلقية ، قد تناولته القصة وكانت أداة له ، ووسيلة إليه،وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾«233». ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾«234».

233 ـ سورةيوسف:الآية111.

234 ـ سورة الأعراف الآية176.

الباب الثاني:

علم التفسير

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

تعريف التفسير والتأويل وبيان الفرق بينهما

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول : تعريف التفسير والتأويل لغة واصطلاحا

المطلب الأول : مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح

التفسير على وزن تفعيل مشتق من لفظة الفسر ،ومدلولها في لغة العربة يدور حول البيان والكشف والإيضاح ، وقد جاء في قواميس اللغة بيان لهذه اللفظة ،من ذلك ما ذكره صاحب القاموس المحيط بقوله:«الفسر الإبانة وكشف المغطى كالتفسير والفعل كضرب ونصر ...»«[235]»

وقال ابن منظور :« الفسر البيان وفسّر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم، وفسّره أبانه والتفسير بمثله ... والتفسير كشف المغطى المراد عن اللفظ المشكل »«[236]»

وقال الجرجاني : التفسير في الأصل هو الكشف والإظهار «[237]»، وقد ورد في التنزيل ذكر لفظة التفسير بهذا المعنى حيث قال عزّ وجلّ « ولا يأتونك بمثل إلاّ جئناك بالحق وأحسن تفسيرا»«[238]»وجاء في كلام العرب فسّرت الذراع إذا كشفتها ، وفسّرت الحديث إذا بيّنته.

أمّا التفسير في اصطلاح العلماء فقد وردت عنهم عدة تعريفات قديما وحديثا سأورد بعضا منها .

---

[235] ـ انظر: القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، د ط ، دم ، دار الفكر ، د ت ، ج 2 ، ص 110.

[236] ـ لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، د ط ، دم ، بيروت ، د ت ، مادة فسر ، ج 5 ، ص 55.

[237] ـ انظر : التعريفات ،ط 4 ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1418هـ ـ 1998 م، ص 87

[238] ـ سورة الفرقان : الآية 33 .

تعريف ابن جزي ـ رحمه الله ـ قال « شرح القرآن وبيان معناه ، والإفصاح بما تقتضيه بنصّه أو إشارته أو فحواه »«[239]».

تعريف أبو حيّان الأندلسي قال أبو حيّان ـ رحمه الله ـ هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ، ومدلولاتها وأحكامها الإرادية والتركيبية ، ومعانيها التي تحمل عليها حال التركيب ، وتتمات ذلك

فقولنا علم : جنس يشمل سائر العلوم

وقولنا« يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن» هذا علم القراءات

وقولنا : ومدلولاتها أي :« مدلولات تلك الألفاظ وهذا علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم »

وقولنا :«وأحكامها الإفرادية والتركيبية » : هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب وعلم البيان وعلم البديع

«ومعانيها التي يحمل عليها حال التركيب » شمل بقوله التي تحمل عليها ما دلالته عليها بالحقيقة ، وما دلالته عليه بالمجاز ، فإنّ التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صادّ، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز.

وقولنا «وتتمات ذلك» هو معرفة النسخ ، وسبب النزول ،وقصة توضح ماانبهم في القرآن ونحو ذلك«[240]»

[239] ـ التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي ، ط 1، تحقيق عبد الزاق مهدي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، 1425 هـ ـ 2005م ، ج 1 ، ص 12.

تعريف الزّركشي :«علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم ، وبيان معانيه ،واستخراج أحكامه »«[241]»

ومن مجموع هذه التعريف التي أوردتها استخلصت منها تعريفا وهو« أنّ التفسير هو بيان مراد الله عزّ وجل من كلامه بعد تأهل المفسر لتحصيل جملة من العلوم تكون بمثابة الأدوات التي تعينه على ذلك ، ومتى تجمّعت فيه هذه العلوم التي اشترطها العلماء صار جديرا بأن يخوض مجال التأويل والتفسير لكتاب الله ».

المبحث الثاني معنى التأويل لغة واصطلاحا

المطلب الأول : التأويل لغة

يرى اللغويون أنّ هذه الكلمة مشتقة من الأول الذي يقصد به الرجوع ، وقد جاء في مقاييس اللغة ما نصّه « وآل يؤول أي رجع ، قال يعقوب : يقال : «أوّل الحكم إلى أهله» أي : أرجعه وردّه إليهم قال الأعشى :أؤول الحكم إلى أهله »«[242]»

وقال ابن منظور : « أول :الأول الرجوع ، آل الشيء يؤول أولا ومآلا : رجع ، وأوّل إليه الشيء : رجعه ، وألت عن الشيء ارتددت ، وفي الحديث : من صام الدهر فلا صام ولاآل أي لا رجع إلى خير ، والأول الرجوع .....وأوّل الكلام و تأوّله : دبّره وقدّره ، وأوّله وتأوّله فسره قوله عزّ وجل «ولما يأتهم تأويله » أي لم يكن معهم علم تأويله ، وهذا دليل على أنّ علم التأويل ينبغي أن ينظر فيه ، وفي حديث بن عباس ـ رضي الله عنه ـ اللهم فقه في الدين وعلّمه التأويل ،قال بن الأثير : هو من آل الشيء يؤل إلى كذا أي

---

239 ـ انظر : البحر المحيط :أبو حيان الأندلسي ، ط 1 ، تحقيق عبد الرزاق مهدي، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ،1423 هـ ـ 2002م ، ج 1 ، ص 23 ـ 24.

241 ـ انظر: البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 13.

242 ـانظر : معجم مقاييس اللغة ،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ط 3 ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1402هـ ـ 1981م ، ج 1 ، ص 159.

رجع وصار إليه ...»«[243]» ، وقال الأزهري :« وأمّا التأويل فقيل : من أول يؤول تأويلا وثلاثيه : آل يِول: أي رجع وعاد ، وسئل أحمد بن يحيى عن التأويل فقال : التأويل والتغيير واحد .قلت ألت الشيء جمعته وأصلحته فكان التأول جمع معان مشكلة بلفظ واضح لا إشكال فيه .... التأول والتأويل : تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ، ولا يصح إلاّ ببيان لفظ غيره ...»«[244]».

المطلب الثاني التأويل في الاصطلاح

أطلق علماء الأصول على لفظة التأويل عدة تعريفات منها تعريف ابن حزم «[245]»ـ رحمه الله ـ حيث قال :« التأويل نقل اللفظ عمّا اقتضاه ظاهره وعمّا وضع له في اللغة إلى معنى آخر ، فإن كان نقله قد صحّ ببرهان ، وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق ، وإن كان نقله بخلاف ذلك ، اطّرح ولم يلتفت إليه ، وحكم لذلك النقل بأنّه باطل »«[246]» ،وعرّفه الباجي«[247]» من المالكية بقوله « التأويل صرف الكلام عن ظاهره لوجه يحتمله»«[248]»

---

[243] ـ انظر: لسان العرب ، ط 1 ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1426 هـ .2005م، ج 6 ، ص 148 ـ 149.

[244] ـ انظر : تهذيب اللغة ،ط 1 ، تحقيق أحمد عبد الرحمان مخيمر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1425 هـ . 2004م، ج 11 ، ص 373.

[245] ـ هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، ولد بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، سمع من يحي بن مسعود بن وجه الحنة ، وأبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور ، وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم ، روى عنه أبو عبد الله الحميدي ، وابنه أبو رافع الفضل ، ووالد أبي بكر بن العربي ، وجماعة ، مهر في الأدب والأخبار والشعر والفلسفة والمنطق والفقه ، من مصنفاته ، المحلى في الحديث والفقه ،وكتاب الإجماع ، والإحكام في أصول الأحكام في أصول الفقه ،والفصل في الملل والنحل، وغيرها ، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة.، انظر ترجمته :سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ،ج 18 ، ص 190.

[246] ـ انظر : الإحكام في أصول الأحكام ، د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1989م ، ج 1 ، ص 42 ـ 43.

[247] ـ هو أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب ين وارث التيجي، القرطبي الباجي ، ولد سنة ثلاث وأربعمائة أخذ عن مكي بن أبي طالب القيسي ، ويونس بن مغيث ،ورحل إلى العراق فسمع من القاضي أبي الفضل الطبري وغيره ، ورحل إلى دمشق فسمع من الحسن بن السمسار وجماعة ، وعاد إلى الأندلس بعد ثلاث عشرة سنة بعلم غزير، أخذ

ومن خلال التعاريف اللغوية التي أوردتها يظهر أنّ معنى التأويل يدور حول الرجوع وعودة الشيء إلى إلى ما تؤل إليه حقيقته ، لكنّ تعريف الأصوليين الأخير يرى البعض أنّه حادث غير معهود عند العرب الأوائل ، وإنّما تذّرع به أقوام وطوائف من المتكلمين الذين توسعوا في المجاز ، وصاروا يصرفون الألفاظ عن حقيقتها بزعم وجود قرائن تدل على ذلك ، فأصبح المجاز يطلق تأويلا وبه أنكروا كثيرا من الصفات «[249]».

وقد وقع خلاف بين العلماء في القديم والحديث حول مصطلح التفسير والتأويل هل هما بمعنى واحد؟ أم أنّهما متغايران وذكروا في ذلك أقوالا كثيرة لا سيّما وأنّ الأوائل كانت لهم إطلاقات لفظ التأويل ويعنون بها تفسير النص القرآني ، ومن بين هؤلاء الإمام بن جرير الطبري فقد أكثر النقل منها في جامعه كثيرا ، وكان يقول : القول في تأويل قوله تعالى ، وسأورد بعض هذه التفريقات التي ذكرها الإمام الزرّكشي حيث قال « ثمّ قيل التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال ، والصحيح تغايرهما واختلفوا ، فقيل التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل ، وردّ أحد الاحتمالين إلى ما يطابق الظاهر

قال الرّاغب : التفسير أعمّ من التأويل ، وأكثر استعماله في الألفاظ ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا ، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية ، والتفسير يستعمل في غيرها ، والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ .

عنه ابن عبد البر وجماعة من الأندلسيين ، من مؤلفاته : المنتقى في الفقه ، والجرح والتعديل في الحديث ، والإشارة في الأصول ، والإحكام في أصول الأحكام وغيرها ، توفي سنة مات سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، انظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج 18 ، ص 535.

[248] ـ انظر : الحدود في الأصول ، ط 1 ، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1424 هـ ـ 2003م ، ص 109.

[249] ـ انظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار ، ط 2 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1427هـ ، ص 107.

واعلم أنّ التفسير في عرف العلماء كشف معاني القرآني ، وبيان المراد أعمّ من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره ، وبحسب المعنى الظاهر وغيره ، والتفسير أكثره في الجمل

والتفسير إمّا أن يستعمل في غريب الألفاظ كالبحيرة والسائبة والوصيلة ، أو في وجيز مبيّن بشرح كقوله : «وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »«[250]»، وإمّا كلام مضمّن لقصة لا يمكن تصوره إلاّ بمعرفتها كقوله : «إنّما النسي زياة في الكفر»«[251]» **وقوله :**« وليس البرّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها »«[252]»

وأمّا التأويل فإنّه يستعمل مرّة عاما ومرّة خاصا ، نحو الكفر يستعمل تارة في الجحود المطلق ، وتارة في جحود البارئ خاصة ، والإيمان المستعمل في التصديق المطلق تارة ،وفي تصديق الحق تارة ، وإمّا في لفظ مشترك بين معان مختلفة ، وقيل التأويل : كشف ما انغلق من المعنى ، ولهذا قال البجلي التفسير يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية ، وهما راجعان إلى التلاوة ، والنظم المعجز الدّال على الكلام القديم بذات الرّب تعالى .

قال أبو نصر القشيري : ويعتبر في التفسير الإتباع والسّماع ، وإنّما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل ،..... وقال أبو القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي والكواشي«[253]» وغيرهم التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها ، تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط . ..»«[254]» ثمّ قام ـ رحمه الله ـ بضرب أمثلة من

---

[250] ـ سورة البقرة : الآية 43.

[251] ـ سورة التوبة : الآية 37.

[252] ـ سورة البقرة : الآية 189.

[253] ـ هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الإمام أبو العباس الكواشي المفسر زاهد كبير القدر ولد سنة تسعين وخمسمائة ، روى عن والده ، وقدم دمشق وأخذ القراءات على الإمام السخاوي ، له تفسير يسمى تفسير الكواشي وهو مطبوع ، توفي سنة ثمانين وستمائة ، انظر ترجمته في ، غاية النهاية في طبقات القرآء ، أبو الخير محمد بن الجزري ،ج 1 ، ص 155 .

[254] ـ انظر: البرهان في علوم القرآن : ج 2 ، ص 149 ـ 150.

تأويل بعض الآيات القرآنية وأقرّ بأنّ التأويل الذي لا يخالف الشريعة ويكون مستساغا من حيث اللغة فإنّ هذا النوع من التأويل جائز شرعا ، وأنّ الذي يخالف القرآن والشريعة فهو غير مقبول مثل تأويل الباطنية والرافضة وبعض غلاة الصوفية فهذا النوع غير محمود وغير جائز . وممّن تعرّض لهذه القضية الشيخ عبد العظيم الزرقاني حيث قال « أمّا التأويل في اصطلاح المفسرين ، فإنّه يختلف معناه فبعضهم يرى أنّه مرادف للتفسير ، وعلى هذا فالنسبة بينهما التساوي، ويشيع هذا المعنى عند المتقدمين ، ومنه قول مجاهد ، إنّ العلماء يعلمون تأويله يعني القرآن ، وقول بن جرير في تفسيره« القول في تأويل قوله تعالى ... واختلف أهل التأويل في هذه الآية »، وبعضهم يرى أنّ التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص فقط ، ويجعل التفسير أعمّ مطلقا ، أعم من أن يكون بالمتبادر أو بغير المتبادر ،وبعضهم يرى أنّ التفسير مباين للتأويل ، فالتفسير هو القطع بأنّ مراد الله كذا ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع ، وهذا قول الماتريدي ، أو التفسير بيان اللفظ بطريق الرواية ، والتأويل بيان اللفظ عن طريق الدراية ، أو التفسير هو بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة ، والتأويل هو بيان المعاني التي تستفاد بطريق الإشارة وقد اشتهر هذا عند المتأخرين كما نبّه إليه العلامة الألوسي ....» «[255] »

وبعد عرض هذه الأقوال تبيّن لي والله أعلم أنّه لاخلاف بين المصطلحين لوجوه:

أولا : إطلاق المتقدمين لهذين اللفظين والمراد بهما معنى واحد ،ولا شك أنّهم أهل اللسان العربي الذي لم يتغير ، والمتتبع للآثار التي أوردها المتقدمون للفظ التأويل يرى أنّهم عنوا به التفسير لا غير,

فقوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا بن عباس اللّهم علمه التأويل أراد به التفسير لا غير ولو كان هناك فرق لبيّنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال علّمه التفسير وهي اللفظة الواردة في

[255]ـ انظر : مناهل العرفان في علوم القرآن : د ط ، بيروت ، دار الفكر ، دت ، ج 2 ، ص 5.

القرآن التي تدل على كشف المعاني ، والقول بأنّ التفسير هو القطع بأنّ مراد الله من الآية كذا غير صحيح فهل كلّ أقوال بن عباس رضي الله عنه في التفسير مقطوع بها بأنّها هي المراد إلاّ إذا ما استثنينا المسند الصحيح الذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وهو قليل كما يقول الشافعي.

ثانيا: أنّ النصوص متظافرة على أنّهما معنى واحد وذلك بيّن من أقول الصحابة والتابعين ومن تتبع كلامهم بشيء من التقصي أدرك أنّهم لا يفرقون بين المصطلحين فقول الإمام أحمد مثلا:«بمصر كتاب التأويل عن معاوية بن صالح ، لو جاء رجل إلى مصر ، فكتبه ، ثمّ انصرف به ، ما كانت رحلته عندي ذهبت باطلا » ومعاوية بن صالح أخذ التفسير عن أبي طلحة عن بن عباس رضي الله عنه وهي من أصح الطرق عن بن عباس ـ رضي الله عنه ـ ولا ريب أنّ هذه الصحيفة فيها ما هو تفسير ثابت صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مقطوع بأنّه مراد الله من الآية لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم هو من تولى بيانه وفيه أقوال واجتهادات بن عباس التي تحتمل الترجيح بناء على وجه من وجوه اللغة أو غيرها من أوجه الترجيح غير مقطوع بها خصوصا إذا كان هناك أقوال أخرى في بيان الآية من قبل الصحابة .

وقد وقفت على كلام نفيس لبعض المعاصرين يؤيد ماذهبت عليه حيث قال في عرضه لهذه المسألة « ... وهذه النقول تدل على وجود إشكال عند هؤلاء العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل، والذي يظهر عليها كلّها أنّها تخصيصات لا دليل عليها ، وتفريقات لا يستقيم لها وحه ، فكل واحد منهم يرى ما لا يراه الآخر ، وتراهم لم يثبتوا على قول سوى وجود الفرق، ثمّ اختلفوا في بيانه ، وتحقيق الأمر في ذلك كما يأتي :

بعد أن تبيّن أنّ التفسير يتعلق ببيان المعنى ، وأنّ التأويل له مفهومان صحيحان : أحدهما يوافق معنى التفسير ، والآخر يراد به ما تؤول إليه حقيقة الشيء ، أي كيف تكون ، فإنّ ملاك القول في ذلك أن يقال :إنّ لهذه الفروق احتمالين :

الاحتمال الأول : أن ترجع هذه الفروق إلى أحد هذه المعاني الصحيحة المذكورة في مصطلح التأويل ، فإن رجعت إلى أحد هذه المعاني المذكورة ،فإنّها تقبل ، ولكن لاتكون هي حدّ الفرق ، بل هي جزء من الفرق لا غير وهذا يعني أن يكون غيرها صحيحا ، وهو مندرج في المعاني المذكورة في المراد بالتفسير والتأويل .

ولأضرب لك مثالا بأحد ما ذكر من الفروق ، قال أبو نصر الماتريدي :التفسير القطع على أنّ المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله بأنّه عني باللفظ هذا ، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة »

إذا فسّرت قوله تعالى «واليوم الموعود» بأنّه يوم القيامة ، لإجماع المفسرين على ذلك ، وقطعت بهذا المعنى أليس هذا تفسيرا ، فإذا قلت :معنى قوله «واليوم الموعود» أي اليوم الذي وعد الله عباده أن يبعثهم فيه وهو يوم القيامة ، أو قلت :تفسير قوله تعالى ، أو تأويل قوله تعالى ، فالتعبير عن مراد الله بهذه الكلمات مؤداه واحد ، ويفهم منه معنى واحد ،و إذا جئت إلى قوله تعالى :«فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس»«[256]»، ورأيت أنّ للمفسرين أقوالا :

الأول : أنّ المراد بالخنّس النجوم والكواكب

والثاني :أنّ المراد بها بقر الوحوش والظباء

فهذه محتملات في التفسير واخترت أنّ المراد بالخنّس النجوم والكواكب ، وعللّت لذلك الاختيار بأمرين :

موافقة السياق حيث ذكر في لحاقها آيات كونية ، والنجوم والكواكب آيات كونية ، فالنجوم والكواكب أنسب لهذا المعنى اللّحاق من أن تكون بقر الوحوش والظباء ،وأنّها

[256] ـ سورة التكوير : الآية 15

أظهر وأشهر للخلق من بقر الوحش والظباء ، فلا أحد يخفى عليه معرفة النجوم ، وإن خفي عليه معنى الخنوس والجريان والكنوس فيها، أمّا بقر الوحش والظباء فإنّ بعض الناس لا يعرفها وكثير منهم لا يعرف أمر خنوسها وجريانها وكنوسها ، فإذا اخترت هذا المعنى فأنت مؤول عند الماتريدي ، لكن هل تسمية أحد الأسلوب وهو ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة تأويلا صحيح ؟

ألست قد فسّرت وبيّنت المعنى المراد فأنت إذا باحتيارك هذا المعنى دون غيره لو قلت تأويل هذه الآية كذا ، أو تفسير هذه الآية كذا لكان أمرا واحدا ولا فرق .

وبهذا يظهر سواء أنّك قطعت أولم تقطع ، فأنت مؤول أي مفسر ، ولا معنى لتخصيص التأويل بأنّه ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله أنّه عنى باللفظ هذا والله أعلم .

الاحتمال الثاني : أن لا يرجع أحد من هذه الفروق إلى هذه المعاني الصحيحة ومن ثمّ، فإنّه قول غير مقبول ، لأنّه مخالف لمصطلح القرآن ، ومصطلح السلف واللغة ، ولأنّه لا دليل عليه من نقل ولا عقل ...»«[257]»

[257] ـ انظر : مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر : مساعد الطيّار ، ص 114 ـ 116.

الفصل الثاني:

أهمية التفسير والحاجة إليه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: أهمية علم التفسير

تتفاوت العلوم شرفاً تبعاً لشرف موضوعها، ولما كان التفسير موضوعة كلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد وكان كما وصفه جلّ شأنه ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾«258»

كان علم التفسير أشرف العلوم وأعلاها، قال ابن جرير الطبري :«اعلموا عباد الله أنّ أحق ما صرفت إلى علمه العناية وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضى وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وإنّ أجمع ذلك لباغية كتاب الله الذي لا ريب فيه وتنزيله الذي لامرية فيه، الفائز بجزيل الذخر تالية الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»«259» ،وقال أبوحيان في البر المحيط :«المعارف جمة وهي كلها مهمة، وأهمها ما به الحياة الحياة الأبدية والسعادة السرمدية، وذلك علم كتاب الله، هو المقصود بالذات وغيره من العلوم له كالأدوات هو العروة الوثقى والوزر الأقوى والحبل المتين والصراط المبين»«260»

---

258 – سورةالزمر: الآية 23

259 – جامع البيان عن تأويل آي القرءان : محمد بن جرير الطبري ، ط 1 ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، القاهرة مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر، 1422هـ ـ 2001 م ، ج 1 ، ص 7.

260 – البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، ط1 ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993 م ، ج 1 ، ص 99.

إنّ شرف علم التفسير لا يخفي على كل ذي بصيرة قال الله تبارك وتعالى:

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾«261»، وفي تفسير ابن عباس للحكمة قال: «المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمة ومتشابهه، ومتقدمة ومؤخرة وحلاله وحرامه وأمثاله وعبره».

وإنّ أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن العظيم وبيان ذلك أنّ علم التفسير حاز الشرف من جهات ثلاثة: من جهة الموضوع، ومن جهة الفرض.،ومن جهة الحاجة إليه.

فأمّا من جهة الموضوع فلأنّ موضوع التفسير كلام الله سبحانه الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾«262».

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾«263»،﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾:«264»،﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾«265».

---

261 - البقرة: الآية 269.

262 - الزمر : الآية 23

263 ـ سورة الإسراء: الآية 9

وأمّا من جهة الغرض فلأنّ الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الأبدية التي لا تفنى، إذ به معرفة مراد الله سبحانه وتعالى من كلامه المنزل على عبده، ومعرفة مواضع أمره فتؤتي، ومواضع نهيه فتترك وتتقى.

وأمّا من جهة شدة الحاجة إليه فإنّ كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، وهي أي العلوم متوقفة على العلم بكتاب الله قال مجاهد:« أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل»«[266]».

قال ابن الجوزي:« عن إياس ابن معاوية أنه قال:« مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أولا يعلم مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلاً، وليس عندهم مصباح فتداخلهم لمجيئ الكتاب زوعة لا يدرون ما فيه فإذا جاءهم المصباح عرضوا ما فيه»«267»

ولأجل ذلك كان أول ما يدون من علوم القرآن هو علم التفسير إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام.وهل أنزل القرآن الكريم إلاّ لتلاوته وتدبره، وإتباع أحكامه ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾«268»،﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾«269».

---

[264] ـ سورةالأعراف : الآية 52

[265] ـ سورة الأنعام : الآية 38

[266] ـ

[267] ـ زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي ،ط 1 ، تحقيق محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله ، دار الفكر ، 1407 هـ ـ 1987م ،ج1 ، ص 2.

[268] ـ سورة ص: الآية 29

[269] ـ سورةالأنعام:الآية 155

المبحث الثاني: بيان الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم

لقد وصف الله عز وجل كتابه بأنه مبين، وفصلت آياته ويسر للذكر، ومعلوم بأن الله سبحانه وتعالى إنّما خاطب خلقه بما يفهمونه، ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾«270».،وأنزل كتابه على عبده محمد صلى الله عليه وسلم عربياً مبيناً بلغة القوم الذين بعث فيهم، ولكن ذلك لم يغن عن الحاجة إلى بيانه وتفسيره رغم عروبة القوم الخالصة وقرائحهم الصافية وضلاعتهم في البيان.

قال الزركشي:«وإنما احتيج للتفسير لما سنذكر بعد تقرير قاعدة وهي أن كل من وضع من البشر كتاباً فإنما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وإنما احتيج إلى الشرح لأمور ثلاثةأحد ها :كمال فضلة المصنف فإنه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز، فربما عسر فهم مراده، فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية، ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره.

والثاني: قد يكون حذف بعض مقدمات الأقيسة، أوأغفل فيها شروطاً اعتماداً على وضوحها، أو لأنّها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف.

والثالث:احتمال اللفظ لمعانٍ كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح إلى بيان غرض المصنف وترجيحه، وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو منه بشر من السهو والغلط، وتكرار الشيء، وحذف المبهم، وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك.

270 ـ سورة إبراهيم : الآية 4

وإذا علم هذا فنقول إنّ القرآن إنما أنزل بلسان عربي مبين في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظاهره وأحكامه وأما دقائق باطنه فإنّما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر من سؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم في الأكثر وكسؤالهم لما نزل «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»«271»، فقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟!ففسّره النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك، واستدل عليه بقوله «إنّ الشرك لظلم عظيم»«272»، وكسؤال عائشة رضي الله عنها عن الحساب اليسير فقال:« ذلك القرض، ومن نوقش الحساب عذب»«273» وغير ذلك مما سألوا عن أحادٍ منه، ولم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن وتأويله بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجاً إلى التفسير.

ومعلوم أنّ تفسيره يكون في بعضه من قبل بسط الألفاظ الوجيزة وكشف معانيها، وبعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض لبلاغته ولطف معانيه – أي القرآن – ولهذا لا يستغنى عن قانون عام يقول في تفسيره عليه من معرفة مفردات ألفاظه ومركباتها وسياقه وظواهره وباطنه وغير ذلك مما لا يدخل الوهم ويدق عن الفهم.

271 – سورة الأنعام : الآية 82

272ـ رواه البخاري : كتاب التفسير ، سورة الأنعام ، باب قوله تعالى « الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم »،رقم 4692 ـ ص 1139، عن عبد الله بن مسعود.

273ـ رواه البخاري :كتاب العلم ، باب من سمع شيئا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه،رقم 103 ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ ، ج 1 ، ص 46.

وفي هذا تتفاوت الأذهان وتتسابق في النظر إليه مسابقة الرهان فمن سابق بفهمه، وراشق كبد الرمية بسهمه، وآخر رمى فاشوى وخبط في النظر خبط عشواكما قيل – وأين الدقيق من الركيك وأين الزلال من الزعاق» (274).

وقد أوضح الدكتور البوطي هذه المسألة أكثر وبأسلوب أبين بقوله:

«لعلك تسأل فتقول:فإذا كان القرآن كتاباً مبيناً ، وقد نزل إلى الناس ليقرؤوه فيفهموه، فينبغي أن يكون غنياً عن التفسير والمفسرين، وينبغي أن يكون مفهوماً بذاته لأن الله تعالى إنما يخاطب عباده بما يفهمونه، ففيم احتيج إلى تفسيره؟

- فالجواب: الحاجة إلى تفسير القرآن ليست بسبب أنه كتاب مبهم يحتاج إلى مفتاح له ومترجم عنه وإنما الحاجة إليه من وجوه أخرى يجملها فيما يلي:

- الوجه الأول: أن القرآن جار على أسلوب يصلح أن يخاطب به طبقات الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافاتهم فهو يعطي كلاً، من معانيه وأحكامه قدرطاقته وما يتسع له فكره، فإذا أراد القارئ أن يستشف منه ما وراء ذلك وينتهي في سبر أغواره إلى أكثر مما فهمه منه بطبيعته وفكره، فإنّ سبيله على ذلك الرجوع إلى فهم من هم أوسع منه علماً وأغزر ثقافة وفهماً ليبصروه، لما وراء الذي انتهى عنده علمه من دلائله ومعانيه».فهذا وجه من وجوه الحاجة إلى التفسير.
- الوجه الثاني: أن القرآن، كما قال الزركشي –كلام متكلم لم يصل الناس إلى مراده بالسماع منه، ولا إمكان للوصول إليه، بخلاف الأمثال والأشعار فإنّ الإنسان يمكن علمه بمراد المتكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه، ومن هنا تجد القرآن محاطاً

274ـ البرهان في علوم القرآن : ج1 ،ص 14 – 16

بسور من الرهبة والجلال يمنع قارئة أن يسرع فيقتحم إليه بالشرح والتفسير كما يشرح الكتب الأخرى، وإنّما الشأن أن يتوسط إلى ذلك بما قد أثر من تفسير النبي –صلى الله عليه وسلم– له أو أثر من تفسيرات الصحابة رضوان الله عليهم، فهو الذي أوحى إليه القرآن مباشرة وهو الذي أمره الله عز وجل بأن يبين للناس ما نزل إليهم فهذا وجه ثانٍ في الحاجة إلى تفسيره والاطمئنان إلى حقيقة معانيه المرادة منه.

- الوجه الثالث: إنّ القرآن كتاب يحوى بين دفتيه مبادئ العقيدة والتوحيد، كما يحوى مبادئ الشريعة وأحكام الحلال والحرام، ويشمل التوجيهات الأخلاقية ومبادئ التنظيمات الاجتماعية إلى جانب ما فيه من عبر الأمم الماضية والأخبار عن المغيبات ووجوه النقاش والحجاج.

فلا جرم أنّه إنّما يتناول كل ذلك ويعالجه بأسلوب من التركيز والاختصار يضمن للقارئ الفهم الموجز الكلي من ناحية ويحمله على البحث والدرس والوقوف على تفصيلات ذلك من ناحية أخرى فكانت الحاجة إلى تفسير القرآن من هذه الجهة استجابة للغرض المتعلق بتفصيل موجزاته وشرح كلياته.

- الوجه الرابع: أنّ المعنى الذي يراد بتفسير القرآن بعد كل هذا هو يتعدى ذلك إلى وجوه وأنواع من الاستنباطات المتعلقة بدقائق المباحث والعلوم، تختلف حسب اختلاف وجهة المفسر واختصاصه من عربية وأصول فقه وتوحيد وكونيات. والقرآن– كما تعلم – ذو دلالات متسلسلة لا تكاد تتناهى، وإنّما سبيل الكشف عنها أو عن بعضها بعكوف أرباب الاختصاصات عليه بالدرس والبحث والتفسير.

فهـذه هـي خلاصـة الأسـباب الداعيـة إلى تفسـير القـرآن وشـرحه، وهـي كمـا رأيـت ، أسـباب لا تتنـافى مـع كونـه كتابـاً عربيـاً غـير ذي عـوج، ولا تتعـارض مـع مـا هـو مقـرر ثابـت عـن أن الله إنما يخاطب عباده بما يفهمون.«[275]».

[275]ـ انظر: من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزّ وجل :محمد سعيد رمضان البوطي ،دط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1420 هـ ،1999م ، ص 71 ـ 72.

الفصل الثالث

نشأة التفسير وتطوره

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول :نشأة التفسير

نشأ التفسير مبكراً مع نزول القرآن نفسه، ويحكى القول بأنّ أول من تولى تفسير القرآن وبيانه منزله عز وجل إذ قال في سورة القيامة ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾«276»، وقال في سورة الفرقان ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾«277».

فقد كانت بعض الآيات تنزل وفيها نوع من الإجمال ،أو الإشكال على بعض الصحابة فتنزل آيات أخرى تتولى شرحها ومن أمثلة ذلك:

1) ما رواه البخاري والترمذي عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- أملى عليه: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله» فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملي عليه فقال يا رسول الله والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت وكان أعمى فأنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترضى فخذي ثم سري عنه فأنزل الله «غير أولى الضرر»«278»، ويعد النبي صلى الله عليه وسلم بعد بيان القرآن أو الشارح لكتاب الله عز وجل ، يبين للناس ما نزّل إليه امتثالاً لأمر الله سبحانه ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

276 ـ سورة القيامة : الآية 19

277 ـ سورة الفرقان : الآية 33

278 ـ انظر صحيح البخاري : كتاب تفسير القرءان ، سورة البقرة ، باب لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ، عن زيد بن ثابت ، رقم 4592، ج 3 ، ص 1218 ،وانظر سنن الترمذي : أبواب تفسير القرءان ، باب ومن سورة النساء «لا يستوي القاعدون من المؤمنين » ، عن زيد بن ثابت ، رقم 3042.

نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾«279»، وقد قام صلى الله عليه وسلم بمهمته في بيان معاني القرآن الكريم وتفسير ما احتاج إليه الصحابة على أتم وجه وأكمله ولم يكونوا رضي الله عنهم ليجرؤوا على تفسير القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وسلم – بين أظهرهم يتحمل هذا العبء العظيم ويؤديه حق الأداء، حتى إذا لحق عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى وأثر الآخرة على الأولى لم يكن بد للعلماء بكتاب الله الواقفين على أسراره المهتدين بهدي النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقوموا بدورهم في بيان ما علموه وتوضيح ما فهموه ولا ريب أن التفسير في نشأته وتاريخه قد مر في تطوره بمراحل وخطا خطوات يمكن إجمالها فما يأتي.

المبحث الثاني: مراحل التفسير وخطواته

المرحلة الأولى: مرحلة الرواية في عصر الصحابة والتابعين

كان الصحابة رضوان الله عليهم قد تلقوا تفسير القرآن الكريم عن النبي صلى الله عليه وسلم – رواية كما تلقوا عنه القرآن والحديث وكانوا حريصين على أن يتعلموا تفسير معاني القرآن من النبي كما كانوا يتلقون حروفه منه، قال أبو عبدالرحمان السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا في القرآن والعلم والعمل جميعاً«280».

---

279 ـ سورة النحل : الآية 44

280 ـ رواه الطبري في جامع البيان ، ذكر الأخبار التي رويت في الحظ على العلم بالتفسير ومن كان يفسر من الصحابة ، ج 1 ، ص 28.

وعن مسروق قال:« قال عبد الله بن مسعود: والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم نزلت وأين نزلت ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله من تناوله المطايا لأتيته.»«281» ،ولقد اختلف العلماء في مقدار ما تعلمه الصحابة من القرآن الكريم فزعم فريق من العلماء أنّهم تعلموا منه صلى الله عليه وسلم جميع القرآن ورأى آخرون أنّهم إنّما تعلموا منه تفسير آيات معدودة فقط.، ويبدو أن الصحيح أنّهم إنّما تعلموا منه فقط ما يحتاجون إليه – إذ كانوا عرباً خلصاً ونزل القرآن بلغتهم فغير معقول أن يستفسروا عن كل شيئ من القرآن الكريم، وإنما تلقوا منه صلى الله عليه وسلم من تفسير القرآن الكريم ما كان له تعلق بالأحكام وما فيه نوع من إشكال أو إجمال وما سوى ذلك فمعلوم لهم تفسيره من لغتهم ويدل على هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما وهو من علماء الصحابة: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها.،وتفسير لا يعذر أحد بجهالته،وتفسير تعرفه العلماء،وتفسير لا يعلمه إلا الله»«282».

وقد نبغ في تفسير كتاب الله من الصحابة جماعة اشتهر منهم كما يقول السيوطي رحمه الله من يأتي:

1. الخلفاء الأربعة، وخاصة علي بن أبي طالب.
2. عبد الله بن مسعود (ت 32 هـ).
3. عبد الله بن عباس (ت 68 هـ).

---

[281]- رواه البخاري : كتاب فضائل القرءان ، باب القرّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،رقم 5002 ،ج 3،ص 1288 عن عبد الله بن مسعود.

[282]-انظر : جامع البيان : الطبري ،القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرءان ، ج 1، ص 26.

4. أبي بن كعب (ت 30 هـ).

5. زيد بن ثابت (ت 55 هـ).

6. أبو موسى الأشعري (ت 52 هـ).

7. عبد الله بن الزبير (ت 73 هـ).

ثمّ نشأت في أواخر عصر الصحابة، وعصر التابعين مدارس للتفسير في مراكز إسلامية ثلاثة هي مكة والمدينة والعراق. :

المطلب الأول :مدرسة التفسير بمكة :

قامت هذه المدرسة بجهود عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو ممن شهد له الصحابة بالتفوق في العلم وخاصة التفسير ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالفقه في الدين وعلم التأويل، فقد روى البخاري والترمذي عنه رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ضمه إلصدره وقال «اللهم علمه الحكمة»«283»، وروى الترمذي بسندٍ حسن عنه رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له أن يؤتي الحكمة مرتين»«284».

(283) رواه البخاري : كتاب المناقب ، باب ذكر عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، رقم 3567، ج 2 ، ص 917 ،عن عبد الله بن عباس

(284) رواه الترمذي : أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ رقم 3840 ،ج 5 ، ص 344 عن ابن عباس .

وأخرج الطبري في جامع البيان عن عبد الله بن مسعود:« نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس»«285» ،وروى مسلم أيضاً أنّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء فوضع له وضوءاً فلما خرج قال: «من وضع هذا قال: قلت بن عباس قال: اللهم فقهه»«[286]»، ومناقب عبد الله بن عباس كثيرة لا تحصى، وأقوال العلماء فيه كثيرة كلها تدل على رسوخه في العلوم عامة، والتفسير خاصة، لذلك كان تلاميذه من النابعين أعلم الناس بالتفسير، ولقد خرّجت مدرسة ابن عباس بمكة زمرة من خيار مفسري الأمة من طبقة التابعين ويرجع إليهم أكبر الفضل في نشر علوم القرآن والتفسير في الأجيال المتتابعة من أعلامهم وأشهرهم.

1. سعير بن حبير أبو محمد الأسري الوالي ولاءً، الجيش أصلات 95هـ.
2. مجاهد بن جبر المكي المخزومي ولاءً (ت 154هـ).
3. عكرمة مولى ابن عباس، أبو عبد الله البربري (ت 154هـ).
4. طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمان الحميري الجندي (ت 166هـ).
5. عطاء بن أبي رباح أبو محمد المكي القرشي ولاءً (ت 114هـ).

الرواية عن ابن عباس:

كثرت طرق الرواية عن ابن عباس، ولكن لم يصحح العلماء منها إلاّ ما يأتي:

---

[285] ـجامع البيان عن تأويل آي القرآن : االطبري، ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا علمه بالتفسير من كان منهم مذموما علمه به ، ج 1 ، ص 84 ،عن ابن مسعود رضي الله عنه .

[286] ـانظر: صحيح مسلم بشرح النووي : تحقيق عصام الصبابطي ـ حازم محمد ـ عماد عامر ،ط 1 ، القاهرة ، دار الحديث ، 1415هـ ـ 1994م ، كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، باب من فضائل عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ رقم 2477 ، ج 8 ، ص 275،عن ابن عباس .

1- طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهذه أجود الطرق عنه.

2- طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

3- طريق محمد بن إسحاق صاحب السيرة عن محمد بن أبي محمد مولى زيد ابن ثابت وإسنادها حسن.«[287]»

والذي تجدر الإشارة إليه وينبغي التنبيه عليه أنّ هناك طرقا واهية بسبب ضعف بعض الرواة وتكلم أهل الجرح والتعديل فيهم ، لكن هذا لم يمنع الأوائل من العلماء في أخذ التفسير عنهم ، لأنّ تكلم أهل الجرح والتعديل فيهم كان من قبل سوء حفظهم للآثار والسنة ، وقلة اشتغالهم بالسنة ، لكنّهم عنوا بالتفسير وصاروا فيه أئمة يرجع إليهم وفي ذلك يقول الإمام البغدادي ــ رحمه الله ــ « إلاّ أنّ العلماء قد احتجّوا في التفسير بقوم لم يحتجّوا بهم في مسند الأحاديث ، وذلك لسوء حفظهم الحديث وشغلهم بالتفسير ، فهم بمثابة عاصم بن أبي النجود ، حيث احتجّ به في القراءات دون الأحاديث المسندات لغلبة علم القرآن عليه ، فصرفت عنايته إليه ، قال يحي بن سعيد القطان تساهلوا في أخذ التفسير عن قوم لا يوثق بهم في الحديث ثمّ ذكر ليث بن سليم ، وجويبر بن سعيد ، والضحاك ، ومحمد بن السائب وقال هؤلاء لا يحمد أمرهم ويكتب

[287]ـ انظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : محمد بن محمد أبو شهبة ، ط 4 ، القاهرة ، مكتبة السنة ، 1408 هـ ، ص 156.

عـنهم التفسـير...»«[288]» ، والعلـة في أخـذ التفسـير عـن هـؤلاء أنّ أغلـب الكـلام في التفسـير عائـد إلى اللغـة والدرايـة بلسـان العـرب وهـم كـانوا أئمـة في اللغـة، أمّـا الروايـة عـنهم فيمـا يتعلـق بالأحكـام فـإنّ ذلـك متوقـف علـى الـنص ،وهنـا يـدخل مجـال إعمـال النقـد الحـديثي يقـول الشـيخ سـعد الطريفـي « وبالسـبر لمرويـات الضـعفاء في التفسـير فإنّهـا في الغالـب لا تخـالف وجهـا مـن وجـوه العربيـة ، فـإن خالفـت وجهـا فإنّهـا تحمـل علـى الوجـه الآخـر الـذي لا يخـالف نصـا ولا أصـلا»«[289]».ثمّ يعلـل سـبب التسـامح بالروايـة عـن الضـعفاء في التفسـير أنّ هـذه المرويـات مـأخوذة مـن صـحيفة يرويهـا بعضـهم عـن بعـض مثـل تفسـير مجاهـد الـذي يرويـه عنـه القاسـم بـن أبي بـزة مـأخوذ مـن صـحيفة وفيـه انقطـاع فهـو لم يسـمعه مـن مجاهـد ، لكـن مـادام يرويهـا مـن كتـاب فـلا حـرج أن يحـدث بمـا فيـه ، كمـا أنّـه مـن أسـباب التسـامح هـو أنّ هـؤلاء قـوم أو قفـوا أنفسـهم علـى التفسـير وتخصصـوا فيـه فلـذلك قـدّموا علـى غـيرهم ، فـإنّ طريقـة العلمـاء أن يقـدّموا المختـص علـى المشـارك وإن كـان المشـارك أوثـق وأحفـظ منـه في الحـديث أو بعـض العلـوم كمـا هـو شـأن القـراء كعاصـم وحفـص وقـالون وغـيرهم مـن القـرّاء الضـعفاء في الحـديث ،لكـنّهم أثبـات في القـراءة فشـهد لهـم بـذلك وقـدّموا علـى غـيرهم ، ومـن الأسـباب كـذلك أنّ التفسـير موقـوف علـى علـم اللغـة وهـؤلاء كـان عبـا أقحـاح ،بالإضـافة إلى أنّ أغلـب مرويـات التفسـير مـن الموقوفـات والمقطوعـات والنقـاد يتسـاهلون فيهـا مـالا يتسـاهلون في المرفـوع

[288] ـ انظر : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط1 ، تحقيق محمد عجّاج الخطيب ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1412 هـ ـ 1991م، ج 2 ، ص 286 ـ 287.

[289] ـ انظر: التقرير في أسانيد التفسير : عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ، ط 1 ، السعودية ، دار المنهاج ، 1432هـ ،ص 24.

«[290]» ولذلك فإنّ تطبيق مناهج الأئمة النقاد على أمثال هؤلاء ينبغي أن يراجع وينظر فيه ، مع أنّ هناك أسانيد ضعيفة لاشك في ذلك وأوردها العلماء وبيّنوها ، لكنّ الحكم على السند بالضعف بمجرّد وجود من هؤلاء المتكلم فيهم خطأ لأنّ أقوالهم إذا كانت تتعلق باللغة أو بعض الترجيحات ، ولم تكن فيها رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ، فإنّها تقبل ، ولكن ينظر في سلسلة الإسناد التي تصل إلى هؤلاء ويحكم عليها ، فمثلا الكلبي أجمع النفاد على أنّه كذاب لكنّ أقواله الشخصية في التفسير أجازوا كتابتها ، وكذلك في مقاتل بن سليمان ، وغيرهم من الضعفاء كالعوفي ، إذا كانت أقولهم صحيحة وظهرت عليها آمارات الصحة ، ولهذا قال الإمام البيهقي ــ رحمه الله ــ« وإنّما تساهلوا في أخذ التفسير عنهم ، لأنّ ما فسّروا به ألفاظه تشهد لهم به لغات العرب، وإنّما عملهم في ذلك الجمع والتقريب فقط »»[291]«

وقد كان لهذه المدرسة خصائص تتميز بها عن غيرها من المدراس وتنفرد بها ، فمن جملة خصائص المدرسة المكية ما يلي :

ـ كثرة الاجتهاد والاستنباط

لقد استمدت هذه المدرسة هذه الخاصية من زعيمها وشيخها وهو سيدنا بن عباس ـ رضي الله عنه ـ فقد كان إلى جانب ما خصّ به من دعوة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم الذي دعا له بأن يعلمه التأويل : ذا فكر ثاقب وعقل وقّاد أعمله في كشف معضلات التنزيل ووظّفه في استنباط أسراره .

[290]ـ انظر :التقرير في أسانيد التفسير، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ، ص 27ـ 28 .

[291] ـ انظر : دلائل النبوة : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ،ط 1 ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، 1405 هـ ، ج 1 ، ص 34.

وقد كان ـ رحمه الله ـ يحث أصحابه على الاجتهاد ، والحرص على نفع الناس والاجابة عن فتواهيم والنماذج على ذلك كثيرة تعطينا وترينا صنيعة هذا فمن ذلك ما يروى عنه أنّه جاءه سائل يستفتيه وكان معه سعيد بن جبير فأمره سيدن بن عباس ـ رحمه الله ـ أن يفتيه وهذا منهج تربوي يدعوا تلاميذه من خلاله إلى الاجتهاد ، أمّا عن مجالات الاجتهاد التي تميّز بها أقطاب المدرسة المكية ما يلي :

الدقة اللغوية :فقد كان سيدنا بن عباس ـ رضي الله عنه ـ عمدة في معرفة الغريب وإليه المرجع فيه ، وفي ذلك يقول الإمام السيوطي «[292]ـ رحمه الله ـ « وأولى ما يرجع إليه في معرفة الغريب مثبت عن بن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنّه ورد عنهم ما يستوعب غريب القرآن «[293]»

معالجة مشكل القرآن : من خصائص هذه المدرسة هو تميّزها وانفرادها بطرق أبواب المشكل من القرآن ومحاولة توجيهه، والنماذج المأثورة عنهم التي تبين ذلك كثيرة فمنها توجيه مجاهد ـ رحمه الله ـ لقوله تعالى « هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم »«[294]» قال ـ رحمه الله ـ «أمرهم أن يتزوّجوا النساء ولم يعرض عليهن سفاحا »«[295]»

ـ تفسير آيات الصفات

[292] ـهو عبد الرّحمان بن أبي بكرابن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين ، ولد سنة 849 هـ، وتوفي سنة 911 هـ ،من مؤلفاته الإتقان في علوم القرءان ـ تدريب الرّواي ـ الأشباه والنظائر في فروع الشافعية ـ تفسير الجلالين ـ تنويرالحوالك شرح موطأ مالك ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، انظر: ترجمته الإعلام :خير الدين الزّركلي،ط 5 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ج 3 ، ص 301

[293] ـ انظر :الاتقان في علوم القرآن :د ط ، بيروت ، دار الفكر ، دت ، ج1 ، ص 149.

[294] ـ سورة الحجر : الآية 71.

[295]ـ انظر : جامع البيان ، الطبري ،ج 6 ، ص 131.

تعرّضت هذه المدرسة لتفسير آيات الصفات على غرار المدارس الأخرى التي تحفظت من هذا الصنيع ، أو اكتفت بمجرّد الإثبات والإمرار ،لكنّ هذا التفسير لم يخرجها عن نزعتها الأثرية والسلفية .

ـ اتساع دائرة التفسير

لقد امتازت هذه المدرسة المكية بأنّها حاولت الخروج من دائرة التفسير التلقي المحض إلى جانب إعمال الرأي المبني على الاستنباط المحكم والفهم الدقيق الذي يقوده التسلح التام بمعرفة لغة العرب وإحكام لسانهم ، كما أنّ من الدوافع التي دفعتهم إلى الاجتهاد ، وإعمال النظر هو مخالطتهم لأهل الكتاب .«[296]».

الخاصية الثانية : التخصص في علم التفسير

لقد أفرغ أصحاب هذه المدرسة أنفسهم للتفسير فحسب ، وبذلك لم يجاروا أقرانهم في علوم أخرى باستثناء العلوم التي يحتاج إليها المفسر ، فلابدّ للمفسر الإحاطة والإلمام بها ، ومن ثمّ أضفى عليهم هذا التخصص التبحر في التفسير وعلوم القرآن فأوردوا أنواعا من علوم القرآن لم يتعرض إليها غيرهم ، كالكلام في الأشباه والنظائر ، وعدّ حروف الآي

[296]ـ انظر: تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة ، محمد بن عبد الله بن علي الخضيري ،دط ، السعودية ، دار الوطن للنشر ، دت ، ج 1 ، ص 554.

والسور ، المبهمات وغيرها من أبواب علوم القرآن التي عرفوا فيها بالكلام عنها دون غيرهم .»[297]«.

التوسع في الإسرائيليات

تعود بوادر هذا المسلك إلى زعيم المدرسة نفسه الذي يرى إباحة الرواية عن مسلمة الكتاب بناء على ما جاء في نصوص السنة من إباحة دلك ،فأكثر النقل عن كعب الأحبار وغيرن من مسلمة الكتاب ، وقد تأثر أصحابه به في هذا المنهج فتوسعوا في إيراد الإسرائيليات لاسيما سعيد بن جبير لهذا يرى المطالع لكتب التفسير كثرة الإسرائيليات عند أقطاب هذه المدرسة على غرار المدارس الأخرى .»[298]«.

المطلب الثاني: مدرسة التفسير بالمدينة:

قامت مدرسة التفسير بالمدينة على جماعة من علماء الصحابة إذ هي دار الهجرة وكان بها كثير من الصحابة الذين لم يتحولوا عنها لكن أشهر هؤلاء المفسرين من طبقة الصحابة بالمدينة هو أبي بن كعب رضي الله عنه الذي جاء في فضائله أخبار كثيرة منها:

---

[297] ـ انظر : تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة، ج 1 ، ص 555 ـ 556 .

[298] ـ المصدر نفسه ،ج 1 ، ص 558 . بتصرف .

1- حديث الشيخين عن عبد الله بن عمرو عن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال:« استقرئوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل»«299».

2- الحديث الذي رواه الترمذي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان وأقرأهم لكتاب الله أبي، وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل»«300» ولقد تخرج في مدرسة المدينة كوكبة من ألمع المفسرين نذكر أشهرهم:

1- أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي (ت 90هـ).

2- محمد بن كعب الفرظي ابو حمزة (ت 118هـ).

3- زيد بن أسلم أبو أسامة العدوي مولى عمر بن الخطاب، وقد أخذ عنه التفسير من طبقة تابعي التابعين ابنه عبد الرحمان بن زيد ومالك بن أنس إمام دار الهجرة (ت 136هـ).

طريق الرواية عن أبي كعب:

طرق الرواية عن أبي بن كعب كثيرة لكن لم يصح مما عند العلماء إلا ما يأتي:

---

299 ــ رواه البخاري : كتاب المناقب ،باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة ـ رضي الله عنه ـ ، رقم 3758 ،ج 2 ، ص 918، عن عبد الله بن عمرو، ورواه مسلم : كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ باب من فضائل عبد الله ابن مسعود وأمه ـ رضي الله عنهما ـ ،رقم 2464، عن عبد الله بن عمرو . ج 8، ص 251.

300 ـ انظر : أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب مناقب معاذ بن جبل ، رقم 3897 ،ج 5 ، ص 330 عن أنس بن مالك .

1- طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب رض الله عنه وهذه طريق خرج منها الإمام أحمد وابن جرير.

2- طريق وكيع عن سفيان عن عبد الله بن محمد عقيل عن الطفيل عن أبي بن كعب.«[301]»

وقد كان لهذه المدرسة خصائص انفردت بها عن غيرها من المدارس وتميزت بها ويمكن إجمالها في النقاط التالية

التورع والحيطة في التفسير

إنّ أقطاب هذه المدرسة كانوا ورعين في التفسير ومتحرجين في الخوض فيه إلاّ مادعت إليه الحاجة والضرورة ، ولذلك وردت عنهم نقولات تبدي تخوفهم من القول في كتاب الله ، فمن ذلك قول عبيد الله بن عمر « لقد أدركت فقهاء المدينة ، وإنّهم ليعظمون القول في التفسير ، منهم سالم بن عبد الله ، والقاسم بن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، وسعيد بن المسيب ، ونافع ، كما أنّ المدينة كانت موطن الصحابة كزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وهؤلاء وغيرهم ممّن نزل المدينة من الصحابة كانوا لا يتكلمون إلاّ في المسائل النازلة وما أثر عنه صلى الله عليه وسلم في تفسير بعض آي القرآن ، أمّا سوى ذلك فإنّهم كانوا يتورعون في القول في التفسير حتّى في المسائل البسيطة التي يدركها فهم باعتبارهم أهل السان العربي وأهل اللغة في زمانهم

[301] ـ انظر: الإسرئيليات والموضوعات في كتب التفسير ،: محمد بن محمد أبو شهبة ، ص 157.

الانشغال عن التفسير بالحديث، والمغازي ، والسير ،والفقه الأثري

إنّ ما تميّزت به هذه المدرسة كما أسلفنا القول سابقا أنّ المدينة كانت منزل الصحابة وعليهم مدار السنة وأحكام الشرع ممّا جعل تلاميذهم من التابعين يعنون برواية الأحاديث والآثار النبوية المتعلقة بمسائل الحلال والحرام فلذلك كانوا مقدمين في معرفة الحديث والأثر عن أهل الكوفة والبصرة ، والقول في المغازي والسير هو نفس ما قلناه في رواية الحديث والأثر باعتبار أنّ مدار السير والمغازي على الرواية ، والانشغال بالرواية في هذه الفن ون قلّ من إسهامهم في المجال التفسيري .

الاهتمام بالقراءات القرآنية

لقد عني أصحاب هذه المدرسة بالقرءات القرآنية وتحقيقها في جانب الآداء لاسيّما وأنّ أقطابها كانوا من أئمة القراءات الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرءان عنهم كزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، لكنّهم لم يدرجوا هذا الاعتناء في فهم القرءان الكريم على غرار أصحاب ابن مسعود الذين عنوا بقراءة بن مسعود واستعانوا بها في كشف ما أشكل عليهم من ألفاظ القرآن وآياته .

التوسع في القول بالنسخ

إنّ الذي دفع أقطاب هذه المدرسة لهذا المسلك هو تمسكهم الكبير بالأثر ، والقول بالنسخ أقرب إلى الرواية من الجمع والترجيح عند تعارض الأدلة لأنّ هذا يتطلب الاجتهاد وهذا بال معروف في كتب الأصول في طريقة الجمع بين ما تعارض من

الأدلة، ويعد سعيد بن المسيب وزيد بن أسلم هما من توسعا في القول بالنسخ ، ثمّ تأثر بهم قتادة وعبد الرحمان بن زيد .«[302]».

المطلب الثالث: مدرسة التفسير بالعراق

نشأت بالعراق مدرسة للتفسير شارك كثير من الصحابة في إقامتها كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ويعدّ ابن مسعود أبرز أعلام هذه المدرسة من الصحابة، وكان من أوعية العلم – ومن الراسخين فيه، ومما يدل على منزلته في العلم ما يأتي:

ـ حديث مسروق قال: «ذكروا ابن مسعود عند عبدالله بن عمرو فقال«: ذلك رجل لا أزال أحبه بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: استقرئوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود فبدأ به – وسالم مولى أبي حذيفة- وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل»«303».

ـ حديث عبد الله بن مسعود: قال:«والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا وأنا أعلم حيث نزلت وما من آية إلا وأنا أعلم فيم نزلت». «304».

ـ حديثه أيضاً، «قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة- ولقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه، قال شقيق

---

[302] ـ انظر: تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة ، محمد بن عبد الله بن علي الخضيري ، ج 2 ، ص 592 ـ 600.

[303] ـ رواه البخاري :كتاب المناقب ،باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة ، رقم 3758 ، ج 2 ، ص 918 ، عن عبد الله بن عمرو.

[304] ـ . رواه البخاري : كتاب فضائل القرءان ،باب القرّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،رقم 5002 ، ج 3 ، ص 1288.

فجلست في حلق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما سمعت أحداً يرد ذلك ولا يعيبه»«305».

وقال مسروق: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى ستة عمروعلي وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وأبي الدرداء وزيد بن ثابت ثم انتهى علم هؤلاء إلى رجلين: علي وعبد الله«306»، ولقد خرّجت مدرسة العراق في التفسير لفيفاً من خيرة مفسري الأمة من طبقة التابعين أشهرهم:

1. علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي (ت 61هـ).
2. الأسود بن يزيد – أبو عبد الرحمان النخعي (ت 75هـ).
3. مسروق بن الأجدع أبو عائشة الهمداني الكوفي (ت 63هـ).
4. مرة المهمداني أبو إسماعيل بن شراحيل الكوفي المعروف لمرة الخير ومرة الطيب لعبادته (ت 76هـ).
5. عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو الحميري الكوفي (ت 109هـ).
6. الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري – أبو سعيد، (ت 110هـ).
7. قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب الأكمة، عربي الأصل وكان من أحفظ الناس (ت 117هـ

أشهر الروايات عن عبد الله بن مسعود:

---

305 ـ رواه مسلم : كتاب فضائل الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ـ ،ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ، عن عبد الله بن مسعود ، رقم 2462.ج ، 8 ص253.

306 ـ انظر: المستدرك على الصحيحين ،أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، دت ، ج3 ، ص 465.

أشهر طرق الرواية عن عبد الله بن مسود رضي الله عنه ما يأتي:

1- طريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه.

2- طريق الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود، صحيحه خرج البخاري منها.«[307]».

الرواية عن علي رضي الله عنه:

إنّ الإمام علياً كرم الله وجهه ممن قامت عليهم مدرسة التفسير في العراق، وقد كثرت الرواية عنه أيضاً في التفسير كثرة بالغة وصحح العلماء من تلك الطرق الموصلة إليه الآتي:

1- طريق هشام عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني على علي وهذه صحيحة سيخرج منها البخاري وغيره.

2- طريق ابن أبي الحسين، عن أبي الطفيل عن علي.

3- طريق الزهري، عن علي زيني العابدين، عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهذه أصح الأسانيد«[308]».وقد كان لمدرسة العراق بالكوفة خصائص انفردت بها عن بقية المدارس الأخرى ، ويمكن إجمالها في النقاط التالية .

الاهتمام بتفسير آيات الأحكام

ممّا انفردت به هذه المدرسة عن بقية المدارس الأخرى أنّها أولت اهتماما كبيرا بآيات الأحكام وتعرّضت لها بشيء من التفصيل الذي لم يكن معهودا عند بقية المدارس ، وذلك كلّه تأسيا

[307]ـ انظر: الإسرئيليات والموضوعات في كتب التفسير ،محمد أبو شهبة ، ص 158.

[308]ـ انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة ، ص 158.

بإمامهم عبد الله بن مسعود الذي كان من فقهاء الصحابة الستة ، والمشهود له بمعرفة الحلال والحرام . وقد شهد لهم الأوائل من التابعين بتبحرهم في الفقه فهذا عامر الشعبي يقول « ما كان أفقه بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أفقه من أصحاب بن مسعود »«[309]». والشيء الذي جعلهم يمتازون بهذه الخصيصة دون غيرهم هو تواجدهم في بيئة كثرت فيها النوازل كأرض العرق التي كانت فيها كثير من الفتن والأهواء فتنزل النازلة ليس فيها نص من قرآن وسنة فيعملون رأيهم إذا لم يصلهم في ذلك حديث ، على غرار أهل المدينة الذين كانوا يتمسكون بالأثر ولا يعملون رأيهم إلاّ لضرورة .

الاشتغال بالقراءات القرآنية

ممّاحضيت به هذه المدرسة هو اضطلاعها ودرايتها بالقراءات القرآنية ، كيف لا وزعيمها إمام القرّاء الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ القرآن عنه ، ومعرفة أوجه القراءات يضفي نوعا من الفهم للنّص القرآن ، وهذا ما اشتغل أصحاب بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فكثر فيهم القرآء مقارنة بباقي الأمصار الأخرى ، واستعانوا بالقراءات في فهم القرآن وتفسير آيات الأحكام التي يتوقف فهمها على القراءة القرآنية.

[309]ـ انظر : المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني ، د ط ، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي ، د ت ، دم ، منشورات المجلس العلمي ،ج 10 ، ص 269.

الاعتناء بنقل آثار ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـــــــ

ممّا امتازت بهذه المدرسة أيضا أنّها اهتمت واعتنت بتحرير وتنقيح أقوال إمامها في التفسير مقارنة ببقية المدارس الأخرى فكانوا يحرصون على التمسك بها والإفتاء بها ، والعالم كلّما كان له تلاميذ يمتزون بالهمة استطاعوا أن ينقلوا علمه إلى من بعده وهذا يصدق على سيدنا بن مسعود ـرضي الله عنه ـ فقد تأثر بأقواله تلاميذ تلاميذه ، لذلك كان الكوفيون يلتزمون آثار بن مسعود ويقلون عن غيره ، وقليلا ما يخالفونه ، والسبب في ذلك كما يرى البعض هو قلة اعتمادهم على الأحاديث والآثار لأنّ أهل العراق عرف عنهم قلة عنايتهم بالسنن وقلة حفظهم فكانوا يتوقفون في بعض الأحاديث لعدم علمهم بدرجتها فيعمدون إلى أقوال بن مسعود ، ويروى عن النخعي أنّه سئل عن مسألة فأجاب فيها بحديث واحد ، فقيل :له أما تحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا غير هذا ؟ قال بلى ، ولكن أقول قال : عبد الله ، قال علقمة أحب إليّ» كما أنّهم كانوا يتشدّدون في قبول الأحاديث والآثار نظهر لظهور بوادر الوضع في العراق التي كانت مليئة بالفتن وكانت نواة ظهور الفرق المخالفة للسنة.

قلة الإسرائيليات في تفسيرها

من المناقب الحميدة لهذه المدرسة أنّها أعرضت عن إيراد الإسرائيليات مقارنة بالمدارس الأخرى ، فقد كان عبد الله بن مسعود ينكر الأخذ عن أهل الكتاب وينهى عن كثرة التحديث عنهم ، وقد أثر عنه «أنّه جاءه رجل من الشام ، فقال له من أين جئت ؟ قال من الشام ، قال من لقيت ؟ قال لقيت كعبا ، فقال ما حدّثك كعب ؟ قال : حدثني أنّ السموات تدور على منكب ملك ، قال فصدّقته ، أو كذّبته ؟ قال ما صدّقته ولا كذّبته ، قال لوددت أنّك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها ، كذب كعب إنّ الله يقول:

«إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده»«[310]» وروى عبد الرحمان بن زيد عنه أنّه قال:« لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فتكذبوا بحق ، أو تصدقوا بباطل ، فإنّهم لم يهدوكم ويضلوا أنفسهم ، وليس أحد من أهل الكتاب إلاّ وفي ملتّه تالية ، تدعوه إلى تاليته كتالية المال»«[311]» كما انتهج تلاميذه من بعده هذا النهج ، فلذلك قلّ المروي عنهم في جانب الإسرائيليات ، ومن يطالع كتب التفسير بالمأثور يلمس هذا .«[312]»

المبحث الثاني: خصائص التفسير ومميزاته في هذه المرحلة(الصحابة والتابعين)

المطلب الأول : مرحلة الصحابة:

امتاز التفسير في جيل الصحابة بخصائص نجملها فيما يأتي:

1. الاعتماد على الرواية وعدم التدوين، لقلة الأدوات والوسائل في تلك المرحلة.
2. قلة الاختلاف بينهم في فهم معاني القرآن تفسيره وإن اختلفت عباراتهم.
3. عدم استقلال التفسير في هذه المرحلة كمادة، وعدم تميزه عن فروع العلوم الإسلامية الأخرى، بل كان يروى كباب من أبواب الحديث.
4. قلة الأخذ بالإسرائيليات والنصرانيات في التفسير.

---

[310] ـسورة فاطر : الآية 41، الأثر أورده الطبري في جامع البيان ، ج 22 ، ص 144.

[311] ـ انظر : المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة ، ط 1، تحقيق مختار أحمد الندوي ، الهند ، الدار السلفية ، د ت ،ج9 ، ص 48.

[312] ـ انظر : تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة ، عبد الله بن علي الخضيري ، ج 1، ص 579ـ 589، بتصرف .

5. عدم التأثر بالمذاهب الفقهية والعقدية نظراً لعدم ظهور هذه المذاهب بعد، ونظراً لصفاء عقائدهم واستقامة فطرهم.

6. عدم التكلف في التفسيراً والتعمق فيه واكتفائهم بالمعنى الإجمالي يكفيهم في معنى ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾(313)، أنه تعدا د لنعم الله على عباده، مكتفين في توضيح المعنى اللغوي بأخصر ما يؤدي ذلك المعنى من العبارات وأقربه ففي قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾(314)، مثلاً يقولون: غير متعرض لمعصية.

7. الاستعانة بالشعر الجاهل والإسلامي في تعرف معاني القرآن الكريم.«[315]»

المطلب الثاني: مرحلة التابعين:

تميز التفسير في هذه المرحلة بخصائص يمكن أن نجملها فيما يأتي:

1. كثرة الأخذ بالإسرائيليات، وذلك لكثرة من دخل في الإسلام من أهل الكتاب في هذه المرحلة.
2. كثرة الخلاف بين التابعين في تفسير معاني القرآن الكريم زيادة عمّا كان في جيل الصحابة، وإن كان ذلك أيضاً قليلاً بالنسبة لما حدث بعد ذلك في الأجيال المتلاحقة.
3. بداية ظهور بوادر التأثر بالمذهب العقدي في التفسير نظراً لظهور بعد المذاهب العقدية.

---

313 ـ سورة عبس: الآية 31

314– المائدة: الآية 3

315 ـانظر : التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، ط8 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1424 هـ 2003م، ج 1 ، ص 73.

المطلب الثالث: توجيه الخلاف بين السلف في التفسير

يعد الخلاف في التفسير بين السلف قليلاً بالنسبة لمن جاء بعدهم وكان خلافهم في الأحكام أكثر من خلافهم في التفسير، والخلاف الواقع في التفسير بين السلف يرجع إلى اختلاف عبارة أو اختلاف تنوع، لا اختلاف تباين وتضاد،ويمكن إرجاع الخلاف الواقع في التفسير بين السلف غالباً إلى الأنواع الآتية:

النوع الأول: الاختلاف في التعبير دون المعنى:

وذلك بأن يفسر كل واحد منهم اللفظ بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى بمنزلة أسماء الله الحسن وأسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأسماء القيامة، فالمسمى في كل ذلك واحد- لكن كل اسم يدل على معنى غير الذي في الآخر.

ويمكن التمثيل لهذا النوع بما يأتي:

1. تفسيرهم لقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾«316»فقيل: ذكره: قرآنه، وقيل: كتابه، وقيل كلامه، وقيل: هداه.
2. تفسيرهم للصراط المستقيم فقيل: هو اتباع القرآن لقوله صلى الله عليه وسلم، في حديث الترمذي:« ضرب الله صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران وفي السورين أبواب مفتحة، وعلى الأبواب سور مرخاة وداع يدعو من فوق الصراط، وداع يدعو على رأس الصراط قال: فالصراط المستقيم هو الإسلام ،والسوران

316 ـ سورة طه : الآية 124

حـدود الله ،والأبـواب المفتحـة محـارم الله ،والـداعي علـى رأس الصـراط كتـاب الله، والـداعي فـوق الصـراط واعـظ الله في قلـب كـل مـؤمن»(317).وقيـل: أي في تفسـير الصـراط – هـو اتبـاع السـنة والجماعـة،وقيل هـو طريـق العبوديـة،وقيل هـو طاعـة الله ورسوله،وهذه التفاسير مقبولة وإن اختلفت عباراتها.

النوع الثاني: الاختلاف في التمثيل:

وهو الاختلاف في التمثيل بنوع من أنواع الحقيقة الواحدة ذات الدلالة العامة فكل واحد منهم يذكر نوعاً من أنواع الجنس العام على سبيل التمثيل لاعلى سبيل الحد الجامع المانع المطابق للحدود ومن أمثلة ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾«318» ، فقيل: السابق من يصلي في أول الوقت والمقتصد من يصلي في أثناءه، والظالم من يصلي بعد فوات الوقت،وقيل السابق: من يؤدي الزكاة المفروضة مع الصدقة، والمقتصد من يؤدي الزكاة فقط، والظالم من يمنع الزكاة.

النوع الثالث: اختلافهم في تفسير اللفظ المشترك:

وذلك أن يذكر كل واحد منهم معنى من معاني الكلمة التي تحتمله كما ورد في الألفاظ الآتية:

---

317 ـ رواه الترمذي :أبواب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب ما جاء في مثل الله لعباده ، رقم 3019 ، ج 4 ، ص 222 ،عن النواس بن سمعان الكلابي.

318 - فاطر : الآية 32

قروء من قوله تعالى ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾«319»، قيل: هو الطهر، وقيل: هو الحيض.

قسورة من قوله تعالى :﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾«320»،قيل: هو الرأي، وقيل: هو الأسد.

عسعس من قوله عز وجل ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾«321»،يراد به: إقبال الليل، ويراد به إدباره.

إمّا لكونه متواطئاً في الأصل، لكنّ المراد به أحد النوعين أوأحد الشخصين كالضمائر في قوله تعالى، ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾«322».وكلفظ ﴿ وَٱلْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾«323».قيل الفجر: فجر عرفة، وقيبل: الصلاة التي تفعل عند الفجر ،وكقوله عز وجل: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴾«324»قيل :هي الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم ، وقيل هي: النجوم.

فمثل ذلك يجوز أن يراد به كل المعاني التي قالها السلف إمّا لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة وإمّا لكون اللفظ مشتركاً يجوز أن يراد به معنياه وإمّا لكون اللفظ متواطئاً فيكون عاماً إذا لم يكن لمخصصه موجب.

---

319 ـ سورة البقرة: الآية 228

320 ـ سورة المدثر:الآية 52

321 ـ سورة التكوير:الآية 17

322 ـ سورةالنجم:الآيتان 8 ـ 9

323 - سورةالفجر:الآيات 1 ـ 3

324 -سورةالنازعات: الآيات 1 ـ 3

النـــوع الرابـــع: أن يعـــبروا عـــن المعـــاني بألفـــاظ متقاربـــة أومترادفـــة كمـــا في قولـــه تعـــالى: ﴿ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ ﴾«325» قيـــل في تفســـيره أن تحـــبس نفـــس، وقيل: ترتهن وكل ذلك متقارب.

النوع الخامس: تعدد القراءات

أن يكـون في الآيـة قراءتـان أوقـراءات فيفسـر كـل منـهم الآيـة علـى قـراءة مخصوصـة، فـيظن ذلـك اختلافـاً في التفسـير ولـيس كـذلك، ومـن الأمثلـة علـى هـذا النوعقولـه تعـالى:﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾«[326]»فسـرت تـارة ب: سـدت وفسـرت بـ: أخـذت، ولـيس هـو اخـتلاف في التفسـير، لكـن التفسـير الأول للقـراءة الـتي فيهـا تشـديد (سكرتْ) والتفسير الثاني للقراءة التي فيها تخفيف الكاف (سُكِرت).«[327]»

قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾«328»

فسّرت بأنّـه القطـران الـذي تطلـى بـه الإبـل تـدهن بـه، وفسّـرت بأنّهـا النحـاس المـذاب، والتفسير الثاني على قراءة من قرأ : قطران على أنّهما كلمتان، بالتنوين فيهما.

---

[325] ـ سورة الأنعام : الآية 70

[326] ـ سورة الحجر : الآية15

[327] ـ سورة قرأ ابن كثير المكي بالتخفيف وباقي العشرة بالتشديد ، انظر: البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبد الفتّاح القاضي ، ط 5 ، القاهرة ، دار السلام ، 1432 هـ 2011.، ج 1 ، ص 467 .

[328] ـ سورةإبراهيم : الآية 50

قولـه تعـالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾«329»فسّـرت تـارة: بأنّـه الجمـاع، وتـارة بأنـه اللمـس باليـد فالتفسـير الأول علـى القـراءة الـتي فيهـا الألـف، والثانيـة علـى حـذف الألـف«330» فـأكثر الخـلاف في التفسـير عـن السـلف لا يعـدو هـذه الوجـوه فـإنّ وجـد اخـتلاف محقـق ممـا لا يـدخل تحـت هـذه الأنـواع، سـلك بـه فريـق الترجـيح وذلـك بالصـحة في الروايـة أو القـوة في أحدا المعاني أو التوقف والتفويض«331».

المبحث الثالث: مرحلة تدوين التفسير بعد عصر الصحابة والتابعين

انتقل التفسير مع تطور الزمن إلى مرحلة أخرى هي مرحلة التدوين وذلك أيضاً في تدرج ملحوظ حسب خطوات معينة كالآتي:

المطلب الأول: التدوين غير المستقل:

وذلك عندما ابتدأ تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان التفسير كباب من أبواب الحديث، ولم يفرده العلماء في هذه الخطوة بالتأليف ولا استوعب تفسير جميع القرآن ، وكان التفسير المدون في هذه الخطوة عبارة عن المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين، ومن أهم من دوّن التفسير بهذه الطريقة من يأتي:

1. يزيد بن هارون السلمي (ت 117هـ)
2. شعبة بن الحجاج (ت 160هـ)

329ـ النساء: الآية43.

330ـ قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بحذف الألف التي بين الألف واللام والباقون بإثباتها ،انظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبد الفتاح القاضي ، ج 1 ، ص 198.

331ـ انظر: التفسير والمفسرون : الذهبي، ج 1 ، ص 8 9 ـ 102.

3. وكيع بن الجراح (ت 197هـ)

4. سفيان بن عيينة (ت 198هـ)

5. روح بن عبادة البصري (ت 205هـ)

6. عبد الرزاق بن همام (ت 211هـ)

7. آدم بن أبي إياس (ت 220هـ)

8. عبد بن حميد (ت 249هـ)

المطلب الثاني- التدوين المستقل

انتقل التفسير عن الحديث في خطوة لاحقة فدوّن مفرداً كعلم قائم بنفسه وكان التفسير في هذه المرحلة مستوعباً لجميع آيات القرآن مرتباً حسب ترتيبها في المصحف وقد تمّ ذلك على أيدي علماء من أبرزهم:

1- محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (ت 273هـ)

2- محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)

3- أبوبكر بن المنذر النيسابوري (ت 318هـ)

4- ابن أبي حاتم (ت 410هـ)

5- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405هـ)

6- أبوبكر بن مردويه (ت 410هـ)

وقد تميزت مصنفات هؤلاء المفسرين بالآتي:

1- أنّها مروية بالأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوإلى الصحابة أوإلى التابعين أو تابعي التابعين.

2- أنها خالية – غالباً- من التفسير بالرأي والاجتهاد الشخصي ما عدا ابن جرير الطبري فإنه يذكر الأقوال بأسانيدها ،ثم يوجهها ويرجح بعضها على بعض ويخوض في الإعراب، ويستنبط الأحكام من الآيات.

3- أنها خالية من نقد الروايات، والكلام فيها بالتصحيح أو التضعيف اكتفاء منهم بذكر السند.

4- جمعت هذه الكتب مع المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين الإسرائيليات وتوسعت في ذلك.«[332]»

[332] ـ انظر: التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، ج 1 ، ص 104 ـ 105.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع:

التفسير المأثور وأهم خصائصه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: حول التفسير بالمأثور وأهم خصائصه

التفسير إمّا أن يقوم على قاعدة الرواية والأثر، وإمّا أن يقوم على أساس الاجتهاد والنظر، ويسمى النوع الأول التفسير بالمأثور ويسمى النوع الثاني التفسير بالرأي، وفي هذا المبحث بيان لمعنى النوع الأول وذكر لأهم خصائصه.

المطلب الأول: معنى التفسير بالمأثور:

التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي، يشمل التفسير الذي جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل، حيث ما أجمل في آية فسر في أخرى، ويشمل التفسير الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم في سنته كذلك فكم من الآيات الكريمة جاءت مجملة ففصلتها السنة النبوية، وكم من آية جاءت عامة أومطلقة فخصصتها السنة أو قيدتها.

كما يشمل أيضاً التفسير الوارد عن الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا زمن نزول الوحي، وشهدوا أسباب النزول فكانوا أعلم الناس بتفسير القرآن العظيم.

كما أدرج العلماء ضمن التفسير بالمأثور، تفاسير التابعين وألحقوه به لاعتبارهم عايشوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتتلمذوا على أيديهم واستقوا علومهم منهم، وهذه كتب التفسير مشحونة بأقوالهم وتفاسيرهم مثل تفسير الإمام الطبري ومن نهج نهجه كالثعالبي في تفسيره الكشف والبيان والبغوي في معالم التنزيل، والسيوطي في الدر المنشور،وابن كثير في تفسير القرآن العظيم«333».

333ـ انظر: – أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمان العك ، د ط، دار النفائس ، 1406هـ – 1986م ، ص: 111.

المطلب الثاني :مصادر التفسير بالمأثور

الفرع الأول : تفسير القرآن الكريم بالقرآن :

إنّ الناظر في القرآن الكريم يجده قد اشتمل على الإيجاز والإجمال والإطلاق والعموم كما يجده أيضاً قد اشتمل على الإيضاح والتبيين والتقييد والتخصيص، ولهذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير القرآن الكريم أن ينظر في آيات القرآن أولاً ويجمع ما تكرر منه، ويقابل الآيات بعضها ببعض يتيسر له تفسير القرآن بالقرآن،فحيثما ظفرنا بمطلبنا في ذلك من القرآن لم يجزأن نعدل عنه إلى غيره بوجه من الوجوه وذلك لأمور أربعة كلها من البدهيات المسلمة:

أحدها: أن صاحب البيت أدرى بالذي فيه، وأن خير من يفسر القول هو قائله نفسه.

ثانيها: أنّ من المعلوم بالدين بالضرورة أن القرآن هو المصدر الأول والدعامة الأساسية التي يقوم عليها بنيان الشريعة وبحيث لا يمكن أن يتم الإيمان بهذه الشريعة إلا بعد الأخذ بمحتوى هذا المصدر والإذعان لجميعه جملة وتفصلاً.

وثالثها: إن ذلك ولا ريب هو من جملة مقتضى الأوامر الإلهية الموجبة لطاعته فيما تنازعنا فيه فضلاً عما اتفقنا عليه من مثل قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾«334».

---

334 ـسورة النساء :الآية 59.

رابعها: كون القرآن كلام رب العالمين أفضل كل قول وأحسن كل حديث فلا يعد ل عن الأفضل ما أمكن إلى المفضول وأنه معجزة بجملته وتفصيله بلفظه ومعناه بهدفه وغايته إلى غير ذلك من عظيم خصائصه وكريم فضائله فكيف يدعه العاقل إلى ما دونه في جميع ذلك«335».

ومن صور تفسير القرآن بالقرآن تفصيل ما أجمل في بعض المواضع منه كقصة آدم وإبليس فقد جاءت مختصرة في بعض المواضع ثم جاءت مفصلة في مواضع أخرى، وكذلك قصة موسى مع فرعون،ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾«336»فسرتها الآية من سورة الأعراف: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾«337»

ومن صور تفسير القرآن بالقرآن تخصص العام من قوله تعالى: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾«338»فإنّ ما فيها من عموم خصص بمثل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾«339»ومن صوره تقييد المطلق من ذلك قوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ ﴾«340»، يخرج مطلق الدم وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ

335 ـ انظر: الدخيل في التفسير، إبراهيم عبد الرحمان خليفة ، دط ،دم ، دت ،ص 23 ـ 24.

336 ـسورة البقرة:الآية 37.

337 - سورةالأعراف :الآية 23.

338 ـ سورةالنساء :الآية 123

339 ـ سورةالشورى: الآية30

340 ـ سورة المائدة : الآية 3

فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾«[341]»يقيد التحريم بالدم المسفوح ، ومن صور تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين ما يتوهم أنه مختلف من ذلك خلق آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها ومن حمإ مسنون ومن صلصال في آيات أخرى فإن هذا ذكر للأطوار التي مر بها خلق آدم من مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه،ومن صوره التفسير بالقراءات القرآنية، فعامة كتب التفسير تذكر وجوه القراءات لاستبيان معاني الآية، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾«342»قرئت بالإفراد وسيعلم الكافر لمن عقبي الدار»،فيكون المراد بالكافر الجنس بدليل قراءة الكفار.وقد يجئ تفسير القرآن بالقرآن في سياق واحد كتفسير الهلوع في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾«343»،وكتفسير الطارق في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾«344»

الفرع الثاني: السنة النبوية:

السنّة من المصادر الهامة لتفسير كتاب الله التي لا غنى عنها لأي مفسر لأنّه من البديهي أنّه لا أحد أعلم بتفسير كتاب الله من الذي أنزل عليه ألا وهو رسول الله صلى الله عليه

---

[341]ـ سورة الأنعام : الآية 145

[342]ـ سورة الرعد :الآية 42

[343]ـ سورة المعارج :الآية19 – 21

[344]ـ سورة الطارق :الآية 2 – 3

وسلم،ومعرفة المفسر للتفسير النبوي ضرورية، حتّى لا يتقدّم على قول النّبي صلى الله عليه وسلم ، أو يخالفه.

لقد كلّف الله نبيه بالتبليغ للناس: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾«345»، كما كلّفه بالبيان ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾«346»إنّه من البديهي إذن أن يطلب تفسير القرآن في السنة النبوية انطلاقاً من هذه المسلمات.

أولها: إنّ خير من يمكن أن يفسر القرآن، ومن ينبغي أن يطلب منه تفسيره بعد الله تعالى في حكم كتابة هو رسوله صلى الله عليه وسلم الذي حدّثنا ربه فيما حدّث من وصفه أنّه: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾«[347]»،فهو إذن بمقتضى كونه رسولاً أولاً، ثمّ بمقتضى شهادة هذا النّص وأشباهه لا يمكن أن يقرّ على خطأ أبداً دع عنك أن يكون الخطأ في مثل هذا الأمر الجلل أي تفسير القرآن الكريم الذي هو أعظم معجزاته وأكبر آياته فإن جاز عليه الخطأ بمقتضى بشريته في يسير من الأمر فليس يجوز عليه في أهمّ المهمات بالنسبة له ولشريعته وأمته، بل إن جاز عليه الخطأ ولو في يسير من الأمر بمقتضى تلك البشرية فليس يجوز في عقل عاقل أن يقر عليه بمقتضى ماله من الرسالة، بل لامحالة يهديه ربه إلى صواب القول والعمل.

---

[345]ـ سورةالمائدة :الآية 67

[346]ـ سورة النحل :الآية 64

[347]ـ سورة النّجم : الآيتان 3 ـ 4.

ثانيا:- إنّ خير من يمكن أن يفسر الشئ من تكون أهمّ وظائفه بيان ذلك الشئ وقد صرّح بذلك في حكم الذكر ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾«348»فلا جرح بعد هذا أنّ من كان يطلب تفسير التنزيل من غير سنته صلى الله عليه وسلم مخالفاً لمنطق هذه الضرورية وموجبها.

ثالثا:- إنّ من المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أنّ السنة هي الأصل الثاني لهذا الدين والمصدر التالي للقرآن مباشرة في جميع كليات هذا الدين وجزئياته، فالمجاوز له إذن مع وجدان طلبته فيه راكب لعظيم مخالف لمقتضى ضروريات هذا الدين.

رابعاً:- إنّ طلب التفسير من السنّة هو من جملة مقتضى الأوامر الآلهية الموجبة لطاعة الرسول، والامتناع عن مخالفته في كل ما نأتي ومانذر من أمثال قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾«349».وقوله عز وجل ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾«350»إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة المتظافرة إلى وجوب طاعة الرسول ورد الأمر إليه والتسليم له«351» ، ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن جميع ما يشكل عليهم من القرآن وغيره مقدمين قوله امتثالاً للآية:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

348- سورة النحل :الآية44

349- سورة النساء :الآية59

350- سورة النور : الآية 63

351-

﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾«352»والناظر فيما ورد من التفسير الوارد في كتب السنّة يجد أن وجوه بيان السنة للقرآن كثيرة منها:

بيان المجمل: ففي قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾«353» فسّرها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولا حطة، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حنطة حبة في شعرة»«354».

وفي قوله تعالى﴿ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾«355»فسّرها الحديث القائل: «الحج عرفات – الحج عرفات – الحج عرفات أيام من ثلاث فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج»«356»

---

352 الحجرات : الآية 1

353 -البقرة :الآية 59

354 ـ رواه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ،باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم 3403 ، ج 2 ، ص 837 ،عن أبي هريرة .

355 ـ سورةالبقرة : الآية 203

356 - رواه الترمذي :أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،باب ماجاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج،رقم 848، عن عبدالرحمان بن يعمر .

تقييد المطلق :ومثاله قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ ﴾«357»فالصدقة والصيام والنسك مطلقات جاء تقييدها في حديث عبد الله من معقل قال:«قعدت إلى كعب بن عجرة في مسجد الكوفة فسألته عن فدية من صيام« فقال: حملت إلى رسول الله والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا أتجد شاة؟ قلت: لا قال فصم ثلاثة أيام، أوأطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من أطعام واحلق رأسك»«[358]» ، وقوله تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ﴾«359» فالوصية في هذا الموقع مطلقة قيدها بالثلث حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:« قلت يا رسول الله أنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنه واحدة أفأ تصدق بثلثي مالي؟ قال: لا قلت أتصدق بشطره؟ قال: لا قلت أفأتصدق بثلثه ؟قال: الثلث، والثلث كثير، إنّك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس»360

تخصيص العام:

ومثالـــه قولـــه تعـــالى﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾«361»خصّ عموم الظلم فيها بالشرك الحديث الذي رواه الشيخان: لما نزلت الذين آمنوا ولم

---

[357] ـالبقرة : الآية 196

[358] ـ رواه البخاري : كتاب الحج ، أبواب المحصر وجزاء الصيد ، باب قول الله تعالى « فمن كان منكم مريضا أوبه أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ،رقم 1814 ، ج 1 ، ص 340عن كعب بن عجرة .

[359] ـ سورة النساء : الآية 11

[360] ـ رواه البخاري : كتاب الجنائز ، باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة ، رقم 1295 ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه. ج 1 ، ص 306.

[361] ـ سورة الأنعام : الآية 82

يلبسوا إيمانهم بظلم»فشق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله وأيّنا لم يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنّما هو الشرك.ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه؟ يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم»«362»، وقوله تعالى:﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾«363»خصّ عموم الوارثين والمورثين حديث أسامة بن زيد نّن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم»«[364]».

بيان المشكل:

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾«365» ، فسّره حديث أبي أمية الشعباني قال: سألت أباثعلبة عن «يا أيها الذين آمنو عليكم أنفسكم» فقال:« أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتّى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك كافة نفسك ودع

---

[362]ـ رواه البخاري : كتاب التفسير ، سورة الأنعام ، باب قوله تعالى ،«الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم»رقم 4692 ،ص 1139.

[363] ـ سورة النساء :الآية 7

[364]ـ رواه البخاري ، كتاب الفرائض ،باب لايرث المسلم الكافر ولايرث الكافر المسلم،رقم 6764 ، عن أسامة بن زيد.ج 4 ، ص 1698.

[365] ـ سورة المائدة : الآية 105

العـوام »«366»، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾«367» أشكل على بعض الناس قوله «يا أخت هارون» وجاء بيانه في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال:« بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم- إلى نجران فقالوا إلي: ألستم تقرؤن«يا أخت هارون» وقد كان بين موسى وعيسى ما كان فلم أدر الجواب فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم- فأخبرته فقال:ألا أخبرتهم أنّهم كانوا يستمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم »«368».

شرح الألفاظ والعبارات ومن أمثلة ذلك قوله تعالى

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾«[369]»جاء بيان المراد من الخيط الأبيض والخيط الأسود في حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال:« قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهمّها الخيطان؟ قال: إنّك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين: هما سواد الليل وبياض النهار.»«370».

---

(366)ـ رواه الترمذي : أبواب تفسير القرءان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة المائدة ،رقم5051، ج 4 ، ص 323،عن ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ

367ـ سورة مريم : 28

368ـ رواه الترمذي : أبواب تفسير القرءان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ومن سورة مريم ، رقم 5164،ج 4 ، ص 377 ،عن المغيرة بن شعبة.

369 ـ سورة البقرة : الآية 187

370 ـرواه البخاري : كتاب تفسير القرءان ، سورة البقرة ، باب قوله تعالى « وكلوا واشربوا حتّى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »،رقم 4510 ، ج3 ، ص ،1102 عن عدي بن حاتم .

بيان ما يندرج تحت اللفظ العام:

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾«371» نبهت السنّة على أهمّ أنواع القوة، قال عقبة بن عامر: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية «وأعدوا لهم»قال: «إنّ القوة الرمي ثلاث مرات». «372».

ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾«373»

جاءت الآية في سياق مخاطبة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لا يدل ذلك على أنّ أهل بيته من أزواجه فقط، بل يدخل فيه أول ما يدخل ذريته صلى الله عليه وسلم وأقاربه وبيّنت السنّة ذلك في حديث عمر بن أبي سلمة قال: «لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية «إنما يريد الله ...» في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسناً وحسين فجللهم بكساء ثم قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» «374».فالآية فيها حصر بأداة هي إنّما تعد من أقوى

---

371 ـالأنفال : الآية 60

372 - رواه مسلم : كتاب الإمارة ، باب فضل الرمي والحث عليه، رقم 3362، عن عقبة بن عامر .

373 - سورةالأحزاب :الآية 33

374 ـ رواه الترمذي ، أبواب تفسير القرءان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .باب ومن سورة الأحزاب ، رقم 3258، ج 5 ، ص 30، عن عمر بن أبي سلمة .

أدوات الحصر تخرج ما فيها مما بعدها فهي تحصر ما بعدها فقط وهذا هو الصواب لدى النحاة وجاء إلى تقسيم أكثر التقاسيم المعتمدة كالزّمخشري والوطن وأبي حباب وأبي عقبة ونحويه والطبري وغيرهم، هذا أولا، وثانياً أنّ الخطاب بواو الجماعة موجه للذكور هنا، هذا الخطاب التي قبل هذا في السورة نفسها كان يسلط الضوء على النساء ليست داخلاً فيصدق هذه الآية لما ورد من التهديد باطلات وإبداله صلى الله عليه وسلم بغيرهن.

تفصيل ما أوجز من القصص القرآنية:

من ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخضر مع موسى عليه السلام. «[375]»، وحديث صهيب رضي الله عنه في النبي صلى الله عليه وسلم في قصة أصحاب الأخدود.«[376]»

الفرع الثالث: تفاسير الصحابة

إنّ الصحابة هم تلاميذ الرسول صلى الله عليه وسلم- وهم الذين شاهدوا الوحي والتنزيل وقد رزقوا من الإيمان والإخلاص والإتباع، ومن العلم والفهم ما يجعلهم أ قدر الناس على فهم مرامي الشرع، إذ هم رأوا الأحوال التي نزلت النصوص فيها فيكون كلا مهم فيها أجدر الكلام بالإتباع.

وإنّ احتمال أن تكون آراؤهم سنة نبوية قريب لأنّهم كثيرا ما يذكرون الأحكام التي بيّنها النّبي صلى الله عليه وسلم- من غير أن يسندوها إليه، ولما كان ذلك الاحتمال قائماً مع أنّ رأيهم له وجوه من

[375]- رواه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ، رقم 3400.، ج 2 ، ص 835 ، عن ابن عباس.

[376]- رواه مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود ، ج 8 ، ص 229 230 ، عن صهيب رضي الله عنه.

القياس والنّظر كان رأيهم أولى بالإتباع لأنّه قريب من المنقول موافق للمعقول، فإذا لم يجد المفسر طلبته في التفسير من القرآن والسنة عاد إلى أقوال الصحابة، وحجية تفسير الصحابة كما صاغها الإمام الذهبي كالآتي:

1- تفسير الصحابة له حكم المرفوع إذا كان ممّا يرجع إلى أسباب النزول، وكل ما ليس للرأي فيه مجال، أمّا أن يكون للرأي فيه مجال فهو موقوف عليه ما دام لم يسنده.

2- ما حكم عليه بالوقف تختلف فيه أنظار العلماء:

فذهب فريق آخر إلى أنّه يجب الأخذ به لظنّ سماعهم له من النبي صلى الله عليه وسلم ولأنّهم إن فسروا برأيهم فرأيهم أصوب لأنّهم أدري الناس بكتاب الله إذ هم أهل اللسان ، ولبركة الصحبة والتخلق بأخلاق النبوة، ولاسيما علماؤهم وكبراؤهم.

3 ـ وتظهر حجية تفسير الصحابة بشكل أوكد فيما أجمعوا عليه من تفسير ،فإذا وجد المفسر هذا الإجماع في تفسير لفظة، أوإقرار حكم ،أو نقل سبب نزول فليس لأحد أن يتجاوز إجماعهم.

4 وإذا تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذّر ذلك ننظر في دليل كل واحد ونأخذ بأقوى الأدلة في حدود ضوابط الترجيح المعروفة عند العلماء.«[377]»

أنواع تفسير الصحابة:

دلّ الاستقراء على أنّ المروي عن الصحابة في التفسير أنواع منها الآتي:

[377] ـ انظر: التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 72.

1- بيان سبب النزول وهو أهمّ ما يروى عن الصحابة من التفسير وهو من أصول التفسير المهمة لا غنى للمفسر عنه، وقد بسط القول فيه في كتب أصول التفسير وعلوم القرآن وأفرد بمصنفات.

2- تفسير الصحابة للقرآن على ضوء ما عرفوا من عادات العرب وتقاليدهم وأحوالهم- ولهذا النوع من التفسير أهمية كبرى وهو قريب من أسباب النزول، ولقد نبّه الشاطبي في الموافقات إلى أهمية معرفة عادات العرب وقت نزول القرآن، ودوره في كشف مقاعد القرآن فقال: «ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوا لها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل وإن لم يكن ثمّة سبب خاص لابد لمن أراد الخوض في علوم القرآن منه وإلاّ وقع في الشبه والإشكاليات التي يتعذر الخروج منها إلاّ بهذه المعرفة«378» ، ومن الأمثلة على هذا النوع من التفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾«379»

---

[378] ـ الموافقات في أصول الأحكام : أبو إسحاق إبراهيم اللّخمي الشاطبي ، د ط ، بيروت ، دار الفكر ، دت ، ج3 ، ص 204.

[379] ـ سورةالبقرة : الآية 189

جاء في بيان معناها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال:«كانوا في الجاهلية إذا أحرموا أتوا البيت من ظهره فأنزل الله تعالى: «وليس البرّ بأنّ تأتوا البيوت من ظهورها..»«380» ،وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾«381»

يشرح معناها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلمّا جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها وذلك قوله: «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس.. »«382»

3- بيان المبهم الذي نزل فيه القرآن:

ومثاله قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾«383» قال ابن عباس في هذه الآية:« هم كفار أهل مكة»«384»، وقوله تعالى:«﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾«385»قال

---

380 ـ رواه البخاري : كتاب تفسير القرءان ، سورة البقرة ، باب قوله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكنّ البر من اتقى » ، رقم 4512 ، ج 3، ص ،140 ،عن البراء بن عازب .

381 ـ سورةالبقرة : 199

382 ـ رواه البخاري:كتاب تفسير القرءان ، سورة البقرة ، باب « ثمّ أفيضوا من حيث أفاض الناس » ،رقم 4520 ، ج 3 ، ص 142،عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ

383ـ سورةإبراهيم : الآية 28

384 ـ رواه البخاري : كتاب التفسير ، سورة إبراهيم ، باب قوله «ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار» ، رقم 4700 ، ج 3 ، ص ، 1166 ، عن ابن عباس .

385 ـ سورة آل عمران : الآية 122

جابر بن عبد الله في تفسيرها «فينا نزلت نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب أنها لم تنزل لقوله تعالى: والله وليهما»«386»

4- **بيان النسخ**: من وجوه تفسير الصحابة بيان النسخ

ومثاله حديث سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾«387»كان من أراد أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية الأخرى التي بعدها فنسختها». «388»

5- تفسير معاني المفرادات:

وهذا النوع من أهمّ أنواع تفسير الصحابة الذي يعتبر حجة لأنّهم أهل اللغة والعربية لغتهم وهم أدرى بها ممن جاء بعدهم من أئمة اللغة الذين يأخذون علمها عن الأعراب وقد اشتهر بهذا النوع ابن عباس رضي الله عنهما وثبت عنه من ذلك الشئ الكثير.

وقد أورد السيوطي في الإتقان من ذلك ما يكاد يستوعب تفسير جميع غريب مفردات القرآن واعتمد في ذلك على ما روى عنه من طريق علي ابن أبي طلحة لأنّها أصح الطرق عنه وعليها اعتمد البخاري في جميعه«389»،ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ

386- رواه البخاري: كتاب تفسير القرءان ، سورة آل عمران ، باب قوله تعالى« إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا »رقم 4558، ج 3 ، ص 1117 ، عن جابر رضي الله عنه.

387- سورة البقرة : الآية 184

388- رواه البخاري : كتاب التفسير ، سورة البقرة ، «باب فمن شهد منكم الشهر فليصمه »، رقم 4507 ،ج 3 ، ص 1101، عن سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه -

389- انظر: الإتقان في علوم القرآن : ط 4 ، بيروت ، دار المعرفة ، دت ، ج 1، ص 150 - 151.

﴾«390»عن ابن عباس قال:« هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه». «391»

وقوله تعالى: «﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾«392»، عن عبد الله بن مسعود قال: «الأمة: معلم الخير والقانت: المطيع». «393»

6- بيان ما يتصل بالغيبيات:

وهذا النوع يعتبر عند العلماء في حكم المرفوع، إذ لا يمكن القول فيه بالرأي والاجتهاد، فلابد فيه من الرواية، والصحابة لا يروون مثل هذا إلاّ عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومثاله قول عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾«394»أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل

---

390 ـالحجر : الآية 91

391 - رواه البخاري : كتاب التفسير ، سورة الحجر ، باب قوله تعالى « الذين جعلوا القرءان عضين » ،رقم 4705 ، ج 3 ، ص 1168، عن ابن عباس .

392 ـ سورة النحل : الآية 120

393 ـ رواه البخاري : كتاب تفسير القرءان ، سورة النحل ، ج 3 ، ص 1169، عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ .

394 ـ سورة النجم : الآيات 9 ـ 10 ـ 11 ـ 12

لـه سـتمائة جنـاح.«[395]» ، وقـول ابـن عبـاس في قولـه تعـالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾«396»رأى رفرفاً أخضر قد سدّ الأفق«397»

7ـ توجيه القراءات

ومثاله حديث عائشة في توجيه قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾«398»

قال عروة رضي الله تعالى عنه لعائشة: «أكذبوا أم كذّبوا» قالت: كذبوا، قلت فقد استيقنوا أنّ قومهم كذبوهم فما هو بالظن، قالت: أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنّهم قد كذبوا، قالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت، فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباعالرسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخد عنهم النصر حتى استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أنّ أتباعهم قد كذّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك«399»

---

[395]ـ رواه البخاري : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى ، رقم 4856، ج 3 ، ص 1235 ، عن عبد الله بن مسعود .

[396]النجم : الآية 18

[397]- رواه البخاري : كتاب التفسير ، باب قوله تعالى :«لقد رأى من آيات ربّه الكبرى» ، رقم 4858 ، ج 3 ، ص 1235،عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

[398] ـ سورة يوسف: الآية 110

[399]ـ رواه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ، رقم 3389 ، ج 2 ، ص 381 ، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ

الفرع الرابع : تفسير التابعين

إنَّ من أهم مصادر التفسير المأثور تفاسير التابعين بإحسان قال شيخ الإسلام ا بن تيمية: «إذا لم تجد التفسير في القرآن، ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين كمجاهد بن جبر، فإنه كان آيةً في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف علي ابن عبّاس ثلاث عَرضَات فاتحِتِه إلي خاتمتِه أوقفه عند كل آيةٍ منه وأساله عنها».[400]

وقال ابن جرير: «عن ابن أبي مليكة قال رأيت مجاهداً سأل ابن عباس عن تفسير القرآن. ومعه ألواحه قال: فيقول له ابن عباس: اكتُب حتى سأله عن التفسير كله، ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»«[401]».

ومن التابعين سعيد بن جبير، وعكرمة مولي ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيَب، والربيع بن أنس والضحاك بن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم كما بيّن شيخ الإسلام بن تيمية حكم الخلاف المنقول عن التابعين بقوله: «فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسها من لا علم عنده اختلافاً فيحيكها أقولاً وليس كذلك، وإنّ منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره ومنهم من ينص علي الشيء بعينه والكل بمعني واحدٍ في كثير من الأماكن فليتفطن اللبيب لذلك »«[402]»

وعن حجيّة التفسير المأثور عن التابعين يقول الشيخ حسين الذهبي: «اختلف العلماء في الرّجوع إلي تفسير التابعين. والأخذ بأقوالهم إذا لم يؤثر في ذلك شيء عن الرسول صلي الله عليه وسلم، أو عن الصحابة رضوان الله عليهم فنقل عن الإمام أحمد رضي الله عنهم روايتان في ذلك؛ رواية بالقبول ورواية بعد القبول.

---

[400]ـ انظر :مقدمة جامع البيان في تفسير القرءان ، الطبري ، ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا .، ج1 ، ص 85 .

[400]ـ المصدر نفسه :ج 1، ص 85

[402]ـ انظر : مقدمة في أصول التفسير : ابن تيمية ، شرح مساعد الطيار ، ص 259 .

و ذهب العلماء إلي أنّه لا يؤخذ بتفسير التابعي، واستدل أصحاب هذا الرأي علي ما ذهبوا إليه بأنّ التابعين ليس لهم سماع من الرسول صلّي الله عليه وسلم. فلا يمكن الحمل عليه كما قيل في قول الصحابي: إنّه محمول علي سماعه من الرسول صلي الله وعليه وسلم، وأنهم لم يشاهدوا القرائن والأحوال التي نزل عليها القرآن، فيجوز عليهم الخطأ في فهم المراد، وظن ما ليس بدليلٍ دليلاً ومع ذلك فعدالة التابعين غير منصوص عليها كما نص علي عدالة الصحابة وقال الإمام مجاهد: «عرضت المصحف علي ابن عباس ثلاثَ مرات عَرضَاتٍ من فاتحته إلي خاتمته أوقفه عند كل آية وأساله عنها»«[403]».

وقتادَة يقول: «ما في القرآن آية إلاَّ وقد سمعتَ فيها شيئاً»«[404]»ولذا حَكي المفسرين أقوال التابعين في كتبهم وتقلوها عنهم مع اعتمادهم لها.

خلص الذهبي إلي الترجيح فقال:

«والذي تميل إليه النفس هو أنّ قول التابعي في التفسير لا يجب الأخذ به إلاَّ إذا كان ممّا لا مجال للرأي فيه، فإنّه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة، فإن ارتبنا فيه بأن كان يأخذ من أهل الكتاب ، فلنا أن نترك قوله ولا نعتمد عليه أمّا إذا أجمع التابعون علي رأي فإنّه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعّداه إلي غيره». «[405]»وقال شيخ الإسلام بن تيمية: «قال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني أنها لا تكون حجة علي غيرهم ممن خالفهم، أمّا إذا أجمعوا علي الشيء فلا يرتاب في كونه حجةً، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجةً علي قول بعضٍ، ولا علي بَعَدهم ويْرجع في ذلك إلي لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك» «[406]»

---

[403] ــ انظر : مقدمة جامع البيان في تفسير القرءان : ابن جرير الطبري ، ذكر الأخبار عن بعض السلف فيمن كان من قدماء المفسرين محمودا ، رقم 85 .

[404] ــ رواه الترمذي: أبواب تفسير القرءان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ماجاء في الذي يفسر القرءان برأيه ، رقم 4025 ، ج 4 ، ص 269، عن قتادة .

[405] ــ انظر :التفسير المفسرون ،ج 1 ،ص96.

[406] ــ انظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : بشرح مساعد الطيار ، ص 260 .

المبحث الثاني: أسباب ضعف التفسير بالمأثور

لقد اعترى التفسير بالمأثور فيما يتعلق بجانب الرواية عن الصحابة والتابعين نوعا من الضعف والخلل ممّا أضفى نوعا من الشك وفقدان الثقة في المروي عنهم الذي استدعى انتباه النقاد من المحدثين والمفسرين إلى ضرورة تمحيص الروايات وبيان الصحيح منها من السقيم ويرجئ العلماء أسباب الضعف إلى جملة من الأسباب ، وهذا ما أسعى لبيانه في هذا المبحث بعون الله .

المطلب الأول : الإسرائيليات:

من بين الأسباب الأولى التي أدّت إلى ضعف التفسير بالمأثور الإسرائيليات :

والإسرائيليات جمع إسرائيلية، نسبة إلي إسرائيل، ولفظ الإسرائيليات إذا أطلق في الاصطلاح العلمي أصبح يدل ليس فقط علي ما يروي عن اليهود من قصص وحوادث ومعلومات لكن يدل أيضاً علي كل ما يروي من مصادر نصرانية ،أو غيرها بل أصبح عند بعض المحدثين والمفسرين يدل علي كل ما دسته أعداء الإسلام لها وإنما يعني موضوعه من صنع أعداء الإسلام ليشوهوه بها كقصة الغرانيق، وقصة زواج الرسول صلي الله عليه وسلم من زينب بنت جحش.«[407]»

ولقدتسربت الإسرائيليات إلى الثقافة الإسلامية لأسباب عدّة تاريخية واجتماعية وموضوعية وبيان ذلك كالآتي:

الأسباب التاريخية:

أ ـ هجرة اليهود إلي جزيرة العرب وذلك في دورين:

الأوّل: في عهد الفتوح البابلية والآشورية في فلسطين، إذ نشأ عن ذلك الضغط علي اليهود وتخريب بلادهم وتدمير هيكلهم علي يد الملك «بختنصر» وذلك عام 587 ق.م وسبي أكثرهم إلى بابل وفرّ جماعة إلي الحجاز وتوطنت في ربوعها الشمالية.

الثاني: عند احتلال الرومان لفلسطين بقيادة« تيطس الروماني» سنة 70 م الذي ضغط علي اليهود ودمّر هيكلهم أيضا فهاجرت قبائل منهم أيضا إلي الحجاز واستقرت في يثرب وخيبر وتيماء.

---

[406] ـانظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث ، محمد حسين الذهبي ، ص 15.

ويزاد علي ذلك دخول النصرانية إلي بلاد العرب وذلك عبر احتلال الحبشة والرومان وكان أوّل احتلال الحبشة لليمن سنة 340م واستمر إلي سنة 378م ومعلوم أيضا أنّ النصرانية قد انتشرت في بعض قبائل العربي الغساسنة في الشام والمنادرة في الحيرة وكذلك تغلب وذلك لمجاورة الأوّلين للرومان وعمالتهم لهم.

ب ـ. أسفار العرب: ومن الظروف التاريخية التي هيّأت اتصال الثقافة الإسرائيلية بالثقافة العربية أسفار العرب للتجارة وخاصة مناطق نفوذ اليهودية والنصرانية في الشام واليمن وقد أشار القرآن لذلك في قوله تعالي﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾«[408]»

وفي ذلك يقول بعض المعاصرين : «وهكذا كان تسلسل الإسرائيليات نتيجة دخول هذه الديانات والملل إلى شبه جزيرة العرب قبل الإسلام بقرون، ودخول أقوام من العرب فيها ، وقيام نشاط تبشيري ووجود مراكز دينية يهودية ونصرانية ، وعوامل الجوار والتعايش بين العرب وأصحاب هذه الديانات ، والصلات التجارية بينهم ، ولقد كان للعرب رحلات تجارية أشهرها رحلة الشتاء إلى اليمن ، ورحلة الصيف إلى الشام ، وكان باليمن والشام يهود ونصارى ومراكز دينية يهودية ونصرانية ، وكانت صوامع الرهبان والأحبار منتشرة على الطرق الصحراوية، وكل هذا ساعد على تسرب الإسرائيليات إلى الثقافة العربية منذ عهد مبكر قبل ظهور الإسلام ...» «[409]»

ج ـــ. هجرة المسلمين من مكة إلي المدينة: ثمّ لما جاء الإسلام وضيّق كفار قريش علي المسلمين في مكة أمرهم الله بالهجرة إلي يثرب التي صارت بعد ذلك مدينة رسول الله – صلي الله علي وسلم. ومعلوم أن يثرب من المراكز الهامة التي استوطنها اليهود بعد هجرتهم الثانية عند فرارهم من اضطهاد تيطس الروماني كما سبق.

---

[408] ـ سورة قريش : الآيتان 1 ـ 2

[409] ـ انظر: تفسير الصحابة ، عبد الله أبو السعود بدر،ط 1 ، دار بن حزم ، 1421هـ ـ 2000 م، ص 70.

الأسباب الاجتماعية والنفسية :

وأمّا الأسباب الاجتماعية والنفسية التي أدت إلي دخول الإسرائيليات في التراث الإسلامي فقد شرحها ابن خلدون في مقدّمته ويتلخص ذلك في بداوة العرب وأميتهم مع ما جبل عليه الإنسان من حب المعرفة وخاصة لما يتعلق ببدء الخليقة وأسرار الوجود.

قال وهو يتحدث عن أسباب ضعف التفسير المأثور:« والسبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب وعلوم وإنّما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوفوا إلي معرفة شيء ممّا تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدون منهم وأهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصاري وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب»«[410]».

- الأسباب الموضوعية:

وأمّا الأسباب الموضوعية أو الذاتية فجماعها اتفاق كثير منها جاء في القرآن مع ما جاء في التوراة والإنجيل وخاصة في القصص كقصة آدم عليه السلام وقصص أنبياء بني إسرائيل وخاصة موسي عليه السلام وكقصة عيسي ومريم عليهما السلام لكن القرآن الكريم ما يحذف بعض تفاصيل هذه القصص فهو غالباً يُبْهِمُ ما جاء في نصوص الكتاب والسنة حول ما عند أهل الكتاب:

يدلّ الاستقراء أنّ ما جاء في نصوص الكتاب والسنة حول ما عند أهل الكتاب من علم ينقسم إلي قسمين:

(1) نصوص تثني علي ما عند أهل الكتاب مما جاء به الرسل والأنبياء وتستشهد به وتحتكم إليه في تأييد ما جاء به النبي – صلي الله عليه وسلم.

(2)نصوص تذم أهل الكتاب علي تركهم العمل بما عندهم من العلم الذي أنزله الله علي رسلهم وعلي كتمانهم للحق الذي يشهد لصحة نبوة محمد صلي الله عليه

[410]ـ انظر: مقدمة ابن خلدون « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمان بن خلدون ،د ط ، بيروت ، دار الجيل ، د ت ، ص 487.

وسلم وعلي تلاعبهم بتراث الأنبياء بالتحريف وبالتبديل والكذب علي الله ورسله، ونسبتهم إليهم ما لم يقولوه فمن القسم الأول:-

قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾«[1]»وقوله﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾«[2]»

وقوله :﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[3]

أسماء الأشخاص والأماكن ولا يذكر التواريخ فإذا تشوّق المسلمون إلي معرفة تفصيل ما أجمله القرآن من هذه الأمور قد لا يجدون ما يشبع أنفسهم وما يشبع نهمهم المعرفي إلاّ في هذه الإسرائيليات، فهذه الأسباب كلّها وغيرها تكاتفت وأدّت إلي تسرب الإسرائيليات بل انتشارها في التراث الإسلامي عامة وفي التفسير خاصة.

وقوله:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4]

فهذه النصوص أو أمثالها في القرآن تدل علي تصديق القرآن لما عند أهل الكتابين جملة وتستشهد به في تأييد صحة نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وتدعو المشركين وأهل الكتاب سواء إلي تصديق ما

---

[1] ـ سورة المائدة : الآية 44.

[2] ـ سورة يونس: الآية 94.

[3] ـ سورة الرعد: الآية 43

[4] ـ سورةالأنعام:الآية 20

جاء به واتباعه ولذلك جاءت آيات أخرى تثني علي من آمن من أهل الكتاب وتحتج بهم علي المعاندين من المشركين وأهل الكتاب منهم.

قوله تعالي:﴿ لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۝ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]

وقوله تعالي: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾«2»

وقوله:﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾«3»

وقوله :﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾[4]»

فالمقصود من سوق هذه النصوص وأمثالها بيان أنّ أهل الكتاب عندهم ما يصدق النبي – صلي الله عليه وسلم – فيما يكذبه الكافرون ، وقد فصّل الشيخ ـ ابن تيمية ـ وجوب تصديق ما عند أهل الكتاب لما جاء به النبي صلي الله عليه وسلم وتلخيص ذلك كالآتي:-

- أنّ الكتب المتقدمة تنطق بأنّ موسي وغيره من الأنبياء دعوا إلي عبادة الله وحده ونهوا عن الشرك. فكان في هذا حجة علي من ظن أن الشرك دين لذلك قال تعالي﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾«[5]»
- أهل الكتاب يعلمون أنّ الله إنّما أرسل إلي النّاس بشرا مثلهم لا ملائكة ذلك لأنّ من المشركين من يزعم أنّ الله لا يرسل إلاّ ملكا أو بشرا معه ملك ويعجبون من إرسال بشر دون ملك ظاهر وقد حكي الله عنهم هذا في أماكن من كتابه منها قوله تعالي:﴿ وَمَا مَنَعَ

---

[1] ـ سورة النساء: الآية 162

[2] ـ سورةالمائدة:الآيات83

[3] ـ سورةالإسراء: الآيتان 107-108.

[4] ـسورةالقصص: الآيتان 52-53.

[5] ـ سورة الزخرف : الآية 45

ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾«[1]»

- أنّ أهل الكتاب عندهم علم ما جري للرسل مع أممهم وكيف كان عاقبة المؤمنين بهم وعاقبة المكذبون لهم.

- أنّ أهل الكتاب عندهم من العلم ما فيه شهادات وبشارات بنبوة محمّد قوله تعالي﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾«[2]»

القسم الثاني: وهي النصوص التي توبخ أهل الكتاب علي تركهم العمل بما عندهم وكتمانهم للشهادة التي عندهم وتحريفهم له ومنها ما يأتي:

1- قوله تعالي:﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾«[3]»

2- قوله تعالي﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾«[5]»

3- قوله تعالي :﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾«[6]»

---

[1] ـ سورة الإسراء : الآية 94 ـ 95.

[2] ـ سورة الأعراف : الآية 157

[3] ـ سورة البقر ة : الآية 75

[5] ـ سورة البقرة : الآية 146

[6] ـ سورة آل عمران : الآية 23 ـ 24

4- قوله تعالي:﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾: «[1] »

5- قال تعالي: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾«[2]».

6- قال تعالي: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾«[3]»

7. قال تعالي: عن النصارى خاصة ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾«[4]»إلى أن قال تعالى :﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾«[5]»فهذه

---

[1] ـ سورة آل عمران : الآية 187

[2] ـ سورة النساء : الآيتان 44 ـ46

[3] ـ سورة المائدة الآية 41

[4] ـ سورة المائدة : الآيات 72 ـ 73

[5] ـ سورة المائدة : الآية 77

النصوص وأمثالها تثبت بجانب ما سبق. أنّ أهل الكتاب وإن كان معهم كثير من الحق الذي أنزله الله علي رسله وبيّن في كتبه والذي يشهد جملة بصحة ما جاء به محمد – صلي الله عليه وسلم – إلاّ أنّهم في الوقت نفسه حرّفوا الكثير من تلك النصوص وبدّلوا وغيّروا وكتموا كثيرا. أيضا- ممّا جاءت به الرسل والقرآن الكريم الذي أنزله الله علي خاتم أنبيائه محمد صلي الله عليه وسلم لما كان آخر الذي ضمن الله صحته وتكفل بحفظه إلي آخر الدّهر فقد جاء ليصحح التحريفات التي أدخلت علي دين الله في الكتب المتقدمة وليبين لأهل الكتاب وغيرهم أيضا كثيرا من العلوم النافعة التي كتمها علماء السوء من أهل الكتاب وليكمل جوانب النقص التي في الشرائع المتقدمة لكي تصلح للبقاء آخر الدهر تطبق في كل زمان ومكان والنصوص التي تدل علي هذا في كتاب الله كثيرة منها:

قوله تعالي:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾«[1] »

وقوله تعالي:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾«[2]»

وقوله تعالي: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾» «[3]»

وقال تعالي: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ ﴾«[1] »

---

[1] ـ سورةالمائدة : الآيتان 15 ـ 16

[2] ـ سورةالمائدة : الآية 19

[3] ـ سورةالنمل : الآيتان 76 ـ 77

ومعني الهيمنة: يتضمن كونه حافظا أمينا لما في الكتب المتقدمة ورقيبا عليها كما قال ابن جرير الطبري مستخلصا ذلك من أقوال الصحابة والتابعين.

ولنختتم هذه الفقرة بذكري ما جاء من نصوص السنة خصوصا في الموضوع بعد ما ذكرنا من نصوص الكتاب فنقول وبالله التوفيق.

المستقرئ لنصوص السنة في هذا الموضوع يجد أنّها تنقسم إلي ثلاثة أقسام:

1- نصوص تحذر من الأخذ عن بني إسرائيل.

2- نصوص تأمر بالتوقف فيما يروون.

3- نصوص تسمح بالرواية عنهم.

فالأول: وهي نصوص التحذير منها ما يأتي:

حديث أبي موسي الأشعري – رضي الله عنه – قال رسول الله صلي الله عليه وسلّم «إنّ بني إسرائيل كتبوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة»«[2]»

حديث ابن عباس موقوفا قال: كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل علي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أحدث تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم أنّ أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيدهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم إلا. والله منهم رجالا يسألكم عن الذي أنزل عليكم »«[3]»وروي أبو عمر بن عبد البرفي جامعه نحو هذاعن ابن عبّاس – رضي الله عنه.

والثاني: نصوص الأمر بالتوقف فمنها ما يأتي:

---

[1] ـ سورةالمائدة : الآية 48

[2] ـ انظر : المعجم الأوسط : الطبراني ،ط 1 ،تحقيق محمود الطحان ،الرياض ، مكتبة المعارف ،1415 هـ ـ 1995 م، باب الميم من اسمه محمد، رقم 5652 ، ج 6 ، ص 256 ،عن أبي بردة عن أبيه.

[3] ـ رواه البخاري : كتاب الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها،رقم 2685 ، ج 2 ، ص 648، عن ابن عباس.

حديث أبي هريرة قال: «كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله:لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم. قولوا آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل إليكم»«[1]».

حديث جابر أنّ عمر ابن الخطاب أتي النبي – صلي الله عليه وسلم – بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقال يا رسول الله إني أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب، قال فغضب وقال:أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيد لقد جئتكم بها بيضاء نقيّة لا تسألوهم عن شيء فيحدثوكم بحق فتكذبوا به أو باطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو كان موسي حيّا ما وسعه إلاّ أن يتبعني»«[2]».

حديث عبد الله – ابن مسعود موقوفا. قال «تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنّهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم أمّا أن يحدثوكم بصدق فتكذبوهم أو بباطل فتصدقوهم»«[3]».

الثالث: وهي نصوص الإباحة منها:

حديث عبد الله بن عمرو أنّ النبي قال «بلّغوا عنّي ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»«[4]».

حديث جابر قال: قال رسول الله «تحدثوا عن بني إسرائيل فإنّه كانت فيهم أعاجيب »«[5]»

---

[1] ـ رواه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام « لا تسألو أهل الكتاب عن شئ» ، رقم 7362 ، ج 4 ، ص 1844 .

[2] ـانظر: المصنف في الأحاديث والآثار، أبوبكر ابن أبي شيبة ،كتاب الأدب ، من كره النظر في كتب أهل الكتاب ، رقم 6472 ، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ.

[3] ـانظر:المصنف : عبد الرزاق الصنعاني ، كتاب أهل الكتابين ، باب لا يسأل أهل الكتابين عن شئ ، رقم 19212 ، عن عبد الله بن مسعود . ـ رضي الله عنه ـ .

[4] ـ رواه البخاري : كتاب أحاديث أهل الكتاب ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ،رقم 3416 ،ج 2 ،ص 852، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ .

[5] ـ رواه بن أبي شيبة في مصنفه : كتاب الأدب ، في الرخصة في الحديث عن بني إسرائيل ، رقم ، 6537، ج 9 ،ص 62، عن جابر ـ رضي الله عنه ـ .

حديث عمران ابن حصين قال:« كان رسول الله يحدثنا عامة ليلة بني إسرائيل لا يقوم إلاّ لعظم الصلاة»«[1]»

وخلاصة ما تقدّم من النصوص يدل علي أنّ عند أهل الكتاب من اليهود والنصاري كثيراً من الحق والعلم الذي أنزله الله علي رسوله من قبل وأنّه يتفق كثير منه مع ما جاء به محمد – صلي الله عليه وسلم – فهو لذلك يصدّق ما عندهم، وما عندهم يصدق ما جاء به حملةً لكن بدلّ أيضاّ علي أنَّ هذا التراث الذي عند أهل الكتاب قد دخله بعض الفساد من قبل علماء لسوء منهم وذلك من وجوه.

أولا: التحريف سواء الحرفي منه والمعنوي، والتحريف الحرفي هذا الذي يكون بإزالة بعض عبارات كتب الله التي عندهم واستبدالها بما تهواه أنفسهم وأمّا المعنوي فهو بالتفسير والتأويل السيء الذيخ لا يطابق المقصود.

ثانيا: بالتقوّل علي الله قال الله تعالي:﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[2]

ثالثا: يكتمان ما أنزله الله من الحق الذي يخالف أهوائهم

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[3]

رابعا: يترك ما أنزل الله إليهم وإهماله وأتباع غيره مما يهوون قال الله تعالى:﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4] وبناء علي الحقائق المتقدمة جاءت السنة تحذر:

---

[1] ـ رواه الإمام أحمد في مسنده: د ط ، دار الفكر ، أول مسند البصريين ، حديث عمران بن حصين ، مج 4 ، ص 437.

[2] ـ سورةالبقرة: 78- 79.

[3] ـسورةالبقرة: الآية 146.

[4] ـ سورة البقرة : الآية 100

أولا: من الأخذ عن أهل الكتاب جملة، ثم أمرت بالتوقف عن قبول ما يقولون أوردّه بدون تفصيل لها فتلاطم الحق بالباطل فيما يقولون، ثم أباحت التحديث عنهم.

فلعل التحذير المطلق من الأخذ عنهم جاء في أول عهد المسلمين بهم كخطوة تربوية لابد منها حتى تبين للمسلمين معالم الدين الحق، ولا تلتبس بأهواء أهل الكتاب وأكاذيبهم فلمّا رسخت أقدامهم في الدين وتكونت لديهم ملكة علمية راسخة أذن في التحديث عنهم لكن ليس على إطلاقِه.

والإسرائيليات التي دخلت التراث الإسلامي أنوع يمكن تلخيصها كالآتي:

النوع الأول:

ما يعارض القرآن أو صحيح السنة، أو يعارض أصلاً إسلامياَ متقّراً.

فإذا قرّر القرآن مثلاً أنَّ المسيح عليه السلام – لم يُقتل ولم يصلب ولكن شبه للقوم﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴾[1]

فإنّ كل خبر يرد عن أهل الكتاب يعارض هذا النص القرآني الصريح مردود، لأن القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، وقد صانه الله من التعبير والتبديل والتحريف أمّا كتبهم فقد مسّها التحريف والتبديل.

وكذلك إذا ورد عن رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى خبر يسيد جميه كان حجّة في ردّ الأكاذيب والخرافات التي لفقها الأحبار والرهبان من بني إسرائيل.

وكذلك ترد الإسرائيليات التي تعارض أصلاً إسلامياً مقرّراً في العقيدة كالتشبيه والعكس وبعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد أساءت الإسرائيليات إلي عدد من أنبياء الله إساءات بالغة فألصقوا بهم الفواحش والنقص والغدر والمكر –كما طعنت بعقيدة التوحيد. [2]

النوع الثاني:

---

[1] ـ سورةالنساء : الآية 157

[2] ـانظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث : محمد حسين الذهبي ، ص 29.

ما يوافق القرآن وهذا النوع لا حاجة به لأنَّ في القرآن غنية عنه ولا يضيف فائدة جديدة وكل ما نستطيع تقريره أنّ الإسرائيليات التي من هذا القبيل صحيحة لم يدخلها التبديل.

ولكنّ إثباتنا لصحتها لا يفيد في الاستشهاد بها عند تفسيرنا للقرآن الكريم لأنّ كتابنا أصح وقد حفظه الله من التبديل والتغيير فما حاجاتنا إلي كتب بدّل أكثرها بل قد يكون في نقل الصحيح منها عن أهل الكتاب وإثباتها في التفسير، قد يكون في ذلك تزكية لذل المصدر وتوفيق له والحادثة التاريخية قد تذكر في الإسرائيلية كما وقعت ولكنها تخلو من التوجيه والاعتبار اللذين يقترنان بأحداث القصة في القرآن.

ذلك لأن القصص في القرآن للعبرة والموعظة﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]

النوع الثالث:

هو ما يخالف العقل، ويحكم العقل ببطلانه وهذا النوع مردود وقد أشار إلي مثال له الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالي «ق والقرآن المجيد»([2]).

قال ـ رحمه الله ـ : «روي عن بعض السلف أنهم قالوا: (قَّ) جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف وكأنّ هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل أخذها عنهم بعض الناس لما رأي من جواز الرواية عنهم وعندي أنّ هذا من اختلاف بعض زنادقتهم يلبسون به علي الناس أمر دينهم، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قولّه «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» «[3]» فيما قد يجوز العقل وأمّا فيما تحيله العقود ويحكم عليه بالبطلان، ويغلب علي الظنون كذبه فليس من هذا القبيل» [4].

---

[1] ـ سورةيوسفالآية 111

[2] ـ سورةق: الآية 1

[3] ـ رواه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم 3461 ، ج 2 ، ص 852 ،عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ..

[4] ـتفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، دط ، بيروت ، دار الأندلس ، د ت ، ج 6 ، ص 395.

المطلب الثاني: حذف الإسناد:-

ومن الأسباب التي أدت إلى ضعف التفسير بالمأثور حذف الإسناد وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتحرون الصحة فيمايتحملون وكان الواحد منهم لا يروي حديثاً إلاَّ وهو مثبت مما يقول ولكن لم يعرف عن الصحابة أنهم كانوا يسألون عن الإسناد لما عُرفوا به جميعاً من العدالة والأمانة.

ثم جاء عصر التابعين وفيه ظهر الوضع، وفتنا الكذب فكانوا لا يقبلون حديثاً إلاَّ إذا جاء بسنده وثبتت لهم عدالة راويه أمّا إذا حذف السند، أو ذكر وكان في رواته من لا يوثق بحديثه، فإنهم كانوا لا يقبلون الحديث الذي هذا شأنه فقد روي الأمام مسلم في مقدمة صحيحه عن ابن سيرين أنّه قال: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد، وقلمّا وقعت الفتنة قالوا: سموالنا رجالكم »[1]

وظل الأمر في عهد التابعين علي هذا فكان ما يروونه في التفسير المأثور عن النبي صلي الله عليه وسلم أو عن الصحابة لا يروونه إلاّ بإسناده، ثم جاء بعد عصر التابعين من جمع التفسير، ودوّن ما تجمع لديه من ذلك فألِفَت تفاسير تجمع أقوال النبي صلي الله عليه وسلم، وأقوال الصحابة والتابعين مع ذكر الأسانيد كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح.

ثمّ جاء بعد هؤلاء أقوام ألغوا في التفسير، فما اختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال غير معزوة لقائليها ولم يتحروا الصحة فيما يروون فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل.

ثمّ صار من يسنح له قول يردده، ومن يخطر بباله شيءً يعتمده ،ثم ينقل عنه ذلك من يجيء بعده، ظاناً أنّ له أصلاً غير ملتفت إلي تحرير ما ورد عن السلف ويُعّد حذف الأسانيد من أخطر أسباب ضعف التفسير المأثور لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر في هذه الكتب يظن صحة كل ما جاء فيها، وجعل كثيراً من المفسرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليات والقصص المخترع علي أنه صحيح كله مع أن فيها ما يخالف النقل ولا يتفق مع العقل». [2]

---

[1] ـ انظر : مقدمةصحيح مسلم ، باب في أنّ الإسناد من الدين ، ج 1، ص 11.

[2] ـ انظر : التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي: ج1،ص ، 145.

ملاحظة:

إنَّ الأسباب التي أدَّت إلي الوضع هو بسبب مع تدوين الحديث النبوي الشريف منذ عصر مبكر من حياة المسلمين الأمر الذي جعل الحديث يتعرض للتغيير والتبديل والتحريف لعدم تدوينه مبكراً.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث :الوضع في التفسير:

ينصب الوضع علي التفسير بالمأثور، لأن التفسير العقلي أو التفسير بالرأي لم يكن محتاجاً إلي الوضع كالتفسير بالمأثور، والوضع في التفسير هو تفسير القرآن الكريم أو نصوص منه بأحاديث موضوعة» [1]

والتفسير الموضوع نشأ مع نشوء الوضع في الأحاديث لأنه نوع من أنواع الحديث.

ويكاد يجمع أهل الحديث علي أنّ الوضع ابتدأ أو ظهر في أعقاب الفتنة التي عمّت المسلمين، وانتهت باستشهاد خليفة المسلمين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه واستمرت حتى أودت بحياة الخليفة الرابع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد نشأ الوضع وانشغالهم بالفتن مما سهل علي عدوهم أن ينفذ خلال صفوفهم ويدس ما يحلو له ممّا يفسد العقيدة ويشكك المسلمين في دينهم ومنهجهم.

ويمكن أن نذكر من أسباب انتشار الوضع ما يأتي:-

ـ كثرة الفتن وانشغال المسلمين بالشؤون السياسية الذي أدّي إلي انصرافهم عن متابعة السنة النبوية، فاندس خلالهم من أراد لهذا الدين بالطمس ولمعاملة بالدروس فوضع ما شاء لتشويه العقيدة وزلزلة النفوس المؤمنة. فلو دون الحديث مبكراً لما حصلت الفتن.

ـ انقسام المسلمين إلي أحزاب اندس ضمن أفرادها من أراد وكيداً للمسلمين. فوضعوا الأحاديث بما يلائم اتجاه تلك الأحزاب وفكرتها فتقبلها أفرادها بحسن نية لأنها لاقت هوي في نفوسهم، ولم ينتبهوا إلي أنها موضوعة. ولم يسيئوا الظن برواتها ثم أنها قوَّت واضع الانقسام في نفسوهم.

ومن الأحزاب من يميز الكذب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في سبيل الانتصار لمذهبه. خاصة أن السلطة الزمنية في شراء الذمم ووعاظ السلاطين دونوا ما يريده السلطان ووضعوا ما يعزز سلطانه.

---

[1] ـ انظر : أثر التطور الفكري في التفسير: مساعد مسلم ، ط1 ، بيروت،مؤسسة الرسالة، 1984م ،ص 109.

1- الوعاظ وقسم من الزهاد الذين وضعوا الأحاديث ترغباً أو ترهيباً ومنهم نوح بن أبي مريم وضع أحاديث في فضائل السور سورة سورة يزعم أنه يريد أن لا ينصرف الناس عن القرآن إلي الحديث. اعتقد أن خطر الوعاظ يأتي من خطر هؤلاء الذين سخرهم السلطان لوضع الحديث أما لتقوية سلطانه وظلمه وأمَّا لتزيف بعض الرواه.

2- وهناك سبب يختصر به التفسير دون الحديث من ناحية الوضع هو أن التفسير بالرأي كان في أول أمره منظوراً إليه بعدم ارتياح، وخاصة من علماء المسلمين، ويعتبرون الاشتغال بالحديث أقرب إلي الله من الاشتغال في التفسير وقالوا: أن التفسير كلام الناس والحديث كلام الرسول صلي الله عليه وسلم فتحا من كثير من الناس الخوض في التفسير بالرأي فإن قدح في ذهني أحدهم رأي في آية يفسرها أو يري أنَّه وجه تفسيرها الصحيح هو الذي ذهب إلي وضع لرأيه هذا سنداً يوصله إلي أحد الصحابة أو التابعين المشهورين بالتفسير وذلك ليكسب رأيه شرعيةً.

ومن الذين اشتهروا بالوضع في التفسير مقاتل بن سليمان وقد أثر الوضع في التفسير علي التفسير المأثور وضعفت الثقة فيه.

ولكن خطر اليهود الذين تظاهروا بالإسلام مثل كعب الأحبار هو خاتمة الأخطار علي سلامة الحديث، خاصة وأنه كان يتقرب إلي الأمراء والسلاطين، ووضع أحاديث كثيرة, وهو صاحب مدرسة تتلمذ علي يديه جمعة من الرواة وهناك أسباب أخرى لم يذكرها في سبب ضعف الروايات.

وجود الزندقة أمثال سيف بن عمرو وابن العوجاء وغيرهما ممن صنعوا أحاديث وصححوها واعتمد عليها علماء في أسانيدهم. وكذلك اعتماد روايات المنافقين والخوارج والمتزلفين للسلطان باعوا دينهم بالدرهم والدينار. «[1]»

[1]ـ انظر: أثر التطور الفكري في التفسير ، مساعد مسلم ، ص 109.

الباب الرابع :
منهج المفسرين بالمأثور في معالجة القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :
نماذج من معالجة المفسرين بالمأثور للقصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

توطئة :

إنّ الملاحظة البارزة لمن يتأمل في كتب التفسير بالمأثور يجد أن أصحابها – و هم يعتمدون أساسا على النقل والرواية- قد أولعوا بالتعليق على ما ورد في القرآن من قصص ولعا كبيرا، وأسرفوا في ذكر الأقاويل والروايات، وتجاوزوا حدود الروايات المنسوبة إلى الصحابة والتابعين، وجالوا في ساحات التكلف والتزيد والمبالغة جولات مسهبة حينا وموجزة حينا آخر، ومنسوبة إلى رواة من غير تلك الطبقة بالأسماء حينا وبدون أسماء حينا آخر، وصادرة عنهم أو موهومة أنها كذلك حينا آخر حتى ليقع في نفس القارئ من فحوى عباراتهم وأساليب إيرادهم لتلك الروايات أنهم يعنون أن القصص القرآنية قد وردت في القرآن لذاتها وبقصد الإخبار لا بقصد العظة والتذكير، وقد يكون كثيرا مما يروونه لا يتفق مع دلالات الآيات ولا تتحمله أهدافها، ولا تقتضيه عباراتها، كما فيها مفارقات كثيرة وما هو أدخل في باب الخرافة منه في باب الحقائق فمن ذلك ما يذكرونه من أنّ ذا القرنين كان له قرنان فأمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم بعثه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله، وأن الله سخّر له السحاب فحمل عليه وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء، وأنّ يأجوج ومأجوج أمة، وكل أمة أربعة آلاف أمة ولا يموت الرجل منهم حتى يرى من صلبه ألف رجل قد حمل السلاح وهم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز طوله عشرون ومائة ذراع، وصنف منهم طوله و عرضه سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش أحدهم أذنه ويلتحق بالأخرى، ولا يمرون بوحش أوطير إلا أكلوه ومنهم من طوله شبر.

ويـذكرون أن آدم احـتلم ذات يـوم وامتزجـت نطفتـه بـالتراب فخلـق الله مـن ذلـك يأجوج ومأجوج، ويـذكرون في شـأن عصـا موسـى أعاجيـب منهـا أنّ شـعيبا عليـه السـلام كـان عنـده عصـي الأنبيـاء فـأمر موسـى أن يـدخل ويأخـذ لـه عصـا فوقعـت يـده عصـاه و كـان آدم هـبط بهـا مـن الجنـة ولم يـزل الأنبيـاء يتوارثونهـا فظـنّ بهـا علـى موسـى وألقاهـا بـين العصـي أولا وثانيـا وثالثـا وإلى السـابعة وكانـت كـل مـرة تقـع في يـده فوقـع في نفـس شـعيب أن لـه شـأنان فأعطاه إياها .

وتـرى هـؤلاء المفسـرين أيضـا مـولعين بالتفاصـيل وذكـر الجزئيـات فيمـا لا يعـود بكبـير نفـع أوعظـيم فائـدة ففـي قولـه تعـالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾«[1]» .

قد يكون القصد من كلمة (ألوف) الكثرة دون تحديد العدد حيث لا داعي لهذا التحديد، إن العبرة في القصة تأديب الله لهم ولكنّ المفسرين لم يشاءوا أن يقفوا عند الإيجاز فراحوا يذكرون في عددهم أقوالا مضطربة، وفي قصة يوسف عليه السلام يقول الله تعالى﴿ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾«[2]» قصد القرآن من دراهم معدودة القلة دون أن يحدد العدد فالعبرة في ظآلة الثمن وزهد البائعين، ولكنّ المفسرين راحوا يتحدثون عن الثمن الذي بيع به يوسف فمن قائل سبعة ومن قائل تسعة ومن قائل غير ذلك ،وفي سورة النمل يقول الله تبارك

[1]- سورة البقرة : الآية 243.

[2]- سورة يوسف :الآية 20 .

وتعالى﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾«[1]» قصدت الآية بجنود لا قبل لهم بها الكثرة المطلقة التي لا تحصى فذهبوا يعدون العدد ويحصرونه،وفي سورة القصص يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾«[2]» أخذوا يعدون هذه الكنوز ويذكرون أن مفاتحها كانت تحملها عشرات الجمال،وفي قصة نوح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾«[3]» راح للمفسرون يعدون الأصناف من شتى الحيوانات ،وإذا أتوا إلى قصة إبراهيم عليه السلام عند قوله تعالى﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾«[4]» أخمدوا العبرة بالإكثار في وصف النار إذ ذكروا أن القوم استمروا يجمعون الحطب أياما وشهورا وأن لهيب النار أضاء فارس والروم، وأن دخانها سد ما بين الخافقين وأزهق أرواح الطيور في أكنانها.

وفي قصة موسى عليه السلام حينما ألقته أمه في اليم لم يذكر القرآن مدة بقائه في التابوت فراح المفسرون يتبارون في سوق الروايات المتضاربة لتحديد الأيام التي قضاها موسى في التابوت كما تفننوا في ذكر الألواح ،ووصفها وعددها ومثل ذلك ما فعلوه في

---

[1] – سورة النمل: الآية 37.

[2] – سورةالقصص : الآية76.

[3] – سورة هود : الآية40.

[4] – سورةالأنبياء : الآية69.

بيان الكنز المذكور في قصة الغلامين اليتيمين صاحبي الجدار فقالوا إنه كان لوحا من الذهب مكتوبا عليه بعض العظات.

وكذا في قصة سليمان عليه السلام مع الملكة، وفي قصة المائدة مجال للروايات العجيبة والتفاصيل الغريبة ممّا يغيب ذكر العظات البالغات ويفسد المعاني الجميلة ويشوه بلاغة القصص في إيجازه وإعجازه.

إنّ في كتب التفسير بالمأثور خصوصا حشوا كثيرا وحشدا كبيرا للروايات التي لا تتفق مع الحقائق العلمية وخصوصا في المغيبات التي استأثر الله بالعلم بها.

لقد قام منهجهم على الإفراط في تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة، واعتبار ما جاء متصلا بالقصة بيانا لما جاء في القرآن،ولو نبهوا على وضعها لكان حسنا خصوصا عند الذين لا يذكرون السند ليستطيع المطلع عليه نقده بالرجوع إلى كتب الجرح والتعديل، ولم يكلفوا أنفسهم أوبعضهم الحكم على السند بعد محاكمته إلى كتب الجرح والتعديل وعنوا بسرد شتات الأقوال.

إنّ تفاسير كثيرة مفعمة بالقصص والإسرائيليات على وجه لا تمييز فيه كأنها كلها حقائق،ولا تكاد تخلو قصة قرآنية من حشد وحشو الروايات التي لا يمكن الاطمئنان إلى صحتها فأغلبها مستمدة من الإسرائيليات وعن رواة لا وزن لهم في عالم الرواية

والنقل،ولكن الإنصاف يقضي بالقول بأنّ بعض المفسرين كان يعتمد الروايات الصحيحة وينتقد الباطلة ويردها إذا كان الأثريون فريقين:

فريق كان قليل البضاعة في علم الحديث لا يميز بين الصحيح والموضوع، ويكثر من النقل دون إسناد ويكثر من الإسرائيليات دون تعقيب كأبي إسحاق الثعلبي.

وفريق كان من المحدثين المتقنين لا يذكرون من الأحاديث إلا الصحاح غالبا ، ويتحرى في المنقول وإن ذكر دون إسناد أصوب الآراء وأدناها إلى القبول كالبغوي.

ولتوضيح ذلك سأذكر نماذج من تفاسير عدة من كتب التفسير بالمأثور نتبين من خلالها طرائق هؤلاء المفسرين في تناولهم للقصص القرآني، ثمّ نعقبها بالنقد إن شاء الله.

المبحث الأول :تفسير ابن أبي حاتم–رحمه الله- :

المطلب الأول :التعريف بالمفسر:

هو العلامة الحافظ عبد الرحمان بن محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران المكنى بأبي محمد، ولد سنة أربعين ومائتين أوإحدى وأربعين، سمع من أبي الأشج والحسن بن عرفة، والزعفراني ويونس بن الأعلى، وعلي بن المنذر الطريقي، وأحمد بن سنان .... وخلائق من طبقتهم،وكان بحرا لا تدركه الدلاء، روى عنه: ابن عدي، وحسين بن علي التميمي والقاضي يوسف الميانجي.... وخلق سواهم.

قال الذهبي :«قال أبو يعلى الخليلي: أخذ أبو محمد علم أبيه وأبي زرعه وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال، صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار، قال وكان زاهدا يعد من الأبدال، قال الذهبي: قلت له كتاب نفيس في «الجرح و التعديل» أربع مجلدات، «وكتاب الرد على الجهمية»، مجلد ضخم انتخبت منه ،وله تفسير كبير في عدة مجلدات عامة آثار بأسانيده من أحسن التفاسير» «[1] »، توفي –رحمه الله- سنة 327 بمدينة وبلغ من العمر 87 عاما –رحمه الله- وأسكنه فسيح جناته«[2]».

[1] – انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، ط 2 ، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ـ علي أبو زيد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1404 هـ ـ 1984 م ، ج 13، ص 263-264.

[2] – انظر: تذكرة الحفاظ،د ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت ، ج3، ص 830.

المطلب الثاني:التعريف بتفسير ابن أبي حاتم ومنهجه فيه :

أبان الإمام ابن أبي حاتم في مقدمة تفسيره دواعي تأليفه، وذلك أنّ جماعة من إخوانه طلبوا منه وضع تفسير مختصر بأصح الأسانيد، مع حذف الطرق والشواهد والحروف والروايات وتنزيل السور متقصيا فيه تفسير القرآن كله قال ابن أبي حاتم –رحمه الله– : «الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء وآله أجمعين، سألني جماعة من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصرا بأصح الأسانيد،وحذف الطرق والشواهد والحروف ،والروايات وتنزيل السور، وأن تقصد لإخراج التفسير مجردا دون غيره، متقمصين تفسير الآيات حتى لا تترك حرفا من القرآن يوجد له تفسير إلا أخرج ذلك»«[1]»

وبعد بيانه لدواعي تأليف الكتاب أوضح المنهج الذي يسير عليه في تأليفه للكتاب بتحري أصح الأخبار إسنادا والاكتفاء بالتفسير الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم دون ذكر أحد من الصحابة ممن أتى بمثل التفسير وإذا جاء التفسير عن الصحابة وكان مختلفا بينهم ذكر أعلاهم درجة وسمى موافيقهم بحذف الإسناد، وما جاء عنهم وكان مختلفا فيه، ذكر في كل واحد منهم إسنادا وسمى موافيقهم بحذف الإسناد، وما جاء عن التابعين سلك فيه نفس ما سلك في تفاسير الصحابة، وكذلك كان صنيعه في تفاسير التابعين.

[1]– انظر: مقدمة تفسير ابن أبي حاتم، ط6 تحقيق أسعد محمد الطيب، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1417هـ 1997م، ج 8 ص 14.

المطلب الثالث: نماذج من تفسير بن أبي حاتم للقصص القرآني:

1 ـ عند تفسير قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾«[1]» قال –رحمة الله عليه-: «حدثنا الحسين بن محمد بن الصباح ، أنبأنا هشام بن حسان بن محمد بن سرين عن عبيدة السليماني قال: كان رجل في بني إسرائيل عقيم لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه فقتله ،ثمّ احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم، ثمّ أصبح حتى تسلحوا وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذووا الرأي: علام يقتل بعضكم بعضا، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم؟ فأتوا موسى: فذكروا ذلك له فقال: «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة»، فقالوا: أتتخذنا هزوا؟ قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال: والله لأنقضها من ملئ جلدها ذهبا، فأخذوها بملء جلدها ذهبا فذبحوها فضربوه ببعضها فقام فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا لابن أخيه، ثمّ مال ميتا فلم يعط من ماله شيء ولم يورث قاتل بعد.

قوله: «أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» حدثنا أبو زرعة ثنا عمرو بن حماد وثنا أسباط عن السدي قال: فقال لهم موسى: «إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة»، فقالوا: «أتتخذنا هزوا» نسألك عن القتيل من قتله وتقول اذبحوا بقرة، أتهزأ بنا، فقال موسى: «أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين».

[1]– سورةالبقرة : الآية 67.

قوله: « قالوا ادعوا لنا ربك يبين لنا ما هي»

به عن السدي قال: قال لي ابن عباس: فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكنّهم شددوا وتعنّتوا على موسى فشدد الله عليهم فقالوا: «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» «[1]» قوله: « قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر» قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا هشام بن يوسف عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس: لا فارض، قال: الفارض :الهارمة، قال أبو محمد: وروى عن أبي العالية والحسن وعطية وعكرمة وعطاء الخرساني وقتادة، والربيع بن أنس ووهب بن منبه والسدي نحو ذلك«[2]»

الوجه الثاني: حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا عبد السلام بن حرب بن عصيف عن مجاهد قوله: « لا فارض» قال لا كبيرة وصغيرة، قد ولدت بطنا أو بطنين، وروى عن عطية مثل ذلك.

قوله: «ولا بكر)» حدثنا أبي ثنا إبراهيم بن موسى، أنبأنا هشام بن يوسف عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس «ولا بكر» قال: البكر الصغيرة، وحدثنا أبو زرعة ثنا منجاب، أنبأنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله «بكر»قال يقول: ليست صغيرة ضعيفة،وحدثنا أبو زرعة عن عمرو بن حماد بن طلحة ثنا

[1]- انظر: تفسير بن أبي حاتم، ج 1، ص 137.

[2]- المصدر نفسه: ج1 ص 137.

أسباط عن السدي:«ولا بكر» فقال: البكر التي لم تلد إلا ولدا واحدا ، وروى عن أبي العالية وعطاء الخرساني وقتادة و عكرمة قالوا صغيرة«[1]».

قوله: « عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون» قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة ثنا منجاب ثنا بشربن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله: «عوان» بين الصغيرة والكبيرة وهي أقوى ما يكون من الدواب والبقر،وأحسن ما يكون، قال أبو محمد، وروى عن أبي العالة ومجاهد والربيع بن أنس وعطاء الخرساني وقتادة والضحاك وعكرمة نحو ذلك«[2]» .

الوجه الثاني: حدثنا الحسن بن أحمد ثنا إبراهيم بن عبد الله بن بشار ثنا سرور بن المغيرة عن عباد بن منصور عن الحسن: عوان بين ذلك: أي بين الهرمة والفتية فافعلوا ما تؤمرون.

قوله: قالوا: «ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» قال: ذكر لي عن علي بن محمد بن يزيد الواسطي عن جبير عن الضحاك «ادع لنا ربك» قال سل لنا ربك يبيّن لنا ما لونها.

قوله: «قال إنه يقول إنها بقرة» حدثنا أبي ثنا ابن نفيل الحرّاني ثنا هشام عن جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن، في البقرة قال: كانت بقرة وحشية.

قوله: «صفراء»فمن فسّره على أنّها صفراء اللون:

---

[1]-انظر:تفسير بن أبي حاتم ،ج1، ص 137.

[2]- المصدر نفسه ،ج1 ص ،137.

حدثنا أبي ثنا سهل بن عثمان بن العذراء عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس قال: من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور ما دام لابسها وذلك قول الله «صفراء فاقع لونها تسر الناظرين»، ومن فسره أنّها صفراء القرن والظلف، حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ثنا علي بن حكيم ثنا شريك عن الأعمش عن مغراء عن ابن عمر في قوله صفراء قال: صفراء الظلف ، وحدثنا أبو سعيد الأشج ثنا حفص بن غياث عن ليث عن مغراء عن سعيد بن جبير في قوله «صفراء» قال صفراء القرن والظلف،ومن فسّره أنّها سوداء: حدثنا أبي ثنا نصر بن علي أنبأنا نوح بن قيس أنبأنا أبو رجاء عن الحسن في قوله «صفراء» قال سوداء شديدة السواد«[1]».

قوله: «فاقع لونها» فمن فسّره على شدة الصفرة: حدثنا عصام بن رواد ثنا آدم ثنا أبو شيبة –شعيب بن زريق- عن عطاء الخرساني «فاقع لونها» شديد الصفرة ومن فسّره على صفاء اللون، حدثنا أبو سعيد الأشج ثنا حفص بن غياث عن ليث عن مغراء عن سعيد ابن جبير «فاقع لونها» قال: صافية اللون، وروى عن الحسن وأبي العالية والسدي وقتادة ، والربيع بن أنس نحو ذلك.

وحدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ثنا علي بن حكيم ثنا شريك عن الأعمش عن مغراء عن ابن عمر في قوله «فاقع» قال: صاف، ومن فسّره على تكاد تسوّد من صفرتها:

[1]-انظر: تفسير ابن أبي حاتم ،ج1، ص 139.

حدثنا أبي ثنا ابن نمير ثنا ابن إدريس عن أبيه عن عطية العوفي «فاقع لونها» تكاد تسوّد من صفرتها«[1]» .

2 ـــ قال ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾«[2]» عن السدي: قالت اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم: يا محمد إنّما تذكر إبراهيم وموسى وعيسى والنبيين أنّك سمعت ذكرهم منّا، فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلاّ في مكان واحد، قال ومن هو؟ قالوا: ذوا القرنين، قال ما بلغني عنه شيء، وخرجوا فرحين وقد غلبوا في أنفسهم، فلم يبلغوا باب البيت حتّى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: «ويسألونك عن ذي القرنين» ،ثمّ مضى في سياق الروايات إلى أن روى عن الأحوص بن حكيم عن أبيه، أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال: «هو ملك مسح الأرض بالإحسان».

وقال في قوله تعالى:« وآتيناه من كل شيء سببا» عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله «و آتيناه من كل شيء سببا» قال : علما.

وقال في قوله تعالى: «وجدها تغرب في عين حمئة» من طريق عثمان بن أبي حاضر، عن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر له أنّ معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف «تغرب في عين حامية» قال ابن عباس —رضي الله عنهما–: فقلت له معاوية رضي الله

[1] ـانظر: تفسير بن أبي حاتم ،ج 1،ص 139.

[2] ـ الكهف : الآية 83

عنه: ما نقرؤها إلا حمئة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو: كيف نقرؤها فقال عبد الله كما قرأتها، قال ابن عباس رضي الله عنهما فقلت لمعاوية: في بيتي نزل القرآن فأرسل إلى كعب فقال له: أين تجد الشمس تغرب في التوراة فقال له كعب رضي الله عنه: سل أهل العربية فإنّهم أعلم بها، وأمّا أنا فإني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين —و أشار بيده إلى المغرب– قال ابن أبي حاضر رضي الله عنه: لو أنّي عندكما أيّدتك بكلام وتزداد به بصيرة في حمئة قال ابن عباس:

وما هو؟ قلت فما نأثر قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في كلفه بالعلم واتباعه إياه:

قد كان ذو القرنين عمرو مسلما ملكا تدين له الملوك و تحسد

فأتى المشارق و المغارب أسباب ملك من حكم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها في عين ذي خلب و ناط حرمد

فقال ابن عباس: ما الخطب؟ قلت الطين بكلامهم، قال: فما الناط؟ فقلت الحمئة، فقال فما الحرمد؟ فقلت الأسود فدعا ابن عباس غلاما فقال له:اكتب ما يقول هذا الرجل«[1]».

3 ـــ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾«[1]» .

[1]– انظر :تفسير ابن أبي حاتم ،ج8 ص ، 2384.

عن شعيب الجبائي قال: كان اسم الغلام الذي قتله الخضر جيسور، عن ابن عباس أنّه كان يقرأ: وأمّا الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين، فقوله «فخشينا» عن السدي في قوله: فخشينا قال: فأشفقنا،وعن سعيد ابن جبير في قوله: «فخشينا أن يرهقهما...» قال: خشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه، وعن مطرف في الآية قال: لو بقي كان فيه بوارهما واستئصالهما،وعن قتادة قال: قال مطرف بن الشخير: إنّا لنعلم أنّهما قد فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل، ولو عاش لكان فيه هلاكهما، فرضي رجل بما قسم الله له فإنّ قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه، وقضاء الله فيما تكره خير من قضائه لك فيما تحب»«[2]».

وقال في قوله تعالى: «وكان تحته كنز لهما»«[3]» عن قتادة في قوله: وكان تحته كنز لهما قال: كان الكنز لمن قبلنا وحرّم علينا وحرّمت الغنيمة على من كان قبلنا وأحلت لنا، فلا تعجبنّ للرجل يقول: ما شأن الكنز أحلّ لمن كان قبلنا وحرّم علينا؟ فإنّ الله يحل من أمره ما يشاء ويحرّم ما يشاء، وهي السنن والفرائض تحل لأمة وتحرم على أخرى«[4]».

---

[1]- سورة الكهف: الآيتان 80-81.

[2]- انظر: تفسير ابن أبي حاتم ج8 ص 2380.

[3]- سورة الكهف: الآية 83.

[4]- تفسير ابن أبي حاتم ج8 ، ص 2380.

4 ـــ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾«[1]» قال ابن أبي حاتم عن أبي بريدة (أصحاب القرية) قال: أنطاكية.

حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله بن جابر، وهو محمد بن عبد الملك يعني ابن عمير فقال: قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي صلى الله عليه وسلم: ابعثني إلى قرى أدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انطلق فانطلق فمرّ على اللات والعزى فقال :يا معشر الأحلاف إنّ العزى لا عزى وإنّ اللات لا لات أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هذا مقتله كمقتل صاحب ياسين «قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين»«[2]».

قوله تعالى: «إذ أرسلنا إليهم اثنين» قال: بلغني أنّ عيسى بن مريم بعث إلى أهل القرية وهي أنطاكية رجلين من الحواريين وأتبعهم بثالث، عن أبي العالية رضي الله عنه في قوله: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعزّزنا بثالث» فقال: لكي تكون عليهم الحجة أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده وعبادته لا شريك له فكذبوهم»«[3]» .

---

[1]- سورة يس:الآية 13.

[2]-انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ج8، ص3191.

[3]- انظر تفسير بن أبي حاتم ج 8، ص 3191.

عن شعيب الجبائي قال: اسم الرسولين الذين قالا: «إذ أرسلنا إليهم اثنين» شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص»«[1]» .

قوله: « وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى» عن ابن عباس قال: هو حبيب النجار، وعن ابن عباس قال: اسم صاحب «يس» حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه.

عن قتادة في قوله: «وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى» قال: بلغني أنّه رجل كان يعبد الله في غار، واسمه حبيب، فسمع بهؤلاء النفر الذين أرسلهم عيسى إلى أنطاكية فجاءهم فقال: تسألون أجرا فقالوا:لا، فقال لقومه:« يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون» حتّى بلغ فاسمعون قال: فرجموه بالحجارة فجعل يقول رب اهدي قومي فإنّهم «لا يعلمون بما غفر لي ربي» حتّى بلغ « إن كانت إلاّ صيحة واحدة» قال: فما نوظروا بعد قتلهم إيّاه حتّى أخذتهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون»«2».

[1]- المصدر نفسه : ج8 ص 3191.

[2]المصدر نفسه ،ج8 ص 3192.

المبحث الثاني: جامع البيان عن تفسير القرآن (المشهور بتفسير الطبري)

المطلب الأول :التعريف بالمفسر:

هو الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري«[1]» الإمام الجامع للعلوم والمعارف، والمجتهد، ولد في آمل طبرستان سنة 224هـ واستقر به المقام بعد طول ترحال في بغداد حتى وفاته سنة 310هـ.

كان محمد بن جرير الطبري كما وصفه المؤرخون أحد الأئمة الأعلام يحكم بقوله، ويرجع إليه لمعرفته وفضله، جمع من العلوم مع التقدم والإمامة ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظا للقراءات عارفا بها، عارفا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الأحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيّام الناس والأمم وتاريخهم وأخبارهم، وأمّا مؤلفاته فكثيرة وبالفوائد حافلة وغزيرة أشهرها تأليفه في التاريخ، وتأليفه في التفسير فهو بحق شيخ المؤرخين وشيخ المفسرين قال عنه ابن خزيمة: «ما أعلم على أديم الأرض أعلم منه و كان معاصرا له».

[1]- انظر: ترجمته في طبقات المفسرين ،جلال الدين للسيوطي ، ط 1 ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، 1403 هـ ـ 1983م، ،ص 82.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الطبري:

كتاب «جامع البيان في تفسير القرآن» كاسمه كتاب جامع ومرجع واسع في هذا الفن، قد تعرض فيه مؤلفه لتفسير القرآن الكريم ودراسته من جوانب متعددة من حيث اللغة والنحو والاشتقاق وغير ذلك، ومن حيث الرواية والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والتابعين، والترجيح بينهما ،واستنباط الفوائد والأحكام، وبيان المذاهب والأدلة حتّى إنّه ليمكن أن يعد من مراجع التفسير بالرأي لما اشتمل عليه من تلك الفنون لكنّه عد من كتب التفسير بالمأثور لاعتنائه بالآثار عناية كبيرة،وقد أجمع العلماء على عظمة هذا الكتاب وأنّه مرجع لا يستغنى عنه باحث في التفسير.

ويعدّ كتابه نقطة تحول في تاريخ التفسير بما درج عليه في تحقيق دلالات القرآن الكريم، والإفصاح عن معانيه بصورة محكمة، وطريقة واضحة المعالم تركت آثارها على كل ما ظهر بعده من كتب التفسير فكان كما قال السيوطي :«أجل التفاسير و أعظمها»«[1]».

[1]ـ انظر: طبقات المفسرين، السيوطي ، ص 82.

المطلب الثالث: خصائص تفاسير الطبري:

يمكن إجمال خصائص تفسير الطبري في النقاط الآتية:

1- يستهل ابن جرير كلامه على الآية بقوله: القول في تأويل قوله تعالى: كذا و كذا، ثم بعد ذكر نص الآية أوالجملة يفسرها، ويستشهد لما يقول بشواهد اللغة والآثار.

2- يفسر الآية معتمدا ربط السياق والعودة إلى أخرى من القرآن الكريم.

3- يعتمد في استنباط المعنى على الاستعمالات اللغوية للألفاظ ببيان المعنى الأصلي للفظ، والمعنى المنقول إليه والعلاقة بين المعنيين، والاستشهاد بالشعر العربي على ما يثبت استعمال للفظ في المعنى الذي حمله عليه.

4- يدعم ما يذهب إليه من معنى الآية بما يرويه بسنده عن الصحابة أوالتابعين من التفسير المأثور عنهم في الآية.

5- عند اختلاف المأثور يقسم الآراء، ويضع تحت كل رأي مروياته، ثمّ يعقب عليها بالنقد، ويرجح منها ما يراه أهلا للترجيح وقد يردها كلها وينصّ على ما يراه هو.

6- يرفض من أراء المفسرين ما يعتمد فيه المفسر على رأيه دون الرجوع إلى المأثور في مثله، ويخطئه لمخالفته أهل العلم من الصحابة والتابعين.

7- يجعل من إجماع الأئمة دليلا على صحة ما يذهب إليه من تفسير إذا لم يتعين المراد من النص.

8- يكثر من الاحتكام إلى ما هو معروف من لغة العرب ومن التعرض للمذاهب النحوية بقدر ما تدعو إليه حاجة التفسير.

9- يعالج كثيرا من القضايا الفقهية، ويتعرض للكثير من المسائل الكلامية ويتصدى للرد على المذاهب المنحرفة التي تخالف تعاليم أهل السنة.

10- يورد الإسرائيليات في تفسير آيات القصص، وغالبا ما يذكره بسنده في النقل، وقد يعقب على بعض الروايات بالنقد وقد يتساهل في بعضها، وربّما يرى في ذكر السند مع كل رواية يرويها ما يبرئ ذمته، ويلقي بالتبعة على المنقول عنه.

وتلك أهم معالم ابن جرير الطبري في تفسيره، يمتزج فيها النظر بالأثر، ومن ثمّ كان مرجعا لدى المهتمين بالتفسير النقلي والمهتمين بالتفسير العقلي«[1]»، وقد لقي تفسير الطبري قبولا واستحسانا لدى المشتغلين بهذا الفن من القدامى والمحدثين ووردت في بيان قيمته العلمية شهادات كثيرة منها ما ذكره الذهبي رحمه الله في كتابه التفسير والمفسرون.

قال: «هذا ونستطيع أن نقول إنّ تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأولوية بين كتب التفسير أولية زمنية وأولية من ناحية الفن والصناعة،أمّا أولويته الزمنية فلأنّه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهب بمرور الزمن ولم يصل إلينا شيء منها، اللّهم إلاّ ما وصل إلينا في ثنايا ذلك الكتاب.

[1]- هذا ملخص من كتاب الدكتور محمد حسين الذهبي التفسير والمفسرون،ج 1، ص 151 ـ 161.

وأمّا أولويته من ناحية الفن والصناعة فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب من الطريقة التي سلكها فيه مؤلفه حتى أخرجه للناس كتابا له قيمته ومكانته»«[1]».

المطلب الرابع : نماذج من تفسير ابن جرير للقصص القرآني :

1ــ قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾«[2]» .

حدثنا بشر، قال حدثنا يزيد، قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله «ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب» قال حدثنا قتادة أنّ سليمان أمر ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له إنّ شيطانا في البحر يقال له :«صخر المارد» قال: فطلبه، وكانت عين في البحر يردها في كل سبعة أيام مرة، فنزح ماؤها وجعل فيه خمر فجاءه يوم وروده فإذا هو بالخمر فقال: إنّك لشراب طيب إلاّ أنّك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال: ثمّ رجع حتى عطش عطشا شديدا ثمّ أتاها فقال إنّك لشراب طيب إلاّ أنّك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثمّ شربها حتّى غلبت على عقله، قال: فأري الخاتم أوختم به بين كتفيه فذل، خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه فألقي قال فكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان فقال: إنّا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى

[1] – انظر: التفسير و المفسرون :ج1، ص150ـ 151.

[2] ــ سورة ص : الآية 34.

ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد فدار حولها، يرى بيضه ولا يقدر عليه فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتّى أفضى إلى بيضه، فأخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة، وكان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أوالحمام لم يدخله بخاتمه، فانطلق يوما إلى الحمام، وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند ذنب قارن فيه بعض نسائه، قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان على الشيطان شبه سليمان قال: فجاء فقعد على كرسيه وسريره، وسلط على ملك سليمان كلّه غير نسائه، قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب في القوة فقال له يا نبي الله وهو ــ لا يرى إلاّ أنّه نبي الله ــ أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتّى تطلع الشمس، أترى عليه بأسا؟ قال: لا، فبينما هو كذلك أربعين ليلة حتّى وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جنّي إلاّ سجد له حتّى انتهى إليهم «وألقينا على كرسيه جسدا ثمّ أناب» قال: هو الشيطان صخر» «[1]» .

2 ــ وقال في تفسير قوله تعالى في قصة زكريا عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾«[2]» .

حدثني موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط عن السدي قال: نادى

1- انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ،محمد بن جرير الطبري، د ط ،بيروت، دار الفكر ،دت ، ج9 ، ص 101

2- سورة مريم :الآية 8.

جبرائيل زكريا فقال: يا زكريا إن الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا، فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال: يسخر بك، و لو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر فشك و قال: (أنى يكون لي غلام)«[1]».

3 ــ وقال رحمه الله في قصة آدم عليه السلام عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ﴾«[2]» .

قال: لما أسكن الله آدم وذريته ،أوزوجته، ونهاه عن الشجرة وكانت شجرة غصونها متشعبة بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته، فلمّا أراد إبليس أن يستر لهما دخل في جوف الحية، وكانت للحية أربعة قوائم كأنّهامن أحسن دابة خلقها الله، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته فجاء بها إلى حواء فقال: انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وما أطيب طعمها، وأحسن لونها فأخذت حواء فأكلت منها ثمّ ذهبت إلى آدم فقالت له مثل ذلك حتى أكل منها فبدت لهما سوءتهما ،فدخل آدم في جوف الشجرة فناداه ربه يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هنا يا رب، قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا رب،: قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة يتحول عمرها شوكا، ثم قال: يا حواء أنت التي غررت عبدي فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها فإذا أردت أن تضعي ما

[1] – انظر:جامع البيان، ج 7، ص 39.

[2] – سورة البقرة: الآية 36.

في بطنك أشرفت على الموت مرارا، وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكون لك رزق إلا في التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك»«[1]»

المبحث الثالث: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين:

المطلب الأول: التعريف بالمفسر:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين المري الألبيري، أصله من العدوة من نقرة، تفقه بقرطبة عند أبي إبراهيم وسمع منه، ومن وهب بن مسرة، وابن الجزار والقروي، وابن المشاط، وأبان بن عيسى بن محمد وأحمد بن حزم..... وحدث عنه أبو زكريا القلعي، وأبو عمرو بن الحذاء، وحكم بن محمد وهشام بن سوار، والقاضي يونس، وحسين بن عساف، وأبو عبد الله بن الحصار.

قال ابن عفي: كان من كبار المحدثين والفقهاء الرّاسخين في العلم من مصنفاته:

المعرب في اختصار المدونة وشرح مشكلها، والتفقة في نكت منها، والمنتخب في الأحكام، والمذهب في اختصار ، وشرح ابن مزين للموطأ، وكتاب مختصر تفسير ابن سلاماللقرآن ،وكتاب حياة القلوب والرقائق ، والزهد..... وغيرها.«[1]».

[1]- انظر: جامع البيان، ج 1، ص87.

المطلب الثاني : منهج بن أبي زمنين في التفسير

لقد أبان الإمام بن أبي زمنين ـ رحمه الله في مقدمة تفسيره عن منهجه في كتابه هذا، وذاك أنّ اطّلع على تفسر يحي بن سلام ورأى أنّ فيه فوائد جمّة ، فأحبّ اختصاره لطلبة العلم الذين تقاعست همهم عن قراءاته فقال : ... وبعد فإنّي قرأت كتاب يحي بن سلّام في تفسير القرآن، فوجدت فيه تكرار كثيرا ، وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير دونها، فطال بذلك الكتاب ،وإنّ للذي خبرته من قلة نشاط الطالبين للعلوم في زماننا هذا ـ إلاّ إلى ما يخف في هذا الكتاب على الدارس ويقرب للمقيد ، نظرت فيه ، فاختصرت مكرره وبعض أحاديثه ، وزدت فيه من غير كتاب يحي بن سلّام ما لم يفسّره يحي وزدت ذلك إعرابا كثيرا ولغة ، على ما نقل عن النحويين وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل زائدا على الذي ذكره يحي من ذلك »«[2]. يقول محقق الكتاب« وبنظرة مدققة للتفسير نجد أنّ هناك خطوطا بارزة كوّنت لبن أبي زمنين طريقة خاصة في تفسيره ، حيث يسير المصنف من مبتداه إلى منتهاه على نسق واحد لا يعدوه فيمزج المصنف بين الآيات وتفسيرها عن طريق تقطيع الآية إلى أجزاء يعقب كل جزء تفسيره ، وقد يكون هذا الجزء

---

[1] ـ انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، ط 1 ، تصحيح محمد سالم هاشم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ، 1998م ، ج 2 ، ص 193 .

[2] ـ انظر : تفسير القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى بن أبي زمنين ، ط 1، تحقيق حسين بن عكاشة ـ محمد بن مصطفى ، القاهرة ، الفاروق الحديثية للطباعة والنشر ، 1432 هـ .2002 م، مج ، 1 ، ص 111

المقتطع كلمة أو أكثر ، حتّى تخال الكلام واحدا ممزوجة فيه الآيات بتفسيرها وأحيانا يفصل بين الألفاظ القرآنية وتفسيرها بقوله : يعنى أو أي ويتحلل ذلك أقوال المفسرين من الصحابة أو التابعين ثمّ يتعرّض للمعاني المعجمية ، وما ورد للغات من اللفظ المفسر ، مصحوبا ببيان المفرد والجمع ، أو المذكر والمؤنث ،ثمّ يفضّ المصنف إشكالا نحويا قد يقع للبس والغموض ، فيقوم ببيان الوجه الإعرابي وعلاقة هذا التوجيه بمعناه الدلالي وتفسير الآية كل ذلك مصحوبا بوجوه القراءات القرآنية المختلفة مع توجيه كل قراءة دلاليا ومعجميا ... ويعقب المصنف ذلك ببيان الأحاديث والآثار التي وردت بشأن هذه الآية ، متضمنا ذلك الحديث عن الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني ، و أسباب النزول وغير ذلك من علوم القرآن ...»«[1]»

المطلب الثالث: ذكر نماذج من تفسير بن أبي زمنين للقصص القرآني:

1ـ عند تفسير قوله تعالى: «﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾»[2] .

[1] ـانظر :مقدمة تحقيق تفسير بن أبي زمنين ، ج 1 ، ص 31 ـ 32.

[2] – سورة الأعراف: الآيتان: 189-190.

قال رحمه الله تعالى: «هو الذي خلقكم من نفس واحدة» يعني آدم (وجعل منها زوجها) يعني حواء، خلقها من ضلع آدم القصيرة اليسرى (فلما تغشاها حملت حملا خفيفا)إلى قوله: (جعلله شركاءفيما آتاهما) تفسير الكلبي: حملت حملا خفيفا يعني حواء، -فمرت به- أي أقامت به و قعدت- ثم أتاها الشيطان في غير صورته فقال يا حواء ما هذا في بطنك؟ فقالت: لا أدري، فقال لعله بهيمة من البهائم، فقالت: ما أدري فأعرض عنها، حتى إذا أثقلت أتاها فقال لها: كيف تجدينك يا حواء؟ فقالت: إني أخاف أن يكون الذي خوفتني، ما أستطيع القيام إذا قعدت، قال: أوأنت إن دعوت الله فجعله إنسانا مثلك، أومثل آدم أتسمينه بي؟ قالت: نعم، فانصرف عنها وقالت لآدم: إنّ الذي في بطني أخشى أن يكون بهيمة من هذه البهائم وإني لأجد له ثقلا، ولقد خفت أن يكون كما قال، فلم يكن لآدم ولا حواء هم إلا غيره حتى وضعت، فذلك قوله: دعوا الله ربهما لئن أتينا صالحا: أي إنسانا: «لنكونن من الشاكرين» كان هذا دعاءهما قبل أن تلد، فلمّا ولدت أتاها إبليس فقال: ألا تسمينه بي، كما وعدتني؟ قالت: ما اسمك قال عبد الحارث فسمته عبد الحارث، فمات»«[1]».

2 ــ وعند تفسيره قوله تعالى:﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ وَلَقَدۡ

[1]- تفسير القرآن: أبو عبد الله محمد بن عيسى بن أبي زمنين ، مج2، ص 158-159.

هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾

«[1]» قال ابن زمنين –رحمه الله تعالى- « وقالت هيت لك» أي: هلم لك، وتقرأ: هيت لك بفتح الهاء وتسكين الياء، قال: محمد يقال هيت فلان بفلان إذا صاح به، قال الشاعر:

قدر ابني أن الكرى أسكرتنا لو كان معنيا بها لهيتا

قوله: «معاذ الله» أي: سيدي- يعني: العزيز (أحسن مثواي) أي أكرم منزلتي.

قال أبو عبد الله الشامي: أول ما قالت له: يا يوسف ما أحسن شعركقال أما و إنه أول شيء يبلى مني.

«و لقد همت» يعني ما أرادته حيث اضطجعت له «وهمّ بها» يعني حل سروايله«لولا رأى برهان ربه»قال مجاهد: مثّل له يعقوب فاستحي منه، فصرف الله عنه، وأذهب كل شهوة كانت في مفاصله، قال الله: «كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء»، فولى هاربا واتبعته «واستبقا الباب» فسبقها إليه ليخرج «وقدت قميصه من دبر» أي شقته من خلفه «وألفيا سيدها» أي: زوجها «لدى الباب» عند الباب، «وشهد شاهد من أهلها» قال قتادة رجل حكيم من أهلها، قال

[1] ـ سورة يوسف :الآيتان 23 ـ 24 .

القميص يقضي بينهما، إن كان قد من قبل صدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين»«[1]» .

3-وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ ﴾«[2]»قال مجاهد: هو بلعان بن عمران –وبعضهم يسميه: بلعم– آتاه الله علما فتركه «فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين» أي كفر،قال محمد: يقال: أتعبت الرجل إذا لحقته وتبعته إذا سرت في أثره «ولو شئنا لرفعناه بها» أي: بآياتنا «لكنه أخلد إلى الأرض» أي: ركن إلى الدنيا «واتبع هواه» أي: أبى أن يصحب الهدى «فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه» أي: تطرده «يلهث أوتتركه يلهث»، تفسير الكلبي، قال هو ضال على كل حال وعظته أوتركته، قال محمد: قيل ضرب الله مثلا لتارك أمره أخس مثل، فقال عز وجل مثله كمثل الكلب لاهثا، واختصر لاهثا «إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث» و لهثانه: اضطراب لسانه

[1] – انظر: تفسير ابن أبي زمنين، مج2 ، ص 321-322.

[2] ـ سورة الأعراف : الآيتان 175 ـ 176.

وصوته الذي يردد عند ذلك، كأنه معي أوعطشان، وإذا كان الكلب بهذه الحال فهو أخس أحواله»«[1]» .

4ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾«[2]» قال الإمام ابن أبي زمنين –رحمه الله– من الفرق «ولم يعقب» يعني لم يرجع قال محمد: قال ها هنا «كأنها جان» والجان: الصغير من الحيات، وقال في موضوع آخر «إذا هي ثعبان مبين)» والثعبان الكبير من الحيات، قيل فالمعنى والله أعلم أنّ خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزاز وحركاتها كاهتزاز الجان، وهذا من عظيم القدرة. «يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون» أي: عندي «إلاّ من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء» تفسير الحسن: لا يخاف لدي المرسلون في الآخرة والدنيا « إلاّ من ظلم.....»أي: فإنه لا يخاف عندي وكان موسى ممن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فغفر الله له، وهو قتل ذلك القبطي لم يتعمد قتله، ولكن تعمد وكزه.

قال محمد قوله: « إلا من ظلم» قبل هو استياء ليس من الأول المعنى والله أعلم، لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم ثم تاب»«[3]».

---

[1]-انظر: ج2، ص 153.

[2]- سورة النمل :الآية 10.

[3]- انظر : ج3، ص 294-295.

5. قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾«[1]».

قال ابن أبي زمنين رحمه الله: «و أيوب إذ نادى..... »المرض « وأنت أرحم الراحمين» قال الحسين: إنّ أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كما كان أشد عليه من قولهم لو كان نبيا ما ابتلي بالذي ابتلي به، فدعا الله فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلاّ عملت في السر مثلها فاكشف ما بي من ضرفاستجاب الله له فوقع ساجدا وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعه رحمة من عندنا وذكرى للعابدين أي: أنّ الذي كان مما ابتلي به أيوب لم يكن من هوانه على الله لكنّ الله أراد كرامته بذلك وجعل ذلك عزاء للعابدين»«[2]».

المبحث الرابع : معالم التنزيل للبغوي

المطلب الأول: التعريف بالمفسر

هو الحسين بن محمد أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، يعرف بابن الفرّاء، ويلقب بمحيي السنة وركن الدين، كان إماما في التفسير إماما في الحديث إماما في الفقه، تفقه على

[1] ـ سورة الأنبياء : الآيتان 83 ـ 84.

[2] – انظر: تفسير ابن أبي زمنين ج 3،ص 156.

القاضي حسين، وسمع الحديث منه ومن أبي عمر بن عبد الواحد المليحي وأبي حسن الداودي روى عنه أبو منصور حفدة، وأبو الفتوح الطائي، وله من التصانيف معالم التنزيل في التفسير، وشرح السنة ،والمصابيح، والتهذيب في الفقه، وقد بورك له في تصانيفه، ورزق فيها القبول لحسن نيته وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، وكان قانعا ورعا يأكل الخبز وحده، ثمّ عدل في ذلك فصار يأكله بزيت.

مات في شوال سنة عشرة وخمسمائة وقد جاوز الثمانين»«[1] » .

المطلب الثاني : التعريف بالتفسير:

من أحسن كتب التفسير بالمأثور قال فيه ابن تيمية: «والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنّه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة»«[2]».

يتعرض لتفسير الآية بلفظ سهل موجز، وينقل ما جاء عن السلف في تفسيرها بدون أن يذكر السند اكتفاء بما ذكره في مقدمته من ذكر وإسناد من يروي عنهم.

و كان بحكم كونه من رجال الحديث يتحرى الصحة فيما يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعرض عن المناكير.

[1] – انظر: طبقات المفسرين ، السيوطي ، ص 39.

1– مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، شرح مساعد الطيار ، ص138

يذكر من القراءات ما يتصل بالمعنى، ويتحاشى الإكثار من الإعراب ونكت البلاغة ولا يلم بشيء من ذلك إلا بقدر ما يحتاج إليه الكشف عن المعنى،ويؤخذ عليه ذكره ببعض الروايات الضعيفة وبعض الإسرائيليات دون تعقيب عليها، ولا يتدخل في خلاف الروايات بترجيح أوتضعيف، والكتاب في جملته أسلم وأحسن من كثير من كتب التفسير بالمأثور«[1]».

المطلب الثالث :ذكر نماذج من تفسير البغوي للقصص القرآني:

1.قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾«[2]» ، فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحاء فبعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها، فلقيهم رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة ألاف وثلاثمائة وثلاث وثلاثين ذراعا وثلث ذراع، وكان يتحجز بالسحاب ويشرب منه، ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه إليها ثمّ يأكله، ويروى أنّ الماء طبق

2 ـانظر :التفسير و المفسرون ، ج1، ص169 ـ 170.

[2] ـ سورة المائدة : الآية12

ما على الأرض من جبل وما جاوز ركبتي عوج، عاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى، وذلك أنّه جاء وقلع صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ، وحملها ليطبقها عليهم، فبعث الله الهدهد فنقر الصخرة بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته، فأقبل موسى وهو مصروع فقتله، وكانت أم عنق إحدى بنات آدم وكان مجلسها جريبا من الأرض، فلما لقي عوج النقباء وعلى رأسه حزمة من الحطب أخذ الإثني عشر وجعلهم في حجزته وانطلق بهم إلى امرأته، وقال: انظري إلى هؤلاء الذين يزعمون أنهم يريدون قتالنا، وطرحهم بين يديها ،وقال: ألا أطحنهم برجلي؟ فقالت امرأته: بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك.

وروي أنّهم جعلوهم في كمه وأتى بهم إلى الملك فطرحهم بين يديه فقال الملك: ارجعوا بما رأيتم ، وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم إلا خمسة أنفس منهم في خشبة، ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع منها حبة خمسة أنفسهم، فرجع النقباء وجعلوا يتعرّفون أحوالهم، وقال بعضهم لبعض يا قوم إنّكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموا وأخبروا موسى وهارون فيريان رأيهما وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك، ثمّ إنهم نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهي عن قتالهم ويخبرهم بما رأى إلاّ رجلان...»«[1]»، فذلك قوله تعالى:« ولقد أخذ الله ميثاق...».

2-وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ

1 – معالم التنزيل :الحسين بن محمد أبو محمد البغوي، ط1 ،بيروت ، دار المعرفة، 1986 م ، ج2 ،ص 20.

ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾»[1]قال: طولا وقوة، قال السدي والكلبي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع، وقامة القصير ستين ذراعا، وقال أبو حمزة سبعون ذراعا، وعن ابن عباس ثمانون ذراعا، وقالمقاتل كان طول كل رجل اثني عشرة ذراعا وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة وكان عين الرجل تفرخ فيها الضباع وكذلك مناخيرهم»«[2]».

3ـ ذكر قصة الذي آتاه الله الآيات من بني إسرائيل: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾«[3]». قال.رحمه الله: «اختلفوا قال ابن عباس هو بعلم بنباعوراء ، وقال مجاهد بلعام بن باعور، وقال عطية عن ابن عباس كان من بني إسرائيل وروي عن علي بن أبي طلحة أنّه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة بلقا، وكانت قصته على ما ذكره حرب الجبارين ونزل أرض بن كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم وكان عنده اسم الله الأعظم فقالوا إنّ موسى رجل شديد ومعه جند كثير، وأنّه جاء يخرجنا عن بلادنا ويقتلنا ويحلها بني إسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فخرج فادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة و المؤمنون كيف أدعوا عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وإنّي إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فرجعوا له وألحّوا عليه فقال حتى أومر من ربي وكان لا يدعوه حتى ينظر ما يؤمر به في المنام....»، وفي هذه الآية أيضا يورد البغوي هذه القصة «وقال مقاتل إنّ ملك البلقاء قال لبلعام: ادع الله على موسى، فقال إنّه من أهل ديني لا أدعو عليه فنحت خشبة

[1] – سورة الأعراف: الآية69

[2] – انظر: معالم التنزيل : ج 2، ص170.

[3] ـ سورة الأعراف : الآية 175.

ليطلبه فلمّا رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه فلمّا عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني إنّي مأمورة وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال موسى يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال بلعام قال فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الأعظم والإيمان فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت منه صورة كحمامة بيضاء«[1]» فذلك قوله :«فانسلخ منها»

وأورد رواية أخرى عن ابن عباس أنّها أي قوله تعالى: «و اتل عليهم ....» نزلت في البسوس، رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة له منها ولد فقالت اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين؟ قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل فدعا لها فجعلت أجمل امرأة فلما علمت أنّه ليس فيهم مثلها رغبت عن زوجها فغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة، فذهب فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة والناس يعايروننا بها ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت عليها، فدعا لها فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها»«[2]».

1- انظر: معالم التنزيل، ج 2، ص 214.

2- المصدر نفسه : ج 2، ص 215.

المبحث الخامس : تفسير ابن كثير:

المطلب الأول :التعريف بالمفسر:

هو الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي، مؤرخ، مفسر، محدث من فقهاء الشافعية، ولد في قرية شرقي بصرى الشام سنة سبع مائة للهجرة أو بعدها و لما بلغ السابعة من عمره قدم دمشق مع أخيه بعد موت أبيه، وبها نشأ وتعلم.

سمع من الآمدي وابن عساكر آخرين ولزم المزي وقرأ عليه تهذيب الكلام وصاهره على ابنته، وأخذ عن ابن تيمية وأعجب به وامتحن بسببه وكانت له خصوصية به و إعجاب

قال عنه الداودي في طبقات المفسرين: كان قدوة للعلماء والحفاظ، وعمدة أهل المعاني والألفاظ، ولي بعد السبكي مشيخة الحديث مدة ثم أخذت منه،وقال ابن حبيب: إمام التسبيح و التهليل وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنف، و أطرب الأسماع بقولهوحدّث وأفاد وطارت أوراق فتاويه إلى البلدان واشتهر بالضبط والتحرير وانتهت إليه رياسة العلم في التاريخ والحديث و التفسير«[1]».

وقال عنه ابن حجر: اشتغل بالحديث مطالعة ورجاله وشرع في كتاب كبير في الأحكام لم يكمله وجمع التاريخ الذي اسمه البداية والنهاية، وألف طبقات الشافعية ،وشرع في شرح البخاري، وكان

[1] – انظر:معجم المفسرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر ، عادل نويهض ، ط 1 ، لبنان ، مؤسسة نويهض الثقافية ،1403 هـ ـ 1983م ، ج 92/1.

كثير الاستحضار، حسن المفكاهة وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بع وفاته وهو من محدثي الفقهاء»«[1]».

المطلب الثاني تعريف موجز بتفسير ابن كثير:

1- اسم هذا التفسير تفسير القرآن العظيم، ويذكر باسم تفسير ابن كثير.

2- و هو من أشهر ما دون في التفسير بالمأثور، فهو الكتاب الثاني بعد كتاب الطبري.

3- اتبع ابن كثير في تفسيره طريقة نبه إليها في مقدمته القيمة التي صدر بها تفسيره.

4- اعتمد في تفسيره على الرواية عن مفسري النقل.

5- يفسر القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية وبأقوال الصحابة والتابعين.

6- يورد الآيات المتناسبة في المعنى، ثم يسرد بعدها الأحاديث المتعلقة بالآية والموضحة لها ويبين وجه الاحتجاج بها، ويختم بأقوال الصحابة والتابعين.

7- يوازن بين الأقوال ويرجح بعضها على بعض، كما يتكلم عن الروايات تضعيفا وتصحيحا وعن الرجال تعديلا و ترجيحا.

8ينقل عن بعض المفسرين ممن سبقه كابن جرير وابن أبي حاتم وابن عطية وغيرهم.

9 يورد في تفسيره بعض الإسرائيليات إلاّ أنه يعلق عليها وينتقدها وقد أشار إلى ذلك في مقدمة تفسيره.

[1] ـ انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي ، ط 1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ـ 1997م ، ج 1 ، ص 218.

10ـ عباراته في التفسير سهلة و موجزة.

11 ـ يورد المسائل الفقهية لكنه لا يتوسع كثيرا في مناقشاتها«[1]».

المطلب الثالث نماذج من تفسير ابن كثير للقصص القرآني:

1 ـ قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾«[2]».

يقول الله تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة وبيان القاتل من هو بسببها، وإحياء الله المقتول ونصّه على من قتله منهم، ثم يقول رحمه الله ذكر بسيط للقصة، وهنا يورد عدة روايات رواية عن ابن أبي حاتم، ورواية عن ابن جرير، ورواية عن السدي، ثمّ يقول معقبا على تلك الروايات: وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسدي ،وغيرهم فيها اختلاف ما، والظاهر أنها مأخوذةمن كتب بني إسرائيل، وهي مما يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا لا يعتمد عليها إلا ما وافق الحق عندنا والله أعلم«[3]» .

ثمّ يمضي في تفسير آيات القصة حتى إذا وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾«[4]» عاد إلى ذكر الروايات في شأن البقرة وبعضها

[1] – انظر: التفسير والمفسرون ج 1، ص 174 ـ 175.

[2] – سورة البقرة :الآية 67.

[3] – تفسير القرءان العظيم،ابن كثير، بيروت، دار الأندلس ، ط6 ،م 1984 م، ج 1 ، ص 188.

[4] – سورة البقرة: الآية 73.

المضروب به القتيل فيقول رحمه الله : «وهذا البعض أي شيء كان من أعضاء البقرة، فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كائن وقد كان معينا في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أوالدنيا لبينه الله تعالى لنا، ولكنّه أبهمه ، ولم يجيء من طريق عن مفهوم بيانه فنحن نبهمه كما أبهمه الله»«[1]»غير أن ابن كثير يعود إلى ذكر روايات تريد بيان بعض البقرة المضروب به فيقول: قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عفان بن مسلم حدثنا عن الواحد بن زياد، حدثنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة حتى وجدوها عند رجل في بقر له، و كانت بقرة تعجبه، قال فجعلوا يعطونه بها فيأبى حتى أعطوه ملء مسكها دنانير فذبحوها فضربوه –يعني القتيل– بعضو منها فقام يتشطح دما فقالوا من قتلك؟ قال قتلني فلان و كذا قال الحسن وعبد الرحمان بن يزيد بن أسلم، إنه ضرب ببعضها، وفي رواية ابن عباس ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر قال قتادة ضربوه بلحم فخذها فعاش فقال: قتلني فلان، وقال وكيع بن الجراح في تفسيره: حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة قال قال ابن أبي حاتم: و روي عن مجاهد وقتادة و عكرمة نحو ذلك وقال السدي: فضربوه بالبضعة التي بين الكتفين فعاش فسألوه فقال قتلني ابن أخي، وقال أبو العالية أمرهم موسى أن يأخذوا عظما من عظامها فضربوا القتيل ففعلوا فرجع إليه

[1] ــ انظر: تفسير القرآن العظيم ،ج 1، ص169.

روحه فسمى قاتله، ثم عاد ميتا كما كان،وقال عبد الرحمان بن يزيد بن أسلم: فضربوه ببعض آرابها و قيل بلسانها، و قيل بعجب ذنبها«[1]».

2.وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾«[2]» .

روي عن ابن عباس أنّهم كانوا أربعة آلاف، وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبو صالح تسعة آلاف، وقال وهب بن منبه وأبو مالك كانوا بضعة و ثلاثين ألفا، وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا أربعة آلاف، وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبو صالح تسعة آلاف، وقال وهب بن منبه وأبو مالك كانوا بضعة وثلاثين ألفا، وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانوا أهل قرية يقال لها ذا وردان، وكذا قال السدي وأبو صالح وزاد من قبل واسط ، وقال سعيد بن عبد العزيز، كانوا من أهل ذرعات، وقال ابن جريح عن عطاء قال مثل هذا، وقال علي بن عاصم كانوا من أهل ذا وردان قرية على فرسخ من قبل واسط«[3]».

[1] – تفسير القرآن العظيم ،:ج 1، ص196.
[2] – سورة البقرة الآية 243.
[3] – تفسير القرآن العظيم،ج 1، ص529.

قال وكيع بن الجراح في تفسيره: حدثنا سفيان عن مسيرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو الأسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون فقالوا: نأتي أرضا ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله موتوا فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم فذلك قول الله عز و جل: «ألم ترى إلى الذين خرجوا...» ،وذكر غير واحد من السلف أنّ هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمن بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارا من الموت هاربين إلى البرية، فنزلوا واديا أفيح فملئوا ما بين عدوتيه فأرسل الله إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والآخر من أعلاه فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد وبني عليهم جدران، وتمزقوا وتفرقوا، فلمّا كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل فسأل الله أنّ يحييهم على يديه فأجابه الله إلى ذلك وأمره أن يقول أيتها العظام البالية إنّ الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ثم أمره فنادى: أيتها العظام إنّ الله يأمرك أن تكتسي لحما وعصبا وجلدا فكان ذلك وهو يشاهده، ثم أمره فنادى: أيتها الأرواح إنّ الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون سبحانك لا إله إلا أنت، وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة»«[1]».

[1]- تفسير القرآن العظيم ،ج1، ص529.

3- وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ «[1]».

إنّ علامة ملك طالوت أن يرد الله عليكم التابوت الذي كان أخذ منكم فيه (سكينة من ربكم) قيل معناه فيه وقار وجلالة وقال الربيع: رحمة، وقيل السكينة: طست من ذهب كامن تغسل فيه قلوب الأنبياء، أعطاها الله موسى عليه السلام فوضع فيها الألواح، وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل، عن أبي الأحوص عن علي قال: قال السكينة له وجه كوجه الإنسان ثم هي روح هفافة وقال ابن جرير حدثني المثنى، حدثنا أبو داوود حدثنا شعبة و حماد بن سلمة وأبو الأحوص كلهم عن سماك عن خالد عن عرعرة عن علي قال: السكينة ريح خجوج ولها رأسان وقال مجاهد لها جناحان وذنب، وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: السكينة رأس هرة ميتة إذ صرخت في التابوت بصراخ هر أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح...«[2]».

4-وقالفي تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ

[1]- سورة البقرة الآية: 248.

[2]-تفسيرالقرآن العظيم: ج 1،ص 535.

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ

﴿«[1]»﴾

وبعد أن ساق عن الطبري في وصف الجبارين قال: «وفي هذا الإسناد نظر، ثمّ نقل رواية بن أبي حاتم

وعلّق عليها بقوله: وقد ذكر كثير من المفسرين أخبارا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين وأنّ منهم عوج بن عنق بنت آدم، وهذا شيء يستحى من ذكره، ثمّ هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنّ الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن، ثم ذكر أنّ هذا الرجل كان كافرا وأنّه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأنّ الطوفان لم يصل إليه' وهذا افتراء فإنّ الله تعالى ذكر نوحا حين دعا فقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقال لا عاصم اليوم من أمر الله إلاّ من رحم وإن كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر هذا لا يسوغ في عقل ولا في شرع»«[2]».

[1]- سورة المائدة: الآية 12.

[2]- تفسير القرآن العظيم ، 2، ج ، ص 536.

المبحث السادس : تفسير الخازن

المطلب الأول :التعريف بالمفسر

الخازن هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر ابن خليل الشيحي البغدادي الشافعي الصوفي، ولد ببغداد سنة ثمان وسبعين وستمائة 678هـ، قدم دمشق وسمع من القاسم بن مظفر، كان من أهل العلم جمع وألف وحدّث ببعض مصنفاته، من مؤلفاته شرح عمدة الأحكام، ومقبول المنقول في عشر مجلدات، وجمع سيرة نبوية مطولة.،وأشهر كتبه تفسيره المسمى «لباب التأويل في معاني التنزيل» المشهور بتفسير الخازن، توفي رحمه الله سنة إحدى وأربعة وسبعمائة من الهجرة 741هـ بمدينة حلب«[1]».

المطلب الثاني: التعريف بتفسيره:

اختصر الخازن تفسيره المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل من تفاسير من سبقه، ولاسيما تفسير «معالم التنزيل»للبغوي، فكان عمله فيه ما ذكره في مقدمته النقل والانتخاب مع حذف الأسانيد وتجنب التطويل والإسهاب، وعني فيه بتخريج الأحاديث النبوية من الصحيحين والسنن الأربعة، وشرح غريب الأحاديث التي يوردها، و يكثر من التفسير بالمأثور فعد عند بعض العلماء منها: كتب التفسير بالمأثور.

[1]– انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، د ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت ، ج 5 ، ص 131. ،و معجم المفسرين : عادل نويهض ، ج1 ، ص 379.

وقد عرف هذا التفسير بتوسعه في رواية الإسرائيليات وأخبار الأمم الماضية ، والأخبار التاريخية حتى جعله هذا التوسع يورد أمورا غريبة لا تسلم أمام النقد العلمي،ولكن للخازن طريقته الخاصة في إيراد هذه الروايات، هي أنه يصدرها بلفظ يشعر بعدم جزمه بها مثل: «يروي» أو «روي» أو «عن فلان» وما أشبه ذلك من عبارات، وهو أسلوب اصطلح عليه العلماء رمزا إلى أنّ ما صدر بمثل هذه الصيغ فهو ضعيف أومشكوك فيه«[1]».

المطلب الثالث : ذكر نماذج من تفسير الخازن للقصص القرآني

1 ـ قال رحمه الله عند تفسيره قول الله عز و جل: ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ »«[2]».

ذكر القصة في ذلك: قال العلماء بأخبار الأنبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهوحبيب النجار يس فسلّما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما: فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمان، فقال الشيخ لهما أمعكما آية؟ قالا نعم: نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، قال الشيخ: إن لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع عليه فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحا

[1] – انظر: التفسير و المفسرون ج 1 ، ص 221 ـ 222 ـ 223.

[2] – سورة يسن : الآية.13

الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى، وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه أنطيخس وكان من ملوك الروم فانتهى خبرهما إليه فدعا بهما وقال من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى قال وفيما جئتما؟ قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر، فقال: ولنا إله دون آلهتنا؟ قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما....»«[1]»

2.وقال عند تفسير قوله تعالى من قصة إبراهيم: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ «[2]»

قال العلماء بالسير وأخبار الماضين لما دعا إبراهيم ربه فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو إذن لله ذبيح فلمّا ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه بالذبح فقال لإسحاق انطلق نقرب لله قربانا فأخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى،وقال محمد بن إسحاق كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا زار هاجر وإسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه رجاء ما كان يؤمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر في المنام بذبحه، وذلك أنه رأى ليلة

[1] ــ انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ، دط ، بيروت ، دار الفكر ، 1399هـ ـ 1979م، ج 6 ، ص 5.
[2] – سورة الصافات الآية 102.

التروية كان قائلا يقول له إنّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلمّا أصبح تروى في نفسه أي فكر من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أمن الشيطان؟ فمن ثمّ سمي ذلك اليوم يوم التروية، فلما أمسى رأى في المنام ثانيا فلما أصبح عرف أنّ ذلك من الله فسمى ذلك اليوم يوم عرفة، وقيل رأى ذلك ثلاث ليال متتابعات فلمّا عزم على نحره سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تيقن ذلك أخبر ابنه فقال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك»«[1]».

3 ـ وقال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾«[2]».

«وفي الآية امتحان داوود عليه الصلاة السلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء في ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ،ثم أتبعه بفصل أذكر فيه نزاهة داود عليه الصلاة والسلام عما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم، لأنّ منصب النبوة أشرف المناصب وأعلاها فلا ينسب إليها ما لا يليق بها، وأمّا ما قاله المفسرون فهو أنّ داوود عليه السلام تمنى يوما من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وذلك أنّه قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس، ويوم يخلو فيه لعبادة ربه، ويوم لنسائه وأشغاله، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به أبائي الذين كانوا من قبلي أوحى الله إليه أنهم ابتلوا بلايا لم تبتل بها فصبروا عليها، ابتلي إبراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلي إسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله عز وجل أنّك مبتلى في

[1] – انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل ، ج 6 ، ص 27 ـ 28.

[2] – سورة ص: الآية 21.

شهر كذا في يوم كذا فاحترس، فلمّا كان اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وقد تمثّل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وجناحاها فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يديه ليأخذها ويريها بني إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلمّا قصد أخذها طارت حتى وقعت في كومة فذهب إليها ليأخذها فطارت غير بعيد فامتد إليها ليأخذها فطارت حتى وضعت في كوة فذهب ليأخذها من الكوة فطارت من الكوة، فنظر داوود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقا، فعجب داوود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده إعجابا بها فسأل عنها فقيل هي امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة مع أيوب بن صوريا ابن أخت داوود، فكتب داوود إلى ابن أخته أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم قبل التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أويستشهد، ففتح له فكتب إلى داوود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا ،وكذا أشد منه فبعثه فقتل المرة الثالثة فلمّا انقضت عدة المرأة تزوجها داوود فهي أم سليمان عليه الصلاة والسلام، وقيل أنّ داوود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا ذنبه... وقيل إنّ داوود قال لبني إسرائيل لأعدلن بينكم ولم يستثني فابتلي، وقيل أنّه أعجبه عمله فابتلي فبعث الله لم ملكين في صورة رجلين وذلك يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهم الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان وهو يصلي، يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل: «و هل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب»«[1]».

[1]- لباب التأويل في معاني التنزيل ،ج 6، ص 45 ـ 47

وأورد الخازن عقب تفسير الآيات قصة في توبة داوود فقال:« .... ففطن داوود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع في دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زلّ داوود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب رب إن إن لم ترحم ضعف داوود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده، فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال: يا داوود إنّ الله قد غفر لك ، فقال داوود إنّ الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت أن الله عادل فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة فقال ربي دمي الذي عند داوود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن، قال نعم فعرج جبريل، وسجد داوود ما شاء الله ثمّ نزل جبريل فقال سألت الله يا داوود عن الذي أرسلتني فيه فقال قل لداود إنّ الله تعالى يجمعكما فيقول له هب لي دمك الذي عند داوود فيقول هو لك يا رب، فيقول الله تعالى فإنّ لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا عن دمك فهذه أقاويل السلف في قصة امتحان داوود»«[1]».

وأعقب الخازن هذه الروايات بفصل تكلم فيه في تنزيه داوود عمّا لا يليق به، وما ينسب إليه منه قوله:«اعلم أن من خصّه الله تعالى بنبؤته وأكرمه برسالته وشرّفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه، لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب لأحد الناس لاستنكفت أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء و الصفوة الأمناء«[2]».

[1]- انظر : لباب التاويل في معاني التنزيل ، ج 6 ، ص 48 ـ49.

[2]-المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 49.

المبحث السابع: تفسير الثعالبي : الجواهر الحسان في تفسير القرآن

المطلب الأول :التعريف بالمفسر

هو الإمام العالم المحقق أبو زيد عبد الرحمان الثعالبي بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، المالكي العالم العامل، الزاهد الورع، اتفق الناس على صلاحه وإمامته، رحل من الجزائر لطلب العلم في آخر القرن الثامن، فدخل بجاية، ثم تونس ،ثم رحل إلى مصر، ثم رجع إلى تونس، وقال عن نفسه: لم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث، إذا تكلمت أنصتوا وقبلوا ما أرويه تواضعا منهم وإنصافا واعترافا بالحق، وكان الثعالبي إماما مصنفا، خلّف للناس كتبا كثيرة نافعة منها الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وكتاب الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز، وتحفة الأخوات في إعراب بعض آيات القرآن، وكتاب جامع الأمهات في أحكام العبادات، كانت وفاته سنة 876هـ، و عمّر نحو تسعين عاما و دفن بمدينة الجزائر«[1]».

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الثعالبي:

عرّف الثعالبي بتفسيره في المقدمة فقال:«... فإنّي قد جمعت لنفسي ولك في هذا المختصر ما أرجو أن يقر الله به عيني وعينك في الدارين، فقد خمنته بحمد الله المهم مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة حسبما رأيته أو رويته عن الإثبات، وذلك قريب من مائة تأليف وما فيها تأليف إلا وهو لإمام مشهور بالدين ومعدود في المحققين، و كل ما نقلت عنه من

[1]-انظر:معجم المفسرين : عادل نويهض ،ج1، ص276.

المفسرين شيئا فمن تأليفه نقلت، وعلى لفظ صاحبه عولت، ولم أنقل شيئا من ذلك بالمعنى خوف الوقوع في الزلل، وإنّما هي عبارات وألفاظ لمن أعزوها إليه، وما انفردت بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي النحوي لتفسير الطبري نقلت لأنه اعتنى بتهذيبه ....»«[1]»،ويعد الكتاب كما يرى الذهبي مختصرا لتفسير بن عطية مع زيادة نقول نقلها الثعالبي عمن سبقه من المفسرين فليس له بعد الجمع والترتيب إلا عمل قليل وأثر فكري ضئيل«[2]» .

والكتاب مطبوع ومحقق من قبل الدكتور عمار طالبي وقد كتب حوله رسائل جامعية منها رسالة الدكتور رمضان يخلف بعنوان: «الثعالبي ومنهجه في التفسير» ورسالة الأستاذ جمعي شبايكي.

و الثعالبي يعنى مع التفسير بالصناعة النحوية ناقلا عمن ذكره، ومن عند نفسه، و يستشهد بالشعر العربي ويتعرض للقراءات، وعندما يذكر الروايات المأثورة في التفسير يذكرها دون أن يذكر الأسانيد إلى من يروي عنه، ولا يخلو كتابه من الإسرائيليات ، ويتعقب ما يذكره منها بما يفيد عدم صحته أو بما يفيد عدم القطع بصحته.

[1]ـ انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، د ط ، تحقيق عمّار طالبي ، ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ، دت ، ج 1 ، ص 7 ـ 8.

[2]– التفسير و المفسرون ج 1 ، ص250.

المطلب الثالث ذكر نماذج من تفسير الثعالبي للقصة قرآنية

1 ـ قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾«[1]»:وقوله تعالى: «و اتبعوا....» يعني اليهود و «تتلوا» قال عطاء معناه تقرأ وقال ابن عباس «تتلو» تتبع، «على ملك سليمان)» أي على عهد ملك سليمان وقال الطبري: «اتبعوا)» بمعنى فضلوا «على ملك سليمان» أي على شرعه ونبوته والذي تلته الشياطين على ملك سليمان قيل: أنّهم كانوا يلقون إلى الكهنة الكلمة من الحق مع المائة من الباطل، حتى صار ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه، فلمّا مات أخرجته الشياطين وقالت إنّ ذلك كان علم سليمان، وروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سليمان عليه السلام في الأنبياء فقال بعض اليهود: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلاّ ساحرا.

وقوله تعالى: «و ما كفر سليمان» تبرئة من الله تعالى لسليمان عليه السلام،«وما أنزل على الملكين ببابل» ما عطف على السحر فهي مفعوله وهذا على القول بأنّ الله تعالى أنزل السحر على الملكين ليكفر به من اتبعه، و يؤمن به من تركه، أو على قول مجاهد وغيره: إنّ الله تعالى أنزل على الملكين الشيء الذي يفرق بين المرء وزوجه دون السحر أوعلى القول إنّ الله تعالى أنزل السحر عليهما ليعلم على جهة التحذير منه والنهي عنه.

[1] ـ سورة البقرة :الآية102

قال «ع» والتعليم على هذا القول إنما هو تعريف يسير بمبادئه وقيل إنما عطف على «ما» في قوله «ما تتلوا»، وقيل «ما» نافية، رد على قوله «وكفر سليمان» وذلك أن اليهود قالوا إنما الله أنزل على جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك.

«ت» قال عياض والقراءة بكسر اللام من الملكين شاذة وبابل قطر من الأرض وهاروت وماروت يد الملكين،وما يذكر في قصتهما مع الزهرة كلّه ضعيف وكذلك قال «ع»، «ت» قال عياض وأمّا ما ذكره أهل الأخبار ونقله المفسرون في قصة هاروت وماروت وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما، فاعلم أكرمك الله أنّ هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس هو شيئا يؤخذ بقياس، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير عن السلف، وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات»«[1]».

544- انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، ج1، ص117ـ 118.

2.قال رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾«[1]»

«برزوا» معناه صاروا في البراز، وهو الأفيح، من الأرض المتسع وكانوا جالوت أمير العمالقة وملكهم، وروي في قصة داوود وقتله جالوت أنّ أصحاب طالوت كان فيهم إخوة داوود وهم بنوا آيش وكان داوود صغيرا يرعى غنما لأبيه، فلمّا حصرت الحرب قال في نفسه لأذهبنّ لرؤية هذه الحرب فلما نهض مرّ في طريقه بحجر فناداه يا داود فبي تقتل جالوت، ثم ناداه حجر آخر، ثمّ آخر، ثمّ آخر فأخذها وجعلها في مخلاته، وسار فلمّا حضر البأس خرج جالوت يطلب مبارزا فكعّ الناس عنه حتى قال طالوت من برز له ويقتله فأنا أزوجه ابنتي، وأحكمه في مالي، فجاء داود فقال أنا أبرز له وأقتله، فقال له طالوت فاركب فرسي وخذ سلاحي ففعل وخرج في أحسن شكله، فلمّا مشى قليلا رجع فقال الناس جبن الفتى فقال دود إنّ الله سبحانه وتعالى لا إن لم يقتله لي و يعينني عليه لم ينفعني هذا الفرس، ولا هذا السلاح، ولكنّي أحب أن أقاتله على عادتي، وقال وكان داود من أرمى الناس بالمقلاع فنزل وأخذ مخلاته فتقلدها وأخذ مقلاعه فخرج إلى جالوت وهو شاك في السلاح فقال له جالوت: أنت يا فتى تخرج إلي؟ قال نعم، قال هكذا كما يخرج إلى الكلب، قال نعم وأنت أهون، قال لأطعمنّ اليوم لحمك الطير والسباع ثم تدنّيا، فأدار داود مقلاعه وأدخل يده إلى الحجارة فروي أنّها التأمت فصارت فأخذه ووضعه في المقلاع، وسمّى الله وأرداه ،ورماه فأصاب به رأس جالوت فقتله وحز رأسه، وجعله في مخلاته واختلط الناس وحمل أصحاب طالوت ،وكانت الهزيمة، ثمّ

[1]ـ سورة البقرة : الآية 250 .

إنّ داود جاء يطلب شرطه من طالوت فقال له إنّ بنات الملوك لهن غرائب من المهر ،ولابدّ لك من قتل مائتين من هؤلاء الجراجمة الذين يؤذون الناس وطمع طالوت أن يعرض داود للقتل بهذه النزعة فقتل داود من مائتين، وجاء بذلك، وطلب امرأته فدفعها إليه طالوت وعظم أمر داود، فيروى أنّ طالوت تخلى له عن الملك وصار هو الملكة و قد أكثر الناس في قصص هذه الآية وذلك كله لين الأسانيد فلذلك انتقيت منه ما تنفك به الآية«[1]».

546-الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ج 1، ص239.

الفصل الثاني :

الدراسة النقدية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: النقد الإجمالي

إنّ التأمل الدقيق والقراءة البصيرة المتأنية لما أوردته من نماذج في تفسير القصص القرآني عند المفسرين بالمأثور يكشفان عن ملاحظات جديرة بالتنبيه والذكر تكون مجتمعة سمات بارزة وملامح مميزة لمنهج الأثريين في معالجة ما ورد في القرآن الكريم من قصص وهذه الملاحظات هي:

1- إنّ المفسرين بالمأثور متفاوتون فيما بينهم في ذكر الروايات والأخبار وهم بين مكثر مسرف،

ومتوسط معتدل، ومقل، فالخازن مثلا تجده ولعا بذكر الأخبار والروايات حتّى إنه عدد من محاسن تفسير البغوي أنّه أعطى أهمية كبيرة للقصص القرآني، ولعلّ من أسباب الإكثار في الرواية والأخبار لدى الخازن أنّه كان متصوفا واعظا، والواعظ يغلب عليه الجانب القصصي فيما يحدّث به الناس، وفيما يكتب لهم، كما أنّ الخازن كان خازن كتب السميساطية بدمشق ومن يقوم على الكتب ،وله ولع بالتفسير لابد أن يعجب ببعض منها، ويتأثر به فيما يحاول من كتابة التفسير، وقد تأثر الخازن إلى حد كبير بالتفاسير التي لها عناية بالجانب القصصي فأكثر عنها النقل في تفسيره كالثعلبي«[1]».

547- انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث: محمد حسين الذهبي، ط4،القاهرة، مكتبة وهبة ،1990 م، ص 130.

وممّن يعد أيضا من المكثرين في ذكر الروايات والأخبار ابن جرير الطبري، وكذلك أبو إسحاق الثعلبي، وأما من يمكن أن يوصف بأنه معتدل ومتوسط في ذكر الأخبار والقصص الحافظ ابن كثير، وهو من المؤرخين ومن كان مؤرخا يغلب عليه الجانب الإخباري، يرويه على أنه شرح لبعض ما أجمل في القرآن أويذكره استطرادا لأدنى مناسبة ولكن من محاسن ابن كثير أنّه محدث بارع مما جعلته تلك الملكة يتوقى الصحة غالبا فيما ينقل ويسمح له علمه ودرايته بأن يكون ناقدا مدققا لما يذكر من روايات فهو كما قال الذهبي: «وعلى الجملة فلم نر من المفسرين رجلا كان له من قوة النقد للمأثورات وتمييز جيادها من زيوفها مثلما كان لابن كثير رحمه الله»«[1]».

وممن يعد متوسطا في ذكر القصص والأخبار الإمام البغوي في معالم التنزيل، ومن سماته أنه إخباري ومحدث خبير، ويمكن أن نجعل الثعالبي صاحب الجواهر نموذجا للتفاسير التي تعد مقلة في ذكر الأخبار والقصص مع تعقبها بالنقد والتعليق.

2- أنّ كتب التفسير بالمأثور لم تخل غالبا من الإسرائيليات الباطلة والأحاديث الموضوعة والواهية حتى أولئك الذين حملوا حملة شعواء على من سبقهم من المفسرين الذين تطرقوا في تفاسيرهم إلى الإسرائيليات انزلقوا إلى ذلك كما انزلق غيرهم، وبدون تعليق عليها، بالرغم من التنبيه في مقدمات تفاسيرهم أنهم لا يذكرون ما لا حاجة له ولا فائدة من ذكره، أويقتصرون على ذكر الصحيح من الأخبار، والحق أن النقد الإجمالي للتفسير بالمأثور هو ما ذكره الإمام أحمد ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم،

[1] ـ انظر : الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص 108.

والمغازي وقد حملها المحققون على أن المراد هو أنّ الغالب منها ليس لها أسانيد صحيحة متصلة وقال الخطيب البغدادي هذا محمول على كتب مخصوصة ككتاب مقاتل بين سليمان، وقد قال الإمام أحمد في تفسير الكلبي أنّه من أوله إلى آخره كذب، لا يحل النظر فيه ،وروي عن الإمام الشافعي أنه قال: «لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيه بمائة حديث، وهذا وإنّ عد مبالغة فهو يدل على كثرة ما وضع على ابن عباس»«[1]».

3- إنّ المفسرين بالمأثور متفاوتون في إسناد ما يذكرونه من روايات وأخبار فمنهم من يذكر الرواية مقبولة،أوغير مقبولة ولكنّهم يسندون ما يروى من ذلك إلى روايته إسنادا تاما، تاركين للقارئ أو الناظر فيها مهمة نقدها عملا بالقاعدة المقررة لدى علماء الحديث «من أسند لك فقد حملك»، ومنهم من يعرض للروايات فيرويها بأسانيدها ولكنّهم لا يكتفون بذكر الأسانيد خروجا من العهدة بل يتعقبون ما يروونه بالنقد الذي يكشف عن حقيقتها وقيمتها، إذ يرون من تمام الخروج من أن ينقدوها بأنفسهم نقدا صريحا، لأنّ في الناس من لا يعرف أساليب نقد الرواية فلا ينفعه ذكر الإسناد وحده ولا يفيده وإنما ينفعه ويفيد النقد الصريح ممن لهم القدرة على ذلك ومن هؤلاء الحافظ ابن كثير الذي يقول تعقيبا على قصة هاروت وماروت: «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل وغيرهم، وقصها خلق من المتقدمين والمتأخرين،

[1]- انظر:الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير: محمد حسين الذهبي، ص 147.

وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح الإسناد إلى الصادق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أورده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال»«[1]» . ومثل ذلك ما فعله رحمه الله عند تعرضه لقصة الجبارين إذ قال بعد ذكر ما ورد في شأنهم من أخبار وأوصاف: «وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا أخبارا من وضع بني إسرائيل في عظمة خلق هؤلاء الجبارين وأنّ منهم عوج بن عنق بنت آدم عليه السلام، وأنّه كان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثة مائة وثلاثون ذراعا وثلث ذراع وهو شيء يسمى من ذكره، ثمّ هو مخالف لما ثبت في الصحيحين أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ،ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، ثمّ ذكروا أنّ هذا الرجل كان كافرا وأنّه كان ولد زنية وأنّه امتنع من ركوب سفينة نوح، وأنّ الطوفان لم يصل إلى ركبته وهذا كذب وافتراء فإنّ الله تعالى ذكر أنّ نوحا دعا على أهل الأرض من الكافرين

فقال: «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا»«[2]»، وقال الله: «فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين»«[3]»،وقال تعالى:«لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم

[1]- انظر:تفسير ابن كثير، ج1،ص 141.

[2]- سورة نوح :الآية 26.

[3]- سورة الشعراء :الآية 119.

الله»«[1]». وإذا كان ابن نوح الكافر غرق فكيف يبقى عوج بن عنق وهو كافر وولد زنية، هذا لا يسوغ في عقل ولا شرع، ثم في وجود رجل يقال له عوج بن عنق نظر والله أعلم»«[2]».

ويقول الدكتور محمد أبو محمد أبو شهبة تعليقا على هذه القصة: «ولا أشك أنّ هذه –قصة عوج بن عنق– من الروايات الإسرائيلية والخرافات المزرية التي لا يستغرب دسها وترويجها من قبل أعداء الإسلام من اليهود والنصارى لتشويه سمعة الإسلام وحقائقه وتنفير الناس عنه، ومثل هذه السخافات تؤلب على الإسلام الطاغين وتضحك منه الملحدين، وتزهد من الدخول فيه المرتادين، وتزيد في شكوك المرتابين»«[3]». ومن حق العقل أن يتساءل متعجبا بل مستنكرا؟كيف يجوز أن يكون من ولد آدم من يكون بينه وبين آدم هذا التفاوت؟ وكيف يطيق آدمي حمل جبل على رأسه قدره فرسخ في فرسخ؟وكيف يصير في زمن موسى من خالف أهل الزمان هذه المخالفة؟.

ومن المفسرين بالمأثور من يذكر كل شاردة وواردة، ولا يسند شيئا من ذلك مطلقا، ولا يعقب بنقد وبيان كأنّما كل ما يذكر فيها مسلم لدى أصحابها رغم ما في بعضها من سخف ظاهر يصل إلى الرأي وفساد العقيدة مثلما هو الشأن عند الخازن.

[1] ـ سورة هود: الآية 43.

[2] – انظر: تفسيرابن كثير، ج 2،ص37.

[3] – الإسرائيليات و الموضوعات في كتب التفسير: ص 305.

ومن كتب التفسير بالمأثور كتب تذكر روايات لا تسندها ولكنها تشير إليها بصيغة التمريض«قيل» ،و«روي» و«يروي» و«قال العلماء بالأخبار» و«ذكر المفسرون» و«روي عن جماعة» .

وفي بعض الأحيان يشير إلى عدم صحته لتعارضه مثلا مع أصل من أصول الدين كعصمة الأنبياء مثل فعل الخازن عند تعرضه لقصة فتنة داود إذ عقب بذكر فصل في تنزيه داود عليه السلام، وأحيانا تروي ما تروي من ذلك دون نقده بكلمة واحدة وإنّ من الغرائب بل مما يمس مكانة الأنبياء وعصمتهم و مقامهم الرفيع ،فابن جرير يروي في قصة سليمان عليه السلام خبر صخر المارد دون نقد أوتعقيب وهذه القصة كما قال الذهبي: هذه القصة واضح كل الوضوح أنّها كذب وافتراء فمحال أن يلقي الله شبه سليمان على شيطان فيلبس على الناس أمر نبيهم، ومحال أن يمكن الله شيطانا من التسلط على ملك سليمان فيتحكم فيه كيف يشاء وما لنا نذهب إلى هذه القصة التي لا أصل لها وقد روى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمكن أن تعمل عليه الآية من غير أن نقول زورا أونرتكب محظورا؟ روى البخاري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال سليمان بن داود عليه السلام لأطوفنّ الليلية على مائة امرأة أوتسع وتسعين كلهنّ، يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فلم يحمل منهن إلاّ امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون»«[1]».

[1]- انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث ،ص20.

ومن هذا القبيل أيضا ما أورده ابن جرير في قصة زكريا عند تفسيره لقوله تعالى: «قال رب أني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا»«[1]».من أنّ زكريا شك وقال: أنّى يكون لي غلام؟وكذلك ما أورده في قصة زواج النبي – صلى الله عليه و سلم- من زينب عند تفسيره لقوله تعالى: «و إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه»«[2]».

حيث قال: «يقول الله تعالى لنبيه عتابا من الله له واذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية، وأنعمت عليه بالعتق أمسك عليك زوجك واتق الله وذلك أنّ زينب بنت جحش – فيما ذكر- رآها رسول الله فأعجبته وهي في حبال مولاه فألقى في نفس زيد كراهتها، لما علم مما وقع في نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكر زيد ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله: «أمسك عليك زوجك» وهو يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها. «واتق الله» وخف الله في الواجب عليك في زوجته «وتخفي في نفسك ما الله مبديه» يقول وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك، (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) يقول تعالى ذكره: وتخاف ألا يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقهاوالله أحق أن تخشاه من الناس»«[3]».وقد أورد ابن جرير هذه القصة ولم يعقب عليها وكأنّه ارتضاها تفسيرا للآية.

---

[1] ـ سورة مريم : الآية 8

[2] ـسورة الأحزاب: الآية 37

[3] – انظر: جامع البيان في تفسير القرآن، مج 8 ، ص 21.

إنّ ورود تلك الروايات الإسرائيلية الباطلة في قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب فتح الباب واسعا للمغرضين ومن المستشرقين الحاقدين على نبي الإسلام للطعن في مقامه الرفيع، فزعموا أنّ النبي صلى الله عليه وسلم مرّ ببيت زيد وهو غائب فرأى زينب فأعجبته فأحبها وقال: سبحان الله مقلب القلوب فسمعت زينب ذلك فلما جاء زوجها أخبرته بما سمعت من الرسول صلى الله عليه وسلم، فعلم أنّها وقعت في نفسه فأتى رسول الله يريد طلاقها فقال له: أمسك عليك زوجك وفي قلبه غير ذلك فطلقها زيد من أجل أن يتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم،ونسي هؤلاء المفترون أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يرى زينب قبل زواجها، وأكثر من مرة ولم يكن حينئذ حجاب فكيف ينشأ معها ولم يلحظها في كل ساعة ولا يقع في قلبه إلاّ إذا كان لها زوج، وكيف يتجدد له هوى لم يكن، حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة وقد قال الله له: «ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه»«[1]» .

إنّ نظرة بسيطة إلى تاريخ زينب وظروفها في زواج زيد يجعلنا نوقن بأن سوء العشرة التي كانت بين زيد وزينب إنما جاءت من اختلافهما في الحالة الاجتماعية، فزينب شريفة وزيد مولى وقد أراد الله امتحانها بزواج زيد لتحطيم مبدأ العصبية والشرف الجاهلي، وجعل الإسلام الشرف في الدين والتقوى، فحين عرض الرسول صلى الله عليه و سلم على زينب الزواج من زيد امتنعت واستنكفت اعتزازا بنسبها وشرفها فنزل قول الله تعالى: «و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذ قضى الله

[1] ـ سورة طه : الآية 131

و رسوله أمرا أن تكون لهم الغيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ظل ضلالا مبينا» «[1]».فخضعت زينب لأمر الرسول وأسلمت وشاء الله أن يحدث بينها وبين زيد من سوء العشرة ما كان سببا في الطلاق،وزعم الأفّاكون أنّ الذي أخفاه الرسول صلى الله عليه وسلم هو حبه لزينب، و هل يعاتب الشخص لأنّه لم يجاهر بحبه لمرأة؟، إنّ الآية صريحة كل الصراحة في هذا الشأن فقد ذكرت الآية الكريمة أن الله سيظهر ما أخفاه «وتخفي في نفسك ما الله مبديه»«[2]».

فماذا أظهر الله؟ هل أظهر حب الرسول لزينب؟ كلاّ إنّ الذي أظهره هو رغبته عليه الصلاة والسلام في تنفيذ أمر الله بالزواج لإبطال حكم التبني، ولكنّه كان يخشى من ألسنة المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد حليلة ابنه، ولهذا صرح الباري جلّ وعلا بهذا الذي أخفاه الرسول: «فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا»«[3]» .

4- إنّ جل ما يخوض فيه المفسرون في القصص القرآني من المبهمات المغيبات التي لا سبيل للعلم بها إلاّ من المعصوم بخبر صحيح عنه، كأسماء بعض الأشخاص ،أوالأماكن ،أوعدد الأشياء المذكورة في بعض القصص، وهي أيضا من النوع الذي يعود الخوض فيه بفائدة، ولا تعود إلى معرفته ضرورة، ولا يتوقف فهم الآية عليه،

[1]- سورة الأحزاب الآية 36.

[2]- سورة الأحزاب الآية 37.

[3]- سورة الأحزاب الآية 37.

فأي فائدة في معرفة اسم كلب أهل الكهف، أوالنملة التي كلّمت سليمان، أوأي فائدة في معرفة البضع الذي ضرب به القتيل عن البقرة أهو الفخذ أواللسان أو الغضروف؟ وما ضرورة معرفة العدد في قصة «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ألوف»أوعدد الدراهم التي اشتري بها يوسف عليه السلام، وما ضرورة اسم الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، أوالذي جاء ينصح موسى بأنّ الملأ يأتمرون به؟أوما الحاجة إلى معرفة اسم الرجلين الذين قالا لقومهما ادخلوا عليهم الباب فإن دخلتموه فإنكم غالبون؟بل لقد ذهب بعض المفسرين في الخوض في اللغة التي كلّمت بها النملة النمل وقالت ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده و هم لا يشعرون.

إنّك تقف في كتب التفسير عموما وفي كتب التفسير بالمأثور خصوصا على تفاصيل وجزيئيات لا حاجة في التفسير لها،ففي وصف معسكر سليمان يروون أنّه كان مائة فرسخ فيه منه خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحش، وكان له ألف بين قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة زوجة وسبعمائة سرية وقد نسج له الجن بساطا من ذهب فرسخا في فرسخ، وكان منبره من ذهب فيقعد وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة وحوله العلماء والأنبياء وحولهم الإنس...،ويذكرون أنّ هدهد سليمان كان مكلفا بالتنقيب عن مواضع الماء للجيوش العظيمة التي تسير مع سليمان لأنّ الأرض في

عيني الهدهد ككرة من زجاجا شفاف يرى ظاهرها وباطنها، وأنّ بلقيس كانت من الجن، وأنّ الجن خشوا أن يتزوجها سليمان فيجتمع في ابنه منها فطنة الإنس والجن فدسوا له عنها وشنعوا لها سيقانها فامتحنها بالصرح الممرد، ولما ظهر كذبهم استنكحها، وكانت عصا موسى مجالا خصبا لخيال المفسرين في ذكر عجائبها.

إلى غير ذلك من جزئيات وتفاصيل لا حاجة لها، ولا تخدم التفسير في شيء، بل يمكن القول إنّها تجعل القارئ يتيه وراءها فيذهل من مواطن الجمال البياني في أسلوب القصة القرآنية، ويغفل عن مواطن العبرة فيها،وقلّما تجد في كتب التفسير بالمأثور تعقيبا يذكر ما اشتملت عليه كل قصة قرآنية من عظات وعبر ينبغي كشفها وكأنهم نسوا أنّ الله عز و جل عندما حدثنا عن القصص قال: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديث يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون»«[1]» .

لقد كان جهدهم في تقصي الروايات والأخبار أولى بأن يكون في كشفما في القصص القرآني من منافع وعبر وسنن الكون والاجتماع والقيم، وفي بيان روائع البيان القرآني في القصة بدل من تشويه ذلك الجمال خرافات وروايات مكذوبة مدسوسة يتنزه عن جمال القصص القرآني الذي يقول فيه الحق تعالى: «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن»«[2]» .

[1]- سورة يوسف :الآية 111.

[2]- سورة يوسف: الآية 3.

5- لم يكن ينبغي حشر تلك الروايات المكذوبة، أوالخرافات الغريبة في ثنايا تفسير كتاب الله عزّ وجل، الذي هو في حقيقته بيان لهدايات القرآن وكشف عن أسراره وأحكامه وحكمه ليسير الناس على هديه ويهتدون بتوجيهاته.

لقد كان الجري وراء استقصاء الروايات والأخبار والاهتمام البالغ بها سببا جرّ على كثير من المفسرين أخطاء كثيرة ومتنوعة وعرضهم للاضطراب في مناقشة أفكار كثيرة ومنها أخطاء تاريخية، وأخطاء مسّت عصمة الأنبياء، فالبغوي مثلا في قصة يوسف عليه السلام وفي تفسير قوله تعالى: «ولقد همّت به وهمّ بها»«[1]» يميل مرة إلى التأويلات اللائقة بحال الأنبياء، ومرة تتحكم فيه الإسرائيليات فيسوق من خلالها ما يطعن في عصمة الأنبياء، ويعرضهم للزّلل والخطأ فيروي عن همّ يوسف عليه السلام عن ابن عباس أنّه قال: حل الهيمان وجلس منه مجلس الخائن، ومجاهد قال: حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وقال البغوي: وهذا قول أكثر المتقدمين مثل سعيد بن جبير و الحسن والضحاك،وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: قد أنكر قوم هذا القول وقالوا هذا لا يليق بحال الأنبياء، والقول ما قال متقدمو هذه الأمة وهم كانوا أعلم بالله أن يقولوا في الأنبياء بغير علم»«[2]» .

ومثل ما قيل في يوسف عليه السلام، ما أوردته كتب التفسير من إسرائيليات في شأن داود عليه السلام من إرساله قائده إلى المعركة ليقتل ليتزوج امرأته من بعده

[1]- سورة يوسف الآية :24.

[2]- البغوي وتفسيره للقرآن الكريم:محمد إبراهيم شرف، ط1، دم، 1986م ، ص 479.

التي رآها تغتسل فأعجبته، ومثله ما قيل في تمثل الشيطان في صورة سليمان، وما قيل في شأن نبينا صلى الله عليه وسلم في قصة زواجه من زينب بنت جحش ،وإذا كان العلماء قد قرروا أنّ أنواع الإسرائيليات ثلاثة:

1- الإسرائيليات التي تعارض القرآن أ صحيح السنة أوالأصول الإسلامية وهي مردودة قطعا.

2- الإسرائيليات التي توافق القرآن، وهذا النوع لنا عنه غنية بما جاء في كتاب ربّنا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي إيرادها مع الغنية عنها تزكية لمصدرها.

3- الإسرائيليات التي تعارض العقل وهي مردودة أيضا.

4- الإسرائيليات التي لا تعارض ولا توافق القرآن ومن المحتمل أن تكون صادقة، ومن المحتمل أن تكون كاذبة ،إذ لا مقياس عندنا نرجع إليه في الحكم عليها ما دامت لا توافق النصوص الثابتة التي بين أيدينا ولا تعارضها، فالهجوم على تصديقها أوتكذيبها قول بغير علم.

ولكنّ الموقف من هذا النوع ينبغي أن يكون موقف الحذر والأناة لا نكذبها خشية أن تكون صحيحة، ولا نصدقها خشية أن تكون كاذبة، وهذا مصداقا لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا

تكـذبوهم، وقولـوا آمنـا ومـا أنـزل إلينـا ومـا أنـزل إلى إبـراهيم وإسـحاق ويعقـوب والأسـباط ومـا أوتي موسـى وعيسـى ومـا أوتي النبيـون مـن ربهـم لا نفـرق بـين أحـد منهم ونحن له مسلمون«[1]».

وإذا كـان هـذا الحـديث يبـيح لنـا أن نـروي هـذا النـوع مـن الإسـرائيليات عـن بـني إسـرائيل إن نحـن التزمنـا عـدم تصـديقهم وعـدم تكـذيبهم ولكـن هـذا شـيء وإيـراد هـذه الإسـرائيليات في أثنـاء تفسـير كتـاب الله شـيء آخـر، ذلـك لأن إيـراد هـذه الروايـات في هـذا الموضـع يعـني أنـك تريـد حمـل الآيـة القرآنيـة عليهـا، وكأنـه يـدل علـى تصديق لها.

إنّ إباحـة التحـدث عـن بـني إسـرائيل فيمـا لـيس عنـدنا دليـل علـى صـدقه أو كذبـه شـيء، وذكـر ذلـك في تفسـير القـرآن وجعلـه قـولا أو روايـة في معـنى الآيـة أوتعيـين مـا لم يعـين، أوتفصـيل مـا أجمـل فيهـا شـيء آخـر، لأنّ في إثبـات ذلـك بجـواز كـلام الله مـا يـوهم أنّ هـذا الـذي لا نعـرف صـدقه ولا كذبـه مبـين لمعـنى كـلام الله، وحاشـا لله و لكتابـه مـن ذلـك ، و قـال ابـن كثـير: «وغالـب مـا ينقـل مـن الإسـرائيليات للنظـر فيـه، والله أعلـم بحـال كثـير منهـا، ومنهـا مـا قـد يقطـع بكذبـه لمخالفتـه للحـق الـذي بـين أيـدينا، وفي القـرآن غنيـة عـن كـل مـا عـداه مـن الأخبـار المتقدمـة لأنّهـا لا تكـاد تخلـو

[1] – رواه البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، رقم 7362 ، ج 4 ، ص 1844، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة، وليس لهم أي –بني إسرائيل– من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الأمة من الأئمة العلماء والسادة الأنقياء ومن الجهابذةالنقاد، والحفاظ الجياد»«[1]» ،وقال في موضوع آخر من تفسيره:«وما ليس فيه موافقة و لا مخالفة لا نصدقه و لا نكذبه، بل نجعله وقفا، وما كان من هذا الضرب منها، فقد ترخص كثير من السلف في روايتها، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ،ولو كانت فيه فائدة وتعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة»«[2]».

ومن هنا كان ينبغي أن يكون المنهج الصحيح في تفسير هذه القصص الاكتفاء بما ورد في القرآن، وبما صحّعن الرسول صلى الله عليه و سلم من أخبار وهو الصادق المصدوق، والإعراض عن كثير من الأحاديث الإسرائيلية لما فيها من تضييع الزمان كما يقول ابن كثير، ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فإنّهم لا تفرقه عندهم بين صحيحها وسقيمها. ونحن نعلم يقينا كما أخبرنا ربنا في كتابه أنهم حرفوا وبدّلوا «يحرفون الكلم من بعد مواضعه»«[3]» وأنّهم يقولون:« هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون»«[4]».

[1]–انظر : تفسير ابن كثير: 5ج، ص165.

[2]– تفسير ابن كثير :ج 5، ص341.

[3]– سورة المائدة :الآية 41.

[4]– سورة آل عمران :الآية 78.

المبحث الثاني : النقد التفصيلي

في هذا المبحثأسعى للنقد والتعقيب على كل ما أورده كل مفسر في النماذج التي أوردتها ف بيان طريقتهم في معالجة وتناول القصص القرآني

المطلب الأول :النقد التفصيلينماذج الإمام بن أبي حاتم

إنّ الإمام بن أبي حاتم ـ رحمه الله . ناقد من الطراز الأول ، محدث بارع ، وله خبرة تامة بمعرفة الرجال ، وعلل الأحاديث أسانيدها ومتونها ، ولذا فإنّه اشترط في مقدمة تفسيره أصح الأسانيد ، وأمّا عن ما أورده من روايات في تفسير القصص القرآني فسأبيّنها .

عند إيراده لقصة بني إسرائيل ذكر سبب نزولها بإسناده : فقال حدّثنا الحسن بن محمد الصبّاح حدّثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا هشام بن حسان ، عن محمد بن سرين ، عن عبيدة االسلماني : وذكر السبب ... ، وبالنظر إلى رجال هذا الإسناد نرى أنّهم ثقات وممّن تقبل روايتهم فالحسن بن محمد الصباح قال عنه بن أبي حاتم ثقة ، وقال عنه أبوه صدوق «[1]»ويزيد بن هارون ثقة ، وثّقه أحمد بن حنبل ويحي بن معين وعلي بن المديني ، وقال فيه بن المدينى يزيد بن هارون من الثقات «[2]»

[1] ـ انظر:الجرح والتعديل : أبو محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم ، ط 1 ، الهند ، دار المعارف حيدر آباد ، 1371 هـ 1952 م ، ج 1 ، ص 153 .

[2] ـ ا نظر :الجرح والتعديل، ج 4 ، ص 295

وهشام بن حسّان من أوثق الناس في بن سيرين لذا قال ابن المديني أحاديث هشام عن محمد صحاح «[1] »وابن سيرين وعبيدة السلماني من الثقات ، وهذا الإسناد صحيح ، وقد حكم بذلك الحافظ بن حجر ـ رحمه الله ـ حيث قال :« وأخرج ابن جرير هذه القصة من طريق العوفي عن ابن عباس كذلك ، وأخرجها هو ابن أبي حاتم وعبد بن حميد بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني ، أحد كبار التابعين »«[2]» ، وهذا الإسناد كما قلنا صحيح إلى بن عباس ـ رضي الله عنه ـ لكنّه لم يسمع عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا رواه أحد عنه ، ولا ريب أنّه أخذه من أ هل الكتاب فلذلك قال الحافظ ابن كثير عقب إيراده لهذه القصة في تفسيره « وهذه السياقات عن أبي عبيدة وأبي العالية و السدي وغيرهم فيها اختلاف ، والظاهر أنّها مأخودة من كتب بني إسرائيل ، وهي ممّا يجوز نقلها ولكن لا تصدق ولا تكذب ، فلهذا لا يعتمد عليها إلاّ ما وافق الحق عندنا والله أعلم » «[3]»

وقال القاسمي ـ رحمه الله ـ « وقد ذكر أكثر المفسرين قصة البقرة وصاحبها بروايات مختلفة لم نورد شيئا منها لأنّه لم يرو بسند صحيح إلى النبي صلى الله عليه وسلم ...»«[4]»

---

[1] ـ انظر:الجرح والتعديل ، ج 4 ، ص 54 ـ 55.

[2] ـ انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دط ، تصحيح وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ محب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، د ت ، ج 6 ، ص 439 .

[3] ـانظر : تفسير بن كثير : ج 1 ، ص 192

[4] ـ انظر : محاسن التأويل : ج 1 ، ص 158.

والملاحظ أنّ جلّ المفسرين سواء كانوا من أصحاب المأثور أو الرأي المحمود أو المذموم يريدون هذا السبب فهم قد تواتروا عليه .

وأمّا الإسناد الثاني الذي أورده ونصه: ثنا أبو زرعة ثنا عمرو بن حماد ثنا أسباط عن السدي قال: فقال لهم موسى «إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة» فقالوا أتتخذنا هزؤا نسألك عن القتيل من قتله ، وتقول اذبحوا بقرة أتهزأ بنا ، فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » والملاحظ أنّ هذا إسناد صحيح ورجاله ممّن يحتج بحديثهم فأبوزرعة لا يخفى على أحد درجته ومرتبته في الحديث ، وعمرو بن حماد قال فيه يحي بن معين صدوق وكذلك عبد الرحمان بن أبي حاتم «[1]» وأسباط بن نصر من المحدثين منهم يضعفه ومنهم من يوثقه ،فوثقه يحي بن معين ، وروي عن الإمام أحمد تضعيفه ، والسدي هو إسماعيل بن عبد الرحمان وقد قال فيه يحي بن معين لا بأس به ما سمعت أحدا يذكره السدي إلاّ بخير ، وما تركه أحد ، وقال فيه أحمد مقارب الحديث صالح ، وقال أبوزرعة يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال لين ، ولم يسمع من بن عباس «[2]»

ثمّ روى بنفس الإسناد فقال ثنا أبوزرعة ثنا عمرو بن حماد ، ثنا أسباط بن نصر عن السدي قال قال لي : ابن عباس فلو اعترضوا بقرة فذبحوها لأ جزأت عنهم ولكنّهم شدّدوا وتعنّتوا على موسى فشدّد الله عليهم ».

[1] ــ انظر : الجرح والتعديل : بن أبي حاتم ، ج 1 ص 288.

[2] ــ المصدر نفسه : ج 1 ، ص 332.

وفي الحقيقة هذا إسناد منقطع فالسدّي لم يسمع من بن عباس ، ولكن روي هذا من وجه آخر بإسناد صحيح فقد روى ابن جرير بسنده فقال : حدّثنا أبو كريب ، حدّثنا هشام بن علي ، عن الأعمش عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن بن عباس قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ، ولكنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم »وقد قال الحافظ بن كثير فيه إسناد صحيح «[1]». وأمّا ما يروي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من رواية بن جريج فلم يصح وقال في ذلك بن كثير «وقد روي فيه حديث مرفوع وفي إسناده ضعف» «[2] »

وأمّا قوله : حدّثنا أبي حدّثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا هشام بن يوسف ،عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : لا فارض قال الفارض الهارمة ، فهذا الإسناد صحيح إلى بن عباس فإبراهيم بن موسى الرّازي من الثقات قال بن أبي حاتم سمعت أبي يقول إبراهيم بن موسى من الثقات ، ووصفه بالحفظ والإتقان أبوزرعة«[3]» ، وهشام بن يوسف الصنعاني قاضي صنعاء قال فيه يحي بن معين هشام بن يوسف أثبت من عبد الرّزاق في حديث ابن جريجوسأل ابن أبي حاتم عنه أباه فقال متقن «[4]» وابن جريج ليس بالقوي عند المحدثين لذا لما سئل عنه أبو حاتم قال صالح الحديث وقال يحي بن معين ليس بشيء في الزهري

[1] ـانظر : تفسير بن كثير ، ج1 ، ص 192 .

[2] ـ انظر :قصص الأنبياء : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، ط 10 ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، الكويت ، مؤسسة غراس للنشر ، 1426 هـ ـ 2005م .

[3] ـ انظر: الجرح والتعديل ابن أبي حاتم ، مج 1 ، ص 137.

[4] ـانظر:الجرح والتعديل،مج ، ص 71.

وقال عنه أبو زرعة لما سئل عنه فقال بخ ذلك من الأئمة ، لكنّ البخاري أخرج له في الحيض والمغازي برواية الثوري ويحي بن سعيد القطان «[1]» لكنّه من أئمة التفسير المشهود له بذلك وسماعه من عطاء بن أبي رباح صحيح وهو الذي يروي عنه واشتهر بالرواية عنه كما يروي كذلك عن عطاء الخراساني لكن ماورد من تفسير بن جريج في البقرة وآل عمران عن عطاء فهو بن أبي رباح لأنّ عطاء الخراساني امتنع من تحديثه بتفسير سورة البقرة ، وكل ما لم يسمه ابن جريج في التفسير عن عطاء فهو الخراساني«[2]»وعطاء من الثقات وثقه أبوزرعة وأخرج له البخاري وهو من أجل الرواة عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ

وأمّا قوله : حدّثنا أبو سعيد الأشج ثنا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد قوله:

لا فا رض لا كبيرة ولا صغيرة ...» فأبو سعيد الأشج هو عبد الله بن سعيد الكندي قال فيه يحي بن معين ليس به بأس ، وقال عبد الرحمان بن أبي حاتم سئل أبي عنه فقال : كوفي ثقة صدوق «[3]» . وعبد السلام بن حرب سئل عنه يحي بن معين عنه فقال صدوق وقال عبد الرحمان أبي حاتم سئل عنه أبي فقال : ثقة صدوق «[4]» . وخصيف هو خصيف بن عبد الرحمان الجزري أبو عون روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وتضاربت فيه

[1] ـ المصدر نفسه : مج 2 ، ص 357 ـ 358.

[2] ـ انظر: التقرير في أسانيد التفسير، ص 62

[3] ـانظر: الجرح والتعديل، مج 2 ، ص 73 .

[4] ـالمصدر نفسه ، مج 3 ، ص 47.

أقوال الحفاظ فقال أحمد ضعيف ، وقال يحي بن معين صالح ، وقال عبد الرحمان بن أبي حاتم سمعت أبي يقول : خصيف صالح يخطئ وتكلم في سوء حفظه ، وسئل عنه أبوزرعة فقال : ثقة «[1]» لكنّ روايته عن مجاهد ثابتة وهو من المقلين وقد روى الثوري عنه وربّما روى عن مجاهد تفسيره كذلك من كتابه فلذا يجيزون روايته في التفسير عنه والله أعلم .

وأمّا قوله في قوله تعالى : «لا فارض ولابكر» قال حدّثنا أبو زرعة ، ثنا منجاب ، أنبأنا بشر بن عمارة ، عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله :« بكر» قال يقول ليست صغيرة ضعيفة فحال أبي زرعة لا يخفى على أحد أنّه من الثقات وقد أسلفنا فيه القول ، وأمّا منجاب بن الحارث فقد ذكره ابن حبّان في الثقات ، وقال الذهبي : ثقة توفي سنة 231هـ ، وقال ابن حجر :« منجاب بكسر أوله وسكون ثانيه ، ثمّ جيم موحدة ، ابن الحارث ابن عبد الرحمان التميمي ، أبو محمد الكوفي ثقة ...»«[2]» وبشر بن عمارة فقد قال بن أبي حاتم سمعت أبي يقول ليس بالقوي في الحديث ، وضعفه ابن عدي في الكامل ، وضعفه ابن حجر في التقريب «[3] »، لكنّ روايته عن أبي روق ثابتة ، وأبو روق هو عمرو بن أبي روق عطية بن الحارث ذكر الذهبي تضعيف الدراقطني له ، وقال فيه بن حجر :« عطية بن الحارث أبو روق ، بفتح الرّاء وسكون الواو بعدها قاف الهمداني

[1] ـ المصدر نفسه : مج 1 ، ص 403 ـ 404.

[2] ـ انظر: تقريب التهذيب ، ط 2 ، تحقيق صلاح الدين عبد الموجود ، القاهرة ، دار ابن رجب ، 1431 هـ ـ 2010 م، ص 482.

[3] ـ المصدر نفسه : ص 78.

صاحب التفسير ، الكوفي صاحب التفسير ، صدوق» «[1]» ، والضحاك هذا هو الضحاك بن مزاحم الهلالي قال الذهبي فيه : وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة ، وضعفه يحي بن سعيد القطان ، وشعبة أيضا وهو قوي في التفسير ، وذكر ابن عدي تضعيف يحي بن سعيد القطان له ، لكن نقل عن سفيان الثوري أنّه قال : خذوا التفسير عن أربعة سعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، و الضحاك بن مزاحم ، والضحاك كثير الإرسال عن ابن عباس والحفاظ مجمعون أنّه لم يلق ابن عباس ، وإنّما لقي سعيد بن جبير فأخذ عنه . والله أعلم .

و أمّا قوله : الوجه الثاني حدّثنا الحسن بن أحمد ، ثنا إبراهيم بن بشار ، ثنا سرور بن المغيرة ، عن عباد بن منصور عن الحسن : عوان بين ذلك أي بين الهرمة والفنية فافعلوا ما تؤمرون .

فالحسن بن أحمد بن الليث الرّازي قال ابن أبي حاتم كتبت عنه وهو ثقة .«[2]». وإبراهيم بن بشار الرمادي أبو إسحاق البصري قال ابن حجر حافظ له أوهام«[3]»، وثقه ابن حبان«[4]» ، وتكلم فيه الأزدي وقال عنده مناكير عن الشعبي ، وعباد بن منصور قال فيه يحي بن معين ليس بشيء ، وقال أبو حاتم ضعيف يكتب حديثه ، وسئل عنه أحمد فقال

[1] ـ انظر : الجرح والتعديل ص 335.

[2] ـ انظر : الجرح والتعديل ،مج 1 ، ج 2 ، ص 2.

[3] ـ انظر : تقريب التهذيب ، ص 44.

[4] ـ انظر: كتاب الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،ط 1 ، الهند ، حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، 1401 هـ ـ 1981 م ،ج 8 ، ص 72.

كان يدلس «[1]».والحسن هو الحسن بن أبي الحسن البصري وهو عند الحفاظ ثقة لكنّه كثير الإرسال والتدليس «[2]»

وأمّا قوله :في قوله تعالى : قال إنّه يقول إنّها بقرة حدّثنا أبي ، ثنا نفيل ، ثنا هشيم ، عن جويبر ، عن كثير بن زياد ، عن الحسن قال : كانت بقرة وحشية .

فأبوه من رجال الحديث الثقات الواضح أمرهم ، وأمّا نفيل فهو عبد الله بن محمد بن علي بن نفيل ، بالتصغير بن زرع أبو جعفر النفيلي الحرّاني روى عن هشيم وغيره ، حافظ ثقة «[3]» وهشيم هو هشيم بن بشر المكنى بأبي معاوية وثقه العجلي وابن حبان ووصفاه بكثرة التدليس«[4] »

وجويبر هو جويبر بن سعيد البلخي روى عن الضحاك ومحمد بن واسع ، قال فيه أحمد بن حنبل جويبر ما كان عن الضحاك فهو على ذاك أيسر ، وما كان يسند عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي منكرة ، وقال يحي بن معين ليس بشيء ضعيف ما أقربه من عبدة الضبي ، ومحمد بن سالم وجابر الجعفي ، قال ابن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان جويبر بن سعيد كان خراسانيا ليس بالقوي .

[1] ـ انظر: الجرح والتعديل ، مج ، 3 ، ص 86

[2] ـ انظر : تقريب التهذيب ، ص 111.

[3] ـ انظر : تقريب التهذيب ، ابن حجر ،ص 264.

[4] ـ انظر: كتاب الثقات ، ج 7 ، ص 587.

وكثير بن زياد البرساني قال فيه يحي بن معين كثير بن زياد أبو سهل ثقة ، وقال عبد الرحمان بن أبي حاتم سألت أبي عن كثير بن زياد فقال هو ثقة من أكابر أصحاب الحسن لا بأس به . وقد رأينا في رجال هذا الإسناد كيف أثبت الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ رواية جويبر عن الضحاك مباشرة بقوله فهو على ذلك أيسر، لكن هذا لا يعني أنّه وثقه أو أنّ كل ماروواه عن الضحاك صحيح ، بل يجب أن ينظر فيه ، ورأينا كيف حكم على أحاديثه التي يسندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأنّها منكرة ، وإن تساهلنا في تصحيح هذا الأثر وتوثيق رجاله فمن أين حكم الحسن البصري ـ رحمه الله ـ على أنّ هذه البقرة كانت وحشية ، فإنّه لم يرد في ذلك نص من القرآن ولا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في ذلك ، فهذا شيء أبهمه الله تعالى ولم يعينه ، ولا يترتب على ذكر هذا النوع كبير فائدة خصوصا إذا لم يصح نقله .

وأمّا قوله : حدّثنا أبي ، حدّثنا سهل بن عثمان عن ابن العذراء عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس : قال : من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور مادام لابسها فذلك قول الله :« صفراء فاقع لونها تسر الناظرين » فإنّه دون البحث عن رجال هذا الإسناد فقد ذكر ابن أبي حاتم بنفسه على أنّه موضوع حيث قال : سألت أبي عن حديث رواه سهل بن عثمان العسكري ، عن ابن العذراء عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال من لبس

نعلا صفراء لم يزال في سرور ما دام لا بسها وذلك قول الله عزّوجل : صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قال أبي : هذا حديث كذب موضوع .«[1]»

وأمّا قوله : ومن فسّره أنّها صفراء القرن والظلف : حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم ، ثنا علي بن حكيم ، ثنا شريك ، ثنا مغراء ، عن الأعمش ، عن ابن عمر ، في قوله صفراء قال صفراء القرن والظلف ، فأحمد بن عثمان بن حكيم الأودي قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول هو صدوق «[2]» وقال ابن حجر في التقريب ثقة «[3]» ، وعلي بن حكيم الأودي ذكره ابن حبان في الثقات«[4]» ، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن علي بن حكيم الأودي فقال : كوفي صدوق ، وشريك هو شريك بن عبد الله النخعي قال فيه يحي بن معين شريك ثقة ، وقال يحي بن سعيد القطان لما سئل عن تخاليطه فقال ما زال مخلطا ، وسئل أبو زرعة عن شريك هل يحتج بحديثه فقال كان كثير الحديث صاحب وهم «[5]»، وقال ابن حجر صدوق يخطئ كثيرا تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة«[6]» ، ومغراء هو عبد الرحمان بن مغراء الدوسي أبو زهير الكوفي قال: ابن أبي حاتم صدوق تكلم

[1] ـ انظر : علل الحديث :أبو محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم، دط ، بيروت ، دار المعرفة ، 1405هـ ـ 1985م ، ج 2 ، ص 319.

[2] ـ انظر : الجرح والتعديل ، مج 1 ، ص 63.

[3] ـ انظر : تقريب التهذيب ، ص 39

[4] ـ انظر : كتاب الثقات ، ج 8 ، ص 467 .

[5] ـ انظر: الجرح والتعديل ، مج 2 ، ص 366

[6] ـ انظر: تقريب التهذيب ، ص 211

في حديثه عن الأعمش «[1]» والأعمش هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الكوفي الأعمش ثقة حافظ عارف بالقراءات ورعلكنّه يدلس «[2]» وهذه الرواية مرسلة فإنّ الأعمش لم يسمع من ابن عمر، وشريك تكلم في حفظه وسوء ضبطه ، فهل ما حدّث به قبل تغير حفظه أو بعده ،وأمّا الإسناد الثاني فقال : وحدّثنا سعيد أبو سعيد الأشج ، حدّثنا حفص بن غياث ،عن ليث ، عن مغراء ، عن سعيد بن جبير في قوله صفراء قال :صفراء القرن والظلف ، فأبو سعيد الأشج هو عبد الله بن سعيد الكندي فقال فيه يحي بن معين ليس به بأس ، وقال ابن أبي حاتم سأل أبي عنه فقال ، كوفي ثقة صدوق «[3]» وحفص بن غياث النخعي قال فيه يحي بن معين ثقة «[4]» ، وليث بن أبي سليم أبو بكير بكير كوفي قال فيه أحمد بن حنبلمضطرب الحديث، ولكن حدّث الناس عنه، وسئل عنه ابن معين فقال : ليس حديثه بذاك ضعيف ، وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : ليث بن أبي سليم يكتب حديثه وهو ضعيف الحديث«[5]» فهذا كلام المحدثين في ليث بن أبي أبي سليم فيما يتعلق برواية الأحاديث وهذا أمر معروف عند المحدثين ، وربّما خرّجوا له في الشواهد والمتابعات ، أمّا بالنسبة للتفسير فإنّه يكتب ويؤخذ عنه لأنّه في الغالب يروي من كتاب القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ، كما قال يحي بن سعيد القطان ، وذكر ذلك ابن

[1] ـ المصدر نفسه ، ص 294

[2] ـ المصدر نفسه ، ص 200

[3] ـ انظر : الجرح والتعديل ، مج 3 ، ص 73.

[4] ـ انظر :الجرح والتعديل ،مج 1 ، ص 185.

[5] ـ المصدر نفسه :مج 3 ، ص 178 ـ 179

حبان ، ومغراء تقدمت ترجمته وأقوال أهل الحديث فيه بأنّه صدوق ،وقد ذكر العجلي هذا الأثر في معرفة الثقات عند كلامه على مغراء، وسعيد بن جبير من سادات التابعين ومن الثقات وهذا القول موقوف عليه فيمكن القول بأنّه اجتهاد منه ، أو أخذه من ابن عباس والله أعلم .

وأمّا قوله ومن فسّره على أنّها تكاد تسود من صفرتها : حدّثنا أبي ، ثنا نمير ، ثنا ابن إدريس ، عن أبيه عن عطية العوفي فاقع لونها : «تكاد تسود من صفرتها »فأبوه من الثقات ، وابن نمير هو محمد بن عبد الله بن نمير الخارقي الهمداني الكوفي ، قال فيه أحمد بن حنبل درة العراق ، وقال ابن أبي حاتم سئل أبي عنه فقال : ثقة يحتج بحديثه «[1]» ، وابن إدريس هوعبد الله بن إدريس قال فيه يحي بن معين ثقة ، وقال علي بن المديني عبد الله بن إدريس من الثقات «[2]»، وأبوه هو إدريس بن يزيد بن عبد الرحمان الأودي الزّعافري من أهل الكوفة قال فيه يحي بن معين ثقة«[3]» ، فرجال هذا الإسناد كلّهم ثقات ، لكنّ عطية العوفي ضعفه العلماء وفي الغالب فهو يروي التفسير عن ابن عباس من كتاب فلذا يعتمده العلماء كابن جرير ، وله صحيفة تسمى صحيفة عطية العوفي ، ويفرقون بين ما يسنده إلى ابن عباس ويوافقه في ذلك تلاميذ ابن عباس ، وبين ما ينفرد به

[1] ـ انظر الجرح والتعديل : مج 3 ، ص 307.
[2] ـالمصدر نفسهمج 2 ، ص 9.
[3] ـ المصدر نفسه : مج 1 ، ص 263.

ويخالف فيه أصحابه فهذا ضعيف ، ولا يعتمدون عليه «[1]» ، ولذا يقول البيهقي ـ رحمه الله ـ : عند ذكره لأقوال من نقل عن ابن عباس أنّ الفداء منسوخ بقوله:« فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم»«[2]» قال:« فإنّه لم يبلغني عنه بإسناد صحيح ، إنّما هو عندي في تفسير عطية العوفي بروايته أولاده عنه ، وهو إسناد ضعيف»«[3]».

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى : «ويسألونك عن ذي القرنيين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا» بإسناده عن السدي فقد تكلمنّا على رجال هذا الإسناد من قبل ، و لكنّ هذه الرواية معضلة فالسدي لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يسمع منه ، وما ذكر أنّه أخذها من ابن عباس ، أو أحد الصحابة وذلك إن ثبت له سماع من أحدهم .

وأمّا قوله في قوله تعالى :« وجدها تغرب في عين حمئة » من طريق عثمان بن أبي حاضر عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ذكر له أنّ معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف ....» فالإمام ابن أبي حاتم ـ رحمه الله ـ لم يذكر الرواة عن عثمان بن أبي حاضر واكتفى بذكر روايته مباشرة عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ وعثمان بن أبي حاضر سمع من ابن عباس وابن الزبير وجابر وابن عمر وأنس وميمون بن مهران قال فيه أبوزرعة يماني

---

[1] ـ انظر: التقرير في أسانيد التفسير ، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ، ص 67.

[2] ـ سورة التوبة : الآية 5

[3] ـ انظر: معرفة السنن والآثار ، أبو أحمد بن الحسين البيهقي ، د ط ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، حلب ، دار الوعي ، 1411هـ ـ 1991م، ج ، ص

حميري ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات «[1]»، وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيره إسناد ابن أبي حاتم فقال :وقال ابن أبي حاتم حدّثنا حجاج بن حمزة ، حدّثنا محمد يعني ابن بشر ، حدثنا عمرو بن ميمون ، أنبأنا ابن أبي حاضر ...»«[2]» وحجاج بن حمزة هو ، ومحمد بن بشر العبدي أبو عبد الله الكوفي قال ابن حجر : ثقة حافظ «[3]»، عمرو بن ميمون الأودي قال فيه: ابن حجر ثقة عابد «[4]»، فرجال هذا الإسناد كلهم ثقات ، والخلاف في هذه القصة بين ابن عباس ومعاوية رضي الله عنهما في كيفية قراءة كلمة حمئة ، وهما قراءتان متواترتان نزل بهما القرآن ، و أراد معاوية سؤال كعب ـ رضي الله عنه ـ عن غروب الشمس في التوراة فقال :تغرب في ماء وطين وأشار بيده إلى المغرب ، وهذا الذي ذكره يقوي قراءة ابن عباس ـ رضي الله عنه ،ثمّ إنّ ابن أبي حاضر ذكر لي ابن عباس أبيات عن أهل الكتاب في هذه القصة وفي مضمونها بيان لمعن الحمئة ومكان غروب الشمس ، وهذا النوع من أقوال أهل الكتاب الذي لا يتعارض مع صحيح القرآن ، بل يؤكده فلا حرج في روايته والله أعلم .

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى :« وأمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا»«[5]»«عن شعيب الجبائي كان اسم الغلام الذي قتله الخضر جيسور ...»

[1] ـ انظر: كتاب الثقات ، ج 5 ، ص 417

[2] ـ انظر : تفسير ابن كثير ، ج 4 ، ص 421.

[3] ـ انظر : تقريب التهذيب ، ص 408.

[4] ـ تقريب التهذيب : ص 408.

[5] ـ سورة الكهف : الآية 80.

فشعيب الجبائي هذا تكلم فيه أهل الحديث ، وقالوا إنّه إخباري متروك «[1]» وقد اشتهر برواية الغرائب حيث يذكرون في معرض ترجمته رواية غريبة في سفينة نوح عليه السلام، وهذا الذي ذكره لم يثبت بنص صحيح لا من القرآن ولا من السنة ، فالله سبحانه وتعالى أبهمه ، ولو كان يتوقف عليه كبير فائدة لبيّنه وأوضحه ، ، وقد قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في ذلك :« والغلام المقتول يزعمون أنّه جيسور »«[2]» ، وقال ابن عطية رحمه الله « ... وهذا أمر كله غير ثابت »«[3]».

وأمّا قوله : في تفسير قوله تعالى :« واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » «[4]». عن أبي بريدة قال «أصحاب القرية » أنطاكية ، فأقول إنّه دون البحث عن رجال هذا الإسناد ، فإنّ هذا الخبر نقله جمع من السلف من بعض الصحابة والتابعين ولم يرد فيه نص صريح بتعيين القرية لا من كتاب ولا سنة ، وإنّما أطلق مبهما ، وهذا الإجماع منهم على أنّ أهل القرية أنطاكية متلقى من بعض الإخباريين فيما بلغهم عن بعض الصحابة من مسلمة الكتاب ككعب ووهب ، أو من غير مسلمة الكتاب كابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ، ولذا يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ « اشتهر عن كثير من السلف أنّ أهل هذه القرية أنطاكية ، رواه ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس ، وكعب

[1] ـ انظر : ميزان الإعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، د ط ، تحقيق علي البجاوي ، بيروت ، دار المعرفة ، دت ، ج 2 ، ص 278 .

[2] ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 303.

[3] ـ انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، ط 1 ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993م . ج 3 ، ص 536 .

[4] ـ سورة يسن : الآية 13.

الأحبار ووهب بن منبه ، وكذا روي عن بريدة بن الحصيب ، وعكرمة ، وقتادة والزهري ، وغيرهم »«[1]».وقد استبعد أن تكون هذه القرية أنطاكية فقال :« وقد تقدّم عن كثير من السلف أنّ هذه القرية هي أنطاكية ، وأنّ هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح عليه السلام كما نصّ عليه قتادة وغيره ، وهو الذي لم يذكر عن غير واحد من متأخري المفسرين غيره ، وفي ذلك نظر من وجوه :

أحدها : أنّ ظاهر القصة يدل على أنّ هؤلاء كانوا رسل الله عزّ وجل ، لا من جهة المسيح كما قال تعالى : «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنّا إليكم لمرسلون »«[2]»، إلى أن قالوا «إنّا إليكم لمرسلون وما علينا إلاّ البلاغ المبين » «[3]» ، ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنّهم من عند المسيح عليه السلام والله أعلم ، ثمّ لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم ما أنتم إلاّ بشر مثلنا

الثاني : أنّ أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح عليه السلام ، وكانوا أوّل مدينة آمنت بالمسيح ، ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بطارقة ، وهنّ القدس لأنّها بلد المسيح ، وأنطاكية لأنّها أول مدينة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والإسكندرية لأنّ فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين ، ثمّ رومية لأنّها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم و أطدّه ، ولما ابتنى القسطنطنية نقلوا

[1] ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 222.

[2] ـ سورة يسن : الآية 14

[3] ـ سورة يسن : الآيتان 16 ـ 17

البترك من رومية إليها ، كما ذكره غير واحد ممّن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق ، وغيره من أهل الكتاب والمسلمين ، فإنّ تقرر أنّ أنطاكية أول مدينة آمنت ، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنّهم كذّبوا رسله ، وأنّه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم فالله أعلم .

الثالث :أنّ قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخذري وغير واحد من السلف أنّ الله تعالى بعد إنزال التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكروه عند قوله تعالى :« ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى »«[1]» فعلى هذا يتعين أنّ هذه القرية المذكورة في القرآن العظيم قرية غير أنطاكية ، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا ، أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن لم يعرف أنّها أهلكت لا في الملة النصرانية ، ولا قبل ذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .فأمّا الحديث الذي رواه أبو القاسم الطبراني حدّثنا الحسين بن أبي السري العسقلاني، حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا ابن عيينة ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : السبق ثلاثة ، فالسابق إلى موسى يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين ، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب ، فإنّه حديث منكر لا يعرف إلاّ من طريق حسين الأشقر ، وهو شيعي

[1] ـ سورة القصص : الآية 43.

متروك والله أعلم .»«[1]» وهذا الرأي من الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ وجيه لما ذكره من ترجيحات ،و لكنّي لم أقف على قول يوافق قوله ممّن بعده من المفسرين أو قبله إلاّ ما صرّح به أنّ هناك جماعة من السلف قالت بهذا الرأي ، ولعلّ العثور على قول لمتأخري المفسرين يقوي رأيه ويزيده بيانا وحجة .وأمّا قوله حدّثنا هشام بن عبيد الله ، عن ابن جابر وهو محمد ، عن عبد الملك يعني ابن عمير قال قال : عروة بن مسعود الثقفي للنبي صلى الله عليه وسلم ابعثني إلى قومي ...إلى أن قال : صلى الله عليه وسلم هذا مثله كصاحب ياسين » فهشام بن عبيد الله قال فيه أبو حاتم صدوق ، وذكر ابن حبان أنّه كان يهم ويخطئ على الثقات، ومحمد بن جابر بن بجير الكوفي قال فيه أبو حاتم صدوق ، وعبد الملك بن عمير وثقه ابن حبان ، وقال ابن حجر في التقريب ثقة فصيح تغير حفظه ورّبما دلس «[2]» ، وعروةبن مسعود الثقفي صحابي جليل ، وهذا الإسناد وإن كان فيه من تغير حفظه ويدلسه فقد روي من طرق أخرى إسناده حسن وبعضها مرسل وممّا روي من طرق أخرى ما رواه ابن أبي شيبة قال:« حدّثنا محمد بن بشر ، حدّثنا سعيد ، عن قتادة أنّ عروة بن مسعود الثقفي دعا قومه إلى الله ورسوله فرماه رجل منهم بسهم فقتله، فمات فعفا عنه ، فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجاز عفوه ، وقال هو كصاحب ياسين »

[1] ـ انظر: تفسير ابن كثير ، ج 5 ، ص 611.

[2] ـ انظر: تقريب التهذيب ، ص 307.

وأمّا قوله : عن شعيب الجبائي قال : اسم الرسولين الذين قالا «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما »«[1]». شمعون ويوحنا وبولص ، فقد أسلفنا القول بأنّ أهل الحديث تكلّموا فيه وقالوا إنّه إخباري متروك ، وذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب أنّهم قالوا : وكان لها ملك اسمه انطيخس بن انطيخيس وكان يعبد الأصنام فبعث الله إليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم ، فكذّبهم» «[2]» ، وهذا النص من ابن كثير ــ رحمه الله ــ يدل على أنّ تعيين اسم الرسل الثلاث متلقى من أهل الكتاب ولم يرد فيه نص صحيح يعتمد عليه ، ولا يتعلق بذكرهم فائدة ، والله أعلم .

وأمّا قوله في قوله تعالى : «وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يقوم اتبعوا المرسلين »«[3]» عن ابن عباس رضي الله عنه قال «هو حبيب النجار وكان الجذام قد أسرع فيه »، أقول : إنّ الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره نقل عن جماعة من التابعين هذا القول فقال: ... قالوا وهو حبيب النجار ، وكان يعمل الجرير وهو الحبال ، وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام ، وكان كثير صدقة ، يتصدق بنصف كسبه مستقيم النظرة ، وقال الثوري عن عاصم الأحول عن أبي مجلز كان اسمه حبيب بن مري ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس أيضا قال : اسم صاحب يسن حبيب النجار ، فقتله قومه ،

---

[1] ـ سورة يس : الآية 14 .

[2] ـ انظر:البدايةوالنهاية ، ط 1 ، د ت ، بيروت ، دار المعارف ، السعودية ، مكتبة النصر ، 1966م ، ج 1 ، ص 229.

2 ـ سورة يس : الآية 20

وقال السدي كان قصار ، وقال عمر بن الحكم كان إسكافا ، وعن قتادة قال كان يتعبد في غار هناك »«[1] »، وهذه الأقوال في اسم صاحب يسن وكونه كان قصارا ، أو إسكافيا ، أو متعبدا في الغار لم يثبت فيه نص صحيح من السنة وإنّما هو مبهم ، وفي تعيينه وذكره لا يترتب عليه كبير فائدة ، وهذا النوع ممّا يجوز روايته ، ولكن لا تصدق ولا تكذب ، والله أعلم .

من خلال ما سقناه من نماذج لابن أبي حاتم وما ذكرناه من تعقيب اتضح لنا ما يلي

أولا:أنّ الإمام ابن أبي حاتم ـ رحمه الله ـ طبّق منهج المحدثين في التعامل مع روايات التفسير ، وذلك بالتساهل في الرواية عن الضعفاء الذين لا يحتج بهم في رواية الأحاديث النبوية ، وتكلم فيهم العلماء والنماذج التي أوردتها من تفسيره يتضح فيها أنّه حكم على أقوام من الرواة في كتابه الجرح والتعديل بالتضعيف ومع ذلك روى عنهم في تفسيره ، ولو طبّق منهجه في كتابه الجرح والتعديل على الرواة الذين اعتمدهم في تفسيره ما استباح الرواية ، وقد وقفت على كلام نفيس لبعض المعاصرين المشتغلين بعلوم الحديث .فقال :« أريد أن أؤكد أنّ منهج المحدثين في تعاملهم مع مرويات التفسير ليس كتعاملهم مع مرويات السنة النبوية ، ابن أبي حاتم ألّف كتابه الجرح والتعديل ولو جئت تطبق الجرح والتعديل على

[1] ـ انظر: تفسير ابن كثير :ج 5 ، ص 608.

الأسانيد التي وصفها بأنّها أصح الأسانيد على كتابه التفسير لوجدت أنّك ستجد حرجا كبيرا من أسانيد هو حكم نفسه عليها بالضعف»«[1]»

ثانيا : أنّ تساهل المحدثين في روايات التفسير لا يعني أنّهم يتساهلون في رواية الموضوعات والمنكرات ولا يستبيحون الرواية عن الكذابين و الوضاعين لأنّ هذا يعدّ خروجا عن المنهج العام عند المحدّثين ، وقد رأينا كيف أورد الإمام ابن أبي حاتم ـ رحمه الله ـ حديثا موضوعا هو حكم عليه بنفسه بأنّه موضوع في كتابه العلل ، وذلك في تفسير قوله تعالى صفراء ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴾«[2]» فأورد حديث «من لبس نعلا صفراء لازال في سرور...» وربّما غفل الإمام ابن أبي حاتم عن مثل هذا ، أو نسي ، أو أنّ تصنيفه للتفسير متقدم على تصنفيه العلل، كما يتضح أنّ من يعتمد الرواية في التفسير بالمأثور يورد كل ما في الباب صحيحا أو ضعيفا ، أو نوعا من الإسرائيليات الواضح البين كذبه على أساس أنّ من أسندك فقد حمّلك ، وأنّهم في تصنيفاتهم كانوا يخاطبون معاصريهم الذين لا تخفى عليهم مثل هذه الروايات ، والله أعلم .ثالثا :أنّ من يصنف في التفسير على أساس الآثار المسندة كثير منهم لا يشيرون إلى ما اشتمل عليه القصص القرآني من دروس وعبر وما انطوى عليه من مقاصد وحكم ، وما تضمن من أغراض وفوائد ، تحسن الإشارة إليها ، والتنبيه عليها حتّى يعطى القصص القرآني حقه الذي سيق من أجله كما قال ربّنا

[1] ـ انظر : محاضرة أسانيد التفسير ومنهجية الحكم عليها ، حاتم بن عارف العوني ، ص 21.

[2] ـ سورة البقرة : الآية 69 .

جلّ وعلى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾« [1] »

المطلب الثاني :النقد التفصيلي لنماذج الإمامين جرير الطبري ـ رحمه الله ـ

إنّ الإمام الطبري رحمه الله إخباري من الطراز الأول ، وله دراية ومعرفة بالحديث ورجاله ، ومن شأن الإخباري أن يورد فيما دوّنه من كتب التاريخ كل شاردة وواردة ، مع بيانه لمنهجه الذي ارتضاه وسار عليه ، والملاحظ على الإمام ابن جرير ـ رخمه الله ـ أنّ جل ما نقله في تفسيره من روايات وأخبار أورده كذلك في تفسيره ، لكنّه صرّح في مقدمة تاريخه بأنّ ما ساقه من روايات قد لا توافق أصلا من أصول الشريعة ،أو تتعارض مع بعض مسائل الدين فهو بريء والعهدة فيه على ناقله فهو غير راضبما ذكره ولا مصدق به فقال : « فما يكون في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين ممّا يستنكره قارؤه ، أويستشنعه سامعه من أجل أنّه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنّه لم يؤت ذلك من قبلنا ، وإنّما أتي من قبل بعض ناقليه إلينا ، وإنّا أديّناه على نحو ما

[1] ـ سورة يوسف : الآية 111

أدي إلينا » «[1]» وهذا المنهج الذي سلكه ــ رحمه الله هو منهج المحدّثين في رواية الحوادث والإكثار من الطرق مع إيراد السند ، والغالب على الأوائل منهم في ذلك عدم التعقيب على ما يذكرونه ، وبسبب هذا المنهج الذي نحاه الإمام الطبري فقد تعرّض للنقد بسببه فالذي يورد الأسانيد كان عليه أن يذكر كلام أهل الجرح والتعديل في الرواة حتّى يتبين صحيح الرواية من سقيمها وجيّدها من رديئها ،لا سيما وقد حشا في ثنايا كتابه كثيرا من الأخبار الواهية والضعيفة والمنكرة ، وذكر البعض أنّه كان عليه أن لا يستعمل هذا المنهج في كتابه في التفسير ، وإن كان قد ذكر عذره في كتاب التاريخ ، لكن إيرادها في التفسير أمر خطير وفي ذلك يقول الدكتور محمد حسين الذهبي ــ رحمه الله ــ « إذا كان سائغا أن يعتذر الطبري بذلك عمّا أورده في تاريخه من إسرائيليات مستنكرة مستشنعة ، فلا أراه سائغا أن يعتذر بمثل هذا عمّا أورده من ذلك في تفسيره ، لأنّ تفسير كتاب الله يجب أن يجنب كل مستنكر مستشنع ، وإذا كان التاريخ يتحمل مثل هذه الإسرائيليات فكتاب الله لا يتحمّلها ، ولا يجوز لأحد أن يحمّله إيّاها »«[2]» ، وسأجلي القول فيما أوردته من نماذج من تفسيره للقصص القرآني

أولا : قصة سليما ن عليه السلام في قوله تعالى:« ولقد فتنّا سليمان وألقينا على كرسيه جسد ثمّ أناب »

[1] ــ انظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، د ط ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، دار المعارف ، 1960 م ، ج 1 ، ص 25.

[2] ــ انظر: الإسرائيليات في التفسير والحديث ، ص 162 .

قال حدّثنا بشر، حدّثنا يزيد ، قال حدّثنا سعيد عن قتادة قوله : ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثمّ أناب قال حدّثنا قتادة أنّ سليمان أمر ببناء بيت المقدس ، فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، ....قال هو الشيطان صخر المارد »

أقول إنّ الناظر في مثل هذه الرواية دون أن يبحث وينقب عن رجال سندها ليدرك أنّها من مرويات بني إسرائيل ، وممّا لا يجوز روايته لأنّ ظاهر الكذب فيها بيّن وواضح ، وكل هذا يزري ويحط من مقام النبوة ويخدش فيها إذ لا يعقل أن يسلط الله جنّيا على أحد من رسله الذين ارتضاهم لتبليغ شرعه ، ويمكن لهذا الجنّ بأن يعبث في ملكه ويجور على الناس في حكمه، ويتصرف فيه كيف شاء ، والقرآن مازاد عن ذكر الآية ، وما تعرض لكيفية فتنته ، وتفاصيل القصة ، وأمّا في السنة فقد ورد في ذلك أثر في الصحيحين ينبغي أن تحمل عليه الآية ولا يتعدى إلى غيره ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم إنّ سليمان قال لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين امرأة تلد كلّهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ، فقال له صاحبه إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله فلم يحمل منهن إلاّ امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون »«[1]» ،فهذا الذي ينبغي أن تحمل عليه الآية ويفسر عليه قضية فتنته وهو أنّه لم يستثن ويرجع المشيئة لله فلم ينل مقصوده ومراده ، ولا سيّما أنّ نفرا من المفسرين يحمل هذه القصة على هذا الوجه وبعضهم يجزم به ولقد وقفت على كلام نفيس للإمام القاضي

[1]– رواه البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : « ووهبنا لدواد سليمان نعم العبد إنّه أواب »، رقم 3424 ، ج 2 ، ص 361 ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ .

عياض«[1]» ـ رحمه الله ـ في هذا الصدد فقال :«وأمّا قصة سليمان وما حكى فيها أهل التفاسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّ قال : لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلّهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل ، فلم تحمل منهن إلاّ واحدة جاءت بشق رجل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله » قال أصحاب المعاني : والشق هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته ، وقيل بل مات فألقي على كرسيه ميّتا ، وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه ، وقيل لأنّ لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته أن سلب ملكه وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم ، وقيل أخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه ، لأنّ الشياطين لا يسلطون على مثل هذا ، وقد عصم الأنبياء من مثله ، وإن سئل لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة إن شاء الله فعنه أجوبة أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنّه نسي أن يقولها وذلك لينفذ مراد الله ، والثاني أنّه لم يسمع صاحبه وشغل عنه ، وقوله : لا ينبغي

[1] ـ هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي المالكي السبتي، ولد في سنة ستة وسبعين وأربعمائة ، كان إماما في الحديث وعلومه ، وعارفا بالنحو واللغة وكلام العرب ، من مؤلفاته : الإكمال في شرح صحيح مسلم ، كمّل به شرح المازري المعلم ،وله كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، وكتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث ، وله الإلماع في أصول الرواية والسماع ،وغيرها من المؤلفات ، توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة بمراكش ، انظر: سير أعلام النبلاء ،الذهبي ، ج 20، ص 212

لأحد من بعدي لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره المفسرون أن لا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إيّاه مدة امتحانه على قول من قال ذلك ، وقيل بل أراد أن يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كغيره من أنبياء الله ورسله ...»«[1]»

وقدذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق جملة من هذه الروايات بأنّها من الإسرائيليات المنكرة فقال :« وهذه كلّها من الإسرائيليات ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم ...إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ، ولكنّ الظاهر أنّه إنّما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب ، وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنّهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدّها ذكر النساء ، فإنّ المشهور عن مجاهد وغير واحد من السلف أنّ ذلك الجنّي لم يسلط على نساء سليمان ، بل عصمهن الله عزّوجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام ، وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين ، وكلّها متلقاة من قصص أهل الكتاب ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .»«[2]»

[1] ـ انظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى : القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ، دط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت ، ج 2 ، ص 167.

[2] ـ انظر: تفسير ابن كثير ، ج 6 ،ص 61 ـ 62 .

ثانيا : الكلام على تفسير قوله تعالى :« قال ربي أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي وقد بلغت من الكبر عتيا » قال حدّثني موسى بن هارون ، حدّثنا عمرو ، حدّثنا أسباط عن السدي قال نادى جبريل زكريا فقال يا زكريا إنّ الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ، فلمّا سمع النداء جاءه الشيطان فقال له يسخر بك ، ولو كان من الله أو حاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر فشك وقال : أنّى يكون لي غلام » والكلام على هذه الرواية هو نظير الكلام على التي قبلها فالناظر فيها يستبين له بطلانها ، وأنّه لا أصل ،إذ لا يعقل أنّ يسلط الله شيطانا ليشكك نبيا من أنبيائه فيما يوحي إليه ربّه ، وفيما يبشره به ويلقيه إليه ، ولو فتحنا مثل هذا الباب لقدحنا في كل الرسل ، وفي كل ما جاؤوا وقلنا هو من عند غير الله ، ومعلوم وواضح أنّه لا سبيل للشيطان عليهم فيما أوحى إليهم ربّهم ، وأمرهم بتبلغيه ، كما أنّ هذه الرواية مؤداها هو تكذيب الملائكة ، وأنّهم ليسوا بأمناء على وحي الله لرسلهم ، وهذا قد صريح في عصمتهم، ولذا يقول القاضي عياض ــ رحمه الله : أجمع المسلمون على أنّ الملائكة مؤمنون فضلا ، واتفق أئمة المسلمين أنّ حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة بما ذكرنا عصمتهم منهم وأنّهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم ...»«[1]» ، وقال في موضع آخر ينفي فيه ورود الشك على الأنبياء والمرسلين فيما يوحى إليهم من الله تعالى ، أو ما يبشرهم به فقال : اعلم منحنا الله وإيّاك وتوفيقه أنّ ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بصفات الله وصفاته والإيمان به ، وبما أوحي إليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن الجهل

[1] ـ انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، ج 2 ، ص 174.

بشيء من ذلك ، أو الشك أو الريب فيه العصمة من كل ما يضاد المعرفة واليقين بذلك : هذا ما وقع إجماع المسلمين عليه ، ولا يصح بالبراهين الواضحة أن يكون في عقود الأنبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول إبراهيم عليه السلام قال:« بلى ولكن ليطمئن قلبي »«[1]» ، إذ لم يشك في إخبار الله تعالى بإحياء الموتى ، ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الإحياء ، فحصل له العلم الأزل بوقوعه ، وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته ...» «[2]» ، وهذا الذي قيل في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام ، هو الذي ينبغي أن يقال في حق زكريا عليه السلام ، فإنّ نبي الله زكريا لم يشك في قدرة الله تعالى ، ولكنّ الطبيعة تقتضي أنّ من كان هذا حاله من طعونه في السن وكبره ، وكون امرأته موصوفة بأنّها عاقر ،يستحيل أن يرزق الولد في غالب الأحوال ، لكنّه لم رأى مريم وما خصتّ به من رزق الولد من غير أب ، وماخصّها الله به من أنواع الرعاية كالرزق ، فكان يدخل عندها ويرى أشياء من الطعام في غير وقتها ، أدرك أنّ الله عزوجل قادر على أن يرزقه الولد في هذا السن ، فحنّت نفسه وتاقت للولد فسأل الله ذلك ، فأعطاه، فلمّا أدرك ذلك عيانا تعجب ، ولذلك قال:« أنّى يكون لي غلام »«[3] », وكذلك تعجبت زوجته ، ولم يحصل منهما شك ، والله أعلم .

[1] ـ سورة البقرة : الآية 260.

[2] ـ انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج 2 ، ص 97.

[3] ـ سورة مريم : الآية 8.

و أمّا تفسيره لقوله تعالى :«فأزّلهما الشيطان عنها فأخرجهما ممّا كان فيه »«[1]». قال : لما أسكن الله آدام وذريته أو زوجته ونهاه عن الشجرة ...أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك » فالقول فيها كالآتي : إنّ المولى تبار ك جلّ وعلى قص لنا إغواء الشيطان لآدم وحواء وكيف أغراهما حتّى أكلا من الشجرة التي نهاهما الله تعالى عن الدنو والاقتراب ، وأمّا كيفية إغوائه لهما وإبليس هل كان في الجنة والنار ، وكيف توصّله إليهما فالله تعالى أبهمه وأجمله ، ولم يفصله فينبغي الوقوف عند حدود ذلك، ولو ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء صحيح في ذلك لصدّقناه وآمنّا به وحملنا عليه هذه الآية ، فظاهر هذ القصة واضح أنّه من أخبار الكتاب المنكرة ، وممّا حرّفوه في كتبهم ، فسند ابن جرير الذي ذكره دلّ على أنّه أخذه مأخوذ من وهب بن منبه ، كما أخذه سيدنا عن ابن عباس عن بعض مسلمة الكتاب ، ونص ابن كثير على وجود هذه الرواية في كتاب التوراة فقال :« وفي كتاب التوراة التي بأيدي أهل الكتاب : أنّ الذي دلّ على حواء على الأكل من الشجرة الحية ، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها ، فأكلت حواء عن قولها وأطعمت آدم عليه السلام ، وليس فيها ذكر لإبليس ...»«[2] »وما ذكره ابن كثير هنا يدل على بطلان قوا من قال إنّ إبليس دخل في جوفها ، ويدل على تضارب هذا المروي في كتبهم ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين بأنّ هذه قصة غريبة فقال الرّازي ـ رحمه الله ـ : وقال : أبو مسلم الأصفهاني بل كان آدم وإبليس في الجنة لأنّ هذه الجنة كانت بعض جنات الأرض والذي

[1] ـ سورة البقرة : الآية 36

[2] ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 24 .

يقوله بعض الناس من أنّ إبليس دخل في جوف الحية ودخلت الحية في الجنة فتلك القصة الركيكة مشهورة»«[1]» فالصحيح أنّ الإغواء حاصل ومقارفة آدم وحواء للخطيئة ثابت، وأمّا البحث عن كيفيته ، و معرفة إبليس هل كان في الأرض أو الجنة والجنة ، وهل الجنة من جنات الأرض أو السماء فيجب التوقف فيه ، وفي صدد هذا المقام يقول الدكتور أبو شهبة ــ رحمه الله ــ « ووسوسة إبليس لآدم لا تتوقف على دخوله في بطن الحية ، إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب ولا مشافهة وقد يوسوس إليه ، وهو على بعد أميال منه ...»«[2]».

ومن خلال ما سقته من نماذج للإمام الطبري ـ رحمه الله ـ و ما ذكرته من تعقيب اتضح لي ما يلي:

أولا :أنّ سوقه لمثل هذه الرواية لا يدلّ البتة على ارتضائه لها ولا التصديق بها وحاشاه وكلاّ ، وما كان يخفى عليه نكارتها ، لكنّه طبق منهجه الإخباري في تفسيره فيما يتعلق بالمرويات بذكر كل ما في الباب وما يتعلق بالقصة ، لكنّ الذي يؤخذ عليه هو عدم التعقيب عليها ونقدها بما يدفع به الشبه عمن جاء بعضه ، وطالع تفسيره ، فكأنّه والله أعلم صنّف كتابه على أساس دراية أهل زمانه بمثل هذه المرويات وعلمهم بها فالله أعلم بذلك .

[1] ـ انظر: مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، ج 14 ، ص 38.

[2] ـ انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص 180.

ثانيا : إنّي لأستسمح شيخ المفسرين وإمامهم أن يجري وراء هذه الرويات دون أن يشير إلى ما احتوت عليه هذه القصص من دروس وعبر لا سيّما في هذه النماذج ، فقصة سليمان فيهادروس ينبغي للمرء استخلاصها منها تسليم الأمور وإرجاع المشيئة إلى الله تعالى ، وتلقي بلاءه بالصبر والثبات ، والعودة والرجوع إليه سبحانه وتعالى في الخطوب ، وقصة زكريا عليه السلام في درس من الدروس التي ينبغي للمر أن يتعلمها وهو أن يعلق رجاءه بالله في نيل مطلوبه ويحسن به الظن ويلح عليه في الدعاء ويلتجأ إليه في قضاء الحوائج والرغبات ، وقصة آدم رحمه الله تقرر لنا درسا أصله القرآن ينبغي علينا أن لا نحيد عنه ولا نتغافل عنه وهو عداوة الشيطان للإنسان التي نبّها الله إليها في كم موطن من القرآن الكريم ، كما يستفا دمنها ضرورة امتثال أوامر الله والانصياع إليها وعدم مخالفتها ففي كل ذلك الخسران ، والعياذ بالله ، والله تعالى أعلى وأعلم .

المطلب الثالث:النقد التفصيليلنماذج الإمام ابن أبي زمنين

قوله : في تفسير قوله تعالى : ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾«[1]»

[1] ـ سورة الأعراف : الآيتان 189 ـ 190.

تفسير الكلبي: «حملت حواء حملا خفيفا ... فسمّته عبد الحارث» والكلام عليها من وجوه كالآتي :

أولا :إنّه لا يعقل أن ينسب الشرك لنبي من أنبياء الله ، فالله ما أرسل رسله وابتعثهم إلاّ للدعوة للتوحيد ونبذ الشرك ، وطرح ما يعبد من دون الله ، ومن نظر في كتاب الله تعالى وجد كما هائلا من النصوص يبين فيها الباري جلّ وعلا من إرسال الرسل حيث قال : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾«[1]»

وقال عزّ من قائل ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾«[2] »، أيعقل بعد هذا أن يقع أنبياء الله فيما أمرهم ربّهم بتحذير العباد من الوقوع فيه ـ وهو الشرك ـ فهذا أمر لا يستسغيه عقل ولا شرع .

ثانيا :أنّ ما نقله الإمام ابن أبي زمنين في تفسير هذه الآية هو عن الكلبي ، وهو كثير النقل عنه كما كان يحي بن سلام الذي اختصر ابن أبي زمنين تفسيره منه ينقل عنه ، وللعلماء مقال في الكلبي ، ملخصه ما ذكره صاحب التقرير وفصّله حيث قال : محمد بن السائب الكلبي متهم بالكذب ، وإن كان عالما بالتفسير ، وأمثل وأصح تفسير الكلبي ما يرويه الثقات عنه ، كسفيان الثوري ، ومحمد بن فضيل بن غزوان ، ومن الضعفاء من قبل الحفظ حبّان بن علي العنبري ، لكنّه حسن حالا من محمد بن مروان ، وصالح بن محمد ، ، وتفسير الكلبي على نوعين :

النوع الأول : ما يرويه وينقله عن أئمة التفسير فهذا يطرح ، ولذلك سئل أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي فقال : من أوله إلى آخره كذب ، فقيل أيحل النظر فيه ؟ قال : لا ، وسئل يحي بن معين عنه فقال: حقه أن يدفن .

---

[1] ـ سورة الأنبياء : الآية 25.

[2] ـ سورة النحل : الآية 36.

والنوع الثاني : التفسير من قوله ممّا لا يرويه عن غيره ، فهذا يؤخذ ويكتب عنه ، لأنّه عالم بالتفسير ، وإمام فيه ، ومن أهل العربية فيستفاد منه في التفسير ، وبمعرفة الوجه المقصود من الآية من قوله ، لا ممّا يحكيه»«[1]».

ثالثا : أنّ هذا المنقول عن الكلبي من مرويات الكلبي ، وليس من كلامه الذي يتساهل فيه ويؤخذ عنه ، لأنّ هذه القصة مبحثها النقل ، وما ذكره الكلبي في هذه القصة باطل ومنكر وكذبه واضح وبيّن ، وقد تكلم الحفاظ في هذه الرواية ، وممّن أشار إلى بطلانها الحافظ ابن كثير حيث قال في ثنايا تفسيره لهذه الآية « ... ذكر المفسرون ههنا آثار وأحاديث سأوردها وأبين ما فيها ، ثمّ نتبع ذلك ببيان الصحيح في ذلك إن شاء الله وبه الثقة ، قال الإمام أحمد في مسنده حدّثنا عبد الصمد حدّثنا عمر بن إبراهيم ، حدّثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :لما ولدت حواء طاف بها إبليس ، وكان لا يعيش لها ولد ، فقال سميه عبد الحارث فإنّه يعيش ،فسمّته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره ، وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به ، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ، ، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا ، ثمّ قال هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرّجاه ، ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرّازي عن هلال بن فيّاض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعا ، قلت : وشاذ هو هلال ، وشاذ لقبه ، والغرض أنّ هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه أحدها : أنّ عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرّازي لا يحتج به ، ولكن رواه ابن

[1] ـ انظر: التقرير في أسانيد التفسير ، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ، ص 66.

مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا ، فالله أعلم ، الثاني : أنّه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا ، كما قال : ابن جرير ، حدّثنا ابن عبد الأعلى ، حدّثنا المعتمر عن أبيه ، حدّثنا بكر بن عبد الله عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال : سمى آدم ابنه الحارث ، الثالث : أنّ الحسن نفسه فسّر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عند سمرة لما عدل عنه ، قال ابن جرير حدّثنا وكيع حدّثنا سهل بن يوسف عن عمرو بن الحسن «جعلا له شركاء فيما آتاهما»«[1]» قال كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن في آدم ، وحدّثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدّثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن : عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده يعني «جعلا له شركاء فيما آتاهما »، وحدّثنا بشر حدّثنا يزيد ، حدّثنا سعيد عن قتادة قال : كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصّروا ، وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنّه فسّر الآية بذلك ، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية ، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره ، ولا سيّما مع تقواه لله وورعه ، فهذا يدّلك على أنّه موقوف على الصحابي ، ويحتمل أنّه تلقّاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه إن شاء الله إلاّ أننّا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم » «[2]» .

وهذا النص من ابن كثير يفيد ويدل دلالة صحيحة أنّه لا يوجد حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه في شأن هذه القصة ، وأقل مايصح فيه أنّه موقوف على صحابي .

والأثر الذي ذكرها الكلبي رواه ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تفسيره عن ابن حميد ، عن سلمة بن الأبرش ، محمد بن إسحاق بن يسار عن دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن

[1] ــ سورة الأعراف : الآية 190

[2] ــ انظر : تفسير ابن كثير : ج3 ، ص 264.

عباس ــ رضي الله عنه ــ«[1]»، وضعف هذه الرواية كثير من الحفاظ ، وقالوا بأنّ هذا حديث منكر فيه علل : الأول : رواية دواد بن الحصين عن عكرمة خاصة منكرة ، و الثانية : ابن إسحاق مدلس وقد عنعن ، و الثالثة : ابن حميد ضعيف ، وقد اتهمه بعضهم .«[2]».

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد أن ساق هذا الأثر الذي ذكرناه آنفا ، وذكر رواية ابن جرير له من طرق مختلفة ما نصه :« وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس جماعة من أصحابه كمجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية قتادة والسدي ، وغير واحد من السلف وجماعة من الخلف ومن المفسرين المتأخرين جماعة لا يحصون كثرة ، ــ وكأنّه والله أعلم ــ أصله مأخوذ من أهل الكتاب ، فإنّ ابن عباس رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه بن أبي حاتم حدّثني أبي ، حدّثنا أبو الجماهير ، حدّثنا سعيد يعني بن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : لما حملت حواء آتاها الشيطان ، فقال لها: أتطيعيني يسلم وإلاّ فإنّه يكون بهيمة فهيّبهما فأطاعا ، وهذه الآثار يظهر عليها والله أعلم ــ أنّها من آثار أهل الكتاب ، وقد صحّ الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه قال :« إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم »«[3]» ، ثمّ أخبارهم على ثلاثة أقسام ، فمنها ما علمنا صحته بما دلّ عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومنها ما علمنا كذبه بما دلّ على خلافه من الكتاب والسنة أيضا ، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه الصلاة والسلام

[1] ــ انظر: جامع البيان في تأويل آيالقرآن ، ج 13 ، ص 310.

[2] ــ انظر : الاستيعاب في بيان الأسباب ، سليم بن سعيد الهلالي ـ محمد موسى آل نصر ، ط 1 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1425هـ ، ج 2 ، ص175.

[3] ــ رواه البخاري :كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، رقم 7362، ج 4 ، ص 1844، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .

«حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج »«[1]» وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله:«فلا تصدّقوهم ولا تكذبوهم »«[2]»، وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر ...» «[3]».

رابعا : أنّ الوجه الذي ينبغي أن تحمل عليه الآية وتفسر به أنّ الشرك وقع من ذرية آدم وأولادهم ، لا من آدم وحواء بعينهما ، وهذا الذي ذهب إليه كبار المفسرين ومحققيهم ، حيث قال الإمام ابن جزي ــ رحمه الله ــ « ... أي لما آتاهما ولدا صالحا كما طلبا جعل أولادهما له شركاء ، فالكلام على حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك فيما آتاهما أي فيما آتى أولادهما وذريّتهما ، وبعد أن أورد هذه القصة قال ، فقوله « جعلا له شركاء فيماآتاهما» أي في التسمية لا غير لا في عبادة غير الله ، والوجه أصح لثلاثة وجوه أنّه يقتضي برآءة آدم وزوجه من قليل الشريك وكثيره وذلك هو حال الأنبياء ، والثاني أنّه يدل على أنّ الذين كفروا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى فتعالى الله عمّا يشركون بضمير الجمع ، والثالث أنّ ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى سند صحيح ، وهو غير موجود في تلك القصة »«[4]»

وقال الحافظ ابن كثير ــ رحمه الله ــ ... وأمّا نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا ، وأنّه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء ، وإنّما المراد من ذلك المشركون من ذريّته ، ولهذا قال الله تعالى فتعالى الله عمّا يشركون ، ثمّ قال فذكر آدم وحواء كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين ، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس ، كقوله :«ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح » الآية ومعلوم أنّ المصابيح وهي النجوم التي زيّنت بها السماء ليست هي

---

[1] ــ رواه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ،رقم 3416، ج 2 ، ص 852.

[2] ــ سبق تخريجه ، ص 286.

[3] ــ انظر: تفسير ابن كثير ،ج 3 ، ص 265.

[4] ــ انظر: التسهيل لعلوم التنزيل : أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، دط ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي ، إبراهيم عطوة عوض ، القاهرة ، أم القرى للطباعة والنشر ، دت ، ج 2 ، ص 103 ـ 104

التي يرمى بها ، وإنّما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ، ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم »«[1]»، وقال الإمام محمد أمين الشنقيطي ــ رحمه الله ــ في هذه الآية وجهان من التفسير معروفان عند العلماء ، والقرآن يشهد لأحدهما :

الأول : أنّ حواء كان لا يعيش لها ولد ، فحملت فجاءها الشيطان ، فقال لها سمي هذ الولد عبد الحارث ، فقال تعالى:« فلمّا آتاهما صالحا » أي ولدا إناثا وذكرا جعلا له شركاء بتسميته عبد الحارث ، وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع ، وهو معلول كما أوضحه ابن كثير

الوجه الثاني :أنّ معنى الآية أنّه لما آتى آدم وحواء صالحا كفر به بعد ذلك كثير من ذريّتهما ،و أسند فعل الذرية إلى آدم وحواء ، لأنّهما أصل لذّريتهما كما قال تعالى : «ولقد خلقناكم ثمّ صورناكم »ويدل لهذا الوجه الأخير أنّ الله تعالى قال بعده «فتعالى الله عمّا يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون »، وهذا نص قرآني صريح في أنّ المراد المشركون من بني آدم وحواء واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه ...»«[2]»

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى :﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾«[3]»

---

[1] ــ انظر: تفسير ابن كثير ، ج 3 ، ص 265.

[2] ــ انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1416 هـ ـ 1996 م ، ج 2 ، ص 254 ـ 255.

[3] ــ سورة يوسف :الآيتان 23 ــ 24 .

قال: « وقالت هيت لك : أي هلمّ إليك .....«وهمّ بها» يعني حلّ سرواليه...»أقول إنّ الناظر في قصة كهذه يتضح له بطلانها ، وأنّها من أخبار أهل الكتاب التي لا تصدق ، بل ينبغي أن تكذب ، ويحذّر منها ، لما فيها من حط لمقام النبوة والانتقاص من منصبهم والخدش في رسالتهم التي أستأمنهم الله عليها والدليل على بطلان مثل هذه الرواية وجوه :

الأول : إنّ قولا كهذا يخالف ما أجمع عليه المسلمون قاطبة من عصمة أنبياء الله ورسله من الوقوع في الفواحش والكبائر ، وإن اختلفوا في جريان الصغائر عليهم ، والصحيح في ذلك كلّه براءتهم منها قبل البعثة وبعدها يقول القاضي عياض ــ رحمه الله ــ « وأمّا ما يتعلق بالجوارح من الأعمال ، ولا يخرج من جملتها القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ، ولا الاعتقاد بالقلب فيما عدا التوحيد ، وما قدّمناه من معارفه المختصة به ، فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك الإجماع الذي ذكرناه ، وهو مذهب القاضي أبي بكر ، ومنعها غيره بدليل العقل مع الإجماع وهو قول الكافة ...وأمّا الصغائر فجوزها جماعة جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء ، وهو مذهب أبي جعفر الطبري ، وغيره من الفقهاء والمحدّثين والمتكلمين ، وسنورد بعض ما احتجوا به ، وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف ، وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ، ولم

يـأت في الشـرع قـاطع بأحـد الـوجهين ، وذهبـت طائفـة أخـرى مـن المحقيقـين والفقهـاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر »«[1]».

وقال في موضع آخر : «وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوّزها آخرون ، والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب ، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب ....»«[2]»

ثانيـا : أنّ هـذا الخـبر مـن مرويـات أهـل الكتـاب ودسائسـهم الـتي أرادوا أن يشـوهوا بهـا صـورة أنبيـاء الله والطعـن في نبـوتهم ، لـذا فكـل مـاورد مـن هـذه الأخبـار فهـو يفتقـر إلى سـند صـحيح يـدل عليـه مـن سـنة المصـطفى عليـه السـلام ، كمـا ذكـر غـير واحـد مـن الحفـاظ ، ولـذا يقـول الحـافظ ابـن كثـير ـ رحمـه الله ـ « وأكثـر أقـوال المفسـرين هاهنـا متلقـى مـن كتـب أهـل الكتـاب فـالإعراض عنـه أولى بنـا ، والـذي يجـب أن يعتقـد أنّ الله تعـالى عصـمه وبـرّأه ونزهـه عـن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها...»«[3]»

ثالثـا : أنّ الـذي ينبغـي أن يفسـر بـه هـم يوسـف عليـه السـلام هـو حـديث الـنفس وخـاطر مـن خواطرهـا الغـير مقـرون بـالعزم علـى الفعـل ، وهـذا غـير مؤاخـذ عليـه ، بخـلاف الخـاطر الـذي يصـحبه عـزم ويصـدقه عمـل فهـذا الـذي يؤاخـذ عليـه المـرء ويحاسـب عليـه ، وقـد ذهـب إلى هـذا القـول جماعـة مـن المحقيقـين ، والقـول بأنّـه حـلّ سـراويله وجلـس بـين شـعبها ، ورأى صـورة

[1] ـ انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، ج 2 ، ص 144.
[2] ـ المصدر نفسه: ج 2 ، ص 147.
[3] ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 200.

جبريل ،أو صورة يعقوب فزجره فهذا كله باطل ، ولنستمع إلى ما يقوله القاضي عياض ــ رحمه الله ــ « ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه »«[1]»، فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدّثين أنّ همّ النفس لا يؤاخذ عليه وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم : إذا همّ

عبدي بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة »«[2]» فلا معصية في همه إذا ، وأمّا على مذهب المحقيقين من الفقهاء والمتكلمين ، فإنّ الهم إذا وطنّت عليه النفس سيئة وأمّا ما لم توطن عليه النفوس من همومها وخواطرها ، فهو المعفو عنه ، وهذا هو الحق فيكون إن شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله« وما أبرئ نفسي »«[3]» أي ما أبرئها من هذا الهم ، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي من قبل وبرئ ، وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة أنّ يوسف لم يهم ، أنّ الكلام فيه تقديم وتأخير ، أي لقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها قد قال تبارك وتعالى عن المرأة «ولقد روادته عن نفسه فاستعصم » «[4]» وقال تعالى:« كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء»«[5]» وقال تعالى : «وغلّقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنّه ربي أحسن مثواي

---

[1] ــ سورة يوسف : الآية 24.

[2] ــ رواه مسلم : كتاب الإيمان ، «اب إذا همّ العبد بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب»، ج 1 ، ص 82 ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

[3] ــ سورة يوسف : الآية 53.

[4] ــ سورة يوسف : الآية 32.

[5] ــ سورة يوسف : الآية 24

»«[1]» الآية قيل: في ربي الله وقيل الملك ، وقيل همّ بها أي بزجرها ووعظها وقيل همّ بها أي غمّها امتناعه عنها ، وقيل همّ بها نظر إليها ، وقيل همّ بضربها ودفعها ، وقيل هذا كله كان قبل نبوته ، وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل الشهوة حتّى نبأه الله فألقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه »«[2]» ، وقال الإمامالسّخاوي ــ رحمه الله ــ وهمّ بها خطر بباله ، ثمّ صرفه عنه الله ــ عزّ وجل ولم يزد يوسف على الهم ، وما حكي عنه أنّا مروادته حتّى قعد منها مقعد الرجل من المرأة فا نشق الحائط ، وخرج منها كف مكتوب عليها :« ولا تقربوا الزنا إنّه كان فاحشة وساء سبيلا»«[3]» فقام هاربا ثمّ أدركته فلاطفته ، فقال الله يا جبريل أدرك يوسف ، فنزل جبريل فخفقه بجناحه خفقة ذهبت بها الشهوة من نفسه حتّى إنّ أولاد يعقوب كل منهم رزق اثني عشرا ولدا إلاّ يوسف فإنّه لم يرزق إلاّ أحد عشر لتلك الخفة ــ فهذه حكاية نعوذ بالله منها ، فإنّها لو حكيت عن أفجر الفجار لكان حقيقة بأن لا نسلم عليه بأن ظهرت له المعجزات بانشقاق الحائط وتلاوة القرآن ثمّ يعود ، ويرد هذ الحكاية أنّ الله برأه بقوله:

« لنصرف عنه السوء والفحشاء»«[4]» ولو نظر إليها بشهوة لكان حراما عليه ، فكيف وهو يرى الآيات . ثمّ يأتي لمواقعتها ، ثمّ يجلس مجلس الرجل من المرأة ؟ »«[1]»

---

[1] ــ سورة يوسف : الآية 23.

[2] ــ انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج 2 ، ص 165.

[3] ــ سورة الإسراء : الآية 32.

[4] ــ سورة يوسف : الآية 24.

رابعا: إنّ هذه القصة قد تضمنت أهداف تربوية ، وسيقت لأغراض خلقية دينية ، فقد أعطت لنا عامة وللشباب خاصة درسا في الانتصار على النفس وخواطرها ، وعلمت الشباب كيفية إيثار الله على هواهم ، وترك الشهوات والمعاصي مع توافر أسبابها من أجل الله ، وغرست فينا وفيهم خلق المراقبة والخشية التي ينبغي للمرء استحضارهما والتشبث بهما في مثل هذه المواقف والمحن، وعلمتنا أنّ من ترك شيئا لله عوّضه الله خيرا منه ، فهذا الذي كان جديرا أن يلتفت إليه وينبه عليه بدلا من أن يجري المرء من روايات واهية منكرة دسست على المسلمين لتشككهم في عصمة أنبيائهم وشوه بها القصص القرآني وجماله الرائع وسره الهادف ، والله تعالى أعلا وأعلم .

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾« [2]» قال: مجاهد هو بلعان بن باعراء، وبعضهم يسميه بلعم ....فهو أخس أحواله » والتعقيب عليها كالتالي:

[1] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السّخاوي ، ط 1 ، تحقيق موسى علي موسى ـ أشرف محمد عبد الله القصاص ، القاهرة ، دار النشر للجامعات ، 1430 هـ ـ 2009م ، ج 1 ، ص 402 ـ 403.

[2] ـ سورة الأعراف : الآية 175ـ 176.

أولا : إنّ ما ذكره الإمام ابن أبي زمنين ــ رحمه الله ــ عن مجاهد أنّ اسم الرجل الذي ذكره الله في هذه القصة هو بلعم بن باعوراء لم يكن فيه بدعا عمّن سبقه أو من جاء بعده ، فقد اشتهر عند كثير من المفسرين متقدمهم و متأخرهم أنّ الذي عناه الله في هذه القصة هو بلعم بن باعوراء ، وذكروا في شأنه أشياء عجيبة وغريبة ، فذكروا أنّه رجل من بني إسرائيل أعطاه الله اسمه الأعظم وكان مجاب الدعوة وكان في زمان موسى عليه السلام ، فأتاه قومه وطلبوا منه أن يدعوا على نبي الله موسى ، فلم يطاوعهم ، ثمّ ألحوا عليه فلم يطاوعهم ، ثمّ ألحوا عليه الثلاثة فأجابهم إلى مطلوبهم ، فكلما قام ليدعو على موسى دعا على قومه ، وعلم أنّ الله أجرى على لسانه ذلك ، وبعدها أمرهم أن يجهزوا لموسى وقومه نساء ليفتنوهم وبذلك يتغلبون عليهم ، وقيل : أنّه رجل أعطاه الله ثلاث دعوات مستجابات ، فطلبت منه زوجته أن يهبها دعوة ليرد الله عليها صغرها وجمالها ففعل ، ثمّ تنكرت له وهجرته فدعا الله عليها ان يصيرها كلبة ففعل ، ثمّ سألته أن يسأل الله بأن يرجعها على ما كانت عليه ففعل ، وبذلك استنفد دعواته الثلاث فبقي على حاله ، إلى غير ذلك من الروايات ، وكلّ هذا يفتقر إلى سند صحيح عن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والله سبحانه وتعالى أبهمه ، ولم يعينه ، كما هي عادة القرآن في إيراد هذا النوع من القصص ، وذهب البعض إلى أنّ المعني بهذه الآية هو أمية بن أبي الصلت كان قد قرأ كتب بني إسرائيل ، وأيقن بأنّ الله مرسل لهذه البشرية رسولا في ذلك الوقت فرجى أن يكون هو المبعوث فلمّا بعث النبي صلى الله عليه وسلم حسده ولم يؤمن به ومات كافرا « [1] ». والناظر في مثل هذه الروايات لايمكن له الجزم بأنّ المراد به واحد بعينه ، وإنّما عليه أن يسلم بما ذكره الله في

[1] ــ انظر: محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي ، ج 5 ، ص 202.

كتابه ، ويتدبر ما سيق من قصته ، ولذا يقول الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ « والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره أمر نبيه أن يتلوا على قومه خبر رجل كان الله آتاه حجه وأدلته وهي الآيات ،وجائز أن يكون الذي كان الله تعالى آتاه ذلك بلعم بن باعوراء ، وجائز أن يكون أمية بن أبي الصلت ، وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم ، وجائز أن يكون أمية ، لأنّ أمية كان فيما يقال قرأ من كتب أهل الكتاب ، وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه الصلاة والسلام أن يتلوا على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم ، أوبمعنى النبوة فغير جائز ان يكون معنيا به أمية ، لأنّ أمية لا تختلف الأمة في أنّه لم يكن أوتي شيئا من ذلك ، ولاخبر بأي ذلك المراد وأي الرجلين المعني يوجب الحجة ، ولا في العقل دلالة على أنّ ذلك المعني به من أي ، فالصواب أن يقال فيما قال الله ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله »«[1]»

ثانيا :أنّ في قوله :«قال محمد : قيل ضرب الله مثلا لتارك أمره أخس ...» إشارة منه إلى مقصود القصة وغرضها الذي سيقت له لكنّه لم يتوسع في بيانه واكتفى بهذه الإشارة فحسب ، فالذي ينبغي للمسلم أن يستفيده من هذه القصة هو أن يوظف نعمة الله التي أنعم عليه فيما يرضي ربه وينفه به عباده ، وأن لا يستعملها فيما يستوجب غضبه وعقابه

[1] ـ انظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 13، ص 259 ـ 260.

، ويستفاد منها أنّ من أعطاه الله علما والعلم أجل النعم ان يعمل به ، وإلاّ فإنّه يكون عليه نكالا ووبالا في الدنيا والآخرة ، والعياذ بالله، والله تعالى أعلا وأعلم .

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾«[1]» ولم يعقب يعني لم يرجع قال محمد : قال:« هاهنا كأنّها جان » والجان الصغير من الحيات وقال في موضع آخر «فإذا هي ثعبان مبين » والثعبان الكبير من الحيات ، قيل فالمعنى والله أعلم أنّ خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركاتها كالجان ، وهذا من عظيم القدرة ....» أقول إنّ ما قام به الإمام ابن أبي زمنين ــ رحمه الله ــ هو مأخذ عزيز ومسلك أصيل من أصول التفسير حيث قام بالجمع بين مايتوهم أنّه مختلف فيه ، وانّ ظاهره التعارض ، حتّى يدفع الشبهة عن القرآن الكريم ، ثمّ أشار إلى المقصد من هذا النوع من التكرار القصصي وأسلوب القرآن في سوقه لنا بأنّ المراد منه بيان القدرة .فقصة موسى في القرآن تحمل أهدافا وأبعاد كبيرة وتنطوي على أغراض ومقاصد عظيمة ، و المتدبر لها يستخلص منها درر وفوائد من هذه الأغراض ، والتي من بينها تأييد الله لأنبيائه و أتباعهم ، وبيان قدرته سبحانه وتعالى في نصرة أوليائه .وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى :﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ

[1] ــ سورة النمل : الآية 10.

﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾«[1]» « وأيوب إذ نادى ربه أي المرض ....وجعل ذلك عزاء للعابدين» أقول : الذي ألحظه أنّه رحمه الله لم ينسق وراء الروايات التي وردت في قضية ابتلاء نبي الله أيوب عليه السلام وما ذكر الناس فيه من غرائب وأوابد عجيبة من ذلك أنّه ابتلي سبع سنين وأشهرا وألقي مزابل بني إسرائيل ، وأنّه أصيب بالجذام ، حتى كانت تأكل الدواب من لحمه وتفتت جسده وتساقط لحمه ، إلى غير ذلك من الروايات العجيبة ، والذي ينبغي الاقتصار عليه ما ورد في صحيح سنته صلى الله عليه وسلم من حديث عن قصة أيوب عليه السلام ، والإعراض عمّا سوى ذلك ، وأمّا قوله :« بأنّه ألقي عليه فراش من الذهب فجعل يلتقطه» فقد ورد في ذلك حديث عن أنس رضي الله عنه يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم من أنّ أيوب عليه السلام كان له أندران أنذر للقمح وأندر للشعير ، فبعث الله سحابتين ، فلمّا كانت إحداهما على أنذر القمح أفرغت فيه الذهب حتّى فاض ، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتّى فاض » وهذا الحديث وإن استبعد بعض الحفاظ صحة رفعه إلى النبي صلى اله عليه وسلم، والقول بأنّه موقوف «[2]» ، فإنّ جماعة من المحقيقين تجزم بصحة رفعه وتصححه كالحاكم والذهبي ، والألباني رحمهم الله ، ومن الذي نلمسه من قول الإمام ابن أبي زمنين أنّ ما أصاب أيوب عليه السلام لم يكون من هوانه على الله ، وإنّما أراد الله تكريمه وجعله عزاء للعابدين ،أنّ فيه نوع من الإشارة إلى الحكمة التي سيقت من أجلها القصة ، وهذا هو الأصل في قصص

[1] ـ سورة الأنبياء : الآيتان 83 ـ 84.

[2] ـ انظر: قصص الأنبياء : ابن كثير ، ص 232.

القرآن، فالله لما قص القصة أراد بها بيان صبر الأنبياء وما تعرضوا له من البلاء لتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليته عمّا يتعرض له من مشركي قريش ، وكذلك الدرس موجه إلى الصحابة ، وإلى المسلمين عامة من بعدهم .

المطلب الرابع: النقد التفصيلي لنماذج الإمام البغوي

فأمّا قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾»«[1]» وقوله : «فاختار موسى النقباء وسار موسى ببني إسرائيل ... فذلك قول الله تعالى ...» القصة

إنّ الناظر في رواية كهذه يستشف بطلانها ويتبين وضعها وأنّها من دسائس أهل الكتاب واختلاق زنادقتهم الذين أرادوا الحط على أنبياء الله والازدراء بهم وأتباعهم ، وما ذكره الإمام البغوي رحمه الله في هذه الرواية نقله عن الإمام الطبري ــ رحمه الله ــ والكلام موجود في تفسيره«[2]» ، لكنّ الذي لا يليق بإمام كالبغوي ــ رحمه الله ــ وهو من أهل الحديث وحزبه أن يوردها ويضمنها كتابه دون أن يتعقبها بنقد ، لذلك نقم جماعة من الحفاظ على أهل العلم بالتفسير والحديث أن يوردوا مثل هذه الروايات في كتبهم ولا ينبهون عليها ، وممّن نبه على وضعها وأنّها مختلقة ومصنوعة الإمام ابن قتيبة ــ رحمه الله ــ حيث قال :«

---

[1] ــ سورة المائدة : الآية 12

[2] ــ انظر : : جامع البيان في تأويل القرآن ، ج 5 ، ص 237.

... ونحن نقول إنّ هذا حديث لم يأت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته ، وإنّما هو خبر من الأخبار القديمة التي يرويها أهل الكتاب سمعه قوم منهم على قديم الأيام فتحدّثوا به ، والحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة :

منها الزنادقة واجتيالهم للإسلام ، وتهجينه بدس الأحاديث المستشنعة ، والمستحيلة كالأحاديث التي قدّمنا ذكرها من عرق الخيل ، وعيادة الملائكة وقفص الذهب على جمل أورق وزغب الصدر ، ونور الذراعين ، مع أشياء كثيرة ليست تخفى على أهل الحديث منهم بن أبي العوجاء الزنديق وصالح ابن عبد القدوس

والوجه الثاني القصاص على قديم الأيام ، فإنّهم يميلون وجوه العوام إليهم ، ويستديرون ما عندهم ، بالمناكير ، والغريب والأكاذيب من الحديث ومن شأن العوام ، القعود عند القصاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن فطر العقول ، أو كان رقيقا يحزن القلوب ، ويستغزر العيون ، فإذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك ..... ، وأمّا الوجه الثالث : الذي يقع فيه فساد الحديث فأخبار متقادمة كان الناس في الجاهلية يروونها تشبه أحاديث الخرافة .... وحديث عوج ابن عنق عندنا من هذه الأحاديث والعجب أنّ عوجا هذا كان في زمان موسى عليه السلام عندهم ، وله هذا الطول العجيب وفرعون في زمنه وهو ضده في هذا القصر على ما ذكره الحسن»«[1]» وممّن انبرى لبيان نكران مثل هذه المرويات بأصول علمية صحيحة ورائعة وأبان تعارضها مع نصوص السنة الصحيحة الإمام ابن القيم ــ رحمه الله ــ حيث قال : أن يكون الحديث ممّا تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الطويل الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء ، فإنّهم يجترون على هذه الأخبار ، فإنّ في هذا الحديث أنّ طوله كان ثلاثة ألف ذراع وثلاث مئة وثلاثة وثلثين وثلثا ، وأنّ نوحا لما خوّفه الغرق قال له احملني في قصعتك هذه وأنّ الطوفان لم

[1] ـ تأويل مختلف الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دط ، بيروت ، دار الجيل ، 1411 هـ 1991 م ، ص 278 ـ 286.

يصل إلى كعبه ، وأنّه خاض البحر فوصل إلى حجزته ، وأنّه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه في عين الشمس ، وأنّه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى وأراد أن يرميهم بها فقورها الله في عنقه مثل الطوفان ولا عجب من جرأة مثل هذا الكذّاب ، إنّما العجب ممّن يدخل هذا الحديث في كتب العلم من التفسير وغيره ولا يبين أمره ، وهذا عندهم ليس من ذرية نوح ، وقد قال : تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ، فأخبر أنّ كل من بقي على وجه الأرض فهو من ذرية نوح ، فلو كان لعوج هذا وجود لم يبق بعد نوح ، و أيضا فإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال :« خلق الله آدم وطوله في السماء ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص حتّى الآن »«[1]»، وإذا كانت الشمس في السماء الرابعة فبيننا وبين هذه المسافة العظيمة فكيف يصل إليها من طوله ثلاثة آلاف ذراع من يشوي في عينها الحوت ، ولا ريب أنّ هذا وأمثاله من وضع زنادقة أهل كتاب الذين قصدوا السخرية والاستهزاء بالرسل وأ تباعهم »«[2]»

إنّ هذه القصة قد حوت أهدافا وأغراضا سامية سيقت من أجلها فكان جديرا أن يشار إليها وحرّيا أن ينبه عليها ، بدلا من سوق مثل هذه الروايات المنكرة ، فالله عزّ وجل ضرب هذه القصة تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ممّا يجدونه من عدواة اليهود ، فأخبرهم أنّ لا يحزنوا لما تعرضوا له وما يصيبهم من قبلهم فهذا هو حال أسلافهم في نقد العهود وإيذاء أنبياء الله وأتباعهم فيهود المدينة ليسوا بدعا عمّن قبلهم من آبائهم ، كماأنّ القصة دعت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى طاعة نبيه ونصره وتأييده ، وأن لا ييأسوا من النصر والتمكين ، وفي هذا كله درس للدعاة والمصلحين بأنّ من سلك طرق الأنبياء فهو معرض للأذى .

[1] ـ رواه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم ، رقم ، 3362 ، ج 2 ، ص 812.

[2] ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ط 1 ، تحقيق عبد الفتّاح أبو غدة ، سوريا ـ حلب ـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، 1390 هـ ـ 1970 م ، ص 77 ـ 78.

وأمّا قوله: في تفسير قوله تعالى ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾« [1] »

« ... طولا وقوةقال :السدي **والكلبي** كانت قامة الطويل منهم ستون ذراع....وكذلك مناخيرهم» القصة، فالقول فيها كالقول في نظيرتها السابقة ، وأنّ ما ذكر فيها ، فيه نوع من المزايدات والمنكرات ، وذلك أنّ الله عزّ وجل عندما قص علينا خبرهم وما أولاهم به من نعم كالقوة ، والبسطة في الأجسام ليس معناه ما يذكره أمثال هؤلاء من الغرائب ، فإنّهم وإن أوتوا مقدار ما وصفهم الله به ، فإنّهم لا يخرجون عن المألوف الذي افتطر الله الناس عليه يقول الدكتور أبو شهبة « وليس معنى قوتهم ، وعظم خلقهم ، وشدة بطشهم أ نّهم خارجون عن المألوف في الفطرة ، فمن ثمّ لا نكاد نصدق ما روي في عظم أجسامهم ، وخروج طولهم عن المألوف المعروف حتّى في هذه الأزمنة » «[2]». ويضاف إلى ذلك هو الافتقار إلى وجود نص صحيح عن الصادق المصدوق حتّى نصدق مثل هذه الأخبار الغريبة .وأمّا تفسيره لقصة قوله تعالى « واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » فقد أفضت فيها القول عند الكلام على النماذج التي أوردتها للإمام ابن أبي زمنين ـ رحمه الله ـ وبيّنت ما فيها ، والإمام البغوي نقل نفس الروايات التي يتداولها المفسرون في خصوص هذه القصة لذا لم أتعرض لها هنا .

المبحث الخامس: النقد التفصيلي لنماذج للإمام ابن كثير

[1] ـ سورة الأعراف : الآية 69.

[2] ـ انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص 285.

قولـــه في تفســـير قولـــه تعـــالى ﴿ وَإِذْ قَـالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾«[1]» يقـــول تعـــالى: واذكـــروا يـــا بـــني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة ....إلاّ ما وافق الحق عندنا» القصة

قـد سـبقت الإشـارة في الكـلام علـى هـذه الآيـة في معـرض ذكـر النمـاذج الـتي أوردتهـا عـن الإمـام ابـن أبي حـاتم ، وفي كـلام الحـافظ ابـن كثـير بعـد إيـراده لـبعض الروايـات عـن ابـن أبي حـاتم نستشـف براعـة المحـدث الناقـد ، إذ لم يمـر عليهـا مـرور الكـرام دون أن ينبهـا إليهـا ويشـير إلى مـا فيهـا مـن صـحة وسـقم ، علـى خـلاف بعـض المفسـرين الـذين يريـدون هـذه المرويـات ولا يتعقبونهـا ، فبـيّن لنـا ابـن كثـير أنّ هـذه الأخبـار المـذكورة في سـبب نـزول هـذه الآيـة أنّـه مـن مرويـات بـني إسـرائيل ، ولم يكتفـي بـذلك فحسـب ، بـل بـيّن نوعهـا وأنّهـا ممّـا يجـوز نقلهـا ، لكنّهـا لا تصـدق ولا تكـذب فـلا يجـوز الاحتجـاج إلاّ بمـا صـحّ عنـدنا ، وهـذا كـلام في منتهـى الدقـة يفيـد القـارئ والمطـالع لتفسـيره ويسـهل عليـه هنـاء البحـث عـن مثـل هـذه الأخبـار ويوقفـه علـى كيفيـة التعامـل معهـا وهـذا هـو المـنهج الـدقيق الـذي ينبغـي أن ينـتهج في التعامل مع قصص القرآن الكريم .

وأمّا قوله :« وهذا البعض أي شيء كان من أعضاء البقرة ....أو بعجب ذنبها»

أقـول إنّ في كلامـه هـذا ، ثمّ سـوقه للمرويـات الـتي تتحـدّث عـن أي شـيء ضـرب بـه القتيـل ليـدل دلالـة واضـحة علـى تعمـق الحـافظ ابـن كثـير ودرايتـه التامـة بمثـل هـذه الأخبـار وكيفيـة التعامـل معهـا ، حيـث بـيّن أنّ المعجـزة الـتي أراهـا الله لبـني إسـرائيل مـن ضـربهم للقتيـل ليعـود حيـا حاصـلة ولا شـك ، لكـنّ تعـين الشـيء الـذي ضـرب بـه لـيس فيـه كبـير فائـدة تعـود علـى المسـلمين في ديـنهم أو دنيـاهم ، فمـا أبهمـه الله يجـب الإيمـان بـه والتصـديق لـه دون البحـث عـن كيفيتـه وتفاصـيله ، ولا يعـاب علـى الحـافظ ابـن كثـير بعـدها فيمـا سـاقه مـن مرويـات في

[1] ــ سورة البقرة : الآية 67.

ذكر الشيء الذي ضرب به القتيل ، فإنّ نقل الخلاف بين العلماء في ذلك جائز ، ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في صدد هذا النوع من الإسرائيليات« والثالث ما هو مسكوت عنهلا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه ، وتجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك ممّا لا فائدة تعود فيه لأمر ديني، ولهذا يختلف علماء الكتاب في هذا كثيرا ، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ، ولون كلبهم وعدّتهم ، وعصا موسى من أي الشجر كانت ، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه السلام ، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التي كلّم الله منها موسى إلى غير ذلك ممّا أبهمه الله في القرآن ممّا لا فائدة تعود في ذكره على المكلفين في دنياهم ولا دينهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز ...»«[1]» والملاحظ أنّ الحافظ ابن كثير نقل نص شيخ الإسلام لابن تيمية دون عزوه إليه ، وصفوة القول أنّ ما يستخلص من هذه القصة والغرض الذي سيقت له هو بيان معجزة الله وقدرته وتأييده لأنبيائه بمعجزات ، كما يستبين منها المرء ضرورة الامتثال لأوامر الله والانصياع لها على الفور ، وتجنب التعنت وكثرة السؤال والتشديد على النفس حتّى لا يكلفها الله ما لا طاقة لها به والله أعلم .

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾«[2]»روي عن ابن عباس أنّهم كانوا أربعة آلاف ...على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة » القصة

[1] ـ انظر: مجموع الفتاوى ، ط 1، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم النجدي ، السعودية ، مطابع الرياض ، 1381هـ ، ج 13 ، ص 366 ـ 368.

[2] ـ سورة البقرة : الآية 243.

أقول إنّ هذه القصة قد اشتهرت عند كثير من المفسرين أنّها نزلت في شأن نبي الله حزقيل ، ولم يرد في كتاب الله ولا سنة نبي صلى الله عليه وسلم شيء في تعيين اسم هذا النبي ، وإنّما هي أخبار متلقاة من أهل الكتاب كما ذكر ذلك غير واحد من المفسرين والإخباريين ونقل ابن كثير في تفسيره أو في البداية والنهاية«[1]» أو في قصص الأنبياء يدل على أنّها مروية عن أهل الكتاب حيث أسند فيها رواية إلى وهب بن منبه ، وقال الإمام القاسمي ـ رحمه الله ـ «ـ إنّ الله أوحى الله إليه أن يخرج إلى فلاة واسعة قد ملئت عظاما يابسة من موتى بني إسرائيل و أن يناديها باسمه تعالى ، فجعلت تتقارب كلما كسيت لحما ، ثمّ نادى أرواحها فعادت إلى أجسامها واستووا أحياء على أقدامهم بأمره تعالى ، وهم جيش كثير جدا ، وأوحى إلى حزقيل أنّهم سيعودون إلى وطنهم بعد أن أجلوا عنه ، وهذه القصة مبسوطة في توراتهم في الفصل السابع والثلاثين من نبوة حزقيل ...»«[2]» فهذا يؤكد أنّها مأخوذة عن أهل الكتاب وهي من القبيل الذي يروى ولكن لا يصدق ولا يكذّب فالقصة واقعة وثابتة ، وأمّا تعيين النبي فهو الذي يتوقف فيه ،وأمّا قوله :روي عن ابن عباس أنّهم كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف ...»، فأقول إنّ الله تعالى قد ذكر أنّهم ألوف لكن لم يحدد ولم يذكره وأبهمه كعادة كثير من القصص القرآنية، وكما يقال : أنّه لا فائدة تعود في ذكره لا دينا ولا دنيا كما أنّ ذكر الخلاف في العدد دون ترجيح نوع معين غير صحيح والله أعلم فالاقتصار على ما ذكره الله تعالى أفضل وفي صدد هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ « ... فهذا أحسن ما يكون في الخلاف : أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام ، وأن ينبه على الصحيح منها ، ويبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته ، لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته ، فيشتغل به عن الأهم ، فأمّا من حكي خلافا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص ، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه ، أو يحكي الخلاف ويطلقه ، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا ، فإن صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمّد الكذب ، أو جاهلا فقد أخطأ ،كذلك من نصب الخلاف

[1] ـ انظر: البداية والنهاية : ج 1 ، ص 3 ـ 4.

[2] ـ انظر: تفسير القاسمي ،(محاسن التأويل)، ج 3 ، ص 297.

فيما لا فائدة تحته ، أوحكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيّع الزمان وتكثّر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب .»«[1]»

وقوله :وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة ، ولهذا قال :« إنّ الله لذو فضل على الناس» أي فيما يريهم» من الآيات الباهرة ، والحجج القاطعة ، والدلالات الدامغة ، «ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون» أي لا يقومون بشكر ما أنعم الله به عليهم في دينهم ودنياهم ، وفي هذه القصة عبرة ودليل ، على أنّه لن يغني حذر من قدر ، وأنّه لا ملجأ من الله إلاّ إليه ، فإنّ هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلبا لطول الحياة ، فعوملوا بنقيض قصدهم ، وجاءهم الموت سريعا في آن واحد ...»«[2]»

فكلامه هذا يعد من مآثره ومناقبه فقد أبان ما اشتملت عليه القصة من دروس وعبر وما حوته من فوائد وغرر ، حيث بيّن أنّ فيها إثباتا للبعث الذي كان المشركون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ينكرونه ، وهذا غرض من أغراض القصة القرآنية التي سيقت من أجلها ، كما أفادته كثر من قصة ، مثل قصة عزير ، وقصة نبي الله إبراهيم في سورة البقرة وغيرها من السور ، وفيها أيضا دليل على ضرورة التسليم بقضاء الله وقدره ، وأنّ المرء مهما فعل ، فإنّ ما قدّره الله له أو عليه لن يخطئه واللّه أعلم .

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى :﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾«[3]»« إنّ علامة ملوك طالوت أن يرد الله عليكم التابوت..... أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح » والكلام على هذه الآية نظير الكلام

[1] ـ انظر : مجموع الفتاوى ، ج 13 ، ص 368.
[2] ـ انظر : تفسير ابن كثير ، ج 1 ، ص 530.
[3] ـ سورة البقرة : الآية 248.

على الآية ذكرناها من قبل فإنّ هذه الأخبار الواردة في شأن السكينة وبيان حقيقتها محتملة للصدق والكذب وهي من أخبار مسلمة الكتاب ، ولم يرد فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في ذلك يعتمد عليه وتفسر عليه الآية ، ولو وجد لكفانا كلّ هذه الأقوال يقول الدكتور محمد أبو شهبة « والحق أنّه ليس في القرآن ما يدل على شيء من ذلك ، ولا فيما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنّما هذه أخبار من بني إسرائيل التي نقلها إلينا مسلمة الكتاب ، وحملها عنهم بعض الصحابة والتابعين ومرجعها إلى وهب بن منبه ، وكعب الأحبار وأمثالهما »«[1]»، والذي ينبغي أن يفسر به معنى السكينة والله أعلم هو الشيء الذي تسكن النفس إليه وتطمئنّ له حملا لها على معناها اللغوي المعهود ، والذي ورد به القرآن ، كقوله تعالى :« هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين »«[2]» ، وقوله تعالى :« فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين »«[3]» لذا قال الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ« والصحيح أنّ التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء و آثارهم،فكانت النفوس تسكن إليه وتأنس به وتقوى ، فالمعهود أنّ الله ينصر الحق والأمور الفاضلة عنده ، والسكينة على هذا فعيلة مأخوذة من السكون ، كما يقال عزم عزيمة وقطع قطيعة »«[4]» . وأمّا كلامه في تفسير قصة النقباء من بني إسرائيل فقد تكلمنا عليها عند الحديث عن النماذج التي أوردتها للإمام البغوي ـ رحمه الله ـ غير أنّ الإمام ابن كثير يختلف عن الإمام البغوي في طريقة تعامله معها، فقد بيّن رحمه الله بطلانها وزيفها وتعارضها مع صحيح القرآن والسنة ، وأنّها من وضع الزنادقة ،وهذا من المزايا الرّائعة التي يتميز بها تفسيره .

---

[1] ـانظر : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص 171.

[2] ـ سورة الفتح : الآية 4.

[3] ـ سورة الفتح : الآية 26.

[4] ـ انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج 1 ، ص 333.

المطلب السادس :النقد التفصيلي لنماذجالإمام الخازن

فأمّـــا قولـــه في تفســـير قولـــه تعـــالى :﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾« [1] » فقـد أفضـت فيهـا القـول في معـرض الكـلام عـن النمـاذج الـتي أوردتهـا للإمـام ابـن أبي حـاتم ــ رحمـه الله ــ وبيّنـت مـا فيهـا ،والملاحـظ علـى الإمـام الخـازن رحمـه الله أنّهـا جـرى علـى مـا هو مألوف من مرويات هذه القصة دون التحقيق والتمحيص فيها .

وأمّـا قولـه : في تفسير قولـه تعـالى :﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾«[2]»

فالقول فيها أنّه قد اشتهر عن كثير من المفسرين نقل الخلاف في هذه المسألة ،لكنّهم مختلفون في نقلهم فمنهم من يذكر الخلاف وأقوال العلماء في القصة ولا يبين الراجح فيها كما هو حال الخازن هنا ، ومنهم من يشير إلى الخلاف ويتعقبه بالترجيح كابن كثير مثلا ، والخلاف فيها متأصل ومتجدر في القدم بين الصحابة والتابعين في تعيين الذبيح ، وقد انبرى للكلام عنه وترجيح أنّ المراد بالذبيح إسماعيل عليه السلام ـ وهو الذي شك فيه ــ جماعة من العلماء ، حتّى أفرد فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ مصنفا فيها ، وقد أفادا منه ابن القيم وابن كثير جدا في ترجيح أنّ الذبيح إسماعيل عليه السلام ، لكنّ مصنفه هذا فقد ، ولم يصل إلينا ، وبقي بعض كلام شيخ الإسلام في ثنايا بعض مصنفاته حيث يقول :والذبيح على القول الصحيح ابنه الكبر إسماعيل كما دلّت على ذلك سورة الصافات ، وغير ذلك فإنّه قد كان سأل ربّه أن يهب له من الصالحين ، فبشره بالغلام الحليم إسماعيل ، فلمّا بلغ معه السعي أمره الله أن يذبحه ، لئلا يبقى في قلبه محبة مخلوق تزاحم محبة الخالق ، إذ كان قد طلبه وهو بكره ، وكذلك في التوراة يقول اذبح ابنك وحيدك وفي ترجمة أخرى بكرك ، ولكن ألحق المبدّلون لفظ إسحاق ، وهو باطل ، فإنّ إسحاق هو الثاني من أولاده باتفاق المسلمين

[1] ــ سورة يس : الآية 13.

[2] ــسورة : الصافات : الآية 102.

وأهل الكتاب ، فليس هو وحيده ولا بكره ، وإنّما وحيده وبكره إسماعيل ، ولهذا لما ذكر الله قصة الذبيح في القرآن قال بعد هذا «وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين »«[1]» وقال في الآية الأخرى« فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب »«[2]» فكيف يبشره بولد ، ثمّ يأمره بذبحه ، والبشارة بإسحاق وقعت لسارة ، وكانت قد غارت من هاجر لما ولدت إسماعيل وأمر الله إبراهيم أن يذهب بإسماعيل وأمه إلى مكة ، ثمّ لما جاء الضيف وهم الملائكة لإبراهيم بشروها بإسحاق ، فكيف يأمره بذبح إسحاق مع بقاء إسماعيل ؟ وهي لم تصبر على وجود إسماعيل وحده ، بل غارت أن يكون له ابن من غيرها ، فكيف تصبر على ذبح ابنها وبقاء ابن ضرتها ؟ وكيف يأمر الله إبراهيم بذبح ابنه وأمّه مبشرة به وبابن ابنه يعقوب ، وأيضا فالذبح إنّما كان بمكة ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم قرني الكبش في البيت فقال للحاجب : «إنّي رأيت قرني الكبش في الكعبة فخمّرهما ، فإنّه لا ينبغي أن يكون في الكعبة شيء يلهي المصلي»«[3]» وإبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا الكعبة بنّص القرآن ، وإسحاق كان في الشام ، والمقصود بالأمر بالذبح أن لا يبقى في قلبه محبة لغير الله تعالى ، وهذا إن كان له ابن واحد ، فإذا صار له ابنان فالمقصود لا يحصل بذبحهما إلاّ جميعا ، وكل من قال إنّه إسحاق فإنّما أخذه عن اليهود أهل التحريف والتبديل كما أخبر الله تعالى عنهم وقد بسطنا هذه المسألة في مصنف مفرد »«[4]»

وممّن تعرض لهذه المسألة وأبان أنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ حيث قال :«ولا خلاف بينهم أنّ عدنان من ولد إسماعيل ، وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأمّا القول بإنّ إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول :هذا القول إنّما هو متلقى من

---

[1] ـ سورة الصافات : الآيات 112

[2] ـ سورة هود : الآية 71.

[3] ـ رواه أبو دواد : كتاب المناسك ، باب في دخول الكعبة ، ج 2 ، ص 289 ، عن عثمان بن طلحة .

[4] ـ انظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ط 1 ، تحقيق محمد رشاد سالم ، السعودية ،1406 هـ ، 1986م ، ج 5 ، ص 353 ـ 354 ـ 355

أهل الكتاب مع أنّه باطل بنص كتابهم ، فإنّ فيه إنّ الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفي لفظ وحيده ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أنّ إسماعيل هو بكر أولاده ، والذي غرّ أصحاب هذا القول أنّ في التوراة التي بأيديهم اذبح ابنك إسحاق قال : وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم ، لأنّها تناقض ، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف وأحبّوا أن يكون لهم وأن يسوقوه إليهم ويجتازوه لأنفسهم دون العرب ، ويأبى الله إلاّ أن يجعل الفضل إلاّ لأهله ....»«[1]»

والذي كان واجب التنبيه إليه والإشارة عليه ما تضمنته قصة الذبيح هذه ، فقد قصّها الله علينا لما فيها من دروس ومواعظ وعبر ينبغي للمسلم أن يعيها ، فإنّ فيها درسا علّمه الله إيّانا وهو سرعة إنقياذ أنبياء الله ورسله لأوامره وامتثاله بالذل والخضوع ومنتهى العبودية التامة والتسليم المطلق ، ونحن مأمورون بالإتساء والاقتداء بهديهم ، فإنّ الواحد إذا أعطي ابنا على الكبر والعتي في السن ، ثمّ يأمره ربّه بذبحه ويمتثل أمره دون تردد لشيء عظيم ، وفيه دلالة على إيثار الله على كل ما يحب المرء ويهوى حتّى يتحقق له الحب الكامل لله ، وفيها تأييد لما قرّره الله وذكره في القرآن كم من مرّة وهو ينبهنا ويحذّرنا من أن تلهينا أولادنا وأهلونا عن ذكر الله وتنسينا المولى جلّ وعلا و، هذا مراد الله من إبراهيم في هذه القصة ، فالله قد اتخذه خليلا ، ولما آتاه الولد أراد أن يختبر محبته له سبحانه تعالى ، فلمّا علم صدق محبته فداه بذبح عظيم ، وأقرّ عينه بابنه والله أعلم .

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾«[2]» وفي الآية امتحان دواد عليه الصلاة والسلام واختلف العلماء بأخبار الأنبياء في ذلك وسأذكر ما قاله المفسرون ، ثمّ أتبعه بفصل أذكر فيه نزاهة دواد عليه السلام....فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء» القصة .

[1] ـ انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط 1 ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1431 هـ 2010م ، ج 1، ص 71 ـ 72.

[2] ـ سورة: ص الآية 21.

أقول : قد أبان الإمام الخازن رحمه الله موقفه من هذه الرواية في البداية وأعقبها بإثبات نزاهة نبي الله دواد عليه السلام ممّا ألحق به من كذب وافتراء ، وهذا الذي ينبغي أن يعمل به في مثل هذه الأخبار التي تخدش من مقام النبوة ، وتحط من أنبياء الله ورسله ، والمطالع لمثل هذه الرواية ليندهش لمثل هذه الموضوعات ، أفيعقل أن يقع نبي من أنبياء الله اصطفاه لحمل رسالته وتبليغها أن يقع في حب امرأة تضطره إلى أن يأمر جنده بقتل زوجها ، حتى يتسمى له الزواج بها ، إنّ قولا كهذا تأباه مروءة الرجال أن يقدم عليه فكيف بأنبياء الله ، وقد أشرنا إلى عصمتهم عن مثل هذه الأمور من قبل ،وقد فنّد هذه الحكاية جمهور العلماء و محققيهم حيث يقول القاضي عياض ـ رحمه الله ـ«وأمّا قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا ، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك ، ولا ورد في ذلك حديث صحيح ، والذي نصّ عليه « وظنّ دواد أنّما فتناه »«[1]» إلى قوله: «وحسن مآب»«[2]» وقوله فيه أوابفمعنى فتنّاه اختبرناه ، قال قتادة :مطيع وهذا التفسير أولى ،قال ابن عباس وابن مسعود ما زاد داود أن قال للرجل انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ، ونبهه عليه ، وأنكر عليه شغله بالدنيا ، وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره ، وقيل خطبها على خطبته ، وحكى السمرقندي أنّ ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه بقول خصمه ، وقيل بل لما خشي على نفسه وظنّ من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا ، ولي نفي ما أضيف في الأخبار لدواد ذهب أحمد بن نصر ، وأبو تمّام وغيرهما من المحققين ، قال الدوادي ليس في قصة دواد و أوريا خبر يثبت ، ولا يظن بنبي محبته قتل مسلم ، وقيل إنّ الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نتاج غنم على ظاهر الآية »«[3]»، وهذا الذي أجنح إليه وأرى أن تفسر به الآية ، ولأنّ سياق القرآن يدل عليه ففتنته عليه السلام في الحكم بين الخصمين ، وتوبته من ذلك ، وكل ما سطر، وقيل في حق المرأة أوريا وزوجها ينبغي أن لا يلتفت إليه أصلا ، وممّن أشار إلى كذب ماقيل في حق سيدنا دواد عليه

[1] ـ سورة: ص، الآية 24

[2] ـ سورة: ص الآية 25.

[3] ـ انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصفى ، ج 2 ، ص163 ـ 164.

السلام الحافظ ابن كثير حيث قال : وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هاهنا قصصا وأخبارا أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة ...»«[1] » وأمّا ما روي في شأن توبته وبكائه على ذنبه فإنّه لم يرد في ذلك شيْ عن المعصوم صلى الله عليه ولم حتّى نقطع بصحتّه ، وإنّما يكفينا ما ذكره الله من توبته واستغفاره فحسب ، والخازن رحمه الله في آخر ما أورده من القصة نزّه سيدنا داود عمّا نسب إليه وأبان أنّ هذا لا يليق بمقام النبوة فأجاد في ذلك ، وسلم ممّا قد يوجه إليه من ذكره لمثل هذه المرويات ، ثمّ لم يبين ما فيها .

وصفوة القول أنّ في قصة نبي الله داود مع الخصمين درسا ساقه الله للقضاة والحكام ومن نصب لفصل المنازعات أن يحكموا بشرع الله ، ويعدلوا بينهم ، ويصغوا للمتخاصمين على السواء ، وأن لا يميلوا لواحد على آخر فيضلوا سواء السبيل ، وهذا ما جاءت نصوص السنة وأقوال الصحابة تؤكده في أدب القضاء وما ينبغي أن يتحلى به القاضي من أخلاق وآداب كأن لا يقضي بين خصمين وهو غضبان ، وأن يسوي بين خصومه في الكلام معهم والضحك أو التعنيف عليهم وغير ذلك ، حتّى لا يوغر صدور أحد المتخاصمين فيتهمه بالحيف والجور ، والله أعلم .

المطلب السابع: النقد التفصيلي لنماذج الإمام الثعالبي

فأمّا قوله في تفسير قوله تعالى :﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ »«[2] » « واتبعوا يعني اليهود ... فنفى الله ذلك » القصة ، فالقول فيها كالآتي :

لقد أكثر المفسرون الكلام في هذه الآية وسوّدوا في ذلك صفحات كلّها مفتقرة إلى سند صحيح يمكن الوقوف عنده وحمل الآية عليه ، وما ذكره الإمام الثعالبي هو المشهور عند المفسرين والمعروف في كتب التفسير كتفسير الطبري ، وابن كثير رحمهما الله ـ ورواية الثعالبي لها يشعر بعدم الجزم بما ورد

[1] ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 409.

[2] ـ سورة البقرة : الآية 102.

فيها لروايته لها بصيغة التمريض ، وقوله : أنّ الذي تلته الشياطين أنّهم كانوا يلقون إلى الكهنة الكلمة من الحق مع مائة من الباطل فكان ذلك علمهم فجمعه سليمان ودفنه تحت كرسيه ، فلمّا مات أخرجته الشياطين وقالوا هذا علم سليمان ، وأنّ اليهود أخبروا بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم يذكر سليمان في الأنبياء فتعجبوا من ذلك وقالوا : كيف يذكره مع النبيين وما كان إلاّ ساحرا ، فهذه الأقوال كلّها ذكرها الإمام ابن كثير ونقل بعضها عن الطبري ، وبعد سوقه لها قال :« فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام ، ولا يخفى ملخص القصة ، والجمع بين أطرافها ، وأنّه لا تعارض بين السياقات على اللبيب الفهم ، والله الهادي »«[1]».

وأمّا قوله « وقيل ما نافية رد على قوله «وكفر سليمان » وذلك أنّ اليهود قالوا إنّما أنزل الله على جبريل وميكائيل بالسحر فنفى الله ذلك » فهذا قول سديد وينبغى أن تحمل عليه الآية حتّى تنزّه ملائكة الرحمان ممّا نسب إليهما من النزول بالسحر وتعلمه ، وأكدّ هذا الحافظ ابن كثير فيما نقله عن الإمام القرطبي حيث قال : اختلف الناس في هذا المقام ، فذهب بعضهم إلى «أنّ» ما نافية أعني التي في قوله «وما أنزل على الملكين » قال القرطبي ما نافية ومعطوف على قوله : «وما كفر سليمان » ثمّ قال : ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين » وذلك أنّ اليهود كانوا يزعمون أنّه نزل به جبريل وميكائيل ، فأكذبهم الله وجعل قوله : هاروت وماروت بدلا من الشياطين ، قال : وصحّ ذلك إمّا لأنّ الجمع يطلق على الاثنين كما في قوله تعالى : «فإن كان له إخوة» أو لكونهما لهما أتباع أو ذكرا من بينهم لتمردهما تقدير الكلام عنده يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ، ثم قال : وهذا أولى ما حملت عليه الآية وأصح ولا يلتفت إلى ما سواه ...«[2]» وقد أبان القاضي عياض ـ رحمه الله بطلان هذه الأراجيف المنسوبة إلى الملائكة وتنزيه جبريل وميكائيل مما نسب إليهما فقال :فممّا احتّج به من لم يوجب عصمتهم قصة هاروت وماروت ، وما ذكر فيها أهل الأخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما

[1] ـ انظر: تفسير : ابن كثير ج 1 ، ص 238.

[2] ـ انظر: تفسير ابن كثير ،ج 1 ، ص 239.

وابتلائهما ، فاعلم أكرمك الله أنّ هذه الأخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس هو شيئا يؤخذ بقياس ، والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه ، وأنكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الأخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله أول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم إيّاه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الإشكالات إن شاء الله فاختلف أولا في هاروت وماروت هل هما ملكان ؟وهل هما المراد بالملكين أم لا ؟ وهل القراءة ملكين أو ملكين ، وهل ما في قوله وما أنزل وما يعلمان من أحد نافية أو موجبة ، فأكثر المفسرين أنّ الله تعالى امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر ، وتبنيه ، وأنّ عمله كفر ، فمن تعلمه كفر ، ومن تركه آمن قال الله تعالى إنّما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم إنذار أي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا ، فإنّه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فإنّه سحر فلا تكفروا فعلى هذا فعل المكلفين طاعة وتصرفهما فيما أمرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة ، وروى ابن وهب عن خالد بن أبي عمران أنّه ذكر عنده هاروت وماروت وأنّهما يعلمان السحر فقال نحن ننزّههما عن هذا فقرأ بعضهم وما أنزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزّههما عن تعليم السحر الذي قد ذكره غيره أنّهما مأذون لهما في تعليمه بشرط أن يبيّنا أنّه كفر وأنّه امتحان من الله وابتلاء ، فكيف لا ينزّههما عن كبار المعاصي والكفر المذكورة في تلك الأخبار ، وقول خالد لم ينزل يريد أنّ ما نافية وهو قول ابن عباس ، قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته الشياطين واتبعهم في ذلك اليهود وما أنزل على الملكين ، قال مكي هما جبريل وميكائيل ادّعى عليهما اليهود المجيئ به كما ادّعوا على سليمان فأكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببال هاروت وماروت : قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن : هاروت وماروت علجان من أهل بابل ، وقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللاّم وتكون ما إيجابا على هذا ، وكذا قراءة عبد الرحمن بن أبزى بكسر اللام ، ولكنّه قال كانا ملكين

من بني إسرائيل فمسخهما الله ، حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فمحمل الآية على تقدير أبي محمد حسن ينزّه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا ....«[1]»

وقوله : وما يذكر في قصتهما مع الزهرة فكله ضعيف ...» القصة ، فإنّه يشير بذلك إلى حكاية غريبة ألصقت بالقصص القرآني ، وقصد بها واضعوها من اليهود والزنادقة الطعن في ملائكة الرحمان ، وملخصها أنّهم يذكرون فيها : أنّ بعض الملائكة في السماء قد أنكرت على بني آدم وقوعهم في المعاصي وأنكروا عليهم ذلك ، فجعلوا يدعون الله عليهم ، فحذّرهم الله من ذلك وأخبرهم بأنّهم لو كانوا مكانهم لفعلوا مثله أو أكثر، فتعظموا من ذلك ، وقالوا لا يقع منّا شيء ممّا وقع فيه بنوا آدم ، فطلب الله منهم أن يختاروا منهما اثنيين ينزلهما إلى الأرض ، فاختاروا هاروت وماروت ، وركب الله فيهما الشهوة ، فمكثوا سنين في الأرض ، حتّى جاءتهم امرأة حسناء يقال لها زهرة فروادتهما فأجابها لكنّها اشترطت عليهم أن يعبدوا الأصنام ، فأبو ذلك ، ثمّ مالوا إليها وطلبوا منها أن تمكنهما من نفسها ، فخيرتهم بين عبادة الأصنام ، أو شرب الخمر ، فاختاروا شرب الخمر وقالوا هذا أهون فلمّا سكرا وقعا عليها ، فلمّا أفاقا ندما على ذلك ، وعلموا قبح ما صنعوا ، فخيّرهم الله بين عذاب والآخرة ، فاختاروا عذاب الدنيا ، فعلّقهما الله بأسوار بابل في العراق فهما يعذبان إلى قيام الساعة ، وروي أنّ المرأة الحسناء قد مسخت إلى كوكب ، وهو المسمى بكوكب الزّهراء إلى غير ما ذكر فيها ...

فالناظر في مثل هذه الرواية يدرك أنّه لا يستسغيها العقل فضلا عن أن ينكرها شرع ، والعامي يستهجنها ، فضلا عن العالم والمتبحر في الشريعة ، لما فيها من الكذب البيّن والاختلاق المصنوع الظاهر عليه أمارته ، ولذا حكم حفاظ الحديث بوضعها ، وقرّر بعضهم أنّ من اعتقد في هاروت وماروت أنّهما ملكان يعذبان على خطيئتهما بأنّه كافر ،والعياذ بالله ، وكذلك ما ورد فيها من أحاديث مرفوعة فقد حكم كم من واحد بأنّ ذلك منكر لا يصح ، وماليس مرفوع ، فقد ساق فيه

[1] ـ انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، ج 2، ص 176 ـ 177.

ابن كثير رحمة الله جملة من الأحاديث وقال بأنّها منكرة ، وأنّها من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار ، ولم يصح فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ،

فتصديق شيء كهذا يفتح باب الطعن في ملائكة الله ، ويبطل ما وصفه الله به من أنّهم لا يعصونه أبدا ويفعلون أوامره كما يحب هو ويرضى ، وقد حكينا فيما نقلنا عن القاضي عياض رحمه الله ـ إجماع العلماء على عصمة الملائكة ، وأنّهم منزّهون عمّا ابتلي به البشر من الوقوع في المعاصي والمخالفات .

إنّ حكمة الله في قصة هذه القصة هو الدفاع عن نبي الله سليمان عليه السلام وتنزهيه ممّا نسب إليه ظلما وبهتانا من اليهود أعداء أنبياء الله ، وبيان أنّ النبيين كلهم من عند الله والأول مصدق للآخر ومكمل لرسالته ، فقصّ الله على نبيه قصة سليمان ليستبين له ضرورة الدفاع عن نبي الله سليمان ، وإبطال ما يقول اليهود في شأنه ، فالغرض العام من هذه القصة الدفاع عن نبي الله سليمان عليه السلام ، وفي ذلك يقول فضل حسن عباس :« ولقد ردّ القرآن عن هذين النبيين الملكين كل ما أثير حولهما ممّا لا يليق بعباد الله وأنبيائه ، فالسحر الذي نسب لسليمان عليه السلام ردّه القرآن ردا عنيفا ويحكم على الذين أثاروا هذه الشبهات بالكفر ، فلم يكن ساحرا ، ولم ينزل عليه ولا على أبيه سحر ...»»«[1]»

ولقد أجاد الإمام الثعالبي ــ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية وحملها على الوجه الصحيح وأشار إلى كذب ما نسب في حق سليمان عليه السلام ، وما ألصق بالملائكة ، فهذا هو المسلك الذي ينبغي أن ينتهج في التعامل مع مثل هذه الخرافات والمنكرات .

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾«[2]»«وروي في قصة داود وقتله

[1] ــ انظر: قصص القرآن الكريم ، ط 3 ، الأردن ، دار النفائس ، 1430 هـ . 2010م ، ص 670.

[2] ــ سورة البقرة : الآية 250

جالوت أنّ أصحاب طالوت كان فيهم إخوة .... أنّ طالوت تخلى له عن الملك ، وصار هو الملك » فأقول إنّ ما أورده الإمام الثعالبي في شأن هذه القصة أغلبه إسرائيليات ومفتقر إلى دليل صحيح من السنة تحمل عليه الآية وتفسر به ، وقبيل هذه الإسرائيليات التي ذكرها الثعالبي من النوع الذي يجوز روايته ، ولكن لا تصدق ولا تكذب ، وإن كان في بعضها مزايدات لاينبغي التعويل عليها يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ ... ذكروا في الإسرائيليات أنّه قتله بمقلاع كان في يده رماه به ، فأصابه فقتله ، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجّه ابنته ، ويشاطره نعمته ، ويشركه في أمره فوفى له ، ثمّ آل الملك إلى داود عليه السلام ...» «[1]». إلاّ أنّ الإمام الثعالبي رحمه الله في آخر القصة قد أشار إلى أنّه روي في شأن هذه الآية روايات كثيرة ، لكنّها لينة واوهية الإسناد ، فلذلك أحجم وأعرض عنها واكتفى كما قال هو بما تنفك به الآية ، وهذا أسلوب جيد ، ينبغي إعماله في تفسير آيات القصص القرآني ، لكنّ الشيء الذي يستدرك عليه وعلى بعض المفسرين هو إغفال العبرة والعظة المستخلصة من القصة.

إنّ ذكر المولى جلّ وعلا لقصة كهذه في القرآن لم يكن عبثا أو حكاية لهذه الوقائع فحسب ، بل قصها لما فيها من دروس وعبر ينبغي على المسلمين استنباطها والعمل بها ، فهذه القصة ، قد أشارت وعرضت لبيان حال أمة من الأمم في ذلك الزمان ، وكيف ضرب عليها الذل والصغار ، فأرادت أن تنفض عنها هذا الهوان فسألت لها أن يرسل إليهم من يخرجهم ممّا هم فيه ، فلمّا أجابهم المولى واختار لهم من يصلح وهو العالم، بذلك اعترضوا ، واستحوذت عليهم أنانيتهم ، فتعجبوا من أن يتولى أمرهم من هو دونهم ، لكنّ الله هو الذي أراد فيجب طاعته ، فتمضي هذه الأمة مع هذا الملك ، لمواجهة الأعداء ، إذ به يجد أنّ في جماعته مثبطين وسلبيين ، (وهذا الذي لاتسلم منه جماعة في أي زمان ومكان ، فالقصة تحذرنا من أمثال هؤلاء) فما كان من قائدهم إلاّ أنّه أراد اختبارهم ليستبين صادقهم من كاذبهم ، فثبتت معه الفئة المؤمنة ، وأيّدها بنصره ، ثمّ ختمت القصة بإشارة إلى سنة من سنة الله في هذا الوجود ،وهي من أغراض القصص القرآني ـ ألا ـ وهي سنة

[1] ـ انظر: تفسير ابن كثير ، ج 1 ، ص 346.

التدافع ، إذ لولا دفع الله أهل الحق بأهل الباطل ، لطغى المتجبرون في الأرض وعتو فيها فساد ، فكان من سنة الله أن يسلط أهل الحق على أهل الباطل لتستقيم الحياة يقول الشيخ الطاهور بن عاشور : «دلّت هذه الآية العظيمة ، كل الوقائع العجيبة ، التي أشارت بها الآيات السالفة ، لتدفع عن السامع المتبصر ما يخامره من تطلب الحكمة في حدثان هذه الوقائع وأمثالها في العالم ، ولكون مضمون هذه الآية عبرة من عبر الأكوان ونظم العمران التي لم يهتد إليها أحد قبل نزول هذه الآية ، وقبل إدراك ما في مطاويها ....»«[1]»

المطلب الثامن:النقد التفصيلي لنماذج الإمام القاسمي

فأمّا تفسيره لقوله تعالى :«﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾«[2]»

فقد أفضت الكلام على هذه الآيات وما ورد فيها من أخبار عند ذكر النماذج التي أوردتها للإمام ابن أبي زمنين ـ رحمه الله ـ، وبيّنت أنّه لا يوجد دليل صحيح يعين صاحب هذه القصة ، فلذا لا يمكن الجزم بواحد بعينه ، ولكنّ الذي استوقفني من كلام الإمام القاسمي ـ رحمه الله ـ هو تضعيفه لقول من قال إنّ المقصود به بلعم بن باعوراء ، واستدلاله على ذلك بأنّه عثر على ما يكذب ذلك من سفر العدد من كتاب التوراة ، فهذا الكلام منه غير صحيح ، فإنّه لاينبغي أن يتخذ ممّا نقل في أسفار التوراة أصلا لردّبعض الأقوال التفسيرية أو الإسرائيليات الواردة عن الصحابة ، والإدّعاء بأنّ مخالفة ما رواه الصحابة من الإسرائيليات لما هو موجود في هذه الأسفار دليل على بطلان الرواية أو

[1] ـ انظر: التحرير والتنوير ، ج 2 ، ص 500.

[2] ـ سورة الأعراف : الآية 175 ـ 177.

القول التفسيري ، فالتوراة التي بين أيدينا لا يمكن التحاكم إليها والوثوق بها فإنّه اعتراها التبديل والتحريف ، وأدخل فيه الكذب والاختلاق ، ولم تحفظ كما حفظ القرآن الكريم ، لذا فلا يعتمد على ما ورد فيها ، وإنّ هذا المسلك من الإمام القاسمي يظهر تأثره بالشيخ رشيد رضا صاحب المنار فهو الذي ينتهج هذا النهج كثيرا ، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله عند الكلام على منهج المفسرين بالرأي في تناول القصص القرآني .

وأمّا تفسيره لقوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَنَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾«[1]» وقوله : روى كثير من المفسرين هاهنا أقاصيص لم تصح سندا ولا خبرا ، وماهذا سبيله لا يسوغ نقله ولا روايته ، ثمّ نقله عن ابن كثير نصا في ذلك

فأقول : إنّه يشير بذلك إلى ما سطره بعض الإخباريين من أنّها لما كشفت ساقيها كان بها شعر ، فاستقبحه سليمان عليه السلام ، فقالوا تزيله المواسي ، فلم يرقه ذلك ، فوضعت له الشياطين النورة ، وبذلك يكون هو أول من وضع النورة ، وهذا لا شك أنّه من الإسرائيليات وأنّه مفتقر إلى ما يدل عليه من السنة ، وما ساقه عن ابن كثير في مثل هذه المرويات ، وما ذكره هو من قبل في الإعراض عن مثل هذه الأخبار صائب وصحيح وينبغي إعماله والسير عليه في تناول آيات القصص ، حتّى لا يذهب جماله بهذه الترهات التي تملأ الكتب ولا طائل ولا فائدة ترتجى منها .

[1] ـ سورة النمل : الآيات 40 ـ 44.

لكنّ الإمام القاسمي يعود وينقل نصوصا من التوراة تحدّثنا عن قصة سليمان ، وكما ذكرنا من قبل فإنّه متأثر في ذلك بالإمام محمد رشيد رضا إلى أبعد الحدود، وما ذكره فإنّه يروى ، ولكن لا يصدق ولا يكذب إذا لم يتعارض مع صحيح القرآن أو السنة ويستأنس به إذ لم يخدش في مكانة الأنبياء ويشكك في عصمتهم ، لكنّ على أن يجعل أصلا ترد به الأقوال الأخرى في التفسير فهذا غير صحيح ،ثمّ أشار ـ رحمه الله ـ بعد نقله لهذا النص من التوراة إلى طريقة القرآن في إيراد هذا القصص ، وأنّه لا يسوقه لمجرد ذكر الحوادث ، فلذا لا يعرض للتفاصيل بالتوسع والاستطراد كما هو شأن القصص الأدبية ، وإنّما ليدلل على أنّه مصدق للكتب من قبله ، وأنّ هذه القصص الغرض منها والمقصد المرجو منها هو أخذ العبرة والدرس ، وهذا الذي نؤكده دائما وننوه عليه ، وننصح بالتركيز عليه ، لكن لا يعني هذا إنكار الواقعية والصدق عن قصص القرآن كما يذهب إليه بعض أصحاب المذاهب المنحرفة من المشاغبين والمشككين في مصداقية القصص القرآني ، ثمّ ذكر القاسمي رحمه الله بعض ما استنبطه أهل العلم من قصة نبي الله سليمان مع ملكة سبأ وذكر أمورا هي من باب الإجتهاد والاستنباط السائغ والجائز ولا حرج في ذكرها والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾«[1]» وقوله : قال الزّمخشري وذلك أنّ السورة وردت في تثبيت المؤمنين ... بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قتل أصحاب الأخدود ، فصنيعه هذا جيد حيث استهلها بما يبيّن حكمة الله في إيرادها وأنّها جاءت تسلية وتثبيتا لقلوب المؤمنين المستضعفين في مكة ممّا كانوا يتعرضون له من صنوف الأذى وأنواع الظلم بغية فتنتهم ، فالآية جاءت لتذكرهم بأخبار أسلافهم من الموحدين الذين أوذوا في دينهم فصبروا على ذلك ، فكذلك أنتم أيّها المؤمنون بالله ورسوله اصبروا على ما تلقونه حتّى يجعل الله لكم مخرجا .

[1] ـ سورة البروج : الآيات 4 ـ 9 .

وأمّا قوله : روى ابن جرير عن ابن عباس في أصحاب الأخدود أنّهم ناس من بني سرائيل خدّودا أخدود...وتسمى هذه القصة عند النصارى شهادة الحبر آرثا ورفقته ويؤرخونها بعام خمسمائة وأربع وعشرين من التاريخ المسيحي ،وقد علمت أنّ في كلام مجاهد ومن قبله إشارة إليها والله أعلم » فأقول : إنّه كان يكفي الإمام القاسمي رحمه الله الوقوف عند ما رواه الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ في شأن قصة أصحاب الأخدود «[1]» وحمل الآية عليه ، حيث ذكر الإمام مسلم قصة الصبي مع الراهب والساحر ، وذكر قصة الغلام مع أمه ، وكيفية قتل الملك للرّاهب والغلام وقتل من آمن بدينهما وخدّ الأخاديد لهم إلى آخر ما ذكره الإمام مسلم ، لكن لم يرد تعيين في شأن هؤلاء أهم من النصارى أو اليهود، غير أنّ الحافظ ابن حجر ذكر في في الفتح عن الفريابي أنّ الشق الذي كانوا يعذبون فيه هو بنجران «[2]» فيمكن إن صح هذا الخبر أن يكون قوم من النصارى هم المعنيون بها والله أعلم ، لكن الإمام القاسمي رحمه الله دائما يذهب إلى ما ورد في كتبهم ليدلل به على صدق رأيه في أنّ المعني بها هم قوم من النصارى وهذا لا يمكن تصديقه ولا الجزم به وإنّما يذكر استئناسا فحسب ، لأنآ ذكرنا فيما قبل أنّ التبديل والتغيير قد اعترى كتابهم وحرّف لذلك لا يمكن الجزم بصحة ما ورد فيه والله أعلم .

[1] ــ انظر: صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود ، ج 8 ، ص 229 ـ 230 ، عن صهيب رضي الله عنه .

[2] ــ انظر: ج 8 ، ص 698.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الباب الرابع :

القصص القرآني عند المفسرين بالرأي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول :

تعريف التفسير بالرأي

وشروطه وضوابطه

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سبقت الإشارة في الباب الثاني أنّ التفسير إمّا أن يقوم على قاعدة الرواية والأثر وهذا ما يعرف بالتفسير المأثور ،أوأن يقوم على أساس الاجتهاد والتفكر والنظر وهو ما يعرف بالتفسير بالرأي، وبعد فصل القول في بيان التفسير بالمأثور وذكر مزاياه وأهمّ خصائصه، وضرب نماذج من تفسير أصحاب الأثر للقصص القرآني، نسعى في الباب الرابع لبيان مفهوم التفسير بالرأي وموقف العلماء منه وذكر أقسامه، مع إعطاء تصور واضح لكيفية معالجة أصحاب الرأي للقصص القرآني ومنهجهم فيه.

المبحث الأول: مفهوم التفسير بالرأي :

المطلب الأول :مفهوم الرأي:

الرأي يطلق ويرادبه عدة معان في لغة العرب منها الاعتقاد قال الزّبيدي:« الرأي الاعتقاد : اسم لا مصدر كما في المحكم، وقال الراغب: هواعتقادالنفس أحد النقيضين عن غلبة الظن، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ﴾ »[1464]

[1464] – سورة آل عمران: الآية 13.

أي :يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم، وجمعه آراء لم يكتب على غير ذلك وآراء مقلوب«[1514]»قال الزبيدى في تاج العروس : «وارتأينا في الأمر وتراءيناه أي «نظرناه« وقال الجوهري : ارتاءه ارتئاءً: افتعل من الرأي والتدبير» «[1515]»وقال ابن الأثير: «هو افتعل من رؤية القلب أومن الرأي: بمعنى ارتأى فكّر وتأتى و أنشد الأزهري :

ألاأيهاالمرتئى في الأمور سيجلوا العمر عنك تبيانها«[1516]»

والرأي: الاعتقاد: اسم لا مصدر كما في المحكم وقال الراغب :« هو اعتقاد النفس أحد النقيضين عن غلبة الظن، وعلى هذا قوله تعالى: « يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِم رَأْيَ العَيْنِ » أي :يظنونهم بحسب مقتضى مشاهدة العين مثليهم جمع (آراء) لم يكسر على غير ذلك وآراء مقلوب»«[1517]» ،وقد يطلق ويراد به الاجتهاد، أوالقياس ومن ذلك إطلاق أهل الحديث لفظة أصحاب الرأي على

[1514] تاج العروس من جواهر القاموس: م ط، تحقيقي عبد الستار أحمد فرّاج، الكويت، وزارة الإرشاد والأنبياء، 1965م، ج38، ص 109

[1515] المصدر نفسه: ج 38، ص 109

[1516] ـ انظر: تهذيب اللغة ، (حرف الراء) ـ كلمة رأى ، ج 11 ، ص 226.

[1517] ـ انظر: المفردات في غريب القرآن ،أبو القاسم الحسين بن محمد (الرّاغب الأصبهاني) ، ط 1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1418 هـ ـ 1998م ، ص 190.

أهل القياس قال الزبيدي: «وأصحاب الرأي عند أهل الحديث هم أصحاب القياس، لأنّهميقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثا أوأثرا أوفيما شكل عليهم قاله ابن الأثير»«[1518]»

والمراد به في علم التفسير الاجتهاد، وبذلك يكون معنى التفسير بالرأي: «هو تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب و مناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها،واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر ....»«[1519]»

والتفسير بالرأي عند المشتغلين بعلوم القرآن وأصول التفسير ينقسم إلى رأي محمود ومذموم، وهذا التقسيم ناجم عن اختلافهم وتباين آرائهم في جواز تفسير القرآن بالرأي، لأنّهم ألفوأنفسهم أمام جملة من الآثار الواردة عن سلف الأمة، بين مبيح للتفسير بالاجتهاد لمن استكمل أدوات الاجتهاد واستجمع شروط المفسر، وبين مانع من القول فيه ومشدد من تعاطيه، وكل منهم مستند إلى حجج يقوي بها رأيه ومذهبه ووجه الجمع بينهما هوالتفرقة بين ما كان محمودا وما كان مذموما.

[1518] ـ انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ج 38، ص 113

[1519] – انظر :التفسير و المفسرون: الذهبي، ج1، ص 183

الفرع الأول: التفسير بالرأي المحمود

الرأي المحمود « هو الرأي الذي يستند إلى علم يقي صاحبه من الخطأ»«[1520]»، أو«هو التفسير الموافق لما جاء في الكتاب والسنة بحيث يكون جاريا على كلام العرب وموافقا لأقوالهم فيبذل المفسر جهده ووسعه في إدراك المعاني في القرآن الكريم، وفهم أسراره بشرط تضلعه في علوم اللغةوقواعد الشريعة أصولا وفروعا»«[1521]»

كما يمكن تعريفه بأنّه التفسير الجاري على موافقه كلام العرب ومناحيهم في القول، مع موافقة الكتابوالسنة، ومراعاة سائر شروط التفسير...»«[1522]»

والأدلة على جواز هذا النوع من التفسير متواترة والحجج على إمكانية تعاطيه متضافرة نورد منها بعضها:

- في الحقيقة استنبطت أدلة الجواز من جملة من النصوص القرآنية والآثار المروية عنخير البريّة صلى الله عليه وسلم وبعض الأقوال المأثورة عن الصحابة.

[1520] – انظر : مقالات في علوم القرآن و التفسير: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، ط1، السعودية، دار المحدث، 1415 هـ، ص 217

[1521] – انظر: رسالة الإمام علم الدين السخاوي ومنهجه في التفسير: ثابت عبد الرحيم ص 159.

[1522] – انظر: التفسير و المفسرون: محمد حسين الذهبي، ج1، ص 188.

أ) القرآن الكريم:

جاء في سور القرآن آيات كثيرة تحث عموم المسلمين فضلا عن خواصهم إلى تدبر القرآن الكريم، إذ الحكمة من إنزاله تدبر معانيه من ذلك ما ورد في قوله تعالى :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾«[1523]» ،وقوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾«[1524]» ، والدعوة إلى التدبرتستدعيإعمال الفكر وتستلزم إطالة النظر بغية الوصول إلى المعنى المراد وإدراك الفهم الصحيح، وتنزّل القرآن يستلزم ضرورة تفهمه وإلاّ كان نزوله ضربا من العبث وحاشا أن يكون، إذ هو كلام الله – المعجز –، ففي هاتين الآيتين لفت لأسماع المخاطبين، وتنبيه لجماعة المؤمنين على ضرورة تدبر معاني هذا الكتابوفهم آياته .

ب)من السنة : استدلّ على جواز تفسير القرآن بالرأي المحمود من السنة بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في دعائه لسيدنا بن عباس رضي الله عنه بقوله : «اللهم فقهّه في الدين و علمه التأويل»«[1525]» فلو كان التأويل مقصورا على السماع والنقل كالتنزيل لما كان هناك فائدة لتخصيص سيدنا ابن عباس بهذا الدعاء فدلّ ذلك على أن التأويل الذي دعا رسول الله صلى الله

[1523] – سورة ص : الآية 29.

[1524] – سورة محمد: الآية 24.

[1525] – رواه الإمام الترمذي : أبواب المناقب، مناقب عبد الله عباس رقم 3912، ج5، ص 344عن عبد الله بن عباس .

عليه وسلم به لابن عباس أمر آخر وراء النقل والسماع، ذلك هو التفسير بالرأي والاجتهاد، و هذا بيّن لا إشكال فيه«[1526]».

ج)- أقوال الصحابة وأفعالهم

حرص الصحابة على تفهم معاني القرآن وتدبر آيالتنزيل، وقد حفظت عنهم آثار تبيّن اهتمامهم بتدبر القرآن منها : قول أبي بكر رضي الله عنه لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾«[1527]» قال – رضي الله عنه – : «أقول فيها برأي، فإن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمنّي ومن الشيطان»«[1528]»، بالإضافة إلى اجتهاداتهم في تفسيرها في الآيات وإقراره صلى الله عليه وسلم لآرائهم في تدبر آي التنزيل، وتصويبه صلى الله عليه وسلم لها في مواطن أخرى ومن أمثلة ذلك:

- قصة عمرو بن العاص رضي الله عنه لما احتلم في غزوة ذات السلاسل وكانت الليلة شديدة البرد فخشي على نفسه إذا اغتسل الهلاك فتيمّ وصلى بالقوم صلاة الصبح وهو جنب، و بعد قدومه للمدينة أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فأنكر عليه في بداية الأمر، ولما أبان له عمرو رضي الله عنه وجه تيمّمه وهو خوفه على نفسه من الهلاك و تأولّه لقوله تعالى : «ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما» فضحك صلى الله عليه وسلم وأقرّه

[1526] – انظر: التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج1، ص 188.
[1527] – سورة النساء الآية 176.
[1528] – انظر : التحرير والتنوير ، ج 1 ، ص 30.

على عمله«[1529]» ففي هذه الحادثة يظهر اجتهاد عمر وبن العاصـ رضي الله عنه ـ في تأويل هذه الآية.

كذلك في تفسير قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾«[1530]»فقد أثر عن سيدنا بن مسعود – رضي الله عنه – أنّه قال:وأيّنا لم يظلم نفسه؟ فقال صلى الله عليه وسلم :« ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»«[1531]»

أضف إلى ذلك كله ما نقل عنهم من الاختلاف في فهم معاني القرآن الكريم، وهذا الاختلاف فيه دليل على إعمالهم للرأي في استنباط وجوه التنزيل ومن أمثلة ذلك:

تباين أقوالهم في تفسير حقيقة القرء في قوله تعالى: «والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء»«[1532]» فقد وردت عنهم عدة أقوال في بيان المقصود من هذا اللفظ، فمنهم من ذهب إلى أنّ المراد به الحيض وقال به سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وأبو موسى الأشعري ،وابن عباس– رضي الله عنهم أجمعين –.

[1529] – انظر : سنن أبي دواد : أبوداد سليمان بن الأشعث السجستاني ، د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر ، د ت ، كتاب الطهارة ، باب إذا خاف الجنب البرد يتيمم ، رقم 334، ج 1 ، ص 92، عن عمرو بن العاص .

[1530] – سورة الأنعام: الآية 82

[1531] – أخرجه البخاري: كتاب التفسير: سورة الأنعام، باب قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ،رقم 4692، ص1139.

[1532] – سورة البقرة: الآية 228.

وذهب جماعة من الصحابة منهم سيدنا أبو بكر – رضي الله عنهم – وعائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها– ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمر إلى أنّ المراد به الطهر فهذه الأقوال تنبأ عن بروز نواة الاجتهاد وإعمال الرأي مبكرا في عهد الصحابة رضوان الله عليهم.

وحتّى يتسنّى للمفسر الخوض في هذا النوع من التفسير بالرأي – المحمود – اشترط جماعة من العلماء أن تتوافر فيه جملة من العلوم يكون ملمّا ومحيطا بها حتّى يعصم نفسه من الخروج عن دائرة الرأي المحمود، فالراغب الأصفهاني اشترط على المفسر إحاطته بعشرة علوم متى ألمّ بها جاز له تفسير القرآن بالرأي وهي : علم اللغة، والاشتقاق، والنحو، والقراءات، والاشتقاق، والسير، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام وعلم الموهبة»«[1533]».

وجاء الإمام شمس الدين الأصفهاني في القرن الثامن هجري فأضاف إليها خمسة علوم فكان المجموع خمسة عشر علما، وهو ما استقر عليه المتأخرون ممن جاء بعدهم في ذكر هذه الشروط.

ولكلّ علم من هذه العلوم أثر بالغ في العصمة من الوقوع في الخطأ ومجانبة الصواب، لهذا ذكر العلماء أهميتها بما أثر عنهم من نقولات يشيدون فيها ببيان فائدتها: وفيما يلي بيانها:

[1533] – انظر: مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة ، أبو القاسم الرّاغب الأصبهاني ، ط 1 ، تحقيق حسن فرحات ، الكويت ، دار الدعوة ، 1405 هـ ـ 1984م ، ص 93 – 97.

الأول: علم اللغة قال مجاهد:« لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب»«[1534]».

الثاني: علم النحو إذ به يتم الوصول إلى أغراض ومقاصد النص القرآني، ويرفع اللبس عن ألفاظه قال الإمام العكبري –رحمة الله عليه –«أفضل طريق بسلك في الوقوف على معناه ويتوصل به إلى بيان أغراضه ومغزاه معرفة إعرابه واشتقاق مقاصد مقاصده من أنحاء خطابه والنظر في وجوه القراءات المنقولة عن الأئمة الاثبات» «[1535]».

الثالث: علم الصرف: إذ به يتم الوقوف على مصادر الكلمة وأبنيتها وأوزانها فحريّ على المفسر أن يعتني به ويلمّ به قال الإمام الزرّكشي ـ رحمه الله عليه ـ :« وفائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهمّ من معرفة النحو في تعريف اللغة، لأنّ التصريف نظر في ذات الكلمة والنحو نظرا في عوارضها وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر...»«[1536]»

الرابع : الاشتقاق:

الخامس والسادس والسابع علوم البلاغة (المعاني و البيان و البديع): إذ به تتجلى فصاحة القرآن وبه يظهر إعجاز نظمه، وبلاغة ألفاظه قال: ابن خلدون: «وأحوج ما يكون إلى هذا الفن

[1534] – انظر: تفسير مجاهد ، أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي ، دط ، تحقيق عبد الرحمان الطاهر بن محمد السورتي ، إسلام باد ، الهند ، مجمع البحوث الإسلامية ، دت ، ص 27.

[1535] – إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن:د ط، مراجعة و تعليق نجيب الحامدي، بيروت، المكتبة العصرية، 1428هـ/ 2001، ص 7

[1536] – البرهان في علوم القرآن : ج1، ص297

المفسرون»«[1537]». وقال الإمام الزركشي – رحمة الله عليه – :« واعلم أنّ معرفة هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة المفسر، المطلع على عجائب الكلام، وهي قاعدة الفصاحة واوسطة عقد علم البلاغة»«[1538]».

الثامن علم القراءات:

علم القراءات وطيد الصلة: بعلم التفسير فهو يعطي المفسر دعما في الترجيح بين الآراء التفسيرية وإزالة بعض الإشكالات العالقة على بعض الآيات وتوجيهها توجيها صحيحا، كما أنّ الوقوف على أوجه القراءات ومذاهب القرّاء يكسب المفسر استنباط عدة معاني من الآية الواحدة قال الشيخ عبد العظيم الزرّقاني – رحمه الله – «إنّ تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهي إلى كمال الإعجاز ...»«[1539]»

التاسع علم أصل الدين: «و هذا علم الكلام، وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى، وما يجوز وما يستحيل لأن ينظر في الآيات المتعلقة بالنبوات والمعاد، وما إلى ذلك نظرة صائبة، ولولا ذلك لوقع المفسر في ورطات»«[1540]».

[1537] – انظر: المقدمة ،عبد الرحمان بن خلدون ، دط، تحقيق أحمد حامد الطاهر ، القاهرة ، دار الفجر للتراث ، 1431هـ ـ 2010م ، ص 709.

[1538] – انظر: البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، ص 312.

[1539] – مناهل الفرقان في علوم القرآن: ج1،ص 149.

[1540] – انظر التفسير و المفسرون: محمد حسين الذهبي، ج1، ص 191.

العاشر : علم أصول الفقه: علم الأصول من الوسائل والآيات التي يستعين بها المفسر في معرفة مراده تعالى، وفهم معاني القرآن الكريم فهو مادة خام في تفسير النص القرآني قال ابن جزي – رحمة الله عليه–«وأمّا أصول الفقه فإنّها من أدوات تفسير القرآن على أنّ كثيرا من المفسرين لم يشتغلوا به، وإنّه لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال،و ما أحوج المفسر إلى معرفة النص، والظاهر، والمجمل، والمبين،والعام، والخاص، والمطلق والمقيد، وفحوى الخطاب، ودليل الخطاب، وشروط النسخ، ووجوه التعارض وأسباب الخلاف، وغير ذلك من علم الأصول»«[1541]».

الحادي عشر:أسباب النزول:

لا شك أنّإغفال سبب النزول في تفسير القرآن الكريم مورد للخطأ موقعا لزّلل قال شيخ الإسلام ابن تيمة – رحمه الله – :«معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب»«[1542]»

الثاني عشر : علم القصص

الثالث عشر: الناسخ و المنسوخ: قال الإمام الزكرشي – رحمه الله –«والعلم به عظيم الشأن ...»«[1543]» وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – :« لقاصّأتعرف الناسخ والمنسوخ قال : لا قال : هلكت وأهلكت»«[1544]».

[1541] – التسهيل لعلوم التنزيل: ج1، ص 15.
[1542] – مقدمة في أصول التفسير: ص 40.
[1543] – انظر: البرهان في علوم القرآن : ج1، ص 28

الرابع عشر: معرفة الآثار والأخبار :

الخامس عشر:علم الموهبة قال السيوطي – رحمه الله – : «ولعلّك تستشكل علم الموهبة وتقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان و ليس الأمر كما ظننت من الإشكال، و الطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل و الزهد»«[1545]».

والناظر في هذه الشروط يستشف أنّ فيها نوعا من التضييق، وذلك أنّه ينذر اجتماع هذه العلوم كلها في المفسرين ،لهذا نجد الإمام الراغب الأصفهاني يستدرك ما قرّره من قبل في بيانه لأنواع العلوم التي تجعل المفسر بإحاطته بها يخرج عن حيز الرأي المذموم: فقال:«من نقص عن بعض ما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن،وأحسّمن نفسه في ذلك بنقصه واستعان بأربابه، واقتبس منهم، واستضاء بأقوالهم لم يكن – إن شاء الله – من المفسرين برأيهم»«[1546]».

وذلك أنّه إذا أردنا تطبيق هذه المعايير العلمية بيان مدى اجتماعها في المفسرين لوجدنا أنفسنا مجبرين وفقا لهذه الشروط على إخراج عدد كبير من المفسرين وفي ذلك يقول الدكتور مساعد الطيار: « ولو طبّق هذا الرأي في العلوم المذكورة لخرج كثير من المفسرين

[1544] – أخرجه الخطيب البغدادي في كتاب الفقيه و المتفقه: ط4، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428هـ – ج1، ص 244

[1545] – انظر الإتقان في علوم القرآن: ج 2 ، ص 232.

[1546] – انظر: مقدمة جامع التفاسير، الراغب الأصفهاني، ص 96

من زمرة العالمين بالتفسير ...»«[1547]» ،والذي يتقرر هو أنّ هذه العلوم تتفاوت في المرتبة من ناحية الأهمية فبعضها أولى بالسبق والتحصيل والدراية بها عن بعضها الآخر فمن بين هذه العلوم الخمسة عشر التي تتعين حتمية التمكن والتضلع فيها ،وبحيث لو عدل عنها المفسر عرّض نفسه للخروج عن دائرة الرأي المحمود وهي كما يلي :

- معرفة السنة النبوية
- علم اللغة
- أصول الفقه
- أسباب النزول

الفرعالثاني :التفسيربالرأي المذموم

يمكن وضع حد للتفسير بالرّأي المذموم بأنه: التفسير الصادر عن الهوى والتعصب المذهبي، العاري عن الضوابط العلمية، والمخالف للأدلةالشرعية، بجريانه على خلاف قواعد اللغة العربية بغية تطويع النص القرآني وحمل معانيه على معتقد من المعتقدات الباطلة.

- صور الرأي المذموم (عند المفسرين)

[1547] –انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير ،مساعد الطيار، ص 220.

تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن الاختلاف الواقع في كتب التفسير من جهة الاستدلال،وأشار إلى وقوع هذه الاختلاف، ووجود بوادره كانت بعد طبقتي الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم –فقال:«و صورة الاختلاف واقعة من جهتين.

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني، ثمّأرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثانية : قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزّل عليه والمخاطب به.

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم وسياق الكلام »«[1548]»

وبعدها أشار إلى أقسام الخطأ التي وقع فيها هؤلاء المفسرون وأعطى نماذج على ذلك: فقال: « والأولون صنفان: تارة يسلبون لفظ القرآن ما دلّ عليه وأريد به، وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه ولم يرد به، وفي كلا الأمرين: قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا، فيكون خطأهم في الدليل والمدلول،وقد يكون حق فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول، فالذين أخطئوا في الدليل والمدلول مثل – طوائف من أهل البدع – اعتقدوا مذهبا يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلاله، كسلف الأمة وأئمتها وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم تارة يستدلون

[1548] – شرح مقدمة أصول التفسير لابنتيمية : مساعد الطيار، ط2، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428 هـ –ص 139 – 140.

بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه ومن هؤلاء فرق الخوارج، والروافض والجهمية، والمعتزلة، والقدرية، والمرجئة، وغيرهم »«[1549]

- و من صور التفسير المذمومة والباطلة تفاسير الصوفية التي تعتمد على الجوانب الإشارية فيتعمّدون –حملألفاظ القرآن على بعض نزعاتهم ونزاعتهم التي لا يدل اللفظ القرآني عليها من قريب ولا من بعيد من ذلك تفسير قوله تعالى:« ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم... »«[1550]» بأنّ المراد به مخالفة الهوى وقوله:«أواخرجوا من دياركم»أي:أخرجوا حب الدنيا من قلوبكم»«[1551]».و كذلك تفسير قول تعالى:« ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين»«[1552]» بأنّ المراد به ليس الأكل الحقيقي وإنّما أراد معنى مساكنة الهمة لشيء هو غيره»«[1553]».

ومن صور التفسير المذمومة تفاسير أصحاب البدع كالمعتزلة والشيعة والباطنية حيث يعمد هؤلاء لسلب المعنى الحقيقي للفظ القرآني وحمله على وجه بعيد لادلالة اللفظ القرآني عليه خصوصا إذا كان المعنى الحقيقي يعارض مذهبهم ويصادمها كتفسير الرافضة لقوله تعالى:« إنّ الله يأمركم أن تذبحوا

[1549] – المصدر نفسه ص، 121 – 141 .
[1550] – النساء : الآية 66.
[1551] – انظر: حقائق التفسير:(تفسير السلمي) ،أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي،ط 1 ، تحقيق سيد عمران ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1421هـ ـ 2001 م ، ص 154.
[1552] – سورة البقرة الآية 35.
[1553] – انظر : تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ، ط 1 ، تحقيق محمد باسل عيون السود ،بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1432 هـ ،ص 29.

بقرة »«[1554]» فقالوا: هي عائشة – نعوذ بالله من هذا الكذب والبهتان – وتفسير قوله تعالى :« وكل شيء أحصيناه في إمام مبين »«[1555]»أي :في علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –وتفسير المعتزلة قوله تعالى:« وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»«[1556]» بالنعمة على أنّ إلى واحد الآلاء، بمعنى النعم فيكون المعنى: ناظرة نعمة ربها، على التقديم والتأخير و ذلك كلّه لصرف الآية عما تدل عليه من رؤية الله تعالى«[1557]».

المبحث الثاني: نظرات في كتب التفسير بين الأثر و الرأي

- لا شك أنّ تصنيف كتب التفسير إلى تفاسير بالمأثور وتفاسير بالرأي، بناء على تقسيم التفسير إلى نوعين، (التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي) فيه نوع قصور إذ لم يسلم هذا التقسيم الفني من مؤاخذات واعتراضات عليه ووجه القصور كامن في إخراج جمّ غفير من المفسرين مندائرة الرأي المحمود، وحصرهم في الجانب الأثري فقط، كذلك الأمر لأصحاب الرأي المحمود أخرجوا من دائرة الأثر وأجحفوا لقلة اعتناءهم بالروايات والآثار التفسيرية لذلك تعيّن وضع ضابط يتحدد به وجه التفرقة بين المفسرين ، فالباحث في كتب التفسير والناظر في مناهج المفسرين وصنيعهم في

[1554] . سورة البقرة : الآية 67.
[1555] ـ سورة يسن: الآية 12.
[1556] – سورة القيامة الآية 22 – 23 .
[1557] – انظر: التفسير والمفسرون:الذهبي، ج1، ص 201

كتبهم يتضح له بجلاء مزج المفسرين بين الجانب الأثري والرأي المحمود ،وإن كان البعض منهم يغلب عليه جانب الرواية مع إعماله للرأي المحمود القائم على الاجتهاد، بينما يغلب على آخرين إعمال النظر وإقلالهم من ذكر الآثار و الروايات، على أنّ الصواب الذي ينبغي أن يسير عليه المشتغلون بعلوم القرآن وأصول التفسير هو أن يجعلوا ضابط التمييز بين مناهج المفسرين والتفريق بين المكثرين من الرواية عن السلف والذين جعلوا من الروايات والآثار عمدة لهم في التفسير وبين المقلين من ذكر الآثار والمرويات وفي ذلك يقول الدكتور مساعد الطيّار «... و الصوابأن يقال: إنّ المفسر الفلاني مكثر منالرواية عن السلف مكثر من الاعتماد على أقوالهم والآخر مقلّ من الرواية عنهم أوالاعتماد عليهم»«[1558]»

ولكي يزيد الاتضاح،أوالبيان في هذه النقطة نضرب مثلا ليتبيّن صحة ما قلناه بكتاب ابن جرير الطبري – رحمه الله – الذي يعدّه الكثير من المشتغلين بالدراسات القرآنية والمباحث التفسيرية على أنّه من التفسير المأثور المحض ولكنّالأمر خلاف ذلك، فالمتتبع لتفسيره والمطالع له يتبيّن له إعماله للرأي و التفسير القائم على الاجتهاد المستند إلى علوم الشريعة واللغة العربية، ففي تفسيره جانب كبير من إعمال الفكر و النظر، ونستشّف ذلك من خلال آرائه وأقواله الترجيحية في المباحث النحوية ،إذ يعدّ من أبرز المقرين للخلاف النحوي القائم بين البصريين والكوفيين، وترجيحه للقراءات القرآنية وتوجيهها والاعتناءبالتخريجات اللغوية، وإيراده للشواهد الشّعرية، كما يعدّ تفسيره مليئا بالمسائل البلاغية، كذلك الأمر بالنسبة للإمام ابن كثير،فتفسيره لا يخلو من بعض المباحث التي

[1558] – انظر: مقالات في علوم القرآن و التفسير: مساعد الطيّار، ص 288

أعمل فيها رأيه وفكره وإن كان جلّ اهتمامه منصبا على نقد الأسانيد والمتون بحكم تبحره في الصناعة الحديثة ،وخبرته بها،لذا إذا أراد الواحد منّا أن يطلق اسم التفسير بالمأثور على بعض الكتب فليحصر هذا الاسم على التفاسير التي اعتنى أصحابها بتجريدها وإخلاءها من كلّ معنى عدا الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة و التابعين – رضي الله عنهم – ومن تلك التفاسير تفسير الإمام عبد الرزاق الصنعاني،وتفسير الإمام سفيان الثوري، وتفسير الإمام الشّافعي وتفسير الإمام النسائي، وابن أبي حاتم، فقد عنى هؤلاء الأئمة رضوان الله عليهم بذكر الأقوال المسندة إلى الصحابة والتابعين رضي الله عنهم قال الإمام السيوطي رحمة الله عليه : « ... ثمّ بعد هذه الطبقة ألّفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير ابن عيينة، ووكيع بن الجراح ،وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق، وآدام بن أبي إياس، وإسحاق بن رهوايه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد ،وسعيد و أبي بكر بن أبي شيبة، وآخرون، وبعدهم ابن جرير، وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، ثمّ ابن أبي حاتم ،وابن ماجة والحاكم ،وابن مردويه ، وأبو الشيخبن جبّان، وابن المنذر في آخرين وكلّها مسندة إلى الصحابة والتابعين وليس فيها إلاّ ابن جرير فإنّه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجح بعضها على بعض والاستنباط فهو يفوقها بذلك»«[1559]».

كما سبقت الإشارة إلى أنّ التفاسير المنقولة عن الصحابة والتابعين فيه نوع من إعمال الرأي والاجتهاد ،وإذا ما استثنينا الآثار المرفوعة إليه صلى الله عليه وسلم وأسباب النزول،كما تجدر الإشارة إلى أنّ كتب التفسير المصنفة ضمن التفاسير المهتمة بالرأي وإقلالها من جانب الرواية لا يعني

[1559] – الإتقان في علوم القرآن : ج2، ص 500.

إخراجها من دائرة التفسير بالمأثور، فإذا ما استعرضنا بعض التفاسير كتفسير ابن عطية وابن جزي والإمام السّخاوي، والإمام الماوردي وجدناها مؤيدة بالتفاسير المنقولة عن النّبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ويجعلون هذه الأقوال من أهم القواعد الترجيحية عنده إذا تعارضت الأقوال في الآية الواحدة على أنّهم يعتمد ونعلى اللغة وأصول الفقه ومراعاة سياق الكلام في الترجيح والاختيار بين هذه الأقوال .

وللإمام أبي حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ كلام على هذا الموضوع – أي ما يتعلق بجانب التفسير بالأثر و الرأي قال: « ... فهذه الأمور تدلّ على أنّ في فهم معاني القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وأنّ المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الإدراك فيه »«[1560]».

وبعض كلامه عن الأحاديث والآثار التي جاءت في النهي عن القول في القرآن بغير علم قال :« ... فلا يخلو إمّا أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم ،أوالمراد به أمر آخر وباطل قطعا أن يكون المراد ألاّ يتكلم أحد في القرآن إلا بما يسمعه لوجوه:

أحدها:أنّه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا إليه وذلك ممّا لا يصادف إلاّ في بعض القرآن فأمّا ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغي أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي لأنّم لم يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم

[1560] – انظر: إحياء علوم الدين ، ط 1 ، د ت ، دمشق ، دار ابن قتيبة ، 1412 هـ ـ 1992م ، ج 1 ، ص 433.

ـ والثاني : أنّ الصحابة و المفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقي فتبيّن أنّ الكل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه ....» «[1561]»

[1561] – المصدر نفسه : ج1، ص 433.

الفصل الثاني :

المفسرون بالرأي المحمود ومنهجهم في معالجة القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: الإمام ابن عطية ومنهجه في تناول القصص القرآني

المطلب الأول التعريف بالمفسر وكتابه ومنهجه العام فيه

الفرع الأول : ترجمة صاحب التفسير :

هو الإمام العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، حدّث عن أبيه، وعن الحافظ أبي علي الغشاني، ومحمد بن الفرج مولى بن الطلاع، وأبي الحسين يحيي بن أبي زيد المقرئ ابن البياز ،وعدة، كان إماما في الفقه والتفسير، وفي العربية، وقوي المشاركة ذكيا فطنا مدركا من أوعية العلم، ولد سنة ثمانين و أربعمائة، حدّث عنه أولاده، وأبو القاسم بن حبيش الحافظ، وأبو محمد بن عبيد الله، وعبد المنعم بن الفرس وآخرون، توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمسمائة«[1562]».

الفرع الثاني :التعريف بتفسير ابن عطية ومنهجه العام فيه

يعد تفسير الإمام ابن عطية من التفاسير الأندلسية العريقة القديمة بعد تفسير ابن أبي زمنين ومكي بن أبي طالب ـ رحمهما الله ـ تعالى ويعد تفسيره ذا أثر كبير في التفاسير الأندلسية التي جاءت بعده كتفسير أبي حيان وابن جزي – رحمهما الله تعالى – فقد أكثرا عنه النقول وأفادا منه بكثرة

استطاع ابن عطية بما أوتى من باع علمي في اللغة والأدب والقراءات أن يضع تفسيرا بديعا، دقيقا أثنى عليه مفسرو المشرق والمغرب، وأذان بقيمته الموافق والمخالف.، وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته

[1562] ـ انظر: سير أعلام النبلاء: ج19 ص 587 – 588.

أنّه لخّصه من التفاسير كلها و،تحرّى ما هو أقرب إلى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى«[1563]»

وقال فيه ابن جزي الغرناطي « وأمّا ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنّه اطلع على تأليف من كان قبله فهذّبها ولخّصها ،وهو مع ذلك حسن العبارة مسدّد النظر، محافظ على السنّة»«[1564]»

وقد تحدّث الدكتور حسين الذهبي عن منهجه في تفسير فذكر أنّه يورد الآية ثمّ يقوم بتفسيرها بعبارة عذبة وسهلة، ثم يورد التفسير بالمأثور ويختار منه في غير إكثار، وينقل عن ابن جير الطبري كثيرا ويستشهد بالشعر العربي والشواهد الأدبية مع الاحتكام إلى اللغة العربية، والاعتناء بالصناعة النحوية»«[1565]» ، ولقد عقد الإمام أبو حيان – رحمه الله – مقارنة بينه و بين تفسير الزّمخشري ومما قاله:« وكتاب ابن عطية أنقل، وأجمع، وألخص، و كتاب الزمخشري ألخص، و أغوص»

«[1566]»

[1563] – انظر :مقدمة ابن خلدون: ص 530.
[1564] ـ انظر: التسهيل في علوم التنزيل ، ج 1 ، ص 18
[1565] ـ التفسير والمفسرون: ج1، ص 172.
[1566] – انظر: البحر المحيط : ج 1، ص 10.

وقد تكلّم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مقدمته في التفسير على تفسير الإمام ابن عطية – رحمه الله – فقال:« وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنّة والجماعة وأسلم في البدعة من تفسير الزّمخشري ،ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجه لكان أحسن وأجمل، فإنّه كثيرا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري –و هو من أجلّ التفاسير وأعظمها قدرا – ثمّ إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال ويذكر ما يزعم أنّه قول المحققين، وإنّما يعني بهم طائفة من أهل الكلام والذين قرّروا أصولهم بطرق من جنس ما قرّرت به المعتزلة أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كلّ ذي حق حقه، ويعرف أنّ هذا من جملة التفسير على المذهب «[787]».

المطلب الثاني : نماذج من تناول ابن عطية للقصص القرآني

1ـ قال الإمام ابن عطية –رحمه الله تعالى –في تفسير قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ «[788]»

[787] ـ شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، مساعد الطيّار: ص 145

[788] ـ سورة البقرة الآية : 246

هذه الآية خبر عن قوم بني إسرائيل نالتهم ذلة وغلبة وعدو فطلبوا الإذن في الجهاد وأن يؤمروا به، فلمّا أمروا كعّ أكثرهم و صبر الأقل فنصرهم الله، وفي هذا كلّه مثال للمؤمنين يحذر المكروه منه ويقتدي بالحسن، والملأ في هذه الآية جميع القوم، لأنّ المعنى يقتضيه، وهذا هو أصل اللفظة ويسمّى الأشراف الملأ تشبيها، و قوله من « بعد موسى » معناه: من بعد موته وانقضاء مدته، واختلف المتأوّلون في النّبي الذي قيل له « ابعث »، فقال ابن إسحاق وغيره عن وهب بن منبه: هو شمويل بن بالي، وقال السدي :هو شمعون وقال قتادة هو يوشع بن نون .

قال القاضي أبو محمد عبد الحق. وهذا قول ضعيف لأنّ مدة دواد هي بعد مدة موسى بقرون من الناس، ويوشع هو فتى موسى، وكانت بنوا إسرائيل تغلب من حاربها، وروي أنّها كانت تضع التابوت فيه السكينة والبقية في مأزق الحرب، فلا تزال تغلب من حاربها، وروي أنّها كانت التابوت الذي فيه السكينة والبقية في مأزق الحرب، فلا تزال تغلب حتى عصوا وظهرت فيهم الأحداث، وخالف ملوكهم الأنبياء، وأتبعوا الشهوات، فكان الله أقام أمورهم بأن يكون أنبياؤهم يسددون ملوكهم. فلمّا فعلوا ما ذكرناه سلط الله عليهم أمما من الكفرة فغلبوهم وأخذلهم التابوت في بعض الحروب فذلّ أمرهم و قال السدي:« كان الغالب لهم جالوت، وهو من العمالقة، فلمّا رأوا أنّه الاصطلام و ذهاب الذكر أنف بعضهم وتكلموا في أمرهم، حتّى اجتمع ملأهم على أن قالوا لنبي الوقت ابعث لنا ملكا، الآية وإنّما طلبوا ملكا يقوم بأمر القتال، المملكة في سبط من أسباط بني إسرائيل يقال

لهم:« بنو يهوذا » فعلم النبي بالوحي أنّه ليس في بيت المملكة من يقوم بأمر الحرب، و يسّر الله لذلك طالوت ....»«[789]»

و قال في قوله تعالى: «قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبناءنا فلمّا كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين»

المعنى: وأي شيء يجعلنا ألا نقاتل وقد وترنا وأخرجنا من ديارنا؟ وقالوا هذه المقالة وإن كان القائل لم يخرج من حيث قد أخرج من هو مثله وفي حكمه، ثمّ أخبر الله تعالى عنهم أنّهم لما فرض عليهم القتال ورأوا الحقيقة ورجعت أفكارهم إلى مباشرة الحرب تولوا، أي اضطربت نياتهم ونثرت عزائمهم، وهذا شأن الأمم المائلة إلى الدعة، وتتمنّى الحرب أوقات الأنفة، فإذا حضرت الحرب كعّت، وانقادت لطبعها، وعن هذا المعنى نهى النبي صلى الله عليه و سلم بقوله: « لا تتمنوا لقاء العدو، وسألوا الله العافية، فإذا لقيتهم فاثبتوا»، ثمّ أخبر الله تعالى عن قليل منهم أنهم تبثوا على النية الأولى واستمرت عزيمتهم على القتال في سبيل الله، ثمّ توعد الظالمين في لفظ الخبر الذي هو قوله « والله عليم بالظالمين ...»«[790]».

[789] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ج1، ص 330

[790] – انظر المحرر الوجيز: ج1، ص 331

2 ـــ قال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾«[791]».

قال ابن عطية – رحمه الله – «هذه آية قصص فيه تمثيل كفار العرب وإعلام محمد صلى الله عليه وسلم يبدع من الرسل و روي أنّ نوحا عليه السلام أول رسول إلى الناس. وروى أنّ إدريس نبي من بني آدم إلاّ أنّه لم يرسل، فرسالة نوح إنّما كانت إلى قومه كسائر الأنبياء وأمّا الرسالة العامة فلم تكن إلاّ لمحمد صلى الله عليه و سلم ...»«[792]».

ثم مضى في تفسير قصة نوح إلى أن بلغ إلى قوله تعالى ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾ «[793]» فقال – رحمه الله – : « .... و في أمر نوح عليه السلام تدافع في ظاهر الآيات والأحاديث ينبغي أن نخلص القول فيه، وذلك أنّ ظاهر أمره أنّه عليه السلام دعا على الكافرين عامة من جميع الأمم ولم يخص قومه دون غيره، وتظاهرت الروايات وكتب التفاسير بأنّ الغرق نال جميع أهل الأرض وعمّ الماء جميعها، وقاله ابن عباس وغيره، ويوجب ذلك أمر نوح بحمل الأزواج من الحيوان، ولو لا خوف إفناء أجناسها من الأرض ما كانت ذلك، فلا يتفق لنا أن نقول إنّه لم يكن في الأرض غير قوم نوح في ذلك الوقت، لأنّه يجب أن يكون بعث جميع الناس،

[791] – سورة هود: الآيتان 25 –26

[792] – انظر : ج3، ص 162

[793] ـ سورة هود : الآيتان 36 ـ 37.

وقد صحّ أنّ هذه الفضيلة خاصة لمحمد صلى الله عليه وسلم بقوله : «أوتيت خمسا لم يؤتهن أحد قبلي »«[794]» فلابدّ أن نقرّر كثيرا من الأمم كان في ذلك الوقت، وإذا كان ذلك فكيف استحقوا العقوبة في جمعهم ونوح لم يبعث إلى كلّهم؟ وكمّا نقدر هنا أنّ الله بعث إليهم رسلا قبل نوح فكفروا بهم واستمرّ كفرهم، لو لا أن نجد الحديث ينطق بأنّ نوحا هو أوّل الرسل إلى أهل الأرض ، ولا يمكن أيضا أن نقول : عذّبوا دون رسالة ، ونحن نجد القرآن «وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا »«[795]» والتأويل المخلص من هذا كلّه هو أن نقول إنّ نوحا عليه السلام أول رسول بعث إلى كفار من أهل الأرض ليصلح الخلق ويبالغ في التبليغ ويحتمل المشقة من الناس ـ بحسب ما ثبت في الحديث، ثمّ نقول : إنّه بعث إلى قومه خاصة بالتبليغ والدعاء والتنبيه ، وبقي أمم في الأرض لم يكلف القول لهم ، فتصح الخاصة لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثمّ نقول : إنّ الأمم التي لم يبعث ليخاطبها إذا كانت بحال كفر وعبادة أوثان ، وكانت الأدلة على الله منصوبة معرّضة للنّظر ، وكانوا متمكنين من النظر من جهة إدراكهم ، وكان الشرع ببعث نوح ـ موجودا مستقرا.... ولا يعارضنا مع هذه التأويلات شيء من الحديث ولا الآيات ، والله الموفق للصواب » «[796]».

3 –قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا

[794] ـ رواه البخاري : كتاب التيمم ،باب قول الله عزّ وجل : فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ، رقم 335 ، ج 1 ، ص 95.

[795] ـ سورة الإسراء : الآية 15 :

[796] ـ انظر: ج 3 ، ص 168 . 169.

مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ «[797]»

قال ابن عطية – رحمه الله – :« وإ ذ أوحيت » هو من جملة تحديد النعمة على عيسى ، «وأوحيت» في هذا الموضع إمّا يكون وحي إلهام ،أو وحي أمر كما قال الشاعر :أوحى لها القرار فاستقرت ،وبالجملة فهو إلقاء معنى في خفاء أوصله تعالى إلى نفوسهم كيف شاء والرّسول في هذه الآية عيسى عليه السلام، وقول الحوارين «ونشهد »يحتمل أن يكون مخاطبة منهم لله تعالى ويحتمل أن يكون لعيسى عليه السلام وقد تقدم تفسير لفظ الحواريين في آل عمران

و قوله تعالى«إذ قال الحواريون ... »الآية اعتراض أثناء وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة مضمن الاعتراض إخبار محمد صلى الله عليه وسلم وأمّته بمنزلة الحواريين في المائدة، إذ هي مثال نافع لكلّ أمة مع نبيها يقتدى بمحاسنه و يزد جر ينقد منه من طلب الآيات ونحوه، و قرأ جمهور الناس «هل يستطيع ربك» بالياء ورفع الباء من ربُك ،و هي قراءة السّبعة حاشا الكسائي، فهذا ليس لأنّهم شكوا في قدرة الله على هذا الأمر كامنة بمعنى هل يفعل تعالى هذا وهل تقع منه إجابة إليه؟ وهذا كما قال لعبد الله بن زيد هل تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ؟ فالمعنى هل يحق عليك وهل نفعله؟ أمّا أنّ في اللفظة بشاعة بسببها قال عيسى «اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » وبسببها

[797] – سورة المائدة: الآيات 111-113 .

مال فريق من الصحابة وغيرهم إلى هذه القراءة ،فقرأ علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير هل تستطيع ربُك بالتاء ونصب الباء من ربّك ،المعنى هل تستطيع أن تسأل ربَك؟ قالت عائشة ــ رضي الله عنها ــ : كان الحواريون أعرف بالله من أن يقولوا هل يستطيع ربُّك.

قال القاضي أبو محمد: نزّهتهم عائشة عن بشاعة اللفظ إلاّ فليس يلزمهم منه جهل بالله تعالى ما قد تبيّن آنفا، و بمثل هذه القراءة قرأ الكسائي وزاد أنّه أدغم اللام في التاء. قال أبو علي: وذلك حسن، وأن في قوله «أن ينزل» على هذه القراءة متعلقة بالمصدر المحذوف الذي هو سؤال – ولأنّه مفعول به إذ هو في حكم المذكور في اللفظ وإن كان محذوفا منه، إذ لا يتم المعنى إلاّ به.

قال القاضي أبو محمد: وقد يمكن أن يستغني عن تقدير سؤال على أن يكون المعنى هل يستطيع أن ينزل ربُّك بدعائك عنده ونحو هذا، فيردك المعنى ولابدّ إلى مقدّر يدلّ عليه ما ذكر من اللفظ والمائدة، فاعلة من ماء إذ تحرك، هذا قول الزجاج، أومن ماء إذا ماء وأطعم كما قال رؤبة:

تهدى رؤوس المترفين الأنداد إلى أمير المؤمنين الممتاء

أي الذي يستطعم ويمتاء منه، وقول عيسى عليه السلام «اتقوا الله إن كنتم مؤمنين» تقرير لهم كما تقول افعل كذا وكذا إن كنت رجلا، ولا خلاف أحفظه في أنّ الحواريين كانوا

مؤمنين، وهذا هو ظاهر الآية، وقال قوم قال الحواريّون هذه المقالة في صدر الأمر قبل عليهم بأنّه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ،ويظهر من قوله عليه السلام «اتقوا الله» إنكار لقولهم ذلك، وذلك على قراءة من قرأ يستطيع بالياء من أسفل متوجه على أمرين أحدهما: بشاعة اللفظ، والآخر إنكار على أن تتعنّت وأمّا على القراءة الأخرى فلم ينكر عليهم إلاّ الاقتراح وقله طمأنينتهم إلى ما قد ظهر من آياته...

ثمّ قال في قوله تعالى:(قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء ... فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذب به أحد من العالمين)«[798]» ذكر الله تعالى عن عيسى أنّه أجابهم إلى دعاء الله في أمر المائدة. فروي أنّه لبس جبة شعر ورداء شعر وقام يصلي ويبكي ويدعو

«اللّهم» عند سيبويه أصلها بالله فجعلت الميمان بدلا من ياء و (ربّنا) منادى آخر، ولا يكون صفة لأنّ اللهم يجري مجرى الأصوات من أجل ما لحقه من التغيير وقرأ جمهور تكون لنا على الصفة للمائدة، وقرأ ابن مسعود والأعمش «تكن لنا» على جواب أنزل والعيد المجتمع واليوم المشهود وعرفه أن يقال فيما يستدير بالسنة، أو بالشهر والجمعة ونحوه، وهو من عاد يعود فأصله الواو ولكن لزمته الياء من أجل كسرة العين،

و قرأ جمهور الناس « لأوّلنا وآخرنا » و قرأ زيد بن ثابت وابن محيصن والجحدري : « لأولنا وآخرنا » واختلف المتأوّلون في معنى ذلك، فقال السّدي وقتادة وابن جريج

[798] – المائدة : الآيتان 114 – 115

وسفيان: لأوّلنا معناه لأول الأمّة ،ثمّ لمن بعدهم حتّى لآخرهم يتخذون ذلك اليوم عيدا ،وروي عن ابن عباس أنّ المعنى يكون مجتمعا لجميعنا أوّلنا وآخرنا، قال: وأكل من المائدة حيث وضعت أوّل الناس كما أكل آخرهم.

قال القاضي: أبو محمد: فالعيد على هذا لا يراد به المستدير، وقوله «و آية منك» أي: علامة على صدقي وتشريفي، فأجاب الله دعوة عيسى و قال :« إني منزلها عليكم » ،ثمّ شرط عليهم شرطه المتعارف في الأمم أنّه من كفر بعد آية الاقتراح عذّب أشدّ عذاب، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم«إنّي منزلها عليكم» بفتح النون وشدّ الزاي، وقرأ الباقون منزلها بسكون النون، والقراءتان متّجهتان نزل وأنزل يعني واحد، وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرّف، «قال الله إنّي سأنزلها لها عليكم» واختلف الناس في نزول المائدة، فقال الحسن بن أبي الحسن ومجاهد: إنّهم لما سمعوا الشرط في تعذيب من كفر استعفوها فلم تنزل

قال مجاهد: فهو مثل ضربه الله تعالى للناس لئلاّ يسألوا هذه الآيات، وقال جمهور المفسرين، نزلت المائدة، ثمّ اختلفت الروايات في كيفية ذلك، فروى الشّعبي عن أبي عبد الرحمان السلمي، قال: نزلت المائدة خبزا وسمكا، وقال عطية: المائدة سمكة فيها طعم كلّ طعام، قال ابن عباس نزل خوان عليه خبز وسمك يأكلون منه أين ما نزلوا إذا شاءوا، وقال وهب بن منبه، قال إسحاق بن عبد الله: نزلت المائدة عليها سبعة أرغفة وسبعة أموات قال: فسرّت منها بعضهم فرفعت، وقال عمار بن ياسر: سألوا عيسى عليه السلام مائدة يكون عليها طعام لا ينفذ، فقيل لهم: فإنّها مقيمة لكم ما لم تخبئوا أو تخونوا، فإن فعلتهم

عـذّبتم قـال فمـا مضـى يـوم حـتى خبـوؤا وخـانوا فمسـخوا قـردة وخنـازير، وقـال ابـن عبـاس في المائـدة أيضـا: كـان طعامـا ينـزل علـيهم حيـث مـا نزلـوا، وقـال عمـار بـن ياسـر: نزلـت المائـدة عليهـا ثمـار مـن الجنـة، وقـال ميسـرة: كانـت المائـدة إذا وضـعت لبـني إسـرائيل اختلفـت عليهـا الأيدي بكلّ طعام إلاّ اللحم.

قـال القاضـي أبـو محمـد: وأكثـر النـاس في قصـص هـذه المائـدة بمـا رأيـت اختصـاره لعـدم سـنده وقال قوم: لا يصح أن لا تنزل المائدة لأنّ الله تعالى أخبر أنّه منزلها«[799]»

4 ــ قـال في تفسـير قولـه تعـالى :﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞۖ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴾«[800]»

قـال – رحمـه الله –: الضـمير في «لهـم» عائـد علـى الطائفـة الـتي أرادت مـن النّـبي صـلى الله عليـه وسـلم أن يطـرد فقـراء المـؤمنين«الـذين يـدعون ربهـم بالغـداة والعشـي» وعلـى أولئـك الـدّاعين أيضـا، فالمثـل مضـروب للطـائفتين، إذ الرجـل الكـافر صـاحب الجنتـين هـو بـإزاء متجـبّر في قـريش، أو بي تمـيم علـى خـلاف المـذكور أولا، والرجـل المـؤمن المقـرّ بالرّبوبيـة، هـو بـإزاء بـلال وعمـار وصـهيب وأقـرانهم (وحففناهما) يعـني جعلنـا ذلـك لهمـا مـن كـلّ جمعـة، تقـول حفّـك الله بخـير: أي عمّـك بـه مـن جهاتـك، و«الحفـاف » الجانـب مـن السـرير والفـدان

[799] – انظر: المحرر الوجيز: ج2، ص 261

[800] – سورة الكهف : الآيات : 32 – 33 – 34 .

ونحوه، وظاهر هذا المثل أنّه بأمر وقع وكان موجودا، وعلى ذلك فسّره. أكثر أهل التأويل، ويحتمل أن يكون مضروبا لمن هذه صفته وإن لم يقع ذلك في وجود قط، والأوّل أظهر، و روي في ذلك أنّهما كانا أخوين من بني إسرائيل، ورثا أربعة آلاف دينار فصنع أحدهما بماله ما ذكر واشترى عبيدا وتزوج و أثري، وأنفق الآخر ماله في طاعات الله عز وجل حتّى افتقر، والتقيا ففخر الغني ووبّخ المؤمن، فجرت بينهما هذه المحاورة، وروي :أنهما كان شريكين حدّادين، كسبا مالا كبيرا وصنعا نحو ما روي في أمر الأخوين فكان أمرهما ما قصّ الله في كتابه، و ذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجائب البلاد، أن بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين، وكانتا لأخوين،فباع أحدهما نصيبه من الآخر، وأنفق في طاعة الله حتى عيّره الآخر، وجرت بينهما هذه المحاورة، قال: فغرقها الله في ليلة وإيّاها عنا بهذه الآية، وفي بسط قصصهما طول فاختصرته واقتصرت على معناه لقلة صحته، ولأنّ في هذا ما يفي بفهم الآية، وتأمل هذه الهيئة التي ذكر الله، فإنّ المرء لا يكاد يتخيل أجمل منها في مكاسب الناس: جنتا عنب أحاط بهما نخل، بينهما فسحة، هي مزدرع لجميع الحبوب، و الماء الغيل يسقى جميع ذلك من النهر الذي قد جمّل هذا المنظر، وفي مصحف عبد الله «كلا»، و التاء في «كلتا » منقلبة من واوا عند سيبويه وهو بالتاء، أو بغير التاء اسم مفرد واقع على الشيء المنثى، و ليس باسم متى، ومعناه كل واحدة منهما و الأكل ثمرها الذي يؤكل منها ... و مضى على ذلك إلى أن قال:« و أعز نفرا » واستدل بعض الناس من قوله: « و أعز نفرا » على أنّه لم يكن أخاه، وقال المناقض أراد به « النفر» العبيد

والخـول، إذ هـم الـذين ينفـرون في رغائبـه، وفي هـذا الكـلام مـن الكـبر و الزهـو و الاغـترار مـا بيانـه يغـني عـن القـول فيـه، و هـذه المقالـة بـإزاء قـول عتبـة والأقـرع للنـبي صـلى الله عليـه وسـلم نحن سادات العرب وأهل العرب روا المدر، فتح سلمان و قرناءه»«[801]»

و قوله عز وجل:﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾«[802] »

قال ابن عطية – رحمه الله – أفرد الجنة من حيث الوجود كذلك، إذ لا يدخلهما معا في وقت واحد، وظلمه لنفسه: كفره وعقائده الفاسدة في الشك في البعث، فقد نصّ على ذلك قتادة وابن زيد، وفي شكّه في حديث العالم إن كانت إشارته بهذه إلى الهيئة من السموات والأرض وأنواع المخلوقات، وإن كانت إشارته إلى جنته فقط، فإنّما في الكلام تساخف واغترار مفرط وقلة تحصيل، وكأنّه من شدة العجب ،بل والسرور أفرط في وصفها بهذا القول ثمّ قاس أيضا الآخرة على الدنيا، وظنّ أنه لم يمل له في دنياه إلاّ لكرامة يستوجبها في نفسه، قال فإن كان ثمّ رجوع كما يزعم فستكون حالي كذا وكذا، وليست مقالة العاصي بن وائل لجناب على حد هذه، بل قصد العاصي الاستخفاف على جهة التصميم على التكذيب، وقرأ ابن كثير ونافع و ابن عاصم، وثبت في

[801] انظر : المحرر الوجيز : ج3، ص 515 ـ 516 .

[802] – سورة الكهف: الآيات 36 – 39

المصاحف المدينة « منهما » يريد الجنتين المذكورتين أولا، و قرأ أبو عمر وعاصم وحمزة و الكسائي والعامة ، و كذلك هو مصحف أهل البصرة منها يريد الجنة المدخولة، وقوله : « قال له صاحبه»حكاية أنّ المؤمن من الرجلين لما سمع كلام الكافر وقفه على جهة التوبيخ على كفر بالله تعالى ...«[803]»

... ثمّ مضى على ذلك إلى أن قال و قوله: « و يقول يا ليتني لك أشرك بربي أحدا» قال بعض المفسرين :هي حكاية عن قول الكافر هذه المقالة في الآخرة، و يحتمل أن يريد أنّه قالها في الدنيا على جهة التوبة بعد حلول المصيبة ويكون فيها زجرة للكفرة من قريش أو غيرهم، لئلا تجئ لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل بهم ...»«[804] »

5 ـــــ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾«[805] »

قال ابن عطية- رحمه الله –:« هذه جملة معطوفة على التي قبلها دون ترتيب، وذلك أنّ هذه القصة كانت في أول ما ركب نوح في السفينة أليق، و هذه الآية احتجاج من نوح عليه السلام، وذلك أنّ الله أمره بحمل أهله وابنه من أهله فينبغي أن يحمل، فأظهر الله له

[803] ـ انظر: ج 3 ، ص 517.

[804] – انظر ج3، ص 519 .

[805] – سورة هود: الآية 45 – 46 .

أنّ المراد من آمن من الأهل، ثمّ حسن المخاطبة بقوله: « و إنّ وعدك الحق » وبقوله: « وأنت أحكم الحاكمين »، فإنّ هذه الأقوال معينة في حجته، وهذه الآية تقتضي أنّ نوحا عليه السلام ظن أنّ ابنه مؤمن، وذلك أشدّ الاحتمالين.

وقوله – تعالى –: « قال يا نوح » الآية، المعنى قال الله تعالى: يا نوح،وأنّ امرأته الكافرة خانته فيه، هذا قول الحسن وابن سيرين وعبيد بن عمير وقال بزي إنّما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش من أجل ابن نوح، وحلف الحسن أنّه ليس بابنه، وحلف عكرمة والضحاك أنّه ابنه.«[806]»

قال القاضي: أبو محمد: عوّل الحسن على قوله تعالى:«إنّه ليس من أهلك »وعوّل الضحاك وعكرمة على قوله تعالى: « ونادى نوح ابنه » ،وقرأ الحسن ومن تأوّل تأويله: « إنه عمل غير صالح » على هذا المعنى ، و هي قراءة السبعة سوي الكسائي وقراءة جمهور الناس، وقال من خالف الحسن بن أبي الحسن: المعنى: ليس من أهلك الذين عمّهم الوعد لأنّه ليس على دينك وإن كان ابنك بالولاء، فمن قرأ من هذه الفرقة «إنّه عمل غير صالح» جعله وصفا له بالمصدر على جهة المبالغة، فوصفه بذلك كما قالت الخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هي إقبال وإدبار «[807]»

[806] – انظر: ج3 : ص 176 .

[807] ـ البيت للخنساء، انظر: ديوان الخنساء، ط 9 ، بيروت ، دار الأندلس ، 1983م ، ص 50.

أي: ذات إقبال وإدبار، و قرأ بعض هذه الفرقة « إنه عمل غير صالح » وهي قراءة الكسائي، وروت هذه القراءة أمّ سلمة وعائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.ذكره أبو حاتم وضعّف الطبري هذه القراءة ،وطعن في الحديث أنّه من طريق شهر بن حوشب، وهي قراءة علي و ابن المعلى وعائشة وأنس بن مالك

ورجّحها أبو حاتم و قرأ بعضها « وأنّه عمل عملا غير صالح » و قالت فرقه الضمير في قوله: « إنّه عمل غير صالح » على قراءة جمهور السبعة على سؤال الذي يتضمنه الكلام و قد فسّره آخر الآية ويقوّى هذا التأويل أنّ في مصحف ابن مسعود « إنه عمل غير صالح أن تسألني ما ليس لك بعلم »،وقالت فرقة الضمير عائد على ركوب ولد مع المؤمنين عمل غير صالح، وقال أبو علي: ويحتمل أن يكون التقدير: أن كونك مع الكافرين و تركب الركوب هنا عمل غير صالح ،وقال القاضي أبو محمد: وهذا تأويل لا يتجه من جهة المعني، وكلّ هذه الفرق قال: إنّ القول بأنّ الولد كان لقيه وولد فراش خطأ محض ، وقالوا إنّه يروي عن النبي صلى الله عليه و سلم : « إنّه ما زنت امرأة نبي قط » قال القاضي أبو محمد وهذا الحديث ليس بمعروف، و إنّما هو من كلام ابن عباس رضي الله عنه ويعضّده شرف النبوة، وقالوا في قوله عز وجل : « فخانتهما » إنّ الواحدة كانت تقول للناس: هو مجنون، والأخرى كانت تنبه على الأضياف، وأمّا غير هذا فلا وهذه منازع ابن عباس وحججه، وهو قوله وقول الجمهور من الناس ... ،ثمّ قال في قوله تعالى: « فلا تسألني ما ليس لك به علم » أي :إذا وعدتك فاعلم يقينا أنّه لا خلف في الوعد

فإذا رأيت ولدك لم يحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم أنّ ذلك هو بحق واجب عند الله.

ولكنّ نوحا عليه السلام حملته شفقة النبوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير، و على هذا القدر وقع عتابه، ولذلك جاء بتلطف و ترفيع في قوله: « إنّي أعظك أن تكون من الجاهلين » وقد قال لمحمد صلى الله عليه و سلم : « فلا تكونن»(البقرة: 147، الأنعام: 34-114، يونس: 94)،

وذلك هنا بحسب الأمر الذي عوتب فيه وعظمته، فإنه لضيق صدره بتكاليف النبوة، وإلاّ فمتقرّر أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل البشر وأولاهم بلين المخاطبة، ولكن هذا بحسب الأمرين لا بحسب النبيين«[808]».

نجد الحديث ينطق بأنّ نوحا عليه السلام هو أوّل الرسل إلى أهل الأرض ولا يمكن أيضا أن نقول: عذّبوا دون رسالة و نحن نجد القرآن: «وما كنا معذبين حتى نبعث رسول »« [809]» . والتأويل المخلّص من هذا كله هو أن نقول: إنّ نوحا عليه السلام أوّل رسول بعث إلى كفار من أهل الأرض ليصلح الخلق ويبالغ في التبليغ ويحتمل المشقة من الناس بحسب ما ثبت في الحديث ، ثم نقول: إنّه بعث إلى قومه خاصة بالتبليغ والدعاء والتنبيه، وبقي أمم في الأرض لم يكلّف القول لهم، فتصح الخاصة لمحمد صلى الله عليه

[808] – انظر: المحرر الوجيز ، ج 3 ، ص 178 .

[809] – سورة الإسراء: الآية 15.

وسلم ثمّ تقول: إنّ الأمم التي لم يبعث ليخاطبها إذا كانت بحال كفر وعبادة أوثان، وكانت الأدلة على الله تعالى منصوبة موضة للنظر، وكانوا متمكّنين من النظر من جهة إدراكهم، وكان الشرع يبعث نوح موجودا مستقر ا ، فقد وجب عليهم النظر، وصاروا بتركه بحال من يجب تعذيبه: فإنّ هذا رسول مبعوث وإن كان لم يبعث إليهم معيّنين ألا ترى أنّ لفظ الآية إنما هو «وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولا » أي :حتى نوجده، لأنّ بعثة الأنبياء إلى قوم مخصوصين، إنّما هو في معنى القتال والشدة، وأمّا من جهة بدل النصيحة وقبول من آمن فالناس أجمع في ذلك سواء، ونوح قد لبت ألف سنة إلاّ خمسين عاما يدعو إلى الله، فغير ممكن أن لم يبلّغ نبوءته للقريب والبعيد، ويجيء تعذيب الكل بالغرق بعثه رسول وهو نوح صلى الله عليه وسلم، و لا يعارضنا مع هذه التأويلات شيء من الحديث ولا الآيات، والله الموفق للصواب.

و قال في تفسير قوله – تعالى – « حتى إذا جاء أمرنا و فار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين و أهلك إلا من سبق عليه القول و من آمن و ما آمن معه إلا قليل »«[810]» قال ابن عطية – رحمه الله –

«كان يأتيه الحيوان، فيضع يمينه على الذكر وعلى يساره الأنثى، وروي أنّ أوّل ما أ دخل السفينة الذر، وآخر ما أدخل الحمار، فتمسك الشيطان بذنبه، فزجره نوح عليه السلام فلم ينبعث فقال له: أدخل لسانه فدخل الشيطان، قال ابن عباس: زلت هذه الكلمة من

[810] – سورة هود: الآية 40.

لسانه فدخل الشيطان حينئذ، وكان في كوؤل السفينة، أي عند مؤخرها، وقيل كان على ظهرها، وروي أنّ نوحا عليه السلام آذاه نتن الزبل والعذرة، فأوحى الله إليه: أن امسح على ذنب الفيل، ففعل، فخرج من الفيل، وقيل من أنفه – خنزير وخنزيرة، فكفيا نوحا وأهله ذلك الأذى، و هذا يجئ منه أنّ نوع الخنازير لم يكن قبل ذلك، وروي أنّ الفأر آذى الناس في السفينة بقرض حبالها وغير ذلك، فأمر الله نوحا أن يمسح على جبهة الأسد ففعل، فعطس فخرج منه هر وهرة، فكفياهم الفأر، وروي أيضا أنّ الفأر خرج من أنف الخنزير، قال ابن عطية: وهذا كله قصص لا يصح إلاّ لو استند والله أعلم كيف كان«[811]» ، وقال قوم: إنما وقّر نوح لسنه. وقال قوم: إنّما حمل اللفظ على محمد صلى الله عليه وسلم كما يحمل الإنسان على المختص به الحبيب إليه.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله ضعيف، ويحتمل قوله: « فلا تسألني ما ليس لك به علم» أي :لا تطلب مني أمرا لا تعلم المصلحة فيه علم يقين، ونحا إلى هذا أبو علي الفارسي، وقال: إنّ «به» يجوز أن يتعلق بلفظة «علم»: « الرجز» : كان جزائي بالعصا أن أجلدا ،ويجوز أن يكون «به »بمنزلة فيه، فتتعلق الباء بالمستقر قال القاضي أبو محمد: واختلاف هذين الوجهين إنّما هو لفظي، وإلهي في الآية واحدة، وروي أنّ هذا الابن إنّما كان ربيبه وهذا ضعيف، وحكى الطبري عن ابن زيد أنّ معنى قوله :« إني أعظك أن تكونن من الجاهلين »، في أن تعتقد أنّي لك بوعد وعدتك به.

[811] – انظر: المحرر الوجيز: ج 3 ، ص 171 – 172 .

قال القاضي أبو محمد: و هذا تأويل بشع وليس في الألفاظ ما يقتضي أنّ نوحا اعتقد وعياذا بالله، و غاية ما وقع لنوح عليه السلام أن رأى ترك ابنه معارضا للوعد فذكر به، ودعا بحسب الشفقة ليكشف له بالوجه الذي استوجب به ابنه الترك في الغرقى«[812]»

وقال في آخر القصة في قوله – تعالى – : « تلك من أنباء » الآية: إشارة إلى القصة، أي هذه من الغيوب التي تقادم عهدها ولم يبق علمها إلاّ عند الله تعالى، ولم يكن علمها ،أو علم أشبهاها عندك ولا عند قومك، ونحن نوحيها إليك لتكون لك هداية و أسوة فيما لقيّه غيرك من الأنبياء، وتكون لقومك مثالا وتحذيرا لئلاّ يصيبهم إذا كذبوك مثل ما أصاب هؤلاء وغيرهم من الأمور المعذبة »«[813]».

المبحث الثاني: الإمام فخر الدين الرّازي ومنهجه في تناول القصص القرءاني من خلال : (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب).

المطلب الأول : التعريف بالمفسر:

هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري، الإمام فخر الدين الرازي، ابن خطيب الري، إمام المتكلمين، ذو الباع الواسع في تعليق العلوم والاجتماع بالشاسع من حقائق المنطوق والمفهوم، ولد سنة ثلاث وأربعين ، وقيل أربع وأربعين وخمسمائة اشتغل على والده، وكان من تلاميذ محي السنة أبي محمد البغوي وقرأ الحكمة

[812] – انظر :المحرر الوجيز ، ج 3 ، ص 179.
[813] – انظر: المحرر الوجيز ،ج 3 ، ص 179.

على المجد الجبلي بمراغة وتفقّه على الكمال الشناني، ومن تصانيفه التفسير، البرهان في الرد على أهل الزيغ والطغيان، والمحصول، وشرح المفصل للزّمخشري وغيرهم.«[814]»

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الرازي ومنهجه العام فيه:

نصّ كثير من أصحاب التراجم على نسبة الكتاب للإمام الرازي وأجمعوا على أنّه لم يتمه واختلفوا فيمن أتمّه، والأقوال بينهم متضاربة فذكر ابن حجر – رحمه الله – في الدرر الكامنة أنّ الذي أتمه هو أحمد بن محمد بن أبي الحزم المكي نجم الدين المخزومي القمولي المتوفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة من الهجرة«[815]»

وذكر حاجي خليفة أنّ الذي أكمله هو شهاب الدين الخوبي«[816]» ثمّ اختلفوا في الموضع الذي توّقف فيه فذكر الدكتور حسين الذهبي أنّ الإمام الرازي كتب تفسيره هذا إلى سورة الأنبياء فأتى بعده شهاب الدين الخوبي، فشرع في تكملة هذا التفسير ولكنّه لم يتمه، فأتى بعده نجم الدين القمّولي فأكمل ما بقي منه كما يجوز أن يكون الخوبي أكمله إلى النهاية، والقمولي كتب تكملة أخرى غير التي كتبها الخوبي.«[817]»

---

[814] – انظر: ترجمته في وفيات الأعيان: ابن خلكان،د ط، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج4، ص 248 ـ 252 .

[815] – انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج1، ص179.

[816] – انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دط ، بيروت ، دار الفكر ، 1402 هـ ـ 1982 م ، ج2، ص 1576.

[817] – انظر: التفسير و المفسرون: ج1، ص 208.

أمّا عن بيان منهجه في تفسيره: فقد عني – رحمه الله – ببيان المناسبات وأكثر من إيرادها بين السور والآيات كما تجلّى تركيزه على إيراد مباحث بعض العلوم الرياضية والفلسفية نظرا لنزعته الكلامية وميله إلى الفلسفة،كما تميز بالشدة والحمل على بعض المذاهب المنحرفة كالمعتزلة فقد اهتمّ بإبطال عقائدهم والإكثار من مناقشتهم وبعض شبههم، غير أنّه في بعض الأحيان يقصر في الرد عليهم ويعجز عن دفع بعض الشبه التي يثيرها، لذا اشتد نكير جماعة من العلماء عليه هذا المأخذ وعابوا عليه ذلك فقال في ذلك الحافظ ابن حجر – رحمه الله –: « وكان يعاب عليه إيراد الشبهة الشديدة ويقصر في حلها، حتى قال بعض المغاربة: يورد الشبهة نقدا ويحلها نسيئة».«[818]»

- كما أنّه عني بآيات الأحكام و بالغ في بيانها بإيراده المذاهب الفقهاء مع الانتصار والترويج لمذهب الشافعي، وميله إليه، كما أنّه يتوسع في الإشارة إلى المباحث الأصولية، ساعده على ذلك تبحره في هذا الفنّ وإلمامه به، مع الإشارة إلى النكت البلاغية والتطرق للمسائل النحوية بنوع من الاقتضاب إذا ما قورن ذلك بإيراده للعلوم الكونية والفلسفية والرياضية، مع غلبة الجانب الكلامي في تفسيره، وحشوه لكتابه بأنواع هذه المعارف جعله محلّ انتقاد كثير من العلماء فقال أبو حيان الأندلسي:« جمع الإمام الرازي في تفسيره

[818] ـ انظر: لسان الميزان ، دط ، الهند ، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات ، 1406 هـ ـ 1986م ، ج 7 ، ص 21 .

أشياء كثيرة لا حاجة بها إلى علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء إلاّ التفسير».«[819]»

المطلب الثالث : نماذج من تفسير الإمام الرازي للقصص القرآني

1 ـ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ «[820]»

قال الإمام الرازي ــ رحمه الله ــ :«اعلم أنّ الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة والحشر والمنكرون للتوحيد هم الذين أثبتوا معبودا سوى الله تعالى، وهؤلاء فريقان منهم من أثبت معبودا غير الله حيّا عاقلا فاهما وهم النصارى، و إن اشتركا في الضلال إلاّ أن ضلال الفريق الثاني أعظم فلمّا بيّن تعالى ضلال الفريق الأول تكلم في ضلال الفريق الثاني وهم

[819] – انظر: البحر المحيط: ج 1 ، ص 293.
وانظر: التفسير و المفسرون: محمد حسين الذهبي، ج1، ص 210.
[820] – سورة مريم : الآيات 41-45.

عبدة الأوثان فقال :« و اذكر في الكتاب » والواو في قوله واذكر عطف على قوله :«ذكر رحمة ربك عبده زكريا» كأنّه لما انتهت قصة عيسى و زكريا عليهما السلام قال ذكرت حال زكريا فأذكر حال إبراهيم وإنّما أمر بذكره لأنّه عليه السلام ما كان هو ولا قومه مشتغلين بالعلم ومطالعة الكتب فإذا أخبر عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان، كان ذلك إخبارا عن الغيب ومعجزا قاهرا دالا على نبوءته ، وإنّما شرع في قصة إبراهيم عليه السلام لوجوه :

«أحدها»: أنّ إبراهيم عليه السلام كان أب العرب وكانوا مقرّين بعلو شأنه وطهارة دينه على ما قال تعالى :«ملة أبيكم »«[821]» و قال :« و من يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه »«[822]» فكأنّه تعالى قال للعرب: إن كنتم مقلدين لآبائكم على ما هو قولكم: « إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون»«[823]» ومعلوم أنّ أشرف آبائكم وأجلّها قدرا هو إبراهيم عليه السلام فقلّدوه في ترك عبادة الأوثان وإن كنتم من المستدلين فانظروا في هذه الدلائل. التي ذكرها إبراهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الأوثان وبالجملة فاتبعوا إبراهيم إمّا تقليدا ،وإمّا استدلالا، وثانيها: أنّ كثيرا من الكفار في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كيف نترك دين آبائنا ورجّح متابعة الدليل على متابعة أبيه ليعرف الكفار أنّ ترجيح جانب الأب على جانب الدليل رد على الأب

[821] ـ سورة الحج : الآية 78.

[822] ـ سورة البقرة : الآية 130.

[823] ـ سورة الزخرف : الآية 23.

الأشرف الأكبر الذي هو إبراهيم عليه السلام، «وثالثها»: أنّ كثيرا من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون الاستدلال على ما قال الله – تعالى- : « قالوا إن وجدنا آباءنا على أمة » «[824]»

« قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين »«[825]» فحكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام التمسك بطريقة الاستدلال تنبيها لهؤلاء على سقوط هذه الطريقة، ثمّ قال تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام :«إنّه كان صديقا نبيا»وفي الصديق قولان: «أحدهما» :أنّه مبالغة في كونه صديقا وهو الذي يكون عادته الصدق لأنّ هذا البناء ينبئ عن ذلك يقال لرجل خمّير وسكّير للمولع بهذه الأفعال، «والثاني»: أنّه الذي يكون كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهورا به ،والأول أولى وذلك لأنّ المصدق بالشيء لا يوصف بكونه صدّيقا إلاّ إذا كان صادقا في ذلك التصديق فيعود الأمر إلى الأول ... و قوله :«كان صديقا» قيل: إنّه صار ،وقيل: إنّ معناه وجد صديقا نبيّا أي كان من أول وجوده إلى انتهائه موصوفا بالصدق والصيانة، قال صاحب الكشاف هذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله أعني إبراهيم ...

قوله :« لم تعبد مالا يسمع ويبصر ولا يغني عنك شيئا »ووصف الأوثان بصفات ثلاثة كل واحدة منها قادحة في الإلهية و بيان ذلك من وجوه:

---

[824] ـ سورة الزخرف : الآية 23.

[825] ـ سورة الأنبياء: الآية 53.

أحدها: أنّ العبادة غاية التعظيم فلا يستحقها إلاّ من له غاية الإنعام وهو الإله الذي منه أصول النعم وفروعها على ما قررناه في الفترة قوله: «وإنّ الله ربي وربكم فاعبدوه» «[826]».وقال :«كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم»«[827]» الآية وكما يعلم بالضرورة أنّه لا يجوز الاشتغال بشكرها ما لم تكن منعمة رجب أن لا يجوز الاشتغال بعبادتها ،«وثانيها»: أنها إذا لم تسمع ولم تبصر ولم تميز من يطيعها عمّن يعصيها فأيّ فائدة في عبادتها، وهذا ينبهك على أنّ الإله يجب أن يكون عالما بكل المعلومات حتى يكون العبد آمنا من قوة الغلط للمعبود، «وثالثها»:أنّ الدعاء مخ العبادة فالوثن إذا لم يسمع دعاء الداعي فأي منفعة في عبادته ،وإذا كانت لا تبصر بتقرب ما يتقرب إليها فأي منفعة في ذلك التقرب،«ورابعها» أنّ السامع المبصر الضار النافع أفضل مما كان عاريا عن كلّ ذلك، والإنسان موصوف بهذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من الوثن فكيف يليق بالأفضل عبادة الأخسّ ،«وخامستها»: إذا كانت لا تنفع ولا تضر فلا يرجى منها منفعة ولا يخاف من ضرب فأيّ فائدة من عبادتها.

«وسادسها»: إذا كانت لا تحفظ أنفسها عن الكبر والإفاد على ما حكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنّه كسرها وجعلها جذاذا فأيّ رجاء للغير فيها واعلم أنّه عاب الوثن من ثلاثة أوجه أحدها لا يسمع و الثاني لا يبصر وثالثها لا يغني عنك شيئا كأنّه قال له

826 ـ سورة مريم : الآية 36.

827 ـ سورة البقرة : الآية28.

بل الإلهية ليس إلاّ لربّي فإنّه يسمع ويجيب دعوة الداعي ويبصر كما قال :«إنّني معكما أسمع وأرى»«[828]» و يقضي الحوائج « أمّن يجيب المضطر إذا دعاه »«[829]».

النوع الثاني : قوله « يأبت إنّي قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا » ومعناه ظاهر، وطمع في التمسك به أهل التعليم و أهل التقليد ،أمّا أهل التعليم فقالوا إنّه أمره في الإتّباع بالدين وما أمره بالتمسك بدليل لا يستفاد إلاّ من الاتّباع ، وأما أهل التقليد فقد تمسكوا به أيضا من هذا الوجه، و من الناس من طعن أنّه أمره بالاتّباع لتحصيل الهداية، فإذن لا تحصل الهداية إلاّ بإتباعه، ولا تبعية إلاّ إذا اهتدى لقولنا إنّه لابد من إتّباعه فيقع الدور، وإنه باطل والجواب عن الأول أنّ المراد بالهداية بيان الدليل وشرحه وإيضاحه، فعند هذا أعاد السائل فقال: أنا لا أنكر أنّه لابد من الدلالة، ولكنّي أقول الوقوف على تلك الدلالة لا يستفاد إلاّ ممن له نفس كاملة بعيدة عن النقص والخطأ، وهي نفس النّبي المعصوم ،أو الإمام المعصوم فإذا سلّمت أنّه لابد من النبي في هذا المقصود فقد سلّمت حصول الغرض، أجاب المجيب وقال أنا ما سلمت أنّه لابد في الوقوف على الدلائل من هداية النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنّي أقول هذا الطريق أسهل وعن إبراهيم عليه السلام دعاه إلى الأسهل والجواب أنّ سؤال الدور أنّ قوله «فاتبعني» ليس أمر إيجاب ،بل أمر إرشاد.

[828] – سورة طه : الآية 46.

[829] – سورة النمل : الآية 62.

«والنوع الثالث» قوله: «يأبت لا تعبد الشيطان إنّ الشيطان كان للرّحمن عصيّا» أي: لا تطعه لأنّه عاص لله فنفره بهذه الصفة عن القبول منه، لأنّه أعظم الخصال المنفرة، واعلم أنّ إبراهيم عليه السلام لإمعانه في الإخلاص لم يذكر من جنايات الشيطان إلا كونه عاصيا لله و لم يذكر معاداته لآدم عليه السلام كأن النظر في عظم ما ارتكبه من ذلك العصيان عمن فكره وأطبق على ذهنه، وأيضا فإنّ معصية الله تعالى لا تصدر ومن كان كذلك كان حقيقا أن يلتفت إلى رأيه ولا يجعل لقوله وزن، فإن قيل إنّ هذا القول يتوقف على إثبات أمور: «أحدها» إثبات الصانع ،«وثانيها»إثبات الشيطان ،«وثالثها» إثبات أنّ الشيطان عاصي لله،«ورابعها» أنّه لما كان عاصيا لم تجز طاعته في شيء من الأشياء ،«وخامسها» أنّ الاعتقاد الذي كان عليه ذلك الإنسان كان مستفادا من طاعة الشيطان، ومن شأن الدلالة التي تورد على الخصم أن تكون مركّبة من مقدمات معلومة مسلمة، ولعلّ أبا إبراهيم كان منازعا في كلّ هذه المقدّسات، وكيف والممكن عنه أنّه ما كان يتبين إلها سوى نمرود فكيف يسلّم وجود الإله الرحمان وإذا لم يسلم وجوده، فكيف يمكنه تسليم أنّ الشيطان كان عاصيا للرّحمان، ثمّ إنّ على تسليم ذلك فكيف يسلم الخصم بمجرد هذا الكلام أنّ مذهبه مقتبس من الشيطان، بل لعلّه يقلب ذلك على خصمه قلنا الحجة المعول عليها في إبطال مذهب آزر هو الذي ذكره أولا من قوله :« لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا» فأمّا هذا الكلام فيجري مجرى التخويف والتحذير الذي يحمله على النظر في تلك الدلالة، وعلى هذا التقدير يسقط السؤال.

(النوع الرابع) قوله : « يا أبت إنّي أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان وليا»

قال الفرّاء: معنى أخاف أعلم ،والأكثرون على أنّه محمول على ظاهره، والقول الأول إنّما يصح لو كان إبراهيم عليه السلام عالما بأنّ أباه سيموت على ذلك الكفر وذلك لم يثبت فوجب إجراؤه على ظاهره فإنّه كان يجوز أن يؤمن فيصير من أهل التواب، ويجوز أن يصر فيموت على الكفر، فيكون من أهل العقاب ومن كان كذلك كان خائفا لا قاطعا، واعلم أنّ من يظن وصول الضرر إلى غيره فإنه لا يسمّى خائفا إلاّ إذا كان بحيث يلزم من وصول ذلك الضرر إليه تألم قلبه كما يقال أنا خائف على ولدي«[830]» .....

... قوله ـ تعالى ـ« قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك و اهجرني مليا »«[831]».

اعلم أنّ إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه إلى التوحيد، وذكر الدلالة على فساد عبادة الأوثان، وأردف تلك الدلالة بالوعظ و التبليغ، وأورد كل ذلك مقرون باللطف والرفق، قابله أبوه بجواب يضادّ ذلك، فقال حجته بالتقليد، فإنّه لم يذكر في مقابلة حجته إلاّ قوله: « أراغب أنت عن آلهتي » فأصرّ على ادّعاء إلهيتها جهلا وتقليدا وعظه بالسفاهة

[830] – انظر: التفسير الكبير : (مفاتيح الغيب)،ط 3،دت ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، د ت ، ج 21، ص 227.

[831] – سورة مريم: الآية 46.

حيث هدّده بالضرب والشتم وقابل رفقه في قوله يأبت بالعنف حيث لم يقل له يا بني ،بل قال :«يا إبراهيم» ،وإنّما حكى الله تعالى ذلك لمحمد ليخفّف على قلبه ما كان يصل إليه من أذى المشركين فيعلم أنّ الجهال منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة أمّا قوله :«أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم» فإذا كان ذلك على وجه الاستفهام فهو خذلان لأنّه قد عرف منه ما تكرر منه من وعظه وتنبيهه على الدلالة وهو يفيد أنّه راغب عن ذلك أشد رغبة، فما فائدة هذا القول، وإن كان ذلك على سبيل التعجب فأيّ تعجب في الإعراض عن حجته لا فائدة فيها، وإنّما التعجب كلّه من الإقدام على عبادتها فإنّ الدليل الذي ذكره إبراهيم عليه السلام كما أنّه يبطل جواز عبادتها فهو يفيد أنّ التعجب من أنّ العاقل كيف يرضى بعبادتها فكان أباه قابل ذلك التعجب الظاهر المبنى على الدليل بتعجب فاسد، غير مبنى على دليل و شبهة، ولا شك أنّ هذا التعجب جدير بأن يتعجب منه ...«[832]»

2 ـــ وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾ «[833]»

أخبرهم أنّه ما خسر على الله أحد فإنّ إبراهيم عليه السلام لما اعتزلهم في دينهم وفي بلدهم، واختار الهجرة إلى ربه حيث أمره لم يضره ذلك دينا ودنيا، بل نفعه فعوّضه أولادا

[832] – انظر: ج21، ص 228-229.

[833] – سورة مريم: الآية 49 – 50.

أنبياء ولا حالة في الدين والدنيا أرفع من أن يجعل الله له رسولا إلى خلقه ويلزم الخلق طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظم المنزلة في الآخرة فصار جعله تعالى إياهم أنبياء من أعظم النعم في الدنيا والآخرة، ثمّ بين تعالى أنه مع ذلك وهب لهم من رحمته أي وهب لهم مع النبوة ما وهب و يدخل فيه الجاه و المال والأتباع و النسل الطاهر والذرية الطيبة، ثمّ قال :«وجعلنا لهم لسان صدق عليا» ولسان الصدق الثناء الحسن ،وعبّر باللسان عمّا يوجد باللسان، كما عبّر باليد عمّا يعطى باليد وهو العطية واستجاب الله دعوته في قوله: «ووهبنا له إسحاق ويعقوب وكلاّ جعلنا نبيا»، وثانيها: أنّه تبرأ من أبيه في الله تعالى على ما قال :« فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم»«[834]».

لا جرم أنّ الله سمّاه أي للمسلمين، فقال: «ملة أبيكم إبراهيم» «[835]»،وثالثتها تلّ ولده للجبين ليذبحه على ما قال: «فلمّا أسلما وتلّه للجبين» «[836]»لا جرم فداه الله تعالى على ما قال :«وفديناه بذبح عظيم»«[837]»

ورابعها: أسلم نفسه فقال :«أسلمت لربّ العالمين»«[838]»، وخامسها أشفق على هذه الأمة فقال: «ربنا ابعث فيهم رسولا منهم»«[839]» لا جرم أشركه الله في الصلوات

[834] ـ سورة التوبة : الآية 114.
[835] ـ سورة الحج : الآية 78.
[836] ـ سورة الصافات : الآية 103.
[837] ـ سورة الصافات : الآية 107.
[838] ـ سورة البقرة : الآية 131.

الخمس، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم ،وسادسها في حق سارة في قوله: «و إبراهيم الذي وفى»«[840]» لا جرم جعل موطأ أقدميه مباركا «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»«[841]» عادى كل الخلق في الله فقال:«فإنهم عدو لي إلا رب العالمين»«[842]»

لا جرم اتخذه الله خليلا على ما قال: «و اتخذ الله إبراهيم خليلا»«[843]» فقال ليعلم صحة قولنا أنّه ما خسر على الله أحد«[844]».

3 ـــ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ «[845]»

قال الإمام الرازي ـ رحمه الله ـ :«لما بيّن الله حال الشاكرين لنعمه بذكر دواد وسليمان بيّن حال أهل سبأ، وفي سبأ قراءتان بالفتح على أنّه اسم بقعة وبالجر مع التنوين على أنّه اسم قبيلة وهو الأظهر، لأنّ الله جعل الآية لسبأ والفاهم هو العاقل لا المكان فلا يحتاج إلى إضمار والأهل وقوله :«الآية» أي من فضل ربهم، ثمّ بيّنها بذكر بدله بقوله: «جنتان عن

---

[839] ـ سورة البقرة : الآية 129.

[840] ـ سورة النّجم : الآية 37.

[841] ـ سورة البقرة: الآية 125.

[842] ـ سورة الشعراء: الآية 77.

[843] ـ سورة النساء : الآية 125.

[844] – انظر: ج21، ص 231

[845] – سورة سبأ: الآية 15.

يمين وشمال» قال الزمخشري أية آيتين في جنتين، مع أنّ بلد العراق فيها آلاف من الجنان وأجاب بأنّ المراد لكلّ واحد جنتان، أولمن يمين بلدهم وشمالها جماعات من الجنات، ولاتصال بعضها ببعض جعلها جنة واحدة.

قوله: «كلوا من رزق ربكم» إشارة إلى تكميل النعم عليهم حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض، و قوله: «فاشكروا له» بيان أيضا لكمال النعمة فإنّ الشكر لا يطلب إلاّ على النعمة المعتبرة، ثمّ بيّن حالهم في مساكنهم وبساتينهم وأكلهم أتمّ بيان النعمة بأن بيّن أن لا تبعة في المال في الدنيا، فقال: «بلدة طيبة »أي طاهرة من المؤذيات لا حيّة فيها ولا عقرب ولا وباء ولا وخم، و قال :«و رب غفور» أي: لا عقاب عليه ولا عذاب في الآخرة، فعند هذا بان كمال النعمة حيث كانت لذة حاليّة خالية من المفاسد المآلية ،ثمّ إنّه لما بيّن تعالى ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم فقال: ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ «[846]»

فبيّن كمال ظلمهم بالإعراض بعد إبانة الآية كما قال تعالى:« ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها»«[847]»، ثمّ بيّن كيفية الانتقام منهم كما قال :« إنّا من المجرمين منتقمون»«[848]» وكيفية أنّه تعالى أرسل عليهم سيلا أغرق أموالهم وخرّب دورهم، و في العرم وجوه: «أحدها» أنّه الجرذ الذي سبّب خراب السكر وذلك من حيث أنّ بلقيس كانت قد عمدت إلى جبال بينها

[846] – سورة سبأ: الآية 16 ـ 17

[847] ـ سورة السّجدة : الآية 22 .

[848] ـ سورة السّجدة: الآية 22.

شعب فصدّت الشعب حتّى كانت مياه الأمطار، والعيون تجتمع فيها وتصير كالبحر وجعلت لها أبوابا ثلاثة مرتبة بعضها بعد بعض، فنقب الجرد السكر، وخرب السكر بسببه وانقلب البحر عليهم «ثانيها»: أنّ العرم اسم الماء وقوله :«وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط» بيّن به دوام الخراب، وذلك لأنّ البساتين التي فيها الناس يكون فيها الفواكه الطيبة بسبب العمارة فإذا تركت سنين تصير كالغيضة والأجمة تلتف الأشجار بعضها ببعض وتثبت المفسدات فيها فتقتل الثمار وتكثر الأشجار، و الخمط كلّ شجرة لها شوك، أو كلّ شجرة ثمرتها مرة، أوكلّ شجرة ثمرتها لا تؤكل، والأثل نوع من الطرفاء، ولا يكون عليه ثمرة إلاّ في بعض الأوقات، يكون عليه شيء كالخمص، أو أصغر منه طعمه وطبعه، والسدر معروف وقال فيه قليل لأنّه كأحسن أشجارهم فقلّله الله، ثمّ بيّن الله أنّ ذلك كان مجازاة لهم على كفرانهم فقال:« ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور» قال بعضهم المجازاة تقال في النّقمة و الجزاء في النعمة لكن قوله تعالى : «ذلك جزيناهم بما كفروا» يدلّ على أنّ الجزاء يستعمل في النقمة، ولعلّ من قال ذلك أخذه من أنّ المجازاة مفاعلة وهي في أكثر الأمر تكون بين اثنين، يؤخذ من كلّ واحد جزاء في حقّ الآخر، وفي النعمة لا تكون مجازاة لأنّ الله تعالى مبتدئ النعم. وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ «[849]».

848 ـ سورة سبأ: الآية 18.

أي: بينهم وبين الشام فإنّها البقعة المباركة، وقرى ظاهرة أي يظهر بعضها لبعض يرى سواد القرية من القرية الأخرى، فإن قال قائل: هذه النّعم والله تعالى قد شرع في بيان تبديل نعمهم بقوله :«وبدلناهم بجنتهم...» فكيف عاد مرة أخرى إلى بيان النّعمة بعد النقمة فتقول بيّن حال نفس بلدهم وبيّن تبديل ذلك الخمط ،والأثل، ثمّ ذكر حالهم خارج بلدهم وذكر عمارتهم بكثرة القرى، ثمّ ذكر تبديله ذلك بالمغاور والبيادى والبراري بقوله:« ربنا باعد بين أسفارنا» وقد فعل ذلك، ويدلّ عليه قراءة من قرأ ربّنا بعّد على المبتدأ والخبر، فلما كان بين كل قرية مسيرة نصف نهار، فكانوا يغدون إلى القرية ويرحون إلى أخرى ما أمكن في العرف تجاوزها فهذا هو المراد بالتقدير والمغاور لا يتقدّر السّير فيها ،بل يسير السائر فيها بقدر الطاقة جادا حتى يقطعها...

«قالوا ربّنا باعد بيّن أسفارنا»قيل :أنّهم طلبوا ذلك وهو يحتمل وجهين: «أحدها» أن يسألوا بطرا كما طلبت اليهود الثوم والبصل ،ويحتمل أن يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدّة اعتمادهم على أنّ ذلك لا يقدّر كما نقول القائل لغيره اضربني إشارة إلى أنّه لا يقدر عليه، ويمكن أن يقال: «قالوا ربنا باعد» بلسان الحال أي: لما كفروا فقد طلبوا أن يبعد بين أسفارهم و يخرّب المعمور من ديارهم، وقوله: «وظلموا أنفسهم» أي فعلنا بهم ما جعلناهم به مثلا، يقال تفرقوا أي سبأ، وقوله: «ومزّقناهم كلّ ممزق» بيان لجعلهم

أحاديث «إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبار شكور» أي فيما ذكرناه من حال الشاكرين ووبال الكافرين»«[850]».

4ـ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ «[851]».

قال ـ رحمه الله ـ:« اعلم أنّ النص القرآني يدل على أنّ قارون كان من قوم موسى عليه السلام، وظاهر ذلك يدلّ على أنّه كان ممن قد آمن به ولا يبعد أيضا حمله على القرابة، قال الكلبي:إنّه كان بن عم موسى عليه السلام لأنّه كان قارون بن يصهر بن هافث بن لوى ،وموسى بن عمران بن قاهث بن لوى، وقارون بن يصهر بن قاهث، وعن ابن عباس أنّه كان ابن خالته، ثمّ قيل إنّه كان يسمى المنور لحسن صورته، وكان أقرأ بني إسرائيل للتّوراة إلاّ أنّه نافق كما نافق السامري.

[850] – انظر: تفسير الفخر الرازي: مفاتيح الغيب، ج25،ص 251- 254.

[851] – سورة القصص: الآيات 76-78.

أمّا قوله : «فبغى عليهم» ففيه وجوه «أحدها» أنّه بغى بسبب ماله وبغيه أنّه استخف بالفقراء ،ولم يرع لهم حق الإيمان ولا عظّمهم مع كثرة أمواله «والثاني» أنّه من الظلم، قيل ملّكه فرعون على بني إسرائيل (فضلهم «الثالث» قال القفّال: بغى عليهم أي طلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت يده «الرابع» قال الضحاك : طغى عليهم واستطال عليهم فلم يوفقهم في أمر « الخامس»: قال ابن عباس تجبّر وتكبّر وسخط عليهم (السادس) قال شهر بن حوشب: بغيه عليهم أنّه زاد عليهم في الثياب شبرا وهذا يعود إلى التكبّر

(السابع) قال الكلبي: بغيه عليهم أنّه حسد هارون على الحبوة، محضت له النبوة و الحبوة ،وكان صاحب القربان، وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك في نفسه شيء فقال: يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبوة، و لست في شيء لا أصبر أنا على هذا، فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهارون ،ولكنّ الله جعله له فقال:« والله لا أصدّقك أبدا حتى تأتيني بآية أعرف بها أن الله جعل ذلك لهارون، قال فأمر موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل أن يأتي يجئ له رجل منهم بعصاه، فجاءوا بها فألقاها موسى عليه السلام فرتبة له وكان ذلك بأمر الله تعالى، فدعا ربّه أن يريهم ذلك، فباتوا يحرسون عصيهم فأصبحت عصا هارون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون أما ترى ما صنع الله لهارون؟ فقال: و الله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ،فاعتزل قارون ومعه ناس كثر، وولى هارون الحبورة والمذبح والقربان، فكان بنو إسرائيل يأتون

بهداياهم إلى هارون فيصفها في المذبح، وتنزل النار من السماء فتأكلها، واعتزل قارون بأتباعه وكان كثير المال والتبّع من بني إسرائيل، فما كان يأتي موسى عليه السلام ولا يحاسبه، وروى أبو أمامة الباهلي أنّ النبي صلى الله عليه و سلم قال: «كان قارون من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله تعالى».

قوله:«وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتيحه لتنؤ بالعصبة أولي القوة» ففيه أبحاث:

«الأول »قال الكعبيّ: ألستم تقولون إنّ الله لا يعطي الحرام، فكيف أضاف الله مال قارون لنفسه «وآتيناه»؟ وأجاب بأنّه لا حجة في أنّه كان حراما، أووصل إليه، و يجوز أنّ من تقدّمه من الملوك جمعوا وكثروا فظفر قارون بذلك، وكان هذا الظفر طريق التملك...

« البحث الثاني» المفاتيح جمع مفتح بكسر الميم وهو ما يفتح به، و قيل: هي الخزائن وقياس واحدها مفتح بفتح الميم، و يقال ناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله، والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها، فالعشرة عصبة بدليل قوله تعالى :«و نحن عصبة» وكانوا عشرة لأنّ يوسف وأخاه لم يكون معهم.

إذا المفاتيح عرفت معنى الألفاظ فنقول: هاهنا قولان :«أحدهما» أنّ المراد بالمفاتيح وهي التي يفتح بها الباب، قالوا كانت مفاتيحه من جلود الإبل، وكل مفتاح مثل أصبع، وكان لكلّ خزانة مفتاح، وكان إذا ركب قارون حملت المفاتيح على ستين بغلا، ومن النّاس من طعن في هذا القول من جهتين«الأول» أنّ مال الرجل الواحد لا يبلغ هذا المبلغ، ولو أن

قدرّنا بلدة مملوءة من الذهب والجواهر لكفاهما أعدادا قليلة من المفاتيح، فأيّ حاجة إلى تكثير هذه المفاتيح «الثاني» أنّ الكنوز هي الأموال المدّخرة في الأرض، فلا يجوز أن يكون لها مفاتيح «والجواب عن الأول» أنّ المال إذا كان من نفس العروض، لا من جنس النقد جاز أن يبلغ في الكثرة إلى هذا الحد ...

... وعن «الثاني» أنّ ظاهر الكنز وإن كان من جهة العرف ما قالوا فقد يقع على المال المجموع في المواضيع التي عليها أغلاف «القول الثاني» وهو اختيار ابن عباس والحسن أن تحمل المفاتيح على نفس المال وهذا أبين و عن الشبهة أبعد، قال ابن عباس كانت خزائنه يحملها أربعون رجلا أقوياء، وكانت خزائنه أربعمائة آلاف فيحمل كل رجل عشرة آلاف «القول الثالث»و هو اختيار أبي مسلم: أنّ المراد من المفاتيح العلم والإحاطة كفر له «و عنده مفاتيح الغيب»و المراد آتيناه من الكنوز ما عن حفظها والإطّلاع عليها ليثقل على العصبة أولي القوة والهداية أي هذه الكنوز لكثرتها و اختلاف أصنافها تتحبب حفظتها والقائمين عليها أن يحفظوها،ثمّ إنه تعالى بيّن أنّه كان من قومه من وعظه بأمور «أحدها» قوله:« لا تفرح إنّ الله لا يحب الفرحين»

والمراد أن لا يلحقه من البطر والتمسك بالدنيا إلاّ من رضي بها و اطمأن إليها ... قال ابن عباس: كان فرحه ذلك شركا، لأنه ما كان يخاف معه عقوبة الله تعالى «و ثانيها» قوله: « وابتغ فيما آتاك الله الدّار الآخرة» والظاهر أنّه كان مقرا بالآخرة، والمراد أن يصرف المال إلى ما يؤديه إلى الجنة ويسلك طريقة التواضع «وثالثها» قوله:« ولا تنس

نصيبك من الدنيا...» « ورابعها» قوله: « وأحسن كما أحسن الله إليك» لما أمره بالإحسان بالمال أمره بالإحسان مطلقا، ويدخل فيه الإعانة بالمال والجاه وطلاقة الوجه وحسن الذكر، وإنّما قال: «كما أحسن الله إليك» تنبيها على قوله :«لئن شكرتم لأزيدنكم»«[852]» و خامسها قوله: «ولا تبغ الفساد في الأرض» والمراد ما كان عليه من الظلم والبغي، وقيل إنّ هذا القائل هو موسى عليه السلام، وقال آخر بل مؤمنوا قومه وكيف كان فقد جمع في هذا الوعد ما لو قبل لم يكن عليه مزيد، لكنّه أبى أن يقبل ،بل زاد عليه بكفر النعمة فقال :«إنما أوتيته على علم عندي» ، ثم أجاب الله عن كلامه بقوله: «أولم يعلم أنّ الله قد أهلك قبله من القرون من هو أشدّ منه قوة وأكثر جمعا و لا يسئل عن ذنوبهم المجرمون»

وفيه وجهان : «الأول»: يجوز أن يكون هذا إثباتا لعلمه بأنّ الله تعالى قد أهلك قبله من القرون من هو أقوى منه و أغنى لأنّه قد قرأ في التوراة وأخبر به موسى عليه السلام وسمعه من حفاظ التواريخ كأنّه قيل له: أولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتّى لا يغترّ بكثرة ماله و قوله :«الثاني»يجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك كأنّه لما قال أوتيته على علم عندي فتّصف بالعلم وتعظّم به، قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادّعاه، و رأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم حتّى يقي نفسه مصارع الهالكين...

[852] ـ سورة إبراهيم : الآية 7.

قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾.«[853]»

أمّا قوله: « فخرج على قومه في زينته» فيدلّ على أنّه خرج بأظهر زينة وأكملها و ليس في القرآن إلاّ هذا القدر، إلاّ أنّ الناس ذكروا وجوها مختلفة في كيفية تلك الزينة، قال مقاتل :خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف فارس عليها الخيول وعليها الثياب الأرجوانية ومعه ثلاثة مائة جارية بيض عليهنّ الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب، وقال بعضهم، بل خرج في تسعين ألفا هكذا، وقال آخرون بل على ثلاثة مائة، والأولى ترك هذه التّقريرات لأنّها متعارضة، ثمّ إنّ الناس لما رأوه على تلك الزينة قال من كان منهم يرغب في الدنيا «ياليت لنا مثل ما أوتي قارون» من هذه الأمور والأموال، والرّاغبون يحتمل أن يكونوا من الكفار وأن يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا وأمّا العلماء وأهل الدين فقالوا للذين تمنّوا هذا ويلكم ثواب الله خير لكم من هذه النّعم لأنّ الثواب منافع عظيمة وخالصة عن شوائب المضار ودائمة، وهذه النّعم العاجلة على الضّدّ من هذه الصفات، وهذه النّعم العاجلة على الضدد من هذه الصفات الثلاث، قال

[853] ـ سورة القصص : الآيتان 79 ـ 80 .

صاحب الكشاف ويلك أصله الدعاء بالهلاك، ثمّ استعمل في الزّجر والرّدع والبعث على ترك ما لا يرتضى»«[854]».

المبحث الثالث : الإمام البيضاوي ومنهجه في تناول القصص القرءاني من خلال تفسيره :أنوار التنزيل و أسرار التأويل .

المطلب الأول : التعريف بالمفسر

هو القاضي الإمام العلاّمة ناصر الدين عبد الله بن عمر الشيرازي قاضيها وعالمها، وعالم أذربيجان وتلك النواحي، مات بتبريز سنة خمس وثمانين وستمائة، ومن مصنفاته المناهج في أصول الفقه وهو مشهور، وقد شرحه غير واحد، وله شرح التنبيه في أربع مجلدات، وله «الغاية القصوى في دراية التقوى»، «وشرح المنتخب»، «والكفاية في المنطق»، وله« الطوالع» ، «وشرح المحصول» ، وله غيرها من التّصانيف المفيدة، وقد أوصى إلى القطب الشيرازي أن يدفن بجانبه بتبريز، والله سبحانه أعلم» «[855]».

المطلب الثاني: منهج الإمام البيضاوي في تفسيره

ذكر الإمام البيضاوي في مقدمة تفسيره دواعي تأليف هذا الكتاب ،وأبان عن منهجه فيه، فقال :« ولطالما أحدّث نفسي بأن أصنّف في هذا الفن ــ التفسير ــ كتابا يحتوي على

---

[854] ــ انظر: مفاتيح الغيب ، ج25 ، ص 16 ـ 17 .

[855] – انظر: البداية و النهاية، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير، ط1، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر للطباعة و النشر و الإعلان، 1417هـ 1997 م، ج17، ص 606.

صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة، و علماء التابعين و من قدمهم من السلف الصالحين، وينطوى على نكات بارعة، ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحقّقين، ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المغربة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القرّاء المعتبرين، إلاّ أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام، حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمّم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل.«[856]»

وإذا ما جئنا نستبين ملامح منهجه ونستشف طريقته في مؤلّفه هذا فإنّنا نلاحظ جملة من النقاط:

- تفسير الإمام البيضاوي يعدّ من قبل التفاسير التي سلك فيها أربابها منهجا وسطا بقصد وضع تفسير متوسط غير مخل بالغرض واجتناب التطويل الذي لا يحصل معه القارئ على طائل.

- جرى الإمام البيضاوي في تفسيره على مقتضى قواعد اللغة العربية في استنباط وجوه التنزيل مع تضمينه لأقوال الصحابة و التابعين في الآيات التي ورد عنهم تفسير لها، مع عنايته الفائقة واهتمامه البالغ بإبراز الصور البيانية والإشارة إلى النكت البلاغية، فتفسيره يعد موردا للتفسير البياني للقرآن الكريم.

[856] - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو الخير البيضاوي الشافعي، د ط ، دار الفكر ، 1402 هـ ـ 1982، ج 1 ، ص

– إشارته إلى القراءات القرآنية متواترها وشاذّها مع توجيهه لها، والإشارة إلى المسائل النحوية بطريقة مختصرة ،وفي تناوله لآيات الأحكام يظهر تأثره بمذهب الإمام الشافعي وانتصاره له في كم من موضع من آيات الأحكام.

– إشارته إلى بعض المباحث العقدية وإيراده مذهب الأشاعرة والرّد على المعتزلة.

– إقلاله من إيراد الإسرائيليات وتصدير الرواية عادة بصيغة التمريض كروي، وقيل، غير أنّه اعترض عليه في إيراده لبعض الأحاديث الضعيفة وحتّى الموضوعة فيما يتعلق بفضائل السور ،وقد حذا في هذا الأمر حذو الإمام الزّمخشري ــ رحمه الله ــ و حاول بعض المتأخرين الاعتذار له بكونه ممّا صفت مشاربه وممّن تعرض لنفحات الله فكان يعرض عن إيراد أسباب الجرح و التعديل وكأنّ المقام مقام ترغيب، وتذكير على أنّه لا يمكن أن يسلّم له بالعذر بهذه الحجج، التي تتعارض مع طبيعة التعامل مع النص القرآني، بالرّغم من مكانة الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ وسعة علمه إلاّ أنّه تساهل في هذه الناحية.

اختصر الإمام البيضاوي تفسيره من تفسيرين :

الأول: الكشاف للإمام الزمخشري، وظهر تأثّره به واضحا وجليا في المسائل البلاغية والنّحوية والمسائل الاعتزالية، ومناقشته للإمام الزمخشري.

الثاني: مفاتيح الغيب للإمام الرازي ،وظهر تأثره به عند تعرضه للآيات الكونية ومباحث الطبيعة«[857]».

وفي الحقيقة أنّ هذا التفسير لقي قبولا عند الخاصة والعامة وحظي بالثناء الجليل من فطاحلة العلماء المفسرين واهتموا به وعلّقوا عليه حوا شي كثيرة نيّفت عن الأربعين ،ويستحسن إيراد بعض أقوال العلماء في هذا التفسير: قال الإمام السيوطي – رحمه الله – «و إنّ القاضي ناصر الدين البيضاوي لخّص هذا الكتاب فأجاد، وأتى بكلّ مستجاد، وحاز فيه أماكن الاعتزال، وطرح موضوع الدسائس وأزال، وحرّر مهمات، واستدرك تتمّات، فظهر كأنّه سبيكة نضّار واشتهار الشمس في رائعة النهار، وعكف عليه العاكفون، ولهج بذكر محاسنه الواصفون، وذاق طعم دقائقه العارفون، فأكبّ عليه العلماء تدريا ومطالعة، و بادروا إلى تلقيه بالقبول رغبة فيه ومسارعة» «[858]».

[857] – ملخص من كتاب التفسير و المفسرون: محمد حسين الذهبي ج1، ص 213-214.

[858] – نقلا: من كتاب التفسير والمفسرون ،محمد حسين الذهبي ، ج 1 ، ص 214.

المطلب الثالث:نماذج من تفسير الإمام البيضاوي للقصص القرآني

1-قال في تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾«[859] »

قال ـ رحمه الله ـ :«و إلى ثمود قبيلة أخرى من العرب سمّوا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عاد بن إرم سام بن نوح ،وقيل سمّوا به لقلة ما لهم من الثمر وهو الماء القليل ،وقرئ مصروفا بتأويل الحي وباعتبار الأصل ،وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى« أخاهم صالحا» صالح ابن عبيد بن آسف بن ماشخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود« قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم» معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي ،وقوله:« هذه ناقة الله لكم »إستئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الإشارة ولكم بيان لمن هم له آية و يجوز أن تكون ناقة الله بدلا، أو عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية وإضافة الناقة إلى الله تعظيما لها، أو لأنّها جاءت من عند الله بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية« فذروها تأكل في أرض الله»

[859] – سورة الأعراف:الآيتان 73-74.

العشب، «ولا تمسوها بسوء» نهى المسّ الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء لجامع أنواع الأذى مبالغة في الأمر وإزاحة للعذر ،«فيأخذكم عذاب أليم» جواب للنهي،«واذكروا إذا جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض» أرض الحجر،« تتخذون من سهولها قصورا» أي تبنون في سهولها ،أومن سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن بالأشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة ،أو المفعول على أنّ التقدير بيوتا من الجبال، أو تنحتون بمعنى تتخذون« فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا...» عن الإيمان من قومه للذين استضعفوا أي: الذين استضعفوهم واستذلّوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل إن كان الضمير لقومه وبدل البعض إن كان للذين ، وقرأ ابن عامر و قال الملأ بالواو «أتعلمون أنّ صالحا مرسل من ربه» قالوه على الاستهزاء. «قالوا إنّا بما أرسل به مؤمنون» عدلوا به عن الجواب السوء الذي هو نعم تنبيها على أنّ إرساله أظهر من أن نكفر فلذلك قال:« قال الذين استكبروا إنّ بالذي آمنتم به كافرون» على وجه المقابلة ،ووضعوا آمنتم موضع أرسل به ردّا لما جعلوه معلوما مسلّما «فعقروها» الناقة فنحروها أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للمغالبة ،أولأنّه كار رضاهم، «وعتوا عن أمر ربهم» واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلّغهم صالح عليه السلام بقوله: فذروها ،«وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة». الزلزلة «فأصبحوا في دارهم جاثمين» خامدين ميّتين، روى أنّه من بعد عاد عمّروا بلادهم أعمارا طوالا لا تفي بها الأبنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا

وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأصنام فبعث الله إليهم صالحا من أشرافهم فسألوه آية فقال: آية الله تريدون قالوا: اخرج معنا إلى عيد فتدعوا إلهك وند عوا آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ،ثمّ أشار سيدهم خبذع بن عمرو إلى صخرة منفردة يقال لها الكاتبة وقال: نعم صدّقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنوا فقالوا: نعم فصلّى ودعا ربه فتمّخضت الصخرة ،وتمخض النوتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشيراء جوفاء وبراء كما وصفوا، وهم ينظرون، ثمّ نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن خبذع في جماعة ومنع الباقين من الإيمان ذواب بن عمر والخباب صاحب أوتادهم ورباب بن صهر كاهنهم فامكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها، ثمّ تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويذّخرون، وكانت تصنيف يظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتوا ببطنه فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشقّ ذلك عليهم و زيّنت لهم عنيزة أن غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سبقها جبلا اسمه قارة زغتلاثا فقال لهم صالح :أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عليكم العذاب فلم يقدروا عليه إذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلوها فقال لهم صالح: تصبح وجوهكم غدا صفرة وبعد غد محمّرة واليوم الثالث مسودّة، ثمّ يصبحكم العذاب فلمّا رأو العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنّطوا وتكتّفوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من

السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا «فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين»«[860]».

ظاهره أنّ توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر و قال: إنّ وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وذكر ذلك على سبيل التحسّر عليهم»«[861]».

2 ــ قال في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ «[862]»

قال – رحمه الله – الرسول من بعثه الله بشرعة محدّدة يدعون الناس إليها والنبي يعمه ،ومن يبعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام، ولذلك شبّه النبي عليه السلام علماء أمته بهم فإن (النبي صلى الله عليه و سلم) أعمّ من

[860] – سورة الأعراف:الآية 79.

[861] – انظر: أنوار التنزيل و أسرار التأويل: أبو الخير عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، ، ص 211-212.

[862] – سورة الحج: الآية 52-53.

الرسول، ويدل عليه أنّه عليه الصلاة والسلام سئل عن الأنبياء فقال:« مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ، قيل فكم الرسل قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمعا»«[863]»، وقيل: الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا منزّلا عليه ،والنبي غير الرسول وهو من لا كتاب له ،وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي ،والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام ،« إلاّ إذا تمنّى» إذا زوّر في نفسه ما يهواه « ألقى الشيطان في أمنيته» في تشّهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه و سلم: «إنّه ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»«[864]»، « فينسخ الله ما يلقي الشيطان» فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون إليه والإرشاد إلى ما يزيحه، ثمّ يثبت آياته الداعية إلى الاستغراق في أمر الآخرة والله عليم بأحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم، قيل: حدّث نفسه بزوال المسكنة فنزلت، وقيل: تمنّى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقرّبهم إليه واستمرّ به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلمّا بلغ ومناة الثالثة الأخرى وسوس إليه الشيطان حتّى سبق لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهم لترتجى ففرح به المشركون حتّى شايعوه بالسجود لما سجدوا في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلاّ سجد» ثمّ نبّهه جبرائيل فاغتمّ بها فعزّاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحقّقين وإن صح فابتلاء

862 ـ لم أقف على تخريجه .

[864] ـ رواه مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، رقم 2702، ج 9 ، ص29.

يتميز به الثابت عن الإيمان من المنزلة فيه، وقيل: تمنّى بمعنى قرأ لقوله: تمنى كتاب الله أول ليلة، فتمنّى د واد الزّبور على رسل، فأمنيته قراءته ،وإلقاء الشيطان فيها أن تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظنّ السامعون أنّه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ،و قد ردّ بأن أيضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي السهو على الأنبياء وتطرّق الوسوسة إليهم، «ليجعل ما يلقي الشيطان» علة لتمكين الشيطان منه، وذلك يدلّ على أنّ الملقى أمر ظاهر عرفه المحق والمبطل»«[865]».

3ـقال في تفسير قوله –تعالى–﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ «[866]».

أي :وأرسلنا إليهم، وهم أولاد مدين بن إبراهيم بن شعيب بن مكيل بن يشحر بن مدين، وكان يقال: له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته لقومه ،«قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم» يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن إنّها ما هي ؟،وما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام وولادة الغنم التي دفع إليها الدرع خاصة وكانت المولودة له من أولادها، ووقوع عصا آدم على يده في المرّات السبع فمتأخر

[865] – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج1، ص 447.

[866] – سورة الأعراف: الآية 85.

عن هذه المقاولة، ويحتمل أن تكون كرامة لموسى وإرهاصا لنبوته، « فأوفوا الكيل» أي :آلة الكيل على الإضمار، أوإطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله: والميزان كما قال في سورة هود« فأوفوا الكيل» ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد «ولا تبخسوا الناس أشياءهم» ولا تنقصوهم حقوقهم، وإنّما قال أشياءهم للتّعميم تنبيها على أنّهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير ،وقيل: كانوا مكّاسين لا يدعون شيئا إلاّ مكسوه، «ولا تفسدوا في الأرض »بالكفر والحين «بعد إصلاحها»، بعدما أصلح أمها وأهلها الأنبياء واتّباعهم بالشرائع، أو أصلحوا فيها والإضافة فيها كالإضافة في بل مكر الليل والنهار «ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين» إشارة إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه، ومعنى الخيرية إمّا الزيادة مطلقا وفي الإنسانية وحسن الأوحدثة وجمع المال»«[867]».

« ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله ...»«[868]»

وقال ـ رحمه الله ـ: بكلّ طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وإن كان واحد لكنّه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام ،وكانوا إذا رأو أحدا يسعى في شيء منها منعوه، وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون: لمن يريد شعيبا إنّه كذّاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به ،وقيل :كانوا يقطعون الطريق، «و تصدون عن سبيل الله» يعني

[867] – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي، ص 213.

[868] – الأعراف: الآية 86.

الـذين قعـدوا عليـه فوضـع الظـاهر موضـع المضـمر بيانـا لكـلّ صـراط ودلالـة علـى عظـم مـا يصـدون عنـه، وتقبيحـا لمـا كـانوا عليـه، أو الإيمـان بـالله «لمـن آمـن بـه) أي بـالله وبكـلّ صـراط علـى الأول ومـن مفعـول تصـدون علـى إعمـال الأقـرب ولـو كـان مفعـول توعـدون لقـال: وتصـدونهم وتوعـدون بمـا عطـف عليـه في موقـع الحـال مـن الضـمير في تقعـدوا، و«تبغونهـا عوجـا» وتطلبـون لسـبيل الله عوجـا بإلقـاء الشـبه، ووصـفها النـاس بأنّهـا معوجـة، «واذكـروا إذ كنـتم قلـيلا»، عـددكم، أو عـددكم فكثّـركم بالبركـة في النّسـل والمـال، «وانظـروا كيـف كـان عاقبـة المفسـدين» مـن الأمـم قـبلكم واعتـبروهم ،«وإن كـان طائفـة مـنكم آمنـوا بالـذي أرسـلت بـه وطائفـة لم يؤمنـوا فاصـبروا حـتى يحكـم الله بيننـا» أي: بـين الفـريقين بنصـر المحقـين علـى المبطلـين فهـو وعـد للمـؤمنين ووعيـد للكـافرين، « وهـو خـير الحـاكمين»إذ لا معقـب لحكمـه ولا حيـث فيـه «قـال الملأ الـذين استكبروا مـن قومـه لنخرجنـك يـا شـعيب والـذين آمنـوا معـك مـن قريتنـا أو لتعـودن في ملتنـا» أي: لا يكـونّن أحـد الأمـرين ،إمّـا إخـراجكم مـن القريـة أو عـودكم في الكفـر وشـعيب عليـه السـلام لم يكـن في ملّـتهم قـط فخوطبـوا هـو وقومـه بخطـابهم فلـذلك أجـرى الجـواب في قولـه: «أو لـو كنـا كـارهين» أي: كيـف نعـود فيهـا ونحـن كـارهون لهـا، أو تعيـدنا ونحـن في حـال كراهتنـا «قـد افترينـا علـى الله كـذبا إن عـدنا في ملـتكم بعـد إذ نجانـا الله منهـا» شـرط لجوابـه محـذوف دليلـه قـد افترينـا ، وهـو بمعـنى المسـتقبل لأنّـه لم يقـع لكنّـه جعـل كـالواقع للمبالغـة وأدخـل عليـه قـد لتقريبـه مـن الحـال أي قـد افترينـا الآن إن هممنـا بـالعود بعـد الخـلاص منهـا حيـث نـزعم أنّ لله تعـالى نـدا أو أنّـه قـد تبـين لنـا مـا كنّـا عليـه

باطل وما أنتم عليه حق، وقيل: إنّه جواب فسّر تقديره: و الله لقد افترينا ،وما يكون لنا وما يصح لنا أن نعوذ فيها إلا أن يشاء الله ربنا خذلا لنا وارتدادنا، وفيه دليل على أنّ الكفر بمشيئته، وقيل أراد حسم إطماعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون «وسع ربنا كل شيء علما» أي: أحاط علمه بكل شيء مما كان وممّا يكون منّا ومنكم«على الله توكلنا»في أن يثبّتنا على الإيمان و يخلّصنا من الأشرار، «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق» احكم بيننا وبينهم و تميز الحق من المبطل من فتح المشكل إذ بيّنه ،«وأنت خير الفاتحين» على المغيبين، «و قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا» و تركتم دينكم إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالة بهداكم، أو لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف، و هو سادّ مسدّ جواب الشرط والقسم الموطأ باللام «فأخذتهم الرّجفة» الزلزلة، وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة، ولعلّها كانت من مبادئها «فأصبحوا في دارهم جاثمين» في مدينتهم «الذين كذّبوا شعيبا» مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها أي :استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل، «الذين كذّبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين» دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتّبعوه كما زعموا فإنّهم الرابحون في الدّارين وللتّنبيه على هذا والمبالغة فيه كرّر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) قاله تأسّفا بهم لشدة حزنه عليهم، ثمّ أنكر على نفسه فقال: «فكيف آسى على قوم كافرين» ليسوا أهلا للحزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم، وقاله

اعتذرا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق فلم تصدّقوا قولي فكيف آسى عليكم، وقرئ آسى بإمالتين»«[869]».

المبحث الرّابع :منهج الإمام النسفي في تأويل القصص القرآني

المطلب الأول: التعريف بالإمام النّسفي

هو الإمام الفقيه المتكلم الأصولي المفسر حافظ الدين عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي أبو البركات أحد الزهاد العلماء العاملين ،ولد سنة ستمائة وثلاثون هجرية، نشأ وترعرع في بخارى وهي في ذلك الوقت حاضرة العلم عامرة بالأئمة والشيوخ، فتعلم في مدارسها ونهل من علوم مشايخها، فتخرج عن جماعة منهم:

شمس الأئمة الكردي الحنفي خواهر زاده ،وبدر الدين محمود بن عبد الكريم الكردي،وحميد الدين الضرير البخاري الحنفي ،وأحمد بن محمد بن عمر العنّابي زاهد الدين أبو نصر البخاري الحنفي المتوفي سنة 586 هـ، كما تخرّج عليه جماعة من الطلاب كالسّاعاتي أحمد بن علي بن ثعلب بن أبي الضياء البعلبكي البغدادي الأصل والمنشأ،والإمام السغناقي الحسين بن علي بن حجاج، وقد أثرى الإمام النسفي – رحمه الله – تعالى المكتبة الإسلامية بجملة من المؤلفات وصل بعضها إلينا والبعض الآخر يعدّ في عداد المفقود. فمن تصانيفه: تفسيره : مدارك التنزيل وحقائق التأويل، واشتهر باسم :تفسير النسفي ،و

[869] – انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ج ص 314 – 315.

عمدة العقائد، والاعتماد شرح العمدة ،منار الأنوار في أصول الفقه ،كشف الأسرار شرح المنار ،وكنز الدقائق في الفقه ،الوافي في فروع الفقه الحنفي،والكافي في شرح الوافي ،توفي سنة إحدى وسبعمائة من الهجرة«[870]».

المطلب الثاني :منهجه العام في تفسيره

عمد الإمام النسفي في تفسيره إلى اختصار تفسير الإمام البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»و الكشّاف للإمام الزمخشري بعد تخليصه وتطهيره من الاعتزال.

-تفسيره من قبل التفاسير المتوسطة المختصرة،توسطا لا يبلغ حد الإخلال بمقصوده من تفسيره.

- تفسيره من قبيل التفسير بالرأي المحمود الذي عني فيه بإيراد وجوه الإعراب والتّنبيه على القراءات القرآنية وتوجيهها مع الاعتناء البالغ والاهتمام الكبير بالنكت البيانية والمسائل البلاغية مقلّدا الإمام الزمخشري في كشّافه والبيضاوي في أسراره.

- تصنيف تفسيره ضمن تفاسير أصحاب الرأي لا يعني إغفاله للتفسير بالمأثور، فقد اعتنى بجانب تفسير القرآن بالقرآن والسنّة وأقوال الصحابة والتّابعين، لكنّه لم يكن مكثرا من ذلك، بل كان مقلا من هذا الجانب.

[870] – انظر: ترجمة: الدرر الكامنة في أعيان المائة و الثامنة: ابن حجر العسقلاني،ج2، ص 247، ، والأعلام: الزركلي،ج4،ص67، و كشف الظنون: حاجي خليفة ج2، ص 528.

– وفّق الإمام النسفي في اجتناب الأحاديث الموضوعة التي تذكر في فضائل السور ،والتي اعتنى الزمخشري والبيضاوي بإيرادها فهو في تفسيره لم يورد واحد منها في هذا المجال ،وإن أورد بعضا منها فهو قليل.

– وعن موقفه من الإسرائيليات فهو لا يورد الإسرائيليات التي تتصادم مع العقيدة والتي تسيئ للأنبياء وتقدح في عصمتهم، ويورد البعض منها دونما تعقيب ،أو نقد لها«[871]».

و قد أشار الإمام النسفي ــ رحمه الله ــ إلى معالم منهجه ومعالم تفسيره في مقدمة تفسيره بقوله: « قد سألني من تتعيّن إجابته، كتابا وسطا في التأويلات جامعا لوجوه الإعراب والقراءات، متضمّنا لدقائق علمي البديع والإشارات، جليّا بأقاويل أهل السنة والجماعة، خاليا عن أباطيل أهل البدع والضلالة، وليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وكنت أقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى، استقصارا لقوة البشر عن درك هذا الوطر، وأخذا لسبيل الحذر عن ركب متن الخطر، حتى شرعت فيه بتوفيق الله والعوائق كثيرة، وأتممته في مدة يسيرة، وسميته بمدارك التنزيل وحقائق لتأويل»«[872]».

---

[871] – لمزيد من التوسع في بيان منهجه: انظر: التفسير والمفسرون ،محمد حسين الذهبي، ج1 ص 216 ـ 217 و منهج الإمام النسفي في توجيه القراءات القرآنية في تفسيره: فهمي سحر كردية، ص38 رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة: التفسير وعلوم القرآن.

[872] – مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات أحمد الله بن أحمد بن محمد النسفي،د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، دت ، ج ، 1 ، ص 1.

المطلب الثالث : ذكر نماذج من تناول الإمام النسفي للقصص القرآني:

1 ـ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ «[873]».

قال ـ رحمه الله ـ :« أي نبذ اليهود كتاب الله واتّبعو كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها«على ملك سليمان» أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع و يضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقّقونها، ويلقونها على الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا إنّ الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما أتمّ لسليمان ملكه إلاّ هذا العلم و به سخّر الجن و الإنس و الريح،«و ما كفر سليمان» تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به «ولكن الشياطين» هم الذين «كفروا» باستعمال السحر وتدوينه ،و لكن بتحقيق الشياطين بالرفع للشامي وحمزة وعلي

[873] – سورة البقرة الآية 102.

،«يعلمون الناس السحر» في موضع الحال أي كفروا معلمين الناس السحر قاصدين به إغواءهم وإضلالهم ،«وما أنزل على الملكين» الجمهور على أنّ ما لمعنى الذي هو نصب عطف على السحر أي ويعلمونهم ما أنزل على الملكين، أو على ما تتلو أي واتّبعوا ما أنزل على الملكين، «ببابل هاروت وماروت» علمان لهما وهما عطف بيان للملكين والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا إذ كان فيه رد ما لزم في شرط الإيمان ومن تجنّبه، أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقى، لئلا يغتر به كان مؤمنا قال الشيخ منصور الماتردي ـ رحمه الله ـ القول بأنّ السحر على الإطلاق كفر خطأ ،بل يجب البحث عن حقيقته فإن كان في ذلك رد ما لزم في شرط الإيمان فهو كفر وإلاّ قول، ثمّ السحر الذي هو كفر يقتل عليه الذكور لا الإناث وما ليس بكفر وفيه إهلاك النفس ففيه حكم قطاع الطريق ومستو فيه المذكر و المؤنث، وتقبل توبته إذا تاب ومن قال لا تقبل فقد غلط فإنّ سحرة فرعون قبلت توبتهم، وقيل أنزل أي قذف في قلوبهما مع النهي عن العمل، قيل :أنه ملكان اختارتهما الملائكة لتركب فيهما الشهوة حين عبرت بني آدم فكانا يحكمان في الأرض ويصعدان بالليل فهويا زهرة فحملتهما على شرب الخمر فزنيا و قرآهما إنسان فقتلاه فاختارا عذاب الدنيا على عذاب الآخرة، فهما يعذبان منكوسان في جبل بابل وسميت باب لتبلبل الألسن بها ،«وما يعلمان من أحد»وما يعلم الملكان أحدا «حتّى يقولا» حتّى ينبهاه وينصحاه ويقولا له: «إنما نحن

فتنـــة» ابـــتلاء واختبـــار مـــن الله «فـــلا تكفـــر» بـــتعلم والعمـــل بـــه علـــى وجـــه يكـــون كفرا».«[874]»

2 ـ قال الإمام النسفي – رحمه الله – في تفسيره قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾«[875]» «ولقد جاءت رسلنا» جبريل وميكائيل وإسرافيل، أو جبريل مع أحد عشر ملكا «إبراهيم بالبشرى» هي البشارة بالولد ،أو بهلاك قوم لوط والأوّل أظهر ،«قالوا سلما»سلاما عليك سلاما «قال سلام» أمركم سلام. سلم حمزة وعلى بمعنى السلام ،«فما لبث أن جاء بعجل حينئذ» فما لبث في المجيء به، بل عجّل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة وكان مال إبراهيم البقر «حنيذ» مشوي بالحجارة المحماة «فلما رأى أيديهم لا تصل إليهم نكرهم» نكر ،أو أنكر بمعنى وكانت عادتهم أنّه إذا مشى من يطرقهم طعامهم أمنوا، وإلاّ خافوه ،والظّاهر أنّه أحسن بأنّهم ملائكة ونكرهم لأنّه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه، أو لتعذيب قومه دليله قوله :«وأوجس منهم خيفة» أي أضمر منهم خوفا، «قالوا لا تخف إنّا أرسلنا إلى قوم لوط» بالعذاب وغالبا يقال هذا لمن عرفهم ولن يعرف فيما أرسلوا، وإنّما قالوا لا تخف لأنّهم رأو أثر الخوف

[874] ـ انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج 1 ، ص 75 ـ 76 .

[875] – سورة هود الآيات 69 –72.

والتغيّر في وجهه «وامرأته قائمة» وراء الستر تسمع تحاورهم أوعلى رؤوسهم تقدمهم، «فضحكت» سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث ،أومن غفلة قوم لوط من قرب العذاب ،أو فحاضت «فبشرناها بإسحاق) وخصّت بالبشارة لأنّ النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ،ولأنّه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل «ومن وراء إسحاق» و من بعده «**يعقوب**» بالنصب شامي وحمزة وحفص، وبالرفع غيرهم على الابتداء

والظرف قبله خبر كما تقول في الدار زيد ،«قالت يا ويلتا» الألف مبدلة من ياء الإضافة وقرأ الحسن يا ويلتا بالياء على الأصل «أألد وأنا عجوز» ابنة تسعين سنة «وهذا بعلي شيخا» ابن مائة و عشرين سنة ، هذا مبتدأ وبعلي خبره، وشيخا حال والعامل معنى الإشارة التي تدل عليه ذا أو معنى التنّبيه الذي دل عليه هذا «إنّ هذا لشيء عجيب» أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة، «قالوا أتعجبين من أمر الله» قدرته وحكمته ،وإنّما أنكرت الملائكة تعجّبها لأنّها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقّر ولا يزدريها ما يزدري الناشئات في غير بيت النبوة وتمجده مكان التعجب ،وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا: «رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت» أرادوا أنّ هذه وأمثالها ممّا يكرمكم به ربّ العزة و يخصّكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علّل به إنكار التعجب لأنّ أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأنّ الأنبياء منهم وكلّهم من ولد إبراهيم وأهل البيت نصب على النداء ،أو

على الاختصاص، «إنه حميد» محمود بتعجيل النّعم «مجيد» ظاهر الكرم بتأجيل النّقم «فلما ذهب عن إبراهيم الروع» الفزع هو ما أوجس من الخيفة حين أنكر ضيافه ،«وجاءته البشرى» بالولد «يجادلنا في قوم لوط» أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف و ملئ سرورا بسبب البشرى فزع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا، أو يجادلنا جواب لما ،وإنّما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا، ومجادلته إيّاهم أنّهم قالوا: إنّا مهلكو أهل هذه القرية فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا: لا، قال: فأربعون قالوا: لا قال فثلاثون قالوا: لا حتّى بلغ العشرة قالوا لا، قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا :لا فعند ذلك قال إنّ فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينه وأهله إلاّ امرأته» «[876]».

3 ــ قال الإمام النسفي ـ رحمه الله ـ في تفسيره قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾«[877]».

[876] – مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله النسفي، ج2، ص 68 ـ 69 .

[877] – سورة الصافات: الآيات: 102-111.

قال ـ رحمه الله ـ :«فلما بلغ معه السعي» بلغ أن يسعى مع أبيه في أشغاله وحوائجه ومعه لا يتعلق ببلغ لاقتضائه بلوغها معا حد السعي ولا بالسعي ،لأنّ صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنّه لما قال :فلمّا بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من قال مع أبيه ،وكان إذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة «قال يا بني» حفص والباقون بكسر الياء ،«إني أرى في المنام أنيّ أذبحك» و بفتح الياء فيهما حجازي وأبو عمر، قيل له :في المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة وإنّما لم يقل رأيت لأنّ رأى مرة بعد مرة فقد قيل: رأى ليلة التروية كأنّ قائلا يقول له إنّ الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلمّا أصبح روى في ذلك من الصباح إلى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمّ سمي يوم التروية فلمّا أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنّه من الله فمن ثمّ سمى يوم عرفة، ثمّ رأى مثل ذلك في الليلة الثالثة فهمّ بنحره فسمي اليوم يوم النحر، «فانظر ماذا ترى» من الرأي على وجه المشاورة لا من رؤية العين ولم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته، ولكن ليعلم أيجزع ،أم يصبر «ترى» علي وحمزة أي :ماذا تصبر من رأيك وتبديه «قال يا أبت افعل ما تؤمر»أي ما تؤمر به وقرئ به «ستجدني إن شاء الله من الصابرين» على الذبح ،روي: أنّ الذبيح قال لأبيه يا أبتي خذ بناصيتي واجلس بين كتفي حتّى لا أوذيك إذا أصابتني الشفرة ولا تذبحني وأنت تنظر في وجهي عسى أن ترحمني واجعل وجهي إلى الأرض ،ويروى اذبحني وأنا ساجد و قرأ على أمي السلام و إن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فإنه عسى أن يكون أسهل لها (فلمّا أسلما) انقاد لأمر الله

وخضعا ،وعن قتادة أسلم هذا ابنه و هذا نفسه و «تلّه للجبين» حرّكه على جبينه و وضع السّكين على قفاه فانقلب السّكين و نودي يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا، روى أنّ ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى

و جواب لما محذوف تقديره :فلمّا أسلما و تلّه للجبين « و ناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا» أي حققت ما أمرنا به في المنام من تسليم الولد للذبح كان ما كان ممّا ينطبق به الحال و لا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما لله وشكرهما على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله ،أو الجواب قبلنا منه و ناديناه. معطوف عليه «إنّ كذلك نجزي المحسنين» تعليل لتحويل ما حوّل لهما من الفرح بعد الشدة «إنّ هذا لهو البلاء المبين» الاختبار البيّن الذي يتميز فيه المخلصون من غيرهم ،أو المحنة البيّنة «وفديناه بذبح عظيم» هو ما يذبح، و عن ابن عباس هو الكبش الذي قرّبه هابيل فقبل منه و كان يرعى في الجنة حتّى فدي به إسماعيل و عنه لو تمّت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس أبناءهم «عظيم» ضخم الحبة سمين و هي السّنة في الأضاحي ،و روى أنّه هرب من إبراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي، و روى أنّه لما ذبحه قال: جبريل الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال: إبراهيم الله أكبر و لله الحمد. فبقي سنة و قد استشهد أبو حنيفة رضي الله عنه بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده أنّه يلزمه ذبح شاة و الأظهر أنّ الذبيح هو إسماعيل ،و هو قول أبي بكر و ابن عباس و ابن عمر و جماعة من التابعين رضى الله عنهم لقوله :عليه الصلاة و

السلام «أنا ابن الذبيحين»«[878]» فأحدهما جدّه إسماعيل والآخر أبوه عبد الله و ذلك أنّ عبد المطلب نذر إن بلغ بنوه عشرة أن يذبح آخر ولده تقربا و كان عبد الله آخرا ففداه بمائة من الإبل، ولأنّ قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت في زمن الحجّاج و ابن الزبير، وعن الأصمعي أنّه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: يا أصمعي أين عزب عنك عقلك، و متى كان إسحاق بمكة وإنّما كان إسماعيل بمكة فهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة، و عن علي و ابن مسعود و العباس و جماعة من التابعين أنّه إسحاق و يدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف عليهما السلام من يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ...»«[879]».

4 -قال في تفسيره قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾«[880]» النقيب هو الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها ،و لما استقرّ بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أحياء الشام التي يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إنّي

[878] ـ رواه الحاكم في المستدرك ، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ، ذكر من قال أنّ الذبيح إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، ج 2 ، ص 559.

[879] – مدارك التنزيل و حقائق التأويل: ج3، ص 169-170 ـ 171.

[880] ـ سورة المائدة : الآية 12.

كتبتها لكم دارا و قرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا فيها وأمر الله موسى عليه السلام أن بأن يأخذ من كلّ سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء، وبما أمروا به توثّقه عليهم فاختار النّقباء أخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل بهم النّقباء ،وسار بهم فلمّا دنا من أرض كنعان بعث النّقباء يتجسّسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا فحدّثوا قومهم ،وقد نهاهم أن يحدّثوهم فنكثوا الميثاق إلاّ كالبن يوحنا و يوشع بن نون وكانا من النقباء ، وقال الله «إني معكم» أي ناصركم ومعينكم و تقف هنا لابتداء بالشرط الداخل عليه اللام الموطئة للقسم وهو «لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة» وكانتا فريضتين عليهم لو أمنتم برسلي من غير تفريق بين أحدهم، «وعزّرتموهم» وعظمتموهم، أو نصرتموهم بأن تردّوا عنهم أعدائهم والعزر في اللغة الرّد، و يقال عزرت فلانا أي أدّبته يعني فعلت به ما يردعه عن القبيح كذا قاله الزّجاج، «وأقرضتم الله قرضا حسنا» بلا من وقيل هو كلّ خير واللّهم في لأكفرنّ عنكم سيئاتكم جواب للقسم ،وهذا الجواب سادّ مسدّ جواب القسم والشرط جميعا «و لأدخلنّكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك معكم» أي بعد ذلك الشرط المؤكد المتعلق بالوعد العظيم، (فقد ضلّ سواء السبيل» أخطأ طريق الحق نعم من كفر قبل ذلك فقد ضل سواء السبيل أيضا ولكنّ الضلال بعده أظهر و أعظم»«[881]».

[881] – مدارك التنزيل و حقائق التأويل: ج1، ص 275.

المبحث الخامس : منهج الإمام ابن جزي في تناول القصص القرآني

المطلب الأول :التعريف بالمفسر:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحي بن عبد الرحمان ابن يوسف بن جزي الكلبي«[882]»يكنى أبا قاسم من أهل غرناطة«[883]» .

كان ـ رحمه الله ـ على طريقة مثلى من العكوف على العلم، والاقتصاد على الاقتيات من حرّ النشب، والاشتغال بالنظر والتقييد و التدوين، فقيها حافظا، مواظبا على التدريس مشاركا في فنون من العربية والفقه والأصول والقراءات والحديث والأدب، حفّاظة للتفسير مستوعبا للأقوال جمّاعة للكتب، ملوكي الخزانة، حسن المجلس ممتع المحاضرة قريب الغور، صحيح الباطن تقدّم خطيبا بالمسجد الأعظم ببلده على حداثة سنه، فاتفقوا على فضله و جرى على سنن أصالته«[884]» .

شيوخه: قرأ على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير وأخذ عنه العربية والفقه و الحديث والفرقان، وقرأ القرآن على الأستاذ المقرئ الرواية المكثر أبي عبد الله بن الكمّاد، ولازم الخطيب أبا عبد الله بن رشيد، وسمع على الشيخ الوزير أبي زكريا البرشاني، وعن رواية الخطيب أبي عبد

[882]– انظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ط1، تحقيق محمد بن عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة 1395هـ -1975م ، ج3 ص 20.

[883]– المصدر نفسه، ج 3، ص 21.

[884]– انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذاهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، ط 1 دهنيف، علي عمر، مصر، مكتبة الدينية، 1423هـ -2003م، ج2، ص 255.

الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري، والقاضي أبي المجد بن أبي علي بن أبي الأحوص، والقاضي أبي عبد الله بن بر طال، والشيخ الوزير بن أبي عامر بن ربيع، و الخطيب الولي أبي عبد الله الطنجالي ، و الأستاذ النّظار المتفنن أبي قاسم بن عبد الله بن الشاط...«[885]»

مؤلفاته: منها:

كتاب: وسيلة المسلم في تهذيب صحيح المسلم، وكتاب الأنوار السنية، وكتاب الدعوات والأذكار المخرجة من صحيح الأخبار، وكتاب القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، و التنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، و كتاب تقريب الوصول إلى علم الأصول، وكتاب النور المبين في قواعد عقائد الدين، وكتاب المختصر البارع في قراءة نافع، و كتاب أصول القرآن ، وكتاب الفوائد العامة في لحن العامة، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات وغير ذلك...«[886]» .

وفاته: توفي شهيدا يوم الكائنة بطريف في عام واحد وأربعين وسبعمائة، ــ رحمه الله ــ «[887]»

[885]- الإحاطة في أخبار غرناطة :ابن الخطيب ج3، ص21.

[886]- المصدر نفسه، ج 3، ص 21 ، والديباج، ج2 ص 255.

[887]- المصدر نفسه ج 3، ص 23، و الديباج ج 2 ص 257.

المطلب الثاني: منهج ابن جزي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل:

لقد تكلّم الإمام ابن جزي في مقدمة التسهيل عن دواعي تأليف هذا التفسير، والأهداف التي يروم الوصول إليها، فذكر بعد إنعام الله عليه بحفظه والاشتغال ببعض علومه وخدمته له، مع الشغف بتدبر معانيه وتفهم آياته، وأنّه طالع ما صنف العلماء في تفسير القرآن، فمنهم المختصر والمطول والمدقق ولندع الكلام للإمام ابن جزي يحدّثنا عن ذلك بنفسه فقال: «... فاطّلعت على ما صنّف العلماء رضي الله عنهم في تفسير القرآن من التّصانيف المختلفة الأوصاف، المتباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار و منهم من طوّل حتّى كثر الأسفار، ومنهم من تكلم في بعض فنون العلم دون بعض، ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس، ومنهم من عوّل النظر على والتحقيق والتدقيق، وكلّ أحد سلك طريقا نحاه، وذهب مذهبا ارتضاه، وكلاّ وعد الله الحسنى...»«[888]»، ثمّ أشار إلى رغبته في الانخراط في سلك هؤلاء المفسرين بأن يصنّف تفسيرا يسلك فيه مسلكا نافعا فيكون وجيزا جامعا مع قصده أربعة مقاصد تتضمن أربعة فوائد فقال: «... و صنّفت هذا الكتاب في تفسير القرآن العظيم وسائر ما يتعلق به من العلوم، وسلكت مسلكا نافعا، إذ جعلته وجيزا جامعا قصدت به أربعة مقاصد تتضمن أربع فوائد:

[888]- انظر :التسهيل لعلوم التنزيل: ، ج1 ص 4

الفائـدة الأولى: جمـع كثـير مـن العلـم في كتـاب صـغير الحجـم تسـهيلا علـى الطـالبين وتقريبـا علـى الـرّاغبين، فلقـد حـوى هـذا الكتـاب علـى مـا تتضـمنه الـدواوين الطويلـة مـن العلـم ،ولكـن بعد تلخيصها وتمحيصها وتنقيح فصولها....

الفائـدة الثانيـة: ذكـر نكـت عجيبـة وفوائـد غريبـة، قلمّـا توجـد في كتـاب لأنّهـا مـن بنـات صـدري وينـابيع ذكـري وممّـا أخذتـه مـن شـيوخي رضـي الله عـنهم، أ ومـما التقطتـه في مستظرفات النوادر الواقعة في غرائب الدّفاتر.

الفائـدة الثالثـة: إيضـاح المشـكلات إمّـا بحـلّ العقـد المقفـلات ،وإمّـا تحسـين العبـارة ورفـع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائـدة الرابعـة: تحقيـق أقـوال المفسـرين السـقيم منهـا والصـحيح و تمييـز الـراجح مـن المرجوح..»«[889]».

ثمّ أشـار إلى طريقتـه في التعامـل مـع هـذه الأقـوال وتسـميته للكتـاب وتقديمـه لـه بمقـدمتين فقـال: «... و إنّي جعلـت لهـذه الأقسـام عبـارات مختلفـة، تعـرف بهـا كـل مرتبـة، وكـل قـول، فأدناهـا مـا أصـرّح بـه بأنّـه خطـأ، أو باطـل، ثمّ مـا أقـول فيـه إنّـه ضـعيف أو بعيـد، ثمّ أقـول إنّ غـيره أرجـح أو أقـوى أو أظهـر أو أشـهر، ثمّ مـا أقـدّم غـيره عليـه إشـعارا بترجـيح المتقـدم ،أو بـالقول فيـه، قيـل كـذا، قصـدا للخـروج مـن عهدتـه وأمّـا إذا صـرّحت باسـم قائـل القـول فـإنّي أفعـل ذلـك لأحـد أمـرين: إمّـا للخـروج عـن عهدتـه وإمّـا لنصـرته إذا كـان قائلـه ممـن يقتـدى بـه،

[889]– انظر:التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 5.

على أنّي لست أنسب الأقوال إلى أصحابها إلاّ قليلا، وذلك لقلة صحة إسنادها إليهم، أو امتلاء الناقلين في نسبتها إليهم، وأمّا إذا ذكرت شيئا دون حكاية قوله عن أحد، فذلك إشارة إلى أنّي أتقلده وأرتضيه، سواء كان من تلقاء نفسي أو ممّا أختاره من كلام غيري، وإذا كان القول في غاية السقوط و البطلان لم أذكره تنزيها للكتاب ، وربّما ذكرته تحذيرا منه....» «[890]» .

كما سبق القول إلى أنّه قدم لتفسيره هذا بمقدمتين جعل الأولى فيها اثنا عشر بابا تحدّث فيها عن بعض علوم القرآن في كيفية نزوله ومباحث المكي والمدني، والعلوم والمعاني التي تضمّنها القرآن، ثمّ الكلام عن فنون العلم التي تتعلق بالقرآن كتفسير القرآن والقصص و الأحكام و الحديث و تكلم عن أسباب الخلاف بين المفسرين والوجوه التي يرجّح فيها بين أقوالهم، وذكر طبقات المفسرين وأنواع الكتب المصنفة فيه، وتحدّث عن الناسخ والمنسوخ وجوامع القراءة والوقف، و أبواب الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان، وختمها بالحديث عن الإعجاز وبعض فضائل القرآن، والمقدمة الثانية خصصها لتفسير بعض معاني اللغات.

ولقد قاتم الباحث علي محمد الزبيري بدراسة مسهبة عن ابن جزي و منهجه في التفسير و خلص إلى بعض النتائج أحببت إبراز بعض منها:

- رجوعه إلى مصادر قديمة وأصيلة في التفسير و القرءات و غيرها من العلوم مع التصريح بالمصدر.

[890] ـ انظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، ج 1 ، ص 7

- النقل عن أعداد كثيرة من المفسرين في الموضع الواحد مع تسميتهم في الكثير الغالب، وعدم تسميتهم في بعض الأحيان.
- اقتصاره في عرض القرءات القرآنية على السبع و بعض الشواذ.
- الخلاف المنقول في عرض القراءات مقصورا على الفرش دون العرض للأصول.
- الاهتمام بالتفسير النبوي للقرآن الكريم و تقديمه على غيره من التفاسير.
- التنبيه على ضعف الأحاديث في بعض الأحيان والتوقف في بعضها مع تعليق تفسير الآية بالحديث على صحته.
- عدم عزو الأحاديث إلى مصادر السنة إلاّ في القليل النادر مع الاستدلال بالحديث الضعيف في بعضها.
- اعتقاده بأسباب النزول وإيراده للصحيح منها في الكثير الغالب مع إيراد أكثر من سبب للآية الواحدة.
- كثرة تفاسير الصحابة و التابعين في تفسيره«[891]».

- **المطلب الثالث: نماذج من تناول ابن جزي لآيات القصص القرآني**

تكلم الإمام ابن جزي –رحمه الله– في مقدمات تفسيره «المقدمة الأولى» عن جملة المعاني والعلوم التي تضمّنها القرآن وذكر أنّ معاني القرآن ترجع إلى سبعة أشياء وعدّ منها القصص القرآني وقام بتعريفه مع الإشارة إلى الحكمة منه وتكراره في كثير من الآيات فقال

[891]– ابن جزي و منهجه في التفسير، علي محمد زبيري، ط1 ، دمشق ، دار العلم، ج 1407هـ، 1987م، ج 2 ص 229-231.

ـ رحمه الله- : «و أما القصص فهو ذكر أخبار الأنبياء المتقدمين وغيرهم كقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين فإن قيل: ما الحكمة في تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه: الأوّل: أنّه ربما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرى، ففي كل واحدة منها فائدة زائدة على الأخرى، الثاني: أنّه ذكرت أخبار الأنبياء في مواضع على طريق الإطناب وفي مواضع على طريق الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين، الثالث: أنّ أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد متعددة، ذكرها بتعدد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها إثبات نبوة الأنبياء بذكر ما جرى على أيديهم من المعجزات،

و ذكر من كذبهم بأنواع المهالك، ومنها إثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسم لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلم من أحد، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: «تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا»«[892]».، و منها إثبات الوحدانية، ألا ترى أنّه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: «فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء» «[893]»

ومنها الاعتبار في قدرة الله وشدّة عقابه لمن كفر، ومنها تسلية النبي صلى الله عليه وسلّم عن تكذيب قومه بالتّأسي بمن تقدم من الأنبياء كقوله: «و لقد كذبت رسل من قبلك» ومنها تسليته عليه الصلاة والسلام و وعده بالنصر كما نصر الأنبياء الذين من قبلهم،

[892]- سورة هود: الآية 49.

[893] ـ سورة هود : الآية 101.

ومنها تخويف الكفار بأن يعاقبوا كما عوقب الكفار الذين من قبلهم، إلى غير ذلك مما احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ و احتجاج الأنبياء وردّهم على الكفار وغير ذلك، فلما كانت أخبار الأنبياء تقيد فوائد كثيرة ذكرت مواضع كثيرة ولكلّ مقام مقال«[894]».

و ذكر في الباب الرابع من مقدمته بعض الفنون من العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم و عدّ منها القصص ،وأكدّ على ضرورة تأويله وتفسيره والاهتمام به وعدم إغفاله، ونبّه على أنّ هناك ضرورة يتوقف عليها التفسير وهو المطلوب، وما سواه فالمفسر في غنى عنه، ثمّ عاب بعض المفسرين الذين حشو تفاسيرهم بقصص واهية مكذوبة دون تمحيص و أوردوا منها ما يقدح في عصمة الأنبياء عليهم السلام، وذكر أنّه ألزم نفسه بالاكتفاء بما صحّ من الحديث فيه و ما يتوقف عليه التفسير فقط فقال: «و أمّا القصص فهي جملة العلوم التي تضمنها القرآن فلا بدّ من تفسيره إلاّ الضروري منه ما يوقف التفسير عليه فما سوى ذلك زائد مستغنى عنه وقد أكثر بعض المفسرين عن حكاية القصص الصحيح وغير الصحيح، حتّى أنّهم ذكروا منه ما لا يجوز ذكره ممّا فيه تقصير بمنصب الأنبياء عليهم السلام أوحكاية ما يجب تنزيههم عنه، وأمّا نحن فاقتصرنا في هذا الكتاب على ما يتوقّف التفسير عليه و على ما ورد منه في الحديث الصحيح...«[895]».

[894]- انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ج1 ص 12.

[895]- التسهيل لعلوم التنزيل : ج1 ص 14.

1ـ قال ابن جزي –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾.«[896]». « أن تذبحوا بقرة» قصتها أنّ رجلا من بني إسرائيل قتل قريبه ليرثه وأتى على قوم أنّهم قتلوه، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا القتيل ببعضها، ففعلوا فقام وأخبر بمن قتله ،ثمّ عاد ميّتا « أتتخذنا هزوا» جفاء وقلة أدب وتكذيب، «فارض» مسنة، (بكر) صغيرة، «عوان» متوسطة، «بين ذلك» أي بين ما ذكر، ولذلك قال ذلك مع الإشارة إلى شيئين: «صفراء» من الصفرة المفروقة، وقيل سوداء و هو بعيد، والظاهر صفراء كلّها، وقيل القرن والظلف فقط و هو بعيد «فاقع» شديد الصفرة تسر الناظرين لحسنها وقيل لسمنها ومنظرها كلّه، « لا ذلول» غير مذللّة للعمل، «تثير الأرض» أي تحرثها و هو داخل تحت النفي على الأصح، « ولا تسقي» لا يسقى عليها، «مسلمة» من العمل أو العيوب، «لاشيّة» لا غير الصفرة، و هو من فشي ففاؤه محذوفة كعدة «ألئن جئت بالحق» العامل في الضرب جئت بالحق، وقيل: العامل فيه

[896]– سورة البقرة: الآية 67-71.

مضمر تقديره الآن تذبحوها، والأوّل أظهر فإن كان قولهم: أتتخذنا هزوا هكذا فهذا تصديق، وإن كان غير ذلك فالمعنى الحق المبين «وما كادوا» لعصيانهم وكثرة سؤالهم، أو لغلاء البقرة، فقد جاء بأنّها كانت ليتيم وأنّهم اشتروها ذهبا، أو لقلة وجود تلك الصفة فقد روي أنّهم لو ذبحوا أدنى بقرة لأجزأت عنهم، ولكنّهم شدّدوا فشدّد الله عليهم «و إذا قتلتم نفسا» و هو أول قصة البقرة فمرتبته التقديم «إنّ الله يأمركم» قال الزمخشري: إنّما أخر لتعدّد توبيخهم لقصتين وهما: ترك المسارعة إلى الأمر، و قتل النفس و لو قدّم لكان قصة واحدة بتوبيخ واحد «فادارأتم» أي اختلفتم و هو من المدار: المدافعة «و ما كنتم تكتمون» من أمر القتيل و قتله «اضربوه» القتيل أو قريبه «ببعضها» مطلقا وقيل الذنب «كذلك» إشارة إلى حية القتيل، واستدلال بها على الإحياء للبعث، و قبله محذوف لابدّ من تقديره: ففعلوا ذلك فقام القتيل.

فائدة: استدلّ المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول، فلان قتلني، و هو ضعيف لأنّ هذا المقتول قام بعد موته و معاينة الآخرة و قصته معجزة للنبي صلى الله عليه و سلم فلا يتأتى أن يكذب المقتول، واستدلّوا بها أيضا على أنّ القاتل لا يرث، ولا دليل فيها على ذلك...»«[897]» .

2ـ وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا

[897] ـ التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي، ج،1 ص 75-77.

﴿يُشْرِكُونَ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[898] «من نفس واحدة» يعني آدم، «زوجها» يعني حواء، «ليسكن إليها» ليميل إليها ويستأنس بها، «تغشاها» كناية عن الجماع، «حملت حملا خفيفا» أي خفّ عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب، وقيل :الحمل الخفيف المني في فرجها، «فمرّت به» قيل: معناه استمرّت به إلى حين ميلاده، وقيل :قامت وتعدّت، «فلمّا أثقلت» أي ثقل حملها وصارت به ثقيلة «لئن آتيتنا صالحا) أي ولدا صالحا في بدنه، «فلمّا آتاهما» أي لما آتاهما ولدا صالحا كما طلبا، جعلا أولادهما له شركاء فالكلام على حذف المضاف ، وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك فيما أتاهما: أي فيما آتى أولادهما و ذريتهما، و قيل: إنّ حواء لما حملت جاءها إبليس و قال لها: إن أطعتني و سميت ما في بطنك عبد الحارث فسأخلصه لك، وإن كان اسم إبليس الحارث وإن عصيتني في ذلك قتلته، فأخبرت بذلك آدم فقال لها: إنّه عدونا الذي أخرجنا من الجنة فلمّا ولدت مات الولد، ثمّ مرة أخرى فقال لها :إبليس مثل ذلك فعصته فمات الولد، ثمّ حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا في حياته، فقوله: جعلا له شركاء فيما آتاهما أي في التسمية لا غير ،لا في عبادة غير الله.

والقول الأول أصح لثلاثة أوجه أحدهما أنه يقضي براءة آدم و زوجته من قليل الشرك و كثيره، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني: يدل على أنّ الذين أشركوا هم أولاد آدم و ذريّته لقوله تعالى: « فتعالى الله عما يشركون» بضمير الجمع، والثالث: أنّ ما ذكر من قصة آدم

[898]- سورة الأعراف: الآيات 189-191.

وتسميته الولد عبد الحارث يفتقر إلى سند صحيح ،وهو غير موجود في تلك القصة، و قيل :من نفس واحدة قصي بن كلاب وزوجته و جعلا له شركاء أي سموا أولادهما عبد العزّ ى و عبد الدّار

و هذا القول بعيد لوجهين: أحدهما أنّ الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش، والظّاهر أنّ الخطاب على هذا خاص، و أنّ قوله: «وجعل منها زوجها»، فإنّ هذا يصح في حواء لأنّها خلقت من ضلع آدم ولا يصح في زوجته قصي....»«[899]».

3ـ قال –رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ «[900]».

قال: «من رسول ولا نبي» النبي أعمّ من الرسول فكلّ نبي رسول وليس كلّ رسول نبي، فقدّم الرسول لمناسبة لقوله: «أرسلنا» وأخر النبي لتحصيل العموم لأنّه لو اقتصر على رسول لم يدخل في ذلك من كان نبيا غير رسول، «إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته» سبب هذه الآية أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة والنجم بالمسجد الحرام بمحضر المشركين والمسلمين فلمّا بلغ إلى قوله: «أفرأيتم اللات والعزّى و مناة الثالثة

[899]– التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص 325-326.

[900]– سورة الحج: الآية 52-53.

الأخرى« ألقى الشيطان» تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى ،فسمع ذلك المشركون ففرحوا وقالوا: محمد يذكر آلهتنا بما نريد واختلف في كيفية إلقاء الشيطان فقيل: إنّ الشيطان هو الذي تكلم لأنّه قرّب صوته من صوت النبي صلى الله عليه وسلم حتّى التبس الأمر على المشركين، وقيل: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي تكلّم بذلك على وجه الخطأ والسهو على لسانه من غير قصد، والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة، والقول الأوّل أرجح لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم معصوم في التبليغ، ففي الآية أنّ كل شيء وكل رسول قد جرى له مثل ذلك من إلقاء الشيطان، واختلف في معنى تمنّى وأمنيته في هذه الآية فقيل: تمنى بمعنى تلا، والأمنية التلاوة: أي إذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من عنده في تلاوته، وقيل هو من التمني بمعنى حب الشيء، وهذا المعنى أشهر في اللفظ أي:تمنّى النبي صلى الله عليه وسلم مقاربة قومه واستئلافهم وألقى الشيطان ذلك في هذه الأمنية ليعجبهم ذلك...»«[901]»

4-قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟

[901]- انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ج2، ص 48-49.

مُدۡبِرِينَ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ «[902]».

قال –رحمه الله– : «رشده» أي إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك، «من قبل»: أي قبل موسى وهارون، وقيل :آتيناه رشده قبل النبوة، «و كنّا به عالمين» أي علمناه أنّه يستحق ذلك، «التماثيل»: الأصنام وكانت على صورة بني آدم، «وجدنا آباءنا»: اعترف بالتقليد من غير دليل، «قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين»: أي الذي تقول حق أم مزاح، وانظر كيف عن الحق بالفعل، وعن اللعب بالجملة الاسمية لأنه أثبت عندهم «فطرهن» أي خلقهن، والضمير للسّموات والأرض، أو التماثيل و هذا أليق بالرّد عليهم، «بعد أن تولوا مدبرين»: خروجهم إلى عيدهم، «جذاذا»: أي فتات،

[902]– سورة الأنبياء: الآيات 51-71.

ويجوز فيه الضم والكسر والفتح، وهو من الجذ بمعنى القطع، «إلاّ كبيرا لهم» ترك الضم الكبير لم يكسره، وعلّق القدوم في يده «لعلهم إليه يرجعون» الضمير للضم للكبير أي يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم أنّه لا يقدر على شيء، وقيل: الضمير لإبراهيم عليه السلام أي يرجعوا إليه فيبين لهم الحق.

«قالوا من فعل هذا» قبله محذوف تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة فقالوا :«من فعل هذا» «فتى يذكرهم» أي: يذكرهم بالذم و بقوله «لأكيدن أصنامكم» «يقال له إبراهيم» قيل: إنّ إعراب إبراهيم منادى ،وقيل: ضمير ابتداء مضمر، وقيل :رفع على الإهمال، والصحيح أنّه مفعول لم يتم فاعله لأنّ المراد الاسم لا المسمى ،وهذا اختيار ابن عطية والزمخشري، «لعلهم يشهدون» أي يشهدون عليه بما فعل ،أو يحضرون عقوبة له «قال بل فعله كبيرهم» قصد إبراهيم عليه السلام بهذا القول وإقامة الحجة عليهم كأنّه يقول: إن كان إلها فهو قادر على أن يفعل وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض، لأنّه كذب، فإن قيل :«فعله كبيرهم» فالجواب أنّ معنى ذلك أنّه قال: قولا ظاهره الكذب وإن كان القصد به معنى آخر و يدل على ذلك قوله :«فسألوهم إن كانوا ينطقون» لأنّه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم «فرجعوا إلى أنفسهم» أي رجعوا إليها بالفكرة والنظرة، أو رجعوا إليها بالملامة :«فقالوا إنكم أنتم الظالمون» أي الظالمون لأنفسكم في عبادتكم ما لا ينطق ولا يقدر على شي، أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه «إنه لمن الظالمين»، و في تعنيفه على أعين الناس ، «ثمّ نكسوا على رؤوسهم» استعارة

لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة في جدالهم، و يحتمل أن يكونوا نكسوا على رؤوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع، فإنّ قولهم «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون»: اعتراف يلزم منه أنّهم مغلوبون بالحجة، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رؤوسهم حقيقة، أي أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة «أف لكم» تقدّم الكلام على أف في الإسراء، «قالوا حرقوه» لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى تغلب عليه بالظلم «قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم » أي ذات برد وسلام ، وجاءت العبارة هكذا للمبالغة ، واختلف كيف بردت النار ؟فقيل : أزال الله ما فيها من الحر ، والإحراق وقيل : دفع عن جسم إبراهيم حرّها وإحرقها مع ترك ذلك فيها ، وقيل خلق بينه وبينها حائل ، ومعنى السلام هنا السلامة ، وقد روي أنّه لو لم يقل: وسلاما لهلك إبراهيم من البرد ، وقد أضربنا عمّا ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته ، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه » «[903]».

المبحث السادس: منهج الإمام أبي حيان في في شامل القصص القرآني

المطلب الأول :التعريف بصاحب التفسير :

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي ،النفري ، نسبه إلى قبيلة من البربر، ولد بمطخشارش مدينة من حضرة غرناطة في

[903] ـ التسهيل لعلوم التنزيل : ج 2 ، ص 27 ـ 28 .

آخر شوال سنة أربع وخمسين وستمائة ، و أخد القرآن عن أبي جعفر بن الطبّاع ،والعربية عن أبي الحسن الأبذي ، وأبي جعفر بن الزبير وابن أبي الأحوص وابن الصائغ وأبي جعفر اللّبلي وبمصر عن البهاء بن النحاس وجماعة «[904]» .

عاش ونشأ في أوّل حياته بالأندلس في غرناطة وبها أخذ عن مشايخ، ثمّ انتقل من غرناطة إلى القاهرة بسبب محنة لحقت كما يذكر أنّه وقعت بينه وبين بعض مشايخه مشاحنة فتعرّض أبو حيان عليه و وقعت بينه وبين شيخه أبي جعفر بن الزبير وقعة ، فنال منه وتصدّى لتأليف في الرد عليه وتكذيب روايته ، فرفع أمره إلى السلطان فأمر بإحضاره و تنكيله فاختفي ،ثمّ ركب البحر ولحق بالمشرق ، وتولي تدريس التفسير بالمنصورية والإقراء بجامع الأقصر ،وكانت عبارته فصيحة لكنه في غير القرآن يعقد القاف قريبا من الكاف ، وقد أقبل عليه الطلاب من كل فج وأخذ عنه النحو والشعر والفقه والحديث فمّمن أخذ عنه: - خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي الشافعي

- علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى تقي الدين السبكي .

[904]-انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، ط 2 ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر ،1399هـ - 1997، ج1، ص 280.

– عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر جمال الدين أبو محمد الأسنوي الشافعي .

– محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن يوسف بن قدامة الحنبلي .

– عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري .

وقد برع الإمام أبو حيان في التأليف والتصنيف فخلف تركة هائلة من الكتب التي عمّ بها النفع ولو لم تكن إلا تفسيره فحسب لكفاه ، فمن مصنفاته:

– البحر المحيط في التفسير .

– النهر مختصره

– إتحاف الأريب بما القرءان من الغريب

ـ التذييل والتكميل في شرح التسهيل

ـ التجريد لأحكام سيبويه «[905]»

ـ نحاة الأندلس

[905]– انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، ج1 ، ص 282-283.

ـ الوّهاج في اختصار المنهاج للنووي

المطلب الثاني :التعريف بتفسير الإمام أبي حيان ومنهجه فيه

ذكر الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ في مقدمة تفسيره دواعي تأليفه فقال :« وبعد فإنّ المعارف جمة وهي كلها مهمة وأهمها ما به الحياة الأبدية والسعادة السرمدية وذلك علم كتاب الله هو المقصود بالذات ، وغيره من العلوم له كالأدوات والعروة الوثقى والوزر الأوقى ، والحبل المتين والصراط المبين ، وما زال يختلج في ذكري و يعتلج في فكري أنيّ إ ذا بلغت الأمد الذي يتعضدد فيه الأديم ويتنقص برؤيتي النديم وهو العقد الذي يحل عرى الشباب المقول فيه إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيّا الشواب ، ألوذ بجانب الرحمان وأقتصر على النظر في تفسير القرآن ، فأتاح الله لي ذلك قبل بلوغ ذلك العقد وبلّغني ما كنت أروم من ذلك القصد ،فعكفت علي تصنيف هذا الكتاب وأنتخل الصفو واللباب ... »«[906]»، وبعد هذا الكلام أبان الإمام أبو حيان عن الطريقة التي يسير عليها في تفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره بدأ بتفسير مفردات الآية لفظة لفظة مبين ما فيها من الأحكام والمسائل النحوية وبعده يشرع في تفسير الآية مبيّنا

[906] ـ انظر: البحر المحيط ، ط 1 ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ علي محمد معوض، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1422 هـ ـ 2001 م ، ج 1 ، ص 99 ـ 100.

سبب النزول والناسخ والمنسوخ وأوجه المناسبة ولندع الكلام للإمام أبي حيان يتحدث عن ذلك إذ يقول: «وترتيبي في هذا الكتاب أنّي أبتدئ بالكلام علي مفردات الآية التي أفسرها لفظة لفظة، فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك الفظة قبل التركيب وإذا كان للكلمة معنيان أو معاني ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة لينظر ما يناسب بها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحل عليه ثمّ أشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها إذ كان لها سبب و نسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ناقلا أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها متكلما على جليّها وخفيّها ، بحيث أنّي لا أغادر منها كلمة وإن اشتهرت حتّى أتكلم عليها مبديا ما فيها من غوامض الإعراب ودقائق الآداب من بديع وبيان مجتهدا أنّي لا أكرر الكلام في لفظ سبق ولا في جملة تقدم الكلام عليها ولا في آية فسرت ،بل أذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه علي تلك اللفظة أو الجملة أو الآية ، وإن عرض تكرير فبمزيد فائدة ،غافلا أقاويل الفقهاء الأربعة وغيرهم في الأحكام الشرعية بما فيه تعلق باللفظ القرآني محيلا علي الدلائل التي هي كتب الفقه وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على

كتب النحو وربّما أذكر الدليل إذا كان الحكم غريبا وخلاف مشهور ما قال معظم الناس بادئا بمقتضى الدليل وما دل عليه ظاهر اللفظ مرجحا له ذلك ما لم يصد عن الظاهر ما يجب إخراجه به عنه منتكبا في الإعراب عن الوجوه التي تنزّه القرآن عنها مبينا أنّها مما يجب أن يعدل عنه وأنّه ينبغي أن يحمل على أحسن وأحسن تركيب ، إذ كلام الله تعالي أفصح الكلام ، فلا يجوز فيه جميع ما يجوزه النحاة والمجازات المعقدة ، ثمّ أختتم في جملة الآيات التي فسرتها إفرادا وتركيبا بما ذكروا فيها من علم البيان، ثمّ أتبع آخر الآيات بكلام منثور أشرح به مضمون تلك الآيات على ما أختاره من تلك المعاني ملخصا جملها أحسن تلخيص ينجرّ معها ذكر معان لم تتقدم في التفسير ...» . «[907]»،كما تجدر الإشارة إلى أنّه كان كثير النقل عن سابقه من أئمة التفسير لا سيّما شيخ المفسرين بالأندلس الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ الذي ينقل عنه المسائل النحوية وكثيرا ما يناقشه ويعارضه في كثير من الأحيان ، بالإضافة إلي الإمام الزمخشري والذي

[907]– البحرالمحيط ،أبو حيان الأندلسي ، ج1 ، ص 103 ـ

يرد عليه في آرائه الاعتزالية وبعض المسائل والمباحث البلاغية والنحوية . كما كان كثير النقل عن صاحب التحبير الشيخ ابن النقيب ـ رحمه الله ـ «[908]» .

المطلب الثالث : نماذج من تناول الإمام أبي حيّان للقصص القرآني

1ـ في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ «[909]» قال الإمام أبو حيان – رحمه الله– «والاعتداء كان على ما نقل من أنّ موسى عليه السلام أمره الله بصوم يوم الجمعة وعرّفه فضله ،كما أمر به سائر الأنبياء ، فذكر ذلك لبني إسرائيل وأمرهم بالتّشرع فيه ، فأبوه وتعدّوه إلى يوم السبت ، فأوحى الله إلى موسي أن دعهم وما اختاروه ، وامتحنهم فيه بأن أمرهم بترك العمل وحرّم عليه فيه صيد الحيتان ، فكانت تأتي يوم السبت حتّى تخرج إلى الأفنية ، قاله الحسن بن أبي الحسن ، وقيل حتّى تخرج خراطيمها في الماء وكان أمر بني إسرائيل بأيلة علي البحر ، فإذا ذهب السبت ذهب الحيتان فلم يظهروا للسبت الآخر ، فبقوا علي ذلك زمان حتّى اشتهوا الحوت ، فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بحزمة وضرب له وتدا

[908] – انظر : التفسير والمفسرون ، ج1 ، ص 220-221.

[909] ـ سورة البقرة : الآية 65.

بالساحل ،فلمّا ذهب السبت جاء فأخذه فسمع قومه بفعله فصنعوا مثل ما صنع وقيل : بل حفر رجل في بئر السبت حفيرا يخرج إليه البحر فإذا كان يوم السبت خرج الحوت وحصل في الحفيرة ، فإذا ذهب جزء البحر ذهب الماء من طريق الحفيرة وبقي الحوت ، فجاء بعد السبت فأخذه، ففعل يومه مثل فعله وكثر ذلك حتّى صادوه يوم السبت علانية وباعوه في الأسواق ، فكان هذا من أعظم الاعتداء ، وقد رويت زيادات في كيفية الاعتداء ،الله أعلم بصحة ذلك ،والذي يصح في ذك هو ما ذكره الله في كتابه وما صح عن نبيه .«[910]».

2- تفسير قوله تعالي: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾«[911]» قال الإمام أبو حيان ـ رحمه الله ـ «إذ يرفع إبراهيم» هذه الجملة معطوفة علي ما قبلها ، فالعامل في إذ ما ذكر أنّه العامل في إذ قبلها ويرفع في معني رفع ، وإذ من الأدوات المخلصة للمضارع إلى الماضي لأنّها ظرف لما مضي من الزمان ، والرفع حالة الخطاب قد وقع ، وقال الزمخشري هي حكاية حال ماضيه وفي ذلك نظر من البيت : هو الكعبة .

[910] ـ انظر : البحر المحيط ، ج 1، ص 409.

[911]– سورة البقرة : الآية 127

ذكر المفسرون في ما هية هذا البيت وقدمه وحدوثه ومن أي شيء كان باباه ، وكم مرة حج آدم ومن أي شيء بناه إبراهيم ، ومن ساعده علي البناء قصصا كثيرة واستطردوا من ذلك كلام في البيت المعمور وفي طول آدم ، والصلح الذي عرض له ولولده ، وفي الحجر الأسود وطولوا في ذلك بأشياء لم يتضمنها القرآن ولا الحديث الصحيح ، وبعضها يناقض بعضا وذلك علي جري عاداتهم في نقل ما دبّ وما درج ولا ينبغي أن يعتمد إلاّ على ما صح في كتاب الله وسنة رسول الله صل الله عليه وسلم .

قال ابن عطية : «والذي يصح من هذا كله أنّ الله أمر إبراهيم برفع القواعد من البيت ونشاحه في قوله : أمر إذ لم يأت النص بأن الله أمر بذلك .... » «[912]»

3ـ قال: في تفسير قوله تعالي:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾«[913]» «أي : من بعد

[912]- البحر المحيط : ح1، ص 558

[913] ـ سورة يونس : الآيات 75 ـ 77

أولئك أرسل بآياتنا وهي المعجزات التي ظهرت علي يديه ولا يخص قوله «ملئه» بالأشراف، بل هي عامة لقوم فرعون ، شريفهم ومشرفهم ، واستكبروا وتعاظموا عن قبولها وأعظم الكبر أن يتعاظم العبيد عن قبول رسالة ربهم بعد تبينها واستيضاحها ، وباجترامهم الآثام العظيمة استكبروا واجترؤوا على ردها ، والحق هو العصا واليد ، قالوا لحبهم الشهوات «إنّ هذا لسحر مبين» إلاّ عند معاينة العصا وانقلابها واليد وخروجها بيضاء ولم يتعظوا إلاّ مقاومة العصا وهي معجزة موسي الذي وقع فيها عجز المعارض،و قرأ مجاهد وابن جبير والأعمش «لساحر مبين» جعل خبر إنّ اسم فاعل لا مصدر كقراءة الجماعة ولما كابروا موسى فيما جاء به من الحق أخبروا علي جهة الجزم أنّ ما جاء به سحر مبين ، وقال لهم موسى «أتقولون» مستفهما علي جهة الإنكار والتوبيخ حيث جعلوا الحق سحر «أسحر هذا » أي : مثل هذا الحق لا يدعي أنّه سحر وأخبر أنّه لا يفلح من كان ساحرا لقوله ـ تعالى ـ «ولا يفلح الساحر حيث أتي» والظاهر أنّ معمول «أتقولون» محذوف تقديره ما تقدم ذكره وهو :إنّ هذا لسحر، ويجوز أن يحذف معمول القول للدلالة عليه نحو قول الشاعر :

لنحن الأولى قلتم فأنى ملئتم برؤيتنا قبل اهتماما بكم رعبا

ومسألة الكتاب متى رأيت ،أو قلت زيد منطلقا وقبل معمول «أتقولون» هو «أسحر هذا» إلى آخره ، كأنّهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون؟ كما قال موسى للسحرة «ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله»«[914]» والذين قالوا بأنّ الجملة وأنّ الاستفهام هي مكية لقول اختلفوا، فقال بعضهم : قالوا ذلك على سبيل التعظيم للسحر الذي رأوه بزعمهم ،كما تقول لفرس تراه يجيد الجري ، أفرس هذا ؟ على سبيل التعجب والاستغراب ،وأنت قد علمت أنّه فرس ، فهو استفهام معناه التعجب والتعظيم ، وقال بعضهم قال ذلك منهم كل جاهر بالأمر ،فهو يسأل أهو سحر؟ لقول بعضهم إنّ هذا لسحر ،وأجاز الزمخشري أن يكون معنى قوله: «أتقولون للحق» أتعيبونه وتطعنون فيه ، فكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه ،قال من قولهم فلا يخالف المقالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوء، ونحو القول الذكر في قوله :«سمعنا فتى يذكرهم» ،ثمّ قال : «أسحر هذا» فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه»«[915] ».

[914] ـ سورة يونس: الآية 81.

[915] ـ انظر : البحر المحيط ، ج 5، ص 180.

3ـ قال –رحمه الله– في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ «[916]»

«أجئتنا» خطاب لموسى وحده لأنّه هو الذي ظهرت علي يديه معجزة العصا واليد ، لتصرفنا وتلوينا عن ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة غير الله واتخاذ إله دونه .

«الكبرياء» مصدر قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وأكثر المتأولين به هنا الملك إذ الملوك موصفون بالكبر ولذلك قيل: الملك الجبار ووصف بالصد و الشرس وقال ابن الرقيات في مصعب بن الزبير:

ملْكُهُ ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

يعني ما عليه الملوك من ذلك وقال ابن الرقاع :

سؤدد غير فاحش لا يدانيه تجبر ولا كبرياء

[916]– سورة يونس : الآيات 79 ـ 82 .

وقال الأعمش الكبرياء العظمة ، وقال ابن زيد الحلو وقال الضحاك أيضا الطاعة ،والأرض هنا أرض مصر وقرأ ابن مسعود وإسماعيل والحسن فيما زعم خارجة ،وأبو عمرو وعاصم بخلاف عنهما وتكون بالتاء لمجاز تأنيث الكبرياء والجمهور بالياء لمراعاة اللفظ ، والمعنى أنّهم قالوا مقصودك فيما في مجيئك إلينا بما جئت هو أن ننتقل من دين آباءنا إلى ما تأمر به ونطيعك ، ويكون لكما العلو والملك علينا بطاعتنا فنصير أتباعا لك وتاركين دين آباءنا وهو مقصودك لا نراه فلا نصدقك فيما جئت به ، إذ غرضك إنّما هو موافقتك على ما أنت عليه واستعلاؤك علينا فالسبب الأول هو التقليد والثاني الجد في الرئاسة حتّى لا تكونوا تبعا ،واقتضى هذان السببان اللذان توهموهما مقصود التصريح بانتفاء الإيمان الذي هو سبب لحصول السببين، ويجوز أن يقصدوا الذم بأنّهما إن ملكا أرض مصر تكبروا تجبرا كما قال القبطي «إن تريد إلاّ أن تكون جبارا في الأرض» ولما ادّعوا أنّ ما جاء به موسى هو سحر أخذوا في معارضته بأنواع من السحر ليظهر لسائر الناس أنّ ما أتى به موسى من باب السحر والمخاطب بقوله: «ائتوني» خدمة فرعون والمتصرفون بين يديه ، وقرأ ابن مصرف وابن وثاب وعيسي وحمزة و الكسائى «بكل سحار» على المبالغة وفي قوله:

«ألقوا ما أنتم ملقون» استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم ، وفي إبهام «ما أنتم ملقون» تحسين له وتقليل وإعلام أنّه لا شيء يلتفت إليه ، وقال أبو عبد الله الرازي : كيف أمرهم بالكفر والسحر والأمر بالكفر كفر ، قلنا: إنّه عليه الصلاة والسلام أمرهم بإلقاء الحبل والعصي ليظهر للخلق أنّ ما ألقوا عمل فاسد وسعي باطل لا علي طريق أنّه عليه السلام أمرهم بالسحر .... ،والسحر هنا ليس هو الذي هو في قولهم :إنّ هذا لسحر، لأنّ الذي أخبروا عنه بأنّه سحر هو ما ظهر علي يدي موسى ـ عليه السلام ـ من معجزة العصا والسحر الذي في قول موسى : إنما هو السحر الذي جاؤوا به ، فقد اختلف المتأولون وقالوا هم عن موسى وقال موسى عمّا جاؤوا به ،ولذلك لا يجوز أن يأتي هنا بالضمير بدل السحر فيكون عائدا على قولهم لسحر ، والظاهر أن الحمل بعده من كلام موسى ـ عليه السلام ـ و«سيبطله» يمحقه وحيث يذهب ،أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة ، وقيل : هذه الجمل من كلام الله تعالي ومعنى بكلماتها بقضاياه السابقة في وعده وقال ابن سلاّم : بكلماته بقوله: «لا تخف إنّك أنت الأعلى» وقيل: بكلماته بحججه وبراهينه وقرئ بكلمة على التوحيد أي بأمره و مشيئته» «[917]».

[917] ـ انظر : البحر المحيط ، ج 5 ، ص 180 ـ 182.

4ـ قال في تفسير قوله تعالى :﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴾«[918]» «وظن داود» كما كان الظن الغالب يقارب العلم ، استعير له ومعناه : وعلم داود وأيقن أنّا ابتليناه بمحاكمة الخصمين وأنكر ابن عطية مجيء الظن بمعنى اليقين ،وقال لسنا نجده في كلام العرب وإنّما هو توفيق بين معتقدين غلب أحدهما على الآخر وتوقعه العرب على العلم الذي ليس عل الحواس ودلالة اليقين التام ،ولكن يخلط الناس في هذا ويقولون : ظن بمعني أيقن وطوّل ابن عطية في ذلك بما يقف عليه في كتابه : وقرأ الجمهور: «فتناه » وعمر بن الخطاب وأبور جاء والحسن بخلاف عنه بتشدد التاء والنون مبالغة والضحاك : أفتناه كقوله : لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنت

وقتادة وأبو عمرو في رواية يخفف التاء والنون والألف ضمير الخصمين «فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب» ، راكعا : حال و الخرور الهوى إلى الأرض .فإمّا أنّه عبّر بالركوع عن السجود وإمّا أنّه ذكر أول أحوال الخرور أي راكعا ليسجد ، وقال الحسن : لأنّه لا يكون ساجدا حتّى يركع . وقال الحسن بن الفضل : أخر من ركوعه أي سجد بعد أن كان راكعا، وقال قوم يقال خرّ لمن ركع وأن لم ينته الي الأرض والذي يذهب اليه ما دل عليه ظاهرة الحكاية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس

[918]– سورة ص : الآية 24

دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم وأنه فزعا منهم ظانا أنّهم يغتالونه إذا كان منفردا في محرابه لعبادة ربه .فلمّا اتضح له أنّهم جاؤوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم ، كما قص الله تعالى ، وأنّ داود عليه السلام ظنّ أنّ دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنقاذ من الله له أن يغتالوه، فلم يقع ما كان ظنّه ، فاستغفر من ذلك الظن، حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه وخرّ ساجدا ، أو رجع إلى الله تعالى فغفر له ذلك الظن ، ولذلك أشار إليه بقوله :فغفرنا له ذلك، ولم يتقدم سوى قوله :« وظن داود أنّما فتناه »، ويعلم قطعا أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أن لو جوّزنا عليهم شيئا من ذلك بطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء ممّا يذكرون أنّه أوحى الله به إليهم ، فما حكى الله في كتابه يمر على ما أراده تعالى ، وما حكى القصاص أوحى الله به إليهم ، فما حكى الله في كتابه يمر على ما أراده تعالى ، وما حكى القصاص ممّا فيه غض عن منصب النبوة طرحناه ....»«[919]»

[919] ـ انظر : البحر المحيط ، ج 1 ، ص 377 ـ 388 .

المبحث السابع منهج الإمام أبي السعود في تناول القصص القرآني

المطلب الأول: التعريف بالمفسر

هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المولى أبو السعود ، ولد سنة ثمان و تسعين و ثمانمائة بقرية قريبة من قسطنطينية، وقرأ على والده كثيرا من جملة ما قرأه عليه حاشية التجريد للشريف الجرجاني وفترة المفتاح للشريف أيضا قرأه عليه مرتين ،وشرح الموافق له أيضا و صار ملازما من المولى سعدي جلبي وتنقل في المدارس، ثمّ قلّد قضاء برسة ،ثمّ قضاء قسطنطينية ،ثم قضاء العسكر في روم إيلي«[920]»، وكان عارفا باللغات العربية والتركية والفارسية، من فقهاء الحنفية وعلماء الترك المستعربين«[921]».

كان ذا مهابة عظيمة واسع التقرير، سائغ التحرير يلفظ الدرر من كلمه وينثر الجوهر من حكمه بحرا زاخرا وطودا باذخا....«[922]» ، توفي بقسطنطينية مفتيا في أوائل جمادى الأولى وصلى عليه المولى سنان ودفن بجوار أبي أيوب الأنصاري«[923]»و من آثاره: معاقد الطرف في أول تفسير سورة الفتح من الكشاف «حاشية على الكشاف» ،«إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»«[924]».

---

[920]- انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي ، ج4 398، ص-399.

[921]- معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ، ج2 ص 625-626.

[922]- شذرات الذهب، ص 399.

[923]- انظر: شذرات الذهب، ج 4، ص 400.

[924]- معجم المفسرين ص 626.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، و بيان منهج أبي السعود فيه:

لقد صنّف الإمام أبو السعود –رحمه الله– هذا التفسير في وقت توليه منصب القضاء واشتغاله بالفتوى و التدريس، فكان وقته ضيقا لا يسمح له بالكتابة فيه وتبييضه باستمرار ،بل و كانت تتخلله طيلة تصنيفه فترات ينقطع فيه عن العمل نظرا لقيامه بأعباء القضاء والفتوى، ومع ذلك كان حريصا على إتمامه وإخراجه في أحسن حلية وأبهة حلة، وقد شرع في تبييضه إلى أن بلغ سورة «ص» فتوقف جرّاء ما اعترضه من شواغل حالت بينه وبين إتمامه فبيّض ما وصل فيه إلى سورة «ص» ودفع به إلى السلطان سليمان خان الذي بارك هذا العمل وأبذل له في العطاء، ثمّ استمر في تصنيفه وتبييضه إلى أن أتمّه بعد سنة«[925]».

أمّا عن دواعي تأليف الإمام أبي السعود –رحمه الله– لهذا التفسير فقد أعرب وأفصح في مقدمة تفسيره أنّه قبل شروعه في هذا العمل طالع مرارا وتكرارا تفسير الإمامين الزمخشري والبيضاوي وحرص حرصا بليغا على استخراج درر فوائدهما، وانتخاب كنوز شواردهما وجمعهما في مصنف بديع بأسلوب بليغ مع الإضافة إليهما ما جاءت به مطالعة الكتب المائعة من كتب التفسير، مع عزمه على وسمه عن إتمامه وإكماله بـ: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» و في ذلك يقول –رحمه الله– : « ولقد كان في سوابق الأيام، وسوالف الدهور والأعوام ، وأنا في اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ودراستهما، يدور في خلدي على استمرار أناء الليل وأطراف النهار أن

[925]– انظر: التفسير والمفسرون: الذهبي، ج 1 ص 247.

أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فوائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف العوالم الزاخرة من زواهر الدقائق، وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق، وأسلوب بديع حسبما تقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل، ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية، وسمح به النظر الكليل بالهداية السّبحانية، من عوارف معارف تمتد إليها أعناق الهمم من كل من هو لبيب، وغرائب رغائب ترنوا إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب، وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الأنام في مداحض الأقدام، وتدقيقات متينة تزيل خطوات الأوهام من خواطر الأنام، في معارك أفكار تشترك فيها الشؤون، ومدارك أنظار تختلط فيها الظنون، وأبرز من وراء أستر الكمون، من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون، ما تطمئن إليه النفوس، وتقر به العيون،من خفايا الرموز وخبايا المكنون....

وبعد أن ذكر ما اعتراه من شواغل حالت بينه وبين ما يريد قرّر في الأخير العزم على إتمامه وإكماله فقال: « فلما انصرمت عرى الآمال بفراغ البال ورأيت أنّ الفرصة على جناح الفوات وشمل الأسباب في شرف الشتات وقد مشى الكبير وتضاءلت القوى والقدر ودنا الأجل من الحلول وأشرقت شمس الحياة على الأفول عزمت على إنشاء ما كنت أنويه وتوجهت إلى إملاء ما ظلت أتبعه ناويا أن أسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وإنعامه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم«[926]».

إنّ أول ملاحظة يمكن تدوينها وتسجيلها عن منهج الإمام أبي السعود –رحمه الله– في تفسيره أنّه ينقل كثيرا عن الإمام الزمخشري والبيضاوي وأنّه متأثر بتفسيرهما تأثرا كبيرا، لكن لم يجار الزمخشري

[926]– إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1411هـ-1990م، ج1، ص 4-5-6.

في الاعتزال ،بل سار على طريقة الأشاعرة، كما أنّه حذر من اعتزاله وأبان عنها كلما استوقفته آية أشار فيها الزمخشري إلى مذهبه إلاّ أنه جار هو والبيضاوي في نقل أحاديث موضوعة وباطلة في فضائل السور.

يعدّ تفسيره امتداد للمدرسة التفسيرية التي تعن بالجوانب البلاغية والنكت البيانية والتي أسّس دعائمها الزمخشري والبيضاوي من بعده، فقد كان حريصا على بيان هذه النكت والتنبيه عليها بشكل موسع ومسهب، لاسيما في مباحث المسند والمسند إليه ومواضعها في فصل ووصل، وإيجاز وإطناب و تقديم و تأخير، كما أنّه مهتم بوجود المناسبات بين الآيات والسور، وفي جانب الإسرائيليات فهو مقل من إيرادها وعند ذكره لها يوردها بصيغ التمريض مما يشعر بضعفها لكنّه لا يعقب عليها، وفي عرضه لآيات الأحكام فإنّه لم يكن متوسعا في الأحكام الفقهية ويكتفي بسرد آراء المذاهب دون مناقشة أو ترجيح، وفي مجال الإعراب فهو معتن جدا ببيان الوجوه الإعرابية للآية الواحدة وتأويلها حسبما يقتضيه كل وجه أشار إليه مع ترجيحه بعض الوجوه العربية التي يوردها، وعلاوة على ذلك فتفسيره رائع ودقيق يحتاج إلى دراسة تهتم بالناحية اللغوية والبلاغية حتى يستطيع التجاوب معه والاستفادة منه«[927]».

[927]– انظر: التفسير والمفسرون محمد الذهبي، ج1، ص 352 بتصرف.

المطلب الثالث: نماذج من تفسير أبي السعود للقصص القرآني:

1 ـ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ «[928]».

قال –رحمه الله– «وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب أي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب ،أو في ذلك الوقت إذ يستعار هنا وثمّة وحيث للزمان ،«دعا زكريا ربه» لما رأى كرامتها على الله ومنزلتها منه تعالى رغب في أن يكون له من إيشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى، وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك، وقيل لما رأى الفواكه في غير أيامها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فأقبل على الدعاء من غير تأخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى أنّ ذلك كان هو الموجب للإقبال على الدعاء فقط، بل كان جزءا أخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه الصلاة والسلام وضعف قواه و خوف مواليه حسبما فصّل في سورة مريم.

[928] – سورة آل عمران: الآيات 38-41.

قال: تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الإعراب، ورب هب لي من لدنك كلا الجارّين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجاز أي أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد، «ذرية طيبة» كما وهبتها لحنة، ويجوز أن يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية أي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والأنثى، والمراد هاهنا ولد واحد فالتأنيث في الصفة لتأنيث اللفظ الموصوف كما في قول من قال:

أَبُو خَلِيفَةٍ وَلَدتُه أُخْرى وَأَنْتَ خَلِيفَةُ ذاك الكَمَالِ.

وهذا إن لم يقصد به واحد معين أمّا إذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز أن يقول جاءت طلحة وذهبت حمزة، «إنك سميع الدعاء» أي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الإجابة، «فنادته الملائكة» كان المنادي جبريل عليه الصلاة والسلام كما تفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل، والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس و ثوب، قال الزجاج أي: أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملائكة، وقيل لما كان جبرائيل عليه الصلاة والسلام رئيسهم عبّر عنه بالجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لابد له من أتباع فأسند النداء إلى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالإمالة وهو قائم جملة حالية من النداء من مفعول النداء مقرر لما أفاده النداء من حصل البشارة عقب الدعاء، وقوله تعالى يصلي إمّا صفة لقائم، أو خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى: «فإذا هي حية تسعى»«[929]» ، أوحال أخرى منه على القول بتعددها بلا عطف و لابدلية، أوحال من المستكن في قائم وقوله تعالى

[929] ـ سورة طه : الآية 20.

في المحراب أي في المسجد أوفي غرفة مريم متعلق بيصلي أو بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لأنّ العمل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم الفصل بالأجنبي كما يلزم على التقادير الباقية «إنّ الله يبشرك بيحيى» أي بأنّ الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول أو إجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه، و قرئ يبشرك على الإبشار ويبشرك من الثلاثي وأيّا ما كان ينبغي أن يكون هذا الكلام إلى آخره محكيا بعبارته عن الله عزّ وجل على منهاج قوله تعالى: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله»«[930]»، الآية كما يلوح به مراجعته عليه الصلاة والسلام في الجواب إليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن إسناد التبشير إلى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء، كما قول الخلفاء أمير المؤمنين يرسم لك بكذا، وللإيذان بإنّ ما حكي هناك من النداء و التبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية عنه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر، وبهذا يتضح إتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل و يحيى اسم أعجمي، وإن جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل وروى ابن عباس –رضي الله عنهما– إنما سمي يحيى لأن الله تعالى أحيا به عقر أمه، وقال قتادة لأنّه تعالى أحيا قلبه بالإيمان، قال القرطبي: كان اسمه في الكتاب الأول حيا، ولابد من تقدير مضاف يعود إليه الحال أي: بولادة يحيى فإنّ التبشير لا يتعلق بالأعيان«[931]».

[930] – سورة الزمر: الآية 53.

[931] ـ انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرءان الكريم ، ج1 ، ص 31 ـ 32.

2ـ في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ

يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ «[932]» قال –رحمه الله– «أم حسبتم» الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد إنكار حسبان أمته وأم منقطعة مقدرة التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا للإبطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور، وبل وحدها عند غيرهم أي: بل حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الأرض زينة لها للحكمة المشار إليها، ثمّ جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالأمس عجبا أي: آية ذات عجب وضعا له موضع المضاف ،أو وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه والمعنى أنّ قصتهم وإن كانت خارقة للعادات

[932]– سورة الكهف: الآيات 9-26.

ليست بعجيبة بالنسبة إلى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله، بل هي عندها كالنزر الحقير، والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم، قال أمية بن الصلت:

وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ الرقيمُ مُجَاوِرًا وَصَيدهُم والقوم في الكهفِ هُمَّدُ

وقيل: هو لوح رصاصي أوحجري رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف، وقيل:هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي أي جانبه، وقيل: الجبل،وقيل قريتهم، وقيل: مكانهم بين غطفان وأيلة دون فلسطين، وقيل: أصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصّل في الصحيحين، «إذ آوى» ظرف لعجبا لا لحسبت، أو مفعول لي اذكر أي: حين التجأ الفتية أي أصحاب الكهف، أو ثر الإظهار على الإضمار لتحقيق ما كانوا عليه في أنفسهم من حال الفتوة، فإنّهم كانوا فتية من أشراف الروم أرادهم ديقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم، ولأنّ صاحبيه الكهف من فروع التجائهم فلا يناسب اعتبارها معهم قبل بيانه إلى الكهف بجبلهم للجلوس، واتخذوه مأوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات، فمن ابتدائية متعلقة بآياتنا، أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة، ولو تأخرت لكانت صفة له، أي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء، وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار ،والمثابرة على طاعتك، وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء أي أصلح وأرتب وأتمم لنا من أمرنا رشدا، إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب، واهتداء إليه، و كلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في المؤخر بتقديم أحواله فإنّ

تأخير ما حقه التقديم عمّا هو من أحواله المرغبة فيه .... «نحن نقص عليك نبأهم بالحق » شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى: إذ أوى الفتية إلخ أي نحن نخبرك بتفاصيل أخبارهم ، وقد مرّ بيان اشتقاقهم في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي له خطر وشأن بالحق إمّا صفة لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أي نقص قصصا ملتبسا بالحق أو نقصه ملتبسين به أو نقص نبأهم ملتبسا به أو نبأهم الملتبس به أو نبأهم حسب ما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار أنّه قد مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممّن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس ، فإنّه علا فيها علوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقاتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتبع الناس فيخيرهم بين القتل وعبادة الأوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحياة الأبدية قتله وقطع آرابه وعلّقها في سور المدينة وأبوابها فلمّا الفتية ذلك وكانوا عظماء أهل مدينتهم ، وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا إلى الله عزّ وجل واشتغلوا بالدعاء والصلاة فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال : وخيّرهم بين القتل وبين عبادة الأوثان فقالوا إنّ إلها ملأ السموات والأرض عظمته وجبروته لن ندعو من دونه أحدا ولن نقر لما تدعون إليه أبدا فاقض ما أنت قاض فأمر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخر وأخرجهم من عنده وخرج هو إلى مدينته نينوى لبعض شأنه وأمهلهم إلى رجوعه ليتأملوا في أمرهم فإن تبعوه وإلاّ فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء إلى الكهف الحصين فأخذ

كل منهم من بيت أبيه شيئا تصدقوا ببعضه وتزّودوا بالباقي فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل وأطراف النهار ويبتهلون إلى الله سبحانه وتعالى بالأنين والجؤار وفوّضوا أمر نفقتهم إلى يمليخا ، فكان إذا أصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم ويتحسس ما فيها من الأخبار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الجبار المدينة فطلبهم وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنّهم عصوهم ونهبوا أموالهم وبذروها في الأسواق وفرّوا إلى الجبل فلمّا رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع إلى أصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزّاد فأخبرهم بما شهده من الهول والفزع ففزعوا إلى الله عزّ وجلّ وخرّوا له سجدا ، ثمّ رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدّثون في أمرهم فبينما هم كذلك إذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رءوسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلمّا ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلهم قال : بلى قال : فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا ، وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ، ثمّ كان من شأنهم ما قص الله عزّ وجل عنهم .... «سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم» الضمير في الأفعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمسلمين ، لكن لا على وجه إسناد كل واحد منها إلى كلهم بل إلى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم أي هم ثلاثة أشخاص رابعهم أي جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم كلبهم ، قيل قالته اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاه بالإدغام الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه أو ظنا

بالغيب من قولهم رجم بالظن إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا أي راجمين أو على المصدرية منهما فإنّ الرجم والقول واحد أو من محذوف مستأنف واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا أي يرجمون رجما وعدم إيراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه ممّا يرشدهم إلى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها إلاّ بوحي آخر كما قيل:« قل » تحقيقا للحق وردا على الأولين «ربي أعلم بعدّتهم » أي أقوى علما بعددهم ما يعلمهم أي ما يعلم عدتهم أو ما يعلمهم فضلا عن العلم بعدتهم إلاّ قليل من الناس قد وفقهم الله للاستشهاد بتلك الشواهد قال : ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه أنا من ذلك القليل ، ولو كان في ذلك وحي آخر ما خفي عليه ولما احتاج للاستشهاد بالواو و لكان له المسلمون أسوة له في العلم بذلك ، وعن علي كرّم الله وجهه أنّهم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشيلينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الرّاعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفيشططيوش ...»«[933]».

3 ـ في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ بَلْ نَحْنُ

[933] ـ انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، ج 5 ، ص 215 ـ 216 .

مَّحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ «[934]»

قال : «إنّا بلوناهم أي أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي و كان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت فكان يجمع لهم شيء كثير ، فلمّا مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى : «إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين» ليقطعنها داخلين في الصباح «ولا يستثنون» أي لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنّه شرط من حيث إنّ مؤداه مؤدى الاستثناء فإنّ قولك لأخرجنّ إن شاء الله ولا أخرج إلاّ أن يشاء الله بمعنى واحد أو لا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها أي على الجنة« طائف » أي بلا طائف وقرئ طيف «من ربك » من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عمّا جرت به المقادير ، فأصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شيء فعيل بمعنى مفعول ، وقيل كالليل أي احترقت فاسودّت وقيل كالنهار أي يبست وابيضت سميت بذلك لأنّ كل منهما ينصرم عن صاحبه ، وقيل الصريم الرمال «فتنادوا» أي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح أن اغدوا أي اغدوا على أنّها مصدرية أي اخرجوا غدوة على« حرثكم» بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء« إن كنتم صارمين » قاصدين للصرم« فانطلقوا وهم يتخافتون » أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش« أن لا يدخلها» أي الجنة «اليوم عليكم مسكين » أن مفسرة لما في التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لنرينك هاهنا «وغدو على

[934] ـ سورة القلم : الآيات 17 ـ 32 .

حرد قادرين» أي على نكد لا غير من جاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر و حاردت الإبل إذا منعت درّها والمعنى أنّهم أرادوا أن يتنكدّوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلاّ على النكد والحرمان وذلك أنّهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو غدو على جنّتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد ، وقد قرئ بذلك أي لم يقدروا إلاّ على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون ، وقيل الحرد القصد والسرعة أي اغدوا قاصدين إلى جنّتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها ، وقيل هو علم للجنة فلمّا رأوها قالوا في بديهة رؤيتهم إنّا لضالون أي طريق جنتنا وما هي بها «بل نحن محرمون» قالوا بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرمون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا «قال أوسطهم» أي رأيا أو سنا ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى وتنوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قد قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيّرهم كما ينبه عنه قوله تعالى قوله سبحان ربّنا إن كنّا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم أو لأنّه تنزيه له تعالى عن أن يجري في ملكه مالا يشاؤه فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أي يلوم بعضهم بعضا فإنّ منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره «قالوا ياويلنا إنّا كنّا طاغين» متجاوزين حدود الله «عسى أن يبدّلنا ربنا » وقرئ بالتشديد أي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها «إنّا إلى ربّنا راغبون» راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها ، وروي أنّهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرّعوا إليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خيرا منها قالوا إنّ الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر بأرض من الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إنّ القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدله جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود

منها كالرجل الأسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال : لقد كلفتني تعبا ، وعن الحسن رحمه الله قول أهل الجنة إنّا إلى ربّنا راغبون لأدري إيمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثرون على أنّهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري »«[935]»

المبحث الثامن: منهج الإمام الألوسي في تناول القصص القرآني

المطلب الأول: التعريف بالإمام الألوسي

هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي شهاب الدين أبو الثناء، ولد ببغداد سنة 1217هـ-1802م، أخذ العلم عن فحول بالعراق منهم والده العلامة ،والشيخ خالد النقشبندي، والشيخ علي السويدي، وكان حريصا على نيل العلوم والإكثار منها، واشتغل وهو في سن الحداثة بالتدريس والتأليف،فانتصب للتدريس وهو ابن ثلاثة عشرة عام، واشتغل بالتدريس في مدارس العراق ،وتقلّد منصب إفتاء المذهب الحنفي فقام بهذه الوظيفة خير قيام وتخرّج عليه أعيان من العلماء، وكان مهتما بهم وحريصا عليهم.

امتاز بقوة الحافظة وسرعة البديهة ،حتّى قال عن نفسه بقوة الحافظة وسرعة البديهة ،حتّى قال عن نفسه: «ما استودعت ذهني شيئا فخانني، ولا دعوت فكري لمعضلة إلاّ

[935] ـ انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، ج 9 ، ص 14 ـ 15 ـ 16 .

وأجابني»،وكان موسوعيا ملمّا بشتى المذاهب الفقهية مع تمذهبه بمذهب الإمام الشافعي، ويميل في بعض الأحيان إلى تقليد الإمام أبي حنيفة في بعض المسائل.

توفي الإمام الألوسي يوم الجمعة في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة 1270هـ ، ود فن بمقبرة معروف الكرخي –رحمه الله– ، وترك الإمام الألوسي مصنفات في علوم شتى منها:

- تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثان.
- حاشية القطر.
- شرح السلم في المنطق.
- الأجوبة العراقية عن الأسئلة اللاهورية.
- الأجوبة عن الأسئلة الإيرانية.
- دورة الغواص في أوهام الخواص.
- النفحات القدسية في مباحث الإمامية.
- الفوائد السنية في علم البحث.
- ما دل عليه القرآن مما الهيئة الجديدة.
- فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للإمام محمد بن عبد الوهاب..
- بلوغ الأرب في أحوال العرب.

- صب العذاب على سب الأصحاب«[936]».

المطلب الثاني منهجه في تفسيره وطريقته في مؤلفه:

أفصح الإمام الألوسي –رحمه الله– في مقدمة تفسيره عن دواعي تأليفه لهذا التفسير وذاك أنّه منذ زمن الصبا كان متشوقا ومتطلعا إلى استنباط أسرار القرآن وكشف دقائقه، وبذل جهده وأفرغ وسعه لنيل هذا المقصد، فهجر دواعي الصبابة وانقطع عن الأقران وأعفّ نفسه عن الشهوات وهجر في سبيل ذلك النوم فقال –رحمه الله– : «وإنّي ولله تعالى المنية منذ مطيت عني التمائم، و نيطت على رأسي العمائم لم أزل متطلبا لاستكشاف سر المكتوم مترقيا لارتشاف رحيقه المختوم طالما فرقت نومي بجمع شوارده وفارقت قومي لوصال خرائده، فلو رأيتني وأنا أصافح بالجبين صفحات الكتب من السهر... وكثيرا ما كانت تحدّثني في القديم نفسي أن أحبس في قفص التحرير ما اصطاده الذهن بشبكة الفكر وأختطفه بأنّ الإلهام في جو حدسي، فأتعلل تارة بتشويش البال بضيق الحال وأخرى بفرط الملل لسعة المجال إلى أن رأيت في بعض ليالي الجمعة من شهر رجب الأصم سنة الألف والمائتين والاثنين والخمسين بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم رؤية لا أعدّها أضغاث أحلام ولا أحسبها خيالات أوهام أنّ الله جل شأنه وعظم سلطانه أمرني بطي

[936]– انظر: الآلوسي مفسرا ، محسن عبد الحميد ، ط 1 ، بغداد ، دار المعارف ، 1388 هـ ـ ، 1969م ،ص 28 ـ 143،و التفسير و رجاله: محمد الفاضل بن عاشور،ط 1، القاهرة ،دار السلام ،1429 هـ ـ 2008م ،ص 129.
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء و العرب و المستويين و المستشرقين، الزركلي ج7/176-177، معجم المؤلفين رضا كحالة، ج3 ص 815- 6 81.

السماوات والأرض على الطول والعرض فرفعت يدا إلى السماء وخفضت الأخرى إلى مستقر الماء، ثمّ انتبهت من نومتي وأنا مستعظم رؤيتي فجعلت أفتش لها عن تعبير فرأيت في بعض الكتب أنّها إشارة إلى تأليف تفسير فرددت على النفس تعللها القديم وشرعت مستعينا بالله العظيم...«[937]».

و بعد كلامه عن دواعي تأليف هذا التفسير العظيم أبان عن سبب تسميته وكيف وقع اختياره على هذه التسمية فقال: «... وبعد أن أبرمت حبل النية ونشرت مطوي المنية وعرا المخاض الأذهان وقرب ظهور طفل التفسير للعيان جعلت أفكر ما اسمه، وبماذا أدعوه إذا وضعته أمه، فلم يظهر لي اسم تهتز الضمائر وتنبش من سماعه الخواطر فرضت الحال لدى من سماعه الخواطر فرضت الحال لدى حضرة وزير الوزراء ونور حديقة البهاء نور حدقة الوزراء التي لا تنسفها آية، وربّ النهي الذي ليست له آية وصاحب الأخلاق التي ملك بها والقلوب و معدن الأذواق التي يكاد يعلم معها الغيوب، مولانا على رضا باشا لا زال له الرضا غطاء وفراشا فسماه على الفور وبديهة ذهنه تغني من الغرور« روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» «[938]».

- حمل الألوسي على المذاهب المخالفة لاعتقاد السنة والتي تنتحل نحل المذاهب الضالة والباطلة كالروافض والمعتزلة ومن كان على شاكلتهم، وذلك كلما أوقفته آية

[937]- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي ط1، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت ، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1994م، ج1 ، ص 4-5.

[938]- المصدر نفسه، ج1 ص 5.

كان لي بعض هذه الفرق الضالة متكأ يتكئون عليه في تقرير عقائدهم فيرد عليهم ردا مفحما بالبرهان والدليل.

- إقراره عقيدة السلف في مباحث العقيدة وعدم الحياد عنها مع نبذ طريقة التقليد والدعوة إلى مسايرة و معايشة ومتابعة المستجدات العلمية.
- الجمع بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، فهو يعمل المنقول ولا يغفل عمّا يرشده المعقول من معارف عصره وفهوم أهل العلم و الإتقان.
- الاستطراد الكبير والتحليل الواسع في القضايا النحوية والمباحث اللغوية.
- إفاضة القول في آيات الأحكام رد مذاهب الفقهاء في بعد ونأي عن التعصب لمذهب بعينه.
- يعد الإمام الألوسي من المفسرين البارعين في نقد الروايات الإسرائيلية والأخبار المكذوبة التي كثيرا ما يقرّها ويحشوا كثير من المفسرين بها كتبهم، فهو يتعرض لها بالنقد ويشدّد على من يقرّها.
- الإشارة إلى مباحث القراءات والحرص على توظيفها في العملية التفسيرية فيعرض القراءات القرآنية المتواتر منها والشاذ مع توجيهها نحويا وصرفيا وبلاغيا.
- الحرص على إبراز وجوه المناسبات بين السور وبين الآيات.
- إيراد أسباب النزول.

- التوظيف الكبير للمادة الشعرية في العملية التفسيرية في مجال الاستشهاد النحوي وتوجيه الغريب القرآني وغير ذلك.
- الاهتمام بالجانب الإشاري في تفسيره حيث يورده عقب تفصيله والقول في ظاهر الآية، لكن يخطئ البعض في يجعل كتابه من كتب التفسير الإشاري المحض وهذا خطا بيّن كما نبه عليه كثير من الباحثين كالدكتور الذهبي والدكتور نور الدين عتر والأستاذ أديب الصالح وسبب ذلك أنّ مقصود الإمام الألوسي من وضع التفسير ليس التركيز الإشاري فقط، بل الكلام على القرآن بشتى طرق التفسير.
- التعرض للمسائل العلمية والكونية في تفسيره بقصد إبراز الجانب العلمي للقرآن الكريم«[939]».

المطلب الثالث: نماذج من تناول الإمام الألوسي للقصص القرءاني

قول الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ

[939]- انظر: التفسير و المفسرون، ج1 ص 252 ـ 257 ،ورسالة الألوسي و منهجه في التفسير، صالح فريوي ، رسالة ماجستير جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1424هـ - 2003م، ص 190-299.

وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ «[940]».

قال -رحمه الله-: « وإذ استسقى موسى لقومه» تذكير لنعمة عظيمة كفروا بها، وكان ذلك في التيه لما عطشوا ففي بعض الآثار أنهم قالوا فيه: من لنا بحرّ الشمس ،فضلل عليهم الغمام،وقالوا من لنا بالطعام فأنزل الله تعالى عليهم المنّ والسلوى، وقالوا من لنا بالماء فأمر موسى بضرب الحجر، وتغيير الترتيب لقصد إبراز كل من الأمور المعدود في معرض أمر مستقل واجب التذكير والتذكر، ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم أنّ الكل أمر واحد أمر بذكره ،والاستسقاء طلب الاستسقاء عند عدم الماء أو قلته، وقيل ومفعول استسقى محذوف أي «ربه» أو ماء وقد تعدى هذا الفعل في الفصيح إلى المستقى منه تارة وإلى المستسقي أخرى كما قال في قوله تعالى: «وإذا استسقاه قومه»«[941]»

وقوله: وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل «[942]»

وتعديته إليهما مثل أن نقول: استسقى زيد ربه بالماء، لم نجدها في شيء من كلام العرب واللام متعلقة بالفعل وهي سببية لأجل قومه «فقلنا اضرب بعصاك الحجر» أي فأجبناه «فقلنا»، والعصا مؤنث والألف منقلبة عن واوا بدليل عصوان و عصوته أي ضربته

---

[940]- سورة البقرة الآيات 60-61.

[941]- سورة الأعراف الآية 160.

[942]- انظر: طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ،محمد بن سلام الجمحي ،د ط ، تحقيق محمود محمد شاكر ،جدة ، دار المدني ، دت ، ج 1 ص 33

بالعصا، ويجمع على أفعل شذوذا وعلى فعول قياسا، فيقال أعصى وعصي وتتبع الحركة – العين، حركة الصاد– «والحجر» هو هذا الجسم المعروف، وجمعه أحجار حجار وقالوا حجارة واشتقوا منه فقالوا: استحجر الطين «الاشتقاق من الأعيان قليل جدا» والمراد بهذه العصا المسؤول عنها في قوله تعالى: «وما تلك بيمينك يا موسى»«[943]» والمشهور أنّها من عصا الجنة طولها عشرة أذرع طول موسى عليه السلام، وقيل رفعها له ملك في طريق مدين، وفي المراد من «الحجر» خلاف فقال الحسن: لم يكن حجرا معينا ،بل أي حجر ضربه انفجر منه الماء، وهذا أبلغ في الإعجاز وأبين في القدرة، وقال وهب: كان يقرع لهم أقرب حجر فتفجر، وعلى هذا اللام فيه للجنس، وقيل للعهد، وهو حجر معين حمله معه من الطور مكعب له أربعة أوجه ينبع من كل وجه ثلاثة أعين، لكل سبط عين تسيل في جدول إلى السبط الذي أمرت أن تسقيهم وكانوا ستمائة ألف ما عدا دوابهم، وسعة المعسكر اثنا عشرة ميلا، وقيل حجر كان عند آدم وصل مع العصا إلى شعيب وقيل حجر أخذ من البحر خفيف ليشبه رأس الآدمي كان يضعه في مخلاته، فإذا احتاج للماء ضربه والروايات في ذلك كثيرة، وظاهر أكثرها التعارض ولا ينبغي على تعيين هذا الحجر أمر ديني، والأسلم تفويض علمه لله تعالى.

«فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا» عطف على مقدر، أي فاضرب فانفلق ويدل على هذا المحذوف وجود الانفجار ولو كان ينفجر دون ضرب لما كان للأمر فائدة، وبعضهم يسمّى

[943] ـ سورة طه : الآية 17.

هـذه الفـاء الفصـيحة ويقـدر شـرطا أي :فـإن ضـربت فقـد «انفجـرت» وفي المعـنى أنّ هـذا التقـدير يقتضـي تقـدم الانفجـار علـى الضـرب إلاّ أن يقـال المـراد فقـد حكمنـا بترتيـب الانفجـار علـى ضـربك، وقـال بعـض المتـأخرين لا حـذف، بـل الفـاء للعطـف وإن مقـدرة بعـد الفـاء كمـا هـو القيـاس، بعـد الأمـر عنـد قصـد السـببية والتركيـب مـن قبيـل زرني فأكرمـك أي «اضرب بعصاك الحجر» فإنّ انفجرت فليكن منك الضرب فالانفجار....

«فـادع لنـا ربـك» أي:سـله لأجلنـا بـدعائك إيـاه بـأن يخـرج لنـا كـذا وكـذا والفـاء السـببية عـدم الصـبر للـدعاء و لغـة بـني عـامر «فـادع» بكسـر العـين جعلـوا دعـا مـن ذوات اليـاء كرمـى، وإنّمـا سـألوا موسـى أن يـدعو لهـم لأنّ دعـاء الأنبيـاء علـيهم الصـلاة والسـلام أقـرب للإجابـة مـن غـيرهم على أنّ دعـاء الغـير للغـير مطلقـا أقـرب إليهـا، فمـا ظنـك بـدعاء الأنبيـاء لأممهـم؟ ولهـذا قـال صـلى الله عليـه وسـلم لعمـر رضـي الله عنـه:« أشـركنا في دعائـك»«[944]»، وفي الأثـر: «ادعـوني بألسـنة لم تعصـوني فيهـا» وحملـت علـى ألسـنة الغـير والتعـرض لعنـوان الربوبيـة لتمهيـد مبـادئ الإجابـة وقـالا: «ربـك» ولم يقولـوا ربّنـا لأنّ في ذلـك مـن الاختصـاص بـه مـا لـيس فـيهم مـن مناجاتـه وتكليمـه وإيتائـه التـوراة، فكـأنّهم قـالوا: ادع لنـا المحسـن إليـك بمـا لم يحسـن بـه إليـك بمـا لم يحسـن بـه إلينـا، فكمـا أحسـن إليـك مـن قبـل نرجـو أن يحسـن إليـك في إجابـة دعائـك، «يخـرج لنـا ممـا تنبـت الأرض مـن بقلهـا وقثائهـا وفومهـا وعدسـها وبصـلها» المـراد بـالإخراج المعـنى المجـازي الـلازم للمعـنى الحقيقـي، وهـو الإظهـار بطريـق الإيجـاد لا بطريقـة إزالـة

[944] ـ رواه الترمذي ، أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحاديث شتى من أبواب الدعوات،رقم 3623 ، ج 5 ، ص 220 ، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ

الخفاء، والحمل على المعنى الحقيقي يقتضي مخرجا عنه، ولم يصلح له هاهنا هو «الأرض» وبتقديره يصير الكلام سخيفا، ويخرج مجزوم لأنّه جواب الأمر وجزمه -بلام الطلب- محذوفة لا يجوز عند البصريين، و«من» الأولى تبعيضية أي مأكولا بعدما تنبت..... والبقل جنس يندرج فيه النبات الرطب ممّا يأكله الناس والأنعام، والمراد به هنا أطايب البقول التي يأكلها الناس والقثاء هو هذا المعروف وقال الخليل هو الخيار، وقرأ يحيى بن وثاب وغيره بضم القاف، وهو لغة والفوم- الحنطة وعليه أكثر الناس، حتّى قال الزجاج: لا خلاف عند أهل اللغة أنّ الفوم الحنطة، وسائر الحبوب التي تختبز يلحقها، اسم الفوم وقال الكسائي وجماعة هو الفوم وقد أبدلت ثاءه فاء كما حدث في جدث وجذف، وهو بالبصل والعدس أفق وبه قرأ ابن مسعود —رضي الله عنه – ونفس شيخنا —عليه الرحمة- إليه تميل والقول بأنّه الخبز يبعده الإنبات من «الأرض» وذكره مع البقل وغيره وما في المعالم عن ابن عباس —رضي الله عنهما- من أنّ الفوم، الخبز يمكن توجيهه بأنّ معناه أنّه يقال عليه، ووجه ترتيب النظم أنّه ذكر أولا ما هو جامع للحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهو البقل إذ منه ما هو بارد و رطب —كالهندباء- ومنه ما هو حار يابس —كالكرفس و السنداب — ومنه ما هو حار وفيه رطوبة —كالنعناع-، وثانيا ما هو بارد رطب، وهو القثاء – ، وثالثا ما هو حار يابس —وهو الثوم-، ورابعا ما هو بارد يابس-وهو العدس-، وخامسا ما هو حار رطب —وهو البصل- وإذا طبخ صار باردا رطبا عند بعضهم، أو

يقال إنّه ذكر أولا ما يؤكل من غير علاج نار، وذكر بعده ما ينبغي فيه ذلك وبقبله «»[945].

2. في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ «»[946]. قال –رحمه الله– : «وإذ قال موسى لقومه» جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو إسرائيل بعد أخذ الميثاق معهم، وتفصيل كيفية نقضهم له مع الإشارة إلى انتفاء فترة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما بينهم، و«إذا» نصب على أنّه مفعول لفعل محذوف خوطب بسيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم بتلوين الخطاب وصرفه عن أهل الكتاب ليعدد لهم ما سلف من بعضهم من الجنايات، أي واذكر لهم يا محمد وقت قول موسى عليه السلام ناصحا ومستميلا لهم بإضافتهم

[945] – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ج1 ص 273–274–275.

[946] – سورة المائدة: الآيات 20 ـ 25.

إليه: «يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم»، وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت أبلغ من توجيهه إلى ما وقع فيه، وإن كان هو المقصود بالذات كما مرت الإشارة إليه «عليكم» متعلق إما بالنعمة إن جعلت مصدرا وإمّا بمحذوف وقع حالا منها إذا جعلت اسما أي اذكروا إنعامه عليكم بالشكر واذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت جعله، أو اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما جعل بينكم من أقربائكم أنبياء، وصيغة الكثرة على حقيقتها كما هو الظاهر، والمراد بهم موسى وهارون ويوسف وسائر أولاد يعقوب على القول بأنهم كانوا أنبياء أو الأولون، والسبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه، فقد قال ابن السائب ومقاتل أنّهم كانوا أنبياء، وقال الماوردي المراد بهم الأنبياء الذين أرسلوا من بعد في بني إسرائيل، والفعل الماضي مصروف عن حقيقته، وقيل :المراد بهم من تقدم ومن تأخر، ولم يبعث من أمة من الأمم ما بعث من بني إسرائيل من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، «وجعلكم ملوكا» عطف على «جعل فيكم» وتغير الأسلوب فيه لأنّه لكثرة الملوك فيهم،أو منهم صاروا كلهم كأنّهم ملوك لسلوكهم مسلكهم في السعة والترفيه، فلا يجوز في إسناد الملك إلى الجميع بخلاف النبوة، فإنها وإن كثرت لا يسلك أحد مسلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لأنّها أمر إلهي يخص الله تعالى به من يشاء، فلذا لم يتجوز في إسنادها، وقيل: لا مجاز في الإسناد وإنّما هو في لفظ الملوك، فإنّ القوم كانوا مملوكين في أيدي القبط فأنقذهم الله تعالى، فسمي ذلك الإنقاذ ملكا، وقيل لا مجاز أصلا، بل جعلوا ملوكا على الحقيقة، والملك من كان له بيت وخادم كما جاء عن زيد بن أسلم مرفوعا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخذري قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «كانت بنو إسرائيل إذ كان لأحدهم خادم و دابة و امرأة كان ملكا»«946 ».

و أخرج ابن جرير عن الحسن هل الملك إلا مركب وخادم، وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو أنّه سأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك زوجة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء قال فإنّ لي خادما قال فأنت من الملوك،»«[947]» وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار، وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشّاق، وإليه ذهب أبو علي الجبائي، وأنت تعلم أنّ الظاهر هنا القول المجاز وما ذكر في موضع الاستدلال محتمل له أيضا « وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين» من فلق البحر، وإغراق العدو، وتضليل الغمام، وانفجار الحجر وإنزال المن والسلوى وغير ذلك مما آتاهم الله من الأمور المخصوصة، والحظ بالقوم موسى عليه السلام كما هو الظاهر، و «أل» في العالمين للعهد والمراد عالمي زمانهم، أو للاستغراق والتفضيل من وجه لا يستلزم التفضيل من جميع الوجوه،فإنّه قد يكون للمفضل ما ليس للفاضل....«يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم» كرر النداء مع الإضافة التشريفية اهتماما بشأن الأمر، ومبالغة في حثهم على الامتثال به «الأرض المقدسة» هي كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما

---

946 ـ لم أقف عليه في تفسير بن أبي حاتم ، وذكر الحافظ ابن كثير هذا الأثر في تفسيره وقال : وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، انظر: ج 2 ، ص 533.

947 ـ رواه مسلم : كتاب الزهد والرقائق ، رقم 2979 ، ج 9 ، ص 333 ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص . رضي الله عنه

والسدي، وابن زيد بيت المقدس، وقال الزجاج دمشق، وفلسطين و الأردن، وقال مجاهد هي أرض الطور وما حولها، وعن معاذ بن جبل هي ما بين الفرات وعريض مصر، والتقديس التطهير، و وصفت تلك الأرض بذلك إمّا لأنّها مطهرة من الشرك حيث جعلت مسكن الأنبياء عليهم السلام، أو لأنّها مطهرة من الآفات وغلبة الجبارين عليها لا يخرجها أن تكون مقدسة لأنّ فيها المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب.

«التي كتب الله لكم» أي قدرها وقسّمها لكم، أو كتب في اللوح المحفوظ أنّها تكون مسكنا لكم، روى أنّ الله تعالى أمر الخليل عليه الصلاة والسلام أن يصعد جبل لبنان فلما انتهى بصره إليه فهو له ولأولاده فكانت تلك الأرض مدى بصره، وعن قتادة و السدي أنّ المعنى التي أمركم الله بدخولها وفرضه عليكم..... «ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين » فإنّ ترتيب الخيبة الخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الإيمان قطعا، والأدبار جمع دبر وهو ما خلفهم من الأماكن من مصر وغيرها والجار والمجرور حال من فاعل «ترتدوا» أي لا ترجعوا عن مقصدكم منقلبين خوفا من الجبابرة، و جوز أن يتعلق بنفس الفعل، ويحتمل أن يراد بالارتداد صرف قلوبهم عما كانوا عليه من الاعتقاد وصرفا غير محسوس أي لا ترجعوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وإليه ذهب أبو علي الجبائي.....«قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين» شديدي البطش متغلبين لا تأتي مقاومتهم ولا تجز لهم ناصية، والجبار صيغة مبالغة من جبر الثلاثي على القياس، لا من أجبر على خلافه، كالحساس من الإحساس وهو الذي

يقهر الناس ويكرههم كائنا من كان على ما يريده كائنا من كان، ومعناه في البخل ما فات اليد طولا، وكان هؤلاء القوم من العمالقة بقايا قوم عاد و كانت لهم أجسام ليست لغيرهم، أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر عن ابن حجيرة قال: استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه السلام في قحن رجل من العمالقة، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان «[948]»عن زيد بن أسلم قال: بلغني أنّه رؤيت ضبع وأولادها رابضة في فجاج عين رجل منهم إلى غير ذلك من الأخبار وهي عندي كأخبار عوج بن عنق وهي حديث خرافة، «وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها» بقتال غيرنا أو بسبب يخرجهم الله تعالى به فإنّه لا طاقة لنا بإخراجهم منها، وهذا امتناع عن القتال على أتمّ وجه، « فإن يخرجوا عنها» بسبب من الأسباب التي لا تعلق لنا بها، «فإنا داخلون» فيها حينئذ ..... «قال رجلان عن الذين يخافون» أي يخافون الله تعالى وبه قرئ والمراد رجلان من المتقين وهما كما روى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومجاهد والسدي والربيع- يوشع بن نون وكالب بن يوقنا، وفي وصفهم بذلك تعريض بأنّ من عداهما من القوم لا يخافونه تعالى،بل يخافون العدو، وقيل:المراد بالرجلين ما ذكر، « من الذين يخافون» في النسب لا في الخوف، وقيل:في الخوف أيضا، والمراد أنّهما لم يمنعهما من الخوف عن قول الحق، وأخرج ابن المنذر عن ابن جبير أنّ الرجلين كانا من الجبابرة أسلما وصار إلى موسى عليه السلام.....

[948] ـ انظر: شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ط 1 ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1410 هـ ـ 1990م ، باب في الزهد وقصر الأمل ، فصل في ذم بناء ما لا يحتاج إليه من الدور ، رقم 10771 ، ج 7 ، ص 404.

«أنعم الله عليهما» أي بالإيمان والتثبيت غير ظاهر أيضا لأنّه صفة مشتركة بين يوشع وكالب وغيرهما، وكوفة، إنّما يليق أن يقال لمن أسلم من الكفار لا لمن هو مؤمن في حيز المنع، والجملة صفة ثانية لرجلين واعتراض، وقيل:حال يتقدّر من ضمير «يخافون» أومن «رجلان» لتخصيصه بالصفة أومن الضمير المستتر في الجار والمجرور أي قالا:مخاطبين لهم ومشجعين «ادخلوا عليهم الباب» أي باب مدينتهم و تقديم «عليهم» عليه الاهتمام به لأنّ المقصود إنّما هو دخول الباب وهم في بلدهم أي فأخبرهم وضاغطوهم في المضيق فإنّهم لا يقدرون على الكر والفر، وقيل:إنّما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام، وقول «التي كتب الله لكم»، وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله تعالى لموسى عليه السلام في قهر أعدائه.... وعلى الله تعالى خاصة «فتوكلوا» بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فإنّها لن تؤثر من دون إذنه.... «قالوا» غير مبالغين بهما وبمقاتلتهما مخاطبين موسى عليه السلام إظهارا لإصرارهم على القول الأول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام «يا موسى إنا لن ندخلها» أي أرض الجبابرة فضلا عن الدخول عليهم وهو ببلدهم، «أبدا» أي ظهرا طويلا أو فيما يستقبل من الزمان كله،«ما داموا فيها» أي في تلك الأرض وهو بدل من «أبدا» بدل البعض، وقيل:الكل من الكل أو عطف بيان لوقوعه بين النكرتين ومثله في الإبدال قوله:

وأكـــرم أخـــاك الـــدهر مـــاء متمـــا كفـــى بالممـــات فرقـــة وتنائيـــا

«»[949]

فـإنّ قولـه: «مـا دمتمـا» بـدل مـن الـدهر «فاذهـب)» أي إذا كـان الأمـر كـذلك «فاذهـب أنـت وربـك فقـاتلا» أي فقـاتلاهم وأخرجـاهم حـتّى نـدخل الأرض وقصـدوا ذهابهمـا حقيقـة كمـا ينبـئ عنـه غايـة جهلهـم وقسـوة قلـوبهم ..... «قـال» موسـى عليـه السـلام لمـا رأى مـنهم مـا رأى مـنهم مـا رأى مـن العنـاد عـن طريـق البـت والحـزن والشـكوى إلى الله تعـالى مـع رقـة قلبـه الـتي يمثلهـا تسـتجلب الرحمـة، وتسـتنزل النصـرة فلـيس القصـد إلى الإخبـار وكـذا كـل خـبر يخاطـب بـه عـلام الغيـوب يقصـد بـه معنى سـوى إفـادة الحكـم أو لازمـه فلـيس قولـه ردا لمـا أمـر الله تعـالى بـه ولا اعتـذار عـن عـدم الـدخول، «رب إني لا أملـك إلا نفسـي وأخـي» هـارون عليـه السـلام وهـو عطـف علـى «نفسـي» أي لا يجيبـني إلى طاعتـك ويوافـق علـى تنفيـذ أمـرك سـوى «نفسـي و أخـي» ولم يـذكر الـرجلين اللـذين أنعـم الله عليهمـا وإن كانـا يوافقانـه إذ دعـا لمـا رأى مـن تلـون القـوم وتقلـب أرائهـم فكأنّـه لم يثـق بهمـا ولم يعقـد عليهمـا، وقيـل:لـيس القصـد إلى القصـر بـل إلى بيـان قلـة مـن يوافقـه تشـبيها لحالـه بحـال مـا يملـك إلا نفسـه وأخاه....

«فـافرق بيننـا» يريـد نفسـه وأخـاه عليهمـا السـلام، والفـاء لترتيـب الفـرق والـدعاء بـه علـى مـا قبلـه، وقـرئ «فـافرق» بكسـر الـراء «و بـين القـوم الفاسـقين» أي الخـارجين عـن طاعتـك بـأن

[949] ـ البيت لإياس بن القائف ، انظر: شرح حماسة أبي تمام ، الشنمتري ، ط 1 ، تحقيق علي المفضل حمّودان ،بيروت ، دار الفكر المعاصر ـ دمشق ـ دار الفكر ـ ، 1422هـ ـ 2001 م ، ج 2 ، ص 730

تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه كما هو المروى عن ابن عباس، والضحاك رضي الله تعالى عنهم وقال الجبائي: سأل عليه السلام ربه أن يفرق بالتبعيد في الآخرة بأن يجعله وأخاه في الجنة ولا يجعلهم في النار وإلى الأول ذهب أكثر المفسرين، و يرجحه تعقيب الدعاء بقوله تعالى: «قال فإنها» فإنّ الفاء فيه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء فكان ذلك إثر الدعاء، ونوع من المدعو به، وقد أخرج ابن جرير عن السدي قال: إنّ موسى عليه السلام عجلها، فلمّا ضرب عليهم النية ندم فأوحى الله تعالى «فلا تأس على القوم الفاسقين»، والضمير المنصوب عائد إلى الأرض المقدسة أي فإنّها لدعائك («محرمة عليهم» لا يدخلونها ولا يملكونها، و التحريم تحريم منع لا تحريم تعبد ، ومثله قول امرئ القيس يصف فرسه:

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا أَقْصِرِي إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ «[950]»

يريد أنّي فارس لا يمكنك أن تصرعيني وجوز أبو علي الجبائي وإليه يشير كلام البلخي أن يكون تحريم تقيد، والأول أظهر «أربعين سنة» متعلق بمحرمة فيكون التحريم مؤقتا لا مؤبدا، فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى: «كتب الله لكم» والمراد بتحريمها عليهم أنّه لا يدخلها أحد منهم هذه المدة، لكن لا يعني أنّ كلهم يدخلوها بعدها،بل بعضهم ممن بقي حسبما روى أنّ موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة

[950] ـ انظر:ديوان امرؤ القيس ، د ط ، تحقيق درويش الجويدي ،بيروت ، المكتبة العصرية ، 2009 م ، 1430 هـ ، ص 297 .

وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها وأقام ما شاء الله تعالى،ثمّ قبض عليه السلام النواشي من ذريتهم، وعليه فالمؤقت بالأربعين في الحقيقة تحريمها على ذريتهم، وإنّما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة..... «يتيهون» وكان مسافة الأرض تاهوا فيها ثلاثين فرسخا في عرض تسعة فراسيخ كما قال مقاتل، وقيل ستة فراسيخ، وهي ما بين مصر والشام، وذكر أنّهم كانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا يسيرون فيصبحون حيث يمسون ويمسون حيث يصبحون، كما قاله الحسن ومجاهد قيل: حكمة ابتلائهم بالتيه أنّهم لما قالوا: «أنا هاهنا قاعدون» عوقبوا بما يشبه القعود وكان أربعين سنة لأنّها غاية زمن يرعوي فيه الجاهل، وقيل:لأنّهم عبدوا العجل أربعين يوما فجعل عقاب كل يوم سنة في التيه، وليس ذلك من خوارق العادات،إذ التخبير في مثل تلك المسافة على عقلاء كثيرة هذه المدة الطويلة مما تحيله العادة ولعلّ ذلك كان بمحو العلامات التي يستدل بها، أوبأن ألقى شبه بعضها على بعض.

وقال أبو علي الجبائي: إنّه كان يتحول الأرض التي هم عليها وقت نومهم ويغني الله تعالى عن قبوله، وروي أنّه كان الغمام يظلهم من حر الشمس، وينزل عليهم المنّ والسلوى، وجعل معهم حجر موسى عليه السلام يتفجر منه الماء دفعا لعطشهم، قيل:ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم، ولا يطول شعرهم، ولا تبلى ثيابهم كما روي عن الربيع بن أنس وكانت تشب معهم إذا شبوا كما روي عن طاووس، وذكر غير واحد من القصاص أنّهم كانوا إذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله ولا يبلى إلى غير ذلك مما

ذكروه، والعادة تبعد كثيرا منه فلا يقبل إلاّ ما صح عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولقد سألت بعض أحبار اليهود عن لباس بني إسرائيل في التيه، فقال:أنّهم خرجوا من مصر ومعهم الكثير من ثياب القبط أمتعتهم، وحفظها الله لكبارهم وصغارهم، فذكرت له حديث الظفر فقال لم نظفر به وأنكره، فقلت له هي فضيلة فهل أتيتها لقومك فقال: لا أرضى بالكذب توبا، واستشكل معاملتهم بهذه النعم مع معاقبتهم بالحيرة، وأجيب بأنّ تلك المعاقبة من كرمه تعالى، وتعذيبهم إنّما كان للتأديب كما يضرب الرجل ولده مع محبته له، ولا يقطع عنه معروفه ولعلهم استغفروا من الكفر إذ كان قد وقع منهم، وأكثر المفسرون على أنّ موسى وهارون عليهما السلام كانا معهم في التيه لكن لم ينلهما من المشقة ما نالهم، وكان ذلك لهما روحا وسلامة، كالنار لإبراهيم عليه السلام، ولعلّ الرجلين كانا كذلك.«[951]»

3ـ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾ «[952]» :«.... والتمني على ما قال أبو مسلم نهاية التقدير ومنه المنية وفاة الإنسان للوقت الذي قدره الله تعالى، والأمنية على ما قال الراغب الصورة الحاصلة في النفس من

[951] ـ انظر:روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني ، ج 3 ، ص 275 ـ 280.

[952] ـ سورة الحج : الآيات 52 ـ 53.

التمني، وقال غير واحد: التمني القراءة وكذا الأمنية، وأنشدوا قول حسان في عثمان –رضي الله عنهما–:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ تَمَنِي دَاوودَ الزبُورَ عَلَى رُسُلِي

وفي البحر أنّ ذلك راجع إلى الأصل المنقول عن ابن مسلم فإنّ التالي يقدر الحروف ويتصورها فيذكرها شيئا فشيئا، والمراد بذلك هنا عند كثير القراء والآية مسوقة لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم بأنّ السعي في إبطال الآيات أمر معهود وأنّ السعي مردود، والمعنى وما أرسلنا من قبلك رسولا ولا نبيا إلاّ وحاله أنّه إذا قرأ شيئا من الآيات ألقى الشيطان الشبه والتخيلات فيما يقرأه على أوليائه ليجادلوه بالباطل ويردوا ما جاء به كما قال تعالى: «وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم». «[953]»

وقال سبحانه «وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول»«[954]»، وهذا كقولهم عند سماع قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنما حرم عليكم الميتة»«[955]» إنّه يحل ذبيح نفسه ويحرم ذبيح الله تعالى، وقوله على ما في بعض الروايات عند سماع قراءته عليه الصلاة والسلام: «إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»«[956]» إنّ عيسى عبد من دون الله تعالى والملائكة عليهم السلام عبدوا

[953] ـ سورة الأنعام : الآية 121

[954] ـ سورة الأنعام : الآية 112.

[955] ـ سورة البقرة : الآية 173

[956] ـ سورة الأنبياء: الآية 98.

من دون الله تعالى: «فينسخ الله ما يلقي الشيطان» أي يبطل ما يلقيه من تلك الشبه، ويذهب به بتوفيق النبي صلى الله عليه وسلم لرده أوباء نزال ما يروه «ثمّ يحكم الله آياته» أي يأتي بها محكمة مثبتة لا تقبل الرد بوجه من الوجوه، «وثمّ» للتراخي الرتبي فإنّ الأحكام أعلا رتبة من النسخ، وصيغة المضار في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي، وإظهار الجلالة في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بأنّ الألوهية من موجبات أحكام آياته تعالى الباهرة ،ومثل ذلك في زيادة الترتيب إظهار الشيطان والله أعلم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما يصدر عن الشيطان و أوليائه « حكيم» في كل ما يفعل ومن جملته تمكين الشيطان من إلقاء الشبه وأوليائه من المجادلة وإبداؤه تعالى ردها، والإظهار ها هنا لما ذكر أيضا مع ما فيه تأكيد الاعتراض التذييلي..... وما يلقى الشيطان كلمات تشابه الوحي يتكلم بها الشيطان بحيث يظن السامع أنّها من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روي أنّ الآية نزلت حين قرأ عليه الصلاة والسلام « أفرأيتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى»«[957]» فألقى الشيطان في سكنه محاكيا نغمته عليه الصلاة والسلام بحيث يسمعه من حوله تلك الغرانيق العلا وإنّ شفاعتهن لترتجى،فظنّ المشركون أنّه عليه الصلاة والسلام هو المتكلم بذلك ففرحوا وسجدوا معه لما سجد آخر السورة، وقيل: المتكلم بذلك بعض المشركين، وظن سائرهم أنّه عليه الصلاة والسلام هو المتكلم به، وقيل إنّه عليه الصلاة والسلام هو المتكلم به، وقيل:إنه عليه الصلاة والسلام هو الذي تكلم بذلك عامدا،لكن مستفهما على سبيل الإنكار

[957] ـ سورة النجم : الآيتان 19 ـ 20.

والاحتجاج على المشركين، وجعل من إلقاء لما ترتب عليه من ظنّ المشركين أنّه مدح لآلهتهم، ولا يمنع ذلك أنّه عليه الصلاة والسلام كان يصلي،لأنّ الكلام في الصلاة كان جائزا آن ذاك، وقيل: بل كان ساهيا، فقد أخرج عن عبد بن حميد عن طريق يونس عزا بن شهاب قال حدثني أبو بكر بن عبد الرحمان أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو بمكة قرأ عليهم والنجم فلما بلغ «أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى» قال إنّ شفاعتهن ترتجى وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح المشركون بذلك فقال صلى الله عليه وسلم:ألا إنّما ذلك من الشيطان فأنزل الله «وما أرسلنا —حتى بلغ- عذاب يوم عقيم» قال الجلال السيوطي : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وقال القاضي عياض في الشفا يكفيك في توهين هذا الحدث أنّه لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند صحيح سليم متصل، وإنّما أولع به ومثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقون من الصحف كل صحيح وسقيم و في البحر أنّ هذه القصة سئل عنها الإمام محمد بن إسحاق جامع السيرة النبوية فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتابا،وذكر الشيخ أبو منصور الماتريدي في كتاب قصص الأنبياء الصواب أنّ قوله: تلك الغرانيق العلا من جملة إيحاء الشيطان إلى أوليائه من الزنادقة حتى يلقوا بين الضعفاء وأرقاء الدين ليرتابوا في صحة الدين وحضرة الرسالة بريئة من مثل هذه الرواية، وذكر غير واحد أنّه يلزم على القول بأنّ الناطق بذلك النبي صلى الله عليه وسلم بسبب إلقاء الشيطان المتلبس بالملك أمور منها تسليط الشيطان عليه الصلاة والسلام وهو صلى الله عليه وسلم

بالإجماع معصوم من الشيطان لا سيّما في مثل هذا من أمور الوحي والتبليغ والاعتقاد، وقد قال سبحانه و تعالى: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» وقال تعالى: «إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا....» إلى غير ذلك، ومنها زيادته صلى الله عليه وسلم في القرآن وذلك ممّا يستحيل عليه الصلاة والسلام لمكان المعصية، ومنها اعتقاد النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قرآن مع كونه بعيد الالتئام متناقضا ممتزج المدح بالذم وهو خطأ شنيع لا ينبغي أن يتساهل في نسبه إليه صلى الله عليه وسلم، ومنها أنّه إمّا أن يكون عليه الصلاة والسلام عند نطقه بذلك معتقدا ما اعتقد المشركون من مدح آلهتهم بتلك الكلمات وهو كفر محال في حقه صلى الله عليه وسلم، وإمّا أن تكون معتقدا معنى آخر مخالفا لما اعتقدوه ومباينا لظاهر العبارة، ولم ينتبه لهم مع فرحهم وادعائهم أنّه مدح آلهتهم، فيكون مقرا لهم على الباطل وحاشاه صلى الله عليه وسلم أن يقر على ذلك، ومنها كونه صلى الله عليه وسلم اشتبه عليه ما يلقيه الشيطان بما يلقيه عليه الملك وهو أنّه عليه الصلاة والسلام على غير بصيرة فيما يوحى إليه، ويقتضي أيضا جواز تصور الشيطان بصورة الملك ملبسا على النبي صلى اله عليه وسلم، ولا يصح ذلك كما قال الفقهاء لا في أول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة، وقال ابن العربي: تصور الشيطان في صورة الملك ملبسا على النبي كتصوره في صورة النبي ملبسا على الخلف وتسليط الله تعالى له على ذلك كتسليطه في هذا فكيف يسوغ في لب سليم إستجازة ذلك، ومنها التقوّل على الله تعالى إمّا عمدا،أو خطأ أو سهوا وكل ذلك محال في حقه عليه الصلاة

والسلام، وقد اجتمعت الأمة على ما قال القاضي عياض على عصمته صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقة البلاغ من الأقوال عن الأخبار بخلاف الواقع لا قصدا ولا سهوا، ومنها الإخلال بالوثوق بالقرآن فلا يؤمن فيه التبديل والتغيير ولا يندفع كما قال البيضاوي بقوله:«فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثمّ يحكم الله آياته.....» لأنّه أيا يحتمل إلى غير ذلك، وذهب إلى صحتها الحافظ ابن حجر في شرح البخاري، وساق طرقا عن ابن عباس وغيره،ثمّ قال وكلها سوى سعيد بن جبير إمّا ضعيف وإمّا منقطع،لكن كثرة الطرق تدل على أنّ لها أصلا مع أنّ لها طريقا متصلا بسند صحيح أخرجه البزار وطريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين، أحدهما ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب، والثاني ما أخرجه أيضا من طريق المعتز بن سليمان، وحماد بن سلمة فرقهما عن داود بن أبي هند عن أبي العالية، ثمّ أخذ في الرد على أبي بكر العربي والقاضي عياض في إنكار الصحة....«[958]» .

4 ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾«[959]».

[958] ـ انظر: روح المعاني في تفسير القرءان العظيم والسبع المثاني، ج 9 ، ص 165 ـ 169.

[959] – سورة البروج: الآيات 4-9.

قال –رحمه الله– : « قتل أصحاب الأخدود» على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما في قوله: حلفت بالله حلفت فاجر لناموا فما إن من حديث ولا صالي«[960]»

وقيل على حذف اللام وقد،والأصل لقد قيل وهو مبني على ما أشهر من أنّ الماضي المثبت المنصرف الذي لم يتقدم معموله تلزمه اللام وقد لا يجوز الاقتصار على أحدهما إلاّ عند طول الكلام كما في قوله سبحانه «قد أفلح من زكاها»«[961]» بعد قوله : «والشمس وضحاها» «[962]»إلخ، والبيت المذكور، ولا يجوز تقدير اللام بدون قد لأنّها لا تدخل على الماضي المجرد منها وتمام الكلام في محله في شروح منها كشروح التسهيل وغيرها وأيّاما كان فالجملة خبرية،وقال بعض المحققين إنّ الأظهر أنّها دعائية دالة على الجواب ،كأنّه قيل:أقسم بهذه الأشياء أنّ كفار قريش ملعونون أحقّاء بأن يقال فيهم قتلوا كما هو شأن أصحاب الأخدود كما أنّ السورة لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى ممن تقدمهم من التعذيب لأهل الإيمان وصبرهم الله عز وجل في كونهم ملعونين مطرودين، فالقتل هنا عبارة عن أشدّ اللعن والطرد لاستحالة الدعاء منه سبحانه حقيقة فأريد لازمه من السخط والطرد عن رحمته جل وعلا، وقال بعضهم الأظهر أن يقدر أنّهم لمقتولون كما قتل أصحاب الأخدود فيكون وعدا له صلى الله عليه وسلم بقتل الكفرة المتمردين لإعلاء الدين يكون معجزة بقتل

[960] ـ البيت لامرئ القيس ، انظر: ديوان امرئ القيس ، ص 254.

[961] ـ سورة الشمس: الآية 9

[962] ـ سورة الشمس: الآية 1

رؤوسهم في غزوة بدر، انتهى، وظاهرة إبقاء القتل على حقيقته واعتبار الجملة خبرية وهو ما ترى و حكى في البحر أنّ الجواب محذوف وتقديره لتبق ونحوه وليس بشيء كما لا يخفى، والأخدود الخد وهو الشق في الأرض نحوهما بناء ومعنى الخد و الأخدود، ومنه ما جاء في خبر سراقة حين تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فساخت قوائمه إي قوائم فرسه في أخاديد جرذان. وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث صهيب يرفعه كان ملك من الملوك، وكان ذلك الملك كاهن يكهن له فقال: له ذلك الكاهن: انظروا لي غلاما فهما فأعلمه علمي هذا فإنّي أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم، ولا يكون فيكم من يعلمه فنظروا له غلاما على ما وصف فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن، وأن يختلف إليه، فجعل الغلام يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلّما مر به، فلم يزل به حتّى أخبره فقال: أنا عبد الله تعالى فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطئ على الكاهن فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام إنّه لا يكاد يحضر فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب : إذا قال لك الكاهن أين كنت قل: عند أهلي، وإذا قال لك أهلك أين كنت فأخبرهم أنّك كنت عند الكاهن، فبينما الغلام على ذلك،إذ بجماعة من الناس كثيرة قد حبستهم دابة يقال كانت أسد، فأخذ الغلام حجرا فقال: اللهم إن كان ما يقول الراهب حقا فأسألك أن أقتل هذه الدابة، وإن كان ما يقوله الكاهن حقا فأسألك ألا أقتلها، ثمّ رمى فقتل الدابة، فقال الناس من قتلها؟ فقالوا الغلام ففزع الناس وقالوا: قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد، فسمع

أعمى فجاءه فقال له: إذا أنت رددت بصري فلك كذا وكذا فقال الغلام : لا أريد منك هذا ولكن أرأيت إن رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي ردّه عليك؟ فقال: نعم، فردّ عليه بصره فآمن الأعمى، فبلغ الملك أمرهم فبعث إليهم فأتى بهم فقال لأقتلنّ كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على فوق أحدهما فقتله وقتل الآخر بقتلة أخرى، ثمّ أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه فانطلقوا به إلى ذلك الجبل، فلمّا انتهوا به إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه فجعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون حتّى لم يبقى منهم إلاّ الغلام، ثمّ رجع الغلام فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه، فانطلق إلى البحر ففرق الله تعالى الذين كانوا معه و أنجاه الله تعالى فقال الغلام للملك إنّك لا تقتلني حتّى تصلبني وترميني وتقول بسم الله رب الغلام، فأمر به فصلب،ثمّ رماه وقال بسم الله رب الغلام فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي ثمّ مات، فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فإنّا نؤمن برب هذا الغلام فقيل للملك أجزعت إن خالفك ثلاثة، فهذا العالم كله قد خالفوك فخدّ أخدودا ثمّ ألقي فيها الحطب والنار،ثمّ جمع الناس فقال: من رجع عن دينه نتركه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الأخدود فقال: يقول الله تعالى: «قتل أصحاب الأخدود» حتى بلغ «العزيز الحميد»، وفيه فأمّا الغلام فإنّه دفن،ثمّ أخرج فيذكر أنّه خرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل، وفي بعض رواياته فجاءت امرأة بابن لها صغير فكأنّها تقاعست أن تقع

في النار فقال الصبي يا أمّاه اصبري فإنّك على الحق وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن نجيّ قال:شهدت الأخدود فقصّ عليه القصة فقال علي كرم الله تعالى وجهه: أنا أعلم بهم منك بعث نبي من الحبش إلى قومه، ثمّ قرأ رضي الله تعالى عنه: «ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك»«[963]» فدعاهم فتابعه الناس فقاتلهم فقتل أصحابه وأخذ فأوثق فانفلت فأنس إليه رجال فقاتلهم وقتلوا وأخذ فأوثق فانفلت أخدودا وجعلوا فيها النيران وجعلوا يرمون الناس فمن تبع النبي صلى الله عليه وسلم- رمي فيها ن تابعهم ترك وجاءت امرأة في آخر من جاء ومعها صبي لها فجزعت فقال: الصبي يا أمّاه اصبري وتماري فوقعت، وأخرج عبد بن حميد عنه كرم الله تعالى وجهه أنّه قال: لما كان المجوس أهل كتاب ومتمسكين بكتابهم، وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناول منها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله، فتناول أخته،أو ابنته فوقع عليها فلمّا ذهب عنه السكر ندم وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت وما المخرج منه قالت المخرج أن تخطب الناس فتقول:أيها الناس إنّ الله أحل نكاح الأخوات أو البنات فقال الناس: جمعيهم معاذ الله أن نؤمن بهذا أو نقربه أو جاء به نبي أو نزل علينا في كتاب، فرجع إلى صاحبته وقال:ويحك إنّ الناس قد أبؤا علي ذلك قالت:إنّ أبو عليك فابسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فقالت: فجرّد فيهم السيف فأبوا أن يقروا، قالت فخدّ لهم الأخدود،ثمّ أوقد فيها النيران فمن تابعك فخلّ عنه، فخدّ لهم أخدودا وأوقد فيها النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه في النار ومن لم يأب خل عنه،

[963] ـ سورة غافر : الآية 78.

وقيل:وقع إلى نجران ممّن كان على دين عيسى عليه السلام فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشرة ألفا في الأخاديد، وقيل سبعين ألفا، وذكر أنّ طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثني عشرة ذراعا، ولاختلاف الأخبار في القصة اختلفوا في موضع الأخدود، فقيل بنجران لهذا الخبر الأخير، وقيل بأرض الحبشة لخبر بن نجي السابق، وأخرج ابن عبد حميد وابن المنذر عن قتادة عن علي كرم الله تعالى وجهه أنّه كان بمذراع اليمن، أي قراه ، و هذا لا ينافي كونه بنجران لأنّه بلد باليمن، وكذلك اختلفوا في أصحاب الأخدود لذلك فحكي فيه ما يزيد على عشرة أقوال منها أنّهم حبشة ومنها أنّهم من النبط و روى عن عكرمة ومنها أنّهم من بني إسرائيل و روي عن ابن عباس،وأصح الروايات عندي في القصة ما قدمناه عن صهيب رضي الله عنه والجمع ممكن فقد قال عصام الدين لعلّ جمع ما روي واقع والقرآن شامل له فلا تغفل....»«[964] ».

المبحث التاسع : الشيخ الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تناول القصص القرآني من خلال : « التحرير والتنوير »

المطلب الأول: التعريف بابن عاشور

أورد الزركلي في كتابه الأعلام ترجمة مقتضبة ومختصرة جاء فيها مايلي :« محمد الطاهر بن عاشور : رئس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامعة الزيتونة وفروعه بتونس ، مولده ووفاته ودراسته بها ، عيّن «عام 1932م » شيحا للإسلام مالكيا ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة ، له مصنفات مطبوعة ، من أشهرها «مقاصد الشريعة» ،« وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام

والتحرير والتنوير »في تفسير القرآن صدر منه عشرة أجزاء ، والوقف وآثاره في الإسلام ،« وأصول الإنشاء والخطابة» ، «وموجز البلاغة »، وممّا عني بتحقيقه ونشره ديوان بشار بن برد أربعة أجزاء ، وكتب كثيرا في المجلات وهو والد محمد الفاضل الآتية ترجمته »«».

المطلب الثاني : التعريف بتفسير ابن عاشور ومنهجه فيه

أبان الإمام محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره عن بواعث ودواعي تفسيره لهذا الكتاب فقال: ـ رحمه الله ـ « أمّا بعد فقد كان أكبر أمنيّتي منذ أمد بعيد ، تفسير الكتاب المجيد ، الجامع لمصالح الدنيا والدين ، وموثق شديد العرى من الحق المتين ، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها ، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها ، طمعا في بيان نكت من العلوم وكليات من التشريع ، وتفاصيل من مكارم الأخلاق ، كان يلوح نموذج من جميعها في خلال تدبره ، أو مطالعة كلام مفسره ، ولكنّي كنت على كلفي بذلك أتجهم التقحّم على هذا المجال ، وأحجم عن الزّج بسيّة قوسي في هذا النضال ، اتقاء عسى ما يعرض له المرء نفسه من متاعب تنؤ بالقوة ، أو فلتات سهام الفهم ،وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوّة فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجرا ، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى ، وأنا آمل أن يمنح من التيسير ، ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير ، وفيما أنا بين إقدام وإحجام ، أتخيل هذا الحقل مرّة القتاد وأخرى الثّمام ، إذ أنا بأملي قد خيّل إليّ أنّه تباعد أو انقضى ، إذ قدر أن تسند إلى خطة القضا فبقيت متلهفا ولات حين مناص ، وأضمرت تحقيق هاته الأمنية متى أجمل الله الخلاص ، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان ، وأضرب المثل بأبي الوليد ابن رشد في كتاب البيان ، ولم أزل كلّما مضت مدة يزداد التمني وأرجوا إنجازه إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة ، فإذا الله قد منّ بالنقلة إلى خطة الفتيا ، وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا ، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس ، وطمعت أن أكون ممّا أوتي الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس ، هناك عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمره ، واستعنت بالله تعالى واستخرته ؟ وعلمت أنّ ما يهول من توقع كلل أو غلط ، لا

ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط ، إذا بدلت الوسع من هذا الاجتهاد ، وتوخيت طرق الصواب والسداد.

أقدمت على هذا المهم إقدام الشجاع ، على وادي السباع ، متوسطا في معترك أنظار الناظرين ، وزائر بين صباخ الزائرين ، فجعلت حقا على أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها ، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها فإنّ الاقتصار على الحديث المعاد ، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد ، ولقد رأيت الناس حول كلام الأقدمين أحد رجلين ، رجل معتكف فيما شاده الأقدمون ، وآخر آخذ بمعوله فيما مضت عليه القرون ،وفي كلتا الحالتين ضر كثير ، وهناك حالة أخرى ينجب بها الجناح الكسير ، وهي أن نعمد إلى ما شاده الأقدمون فنهذبه ونزيده ، وحاشا أن ننقضه أو نبيده ، عالما بأنّ من غمض فضلهم كفران النعمة ، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة ، فالحمد لله الذي صدّق الأمل ، ويسّر إلى هذا الخير ودلّ ، والتفاسير وإن كانت كثيرة ، فإنّك لا تجد الكثير منها إلاّ عالة على كلام سابق بحيث لا حظ لمؤلفه إلاّ الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل ، وإنّ أهمّ التفاسير تفسير الكشاف «والمحرر الوجيز » لابن عطية ومفاتيح الغيب لفخر الدين الرّازي ، وتفسير البيضاوي الملخص من الكشاف ومفاتيح الغيب بتحقيق بديع ،وتفسير الشهاب الألوسي ، وما كتبه الطيبي و القزويني و القطب و التفتزاني على الكشاف ، وما كتبه الخفاجي على تفسير البيضاوي ، وتفسير أبي السعود ،والقرطبي والموجود من تفسير الشيخ محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه الأبي وهو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير لذلك لا يأتي على جميع آي القرآن وتفاسير الأحكام ، وتفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ، وكتاب درة التنزيل المنسوب لفخر الدين الرّازي ، وربّما ينسب للرّاغب الأصفهاني ،و لقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها ، وقد ميّزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية ، ممّا لا يذكره المفسرون ، وإنّما حسبي في ذلك عدم عثوري عليه فيما بين يدي من التفاسير في تلك الآية خاصة ، ولست أدّعي انفرادي به في نفس

الأمر ، فكم من كلام تنشئه تجدك قد سبقك إليه متكلم ، وكم من فهم تستظهره وقد تقدّمك إليه متفهم ، وقديما قيل : هل غادر الشعراء من متردّم .

..... وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة وأساليب الاستعمال ،واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض ، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرّازي ، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » ، إلاّ أنّهما لم يأتي في كثير من الآي بما فيه مقنع ، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول المتطلع ،أمّا البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض فلا أراه حقا على المفسر .ولم أغادر سورة إلاّ بيّنت ما أحيط بها من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعاني جمله كأنّها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله،

واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق ممّا خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة .... و سميّته«تحرير المعنى السديد ، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» واختصرت هذا الاسم باسم التحرير والتنوير [964] »

ففي هذه المقدمة أبان فيها الشيخ الطاهر بن عاشور عن الخطوط العريضة التي يسير عليها في تفسير النص القرآني ، كما أبان عن بعض المصادر التي رجع إليه وعن منهجه في النقل منها

وطريقته في تفسير الآية القرآنية بالإتيان بأسباب النزول ,وأوجه المناسبة ، وبيان أغراض السورة ، مع بيان غريب الألفاظ و الإشارة إلى وجوه الإعجاز بذكر المباحث البلاغية ،و الكتاب مطبوع يقع في ثلاثين جزءا بالدار التونسية للنشر، وأقيمت حوله عدة دراسات ورسائل جامعية سواء في مجال التفسير ، أو غيرها من العلوم الشرعية، ففي هذه المقدمة أبان فيها الشيخ الطاهر بن عاشور عن الخطوط العريضة التي يسير عليها في تفسير النص القرآني ، كما أبان عن بعض المصادر التي رجع إليه وعن منهجه في النقل منها وطريقته في تفسير الآية القرآنية بالإتيان بأسباب النزول ,وأوجه

[964] ـ انظر : مقدمة التحرير والتنوير ، ، ج 1 ، ص 5 ـ 9.

المناسبة ، وبيان أغراض السورة ، مع بيان غريب الألفاظ و الإشارة إلى وجوه الإعجاز بذكر المباحث البلاغية .

والكتاب مطبوع يقع في ثلاثين جزءا بالدار التونسية للنشر، وأقيمت حوله عدة دراسات ورسائل جامعية سواء في مجال التفسير ، أو غيرها من العلوم الشرعية .

المطلب الثالث : نماذج من تناول الشيخ الطاهر بن عاشور للقصص القرآني

1 ـ قال في تفسير قوله تعالى « وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾ «[965]».

قال ـ رحمه الله ـ:« ... فالسائلون قريش لا محالة ، و المسؤل عنه : خبر رجل عظيم من عظماء العالم عرف بلقب ذي القرنيين ، كانت أخبار سيرته خفية مجملة مغلقة ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن تحقيقها ، وأذن له الله أن يبين منها ما هو موضع العبرة للناس في شؤن الصلاح والعدل ، وفي عجيب صنع الله في اختلاف أحوال الخلق ، فكان أحبار اليهود منفردين بمعرفة إجمالية عن هذه المسائل الثلاث وكانت من أسرارهم فلذلك جرّبوا بها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يتجاوز القرآن عن ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به إلى تعيين اسمه وبلاده وقومه ، لأنّ ذلك من شؤن أهل التاريخ والقصص وليس من أغراض القرآن ، فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة وحكمة أو خلقية فلذلك قال الله تعالى :« قل سأتلوا عليكم منه ذكرا» والمراد بالسؤال عن ذي القرنيين السؤال عن خبره فحذف المضاف إيجازا لدلالة المقام ، وكذلك حذف المضاف في قوله «منه »، أي من خبره ومن تبعيضية والذكر التذكر والتفكر، أي سأتلوا عليكم ما به التذكر ، فجعل المتلو نفسه ذكرا مبالغة بالوصف بالمصدر ، ولكنّ القرآن جاء بالحق الذي لا تخليط فيه من حال الرجل الذي يوصف بذي القرنيين بما فيه إبطال لما خلط به الناس بين أحوال رجال عظماء كانوا في عصور متقاربة ، أو كانت قصصهم تساق

[965] ـ سورة الكهف : الآية 83 ـ 84 .

مساق من جاسوا خلال بلاد متقاربة متماثلة وشوهوا تخليطهم بالأكاذيب ، وأكثرهم في ذلك صاحب الشاهنامة الفردوسي وهو معروف بالأكاذيب والأوهام الخرافية .

اختلف المفسرون في تعيين المسمى بذي القرنيين اختلافا كثيرا تفرقت بهم فيه أخبار قصصية وأخبار واستروح من الاشتقاقات اللفظية ، ولعلّ اختلافهم له مزيد اتصال باختلاف القصاصين الذين عنوا بالفاتحين عناية تخليط لا عناية تحقيق فراموا تطبيق هذه القصة عليها ، والذي يجب الانفصال فيه بادئ ذي بدء أنّ وصفه بذي القرنيين يتعين أن يكون وصفا ذاتيا له وهو وصف عربي يظهر أن يكون بمدلوله بين المثيرين للسؤال عنه فترجموه بهذا اللفظ ويتعين أن لا يحمل القرنان على الحقيقة بل هما على التنبيه أو على الصورة فالأظهر أن يكونا ذؤابتين من شعر الرأس متدليتين ، وإطلاق القرن على الظفيرة من الشعر شائع في العرب ، قال عمر بن أبي ربيعة

فَلَثِمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شَرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الحشْرَجِ «[966]»

وفي حديث أمّ عطية الأنصارية في صفة غسل بنت النبي صلى الله عليه وسلم ـ قالت أم عطية : فجعلنا رأسها ثلاثة قرون ، فيكون هذا الملك قد أطال شعر رأسه وضفره ضفيرتين فسمي ذا القرنيين كما سمي خرباق ذا اليدين ، وقيل : هما شبه قرني الكبش من نحاس كانا في خوذة هذا الملك فنعت بهما ، وقيل هما ضربتان على موضعين من رأس الإنسان يشبهان منبتي القرنيين من ذوات القرون .

ومن هنا تأتي الأقوال في تعيين ذي القرنيين ، فأحد الأقوال إنّه الإسكندر بن فليبوس المقدوني ، وذكروا في وجه تلقيبه بذي القرنيين أنّه ضفر شعره قرنيين ، وقيل كان يلبس خوذة في الحرب بها قرنان ، وقيل : رسم ذاته على بعض نقوده بقرنيين في رأسه تمثيلا لنفسه بالمعبود« آمون» معبود المصريين وذلك حين ملك مصر .

[966] ـ انظر: ديوان عمر بن أبي ربيعة ، د ط ، دت ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1398 هـ ـ 1978م ، ص 83 .

والقول الثاني : إنّه ملك من ملوك حمير هو تبع أبو كرب ، والقول الثالث :أنّ ملك من ملوك الفرس ، وأنّه أفريدون بن أثفيان بن جمشيد هذه أوضح الأقوال ، وما دونها لا ينبغي التعويل عليه ولا تصحيح روايته .

ونحن اتجاه هذا الاختلاف يحق علينا أن نستخلص من قصته في هذه الآية تعيينه وتزييف ما عداه من الأقوال ، وليس يجب الاقتصار على تعيينه من بين أصحاب هذه الأقوال بل الأمر في ذلك أوسع .وهذه القصة القرآنية تعطي صفات لامحيد عنها :

إحداها : أنهّ كان ملكا صالحا

الثانية : أنّه كان ملهما من الله تعالى

الثالثة أنّ ملكه شمل أقطارا واسعة .

الرابعة أنّ بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكانا كان مجهولا وهو عين حمئة .

الخامسة أنّه بلغ بلاد يأجوج ومأجوج ، وأنّها كانت في جهة ممّا شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية فكانت وسطا بينهما كما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابه .

السابعة : أنّ أقام سدا يحول بين ياجوج وماجوج وبين قوم آخرين

السابعة : أنّ ياجوج وماجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فسادا وأنّهم يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك .

الثامنة : أنّه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء .

التاسعة : أنّ خبره خفي دقيق لا يعلمه إلاّ الأحبار علما إجماليا كما دلّت عله أسباب النزول .

وأنت إذا تدبرت جميع هذه الأحوال نفيت أن يكون ذو القرنيين إسكندر المقدوني ،لأنّه لم يكن ملكا صالحا بل كان وثنيا فلم يكن أهلا لتلقي الوحي من الله وإن له كمالات على الجملة ، وأيضا

فلا يعرف في تاريخه أنّ أقام سدا بين بلدين ، وأمّا نسبة السد الفاصل بين الصين وبلاد ياجوج وماجوج إليه في كلام بعض المؤرخين فهو ناشئ عن شهرة الإسكندر فتوّهم القصاصون أنّ ذلك السد لا يكون إلاّ من بنائه ، كما توّهم العرب أنّ مدينة تدمر بناها سليمان ـ عليه السلام ـ وأيضا فإنّ هيرودوتس اليوناني المؤرخ ذكر أنّ الإسكندر حارب أمة «سكيثوس » ، وهذا الاسم هو اسم ماجوج كما يأتي قريبا .

وأحسب أنّ لتركيب القصة المذكورة في هذه السورة على اسم الإسكندر المقدوني أثرا في اشتهار نسبة السد إليه ، وذلك من أوهام المؤرخين .

ولا يعرف أنّ مملكة إسكندر كانت تبلغ في الغرب إلى عين حمئة ، وفي الشرق إلى قوم مجهولين عراة أو عديمي المساكن ، ولا أنّ أمته كانت تلقبه بذي القرنيين ، وإنّما انتحل هذا اللقب له لما توهموا أنّه المعني بذي القرنيين ، فمنحه هذا اللقب من مخترعات مؤرخي الإسلام ، وليس رسم وجهه على النقود ممّا شأنه أن يلقب به ، وأيضا فالإسكندر كانت أخباره مشهورة ،لأنّه حارب الفرس والقبط وهما أمتان مجاورتان للأمة العربية .

ومثل هذه المبطلات التى ذكرناها تتأتى لإبطال أن يكون الملك المتحدث عنه هو أفريدون ، فإمّا أن يكون من تبابعة حمير فقد يجوز أن يكون في عصر متوغل في القدم ، وقد توّهم بعض المفسرين أنّه كان معاصرا إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، وكانت بلاده التي فتحها مجهولة الواقع ، ولكن يبعد أن يكون هو المراد ، لأنّ العرب لا يعرفون من خبره مثل هذا ، وقد ظهر من أقوالهم أنّ سبب وجود هذا التوهم هو وجود كلمة« ذو» التي اشتهر وجود مثلها في ألقاب ملوك اليمن وتبابعته.

الذي يظهر لي أنّ ذي القرنيين كان ملكا من ملوك الصين لوجوه:

أحدها : أنّ بلاد الصين اشتهر أهلها مذ القدم أنّهم أهل تدبير وصنائع .

الثاني :أنّ معظم ملكهم كانوا أهل عدل وتدبيرا للملكة .

الثالث :أنّ من سيماتهم تطويل شعر رؤوسهم وجعلها في ضفيرتين فيظهر وجه تعريفه بذي القرنيين .

الرابع :أنّ سدا وردما عظيما لا يعرف له نظير في العالم هو موجود بين الصين وبلاد المغول ، وهو المشهور في كتب الجغرافيا والتاريخ بالسور العظيمة ، وسيرد وصفته .

الخامس :ما روت أمّ حبيبة عن زينب بنت جحش ـ رضي الله عنه ـ أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ـ خرج ليلة فقال : ويل للعرب من ردم ياجوج وماجوج هكذا بعقد تسعين « أعني بوضع طرف السبابة على الإبهام » وقد كان زوال عظمة سلطان العرب على يد المغول في بغداد فتعين أنّ ياجوج وماجوج هم المغول ، وأنّ الردم المذكور في القرآن هو الردم الفاصل بين بلاد المغول وبلاد الصين وبانيه ملك من ملوكهم .

وأنّ وصفه في القرآن بذي القرنيين توصيف لا تلقيب فهو مثل التعبير عن شاول ملك إسرائيل باسم طالوت ، وهذا الملك هو الذي بنى السد الفاصل بين الصين ومنغوليا ، واسم هذا الملك «تسينشي هوانقتي » أو تسين شي هوانق تي » وكان موجودا في حدود سنة سبع وأربعين ومائتين قبل ميلاد المسيخ ، فهو متأخر عن إسكندر المقدوني بنحو قرن وبلاد الصين في ذلك الوقت كانت متدينة بدين« كنفيشيوس »المشرع المصلح ، فلا جرم أن يكون أهل شريعته مصلحين»«[967]» .

2 ـ قال في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾«[968]»

[967] ـ التحرير والتنوير ،ج 16 ، ص 17 ـ 22.

[968] ـ سورة القلم : الآيات 17 ـ 25.

قال : ـ رحمه الله ـ « ... وهذه القصة المضروب بها المثل قصة معروفة بينهم وهي أنّه كانت ببلد يقال لها : ضروان « بضاد معجمة وراء واو مفتوحة وألف ونون » من بلاد اليمن بقرب صنعاء ، وقيل : ضروان اسم هذه الجنة ، وكانت جنة عظيمة غرسها رجل من أهل الصلاح والإيمان من أهل الكتاب قاله ابن عباس ، ولم يبين من أيّ أهل الكتاب هو : أمن اليهود أم من النصارى ؟ فقيل : كان يهوديا ، أي لأنّ أهل اليمن كانوا تدينوا باليهودية منذ عهد بلقيس كما قيل أو بعدها بهجرة بعض جنود سليمان وكانت زكاة الثما ر من شريعة التوراة كما في الإصحاح السادس والعشرين من سفر اللاويين .

وقال بعض المفسرين : كان أصحاب الجنة بعد عيسى عليه السلام بقليل ، أي قبل انتشار النصرانية في اليمن لأنّها ما دخلت اليمن إلاّ بعد دخول الأحباش إلى اليمن في قصة بلقيس ، وكان ذلك زمان عام الفيل ، وعن عكرمة : كانوا من الحبشة كانت لأبيهم جنة وجعل في ثمرها حقا للمساكين وكان يدخل معه المساكين ليأخذوا من ثمارها ، فكان يعيش منها اليتامى والأرامل ، وكان له ثلاثة بنين ، فلمّا توفي صاحب الجنة وصارت لأولاده أصبحوا ذوي ثروة وكانوا أشحة ، أو كان بعضهم شحيحا وبعضهم دونه فتمالئوا على حرمان اليتامى والأرامل والمساكين وقالوا : لتغدون إلى الجنة في سدفة من الليل قبل انبلاج الصباح مثل وقت خروج الناس إلى جنّاتهم للجذاذ فلنجنيّنها قبل أن يأتي المساكين ، فتبينوا ذلك وأقسموا أيمانا على ذلك ، ولعلّهم أقسموا ليلزموا أنفسهم بتنفيذ ما تداعوا إليه وهذا يقتضي أنّ بعضهم كان مترددا في موافقتهم على ما عزموا عليه ، وأنهم ألجموه بالقسم وهذا الذي يلتئم مع قول الله تعالى :« قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » قيل : كان يقول لهم اتقوا الله واعدلوا عن خبث نيتكم من منع المساكين ، وذكّرهم انتقام الله من المجرمين ، أي فغلبوه ومضوا لما عزموا عليه ، ولعلّهم أقسموا على أن يفعلوا وأقسموا عليه على أن يفعل معهم ذلك فأ قسم معهم أو وافقهم على ما أقسموا عليه ، ولهذا الاعتبار أسند القسم لجميع أهل الجنة فلمّا جاؤا جنتهم وجدوها مسودة قد أصابها ما يشبه الاحتراق فلمّا رأوها بتلك الحالة علموا أنّ ذلك أصابهم دون غيرهم لعزمهم على قطع ما كان ينتفع به الضعفاء من قومهم وأنابوا إلى الله

رجاء أن يعطيهم خيرا منها«[969]»، وبعد سرده لهذه الآية مضى في تفسير الآيات بالتعرض لبيان ألفاظها وما فيها من قراءات وتوجيهها ، والإشارة إلى النكت البيانية والوجوه النحوية كعادته قال في آخر القصة « روي عن ابن مسعود أنّه قال : بلغني أنّهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان ، ذات عنب يحمل العنقود الواحد منه على بغل ، وعن أبي خالد اليماني أنّه قال دخلت الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود ..... قال ابن الفرس في أحكام القرآن استدلّ بهذه الآية أبو محمد عبد الوهاب على أنّ من تعمّد إلى نقص النصاب قبل الحول قصدا للفرار من الزكاة أو خالط غيره ، أو فارقه بعد الخلطة فإنّ ذلك لا يسقط الزكاة خلافا للشافعي .»«[970].

المبحث العاشر :النقد الإجمالي

من خلا ما عرضته من نماذج للمفسرين بالرأي المحمود في كيفية تناولهم للقصص القرآني استبان لي أنّهم اتجاه قصصه كانوا مدراس مختلفة ، تباينت معالمهم وطرقهم في كيفية معالجته ويمكن تقسميهم وتصنيفهم إلى فرقتين

الطائفة الأولى: أقطاب المدرسة الأندلسية والمتمثلة في ابن عطية وابن جزي وأبي حيّان ـ رحمهم الله ـ أجمعين ، فمن أمعن نظره فيما سقته من أمثلة لكيفية تفسيرهم للنص القرآني يجد أنّ بينهم نقاط اشتراك كثيرة ، ومن مواطن الاتفاق التي تجمعهم أنّهم في إيرادهم للقصة يشيرون إلى أهم ما ورد فيها من أخبار بإشارات مقتضبة ، ثمّ يذكرون عدم وثوقهم بها لخلوها عن السند الصحيح والنقل السليم ، وأنّ ما فيها لا يحتاج إليه المفسر كما فعل ابن عطية في قصة الحواريين ، وكذلك في قصة نوح عليه السلام حيث علق على ماقيل في شأن السفينة ومن ركب فيها بقوله:« وهذا كله لا يصح إلاّ لو استند والله أعلم كيف كان » ، وكذلك الشأن في ابن جزي حين دفع ما نسب إلى آدم وحواء من وقوعهما في الشرك ثمّ أشار إلى أن ما قيل في حقهما يفتقر إلى سند صحيح ، وكذلك الشأن عند

[969] ـ التحرير والتنوير ، ج 29 ، ص 80 .
[970] ـ المصدر نفسه : ج 29 ، ص 88 ـ 89.

إيراده لقصة إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء فذكر أنّه أضرب عمّا سطره الناس في شأن نبي الله إبراهيم عليه السلام لعدم صحته ولأنّ ألفاظ القرآن لا تقتضيه، وكذلك الحال عند الإمام أبي حيان عند تكلمه عن اعتداء بني إسرائيل يوم السبت فقال : وقد روي زيادات في كيفية الاعتداء الله أعلم بصحة ذلك ، والذي يصح في ذاك هو ما ذكره الله في كتابه » وكذلك عند كلامه عن بناء إبراهيم عليه السلام للبيت قرّر أنّه لا ينبغي الاعتماد إلاّ على ما صحّ في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ،كذلك من مواطن الاتفاق التي تجمعهم هو تفنيد بعض ما يشوه القصص القرآني ممّا يطعن في الأنبياء ، أو ممّا يوهم التعارض فيجتهدون في دفع ذلك بتأويلات لا تعارضها نصوص الوحيين ، كما هو الشأن عند ابن عطية رحمه الله عند ردّه أقوال من ذكر أنّ ابن نوح ليس من صلبه فاستهجن ذلك ورده بما نقله عن العلماء وكذلك بكونه يتعارض مع شرف النبوة ، وكذلك الحال عند ابن جزي في دفع نسبة الشرك عن نبي الله آدم عليه السلام وأمنا حواء ، وليس أبو حيان عنهما ببعيد خصوصا عند قصة داود عليه السلام في صورة ص حيث استقبح ما روي في شأن داود عليه السلام لأنّ الأنبياء معصومون من الوقوع في مثل هذه الزّلات التي تقدح في الشرائع .

لكنّهم إزّاء بيان أهداف القصص القرآني وما انضوى عليه من دروس وقيم وأهداف تربوية متفاوتون فممّن أشار إلى جانب من ذلك الإمام ابن عطية رحمه الله حيث ذكر الحكمة من قصة الملأ من بني إسرائيل وأنّ ما جاء فيها كله مثال للمؤمنين يقتدى بالأحسن منه ويجتنب المكروه ، وكذلك الشأن في قصة المائدة والحواريين حيث ذكر أنّ فيها مثالا نافعا لكل أمة مع نبيها يقتدى بمحاسنه ويزدجر منه من طلب الآيات ، وكذلك الشأن في قصة نوح عليه السلام في سورة هود حيث علق على أواخر القصة في قوله تعالى :«تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إنّ العاقبة للمتقين »[971]« بأنّ هذه أخبار تقادم عهدها ما كان صلى الله عليه وسلم ليعلمها هو ولا قومه ، ولكنّ الله أطلعه عليها لتكون له هداية وأسوة فيما لقيه غيره من الأنبياء ، وتحذيرا للمشركين ولقومه أن يصيبهم ما أصاب هذه الأمم المكذبة للرسل ، والإمام ابن

[971]. سورة هود الآية 49 .

جزي وإن لم يشر فيما ذكرته من نماذج له لبعض الأهداف والمقاصد فقد نص في مقدمات تفسيره على جملة من المقاصد التي سيق القرآن لأجلها ، والتي منها حسب قوله إثبات نبوة الأنبياء بما أجرى عليهم من معجزات ، والإشارة إلى نبوته صلى الله عليه وسلم لإخباره بأخبار من تقادم عهدهم ، ومنها إثبات وحدانية الله وبيان قدرته وغيرها من المقاصد التي أشار إليها ، وأمّا الإمام أبو حيّان رحمه الله فالنماذج التي أوردتها من تفسيره تخلوا فيها الإشارة إلى ما تضمنته القصة من دروس وعبر وما حوته من قيم وأهداف ، فهو وإن كان برعا في رد المنكرات من الأخبار والإضراب عنها كان جديرا به أن ينبه على بعض أغراضها ومقاصد كي تعم الفائدة وتكتمل الغاية المرجوة من سياقة القصص القرآني والله أعلم.

وأمّا الطائفة الثانية: فهي المعتنيةبالتدقيقات والتفاصيل العلمية من الجوانب النحوية والبلاغية ، وكذلك المسائل الكلامية وبعض العلوم الكونية ، ففسّر هؤلاء آيات القصص القرآني بشيء من التدقيق في هذه العلوم وغلب عليهم هذا الجانب وبدا ظاهرا فيما سقته من نماذج ،فالإمام الرّازي رحمه الله لاشتغاله الواسع بعلم الكلام وحديثه عن بعض العلوم الكونية نراه يوظف ذلك في تحليل القصة القرآنية ، فعند تفسيره لقصة إبراهيم عليه السلام تعرض لمجادلة إبراهيم لأبيه وقومه وإنكاره عليهم عبادة الأوثان والشرك بالله ، فراح الإمام الرّازي يحلل هذه المحاورة ويبرهن على فسادة عبادة هؤلاء بالطرق الكلامية والطرق الاستدلالية التي هو متبحر فيها ، وقد أضفى بذلك نوعا من الجمال على القصة التي ركزّت على التوحيد فقرر هو ذلك بأسلوبه ليزيد ذلك حجة وبلاغة قوية ، والفريق الآخر من المعتنين بالتدقيقات والجزئيات العلمية هم الذين أكثروا من الجانب البياني والنحوي وذلك لغلبة هذه العلوم عليهم ، ويمثل هذا الاتجاه أتباع مدرسة الإمام الزمخشري المتمثلين في الإمام البيضاوي والنسفي ، وأبي السعود ، ثمّ من المتأخرين الذين عنوا بذلك الإمامان الألوسي وابن عاشور رحمهما الله ،ففيما سقته من نماذج عن هؤلاء يظهر بجلاء عناية البيضاوي والنسفي وأبي السعود بالنكت البيانية في القصة القرآنية خصوصا وفي القرآن عموما ، ولا شك أنّ إبراز هذه المسائل له ميزة في بيان جمال القصة وإظهار ما تضمنته في حلة بيانية ، وكذلك الإمامان الألوسي وابن عاشور

فقد أظهر ذلك مع اعتنائهما بالتخريجات اللغوية والوجوه الإعرابية والقراءات القرآنية ، وبالجملة فمن غلبت عليه بعض العلوم فإنّ ذلك يظهر عليه في تعرضه للنص القرآني .

وأمّا فيما يتعلق بالإسرائيليات والروايات المنكرة فإنّهم في ذلك متفاوتون في إيرادها ومختلفون في دفعها واستهجانها ، فكثير منهم لم يسلم من ذكرها وجارى أغلب أهل التفسير بالمأثور فيما ذكروه ومنهم من نبّه عليها وأشار إلى ضعفها وعدم الاعتداد بها ، ومنهم من لم يتعقبها ، والبعض يذكرها بصيغة التمريض على أنّها أشهر ما ذكر في القصة دون الوثوق به ، فالإمام الرّازي أورد بعضا من غرائب المرويات والأقوال الضعيفة والمبهمة التي لا طريق لها من النقل ، فمن ذلك عند تكلمه على مملكة سبأ وسبب خراب سدها فذكر أنّ الذي تسبب في ذلك الجرذ وبعض الحيوانات ولم يتعقب ما ذكره ولا علّق عليه ، بينما نجده في قصة قارون يذكر ما قيل في شأن مفاتحه وما روي في كيفية حملها ، ثمّ يتعقب ذلك ويرفضه ، وكذلك عند ذكره لكيفية خروج قارون على قومه ساق بعض ما قيل في ذلك ، ثمّ علق عليه بقوله :« والأولى دفع هذه التقديرات لأنّها متعارضة »وعلى العموم فهو يرفض مثل هذه الأقوال والأخبار العارية عن النقل الصحيح ولا يثق بها ، وأمّا الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ فمن خلال ما سقته من نماذج من تفسيره تبين لي أنّه لم يذكر أشياء غريبة وأقوال منكرة ، وإنّما ينقل ما اشتهر في القصة عمّن سبقه من أهل التفسير والسير والمغازي والتي لا تتعارض مع شيء من أصول الدين والتي لا حرج في ذكرها فهو يوردها على وجه الاستئناس وكونها المشهورة في القصة كما هو صنيعه في تفسير قصة نبي الله صالح عليه السلام ، ونراه كذلك يستبعد ويستهجن ما من شأنه أن يقدح في النبوة ويزري من مكانتها كما هو الحال في ذكره لقصة الغرانيق وعلق على الرواية بأنّها مردودة عند المحققين ، وفي قصة شعيب عليه السلام أجاد في حديثه عن معجزة شعيب بأنّ القرآن أبهمها ولم يصرح بما هي ، ثمّ ذكر ما قيل في شأن عصا موسى التي أعطاها له شعيب عليه السلام بصيغة التمريض ولم يحقق فيها القول ، ولم يتعقبها بنقد يوضح بطلان ذلك وضعفه .وأمّا الإمام النسفي ـرحمه الله فمن خلال ما سقته من نماذج من تفسيره للقصص القرآني فيتضح أنّه مقل من ذلك ، ولكن أورد البعض منها بصيغة التمريض الذي يشعر بالتضعيف ، لكنّه لم يحرر فيها القول

فمن ذلك ما أورده في قصة سليمان وتعلم الشياطين للسحر وما نسب للملائكة إلى غير ذلك ، كما أنّه يذكر بعض الأقوال العارية عن الإسناد الصحيح كما هو الشأن في ذكر سن إبراهيم وزوجته سارة عند البشارة بإسماعيل عليه السلام ، وكذلك في ذكر سبب اليوم الذي سمي به يوم التروية ، ومن الإسرائيليات التي ذكرها ماهية الكبش الذي فدي به إسماعيل عليه السلام وكونه كان يرعى في الجنة ، وأنّه هو الذي قربه ابن آدم ، وفي قصة النقباء أضرب عمّا روي من خرافات عوج ابن عنق ، ولم يشر إلى ذلك البتة ، و أمّا الإمام أبو السعود ـ رحمه الله ـ فإنّه أورد في تفسير قصة أصحاب الكهف الغرائب من الإسرائيليات ، و جرى في ذكر المبهمات التي لا فائدة في ذكرها مثل ذكر عددهم ،واسم الرقيم واسم الكلب وغير ذلك ، وفي قصة أصحاب الجنة في سورة القلم ساق ما ذكره غالب المفسرين في شأنهم مع روايته لها بصيغة التمريض حجته في ذلك أنّه أورد المشهور فيها صح أو لم يصح طالما أنّه لم يتعارض مع شيء من الأصول ، وأمّا الألوسي ـ رحمه الله ـ فإنّه كان يورد شيئا من الإسرائيليات والأخبار التي يذكرها أهل التاريخ ويتعقب بعضها ، ويغفل عن البعض الآخر ، فمن ذلك ذكر تفاصيل سؤال بني إسرائيل لموسى عليه السلام أن يخرج لهم ممّا تنبت الأرض من خيراتها ، فأشار إلى أنّ ذلك كان بأرض التيه وهذا أخذه من أصحاب التاريخ وأباح لنفسه ذكرها لأنّه ممّا يجوز روايته ، وبعد ذلك تكلم في عصا موسى وكونها كانت في الجنة ، وهذا خبر لا دليل عليه ولم يتعقبه ،وأشار إلى الحجر الذي ضرب به موسى العصا وذكر أقوالا في شأنه لكنّه تعقبها في الآخر وذكر أنّ الروايات في ذلك متعارضة والحجر لا يترتب على ذكره أمر دنيوي ولا أخروي فالإعراض عنه أولى ، وفي قصة النقباء من بني إسرائيل فنّد ما روي في شأن العمالقة ، وأنّها من الخرافات ،ثمّ أورد بعد ذلك ما وقع لبني إسرائيل ونقده بانّ العادة والواقع تبعد كثيرا ممّا ذكروا ولا يقبل إلاّ ما ورد في القرآن والسنة ، وأمّا قصة الغرانيق فإنّه أنكرها وأبطل وقوعها وساق في ذلك نقولا هائلة عن العلماء في شأنها ، وفي قصة أصحاب الأخدود ذكر روايات فيها وبيّن اقتصاره في الأخير على الرواية التي رواها الإمام مسلم في صحيحه، وعدم الاعتداد بما سواها ، وأمّا الإمام الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـفإنّه نص دائما سواء فيما سقته عنه من نماذج أو غيرها من آيات القصص على أنّ القرآن لا يعنى بذكر كل شاردة وواردة ولكن يقتصر على ما تحصل به العظة ، ولذا

أنكر على من تقدمه الخوض في تعيين اسم ذي القرنيين وبلده وقومه ،ثمّ ساق طائفة ممّا رووا في شأنه وأعرض عنها واتجه إلى الاكتفاء بوصف القرآن له ، ليعود ويقول بأنّه ملك من ملوك الصين بناء على ترجيحات وقرائن تاريخية ، وفي قصة أصحاب الجنة ساق ما اشتهر عند المفسرون في ذلك ، وأمّا بالنسبة لما يتعلق ببيان أهداف القصص القرآني والتنبيه على مواطن العظة والعبرة فيمكن القول بأنّهم متقاربون نسبيا بينهم إلاّ أنّ الإمام البيضاوي والنسفي وأبي السعود يقل فيهم التنبيه على ذلك ، فالإمام الرّازي يشير إلى جوانب من ذلك ومنها عند كلامه على قصة إبراهيم عليه السلام في سورة مريم ذكر الغرض والمقصد من قصته وهي بيان التوحيد والنبوة ،وكذلك أشار إلى ما أكرم الله به نبيه إبراهيم من النصرة والتمكين وهذا من أهداف القصص ، وكذلك الإمام الألوسي رحمه الله قد أشار إلى جانب من ذلك عند كلامه على قصة أصحاب الأخدود وأنّ المولى جلّ وعلا قصد منها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ممّا يتعرضون له من الأذى في سبيل الدعوة والإسلام، والإمام ابن عاشور أشار في قصة ذي القرنيين وأكد أنّ قصة هذا الرجلما ذكرها تعالى في القرآن إلاّ ليؤخذ منها موطن العظة والعبرة وإن لم يشر هو إلى بيان ذلك إلاّ أنّه أكد هذا المبدأ في مقدمات تفسيره واعتنى بإبرازه في آيات أخرى غير هذه ، ويشير فيها كذلك إلى ما استنبطه الفقهاء من أحكام فقهية من خلال القصص القرآني كما أشار في قصة أصحاب الجنة إلى استدلال ابن الفرس. بها على أنّ من أنقص من نصاب الزكاة قبل الحول فرار من الزكاة لم تسقط عنه ولزمته ، وسأبين في المبحث المقبل كل هذه الجوانب والجزئيات بشيء من التفصيل

المبحث الحادي عشر: النقد التفصيلي

المطلب الأول:النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ

فأمّا قوله: في تفسير قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[972]» هذه الآية خبر عن قوم من بني إسرائيل نالتهم ذلة وغلبة وعدو فطلبوا الإذن في الجهاد وأن يؤمروا به ، فلمّا أمروا كعّ أكثرهم ، وصبر الأقل فنصرهم الله ، وفي هذا كله مثل للمؤمنين يحذر المكروه منه ويقتدى بالحسن ...»

إنّ المتأمل في كلامه هذا يستشف براعة الإمام ابن عطية رحمه الله في سوقه لسبب نزول هذه الآية ، وفيمن عني بها مع إشارته رحمه الله لما تضمنته هذه القصة من مثل وعظة وما اشتملت عليه من دروس فذكر أنّ الغاية من قص هذه القصة وإيرادها أنّها درس للمؤمنين من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولمن جاء بعده من أمته أن يقعوا في مثل هذا المحذور المتمثل في مخالفة أوامر الأنبياء والقادة والإعراض عن اتّباعهم ، وفيها حث على ضرورة الصبر عند نزول البلاء وملاقاة الأعداء والثبات والاستنصار بالله عزّ وجل عن القوم الظالمين ، فإشارة ابن عطية إلى هذا المقصد من هذه القصة بأوجز عبارة في غاية الحسن والجمال وفيه تشويق للقارئ يدفعه لمطالعتها واستخلاص ما فيها من دروس وعبر.

وقوله :واختلف المتأولون في النبي الذي قيل له :ابعث فقال : ابن إسحاق وغيره عن ابن وهب بن منبه هو شمويل بن بالي ، وقال: السدي هو شمعون ، وقال : قتادة هو يوشع بن نون ،قال القاضي

[972] ـ سورة البقرة : الآية 246

أبو محمد عبد الحق ، وهذا قول ضعيف لأنّ مدة دواد بعد موسى بقرون ، ويوشع هو فتى موسى ...» فهذا القول من ابن عطية ـ رحمه الله ـ فيه دلالة قوية على أنّ هذه الأقوال من مرويات أهل الكتاب والإسرائيليات ، والمفتقرة إلى سند صحيح يتضح به المعني بهذه القصة حتّى يوثق به وتحمل عليه الآية ، وقول ابن عطية : وهذا ضعيف يشير بذلك إلى من قال : بأنّ النبي هو يوشع بن نون ، وقوله صحيح لأنّ القصة وقعت في زمن نبي الله داود والمدة بين موسى عليه السلام وداود كبيرة ، ويوشع هذا هو فتى موسى ، وقد وافق ابن عطية في هذا القول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ حيث قال : وهذا القول بعيد لأنّ هذا كان بعد موسى بدهر طويل ، وكان ذلك في زمان داود عليه السلام ،كما هو مصرح به في القصة ، وقد كان بين داود وموسى ما ينيف عن ألف سنة ، والله أعلم .»«[973]» وأمّا القول بأنّه شمويل فقد ذكر ابن كثير كذلك أنّ جل المفسرين قالوا بأنّه هو المعني في هذه القصة « قال : أكثر المفسرين : كان نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو شمويل ...»وأقول : إنّ هذا كله لا يستند إلى شيء صحيح يمكن الجزم به ، ولكن يروى أمّا القطع بعينه فالله أعلم بذلك .

وقوله :« كانت بنوا إسرائيل كانت تغلب من حارها ....ويسرّ الله ذلك لطالوت » فهذه القصة التي ذكرها هي من مرويات أهل الكتاب عن وهب بن منبه وغيره من مسلمة الكتاب ، وممّن اعتنى بتلقي أخبارهم وروايتها ، وهي ممّا يجوز روايته ، ولكن لا تصدق ولا تكذب ، والله أعلم .

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾«[974]» وقوله: «هذه آية قصص ... يبدع من الرسل» فإنّ كلامه هذا يدل على ربطه للقصة بما هو حاصل للنبي صلى الله عليه وسلم خلال دعوته وما يلاقيه من أذى قريش ، وأنّ الله ما قص هذه القصة إلاّ لضرب المثل بسيدنا نوح وما لاقه من قومه وما تعرض له من أنواع الاضطهاد والأذى في سبيل دعوة حتّى يصبر النبي صلى الله عليه

[973] ـانظر : تفسير القرآن العظيم ، ج 1 ، ص 533.

[974] ـ سورة هود : الآيتان 25 ـ 26.

وسلم والفئة المؤمنة معه ، فالآية فيها تشبيه لموقف قريش من دعوته صلى الله عليه وسلم مع موقف قوم نوح ، وهذا ما أشار إليه ابن عطية ـ رحمه الله ـ ، وهذه اللفتة منه جدّ رائعة في مسلك معالجة القصص القرآني لأنّ ربط قصص الأنبياء بالدعوة المحمدية ومراحلها وتطوراتها يظهر براعة التناسق في الجانب القصصي ، ويجلي أسلوب القرآن في سوقها ، وبمعنى آخر أنّ الغرض من ذكر قصص الأنبياء يكون دائما وفق ما يصادف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وما يعتريها من أحداث فتأتي القصة إمّا مبيّنة طريق التعامل مع الكفار والمشركين ، وتارة مسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وتارة موجهة للفئة المؤمنة ومربية لها .

وأمّا قوله : «وروي أنّ نوحا عليه السلام أول رسول إلى الناس ....وأمّا الرسالة العامة فلم تكن إلاّ لمحمد صلى الله عليه وسلم» وما أشار إليه ابن عطية في هذا فهو صحيح فإنّ نوحا عليه السلام بعثه الله لأهل الأرض بعد آدم عليه السلام لما وقع بنوا آدم في الشرك وعبدوا الطواغيت ، ويؤيد هذا الحديث المروي في الصحيحين حيث ذكر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسمّاك الله عبدا شكورا...»«[975]» وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله « وبالجملة فنوح عليه السلام إنّما بعثه الله تعالى لما عبدت الأصنام ، والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر فبعثه الله رحمة للعباد ، فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض ... »«[976]» فابن عطية : ـ رحمه الله ـ أراد بكلامه أن يزيل اللبس الذي يقع فيه البعض حول نبي الله إدرس هل أرسل قبل نوح أولا ، فبيّن أنّ إدريس عليه السلام نبي من أنبياء الله ولم يرسل ، ثمّ أكدّ ابن عطية رحمه الله أنّ دعوته صلى الله عليه وسلم كانت عامة للبشرية جمعاء ، وأنّ دعوة نوح خاصة بقومه فحسب .

[975] ـ رواه البخاري : كتاب الشفاعة ، رقم 4712 ، ومسلم ، رقم 194 .

[976] ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 48 .

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾«[977]»«وفي أمر نوح عليه السلام تدافع في ظاهر الآيات والأحاديث ينبغي أن نلخص القول فيه وذلك أنّ ظاهر أمره عليه السلام دعا على الكافرين عامة من جميع الأمم ...ولا يعارضنا مع هذه التأويلات شيء من الأحاديث ولا الآيات ...» أقول : قد أراد بهذا القول دفع إيهام التعارض حول كون نوح عليه السلام أول المرسلين بسبب ورود بعض الأقوال التفسيرية التي تتعارض مع ما هو مقرر من كونه أول الرسل ، وقد أجاد في دفع هذا التعارض وجمع بين هذه الأقوال بتأويلات حكم هو عليها بنفسه بأنّها لا تتعارض مع آية أو حديث .

وأمّا تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾«[978]»«حيث قال:الآية اعتراض أثناء وصف حال قول الله لعيسى يوم القيامة مضمن الاعتراض إخبار محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بمنزلة الحواريين في المائدة إذ هي مثال نافع لكل أمة مع نبيها يقتدى بمحاسنه ...» فكلام ابن عطية ـ رحمه الله ـ في غاية الحسن والجمال إذ أشار في مطلع تفسير هذه القصة إلى الحكمة من ذكرها ، فأشار إلى أنّ المولى جلّ وعلا ذكّر به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة بأصحاب عيسى ليعلموا مكانهم ومنزلتهم عند الله ، وأشار إلى ضرورة أخذ ما فيها من المحاسن أي الدروس والعبر واجتناب المساوئ

[977] ـ سورة هود : الآيتان 36 ـ 37 .

[978] ـ سورة المائدة : الآية 111 ـ 113 .

المتمثلة في عدم معارضة أوامر الله وعدم الإلحاح في السؤال والتعنت على أنبياء الله ورسله ، وهذا مسلك منه جد رائع قلّ أن يوجد عند كثير من المفسرين .

وأمّا قوله :«وقد اختلف الناس في نزول المائدة فقال الحسن بن أبي الحسن ومجاهد إنّهم لما سمعوا الشرط في تعذيب من كفر استعفوها فلم تنزل ، قال مجاهد فهو مثل ضربه اللّه تعالى لئلا يسألوا هذه الآيات ، وقال جمهور المفسرين نزلت المائدة ...» فأقول : إنّ دلالة القرآن صريحة وواضحة في نزولها وأنّه سبحانه وتعالى لم يضربها فحسب ، بل أجاب مقصودهم وأنالهم مطلوبهم فلا يلتفت إلى قول من قال إنّها لم تنزل ، وذلك حتّى تحصل المعجزة ويقع التحدي الذي به يبكت معارضو الأنبياء قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ ... «ولكنّ الذي عليه جمهور الناس أنّها نزلت ، وهو الذي اختاره ابن جرير ، قال لأنّ الله تعالى أخبر بنزولها في قوله تعالى : «إنّي منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم أعذّبه عذابا لأعذّبه أحدا من العالمين » قال: ووعد الله ووعيده حق وصدق ، وهذا القول هو والله الصواب كما دلت عليه الأخبار والآثار عن السلف وغيرهم »«[979]» وقال في موضع آخر : «... فالجمهور على أنّها نزلت كما دلت عليه هذه الآثار ، كما هو المفهوم من ظاهر سياق القرآن ...»«[980]» وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ : «وقد اختلف أهل العلم هل نزلت المائدة أم لا ؟ فذهب الجمهور إلى الأول وهو الحق لقوله سبحانه :إنّي منزلها عليكم ووعده الحق وهو لا يخلف الميعاد ...»«[981]»وأمّا قوله بعد ذلك :«ثمّ اختلفت الروايات في كيفية ذلك فروى الشعبي عن أبي عبد الرحمان السلمي قال : نزلت المائدة خبزا وسمكا ....وقال عمار بن ياسر نزلت المائدة عليها ثمار من الجنة » فأقول : إنّ المولى جلّ وعلا قد توقف قوله في كتابه بأنّه سوف ينزلها ولم يتعد ذلك ، وأمّا كيفية نزولها وما فيها من أشياء فلم يرد في ذلك شيء عن المعصوم يوثق به ويعتمد عليه ،وغالب ما ذكر في شأنها فهي أخبار تلقفها بعض الرواة عن أهل الكتاب لا مستند لها من الصحة

---

[979] ـ انظر: تفسير ابن كثير ، ج 2 ، ص 685 .

[980] ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 489.

[981] ـ انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير ، ط 1 ، تحقيق أحمد عبد السلام ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1415 هـ ـ 1994 م ، ج 2 ، ص 117.

، وما روي عن عمار بن ياسر من رواية خلاس عنه فهو موقوف ولا وجه لرفعه عند المحدثين لذا قال الإمام الترمذي عقب روايته للحديث ما نصه :« هذا حديث غريب ، ورواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة عن خلاس عن عمّار موقوفا ، ولا نعرفه مرفوع إلاّ من حديث الحسن بن قزعة ، حدثنا حميد بن مسعدة ، أخبرنا سفيان بن حبيب عن سعيد بن أبي عروبة نحوه ولم يرفعه ، وهذا أصح من حديث الحسن بن قزعة ، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلا »«[982]»

لقد كان الواجب إزاء قصة الحواريين مع عيسى عليه السلام وقصة المائدة الاعتناء بإبراز ما اشتملت عليه من لطائف وما حوته من نكات حسان يستفاد منها في المجال الديني والدنيوي بدلا من الإكثار من روايات غريبة لا يتوقف عليها فهم النص القرآني ولا يعود ذكرها بكبير فائدة ولقد وقفت على كلام نفيس للإمام ابن عاشور أشار فيه إلى هذه الجزئية فقال :«وقد وقفت قصة سؤال المائدة عند هذا المقدار وطوي خبر ماذا حدث بعد نزولها ، لأنّه لا أثر له في المراد من القصة ، وهو العبرة بحال إيمان الحواريين ، وتعلقهم بما يزيدهم يقينا ، وبقربهم إلى ربهم وتحصيل مرتبة الشهادة على من يأتي بعدهم ، وعلى ضراعة المسيح الدّالة على عبوديته ، وعلى كرامته عند ربه إذ أجاب دعوته ، وعلى سعة القدرة ، وأمّا تفصيل ما حوته المائدة وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه ، وقدّ أكثر فيه المفسرون بأخبار واهية الأسانيد سوى ما أخرجه الترمذي في أبواب التفسير عن الحسن بن قزعة بسنده إلى عمّار بن ياسر قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت المائدة من السماء خبزا ولحما » الحديث قال : الترمذي هذا الحديث رواه غير واحد عن عمّار بن ياسر موقوفا ولا نعرفه مرفوعا إلّا من حديث الحسن بن قزعة ولا نعرف للحديث المرفوع أصلا ...»«[983]»

وأمّا قوله : في تفسير قوله تعالى :﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا

[982] ـانظر:سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، أبواب التفسير ، سورة المائدة ،ج 4 ، ص 315 ـ 316 .
[983] ـ انظر: التحرير والتنوير ، ج 6 ، ص 111.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾«[984]» فالمثل مضروب للطائفتين ، إذ الرجل الكافر صاحب الجنتين هو بإزاء متجبر في قريش ، أو بتميم على خلاف الأول ، والرجل المؤمن المقر بالربوبية بإزاء بلال وعمار وصهيب وأقرانهم ... وفي بسط قصصهما طول فاختصرته واختصرت على معناه لقلة صحته ، ولأنّ في هذا ما يفي بفهم الآية »

أقول : لقد أحسن بن عطية وأجاد في تفسير هذه القصة بطريقة رائعة حيث ربط عنصر القصة بما جرى في عهد النبوة ، حيث كان صناديد قريش وكبار المشركين يعيبون على النبي صلى الله عليه وسلم صحبته للأرذال والضعفاء وكانوا يطلبون منه أن ينزّه مجالسه عن أمثال هؤلاء حتّى يتسنى لهم حضور مجلسه ، فأنكر الله رأيهم وحذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الإصغاء إليهم حيث أنزل عليه قوله : «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا »«[985]»والذي قاله ابن عطيه وافقه عليه جلّ المفسرين ـ يعني أنّ الله عنى بهذه القصة مشركي قريش الذين كانوا يزدرون الفقراء ، وفي ذلك يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ« واضرب لهم مثلا ...يعني كفار قريش في عدم اجتماعهم بالضعفاء ، والفقراء وازدرائهم بهم،وافتخارهم عليهم ...»«[986]» لكنّ ابن عطية أحسن في ضرب المثل برجلين من قريش ,ورجلين من ضعفاء الصحابة ، ثمّ إنّه ـ رحمه الله ـ أكدّ بأنّ ماذكره الله عن هذين الرجلين ليس مجرد مثل فحسب ، فيكون غير واقع ، بل إنّ هذه القصة صحيحة وثابتة ، وهذا هو الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين كما أشار هو كذلك ، ثمّ بعد ذلك أشار ـ رحمه الله ـ إلى ما اشتهر عن أهل التفسير في شأن الرجلين وأنّهما كان صديقين مصطحبين وأنّ أحدهما كان مؤمنا والآخر كافرا إلى غير ذلك ممّا لا دليل عليه وإنّما هي أخبار متلقاة عن أهل الكتاب ، ولا يعود ذكرها بكثير فائدة ولا يحصل بها فهم أو يترتب عليها استنباط أو غير ذلك من الأمور التي يوردها بعض أهل التأويل في

[984] ـ سورة الكهف : الآيات 32 ـ 34 .

[985] ـ سورة الكهف : الآية 28 .

[986] ـ انظر: البداية والنهاية ، ج 1 ، ص 507 .

تعيين اسم هذين الرجلين و من أي ملة هما ،ومن أي مكان وفي صدد هذا يقول الإمام الشنقيطي ـ رحمه الله ـ و«كلام المفسرين في الرجلين المذكورين هنا في قصتهما كبيان أسمائهما ، ومن أي الناس هما ـ أعرضنا عنه لما ذكرنا سابقا من عدم الفائدة فيه ، وعدم الدليل المقنع عليه والله أعلم »«[987]» وقد أجاد ابن عطية في الإضراب عنه وعدم الركون إليه عندما قال : «وفي بسط قصصهما طول فاختصرته واقتصرت على معناه لقلة صحته ...»

إنّ هذه القصة قد اشتملت على توجيهات تربوية وحوت دروسا أخلاقيا يأتي في مقدمتها عدم الاستهزاء بعباد الله لاسيما الصالحين منهم وازدرائهم واحتقارهم فإنّ من فعل هذا فقد عرّض نفسه لغضب الله ، كما اشتملت على ضرورة عدم الاغترار بالحياة الدنيا وزخرفها والتكبر والتجبر على العباد ، بل يتعين مقابلة نعم الله بالشكر وأداء حقها بالإنفاق في سبيل الله ، ومواساة الضعفاء والمساكين ، فلذا ينبغي التنويه على بعض هذه الحكم التي اشتمل عليها القصص القرآني ، وقد أشار ابن عطية إلى شيء من هذا فيما يتعلق بهذه القصة حيث قال في آخرها : ويكون فيها زجرة للكفرة من قريش أو غيرهم ، لئلا تجئ لهم حال يؤمنون فيها بعد نقم تحل لهم » وقد وقفت على كلام كالجمان للحافظ ابن كثير لمح فيه إلى ما انطوت عليه هذه القصة من دروس وعبر ، يتحتم على المرء التيقظ والتنبه لها فقال : وهذه القصة تضمنت أنّه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر بها ولا يثق بها ، بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه ، وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يديه ، وفيها أنّ من قدّم شيئا على طاعة الله والإنفاق في سبيله عذّب به ، وربّما سلب منه معاملة له بنقيض قصده ،وفيها أنّ الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق ، وأنّ مخالفته وبال ودمار على من ردّ النصيحة الصحيحة وفيها أنّ الندامة لا تنفع إذا حان القدر ونفد الأمر الحتم بالله المستعان وعليه التكلان».

[987]ـ انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ج 4 ، ص 82 .

وأمّا قوله: في تفسير قوله تعالى :﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾«[988]»« ...وأنّ امرأته الكافرة خانته فيه ... وهو قوله وقول الجمهور » فأقول : لقد وقع خلاف بين المفسرين في ابن نوح هذا الذي استثناه الله من الوعيد هل هو ابنه من صلبه أو ليس بابنه لأنّ الله نفى أن يكون هذا الولد من أهله ، وذهب البعض إلى حد القول بأنّ امرأته خانته فيه ، وهذا كله ليس بصحيح ،فإنّ هذا الولد هو ابن نوح من صلبه ،وإنّما نفى الله عزّ وجل أن يكون من أهله لأنّه لم يسلك كريق النجاة ، ولم يتبع أباه فحذّر الله نوحا من سؤاله هذا ، ولا يليق بنبي اصطفاه الله عزّ وجل أن تزني زوجته وتخونه في فراشه ، فهذا يقدح في عصمتهم ، فخيانة زوجته كما حكى غير واحد من متقدمي السلف أنّها كانت في العقيدة فلم تؤمن به وكانت تحرض عليه الناس وتسمه بالمجنون ، وكذلك القول في خيانة زوجة لوط فقد كانت تدل قومه على فعل الفاحشة ، وأمّا نسبة الزنا إلى زوجات الأنبياء فهو من صنع الروافض وقد حرّر هذه المسألة وزادها بيانا شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : «وهؤلاء الرافضة يرمون أزواج الأنبياء عائشة وامرأة نوح بالفاحشة فيؤذن نبينا صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء من الأذى بما هو جنس الأذى من المنافقين المكذبين للرسل ، ثمّ ينكرون على طلحة والزبير أخذهما لعائشة معهما لما سافرا من مكة إلى البصرة ولم يكن في ذلك ريبة فاحشة بوجه من الوجوه فهل هؤلاء إلاّ من أعظم الناس جهلا وتناقضا ، وأمّا أهل السنة فعندهم أنّه ما بغت امرأة نبي قط ، وأنّ ابن نوح كان ابنه كما قال الله تعالى وهو أصدق القائلين :ونادى نوح ابنه ، وكما قال:«يابني اركب معنا »«[989]» وقال:« إنّ ابني من أهلي »«[990]» فالله ورسوله يقولان إنّه ابنه ، وهؤلاء الكذّابون المفترون يقولون إنّه ليس ابنه والله تعالى لم يقل إنّه ليس ابنك ، ولكنّه قال إنّه ليس من أهلك وهو سبحانه وتعالى

[988] ـ سورة هود : الآيتان 45 ـ 46 .

[989] ـ سورة هود : الآية 42 .

[990] ـ سورة هود : الآية 45.

قال : قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنيين وأهلك إلاّ من سبق عليه القول منهم ثمّ قال: ومن آمن أي واحمل من آمن ، فلم يأمره بحمل أهله كلهم ، بل استثنى من سبق عليه القول منهم ، وكان ابنه قد سبق عليه القول ، ولم يكن نوح يعلم ذلك فلذلك قال : «ربي إنّ ابني من أهلي » ظانا أنّه دخل في جملة من وعد بنجاتهم ، ولهذا قال من قال من العلماء إنّه ليس من أهلك الذين وعدت بنجاتهم ، وهو وإن كان من الأهل نسبا فليس منهم دينا والكفر قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ... وخيانة امرأة نوح كانت في الدين ، فإنّها كانت تقول إنّه مجنون ، وخيانة امرأة لوط أيضا كانت في الدين ، فإنّها كانت تدل قومها على الأضياف ...»«[991]» وقد أحسن ابن عطية رحمه الله في دفع هذه التأويلات وإنكارها ،وأنّها تتعارض مع منزلة النبوة ، وبيّن بأنّ الرأي الصواب هو ما ذهب إليه الجمهور ، وأنّ خيانة زوجته لم تكن في الفراش ، بل كانت في الدين ، وهذا ما نلمسه في قوله :« وهذا التأويل لا يتجه من جهة المعنى ، وكل هذه الفرق ، إنّ القول بأنّ الولد كان لقيه وولد فراش خطأ محض ، وقالوا إنّه يروى عن النبي أنّه قال:« ما زنت امرأة نبي قط» قال القاضي أبو محمد ، وهذا الحديث ليس بمعروف ، وإنّما هو من كلام ابن عباس رضي الله عنه ويعضده شرف النبوة ، وقالوا في قوله عزّ وجل : فخانتهما إنّ الواحدة كانت تقول للناس : إنّه مجنون والأخرى كانت تنبه على الأضياف ، وأمّا غير هذا فلا وهذه منازع ابن عباس وحججه...»

وأمّا قوله في تفسير قوله تعالى :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴾«[992]»«كان يأتيه الحيوان فيضع يمينه على الذكر ويساره على الأنثى ، وروي أنّ أول ما أدخل السفينة الذر ....وروي أيضا أنّ الفأر خرج من أنف الخنزير » فأقول : إنّ المولى جلّ وعلا أمر نبيه نوحا عليه السلام بأن يحمل في سفينته من كل زوجين اثنيين يعني من المخلوقات الموجودة على الأرض في ذلك الوقت فيدخل فيها الإنسان والحيوانات وسائر المخلوقات كما هو ظاهر اللفظ ، وعموم الآية ، أمّا التفصيل فيمن دخل فيها من

[991] ـ انظر: منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية ، ج 4 ، ص 162 ـ 164 .

[992] ـ سورة هود : الآية 40

الحيوانات ومن دخل الأول وكيف كانت طبقات السفينة وغيرها ممّا ذكره ابن عطية ، فإنّها غرائب وأباطيل لا تستند إلى شيء من الصحة ، وإنّما هي مرويات إسرائيلية ذكرها ابن جرير في تفسيره ، وتاريخه ، وكذلك السيوطي في الدرر المنثور ، وهي أمور لا علاقة لها بالتفسير ولا يتوقف عليهم فهم الآية أو القصة ، بل على النقيض من ذلك كان الواجب أن تصان كتب التفسير وتنزّه عن تسويد وتبييض مثل هذه الخرافات ، والعناية بمواطن العبرة من القصة والدروس المستخلصة منها ، وقد قال الإمام الشوكاني في صدد هذا : «وروي في صفة القصة وما حمله نوح في السفينة ، وكيف كان الغرق ، وكم بقيت السفينة على ظهر الماء روايات كثيرة لا مدخل لها في تفسير كلام الله سبحانه »»[993]«

وقد أحسن الإمام ابن عطية في إنكار مثل هذه المرويات فقال :« وهذا كله قصص لا يصح إلاّ لواستند والله أعلم كيف كان » وقد ختم الإمام ابن عطية ـ رحمه الله ـ قصة نوح عليه السلام بكلام نفيس أبان في الغاية من سوق القصص القرآني وأخبار من تقدمه من الأمم بأنّ فيه توجيها لك يا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ودروسا لقومك فقال : «... أي هذه من الغيوب التي تقادم عهدها ولم يبق علمها إلاّ عند الله تعالى ، ولم يكن علمها أو علم أشباهها عندك ولا عند قومك ونحن نوحيها إليك لتكون لك هداية وأسوة فيما لقيه غيرك من الأنبياء وتكون لقومك مثالا وتحذيرا لئلا يصيبهم إذا كذّبوك مثل ما أصاب هؤلاء وغيرهم من الأمم المعذبة ».

المطلب الثاني: النقد التفصيلي لمناهج الإمام الرّازي

قوله في تفسير قول اللهتعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن

[993] ـ انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير ، ج 2 ، ص 639.

يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾«[994]»« اعلم أنّ الغرض من هذه السورة بيان التوحيد والنبوة ...عبدة الأوثان » فأقول : لقد أشار رحمه الله إلى الغرض من هذه السورة ، والتي من جملتها قصة إبراهيم عليه السلام أنّها جاءت لبيان التوحيد وإثبات النبوة وإثبات اليوم الآخر ، وهذا الذي ذكره الإمام الرّازي هو من أهم أغراض القصص القرآني فقد سعى القرآن دائما في إيراده لأخبار من تقادم من الأنبياء وبيان أحوالهم مع أقوالهم التركيز على جانب البعث واليوم الآخر الذي كان ينكرونه ، وفي ذلك إنذار للمشركين من قريش والعرب قاطبة ممّن أدركته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يلحق بركب الإسلام والمسلمين ، وكذلك بيان وحدة العقيدة في دعوة الأنبياء عليهم السلام حيث ركزّوا كلهم على الدعوة لتوحيد الخالق ونبذ الشرك وطرح الأوثان وما يعبد من دون الله ، فهذه الاستهلالة الرّائعة من الإمام الرّازي تعد من محاسن تعامله مع القصة القرآنية .

وأمّا قوله :« كأنّه لما انتهت قصة زكريا وعيسى عليه السلام قال : ذكرت حال زكريا فاذكر :حال إبراهيم ....كان ذلك إخبارا عن الغيب ومعجزا قاهرا دالا على نبوته »

فأقول : قد أحسن الإمام الرّازي وأجاد حيث أشار في ثنايا كلامه هذا إلى أهمّ غرض من أغراض القصص القرآني إذا لم يكن لب الأغراض وعمادها ،وهو بيان نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ،فعلم النبي صلى الله عليه وسلم بأخبار الماضي وأحوال الأنبياء مع كونه صلى الله عليه وسلم أمي ولم يقرأ ولا يكتب ولا ثبت أنّه يتلقى هذه الأخبار من أحبار اليهود ورهبان النصارى كما يزعم منكرو الوحي في القديم والحديث ، فدلّ هذا دلالة قاطعة أنّه يتلقى هذه الأخبار من عالم الغيب والشهادة ، وهذا الوجه من الإعجاز صرّح به المولى جلّ وعلا في كم موضع من القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى :﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ «[995]» وأنّ ما يقوله وينطق وحي من عند الله تعالى .

---

[994]ـ سورة مريم : الآية 41 ـ 45 .

[995]ـ سورة هود : الآية 49.

ثمّ مضى الإمام الرّازي ـ رحمه الله ـ في تحليل قصة إبراهيم مع أبيه وقومه بطريقة رائعة وظفّ فيها براعته في علم الكلام لتحليل أدوار إبراهيم في محاجة قومه ومجادلتهم من أجل إبطال عبادتهم للأوثان ، وإثبات الألوهية للخالق عزّ وجل فحسب ، فكان رائعا في طريقته هذه ، ثمّ أشار في آخر القصة إلى نصرة الله عزّ وجل لسيدنا إبراهيم عليه السلام وتأييده له ، وتعويضه عمّا فاته من اعتزاله قومه وهجرانهم بسبب شركهم بأنّ مكنّ له وأصلح له ذريته وجعل فيهم النبوة إلى غيرها من الفضائل التي ساقها الرّازي في فضل سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وفي هذا كله إشارة إلى غرض ومقصد من مقاصد سوق القصص القرآني وإيراده وهو بيان نصرة الله لأنبيائه وأنّ العاقبة للأنبياء وأتباعهم والنهاية تكون وبالا على الكافرين والظالمين وفي هذا كله تثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه من الصحابة ،وممّن جاء بعدهم من الدعاة والمصلحين ، وهذا مسلك ومنزع جيد من الإمام الرّازي في معالجة مثل هذا القصص .

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى :﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾«[996]» فأقول : لقد استهل الإمام الرّازي ـ رحمه الله ـ تفسير هذه الآيات من قصة سبأ بطريقة رائعة أبان فيها ما أولاه المولى جلّ وعلا لسكان هذه القرية من نعم وخيرات ، فلمّا أعرضوا عن الله وأشركوا به أعقبهم وبالا فأبدلهم بجنتهم جنة خبيثة المطعم والمشرب ، وهذا حال الأمم الجاحدة لنعم الله والمشركة به ، لكنّ الذي استوقفني من كلامه هو قوله : «... وكيفيته أنّه تعالى أرسل عليهم سيلا أغرق أموالهم ، وخرّب دورهم وفي العرم وجوه أحدها أنّه الجرد الذي خرّب السكر ... فنقب الجرد السكر وخرب السكر بسببه وانقلب البحر عليهم » فهذه الرواية هي من مرويات أهل الكتاب ولا مستند لها من السنة ، أو شيء من النقل يعتمد عليه ، والذي يدل على

[996] ـ سورة سبأ : الآية 15ـ 17 .

أنّها من مرويات أهل الكتاب ما ذكره ابن كثير في شأن ذلك حيث قال :« وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك : إنّ الله عزّ وجل لما أراد عقوبتهم بإرسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرد نقبته ، قال وهب بن منبه ، وقد كانوا يجدون في كتبهم أنّ سبب خراب هذا السد هو الجرد ، فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمن ، فلمّا جاء القدر غلبت الفأر السنانير ، وولجت إلى السد فنقبته فانهار عليهم »»[997] فهذا الكلام يدل دلالة واضحة على أنّه من مرويات أهل الكتاب ، وفي حقيقة الأمر أنّ المولى قال وقوله الحق بأنّ السيل اجتاح مسكنهم أمّا عن كيفية ذلك ومن كان سببا في ذلك ، فقد أبهمه المولى جلّ وعلا ، لأنّه لا يترتب على ذكره كبير فائدة ، فالمقصود من الآيات قد تمّ بما ذكره سبحانه وتعالى ، فلا داعي للجري وراء مثل هذه المرويات .

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾«[998]»فأقول :لقد اشتهر عن كثير من السلف أنّ لقارون قرابة من موسى ، فمنهم من يذهب إلى أنّه عمّه ، ومنهم من يذهب إلى أنّه ابن عمّه ، لكنّ الحافظ ابن حجر جزم بأنّه ابن عمّه حيث قال : « هو قارون بن يصفد بن يصهر ابن عمّ موسى ، وقيل : كان عمّ موسى ،

[997]ـ انظر : تفسير القرآن العظيم ، ج 5 ، ص 542.

[998]ـ سورة القصص : الآيات 76 ـ 78 .

والأول أصح فقد روي ابن أبي حاتم بإسناد صحيح عن ابن عباس أنّه كان ابن عمّ موسى قال : وكذا قال قتادة وإبراهيم النخعي ، وعبد الله بن الحارث وسماك بن حرب ...»«[999]»

وأمّا قوله :« فبغى عليهم » ففيه وجوه أحدها : أنّه بغى بسبب ماله ... ما كان يأتي موسى عليه السلام » فأقول لقد اختلف العلماء في تفسير بغي قارون وذكروا أقوالا كثيرة في ذلك ، فمنهم من قال : أنّ بغيه كان بسبب تكبره بماله ، وقيل بسبب رفع ثوبه ومشيه مشي الخيلاء بين قومه ، وقيل أنّه حسد هارون وموسى على ما آتاهما الله من النبوة ، وكل هذا جائز ذكر الخلاف فيه ووارد أن يحمل بغيه عليه لدللة السياق والحكاية عليه ، فلا حرج في ذكر هذه الأقوال والله أعلم .

وأمّا قوله : «قالوا كانت مفاتيحه من جلود الإبل ...على ستين بغلا » فأقول : إنّ المولى جلّ وعلا قد أخبر عن مقدار ما آتى قارون من الكنوز حتى يتعذر عن الجماعة الكبيرة حملها ، لكنّ القول بأنّ مفاتيحه كانت من جلود الإبل و كانت تحمل على ستين بغلا ، فهذه كلها مبهمات سكت القرآن عنها ولم يفصل فيه القول ، لأنّه لا فائدة في ذكرها مادام مضمون القصة قد تمّ وفهم بما اكتفى الله بذكره، فهذه أقوال كما يقال هي رجم بالغيب ومفتقرة إلى سند يعتمد عليه ، ولله درّ ابن عطية إذ يقول في صدد هذا « وأكثر المفسرون في شأن قارون فروي عن خيثمة أنّه قال إنّا نجد في الإنجيل مكتوبا أنّ مفاتيح قارون كانت من جلود الإبل وكان المفتاح من نصف شبر وكانت وقر ستين بعيرا أو بغلا لكل مفتاح كنز ، وروي غير هذا ممّا يقرب منه ذلك كله ضعيف والنظر يشهد بفساد هذا ومن كان الذي يميز بعضها عن بعض وما الدّاعي إلى هذا وفي الممكن أن ترجع إلى ما لا يحصى ويقدر وعلى حصره بسهولة وكان يلزم على هذا المعنى أن تكون مفاتيح بياء ...»«[1000]»

وأمّا ما ذكره في قوله تعالى :«فخرج على قومه في زينته »« فيدل على أنّه خرج بأظهر زينة وأكملها وليس في القرآن إلاّ هذا القدر ...والأولى ترك هذه التقريرات لأنّها متعارضة » فأقول : لقد أحسن الإمام الرّازي في دفع هذه الأقوال التي قيلت في كيفية خروج قارون ، وبيّن أنّ القرآن وقف عند هذا

[999]ـ انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص 448.

[1000]ـ انظر : المحرر الوجيز ، ج 4، ص 350

المقدار فيجب الاكتفاء بما ذكره الله سبحانه وتعالى ، ودفع ما تعارض من هذه الأقوال التي لا دليل عليها ولا فائدة من إيرادها ، وهذا منزع جيد .

إنّ قصة قارون يستخلص منها عدة دروس ينبغي للمرء أن يضعها دائما نصب عيينه ، ويأتي في مقدمة هذه الدروس أنّ الغنى والفقر ليسا معيارا على رضا الرب أو سخطه على عبده ، وثانيها : أنّ الغنى وكثرة المال قد توقع صاحبها في البطر والغرور وبذلك تستوجب غضب الرب وعقابه ، وثالثها : عدم الركون إلى زينة الحياة الدنيا والافتنان بزخرفها «[1001]»

المطلب الثالث: النقد التفصيلي لمناهج الإمام البيضاوي

أمّا قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾«[1002]» «... وكانت مساكنهم بين الحجاز والشام ... بن حاذر بن ثمود » فأقول : ما ذكره في مكان ثمود فهو صحيح وقد ذكره غير واحد من المحدثين وأصحاب التواريخ والسير ، وكذلك القول في نسبه فقد ذكر ذلك الحافظ ابن حجر حيث قال :« باب قوله تعالى :(وإلى ثمود أخاهم صالحا ـ وقوله ـ كذّب أصحاب الحجر) هو صالح بن عبيد بن أسيف بن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت منازلهم بالحجر ، وهو بين تبوك والحجاز ...» «[1003]»

[1001] ـ انظر: المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، عبد الكريم زيدان ، ط 1 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1421 هـ ـ 2000م ، ج 1 ، ص 531.

[1002] ـ سورة الأعراف : الآيات 73 ـ 74.

[1003] ـ انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج 6 ، ص379.

وأمّا ما ذكره في شأن قصتهم مع نبي الله صالح وعقرهم للناقة فهو المشهور و المتداول بين المفسرين وأصحاب السير والتواريخ وهو ما يذكره ابن إسحاق ، والطبري وابن كثير وغيرهم ، ولا حرج في مثل هذه المرويات طالما أنّها لم تصادم شيئا ممّا هو عندنا ويتعارض معها ، أو يمس بأنبياء الله ويقدح في نبوتهم ، وتفسير الإمام البيضاوي عموما وفي هذه القصة خصوصا يرى فيه المرء اعتنائه بالنكت البيانية فيضفي بذلك جمالا على القصة وخصوصا عندما يتعرض لتحليل هذه النكات وبيان ارتباطها بمعان الآيات ،وقد يلمس الناظر في هذه الآيات وقصة هذا النبي مع قومه شيئا عزيزا ينبغي لمن تصدى للدعوة أن يعيه ويفهمه ـ ألا ـ وهو تلطف الأنبياء عليهم السلام بأقوامهم ولين الجانب لهم والرفق معهم في القول والعمل بغية الطاعة والانقياد لأوامر الله ، كما يستفاد من ذلك عدم جزع وتحسر المرء أو العالم والداعية على عدم اتباع القوم وإصغائهم لما يدعوهم إليه ، فالواحد منّا عليه جانب البلاغ فحسب ، والباقي على الله عزّ وجل ، وهذا ما أكده الله لنبيه في كم من موطن من القرآن .

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾«[1004]»« ... وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه ...فعزّاه الله بهذه الآية »فأقول : إنّ الإجماع منعقد من علماء الإسلام ولا سيما المفسرون وأهل الحديث على بطلان هذه القصة وأنّه لا مستند لها ، وزيادة وعلاوة على ذلك ما تضمنته من طعن في نبي الله صلى الله عليه وسلم والتشكيك فيما يوحى إليه ، وجواز تسلط الشيطان عليه وغيرها من الدسائس التي يتلقفها الطاعنون في الأنبياء عليهم السلام كما مرّ معنا في قصص سليمان وداود عليهما السلام ،والذي يحير المسلم في هذه الرواية هو ذهاب حافظ من حفاظ الإسلام وأمير من

[1004] ـ سورة الحج : الآيتان 52 ـ 53.

أمراء المؤمنين في الحديث إلى تصحيح سندها ، مع أنّ من تقدّمه من الحفاظ نصوا على بطلانها وضعفهاوممّن انبرى لتوهينها وبيان خللها القاضي عياض ـ رحمه الله ـ حيث قال :« ... فاعلم أكرمك الله أنّ لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليميه ، أمّا المأخذ الأول : فيكفيك أنّ هذا حديث لم يخرّجه أحد من أهل الصحة ولارواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنّما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال : لقد بلي الناس ببعض الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنّه في الصلاة ، وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة ،و آخر يقول قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول بل حدّث نفسه فسها ، وآخر يقول إنّ الشيطان قالها على لسانه وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك ، وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قالها فلمّا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال ما هكذا نزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية ، والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فيما أحسب الشك في الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزّار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلاّ هذا ولم يسنده عن شعبة إلاّ أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير ، وإنّما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس فقد بيّن لك أبوبكر ـ رحمه الله ـ أنّه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف مانبّه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه ، وأمّا حديث الكلبي فممّا لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه ، وكذلك بما أشار إليه البزّار ـ رحمه الله ـ والذي منه في الصحيح أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من طريق النقل ، فأمّا من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة ، أمّا من تمنّيه أن ينزل

عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتّى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أنّ من القرآن ما ليس منه حتّى ينبهه جبريل عليه السلام ، وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهو وهو معصوم من هذا كله ...»«[1005]» ، لكنّ الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ قد صحح هذه الرواية وردّ على القاضي عياض وابن العربي فممّا قاله بعد تعقيبه على تضعيفهما للرواية ما نصه «وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد ، فإنّ الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلّ على أنّ لها أصلا ،وقد ذكرت أنّ ثلاث أسانيد منها على شرط الصحيح ،وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض «[1006]»«

وقد انبرى للفصل في هذه المسألة من المعاصرين الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني وأفردها بمصنف خاص ردّ فيه على الحافظ ابن حجر تصحيحه لهذه الرواية وحاكمه إلى بعض القواعد الحديثية التي بنى عليها الحافظ تصحيح الرواية وملخص كلامه فيما ذكره في هذا الكتاب قد أورده في آخره فقال: معقبا على كلام الحافظ ابن حجر الأخير الذي سقته « فأقول : إنّ هذا الجواب ليس بالقوي على إطلاقه لما بيّنا فيما تقدّم أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليس قاعدة مطردّة ، نعم من ذهب إلى الاحتجاج بالمرسل مطلقا أو عند اعتضاده ففي الجواب رد قوي عليه كالقاضي عياض وغيره ممّن يقبل مرسل الثقة ، أمّا نحن فغير وارد علينا لما أوردناه من الاحتمالات التي تمنع من الاحتجاج بالحديث المرسل ، ولو من غير وجه ،ولعلّ هذا هو مذهب الحافظ ابن كثير حيث قال عند تفسيره للآية السابقة « قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنّا منهم أنّ مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنّها من طرق كلّها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح » فإنّ ابن كثير يعلم أنّ هذه المراسيل التي أشار إليها

[1005] ـ انظر: الشفا في التعريف بحقوق المصطفى ، ج ، ص.

[1006] ـ انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج8 ، ص 439

أسانيدها صحيحة إلى مرسلها ، فلو كان بعضها يعضدد بعضا عنده وتقوى القصة بذلك ، لما ضعّفها بحجة أنّه لم يرها مسندة من وجه صحيح وهذا بيّن لا يخفى ، ثمّ إنّ من الغريب أنّ الحافظ ابن حجر مع ذهابه إلى تقوية القصة يرى أنّ فيها ما يستنكر وأنّه يجب تأويله فيقول بعد كلامه الذي نقلته آنفا :وإذا تقرّر ذلك تعيّن تأويل ما وقع فيها ممّا يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه :تلك الغرانيق العلى وإنّ شفاعتهن لترتجى» فإنّ ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنّه يستحيل عليه الصلاة والسلام أن يزيد في القرآن عمدا منه ، وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته »«[1007]»، ثمّ ذكر الحافظ ابن حجر مسالك العلماءفي تأويل ذلك ، ثمّ اعتمد على الوجه الأخير منها ، وهو الذي نقلناه عن القاضي قبيل هذا الفصل ، وقلنا إنّه رجّحه ، ثمّ قال الحافظ : «وهذا أحسن الوجوه، ويؤيده ممّا تقدّم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير تمنّى بمعنى تلا»«[1008]».

فينتج من ذلك أنّ الحافظ ابن حجر، قد سلّم أنّ الشيطان لم يتكلم على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الجملة ، وإنّما ألقاها الشيطان بلسانه في سكتة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا لا يتفق البتة مع القول بصحة القصة ، أو أنّ لها أصلا ، فإن كان يريد بذلك أنّ لها أصلا في الجملة أعني بدون هذه الزيادة ، فهذا ليس هو موضع خلاف بينه وبين العلماء الذين ردّ عليهم قولهم ببطلان القصة ، وإنّما الخلاف في هذه الجملة التي تزعم الروايات أنّ الشيطان ألقاها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذ قد صرّح الحافظ بإنكارها وتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عنها فنستطيع أن نقول لحضرة السائل : إنّ الحافظ متفق مع ابن كثير ـ وغيره ممّن سبقه ولحقه على إنكار القصة على ما وردت في الروايات ، حتّى التي صححها الحافظ ، وأمّا ما بقي منها ممّا لا يتنافى مع عصمة

[1007] ـ المصدر نفسه: ج 8 ، 439

[1008] ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري : ج 8، ص 440

النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا خلاف في إمكان وقوعها ، بل الظاهر أنّ هذا القدر هو الذي وقع بدليل ظاهر آية الحج حسبما تقدّم تفسيرها في أوائل الرسالة ...»«[1009]»

وكلام الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ فيه إنكار لمثل هذه الواقعة لذلك قال بعد سوق الرواية :« وهو مردود عند المحققين » ثمّ قال بعد ذلك :«وردّ أيضا بأنّه يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان السهو على الأنبياء وتطرق الوسوسة » فهو بهذا يؤكد على عصمة الأنبياء في الوقوع في مثل الأمور ،وهذا الذي ينبغي التنبيه عليه دائما فيما يتعلق بمثل هذه الأخبار التي تقدح في عصمتهم .

وأمّا ما ذكر في تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾«[1010]»«يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن إنّها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى عليه السلام ...فمتأخر عن هذه المقولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى و إرهاصا لنبوته » فأقول : إنّ المولى جلّ وعلا لم يفصل لنا ما أجرى على نبي الله شعيب من المعجزات ، وإنّما ذكرها إجمالا باعتبار دخولها في قوله تعالى :« قد جاءتكم بيّنة من ربّكم » فكلام الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ في غاية الدقة بحيث أبان أنّ القرآن لم يصرّح ويعين تلك المعجزة ، بل أطلقها فلذا لا داعي لي إيراد بعض الأقوال الضعيفة في شأن معجزته والتي من جملتها ما ذكره الإمام البيضاوي بعد هذا الكلام ويتأيد قول البيضاوي ويزداد تأكيد بما ذكره الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ حيث قال : « ... وهو ما أجرى على يديه من المعجزات التي لم تنقل إلينا تفصيلا ، وإن

[1009] ـ نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، محمد ناصر الدين الألباني ،ط 3 ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، 1417 هـ 1996م ، ص 62 ـ 63 .

[1010] ـ سورة الأعراف : الآية 85 .

كان هذا اللفظ قد دخل عليها إجمالا »«[1011]»وأمّا ما ذكره البيضاوي من وقوع عصا آدم عليه سبع مرات فإنّه يشير بذلك إلى بغض الأخبار العارية عن الصحة والمفتقرة إلى الدليل ، وإنّما هي إسرائيليات تلقفها المولعون بذكرها ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ« وما يذكرون في عصا موسى وأنّ شعيبا أعطاه إياها، وقيل أعطاه إيّاها هذا الشيخ ، وقيل جبريل وكل هذا لا يثبت ، وعن أبي بكر أظنّه الهذلي قال سألت عكرمة عن عصا موسى قال هي عصا خرج بها آدم من الجنة ، ثمّ قبضها بعد ذلك جبريل فلقي بها موسى عليه السلام ليلا فدفعها إليه وقال السدي في تفسيره المعروف قال أمر أبو المرأتين ابنته أن تأتي موسى بعصا ، وكانت تلك العصا عصا استودعها ملك في صورة الرجل إلى آخر القصة استودعه إيّاها ملك في صورة رجل وأنّ حماه خاصمه وحكما بينهما رجلا ، وأنّ موسى أطاق حملها دون حميّه وذكر عن موسى أنّه أحق بالوفاء من حميّه ولو كان هذا شعيبا هو النبي لم ينازع موسى عليه السلام ولم يندم على إعطائه إيّاها ولم يحاكمه ولم يكن موسى قبل أن ينبأ أحق بالوفاء منه فإنّ شعيبا كان نبيّا وموسى فلم يكن نبيّا ، فلم يكن موسى قبل أن ينبأ أكمل من نبي ،وما ذكره زيد أنّه كان يعرف أنّ موسى نبي إن كان ثابتا فالأحبار والرهبان كانت عندهم علامات الأنبياء وكانوا يخبرون بأخبارهم قبل أن يبعثوا والله أعلم» ، ورواية الإمام البيضاوي لها بصيغة التمريض يشعر بعدم وثوقه بها والركون إليها ، وبعد مضيه في تفسير هذه الآيات أشار رحمه الله ضمنيا إلى مقصد من مقاصد القصص القرآني ولم يصرح به ألا وهو بيان إهلاك الله لأعداء الأنبياء ونصرة رسله وأتباعهم وحلّاه في أسلوب رفيع حيث أشار فيه إلى نكتة بيانية زادت هذا المقصد وضوحا وهذا ما نلمسه في قوله :« الذين كذّبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين »«[1012]» دينا ودنيا لا الذين صدّقوه واتّبعوه ، كما زعموا فإنّهم الرّابحون في الدارين ، وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرّر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين »

[1011]ـ انظر: قصص الأنبياء ، ص 186.

[1012]ـ سورة الأعراف : الآية 92.

لقد اشتملت قصة شعيب التي قصّها الله علينا على دروس أخلاقية تهم البناء الاجتماعي ،إذ جاءت تحذر من ظاهرة قبيحة لها أثرها السيئ على معاملات الناس وهي ظاهرة التطفيف في الكيل وبخس الميزان التي فشت في قوم مدين فجاء ذكرها في القرآن لتحذير المسلمين منها لما ، كما حوت دروسا للدعاة والمصلحين ومن انبرى لخدمة الإسلام فنبهت على ضرورة التلطف في مخاطبة المخالف ومحاورة العاصي والزائغ عن الطريق الصحيح ، وذلك بلين الجانب وخفض القول والحرص على هدايتهم ،وفي الوقت نفسه تنبه رجال الدعوة إلى توقي الحذر وأخذ الحيطة من أعداء الإسلام ومن الحائدين عن النهج القويم بأنّهم يعملون ما في وسعهم ويبذلون قصارى جهدهم لإفشال وإحباط دعوتهم تارة بالتشكيك والقذف وأخرى بالتثبيط وتحريض السفهاء ،إلى غير ذلك من الأساليب ، كما قرّرت هي ونظيراتها من قصص القرآن على ضرورة عدم تحسر المؤمن والداعية على عدم إجابة الناس وتقبلهم للدعوة ، فمهمة العالم ، أو الداعية تقتصر على التبليغ والباقي على الله ، وهذا الذي يؤكده المولى جلّ وعلى لنبيه صلى الله عليه وسلم .

المطلب الرابع: النقد التفصيلي لمناهج الإمام النسفي

فتفسيره لقوله تعالى :﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾«[1013]»

[1013]ـ سورة البقرة : الآية 102

فأقول : لقد أفضت القول في الكلام على هذه الآية عند التعقيب على النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الثعالبي وأبنت بطلان ما ينسب إلى الملائكة من أنّهما هويا زهرة فراوداها عن نفسها فمكنتهما فخيّرهما الله بين عذاب الدنيا والآخرة فاختار عذاب الدنيا فمسخا وعلق بأسوار بابل يعذبان إلى اليوم ، فهذا كله باطل وما روي فيها من أخبار فهو من وضع اليهود والزنادقة ، ورواية الإمام النسفي لها بصيغة التمريض يشعر بعدم الإقرار بها والوثوق بها ، لكن كان من الأجدر أن يبيّن زيفها ويدحض باطلها حتّى ينزه كتابه من هذه الخرافات ، والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾«[1014]»

فأقول : إنّ الناظر في تفسيره لهذه القصة يستحسن طريقته عموما في التفسير إذ يمتاز بالإيجاز الرائع مع التركيز على العبارة المناسبة والمؤدية للمعنى ، وكذلك الإشارة إلى النكات البيانية ، لكنّ الذي استوقفني في تفسيره لهذه القصة هو الإشارة إلى السن التي بلغها إبراهيم وزوجته عند بشارتهما بالولد فلا أدري من أين استاق ذلك ، إذ لم يروى في ذلك شيء يكون دليلا عليه ، وكذلك قوله فيما حكاه عن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أخبرته الملائكة عن إهلاكها لقومه فأخبرهم أنّه إذا كان فيها خمسون إلى آخر ما ذكره فليس في هذا شيء صحيح يعتمد عليه ، وإن كان إيراده ليس فيه مايضر أو يتعارض مع شيء من الأصول المقررة إلاّ أنّ الإضراب عن مثل هذه الأقوال أفضل وأسلم

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ

[1014] ـ سورة هود : الآيات 69 ـ 72.

وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾.«[1015]»فأقول : إنّ الذي استوقفني في ثنايا تفسيره للآيات هو قوله : «قيل له في المنام اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة ....فسمي اليوم يوم النحر» وقد استند الإمام النسفي رحمه الله في كلامه هذا إلى الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : رؤيا الأنبياء في المنام وحي » وقد تكلم الحافظ ابن كثير على هذا الحديث فقال : «ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه »«[1016]»وأمّا القول بأنّ يوم التروية سمي بذلك لأنّ إبراهيم رأى في المنام أنّه يذبح ابنه فأصبح يروي في نفسه أهو حلم أو أمر إلهي إلى غير ما ذكر في سبب تسمية يوم النحر ويوم عرفة فهذه أقوال شاذة لا أصل لها ولا تستند إلى شيء ، وقد ذكر الإمام ابن قدامة المقدسي رحمه الله شيئا من ذلك فقال : «يوم التروية اليوم الثامن من ذي الحجة يسمى بذلك لأنّهم كانوا يترووون الماء فيه يعدّونه ليوم عرفة وقيل سمي بذلك لأنّ إبراهيم عليه السلام رأى ليلتئذ في المنام ذبح ابنه فأصبح يروي في نفسه أحلم هو أمن الله تعالى ؟ فسمي يوم التروية فلمّا كانت ليلة عرفة رأى ذلك أيضا فعرف أنّه من الله تعالى فسمي يوم عرفة والله أعلم » «[1017]» وأمّا ما ذكره في قوله تعالى : « وفديناه بذبح عظيم » هو ما يذبح وعن ابن عباس **هو** الكبش الذي قرّبه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتّى فدي به إسماعيل ...»فأقول:إنّ الإمام النسفي ـ رحمه الله ـ ساق ما ذكره جمهور المفسرون في شأن الكبش الذي فدي به سيدنا إبراهيم عليه السلام من أنّه كان يرعى في الجنة ، وقيل أنّه هو الذي قرّبه ابن آدم فتقبل ، وهذه الأخبار كلها مرويات إسرائيلية والذي صحّ من ذلك أنّ الفداء كان بكبش و إلى هنا توقف القرآن و السنة فلا حاجة لمثل هذه الأخبار العارية عن الصحة و التي لا يرجى منها طائل

[1015] ـ سورة الصافات : الآية 102 ـ 111.

[1016] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 6 ، ص 25.

[1017] ـ انظر: المغني ، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1403 هـ ـ 1983م، ج 3 ، ص 421.

فمن الذي أخبرنا أنّ الكبش هذا هو الذي قرّبه ابن آدم وأنّه كان يرعى في الجنة؟ ولذا يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ« وفديناه بذبح عظيم » أي وجعلنا فداء ذبح ولده ما يسّره الله تعالى له من العوض عنه ، والمشهور عن الجمهور أنّه كبش أبيض أعين أقرن راءه مربوطا بسمرة في ثبير ، قال الثور عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفا ، وقال سعيد كان يرتع في الجنة حتّى تشقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر وعن ابن عباس هبط عليه من ثبير كبش أبيض أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه رواه أبي حاتم من ، رواه بن أبي حاتم ، قال مجاهد فذبحه بمنى وقال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام ، فأمّا ما روي عن ابن عباس أنّه كان وعلا وعن ابن عباس أنّه كان وعلا و عن الحسن أنّه كان تيسا من الأروى ، واسمه جرير فلا يكاد يصح عنهما ،ثمّ غالب ما ها هنا من الآثار مأخوذ من الإسرائيليات ، وفي القرآن الكريم كفاية عمّا جرى من الأمر العظيم والاختبار الباهر ، وقد ورد في الحديث أنّه كان كبشا...»«[1018]»

وأمّا قوله : « ... والأظهر أنّ الذبيح إسماعيل ....وعن علي وابن مسعود والعباس وجماعة من التابعين أنّه إسحاق » فأقول لقد أفضت القول في تحرير النزاع في هذه المسألة عند عرض النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الخازن وبيّنت أنّ الذبيح على الرأي الصحيح عند العلماء هو إسماعيل عليه السلام وفيما ذكرته من حجج العلماء وأقواهم دلالة على صحة ذلك ، والإمام النسفي ـ رحمه الله ـ في مضمن كلامه يستبين المرء منه أنّه يرجح القول القائل بأنّ الذبيح هو إسماعيل وهو ما يظهر في عبارته: والأظهر أنّ الذبيح إسماعيل وكذلك في الحجج التي أوردها من قوله صلى الله عليه وسلم:« أنا ابن الذبيحين » وأنّ قرني الكبش وجدا معلقين داخل الكعبة ، فيظهر لي أنا والله أعلم أنّه يميل للقول بأنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام

[1018] ـانظر : البداية والنهاية ، ج 1، ص 158.

وأما ذكره في تأويل قول الله جل وعلا ﴿ ۞وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾«[1019]»

فهذه الآية قد أسهبت فيها الكلام عند ذكر النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام البغوي ـ رحمه الله ـ وأوضحت بطلان ما وضعه الزنادقة وأعداء الإسلام من خرافات في قصة عوج بن عنق ، وسقت كلام الأئمة الذين حكموا بوضعها وبطلانها ، وتأويل الإمام النسفي لها يرى فيه الباحث والمطالع أنّه أضرب وأعرض عن الروايات المنكرة في هذه القصة واقتصر على مايتم به فهم الآية من تصوير حال النقباء مع نبي الله موسى وكيفية أخذ الميثاق عنهم وخروجهم من مصر إلى الشام ، وكل هذا متداول في كتب التاريخ والتفسير ،فالقصد والمهم أنّه أعرض عن قصة عوج بن عنق ولم يشر إليها البتة ، وهذا شيء جيد يضمن محاسن تعامله مع القصة ، والله أعلم .

المطلب الخامس :النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن جزي

في خصوص تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾«[1020]»

فأقول قد تكلمت على تفسير هذه القصة عند عرض النماذج التي أوردتها من تفسير الإمامين ابن أبي حاتم ، وابن كثير ـ رحمهما الله ـ واتضح لي أنّ الإمام ابن جزي ـ رحمه الله ـ سار على ما جرى

[1019] ـ سورة المائدة : الآية 12.

[1020] ـ سورة البقرة : الآية 67

عليه جلّ المفسرون من إيراد سبب النزول هذا وذكرنا أنّه من مرويات بني إسرائيل التي يجوز ذكرها ولكن لا تصدق ولا تكذب ولا يعتمد عليها اعتمادا كليا ، ثمّ إنّ الإمام ابن جزي أشار إلى ملحة ونكتة من نكت القصص القرآني وذلك في بيانه لاستدلال المالكية بهذه القصة على قبول قول المقتول أنّ دمه عند فلان وكذلك الاستدلال بها على عدم توريث القاتل ، ثمّ بيّن ضعف استدلال المالكية بذلك رغم تمذهبه بمذهب مالك ، وبغض النظر عن ضعف هذا الاستدلال ، فإنّ في القصص القرآني مجالا رحبا للاستلال به على المسائل والأحكام الفقهية ، ومن ذلك الاستدلال على جواز الجعل بقصة يوسف عليه السلام في قوله تعالى : «ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم »«[1021] »

وأمّا ما ذكره في تفسير قوله تعالى﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ «[1022]»فأقول: قد تكلمت على تفسير هذه الآيات وأشرت إلى نزاهة الأبوين ممّا نسب إليهما من الوقوع في الشرك عند ذكر النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن أبي زمنين والملاحظ في تفسير ابن جزي يتجلى له براعته ودقته في تنزيه الأبوين حيث ذكر أنّ المعني بالإتيان من الله عزّ وجل هم أبناء آدم وحواء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه فالشرك يعود على ذريته الذين وقعوا فيه ، ثمّ رجح ذلك بأصل عقدي ثابت ، وهو أنّ تنزيه الأنبياء من الشرك يقتضي حمل الآية على هذا القول لا غير ،ثمّ دلالة الكلام على سياقه على أنّ المراد بهم الذرية ، وثلث بضعف »هذه الرواية وافتقارها إلى سند صحيح ، فهذا مسلك جيد وحفيل بالتأسي به في التعامل مع مثل هذه الأراجيف والأكاذيب التي تطعن في عصمة الأنبياء وتقدح في منزلتهم .

[1021] ـ سورة يوسف : الآية 72.

[1022] ـ سورة الأعراف : الآيتان 189 ـ 190.

وأمّا ما ذكره في تأويل قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾«[1023]» فأقول : لقد تكلمت على تفسير هذه الآيات عند ذكر النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ وأبنت تفصيل أقوال العلماء في بطلان هذه القصة وضعفها ،والإمام ابن جزي عرض ذكر رأيين في كيفية إلقاء الشيطان ، أحدها أنّه قرب صوته من صوت النبي صلى الله عليه وسلم وتلفظ به ، والثاني أنّ الني صلى الله عليه وسلم هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو لا القصد ، ثمّ ضعف هذا القول ورجّح الأول ، وذلك لتعارض الأول مع عصمته فلا يجوز في حقه السهو عند التبليغ ، فكلامه يدل دلالة صريحة على رفضه لهذه القصة ، ثمّ قام ـ رحمه الله ـ بشرح معنى التمني وذكر أنّ له معنيين أحدها :أنّ معنى الأمنية التلاوة فإذا قرأ الكتاب ألقى الشيطان من قبله التلاوة ، والثاني :أنّه بمعنى حب الشيء فيكون النبي صلى الله عليه وسلم تمنّى استئلاف قلوب قومه وألقى الشيطان في ذلك الأمنية ،لكنّي أقول قد فارق الإمام ابن جزي هنا الصواب إذ ترجيحه لمعنى الأمنية أنّها بمعنى حب الشيء في خطأ ويكون بذلك قد خالف جمهور المفسرين ، بل والسلف قاطبة حيث يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ والسلف كلهم على أنّ المعنى إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته »، وهو قول الإمام ابن جرير، والقرطبي وابن كثير ، لأنّ تفسير الأمنية بهذا أبلغ في التنزيه وأوكد فعلى معنى التلاوة يكون الشيطان هو الذي ألقى في التلاوة ، ثمّ نسخ الله ذلك ، والله أعلم

وأمّا تفسيره لقوله تعالى :﴿ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

[1023] ـ سورة الحج : الآيتان 52 ـ 53

ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾»«[1024]»

فأقول : لقد أضرب الإمام ابن جزي عن الإسرائيليات التي أنيطت بقصة إبراهيم عليه السلام من دخول إبراهيم مع أبيه السرب وهو رضيع ، وخروجه بعد ذلك ونظره للكواكب والنجوم وغير ذلك ممّا سطّره الإخباريون وسودوا به صحفهم والذي لا دليل عليه ولا فائدة تعود بذكره لا في أمر الدنيا ولا في أمر الدين ، واكتفى بالقول أنّ ألهم إبراهيم رشده إلى التوحيد ونبذ الشرك منذ صغره قبل النبوة وقبل موسى وهارون ، وهذا الذي ينبغي أن تحمل عليه الآية ويقف الواحد عنده لا يتجاوز ، وقد أجاد بن جزي في هذا المسلك ، كما أنّه أحسن في دفع ما يتوهم عن سيدنا إبراهيم أنّه قال الكذب ، وهذا ما نلمسه في قوله :« قصد إبراهيم بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم كأنّه يقول :إن كان إلها فهو قادر على أن يفعل ، وإن لم يقدر فليس بإله ولم يقصد الإخبار المحض لأنّه كذب ، فإن قيل:« فعله كبيرهم» فالجواب أنّ معنى ذلك أنّه قال قولا ظاهره الكذب وإن كان القصد به معنى آخر ويدل على ذلك قوله:« فسألوهم إن كانوا ينطقون»لأنّه أراد به أيضا تبكيتهم

[1024] ـ سورة الأنبياء : الآيات 51 ـ 71.

وبيان ضلالهم » ثمّ ذكر رحمه الله في آخر القصة إضرابه عمّا ورد في قصة إبراهيم ولم يلتفت إليه لعدم صحته ولبعده عن ظاهر القرآن ، وهذا مسلك جيد منه يضاهي فيه منهج ابن عطية في التعامل مع مثل هذه الروايات ، والله أعلم .

المطلب السادس : النقد التفصيلي لنماذج الإمام أبي حيان الأندلسي

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾«[1025]»«والاعتداء كان على ما نقل من أنّ موسى أمره الله بصوم يوم الجمعة وعرّفه فضله كما أمر به سائر الأنبياء ....حتّى صادوه يوم السبت علانية وباعوه في الأسواق ، فكان هذا من أعظم الاعتداء»

فأقول : إنّ الإمام أبا حيّان ـ رحمه الله ـ قد نقل ما اشتهر عن جمهور المفسرين في سبب نزول هذه الآية وقصة هؤلاء النفر من بني إسرائيل وهذا الأثر وغيره قد رواه الحافظ ابن كثير في تفسيره وأسنده إلى الإمام محمد بن إسحاق صاحب المغازي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه ـ ورواية الإمام أبي حيان لها بصيغة التمريض يشعر بعدم وثوقه به والتعويل عليها بشكل مؤكد ، وإنّما أورد القصة لتوافقها مع السياق القرآني ونقل غلبة المفسرين لها ، لكنّه عاد في الأخير وذكر إضرابه وإعراضه عمّا يصح فقال : وقد رويت زيادات في كيفية الاعتداء ، الله أعلم بصوابه ، والذي يصح في ذلك هو ما ذكره الله في كتابه وصح عن نبيه » فهو بهذا يؤكد منهجه في التعامل مع مثل هذه الروايات الواردة في شأن القصص القرآن ، وهذا يبين نزعته الأندلسية الامتدادية لتفسير ابن عطية وابن جزي ـ رحمهما الله ـ إذا كلهم نحوا منحا واحد وانتهجوا نهجا واحد في الإعراض عن غرائب المرويات ، والاكتفاء بذكرها مقتضبة لبيان شهرتها عند جمهور المفسرين مع التنبيه على ضعفها أو بطلانها ، وهذا يعد من خصائص المدرسة الأندلسية في التفسير .

[1025] ـ سورة البقرة : الآية 65.

وفي إيراد هذه القصة توجيه وتحذير للمسلمين من أمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يسلكوا منهج هؤلاء القوم من بني إسرائيل وقد وقفت على كلام للإمام ـ ابن كثير رحمه الله ـ بيّن فيه المقصود من هذه القصة والموعظة المستخلصة منها فقال :...وموعظة للمتقين قال محمد بن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس «وموعظة للمتقين» الذين من بعدهم إلى يوم القيامة ، وقال : الحسن وقتادة «وموعظة للمتقين» بعدهم فيتقون نقمة الله ويحذرونها ، وقال السدي ، وعطية العوفي «وموعظة للمتقين »أمة محمد صلى الله عليه وسلم قلت : المراد بالموعظة هاهنا الزاجر أي جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من الناس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله ، وما تحيّلوا به من الحيل ، فليحذر المتقون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم ، كما قال أبو عبد الله بن بطة : حدّثنا أحمد بن محمد بن مسلم ، حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح الزّعفراني ، حدّثنا يزيد بن هارون ، حدّثنا محمد بن عمر ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » وهذا إسناد جيّد ، وأحمد بن محمد بن مسلم هذا وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي وباقي رجاله مشهورون على شرط الصحيح ، والله أعلم »«[1026]».

وأمّا ما ذكره في تفسير قول الله تعالى :﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾«[1027]» ذكر المفسرون في ماهية هذا البيت وقدمه وحدوثه ومن أي شيء كان بابه ...وفي الحجر الأسود » فأقول : إنّ الإمام أبا حيّان يشير بذلك إلى ماسطّره أهل الأخبار في كيفية بناء البيت وأنّه بني من خمسة جبال ، وانّ الملائكة بنته قبل آدم ، وقيل أنّ الله لما أهبط آدم من الجنة أخبره بأنّه منزل معه البيت ، إلى غير ذلك ممّا لا مستند له من الصحة ،وإنّما أقاويل تخطّفها القصاص والمولعون بكل شاردة وواردة ،وقد نقل ابن كثير رحمه الله جملة من هذه الآثار ، فذكر أثرا رواه عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء أنّ الله لما أهبط آدم إلى الأرض قال له

[1026]ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 1 ، ص 187.

[1027]ـ سورة البقرة : الآية 127.

آدم إنّي لأسمع صوت الملائكة ، قال له الله تعالى بخطيئتك ، ولكن اهبط إلى الأرض فابن لي بيتا ، ثمّ احفف به كما رأيت الملائكة تحف ببيتي الذي في السماء فيزعم الناس أنّه بناه من خمسة أجبل : من حرّاء وطور زيتا وطور سيناء ، والجودي وكان ربضه من حرّاء ، فكان هذا بناء آدم حتّى بناه إبراهيم عليه السلام بعد ، وهذا صحيح إلى عطاء ولكن في بعضه نكارة والله أعلم .»«[1028]» إلى غير ذلك من الغرائب التي لا حاجة لها ولا متعلق للتفسير بها فلذا يجدر الإضراب عنه ، ولله درّ الشوكاني الذي تكلم عمّا روي في بناء البيت من أخبار حكم عليها هو في الأخير بأنّها لا مدخل لها في التفسير فالعدول عنها أليق من إيرادها حيث قال : «وقد أكثر المفسرون في نقل هذه الآية من نقل أقوال السلف في كيفية بناء البيت ومن أي أحجار الأرض بني وفي أي الأزمان عرف ومن حجه و ما ورد فيه من الأدلة الدالة على فضله أو فضل بعضه كالحجر الأسود وفي الدر المنثور من ذلك ما لم يكن في غيره فليرجع إليه وفي تفسير ابن كثير بعض من ذلك ،ولما لم يكن ما ذكروه متعلقا بالتفسير لم نذكره» «[1029]»ثمّ أشار الإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ إلى أنّ هذا كله لم يوجد في صحيح السنة وفي المروي منه تعارض وتناقض ،يولع برواية مثل هذه المرويات القصاص الذين من شأنهم نقل ما هب ودبّ، وأنّ الذي يجب الوقوف عنده كتاب الله وصحيح السنة ،فبهذا يتضح منهجه العام في التعامل مع هذه الأخبار ، ولا يسعنا إلاّ أن نقول إنّ هذا هو المنهج الذي ينبغي أن يحتدى حدوه وينتهج نهجه مع الإشارة كذلك لمواطن العظة ومكامن العبرة في القصة والدروس المستقاة من القصة والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾«[1030]»

[1028]ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 1 ، ص 314 .

[1029]ـ انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير ، ج 1، ص

[1030]ـ سورة يونس : الآيات 75 ـ 77.

أقول : ليس في تفسيره للآيات ما يستدعى الوقوف على كلامه ، إذ ليس في ذلك شيء يستشكل ، أو يستغرب فقد سار على طريقته في تحليل آي القرآن الكريم ذاكرا للمسائل النحوية والأوجه الإعرابية مع ذكر القراءات القرآنية ، إلاّ أنّه يضفي على الآيات معان ونكات رائعة عندما يستعرض المسائل البلاغية ويشير إلى تضمن الآية لها ويحلل الآية بناء على الوجه البلاغي ، وهذا لا ريب بشكل عام منزع جيد ، وفي القصص القرآني على شكل خاص أجمل ، إذ تفسر آيات القصص بتلك الطريقة .

وأمّا تفسير قول الله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾«[1031]»

فأقول :إنّ الكلام على هذه الآيات نظير الكلام على سابقتها لكنّ الذي استرعى انتباهي هو لفتة أبي حيّان رحمه الله إلى دفع ما يتوهم من أمر موسى عليه السلام سحرة فرعون بالسحر مع أنّ السحر كفر فكيف يأمر به ، وهذه إشارة قلّ من نبّه أو تعرض إليها من المفسرين وهذا ما نلمسه في قوله :... كيف أمرهم بالكفر والسحر والأمر بالكفر كفر قلنا إنّه عليه الصلاة والسلام أمرهم بإلقاء الحبل والعصي ليظهر للخلق أنّ ما ألقوا عمل فاسد وسعي باطل لا على طريق أنّهعليه السلام أمرهم بالسحر...» وهذا مسلك جيد إذ يجب دفع وتأويل كل ما من شأنه أن يكون مصدرا للأفاكين والطاعنين في القصص القرآني والقرآني عموما ،والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا

[1031] ـ سورة يونس :الآيات : 79 ـ 82.

وَأَنَابَ ﴿ ﴾«[1032]» فأقول : لقد تكلمت على تفسير هذه القصة عند ذكر النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الخازن ـ رحمه الله ـ وأبنت ما سطّره الإخباريون فيها من أكاذيب في حق داود عليه السلام ، والإمام أبو حيّان ـ رحمه الله ـ قد حمل معنى فتنة نبي الله داود على ما دلّ عليه سياق القرآن الكريم من أنّ الفتنة كانت مع الخصمين في الحكم بينهما ،وإن اختلفت توجيهات المفسرين في بيان كيفية الفتنة مع الخصمين ، ثمّ ذيّل أبو حيان القصة وختمها بتنزيه الأنبياء عن وقوعهم في المعاصي لكونه يقدح في الشريعة ، كما أنّه صرّح بضرورة الاكتفاء بما ورد في القرآن وعدم الوثوق بشيء من هذه الأخبار التي تحط من مقام النبوة وتزري بمكانتهم ولذلك تجاهل القصة تماما ،ولم يورد شيئا منها .

المطلب السابع: النقد التفصيلي لنماذج الإمام أبي السعود ـ رحمه الله ـ

فأمّا تفسيره لقول الله جلّ وعلا« أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ....قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض »«[1033]»

أقول:إنّ الإمام أبا السعود ـ رحمه الله ـ لم يكن بدعا ممّن سبقه من المفسرين الذين أوردوا في شأن أصحاب الكهف الغرائب من الإسرائيليات والعجائب من المرويات ، فقد ضاهى في ذلك كله علماء التفسير ، فراح يبحث عن تفصيل ما أحمل ، وتعيين ما أبهم في شأن هؤلاء ومكانهم وعددهم وأسمائهم واسم كلبهم ، وما معنى الرقيم إلى غير ذلك ممّا لا دليل عليه من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل ذلك لا متعلق له بالتفسير فضلا عن ذلك كله أنّه نقل أقوالا ولم يحرر فيها قولا راجحا ، فمن ذلك ذكر معنى الرقيم بأنّه الكلب ، أو اللوح الرصاصي والحجري ، أو الوادي ، أو الجبل ، أو القرية إلى غيرها من الأقوال التي ذكرها في معناه وهذا كله ليس بصحيح ، والذي ينبغي أن يحمل عليه معنى الرقيم عند المحققين من السلف أنّه الكتاب وذلك على مقتضى

[1032] ـ سورة ص : الآية 24.

[1033] ـ سورة الكهف : الآيات 9 ـ 26.

اللغة العربية والقرآن الكريم يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ « وأظهر الأقوال عندي بحسب اللغة العربية وبعض آيات القرآن أنّ الرقيم معناه المرقوم ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، من رقمت الكتاب إذا كتبته ومنه قوله تعالى: « كتاب مرقوم»«[1034]» الآية سواء قلنا إنّ الرقيم كان عندهم فيه شرعهم الذي تمسكوا به أو لوح من ذهب كتبت فيه أسماؤهم ، وأنسابهم وقصتهم وسبب خروجهم أو صخرة نقشت فيها أسماؤهم ، والعلم عند الله تعالى »«[1035]»، وكذلك الشأن في اسم الملك دقيانوس الذي أورده ، وذكر أسمائهم فلا يصح في ذلك شيء في القرآن ولا في السنة ، وإنّما هو من أخبار أهل الكتاب التي رواها الصحابة رضوان الله عليهم عنهم ، وفي صدد هذا يقول الحافظ ابن كثير « وفي تسميتهم بهذه الأسماء وتسمية كلبهم نظر في صحته والله أعلم ، فإنّ غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب وقد قال تعالى:« فلا تمار فيهم إلاّ مراء ظاهرا » أي سهلا هينا ، فإنّ الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة ....»«[1036]» ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي : «واعلم أنّ قصة أصحاب الكهف وأسماءهم ، وفي أي محل من الأرض كانوا كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء زائد على ما في القرآن وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها»«[1037]»كان الأفضل من ذلك كله تجاوز هذه الأخبار والوقوف على الجوانب المضيئة والمشرقة في القصة والتي منها بيان معجزة الله وقدرته على الإحياء والبعث ، فالدرس موجه إلى منكري البعث والنشور والجاحدين لقدرة الله على إحياء الموتى ، فمن عاين قصة هؤلاء وتبيّن له حالهم وما كان من أمرهم ونومهم وبعثهم أدرك بعين الحقيقة أنّ المولى جلّ وعلا لم يخلق الخلق عبثا وأنّ الذي أحياهم قادر على أن يعيدهم كما فطرهم أول مرة ، ومن دروس هذه القصة وعبرها هو شد أنظار المسلمين إلى صبر هؤلاء في عقيدتهم وأذاهم في دينهم وصنوف ما تعرضوا له وهجرانهم المال والأهل بغية توحيد الله ونصرة دينه ، فعلى الدعاة والمصلحين

[1034] ـ سورة المطففين : الآية 20

[1035] ـ انظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ج 4 ، ص 19 ـ 20 .

[1036] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ،ج 4 ، ص 213.

[1037] ـ انظر: أضواء البيان ،ج 4 ، ص 20.

أن يتحملوا في سبيل نصرة دين الله كل الأذى فطريق الجنة والأنبياء معبد ومحفوف بصنوف البلايا ،كما شملت القصة على بعض الآداب والتي من جملتها عدم نسيان المشيئة والاستثناء ولذا يقول الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ«وقوله تعالى :« ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غدا إلاّ أن يشاء الله واذكر ربّك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشدا » أدب عظيم أرشده الله تعالى إليه وحثّ خلقه عليه وهو ما إذا قال أحدهم إنّي سأفعل في المستقبل كذا فيشرع له أن يقول إن شاء الله ليكون ذلك تحقيقا لعزمه لأنّ العبد لا يعلم ما في الغد ولا يدري أهذا الذي عزم عليه مقدر أم لا ...»«[1038]»

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :«إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ...أن يبدلنا خيرا منها إنّا إلى ربّنا راغبون »«[1039]»فأقول : إنّ قوله إنّا بلوناهم أي أهل مكةفهذا صحيح وهو ماعليه جمهور المفسرين من أنّ هذا مثل ضربه الله للمشركين من قريش المغرورين بنعمهم والتي لم يؤدوا شكرها وممّن ذهب إلى أنّ هذا المثل معني به أهل مكة الحافظ ابن كثير حيث قال : «وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم فقابلوه بالتكذيب والمخالفة كما قال الله تعالى : «ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفرا وأحلّوا قومهم دار البوار »«[1040]» قال ابن عباس : هم كفار قريش فضرب تعالى لهم مثلا بأصحاب الجنة المشتملة على أنواع الزروع والثمار »«[1041]» ومن المتأخرين القائلين بهذا القول الشيخ الطاهر بن عاشور :والذي يقول في تفسيره : «فضرب الله مثلا بأصحاب هذه الجنة لعلّهم يستفيقون من غفلتهم وغرورهم»«[1042]»، ثمّ إنّ الإمام أبا السعود ساق الرواية المشهور في خبر هؤلاء والتي يرددها كل أهل التفسير وأصحاب التواريخ من أنّ موطنهم كان باليمن وأنّهم كانوا إخوة إلى آخر

[1038] ـ انظر: البداية والنهاية ، ج 2 ، ص 117.

[1039] ـ سورة القلم : الآيات 17 ـ 32.

[1040] ـ سورة إبراهيم : الآية 28

[1041] ـ انظر : البداية والنهاية ، ج 2 ، ص 120

[1042] ـ انظر: التحرير والتنوير ، ج 29 ، ص 79.

تفاصيل القصة المعروفة ، وكل هذا مفتقر إلى مستند صحيح اللهم إلاّ أن تكون من أخبار الكتاب نقلها عنهم الصحابة رضوان الله عليهم ، فلادليل يمكن الجزم به ، لكنّ هذا النوع يجوز روايته ولايصدق ولا يكذب ، ثمّ إنّ روايته لبعض تفاصيلها بصيغة التمريض يشعر والله أعلم بعدم ركونه لها والوثوق بها، وإنّما ذكرها لاشتهارها بين الناس ، وفي آخر كلامه عن خبر أصحاب الجنة نقل أقوال بعض السلف في حال هؤلاء أهم من الجنة أو من النار مع تنبيهه إلى أنّ الأكثرين ذهبوا إلى أنّهم تابوا وأنابوا إلى الله وهذا كله من قبيل المبهم الذي لم يفصله المولى جلّ وعلا لذا يقتصر الواحد على ما يفهم من سياق النص القرآني الذي أفصح عن نيتهم في الرغبة إلى الله والعودة إليه أمّا ما وراء ذلك فالله أعلم بحالهم

المطلب الثامن :النقد التفصيلي لنماذج الإمام الألوسي

فأمّا تفسيره لقول الله جلّ وعلا:﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾»«[1043]»«وكان ذلك في التيه لما عطشوا ففي بعض الآثار أنّهم قالوا فيه من لنا بحرّ الشمس .... فأمر موسى بضرب الحجر» فأقول : لقد استقى الإمام الألوسي هذه الروايات من أهل التاريخ والمعتنين به وما ذكره في شأن قوم موسى وأنّ سؤالهم المولى تعالى أن يخرج

[1043] ـ سورة البقرة : الآيتان 60 ـ 61 .

لهم ممّا تنبت الأرض من خيراتها كان بالتيه ، قد ذكره الإمام الطبري في تاريخه«[1044]» وأشار إلى جزئيات وقوع بني إسرائيل وما كان من تلك الأمور العجيبة التي وقع لهم والتي من بينها ما ذكره الإمام الألوسي ، وكذلك تكلم عليها الحافظ ابن كثير «[1045]» ، والغالب والله أعلم أنّ الألوسي اعتمد عليهما وهذه الأخبار وأمثالها عارية عن الإسناد فلم ترو في كتب السنة بأسانيد يوثق بها وإنّما هيمن الإسرائيليات التي تروى ولا تصدق ولا تكذب ، وإن تساهلنا مع الإمام الألوسي في ذكر هذا الخبر فإنّنا لا نسلم له القول بأنّ عصا موسى كانت من الجنة وأنّ طولها كان عشرة أذرع ، وكذلك ما ذكره في شأن الحجر ونوعه ، فهذا كله لا دليل عليه لا من القرآن ولا من السنة ، بل كان بالأحرى عليه أن يترك هذا كله ولا ينساق وراء هذه المرويات ، وكذلك الشأن في ذكر عددهم وكم كانوا ، فإنّهذا كله تزيد وتكثير ، ثمّ إنّه أبرأ نفسه ممّا ذكره في شأن الحجر فقال : «... والروايات في ذلك كثيرة ، وظاهر أكثرها التعارض ، ولا يبنى على تعيين هذا الحجر أمر ديني ، والأسلم تفويض علمه لله تعالى .»

إنّ الدرس المستفاد من قصة بني إسرائيل هو مقابلة نعم الله بالشكر ورعاية نعم الله حق رعايتها ،فإنّ هؤلاء لم يشكروا المنعم على نعمه ولم يعرفوا قدر إنعامه ، ولندع الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ يحدّثنا عن هدف القصة وغرضها حيث يقول : «... فذكر تعالى إنعامه عليهم وإحسانه إليهم بما يسر لهم المن والسلوى طعامين شهيين بلا كلفة ولا سعة لهم فيها بل ينزل الله المنّ باكرا ويرسل عليهم طير السلوى عشيا وأنبع الماء لهم بضرب موسى عليه السلام حجرا كانوا يحملونه معهم العصا فتفجر منه اثنتا عشر عينا لكل سبط عين منه تنبجس ، ثمّ تتفجر ماء زلالا فيستقون ويسقون دولبهم وظلل عليهم الغمام من الحر ، وهذه نعم من الله عظيمة وعطيات جسيمة فما رعوها حق رعايتها ولا قاموا بشكرها وحق عبادتها ، ثمّ ضجر كثير منهم وتبرموا بها وسألوا أن يستبدلوامنها ببدلهاممّا تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، فقرعهم الكليم ووبخهم ونبههم

[1044]ـ انظر: ج 1 ، ص 430 ـ 431.

[1045]ـ انظر: البداية والنهاية ، ج 1 ، ص 282.

على هذه المقالة وعنّفهم قائلا : أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فإنّ لكم ما سألتم »«[1046]»

وأمّا تفسيره لقول الله جلّ وعلا :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾«[1047]» وقوله :« وإذا نصب على أنّه فعل محذوف خوطب به سيد المخاطبين صلى الله عليه وسلم ...أي واذكر لهم يا محمد وقت قول موسى عليه السلام ناصحا ومستميلا لهم بإضافتهم إليه » أقول : لقد أحسن الإمام الألوسي في الإشارة إلى أنّ المخاطب بالقصة هو النبي صلى الله عليه وسلم ، فهي وإن كانت في بني إسرائيل إلاّ أنّها موجهة لقومه صلى الله عليه وسلم ليحذروا من الوقوع فيما وقع هؤلاء من قوم موسى إذ خالفوا أمره وعصوه فحلّت بهم نقمة الله ، ولربط القصص القرآني دائما بواقع الدعوة المحمدية مزية رائعة في شدّ انتباه القارئ للقصة وتتبعها بدقة حتّى يتسنى له استخلاص عبرها ودروسها .

وأمّا قوله : «الأرض المقدسة هي كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والسدي وابن زيد بيت المقدس ...ما بين الفرات وعريض مصر» أقول إنّ هذا من الخلاف السائغ والجائز نقله لعدم

[1046]ـ انظر: البداية والنهاية ،ج 1 ، ص 278.

[1047]ـ سورة المائدة : الآيات 20 ـ 25 .

توقفه على النقل ، وإنّما هي اجتهادات وتقديرات للمكان الذي كان فيه بنو إسرائيل والأرض المقدسة التي أمروا بها ، وكلهم ذكروا أماكن متقاربة يصح إطلاقها على ذلك المكان، و أمّا لفظ المقدسة على المعنى اللغوي هو التطهير وهذا لا خلاف فيه والله أعلم .

وأمّا قوله : «وكان هؤلاء القوم من العمالقة ... وهي عندي كأخبار عوج بن عنق وهي حديث خرافة » لقد أجاد الإمام الألوسي في النص على بطلان هذه الرواية وأفصح عن استهجانه واستقباحه لها بقوله :« وهي حديث خرافة » وهذا لا شك فيه ، وقد سبق كلامنا عنها وأوضحنا بطلانها

و كذلك الشأن في تعرضه لتفاصيل التيه وما حدث لبني إسرائيل فيه من أمور فقد ساق ما سطره من قبله من أهل الأخبار وكذلك جمهور المفسرين ، ثمّ تعقب ذلك كله بقوله : «... إلى غير ما ذكروه ، والعادة تبعد كثيرا منه فلا يقبل إلاّ ما صحّ عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم »، ثمّ ختم عليه رحمة الله القصة بلفتة رائعة نبّه فيه على حكمة الله في تعذيب الله لبني إسرائيل وهي تأديبهم وردعهم ، ولذا يمكن عدّ هذه اللفتة هي الدرس الذي يخرج به من القصة ،فكثير من الأمم والأقوام لا ترعوي ولا ترتدع إلاّ إذا عاينت العذاب .

وأمّا تفسير قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴾»«[1048]» فأقول لقد أسهبت القول في ذكر قصة الغرانيق عند عرض النماذج التي أوردها من تفسير الإمام البيضاوي ـ رحمه الله ـ وأبنت بطلان ما نسب إليه صلى الله عليه وسلم من تفوهه بكلمات الشرك عند تلاوته لسورة النجم وذلك بما ذكرته من أقوال العلماء ،والإمام الألوسي قد ساق الرواية المشهورة عن العلماء في ذلك بجميع طرقها ، ثمّ بعد ذلك نقل نصوصا عن جمع ممّن

[1048] ـ سورة الحج : الآيتان 52 ـ 53 .

تقدمه من العلماء في بطلانها وتوهينها كالقاضي عياض و أبي حيّان وأبي منصور الماتردي والجلال السيوطي ، مع ذكره للمستلزمات الخطيرة الناجمة عن نسبة ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بذلك ينكر وقوعها جملة وتفصيلا ويشنع على القائلين بها لأنّها حسب قوله تخالف ما أجمع عليه المسلمون من عصمته صلى الله عليه وسلم فيما طريقه البلاغ عن الله ، ومع ذلك فقد أشار إلى تصحيح الحافظ ابن حجر لها دون أن يتعقبه ، وقد تكلمنا عن تصحيح الحافظ لها في ذكر نماذج الإمام البيضاوي .

وأمّا تفسيره لقول الله جلّ وعلا «﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾»[1049] وقوله :« قيل أقسم بهذه الأشياء أنّ كفار قريش ملعونون أحقاء ....في كونهم ملعونين مطرودين » فأقول : قد أشار الألوسي إلى غرض القصة والعبرة منها في استهلاله بهذه الكلمات التي ذكر فيها أنّ ورود هذه السور وخبر هؤلاء قد أراد به المولى تعالى تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ممّا يتعرضون له من صنوف العذاب والأذى في سبيل عقيدتهم ودينهم فالحال بينهم وبين قومه عليه الصلاة والسلام لا تختلف ، ثمّ ساق الرواية الصحيحة عن الإمام مسلم فيما رواه عن صهيب رضي الله عنه في شأن هؤلاء ، وأردفها بروايات أخرى بعيدة فيالصحة عن رواية الإمام مسلم و أشار إلى ما ذكر في شأن الأخدود وفي أي مكان هو وإلى طوله وعرضه ، وهذا كله ممّا لا مدخل له في التفسير ، ثمّ أشار إلى عدم وثوقه بذلك كله واكتفائه برواية الإمام مسلم عن صهيب رضي الله عنه ، وهذا هو المنهج الصحيح إذ لا ينبغي العدول عمّا صحّ والجري وراء الخرافات والأباطيل المنكرة وغرائب الأقوال التي لا تسمن ولا تغني من جوع في علم التفسير

[1049] ـ سورة البروج : الآيات 4 ـ 9

المطلب التاسع: النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن عاشور

أمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾«[1050]»

فأقول : لقد أنيطت قصة ذي القرنين في كتب التفسير بغرائب وعجائب راح المفسرون يذكرونها ويرونها كأنّها آثار من السنة ، مع أنّ نكارتها ظاهرة للعيان فهي من الإسرائيليات التي يرويها مثل وهب بن منبه وحملها عنه الصحابة والتابعون ، ثمّ تداولتها كتب التفسير وأصبحت لا تذكر غيرها لكنّهم يتفاوتون في تعاملهم معها فمنهممن يشدد النكير على روايته والاغترار بها ومنهم من يفيض في ذكرها وتعداد الأقوال فيمن هو ذو القرنيين دون ترجيح أو الخروج بي رأي سديد ، والإمام الطاهر بن عاشور رحمه الله يؤكد دائما سواء في هذه القصة أو غيرها من قصص القرآن أنّه لا يعنى بذكر تفاصيل وجزئيات القصة لأنّ ذلك من شأن القصاص والإخباريين ، وإنّما يكتفي بذكر الجزء الذي تتم به العبرة والموعظة من القصة ، فهاهو يؤكد في قصة ذي القرنين ذلك ويقول :«فالسائلون قريش لا محالة ،و المسؤول عنه خبر رجل عظيم من عظماء العالم عرف بلقب ذي القرنيين ، كانت أخبار سيرته خفية مجملة ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن تحقيقها ، وأذن له الله أن يبين منها ما هو موضع العبرة للناس في شؤون الصلاح والعدل ، وفي عجيب صنع الله في اختلاف أحوال الخلق ... ولم يتجاوز القرآن عن ذكر هذا الرجل بأكثر من لقبه المشتهر به إلى تعيين اسمه وبلده وقومه ، لأنّ ذلك من شؤون أهل التاريخ والقصص ، وليس من أغراض القرآن ، فكان منه الاقتصار على ما يفيد الأمة من هذه القصة عبرة وحكمة أو خلقية » فلو طبقت هذه القاعدة في التعامل مع قصص القرآن لنزهت كتب التفسير عن رواية الغث والسمين والمستهجن والقبيح ، واقتصرت على تجلية الأغراض والمقاصد والأهداف من القصة لتحقق الهدف الأسمى من القصص القرآني ولظهر جماله وبهاؤه، ثمّ يعود الإمام ابن عاشور رحمه الله إلى تأكيد نزاهة القرآن عمّا سطّره وخلط فيه الناس

[1050]- سورة الكهف : الآيتان 83 ـ 84 .

من أباطيل في شأنه وربط اسمه برجال من عظماء التاريخ فتارة يذكرون أنّه الإسكندر المقدوني ، وأخرى أنّه رجل من الروم إلى غير ذلك من ذكر مكان تواجد وهذه والله كلها مبهمات تعيي المفسر ولا يخرج منها بشيء مهما اجتهد في ترجيح ذلك بقرائن التاريخ والأخبار ، فالأليق السكوت عمّا سكت عنه القرآن والإيمان بما ذكر الله في القرآن من حاله وأخباره ففي ذلك راحة القلب والبدن

وبعدها قام الإمام ابن عاشور بنقل أقوال في تعيين ذي القرنيين ووجه تلقيبه بذلك ورواها بصيغة التمريض مضعفا لها فمن ذلك أنّ الاسكندر المقدوني هو ذو القرنيين ولقب بذلك لأنّه كان يضفر شعره ضفيرتان والضفيرة عند العرب يطلق عليها القرن ، وقيل إنّه كانت له خوذة يضعها على رأسه في الحرب لها قرنان ، وقيل طبعت صورته على النقود وله قرنان ، وقيل أنّه ملك من ملوك حمير ، أو من ملوك الفرس ، ومع ذكره لهذا الخلاف فإنّه اتجه إلى تعيينه من خلال أوصافه في القصة ، وبذلك يضرب عن الأقوال التاريخية ويقتصر على وصف القرآن له فحسب ، وهذا شيء جيد منه ، ثمّ راح يعدد هذه الأوصاف ، وبنى على وصف القرآن له إبطال قول من يدعي أنّه الإسكندر المقدوني لكون هذا الأخير وثنيا ، وذو القرنيين كما حكى القرآن كان من الصالحين ، بالإضافة إلى أنّ السيرة التاريخية لهذا الملك لا تذكر بناءه لهذا السد وما نسب إليه فهو من أوهام المؤرخين ، لكنّه مع ذلك ذهب في الأخير إلى ترجيح كون ذي القرنيين من ملوك الصين وذكر بعض القرائن والتي منها اهتمامهم بالتصنيع والتدبير وتطويل شعورهم ، وأنّ هناك سدا طويلا في بلاد الصين يحادي بلاد المغول ، وهذه كلها حسب رأيي ترجيحات عارية عن الصحة والقوة إذ لا يمكن الجزم بها ، لأنّ أمرا كهذا لا يجزم فيه برأي إلاّ فيما طريقه النقل ، فما أبهمه الله يوقف عنده وإنّما على المسلم الإيمان بما ورد في قصته ويستخلص منها مكمن العظة والعبرة ولله درّ الشيخ محمد أبو شهبة حين يقول :« ... والذي نقطع به أنّه كان رجلا مؤمنا صالحا ، ملكه شرق الأرض وغربها ، وكان من أمره ما قصّه الله في كتابه ، وهذا ما ينبغي أن نؤمن به ، ونصدقه أمّا معرفة هويته ، وما سمه ؟ ، وأين وفي أي زمان كان ؟ ، فليس في القرآن ولا في السنة الصحيحة ما يدل عليه على الاعتبار بقصته والانتفاع بها ، لا يتوقف على شيء من ذلك ، وتلك سمة من سمات القصص القرآني وخاصية من خصائصه

أنّه لا يعنى بالأشخاص والزمان والمكان مثل ما يعنى بانتزاع العبرة منها والاستفادة منها فيما سيقت له »."[1051]«.

وأمّا تفسيره لقول الله جلّ وعلا ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾«[1052]»

فأقول : لقد تكلمت عن هذه القصة في معرض الحديث عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام أبي السعود ـ رحمه الله ـ والإمام ابن عاشور رحمه الله قد ذكر فيها ما نقل واشتهر عن المفسرين في شأن هؤلاء الإخوة الذين ورثوا الجنة عن أبيهم ، وكما أسلفت القول من قبل أنّها من الإسرائيليات التي يجوز روايتها طالما أنّها لا تتعارض مع شيء من الأصول ، غير أنّ ابن عاشور قد ذكرأقوالا في كون هؤلاء هل هم من اليهود أو النصارى أو اليمن ، دون أن يرجح ويفصل القول في حقيقتهم ، فسرد الأقوال في المبهمات دون الترجيح والخروج بشيء راجح وهذا في نظر المفسرين يعد مسلكا مذموما عند البعض من العلماء لذا كان من الأفضل أن يعرض عن التعرض لهم أو يورد رأيا واحد حتّى لا يعارض ويطالب بالترجيح ، و ما نقله عن ابن مسعود في توبتهم وإنابتهم لله ، وكونهم أبدلوا بجنتهم جنة يقال لها الحيوان عنقود العنب فيها يحمل على البغل ، وما نقله عن أبي خالد اليماني أنّ عنقود العنب كالرجل الأسود ، فهذا كله يفتقر إلى سند صحيح يعتمد عليه ، وإنّما هي بلاغات وأخبار من أهل الكتاب رواها عنهم الصحابة ونقلها التابعون عنهم كونهم لم يرو في ذلك بأسا ، والأفضل لي والله أعلم الإعراض عنها بالجملة وتنزيه هذه القصة عن مثل هذا خصوصا وعن قصص القرآن عموما ، وفي ختامها أشار الإمام ابن عاشور إلى استنباط العلماء حكما فقهيا من هذه القصة فنقل عن ابن الفرس أنّ من علماء المالكية من رأى أنّ تعمد الإسقاط من نصاب الزكاة قبل

[1051]ـ انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ص 245.

[1052]ـ سورة القلم : الآيات 17 ـ 25 .

الحول فرار منها أو خالطه بشيء غيره أنّ ذلك لا يسقط الزكاة خلافا للشافعي ، هذه لفتة جيدة وإشارة رائعة إلى بيان انضواء القصص القرآني على بعض الأحكام الفقهية واستنباط العلماء لذلك ، وبغض النظر عن هذا الاستدلال الذي نقله عن ابن الفرس كان راجحا ، أو مرجوحا .، المهم أنّ الإمام ابن عاشور ، قد أشار إلى هذه اللفتة ، وكثيرا ما ينص عليها في تفسيره ، ويعد هذا من محاسن تعامله مع القصص القرآني .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث :

المفسرون بالرأي المذموم ومنهجهم في معالجة القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول منهج الشيعة الإمامية في تناول القصص القرءاني

المطلب الأول :مفهوم التشيع ونشأته

يدور المعنى اللّغوي للتشيّع حول الأنصار والأتباع وفي ذلك يقول ابن دريد :« فلان من شيع فلان ، أي ممّن يرى رأيه ، وشيّعت الرّجل على الأمر تشييعا إذا أعنته عليه ، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعا إذا مالأته عليه »«[1053]».

وقال الأزهري :« والشيعة أنصار الرّجل وأتباعه ، وكل قوم اجتمعوا على أمرهم شيعة ، والجماعة شيع وأشياع ، والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم»«[1054]».

وقال الفيروز آبادي : «وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليّا وأهل بيته حتّى صار اسما خاصا لهم»«[1055]».

أمّا لفظ الشيعة في الاصطلاح فقد عرّفه علماؤهم عدة تعريفات : فمن ذلك ما ذ كره المفيد أحد شيوخهم أنّ لفظ الشيعة «يطلق على أتباع أمير المؤمنين علي على سبيل الولاء ، والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ونفي الإمامة عمّن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء »«[1056]».

[1053] ـ انظر: جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ط 1 ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1987م ، ج2 ، ص 272

[1054] ـ انظر : تهذيب اللغة ، ج 2 ، ص 271 ، باب العين ـ شاع ـ

[1055] ـ انظر: القاموس المحيط ، د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د ت ، ج 3 ، ص 47 ، باب العين ـ فصل الشين ـ

[1056] ـ انظر : أوائل المقالات ، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري ، ط 1 ، تحقيق إبراهيم الأنصاري ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، مطبعة مهر ، 1413 هـ ، ص35.

وعرّف ابن حزم التشيع بقوله : «ومن وافق الشيعة في أنّ عليّا رضي الله عنه أفضل الناس بعد الرسول صلىالله عليه وسلّم، وأحقه بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي،وإن خالفهم فيما عدا ذلك ممّا اختلف فيه المسلمون ، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا »«[1057]».

وقد ذكر الشهرستاني تعريفا يمتاز بنوع من الشمول وممّا قاله :«الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص ، و قالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إمّا جليّا أو خفيا ، واعتقدوا أنّ الإمامة لاتخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده وقالوا ليست الإمامة قضية مصلحيّة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم ،بل قضية أصولية، وهي ركن الدين لايجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله، ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص ، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتوّليوالتّبري قولا وفعلا وعقدا إلاّ في حالة التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك »«[1058]»

لكنّ الذي ينبغي التنبيه إليه أنّ التشيع في الأطوار الأولى كان يراد به معنى آخر غير المعنى الأخير الذي اصطلحت عليه الفرق المغالية من الروافض فالشيعي عند الأوائل هو الذي يقدّم عليا على عثمان ، و لا يرى تقديم علي رضي الله عنه على أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « ولهذا كان الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليا ، أ وكانوا في ذلك الزّمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنّما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان وهذا ممّا يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل و الأواخر، حتّى ذكر مثل ذلك أبو القاسم البلخي قال سأل سائل شريك بن عبد الله بن أبي نمر فقال له : أيّهما أفضل أبوبكر أو علي؟ فقال له :أ بوبكر فقال له السائل: أتقول هذا وأنت من الشيعة ؟ فقال : نعم ، إنّما الشيعي من قال مثل هذا، و اللّه لقد رقى علي على هذه الأعواد فقال : إنّ خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ، ثمّ عمر أفكنّا نرد قوله ؟

[1057]ـ انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم ،ط 1 ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ـ عبد الرحمان عميرة ، السعودية ، مكتبة عكاظ ، 1402 هـ ـ 1982 م ، ج 2 ، ص 107.

[1058]ـ انظر : الملل والنحل :ص 94

أكنّا نكذّبه ؟ واللّه ما كان كذّابا ، ذكر هذا أبو القاسم الرّواندي في النقد على ابن الرواندي اعتراضه على الجاحظ» «[1059]».

المطلب الثاني : أصول وعقائد الشيعة الإمامية الإثنى عشرية

إنّ الإماميةالإثنى عشرية فرقة انبثقت من الإمامية الأصل التي ترى أنّ الإمامة كالنبوة لا تكون إلاّ بالنّص من الله تعالى على لسان رسوله ، أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الإمام من بعده «[1060]».، ويرون أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي من بعده بطريق النص ، والإمامة ثبت له بطريقة التلويح والتصريح والإشارة والنص «[1061]».

وتذهب هذه الطائفة حسب اعتقادها أنّ الإمام انتقلت بعد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلى ابنه الحسن ، ثمّ إلى أخيه الحسين ، ثمّ إلى ابنه علي زين العابدين ، ثمّ إلى ابنه محمد الباقر ، ثمّ إلى ابنه جعفر الصادق«[1062]». وقد افترقت هذه الطائفة إلى فرقتين هما : الإماميةالإثنى عشرية ، والإمامية الإسماعلية ، والتي تهمنا هي الإماميةالإثنى عشرية وسنعرض لأهمّ عقائدها ومبادئها.

تذهب طائفة الإماميةالإثنى عشرية أنّ الإمامة انتقلت بعد جعفر الصادق إلى ابنه موسى الكاظم، ثمّ إلى ابنه علي الرضا ، ثمّ إلى ابنه محمد الجواد ، ثمّ إلى ابنه علي الهادي ، ثمّ إلى ابنه الحسن العسكري ، ثمّ إلى ابنه محمد المهدي المنتظر «[1063]». أمّا عن عقائدهم فإنّ مجملها يدور حول أصول خمسة تنبثق عنها فروع كثيرة ، فالأصول الخمسة هي : التوحيد ، والنبوة، والإمامة، والعدل، والمعاد .

[1059] ـ انظر : منهاج السنة النبوية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ط 1 ، تحقيق محمد رشاد سالم ، السعودية ، 1406 هـ ـ 1986م، ج 1 ، ص 13.14.

[1060] ـ انظر: عقائد الإمامية ، محمد رضا المظفر، ط 2 ، دم ، 1380 هـ ،ص 63 ـ 64 .

[1061] ـ انظر : أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطا، ط 1 ، بيروت ، دار الأضواء ، 1410 هـ ـ 1990م ، ص150.

[1062] ـ انظر: التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، ج2 ، ص 8.

[1063] ـ انظر : أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطا ، ص148.

أمّا العقائد التي تنبثق من هذه الأصول وتبنى عليها أشهر تعاليمهم فهي كالآتي :

الإمامة:وأول من وضع هذا اللفظ عبد الله بن سبأ اليهودي قال الإمام الشهرستاني« وهو أوّل من أظهر القول بالنّص على إمامة علي رضي الله عنه ، لأنّ كان يهودي الأصل يرى أنّ يوشع بن نون هو وصي موسى عليه السلام »«[1064]»

و الإمامة عندهم منصب إلهي كالنبوة ، فكما أنّ الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه ، فكدلك يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماما للناس من بعده «[1065]» .

عصمة الإمام

قالالمجلسي من أئمة الشيعة « اعلم أنّ الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة ـ عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها ، فلا يقع منهم ذنب أصلا لا عمدا ولا نسيانا ، ولا الخطأ في التأويل ، ولا الإسهاء من الله سبحانه»«[1066]»

التقية :عرّفها أحد شيوخهم وهو المفيد بقوله :« التقية كتمان الحق وسر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا في الدين أو الدنيا»«[1067]».

فشيخهم هذا يعرف التقية بأنّها الكتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين وهم أهل السنة كما هو الغالب من إطلاق هذا اللفظ عندهم ،أي إظهار مذهب أهل السنة الذي يرونه باطلا ، وكتمان

[1064] ـ انظر الملل والنحل : الشهرستاني ، ، ص 174.

[1065] . ـ انظر : أصل الشيعة وأصولها ، محمد الحسين آل كاشف الغطا ، ص 145.

[1066] ـ انظر : بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي ، ط 3 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1403 هـ ـ 1983م ،ج 25 ، ص 211.

[1067] ـ انظر: شرح عقائد الصدوق :ص 261 ، ملحق بكتاب أوائل المقالات للشيخ المفيد

مذهب الرافضة الذي يرونه أنّه هو الحق »«[1068]» وهي من أوكد عقائدهم ويجعلون حكم تاركها كمن ترك الصلاة ووضعوا في شأنها أحاديث مكذوبة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

المهدية :من معتقدات الإثنى عشرية الإيمان بالمهدي المنتظر ، وهو شخص معين ومعروف ولد سنة 256 هـ، ولا يزال حيا وهو ابن الحسن العسكري واسمه محمد «[1069]»، ويرون أنّه يخرج في آخر الزمان ويملأ الأرض عدلا وأمنا بعد أن ملئت خوفا وجورا «[1070]»، والقول بالمهدية وانتظار المهدي المزعوم عندهم موجود عند كل طوائف الشيعة لكنّهم يختلفون في تعيينه وأول من أظهر القول بهذا هم السبئية الذين قالوا بالوقف على عليّ وغيبته «[1071]» .

الرجعة :ويعنون بها رجعة كثير من الأمواتكما قالشيخهم المفيد«واتفقت الإمامية على رجعة كثير من الأموات» «[1072]» ويعنون بها رجوع أئمتهم إلى الحياة بعد قبض أرواحهم وهي ركن أصيل من أصولهم ويدللون عليها بنصوص من الكتاب والسنة ويتأولونها تأويلا بعيدا حتّى يجدوا مستندا لبدعتهم هذه.

البداء: البداء فيلغة العرب معناه الظهور والنشأة يقال:بدا بدوا وبدوًا و بداءة ظهر «[1073]» ويقال بدا له في الأمر بداء أي : نشأ له فيها رأي «[1074]» و البداء من عقائد اليهود وهو يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم ، ونسبته إلى الله تعالى من أعظم الكفر «[1075]»، لكنّ الشيعة يجعلونه من

[1068] ـ انظر : أصول وتاريخ الفرق الإسلامية : مصطفى بن محمد بن مصطفى ، د ط ، دم ، 1424 هـ ـ 2003 م ، ج 1 ، ص 250.

[1069] ـ انظر : عقائد الإمامية ، محمد رضا المظفر، ص 108 .

[1070] ـ انظر: التفسير والمفسرون ، ج 2، ص 8

[1071] ـ انظر : أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ، ج 1 ،ص 252.

[1072] ـ انظر :أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ، ج 1 ،ص 254

[1073] ـ انظر القاموس المحيط : الفيروز آبادي ، ج4 ، ص 302.

[1074] ـ انظر : الصحاح : الجوهري ، ج 14 ، ص 66.

[1075] ـ انظر: أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ،ج 1 ص 256.

عقائدهم وأصولهم ، وحاولوا التدليل كما هو ديدنهم بنصوص الكتاب والسنة ووضعوا فيه روايات باطلة .

المطلب الثالث : منهج الإمامية الإثنى عشرية في تفسير القرآن الكريم

إذا ما جئنا نستبين منهج الإثنى عشرية في تفسير القرآن الكريم ، فإنّنا نقرر ونقول : إنّهم وضعوا أصولا لتفسير القرآن الكريم تخدم عقيدتهم ، و الباحث في هذه الأصول والطر ائق التي اتخذوها ركائز في تأويلهم للنص القرآني يجد أنّها أصول عقدية قبل أن تكون طرقا للتفسير ، ونرمي في المطلب لبيان أهمّ أصولهم في التفسير .

المنحى الباطني في التأويل

من أصول الإثنى عشرية القول بأنّ للقرآن ظهرا وبطنا بمعنى هناك معاني ظاهرة ومعان باطنة ، وقد جاء في أصول الكافي للكليني « عن محمد بن منصور قال سألت عبدا صالحا عن قول الله عزّ وجلّ « قل إنّما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » «[1076]». فقال : إنّ القرآن له ظهر وبطن ، فجميع ما حرّم الله في القرآن هو الظاهر ، والباطن من أئمة الجور ، وجميع ما أحلّ الله تعالى في الكتاب هو الظاهر ، والباطن من ذلك أئمة الحق «[1077]». ويستدلون لذلك أيضا بأحاديث يرويها البعض منهم في كتب التفسير فقد استدل الطباطبائي بما رواه العياشي في تفسيره عن جابر قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني ثمّ سألته ثانية فأجابني بجواب آخر ، فقلت : جعلت فداك كنت أجبت في المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم ؟ فقال:يا جابر إنّ للقرآن بطنا وللبطن بطن ، وظهر وللظهر ظهر يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال

[1076] ـ سورة الأعراف : الآية 33

[1077] ـ انظر : أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، ط 1 ، بيروت ، دار المرتضى ، 1426 هـ ـ 2005 م ، ج 1، ص 280.

من تفسير القرآن ، إنّ الآية تكون في أولها شيء، وأوسطها في شيء، وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينفصل على وجوه »«[1078]» .

وهذا الأصل الذي يدعون إليه باطل لا دليل عليه من كتاب أو سنة ، بل على النقيض من ذلك فإنّ من ادّعى أنّ للقرآن معان باطنة تخالف الظاهر فإنّه والعياذ بالله وقع في الكفر وفي ذلك يقول : شيخ الإسلام ابن تيمة:« من ادّعى علما باطنا ، أو علما بباطن وذلك يخالف العلم الظاهر كان مخطئا إمّا ملحدا زنديقا ، أو جاهلا ضالا»«[1079]».

ولقد جرّهم هذا المسلك إلى التلاعب بنصوص القرآن الكريم خدمة لمعتقدهم فراحوا يتأولون آيات ظاهرها يراد به أمر خاص فيصرفون إلى وجوه بعيدة لا دلالة للفظ القرآن عليها من قريب أو بعيد ،ويظهر فيها التكلف المفرط المذموم فمثلا ترى بعضهم يقول في قوله تعالى « إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة »«[1080]» قالوا والعياذ بالله إنّ البقرة هي عائشة ـ نبرأ إلى الله سبحانه ممّا يقولون فقد أتوا بهتانا عظيما ،و الذي دعاهم لمثل هذا التأويل هو بغضهم لآل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكذلك موقف الصديقة الطاهرة عائشة رضي الله عنها من علي في موقعة الجمل وخلافه مع معاوية ـ رضي الله عنهم أجمعين ، مع أنّه و اضح وباد للعيان أنّ الآية نزلت في رجل من بني إسرائيل في زمن نبي الله موسى ،ولكنّ الحقد الدفين هو الذي جرّهم لمثل هذا التأويل الباطل ، ويقولون في قول الله تعالى : «مرج البحرين يلتقيان»«[1081]» أنّ المراد به علي وفاطمة ، **وفي قوله تعالى** :« وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » المراد به علي رضي الله عنه ، وفي سبيل تقرير عقيدة الإمامة عندهم والنقم على أهل السنة باعتبارهم نكثوا بيعة على وخالفوا طاعة النبي صلى الله عليه في وصيته له بالإمامة تراهم يفسرون قول الله تعالى « لتركبنّ طبق عن طبق » بمعنى أنّ هذه الأمة ستسلك سبيل

[1078] – انظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، د ط ، بيروت ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، 1411هـ ـ 1991 م ، ج3 ص 73

[1079] ـ انظر: مجموع الفتاوى ، ج 13 ، ص 337

[1080] ـ سورة البقرة : الآية 67.

[1081] ـ سورة الرحمان : الآية 19

من قبلها من الأمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء «[1082]» ، **ويتأولون قوله تعالى** :« وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله » «[1083]» بمعنى أو بدل عليا «[1084]» وهذا في غاية السّخافة فإنّ المولى جلّ وعلى يخاطب المشركين ويتحداهم بإعجاز القرآن ، ونظائر هذا كثيرة من سخافاتهم وموضوعاتهم في التفسير ، ولو فرضنا جدلا وسلّمنا لهم بقولهم هذا وأنّ القرآن له ظاهر وباطن وحاكمناهم إلى الباطن لأمكننا أن نأتي بأقوال تخالف رأيهم ونقول إنّه من المعنى الباطن لأنّ المعنى تتعدد فيه آراء وفهوم الناس بينما الأخذ بالمعنى الظاهرة والمحاكمة إليه هي التى توصل إلى الرأي الصحيح في التأويل ، وفي مضمون هذا يذكر الإمام الطاهر ابن عاشور كلاما نقله عن الإمام الغزالي في بعض كتبه المفقودة ما نصه « ... إذا قلنا بالباطن فالباطن لا ضبط له ، بل تتعارض فيه الخواطر فيمكن تنزيل الآية على وجوه شتّى أي يعنى والذي يتخذونه حجة لهم يمكن أن نقلبه عليهم وندّعى أنّه باطن القرآن ، لأنّ المعنى الظاهر هو الذي لا يمكن للناس أن يختلفوا فيه لاستناده للغة الموضوعة من قبل وأمّا الباطن فلا يقوم فهم أحد فيه حجة على غيره اللهم إلاّ إذا زعموا أنّه لا يتلقى إلاّ من الإمام المعصوم ولا أخالهم إلاّ قائلين ذلك »«[1085]». وتجد ر الإشارة إلى التفريق بين ما يذهب إليه الروافض من الإثنى عشرية وغيرهم من طوائف الشيعة وما يذهب إليه أصحاب التصوف من الإشارات التي يقولون بها في تفسيرهم لبعض الآيات فإنّ هؤلاء المتصوفة لايرون أنّ هذا هو المعنى الذي جاءت به الآية ولكنّهم يرون أنّ هناك معنى آخر تحمله الآية فهم لا يغيرون الظاهر ويجعلون الباطن هو الأصل على غرار الإثنى عشرية وغيرهم من غلاة الباطنية ، لكن ليس معنى هذا أن يسلم لأصحاب التصوف بكل ما قالوه ، بل لهم آراء منتقدة وباطلة كما في تفسير السلمي المسمى بحقائق التفسير

[1082] ـ انظر : التفسير والمفسرون : ج 2، ص 24 .

[1083] ـ سورة يونس : الآية 15

[1084] ـ انظر: التفسير و المفسرون : ج 2 ص ، 25

[1085] ـ انظر : التحرير والتنوير ، ج 1 ، ص 34.

القول بتحريف القرآن

من أصول الإثنى عشرية التي يعتقدونها هو القول بتحريف القرآن ،فيرون أنّ القرآن الذي بين أيدينا ليس هو القرآن الحقيقي الذي أنزله الله ، بل وقع فيه نقص وحذف و زيادة وإبدال والذي تولى كبر هذا هم الصحابة حسب زعمهم بينما القرآن الصحيح عندهم هو موجود عند إمامهم الغائب وهو الذي جمعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهذا القول محل إجماع من متقدميهم و متأخريهم ، ولم يعرف عنهم القول بأنّ القرآن غير محرف إلاّ من أربعة من شيوخهم وهم ابن بابويه القمي المتوفى سنة 381هـ ، والمرتضى المتوفى سنة 436هـ ، والطوسي المتوفى سنة 450هـ ، و الطبرسي المتوفى سنة 548 هـ .

وهذا الكلام ليس تجنيا عليهم ، بل هو مصرح به من قبل شيوخهم ، فمن ذلك ما يذكره شيخهم العياشي في تفسيره ويسنده إلى آل البت فقد روى بسنده عن إبراهيم بن عمر قال قال:« أبو عبد الله عليه السلام : إنّ في القرآن ما مضى وما يحدث وما هو كائن كانت فيه أسماء الرجال فألقيت ، وإنّما الاسم الواحد منه في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة »«[1086]» ، وذكر الكافي عن الصادق :« أنّ القرآن الذي نزل به جبريل على محمد سبعة عشر ألف آية ، والتي بأيدينا منها ستة ألاف ومائتان وثلاث وستون آية ، والباقي عند آل البيت فيما جمعه علي»«[1087]».

وهذا القول الذي قال به المتقدمون منهم يقر به المتأخرون كذلك ويثبتونه ومن بين هؤلاء محمد بن حيدر الخراساني الذي تكلم مقدمة في تفسيره عن وقوع الزياة والنقصان والتحريف والتغير«[1088]».و إلى مثل هذا ذهب الخميني الذي اتهم الصحابة رضوان الله عليهم بتغيير ما جاء في القرآن فقال ما نصه :«من جميع ما تقدم يتضح أنّ مخالفة الشيخين للقرآن لم تكن عند المسلمين شيئا مهما جدا

[1086] ـ انظر : تفسير العياشي :محمد بن مسعود العياشي ، د ط ، تحقيق: هاشم الرسول المحلاتي ، طهران ، المكتبة العلمة الإسلامية ، د ت ،ج 1 ، ص 12

[1087] ـ انظر : الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، د ط ، موسى جار الله ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، دت ، ص 104.

[1088] ـ انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد الرومي ، ج ، 2 ، ص 201.

وأنّ المسلمين إمّا كانوا داخلين في حزب الشيخين ومؤيدن لهما ، وإمّا كانوا ضدّهما ، ولا يجرؤن أن يقولوا شيئا أمام أؤلئك الذين تصّرفوا مثل هذه التصرفات اتجاه رسول الله واتجاه ابنته »«[1089]».تحريف ومن هؤلاء الخوئي ومحمد الحسين الكاشف آل الغطا ومحمد رضا المظفر .ولا ريب أنّ هذا تغطية وتستر منهم مخافة ما يوجه إليهم من نقد أو أنّه تقية من عقائدهم التي يخدعون بها مخالفيهم في المناظرة والله أعلم .

وليس ببعيد عن الخميني ما ذهب إليه النور الطبرسي الذي وصلت به الجرأة ووضع كتابا سمّاه فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب وقد ساق فيه عددا هائلا من الروايات يحتج بها حسب زعمه وقررّ انّ هذا قول متفق عليه بين الإثنى عشرية ولم يعرف إنكار تحريف القرآن إلاّ من ثلاثة الصدوق والمرتضى والطوسي .وعلى النقيض من ذلك يذهب بعض متأخريهم إلى إنكار القول بتحريف القرآن وأنّ المذهب الصحيح عندهم هو القول بسلامة القرآن من التحريف

طرق التفسير عندهم

يجاري الشيعة أهل السنة في أنّ طرق التفسير هي تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة ، أمّا تفسير القرآن بأقوال الصحابة فإنّهم لا يأخذون لزعمهم أنّ الصحابة ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وصاروا كفار فلا تحل الرواية عنهم ، وكذلك يرون أن لاحجة في أقوال التابعين ، فالرتبة عندهم في هذه الطرق بعد القرآن والسنة هي أقوال آل البت عندهم ، ولا هذا فهم لا يقبلون من الآثار شيئا إلاّ ما كان طريقه من أهل البيت ،ولذلك يجد المطالع للكتب التييعتمدونها في الرواية كما هائلا من الأحاديث الموضوعة والباطلة التي كذبوها على آل البيت ،وأمّا أحاديث أهل السنة التي تعارض مذهبهم فإنّهم يتأولونها بأفكار باطلة وينكرون بعضها ، وأهم كتبهم في الرواية الكافي ، للكليني ، والوافي لملا حسن الكاشي .

أسلوب الجري في القرآن الكريم

[1089] ـ انظر : كشف الأسرار : روح الله الخميني ، ط 1 ، الأردن ، دار عمّار ، 1408 هـ ـ 1987م ، ص 138.

ويعنون به تنزيل آيات القرآن الكريم على أئمتهم وأ عدائهم فما جاء في القرآن من المدح والثناء فيزعمون أنّه خطاب لأئمتهم وما جاء من ذم وإنكار فينزلونه على مخالفيهم من أهل السنة لاسيّما الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد صرّح الطباطبائي بهذا الأسلوب المنتهج في تفسيره فقال : «واعلم أنّ الجري وكثيرا ما نستعمله في هذا الكتاب اصطلاح مأخوذ من قول أئمة البيت عليهم السلام »«[1090]»

الاتجاه العقلي في تفسيرهم

إنّ الناظر في عقائد الشيعة وبالأخص الإثنى عشرية يجد فيها تأثر كبيرا بالمنهج الاعتزالي وقد تفطنّ لذلك العلماء كابن تيمية الذي يقول« وقدماء الشيعة كانوا مخالفين للمعتزلة بذلك يعني في مسائل الصفات فأمّا متأخروهم من عهد بني بويه ونحوهم من أوائل المائة الرابعة ، ونحو ذلك فإنّهم صار فيهم من يوافق المعتزلة في توحيدهم وعدلهم ، والمعتزلة شيوخ هؤلاء إلى ما يوجد في كلام النعمان ، وصاحبيه أبي جعفر الطوسي ، والملقب بالمرتضى ، ونحوهم من كلام المعتزلة »«[1091]»وغيره ممّا كتب في العقائد ، وقد طبقوا قواعد الاعتزال في تفسيرهم ،بل إنّ منهم من تتلمذ لمشايخ المعتزلة وأصبح ينافح عن معتقداتهم كما في أماليه ، وكذلك غيره من متقدمي الشيعة كان الحسن العسكري ، والطبرسي«[1092]».

[1090] ـ انظر: الميزان في تفسير القرآن : ج4 ، ص41.

[1091] ـ انظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ط 1 ، تحقيق محمد بن عبد الرحمان بن قاسم ، مكة المكرمة ،مطبعة الحكومة ،1392هـ ، ج 1 ، 54.

[1092] ـ انظر التفسير والمفسرون : الذهبي ج 2 ، ص 20 ، واتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر فهد الرومي ج 1 ، ص 192ـ 201.

المطلب الرابع: منهج الإمام الطبرسي في تناول القصص القرآني من خلال تفسيره «مجمع البيان»

الفرع الأول : ترجمة المؤلف

هو أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الطوسي السبزاوي ، الشيعي أبو علي أمين الدين أمين الإسلام «[1093]» ، مفسر محقق لغوي ، من أجلاء الإمامية نسبته إلى طبرستان «[1094]»، له مشاركة في كثير من العلوم الشرعية ، وله جملة من المؤلفات والتي من بينها :«مجمع البيان في تفسير القرآن» ، «إعلام الورى بأعلام الهدى» ، «حقائق الأمور في الأخبار» ، «غنية العابد ومنية الزاهد» ، «عدة السفر وعمدة الحضر» ، توفي في سبزاور 538هـ ، ونقل إلى المشهد الرضوي «[1095]»

الفرع الثاني التعريف بالتفسير وطريقة مؤلفه فيه .

لقد قدّم الطبرسي مقدمة لتفسيره أبان فيها شرف القرآن وأهله ، وفضل العلم والمنتسبين إلى عرينه ، وثلث ذلك ببيان أشرف العلوم و أسناها وهو علم التفسير الذي أكثر فيه العلماء التصنيف ، فوضعوا فيه المئات من الكتب ، كل حسب تبحره وتوسعه في العلوم ، بينما كان أصحابه وأتباعه من الشيعة قد وضعوا فيه مختصرات لا يهتدي فيها الحيران ولا يروى الظمآن ، فهم لم يعتنوا ببسط

[1093] ـ انظر: معجم المؤلفين ، رضا كحالة ، ج 8 ، ص 66.

[1094] ـ انظر: الإعلام : الزركلي ، ج 5 ، ص 148 .

[1095] ـ المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 148 .

المعاني والولوج في أسراره إلاّ نزرا قليلا ذكر منهم الإمام الطوسي ، وقد انتقده في مصنفه هذا وما ضمنه فيه من بعض الأخطاء المنهجية ، ثمّ أشار بعد ذلك عن الدوافع التي ساقته لوضع هذا التفسير فيقول : «وقد كنت في ريعان الشباب ، وحداثة السن ، وريّان العطش و نضارة الغصن ، كثير النزاع قلق الشوق ، شديد التشوف إلى جمع كتاب في التفسير ينتظم أسرار النحو اللطيفة ،ولمع اللغة الشريفة ، ويفي موارد القراءات من متوجهاتها ، مع بيان حججها الواردة من جميع جهاتها ويجمع جوامع البيان في المعاني المستنبطة من معانيها المستخرجة ، من كوامنها إلى غير ذلك من علومه الجمة من الغلف والأكمة ، فيعترض لذلك حوائج الزمان وعوائق الحدثان ،وواردات الهموم وهفوات القدر المحتوم وهلم جرا ، وقد ذرف سني على الستين ، واشتعل الرأس شيبا وامتلأت العيبة عيبا ، فحداني على تصميم هذه العزيمة ما رأيت من عناية مولانا الأمير السيد الأجل العالم ولي النعم جلال الدين ركن الإسلام ، مخلص الملوك والسلاطين ، سيد نقباء الشرف ، تاج أمراء السادة ، فخر آل رسول الله أبي منصور محمد بن يحيى بن هبة الله الحسيني ... فأوجبت على نفسي إجابته لمطلوبه وإسعافه لمحبوبه ، واستخرت الله تعالى ، ثمّ قصرت وهمي وهمّي على اقتناء هذه الذخيرة الخطيرة ، واكتساب هذه الفضيلة النبيلة ، وشمرت عن ساق الجد ، وبذلت غاية الجد والكد ، وأسهرت الناظر ، وأتعبت الخاطر وأطلت التفكير ، وأحضرت التفاسير ، واستمددت من الله سبحانه وتعالى التوفيق والتيسير وابتدأت بتأليف الكتاب .... »«[1096]» ثمّ قام بوصف كتابه فقال : «هو في غاية التلخيص والتهذيب وحسن النظم والترتيب يجمع أنواع هذا العلم وفنونه ،

[1096] ـ انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ط 1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1406 هـ ـ 1986 م ، ج 1 ، ص 75 ـ 77.

ويحوي نصوصه وعيونه من قراءاته وإعرابه ولغاته وغوامضه ومشكلاته ، ومعانيه وجهاته ونزوله وأخباره وقصصه وآثاره وحدوده وأحكامه وحلاله وحرامه ، والكلام على مطاعين المبطلين فيه ، وذكر ما يتفرد به أصحابنا رضي الله عنهم من الاستدلالات بمواضع كثيرة منه على صحة ما يعتقدونه ، ومن الأصول والفروع والمعقول والمسموع على وجه الاعتدال والاختصار فوق الإيجاز ودون الإكثار ...وقدمت في مطلع كل سورة مكيها ومدنيها ، ثمّ ذكر عدد الاختلاف في عدد آياتها ، ثمّ ذكر فضل تلاوتها ، ثمّ أقدّم في كل آية الاختلاف في القراءات ، ثمّ ذكر العلل والاحتجاجات ، ثمّ ذكر العربية واللغات ، ثمّ ذكر الإعراب والمشكلات ، ثمّ ذكر الأسباب والنزولات ، ثمّ ذكر المعاني والأحكام والتأويلات والقصص والجهات ... وسميته مجمع البيان لعلوم القرآن »«[1097]»، ثمّ قدّم بعضها بمقدمات سبع جامعة لبعض فنون علوم القرآن ، خصص الأولى : في تعداد آي القرآن والفائدة منها

الثانية :في ذكر أسامي القرّاء المشهورين في الأمصار ورواتهم .

الثالثة : في ذكر والتأويل والمعنى والتفريق بين ما ورد من الآيات والآثار من النهي عن التفسير بالرأي وإباحته

الرابعة:في ذكر أسامي القرآن ومعانيها

الخامسة : في أشياء من علوم القرآن

[1097] ـ المصدر نفسه ، ج 1 ،ص 77.

السادسة : في فضل القرآن وأهله

السابعة :في ذكر ما يستحب للقارئ من تحسين اللفظ وتزيين الصوت بتلاوة القرآن .

الفرع الثالث : نماذج من تناوله للقصص القرآني

في تفسير قوله تعالى :﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾«[1098]»قال: « ... جملة قصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر فسرى موسى ببني إسرائيل ليلا فأتبعهم فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث و كان موسى في ستمائة ألف و عشرين ألف فلما عاينهم فرعون قال : إن هؤلاء لشرذمة قليلون و إنهم لنا لغائظون، و إنا لجميع حذرون، فسرى موسى ببني إسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فإذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعدها جئتنا هذا البحر أمامنا و هذا فرعون قد رهقنا بمن معه فقال موسى عليه السلام: عسى ربهم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون، فقال له يوشع بن نون بم أمرت قال: أمرت أن أضرب بعصاي البحر قال: أضرب و كان الله تعالى أوحى إلى البحر أن أطع موسى إذا ضربك فبات البحر له أكل أي رعدة لا يدرى في أي جوانبه يضربه فضرب بعصا البحر فانفلق و ظهر اثنا عشر طريقا فكان لكل سبط منهم ريح الصبا حتى جفت الطريق كما قال فضرب لهم طريقا في البحر يبسا فجروا فيه فلما أخذوا في الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى

[1098]ـ سورة البقرة الآية 50

أصحابنا فقالوا لموسى أين أصحابنا فقال في طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال عليه السلام الله أعنى على أخلاقهم السيئة فأوحى الله تعالى إليه أن مل بعصاك هكذا و هكذا يمينا و شمالا فأشار بعصاه يمينا و شمالا فظهر كالكوى ينظر منها بعضهم إلى بعض، فلما انتهى فرعون إلى ساحل البحر كان على فرس حصان أدهم فهاب دخول الماء فتمثل له جبريل على فرس أنثى و ديق و تقحم البحر فلما رآها الحصان تقحم خلفها ثم تقحم قوم فرعون فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر و دخل آخر من كان مع فرعون البحر أطبق الله عليهم الماء فغرقوا جميعا و نجا موسى ومن معه ...»«[1099]»

في تفسير قول الله –تعالى﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾«[1100]»

قال : « ... القصة قال ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة و محمد بن إسحاق بن يسار و رواه علي بن إبراهيم عن أبي جعفر و أبي عبد الله: دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة و رجع فرعونا مغلوبا و أبى هو و قومه إلاّ الإقامة على الكفر قال هامان لفرعون إن الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه نحبس كل من آمن به من بني إسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات و أخذهم بالسنين و نقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فضرب دورهم و مساكنهم حتى خرجوا إلى البرية و ضربوا الخيام، و امتلأت بيوت القبط ماء و لم يدخل بيوت بني إسرائيل من

[1099] – انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ج1 ، ص 229

[1100] – سورة الأعراف الآية 133

الماء قطرة و أقام الماء على وجه أراضيهم لا يقدرون على أن يحرثوا فقالوا: لموسى ادع لربك أن يكشف عنا المطر فنؤمن لك و نرسل معك بني إسرائيل، فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان، فلم يؤمنوا و قال: هامان لفرعون لئن خليت بني إسرائيل غلبك موسى، و أزال ملكك و أنبت الله لهم في تلك السنة من الكلأ و الزرع و الثمار ما أعشبت به بلادهم و أغضبت، فقالوا ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا و خصبا فأنزل الله عليهم في السنة الثانية (عن علي بن إبراهيم) و في الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم و أشجارهم، حتى كانت تجرد شعورهم و لحامهم، و تأكل الأبواب و الثياب و الأمتعة و كانت لا تدخل بيوت بني إسرائيل و لا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا و ضجوا و جزع فرعون من ذلك جزعا شديدا و قال : يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد حتى أخلي عن بني إسرائيل، فدعى موسى ربه فكشف عنه الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت، و قيل: إن موسى عليه السلام، برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق و المغرب فرجعت الجراد حيث جاءت، حتى كأن لم يكن فطاوع يدع هامان فرعون أن يخلي عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة (في رواية علي بن إبراهيم) و في الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل و هو الجراد الصغير الذي لا أجنحة له و هو شر ما يكون و أخبثه فأتى على زروعهم، و لحس الأرض كلها، و قيل أمر موسى أن يمضي إلى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأتاه فضربه بعصاه فأشار عليهم قملا، فكان يدخل بين ثوب أحدهم، فيعضه و كان يأكل أحدهم الطعام فيمتلأ قملا، قال سعيد بن جبير، القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحاء فلم يرد منها ثلاثة أقفرة فلم يصابوا ببلاء كان

أشد عليهم من القمل و أخذت أشعارهم و أبشارهم وأشفار عيونهم، و حواجبهم، و لزمت جلودهم، كأنه الجدري عليهم و منعنهم النوم و القرار، فصرخوا و صاحوا، فقال فرعون لموسى ادع ربك لئن كشف عنا القمل لأكفن عن بني إسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعدما قام عددهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة، و قيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم و شرابهم و امتلأت منها بيوتهم و أبنيتهم، فلا يكشف أحد ثوبا و لا إناءا و لا طعاما و لا شرابا إلا وجد فيه الضفادع، و كانت تتب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها، و كان الرجل يجلس على ذقنه في الضفادع و بهم أن يتكلم فيثب الضفدع فيه و يفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه، فلقوا منها أذى شديدا، فلما رأوا ذلك شكوا و بكوا إلى موسى، و قالوا هذه المرة نتوب ولا نعود، فادع الله أن يذهب عنا الضفادع فإنا نؤمن بك و نرسل معك بني إسرائيل فأخذ عهودهم و مواثيقهم ثم دعا ربه، فكشف عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت إلى السبت ثم نقضوا العهد، فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم قال ماء النيل عليهم دما، فكان القبطي يراه دما و الإسرائيلي يراه ماء فإذا شربه الإسرائيلي كان ماء، و إذا شربه القبطي كان دما، و كان القبطي يقول للإسرائيلي خذ الماء في فيك و صبه في في فكان إذا صبه في فم القبطي تحول دما، وإن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة، فإذا ما مضغها يصير ماؤها في فيه دما فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم و لا يشربون إلا الدم قال: زيد بن أسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى

فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك و نرسل بني إسرائيل، فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا و لم يخلوا عن بني إسرائيل»«[1101]»

في تأويل قوله –تعالى –: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾«[1102]»قال:« أي و اذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما امتدت المحنة به « إنّي مسني الضر » أي نالني الضر و أصابني الجهد « و أنت ارحم الراحمين » أي لا أحد أرحم منك و هذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء و هو من لطف الكنايات في إزالة الحاجات، و مثله قول موسى « رب إنّي لما أنزلت إلى من خير فقير »« فاستجبنا »أي أجبنا دعاءه و نداءه « فكشفنا ما به من ضر » أي أزلنا ما به من الأوجاع و الأمراض « و آتيناه يا أهله و مثلهم معهم » قال ابن عباس و ابن مسعود رد الله عليه أهله الذين هلكوا بأعيانهم، و أعطاه مثلهم معهم، و كذلك رد الله عليه أمواله و مواشيه بأيافها وأعطاه مثلها معها، و به قال الحسن و قتادة، و هو المروي عن أبي عبد الله (ع) و قيل: أنّه خير أيوب فاختار إحياء أهله في الآخرة و مثلهم معهم في الدنيا فأوتي على ما اختار عن عكرمة و مجاهد، قال وهب: و كان له سبع بنات و ثلاثة بنين، و قال ابن يسار سبعة بنين و سبع بنات «رحمة من عندنا» أي نعمة منا عليه «و ذكرى للعابدين» أي موعظة لهم في الصبر، و الانقطاع إلى الله تعالى و التوكل عليه، لأنه لم يكن في عصر أيوب أحد أكرم على الله

[1101] – انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي، ج4، ص 721 – 722

[1102] – سورة الأنبياء: الآية 83-84.

منه فابتلاه بالمحن العظيمة، فأحسن الصبر عليه فينبغي لكل عاقل إذا أصابته محنة أن يصبر عليها، و لا يجزع و يعلم أن عاقبة الصبر محمودة »«[1103]»

المطلب الخامس: منهج الإمام محمد حسين الطباطبائي في تناول القصص القرآني من خلال الميزان في تفسير القرآن

الفرع الأول : ترجمة المؤلف والتعريف بتفسير وطريقته فيه:

هو محمد حسين الطباطبائي ، مفسر فيلسوف زاهد من أكابر علماء الشيعة الإمامية ، ولد في تبريز وبها أكمل تعليمه الابتدائي ، وفي الثانية والعشرين من عمره انتقل إلى النجف في العراق حيث واصل دراسته ، وكان اكثر اهتمامه منصبا على الحكمة والأصول والفقه ، ولم يغادر النجف حتّى نال درجة الاجتهاد ، عاد بعدها إلى إيران ، وتصدّر للتدريس في مدينة قم ، من آثاره الميزان في تفسير القرآن «[1104]»

قدّمالطباطبائي لتفسيره بمقدمة تحدّث فيها عن معنى التفسير وتاريخ نشأته ومراحله من عهد النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين إلى زمانه مع تعرضه لمناهج هؤلاء في بيان مدلولات ألفاظ القرآن حيث بيّن أنّ الطبقة الأولى والتي يمثلها النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وبعض من التابعين كان مجهودها لا يتجاوز ما يتعلق بمعاني الآيات وأسباب النزول ، ثمّ إنّ التابعين توسعوا في الروايات وأولعوا بالقصص ، وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة شاع البحث الكلامي في

[1103] – انظر: مجمع البيان: الطبرسي، ج7، ص 94

[1104] ـ انظر: معجم المفسرين : عادل نويهض ، ج 2 ، ص 777.

الجانب التفسيري نظرا لظهور الفرق المختلفة ، وارتباط بعض المسلمين بفلاسفة اليونان الذي أدّى إلى انتشار البحث العقلي الفلسفي عند المسلمين ، ثمّ يؤكد اقتصار أصحاب الحديث على التفسير بالرواية عن السلف من الصحابة والتابعين ، وقد عاب منهجهم هذا ، لكونه عطّل العقل عن البحث والتدبر في كتاب الله تعالى ، ثمّ نقد المتكلمين الذين طوّعوا نصوص القرآن لأغراضهم المذهبية ، كما صبّ جام غضبه على الفلاسفة الذين وقعوا في ورطة التطبيق وتأويل الآيات المخالفة بظاهرها للمسلمات في فنون الفلسفة ،و ينقد كذلك المتصوفة الذين حملوا القرآن على أورادهم و أحزابهم وطقوسهم الصوفية ، ثم تكلم على نشؤ طائفة في العصر الحديث تبنّت مسلكا جديدا في التفسير حيث تأثرت بالعلوم الطبيعية ، وما هو من شكلها من العلوم القائمة على التجارب والأمور الحسية ، ففسرت نصوص القرآن بناء على هذه العلوم ، وعلق في آخر الأمر بأنّ هذه المسالك كلها يشوبها النقص ، ثمّ تكلم في الأخير عن المنهج الذي ارتضاه في تفسيره هذا فقال :«وسنضع ما تيسر لنا بعون الله سبحانه من الكلام على هذه الطريقة في البحث عن الآيات الشريفة في ضمن بيانات ، قد اجتنبنا فيها عن أن نركن إلى حجة نظرية فلسفية أو إلى فرضية علمية ، أوإلى مكاشفة عرفانية ، واحترزنا فيها عن أن نضع إلاّ نكتة أدبية يحتاج إليها فهم الأسلوب العربي أو مقدمة بديهية أو عملية لا يختلف فيها الإفهام ، وقد تحصلّ من هذه البيانات الموضوعة على هذه الطريقة من البحث استفراغ الكلام فيما نذكره :

المعارف المتعلقة بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والوحدة وغيرها ...

المعارف المتعلقة بأفعاله تعالى من الخلق والأمر والإرادة والمشيئة والهداية والإضلال والقضاء والقدر والجبر والتفويض والرضا والسخط إلى غير ذلك من متفرقات الأفعال

المعارف المتعلقة بالوسائط الواقعة بينه وبين الإنسان كالحجب واللوح والقلم والعرش والكرسي ..

المعارف المتعلقة بالإنسان قبل الدنيا

المعارف المتعلقة بالإنسان في الدنيا كمعرفة تاريخ نوعه و معرفة نفسه ومعرفة أصول اجتماعه وعرفة النبوة والرسالة والوحي والإلهام والكتاب والدين والشريعة ...

المعارف المتعلقة بالإنسان بعد الدنيا ، وهو البرزخ والمعاد .

المعارف المتعلقة بالأخلاق الإنسانية ، ومن هذا الباب ما يتعلق بمقامات الأولياء في صراط العبودية من الإسلام ...

وأمّا آيات الأحكام ، فقد اجتنبنا تفصيل البيان فيها لرجوع ذلك إلى الفقه ، وقد أفاد من هذه الطريق ارتفاع التأويل بمعنى الحمل على المعنى المخالف للظاهر من بين الآيات ، وأمّا التأويل بالمعنى الذي يثبته القرآن في مواضع من الآيات ، فسترى أنّه ليس من قبيل المعاني ، ثمّ وضعنا في ذيل البيانات متفرقات من أبحاث روائية نورد فيها ما تيسر لنا إيراده من الروايات المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأئمة أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين من طرق العامة والخاصة ، وأمّا الآيات الواردة عن مفسري الصحابة والتابعين ، فإنّها على ما فيها من الخلط والتناقض لا حجة فيها على مسلم ، وسيطلع الباحث المتدبر في الروايات المنقولة عنهم عليهم السلام ، أنّ هذه الطريقة الحديثة

التي بنيت عليها بيانات هذا الكتاب ، أقدم الطرق المأثورة في التفسير التي سلكها معلموه سلام الله عليهم ، ثمّ وضعنا أبحاثا مختلفة ، فلسفية وعلمية وتاريخية واجتماعية وأخلاقية حسب ما تيسر لنا من البحث ، وقد آثرنا في كل بحث قصر الكلام على المقدمات المسانحة له من غير تعد عن طور البحث »«[1105]».

الفرع الثاني :ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني

قال في تفسير قوله –تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾«[1106]»

قال:« بيان » قصة أخرى من قصص بني إسرائيل و هي نبأ بلعم بن باعورا أمر الله نبيه صلى الله عليه و سلم أن يتلوه عليهم يتبين به أن مجرد الاتصال بالأسباب العادية لا يكفي في فلاح الإنسان و تحتم السعادة له ما لم يشاء الله ذلك، و أن الله لا يشاء ذلك لمن أخلد إلى الأرض و اتبع هواه، فإنّ مصيره إلى النار، ثم يذكر آية ذلك فيهم و هي أنهم لا يستعملون قلوبهم و أبصارهم و آذانهم

[1105] ـ انظر: الميزان في تفسير القرآن ، ج1 ص 7 ـ 17 .

[1106] – سورة الأعراف: الآيات 175-178.

فيما ينفعهم، و الآية الجامعة أنهم غافلون، قوله تعالى:« واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها» إلى آخر الآية معنى إيتاء الآيات على ما يعطيه السياق التلبس من الآيات الأتقية و الكرامات الخاصة الباطنية بما يتنور به الطريق و معرفة الله له، و ينكشف له ما لا يبقى له معه ريب في الحق

و الانسلاخ خروج الشيء و انتزاعه في جلده، و هو كناية إستعارية عن أنّ الآيات كانت لزمتها لزوم الجلد فخرج منها الخبث في ذاته... و يمضى في تفسير ألفاظ الآيات و تحليل مفرداتها إلى قوله ... « و قد اختلف المفسرون في تعيين من هو صاحب النبأ في هذه الآية على أقوال مختلفة سنشير إلى جلها أو كلها في البحث الروائي الآتي إن شاء الله.

و الآية – كما ترى – أبهمت اسمه و اقتصرت على الإشارة إلى إجمال قصته لكنها مع ذلك ظاهرة في أنّه نبأ واقع لا مجرد تمثيل فلا وقع لقول من قال: إنها مجرد تمثيل غير نبأ واقع، ثمّ مضى في تفسير مفردات و شرحها إلى أن بلغ المبحث الروائي فقام بسرد مجموعة من الروايات و مما ذكره أنه نقل عن القمى ما نصه «في تفسير القمي في قوله تعالى :«و اتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا » الآية قال حدثني أبي عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام آنه، أعطى بلعم بن باعوراء الاسم الأعظم وكان يدعوا به فيستجيب له فمال إلى فرعون فلمّا مر فرعون في طلب موسى و أوصى به فرعون لبلعم: ادع الله على موسى و أصحابه ليخسفه علينا فركب حمارته ليمر في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأنطقها الله عز و جل فقالت ويلك على ما تضربني؟ أريد أن أجيء مطيعةلتدعوا على نبي الله و قوم مؤمنين؟ و لم يزل يضربها حتّى قتلها فانسلخ الاسم من

لسانه، و هو قوله: « فانسلخ منها فأتبعه الشيطان ... » و هو مثل ضربه الله و في الدرر المنثور أخرج الفريابي و عبد الرزاق و عبد ابن حميد و النسائي و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و أبو الشيخ و الطبراني و ابن مردوية عبد الله بن مسعود في قوله :« و اتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها » قال: هو رجل من بني إسرائيل يقال له بلعم بن أبر و فيه أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و أبو الشيخ و ابن مردوية من طرق عن ابن عباس قال: هو بعلم بن باعوراء – و في لفظ بلعام بن عامر الذي أوتي الاسم كان في بني إسرائيل، أقول: و قد روى كون اسمه بلعم و كونه من بني إسرائيل عن غير ابن عباس و روي عنه غير ذلك«[1107]»

ثمّ ساق رواية أخرى ذكرها الإمام الألوسي في روح المعاني و ملخصها أنّ الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت الشاعر الثقفي والذي كان قد قرأ الكتب القديمة و أنّ الله يرسل رسولا من العرب فتمنى أن يكون هو المرسل فلما بعث النبي صلى الله عليه و سلم حسده و لم يسلم حتى مات، و روى أنه كان ينشد أبياتا عن الشعر يشير فيها إلى اليوم الآخر و الحساب فأتت أخته فأنشدتها عند النبي صلى الله عليه و سلم فقال لها صلى الله عليه و سلم: « إنّ أخاك آمن شعره و كفر قلبه » فأنزل الله تعالى الآية، ثم قال – رحمه الله – أقول: و القصة مجموعة من عدة روايات و قد ذكر في المجمع إجمال القصة و ذكر أنّ نزول الآية فيه مروي عن عبد الله بن عمروسعيد بن المسيب، و زيد بن أسلم و أبي روق، و الظاهر أنّ الآيات مكية بنزول السورة بمكة و ما ذكروه من باب التطبيق، و في المجمع و قيل: إنّه أبو عامر النعمان بن صيفي الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه و سلم «

[1107]– انظر: الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي ، ج8 ص 237 –243.

الفاسق » و كان قد ترهب في الجاهلية، ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جئت به؟ قال جئت بالحقيقة بدين إبراهيم قال: فأنا عليها فقال: صلى الله عليه وسلم لست عليها و لكنك أدخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا وحيدا طريدا،فخرج إلى أهل الشام و أرسل إلى المنافقين أن استعدوا السلاح، ثمّ أتى قيصر و أتى بجند ليخرج النبي صلى الله عليه و سلم فمات بالشام طريدا و حيدا، عن سعيد ابن المسيب، أقول: و إشكال كون السورة مكية في محله، و قد روي في ذلك قصص لا جدوى في استقصائها، و فيه قال: أبو جعفر عليه السلام: الأصل في ذلك بلعم ، ثمّجعله الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة«[1108]».

في تفسير قوله –تعالى –﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴾«[1109]»

[1108] – انظر: تفسير الميزان، الطبطبائي: ج8 ص 244

[1109] –سورة هود : الآيات 70–76

قال: «بيان تتضمن الآيات قصة البشرى لإبراهيم عليه السلام بالولد، وإنّها كالتوطئة لما سيذكر بعده من قصة ذهاب الملائكة إلى لوط عليه السلام و لإهلاك قومه، فإنّ تلك القصة ذيل هذه القصة، و في آخر قصة البشرى ما يتبين به وجه القصة الإهلاك و هو قوله: « إنّه قد جاء أمر ربك ... و إنهم آتيهم عذاب غير مردود».

قوله – تعالى – « و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى» إلى آخر الآية، البشرى أي المحنوذ و هو اللحم المشوي على حجارة محماة بالنار كما أن القدي المشوي على حجارة محماة بالشمس على ما ذكره بعض اللغويين، و ذكر بعضهم أنّه المشوي الذي يقطر ماء و سمنا، و قيل: هو مطلق المشوي، و قوله – تعالى – في سورة الذاريات في القصة « فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين » لا يخلو من تأييد للمعنى الثاني ...،ثمّ مضى في بيان معاني الألفاظ و تحليلها إلى أن بدأ في جانب الرواية فقال: في الكافي بإسناده عن أبي يزيد الحمار عن أبي عبد الله قال :« إن الله بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط، جبرئيل و مكائيل و إسرافيل و قيل كروبيل فمروا، بإبراهيم فسلموا عليه و هم معتمون، فلم يعرفهم و رأى هيئة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء إلاّ أنا بنفسي و كان صاحب ضيافة فشوى لهم عجلا سمينا حتى أنضجه فقربه إليهم فلما وضع بين أيديهم رأى أيديهم لا تصل إليهم فنكرهم

وأوجس منهم خيفة، فلما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم: أنت هو؟ قال : نعم فمرت به امرأته فبشرها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب فقالت: ما قال الله عز و جل

و أجابوها بما في الكتاب فقال: لهم إبراهيم لماذا جئتم؟ فقالوا في إهلاك قوم لوط، قال: إن كان فيها من المؤمنين أتهلكونها؟ قال جبرائيل: لا، قال: و إن كان فيهم خمسون؟ قال: لا، قال: و إن كان

فيهم ثلاثون؟ قال: لا، قال: و إن كان فيهم عشرون؟ قال: لا، قال: و إن كان فيهم عشرة؟ قال: لا قال: و إن كان فيهم خمسة؟ قال: لا، وإن كان فيهم واحد؟ قال: لا، قال: فإن فيها لوطا، قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجينه و أهله إلا امرأته كانت من الغابرين ثم مضوا،ثم سرد مجموعة من الروايات و علق على بعضها إلى أن قال: كلام في قصة البشرى و سماها الله حديث ضيف إبراهيم عليه السلام وقعت في خمس من السور القرآنية كلها مكية و هي ترتيب القرآن « سورة هود الحجر و العنكبوت و الصافات».

فالأولى: قوله تعالى: « و لقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ... إنه قد جاء أمر ربك إنهم آتيهم عذاب غير مردود»«[1110]»

و الثانية قوله تعالى: « و نبئهم عن ضيف إبراهيم ... إلاّ امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين »«[1111]»

والثالثة قوله تعالى: « و لما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية ... إلاّ امرأته كانت من الغابرين» «[1112]»

والرابعة: قوله تعالى :« وقال إنّي ذاهب إلى ربي سيهدين ... و باركنا عليه و على إسحاق و من ذريتهما محسن و ظالم نفسه مبين»«[1113]»

[1110] – سورة هود: الآيات 69- 70

[1111] – سورة الحجر: الآيات 51 – 60

[1112] – سورة العنكبوت : الآيات 31-32

[1113] – سورة الصافات: 31 – 32

والخامسة: قوله تعالى :« هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين ... كذلك قال ربك إنّه هو العليم الحكيم»«[1114]»

و يقع البحث في قصة البشرى من وجوه:

أحدها: أنّها هل هي بشرى واحدة و هي المشتملة على البشرى إبراهيم و سارة بإسحاق و يعقوب، و قد وقعت قبيل هلاك قوم لوط أو أنّها قصتان: إحداهما تشتمل على البشرى بإسماعيل و الأخرى تتضمن البشرى بإسحاق و يعقوب،ربّما رجح الثاني على أن ما وقع من القصة في سورة الذاريات صريح في تقديم العجل المشوي، و أن إبراهيم خافهم لما امتنعوا من الأكل ،ثمّ بشروه و امرأته العجوز العقيم و هي سارة أم إسحاق قطعا، و ذيل الآيات ظاهرة في كون ذلك بعد إهلاك قوم لوط حيث يقول: الملائكة: « إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين»؟ إلى أن قالوا فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين و تركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم» الآيات و نظير ذلك ما في سورة هود و قد قال فيها الملائكة لإزالة الروع عن إبراهيم ابتداء «إنا أرسلنا إلى قوم لوط»، و أماّ في سورة الحجر فليس يتضمن حديث تقديم العجل المشوي بل ظاهره أنّ إبراهيم و أهله خافوهم لدى دخولهم فأسكنوا رعبه بالبشارة كما يقول تعالى: « إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال إنا منكم وجلون قالوا إنا نبشرك بغلام عليم» و الآيات ظاهر في كون ذلك قبل إهلاك لوط.

و نظيره ما في سورة العنكبوت من القصة، و هي أظهر في كون ذلك قبل الهلاك، و يتضمن جدال إبراهيم في قوم لوط و قد قدمت في البحث الروائي حديث العياشي في هذا المعنى لكن الحق أن

[1114]ـ سورة الذاريات 24-30

الآيات في جميع السور الأربع سورة هود و الحجر و العنكبوت و الذاريات إنما تقص قصة البشارة بإسحاق و يعقوب دون إسماعيل،و أمّا في ذيل آيات الذاريات من قوله« قالوا إنّا أرسلنا » الظاهر في المضي و الفراغ عن الأمر فنظيره واقع في آيات الحجر مع تسليمهم أنها تقص ما قيل الفراغ على أن قول الملائكة المرسلين و وهم بعد في الطريق « إنّا أرسلنا» لا مانع منه بحسب اللغة و العرف، و أمّا قوله: « فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين » إلى آخر الآيات فهو كلامه تعالى و ليس من تتمة كلام الملائكة لإبراهيم كما يدل عليه سياق القصص الواردة في سورة الذاريات،و أمّا ذكر الوجل في آيات الحجر في أول القصة بخلاف سورتي الذاريات و هود فالوجه فيه عدم تقديم العجل المشوي في آيات الحجر بخلافهما في ذيل الآيات من البشرى بإسحاق صريحا، فإن سياق الآيات في ذيل قوله: « فبشرناه بغلام حليم » ثمّ استئناف البشارة بإسحاق في قوله: أخيرا « فبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين»، لا يدع ريبا لمرتاب أنّ الغلام الذي بشر به أولا غير إسحاق الذي بشر به ثانيا ، وذكر الطبري في تاريخه أنّ المراد بالبشارة الأولى في هذه السورة أنها البشارة قياسا على ما ذكر من البشارة في سائر السور و هو كما ترى، و قد تقدم كلام في هذا المعنى في قصص إبراهيم عليه السلام في الجزء السابع من الكتاب.

وثالثها: البحث في القصة من جهة تطبيق ما في التوراة الحاضرة منها على ما استفيد من القرآن،

و سيوافيك ذلك عند الكلام على قصة لوط عليه السلام في ذيل الآيات التالية.

ورابعها: البحث فيها من جهة جدال إبراهيم الملائكة و قد وقع فيها مثل قوله: « يجادلنا في قوم لوط » و قوله: « يا إبراهيم اعرض عن هذا » و قد تقدم أنّ سياق الآيات و خاصة قوله: « إن

إبراهيم لحليم أواه منيب » لا يدل إلا على نعته بالجميل فلم يكن جداله إلا حرصا منه في نجاة عباد الله رجاء أن يهتدوا إلى صراط الإيمان »«[1115]»

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾«[1116]»

« ذكر سبحانه اسمهما في كلامه و عدهما من الأنبياء و أثنى عليهما و عدهما من الأخيار، و عدّ ذا الكفل من الصابرين، و لهما ذكر في الأخبار ففي البحار عن الاحتياج و التوحيد و العيون في خبر طويل رواه الحسن بن محمد النوفلي عن الرضا فيما احتج به على جاتليق النصارى أن قال عليه السلام إن اليسع قد صنع مثل ما صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء و أحيى الموتى و أبرأ الأكمه و الأبرص، فلم تتخذه أمته ربا، الخبر، و عن قصص الأنبياء الصدوق عن الدقاق عن الأسدي عن سهيل عن عبد العظيم الحسنى، قال كتبت إلى أبي جعفر الثاني أسأله عن ذي الكفل ما اسمه و هل كان من المرسلين؟ فكتب عليه السلام بعث الله جل ذكره مائة ألف نبي و أربعة و عشرين ألف نبي مرسلون منهم ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا، و إنّ ذا الكفل كان منهم، و كان بعد سليمان بن داود، و كان يقضي بين الناس كما يقضي داود، و لم يغضب إلاّ لله عز و جل، و كان اسمه عويدياء و هو الذي ذكره الله جلت عظمته في كتبه حيث قال: « واذكر إسماعيل و اليسع و

[1115] – الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ص 222-223-224

[1116] – سورة ص : الآية 48

ذا الكفل و كل من الأخيار»، أقول و هناك روايات متفرقة أخرى في قصصهما عليهما السلام تركنا إيرادها لضعفها و عدم الاعتماد عليها »«[1117]»

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾«[1118]»

قال «... بحث روائي في تفسير العياشي و القمي في قوله تعالى : «و اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان» عن الباقر عليه السلام في حديث: فلما هلك سليمان وضع إبليس السحر و كتبه في كتاب ثمّ طواه و كتب على ظهره، هذا ما وضع آصف بن رخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم من أراد كذا و كذا فليعمل كذا و كذا، ثم دفنه تحت سريره، ثم استثاره لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا و قال المؤمنون بل هو عبد الله و نبيه فقال الله جل ذكره « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ...» و في العيون في حديث الرضا عليه السلام مع المأصون، وأمّا هاروت و ماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليتحروا له عن سحر السحرة، و يبطلوا كيدهم و ما علما أحدا من ذلك شيئا إلا قالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز عنه و جعلوا يفرقون بما يعملون بين المرء و زوجه، قال تعالى : « و ما هم بضارين به من أحد إلاّ بإذن الله » وفي الدرر المنثور أخرج جرير عن ابن عباس قال كان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئا من شأنه أعطى الجرادة ذلك اليوم خاتمه و هي امرأته

[1117] – انظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ج 17 ص 217

[1118] ـ سورة البقرة :الآية 102

فلما أراد الله أن يبتلي سليمان بالذي ابتلاه أعطى الجراذة ذلك اليوم خاتمه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأخذه و لبسه فلما لبسه دانت له شياطين الجن و الإنس فجاءها سليمان فقال: هاتي خاتمي، فقالت: كذبت لست سليمان فعرف أنّه بلاء ابتلي به فانطلقت الشياطين، فكتبت في تلك الأيام كتبا فيها سحر و كفر ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها فقرؤوها على الناس فقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب فبرء الناس من سليمان و هي قصة طويلة من جملة القصص الواردة في عثرات الأنبياء مذكورة في جملتها، و في الدرر المنثور أيضا اخرج سعيد بن جرير و الخطيب في تاريخه عن نافع قال: سافرت مع ابن عم فلما كان في آخر الليل قال يا نافع أنظر هل طلعت الحمراء؟ قلت لا مرتين أو ثلاثة، ثم قلت قد طلعت، قال: لا مرحبا و لا أهلا، قلت: سبحان الله نجم مسخر سامع مطيع، قال: قلت؟ لك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه السلام، قال إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا وإن قرب؟ قال إني أبليتهم و عافيتهم،قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك، قال فاختاروا ملكين منكم، فلم يألوا جهدا أن يختاروا فاختاروا هاروت و ماروت فنزلا، فألقى الله عليهما الشيق قلت، و ما الشيق؟ قال: الشهوة فجاءت امرأة يقال لها الزهرة فوقعت في قلوبها فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه ثم قال: أحدهما للآخر هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم، فطالبها لأنفسهما فقالت: لأمكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به إلى السماء، و تهبطا فأبيا ثم سألها أيضا فأبت، ففعلا فلما استطيرت طمسها الله كوكبا و قطع أجنحتهما، ثمّ سألا التوبة من ربهما فخيرهما، فقال: إن شئتما رددتكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القيامة عذبتكما، و إن

شئتما عذبتكما في الدنيا فإذا كان يوم القيامة رددتكم ما كنتما عليه، فقال أحدهما لصاحبه إن عذاب الدنيا يتقطع و يزول فاختار عذاب الدنيا على عذاب الآخرة فأولى الله إليهما أن ائتيا بابل فانطلقا إلى بابل فخسف بهما فهما منكوسان بين السماء و الأرض معذبان إلى يوم القيامة.

أقول: و قد روي ترتيب منه في بعض كتب الشيعة مرفوعا عن الباقر عليه السلام، و روى السيوطي فيما يقرب من هذا المعنى في أمر هاروت و ماروت و الزهرة نيفا و عشرين، و صرحوا بصحة طرق بعضها، و في منتهى إسنادها عدة من الصحابة كابن عباس و ابن مسعود و علي و أبي الدرداء وعمر و عائشة و ابن عمر و هذه قصة خرافية تنسب إلى الملائكة المكرمين الذين نص القرآن على نزاهة ساحتهم، و طهارة وجودهم عن الشرك و المعصية أغلط الشرك و أقبح المعصية و هو عبادة الصنم و القتل و الزنا و شرب الخمر و تنسب إلى كوكبة الزهرة أنها أول امرأة زانية مسخت و أنها أضحوكة و هي كوكبة سماوية طاهرة في طليعتها و صنعها أقسم الله عليه في قوله: « و الجوار الكنس » على أنّ علم الفلك أظهر اليوم هويتها و كشف عن عنصرها و كميتها و كيفيتها و سائر شؤونها فهذه القصة كالتي قبلها المذكورة في الرواية السابقة تطابق ما عند اليهود على ما قيل من قصة هاروت و ماروت، تلك القصة الخرافية التي تشبه خرافات اليونان في الكواكب و النجوم، و من ههنا يظهر للباحث المتأمل أن هذه الأحاديث كغيرها الواردة في مطاعن الأنبياء لا تخلوا من دس دسته اليهود فيها و تكشف عن تسربهم الدقيق و نفوذهم العميق بين أصحاب الحديث و في

الصدر الأول فقد لعبوا في رواياتهم بكل ما شاءوا من الدس و الخلط والخلط و أعانهم على ذلك قوم آخرون» «[1119]»

المطلب السادس :منهج جواد مغنية في تناول القصص القرآني من خلال تفسيره «التفسير الكاشف»

الفرعالأول : التعريف بالمؤلف وطريقته في تفسيره .

هو محمد جواد بن محمود بن محمد بن مهدي بن محمد بن علي بن حسن بن حسين بن محمود بن محمد بن علي آل مغنية العاملي ، ولد سنة 1322هـ في قرية طيردبا من جبل عامل ، ودرس بها على الشيخ حسين مغنية ، ليسافر بعدها للنجف ويكمل بها دراسته ، ليقفل بعدها راجعا لبلده ويتقلد بعض المناصب العلمية ، فعين إماما في بلدته خلفا لأخيه عبد الكريم مغنية ، ثمّ قاضيا شرعيا في بيروت ، ثمّ مستشارا للمحكمة الشرعية العليا ، فرئيسا لها بالوكالة ، وقد ترك الشيخ جملة من المؤلفات العلمية منها : «الأحكام الشرعية للمحاكم الجعفرية »«الفصول الشرعية »«علم أصول الفقه في ثوبه الجديد»«في ظلال نهج البلاغة »«نفحات محمدية »وغيرها ، توفي في الحادي والعشرين من محرم سنة 1400 هـ ـ1979 م ، في بيروت ، ودفن في قريته طيردبا«[1120]»

[1119] – انظر: الميزان في تفسير القرآن: الطباطبائي، ج1، ص 234 – 235

[1120] ـ انظر: أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين ، دط ، تحقيق حسن الأمين ،بيروت، دار التعارف للمطبوعات 1406 هـ ـ 1986م ، ج9 ، ص 205.

الفرع الثاني : ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني

قال في تفسير قوله –تعالى –:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾«[1121]»

قال: «تكلم المفسرون هنا و أطالوا و لا مسند لأكثرهم سوى الإسرائيليات التي لا يقرها عقل و لا نقل، و سوّد الرازي حوالي عشرين صفحة في تفسير هذه الآية فزادها غموضا و تعقيدا و نفس الشيء فعل صاحب مجمع البيان أمّا السيد قطب فأخذ يشرح التنويم المغناطيسي و الأحلام و التأثير و الانفعالات بالإيحاء و ما إليه، و هذا هو الهروب بعينه و بقيت أمدا غير قصير أبحث و أنقب في الكتب و التفاسير، فما شفى غليلي شيء منها، حتى تفسير الشيخ محمد عبده و تلميذه المراغي و صاحب المنار، و خير ما قرأته في هذا الباب ما جاء في كتاب «النواة في حقل الحياة» للسيد العبيدي مفتي الموصل، لأنّه اعتمد على قول جماعة من علماء الآثار، و هذا ما قاله بالحرف«مازلت أجهل معنى الآية الكريمة، لا يشفى غليلي فيها مفسر، حتى وقفت على تاريخ جمعية البنائين،

[1121] – سورة البقرة الآية 102

فتبينت معناها و حيث اضطربت كلمة المفسرين حتى عرضوا الآية للجمع بين النقيضين و حتى دخلها شيء من الأساطير التي تنبو عنها مغازي الشريعة الغراء رأيت من واجب الخدمة لكتاب الله أن أثبت هنا كلمة في ذلكلما عظم ملك سليمان استراب ملك بابل الطامع في سورية و فلسطين و حلّ منه الجزع محل الطمع و أوفد إلى بيت المقدس رجلين من دهاة بطانته، يبثان من التعاليم ما عسى أن يفسد على سليمان ملكه فاعتنقا اليهودية وأظهر الزهد باسم الدين فالتف من حولهما الناس، كما هو شأن العامة و استهووا بالرأي العام، فشرعا يفسدان الأفكار، و يعرفه أن الصدور على سليمان، حتى رمياه بالكفر، فكان هذان رجلان بظاهر حالهما من الزهد و التقشف كملكين بفتح اللام، و لكنهما في الواقع شيطانان، و كانت تعاليمهما كالسحر بما يعضدها من حق البيان، و طالما استعمل لفظ الملك في الرجل الصالح، و لفظ الشيطان في الرجل الصالح و لفظ السحر في العبارة الفاتنة، من ذلك قوله تعالى حكاية عن يوسف حكاية عن صويحباته « إن هذا إلا ملك كريم »«[1122]»،و قوله سبحانه«شياطين الإنس و الجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا »«[1123]»و حكاية عن الوليد«إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر »«[1124]»و في الحديث :«إن من البيان لسحرا »«[1125]»و قد أنبأنا التاريخ بما كان من شأن بختصر ملك بابل من غزوه فلسطين بعد سليمان، فتخريبه بيت المقدس، و قول القرآن يؤيد حوادث التاريخ بقوله في سورة الإسراء: « و قضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين و لتعلن علوا كبيرا

[1122] ـ سورة يوسف : الآية 31 .

[1123] ـ سورة الأنعام : الآية 112

[1124] ـ سورة المدثر : الآيتان 24 ـ 25 .

[1125] ـ رواه البخاري: كتاب النكاح ،باب الخطبة رقم 5416، ج 3 ، ص 1322 ، عن ابن عمر .

»«[1126]» إذا عرفت هذا فنقول: إنّ الضمير في قوله تعالى «و اتبعوا» عائد إلى يهود المدينة الذين تقدمت هذه الآية اثنان و ستون آية متتابعة في حقهم ... و متى عرفت هذا، ثمّ تدبرت الآيات المتصلة بآية سليمان و وقفت وقفة تدقيق و إمعان عند قوله «على ملك سليمان» و ما اكتنفها من مضامين و دلالات علمت أن معنى الآية الكريمة أنّهم يهود الحجاز كانوا يكيدون للنبي صلى الله عليه و سلم العربي بالمكايد و الدهائي المقنعة و الدعاية المزوقة اقتداء بالمارقين من أسلافهم الذين أعانوا رسل بابل في تعويض ملك سليمان »«[1127]»

قال في تفسير قوله –تعالى –﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾«[1128]»

« ... المعنى كانت الآية السابقة مثلا للكافر الذي اتخذ الطاغوت وليا، و خرج من النور إلى الظلمات، و هذه الآية مثال للمؤمن الذي اتخذ الله وليّا، و خرج من الظلمات إلى النور،« أو

[1126] ـ سورة الإسراء : الآية 4.

[1127] – انظر: التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ط 2 ، بيروت ، دار العلم للملايين ،1978م ج1، ص 97 – 98 .

[1128] – سورة البقرة : الآية 259

كالذي مر على قرية و هي خاوية على عروشها قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها » لم يفصح الله سبحانه اسم القرية، و لا عن اسم المار بها و من هنا اختلف المفسرون هل كان كافرا أو نبيا أو صديقا؟ و إذا لم يكن كافرا؟ فهل هو عزير أو رمياء أو الخضر؟، وأيضا اختلفوا في القرية هل هي بيت المقدس أو غيره؟، و لا دليل على التعيين، و لا القائلين به إلاّ الإسرائيليات، و معنى خاوية خالية من السكان و العروش سقوف البيوت و المراد أن بيوت القرية منهدمة، ليس فيها أحد، و الاستعظام كان لإحياء أهل القرية لا للقرية نفسها و نقول لمن زعم أنّ الذي مر على القرية كان كافرا لأنّه شكك في قدرة الله، نقول له: ليس كل من مرت شبهة بذهنه، و طلب لها مخرجا يكون من الكافرين، بل العكس هو الصحيح، فلقد طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى و هو داعيه للإيمان و اليقين هذا إلى أن طلب المزيد من العلم بقدرة الله من صميم الإيمان، وبهذا تبين خطأ من قال إنّ الذي مر على القرية كان كافرا لا لشيء إلا لأنّه قال: «أنّى يحيي الله هذه بعد موتها » ليس هذا إنكار، و لكن مشهد الخراب العنيف جعله في حيرة و عجز عن إدراك السبيل التي بها يعود أهل القرية إلى الحياة.

« فأماته الله مائة عام » موتا حقيقيا، لا مجازيا إذ لا موجب للتأويل ... « و انظر إلى حمارك » كيف صار رميما، مع بقاء طعامك و شرابك على حالهما، و هذا أبلغ في المعجزة، و إظهار المقدرة في خرق العوائد، لأنّ الجو واحد، و الظروف واحدة – فلو كانت هي المؤثرة لأسرع البلى إلى الطعام والشراب قبل أن يسرع إلى الحمار، لأنّه أقوى منهما على البقاء، فموته هو مع بقائهما مائة سنة على ما كانا عليه من أصدق الدلائل على أنّ الله لا يعجزه شيء على الإطلاق،و قيل: إنّ الحمار

بقي حيا طوال المائة عام بلا طعام و لا شراب و على الحالين فإن الله سبحانه قد فعل ذلك ليزيل تعجب عزير واستبعاده لإحياء أهل القرية، و أيضا ليجعله آية على وجود البعث عند من علم بحاله من أهل عصره ، و هذا هو المراد بقوله – تعالى – : « و لنجعلك آية للناس ».

«وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثمّ نكسوها لحما » اختلفوا في هذه العظام، هل هي عظام عزير أم عظام حماره؟ و قال قائل: إنّها عظام صاحب الحمار، و أنّ الله سبحانه أحيا أولا عينيه، لينظر إلى بقية جسده كيف يتجمع و يحيا...و هذا قول على الله بلا علم، والأرجح أنّها عظام الحمار لقول صاحبه لبثت يوما أو بعض يوم، إذ لو كان قد رأى عظاما هو رميما لتنبه إلى طول الأمد ...»«[1129]»

المطلب السابع :منهج سلطان محمد بن حيدر الجنابذي في تناول القصص القرآني من خلال: «تفسيره بيان السعادة في مقامات العبادة»

الفرع الأول : التعريف بالمفسر وطريقته في كتابه

في الحقيقة لم أقف على ترجمة واسعة لهذا الشيخ في كتب التراجم المعاصرة ، حيث اكتفى صاحب معجم المؤلفين بذكر اسمه فقال:« محمد بن حيدر الجنابذي سلطان من فضلاء الشيعة ، له بيان السعادة في مقامات العبادة ، ألفّه سنة 1311هـ»«[1130]»

[1129] – التفسير الكاشف، ج1، ص 244

[1130] ـ انظر: ج 9 ، ص 275.

أمّا فيما يتعلق بمنهجه في تفسيره وطريقته في كتابه فقد تحدث الدكتور حسين الذهبي عن ذلك ، ولذا سأورده بشيء من الاختصار

ـ يمتاز هذا الكتاب بسرد آراء الأئمة الإثنى عشرية مع مزجه بالآراء الصوفية والأمور الفلسفية الدقيقة

ـ أسلوب الكتاب يمتاز بالغموض وصعوبة المأخذ نظرا لتركيز صاحبه على الشطحات الصوفية والنزعات الفلسفية .

ـ التعصب المذموم للمذهب والإفراط الغالي في الرد على المخالف والإطالة في ذلك

ـ الاقتضاب عند إيراد الأحكام والمسائل الفقهية

ـ النقل من مصادر مختلفة لكثير من المذاهب «[1131]»

الفرع الثاني : ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني

في تفسير قوله –تعالى –:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾«[1132]»

قال: «روي في تفسير الإمام (ع) إنّها شجرة علم محمد صلى الله عليه و سلم وآل محمد عليهم السلام الذين آثارهم الله تعالى به دون سائر خلقه فقال الله تعالى: «لا تقربا هذه الشجرة »شجرة

[1131] ـ انظر: التفسير والمفسرون ، ج 2 ، ص 148

[1132] – سورة البقرة :الآية 35.

العلم فإنّها لمحمد صلى الله عليه و سلم و آله عليهم السلام دون غيرهم و لا يتناول منها بأمر الله إلاّ هم، رمتها ما كان يتناوله النبي صلى الله عليه و سلم و علي و فاطمة و الحسن و الحسين بعد إطعامهم المسكين و اليتيم و الأسير، حتى لم يحسوا بجوع و لا عطش و لا تعب و لا نصب و هي شجرة تميزت من بين سائر الأشجار بأن كلا منها إنما يحمل نوى من الثمار و كانت هذه الشجرة و جنسها تحمل البر و العنب و التين و العناب و سائر أنواع الثمار و الفواكه و الأطعمة، فلذلك اختلف الحاكمون فقال بعضهم : برة، و قال آخرون هي عنبة، و قال آخرون هي عنابة، و هي الشجرة التي من تناول منها بإذن الله ألهم علم الأولين و الآخرين من غير تعلم، و من تناول بغير إذن الله خاب من مراده و عصى ربه، و أقول آخر الحديث يدل على ما قالته الصوفية من أن السالك ما لم يتم سلوكه و لم ينته إلى مقام الفناء، و لم يرجع إلى الصحو بعد بإذن الله لم يجز له الاشتغال بالكثرات و مقتضيات النفس زائدا على قدر الضرورة، و شجرة علم محمد صلى الله عليه و آل محمد إشارة إلى مقام النفس الجامع لكمالات الكثرة و الوحدة ...»«[1133]»

قال في تفسير قوله –تعالى –:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ

[1133] – انظر: بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد بن حيدر الجنابذي، د ط ، طهران ، 1314 هـ ،ج1، ص 87-88

﴾«[1134]» : « ... ورد في الأخبار من أنّهم أمروا أن يقتلوا أنفسهم بالسيوف وأنهم كانوا سبعين ألفا... أشهروا السيوف على وجوههم يدل على ذلك، مثلا ما ورد أنّ العابدين كانوا ستمائة ألف إلاّ اثنى عشر ألف و هم الذين لم يعبدوا العجل أمر الله اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل أن يقتلوا الذين عبدوا العجل فشهروا سيوفهم و قالوا نحن أعظم مصيبة من عبدة العجل نقتل آباءنا و قرابتنا بأيدينا فنزل الوحي على موسى عليه السلام أن قل لهم توسلوا بالصلاة على محمد صلى الله عليه و سلم و آله حتّى يسهل عليكم ذلكم فتوسلوا فسهل عليهم ذلك فلما استمر القتل فيهم و هم ستمائة ألف إلا اثنا عشر ألفا، و استسلموا لذلك وقف الله الذين عبدوا العجل على مثل ذلك فتوسلوا فتاب الله عليهم فرفع القتل، ثمّ مضى إلى أن قال في قوله – تعالى – :«و إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ... ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون »«[1135]»

«... ثمّ بعثناكم من بعد موتكم إشارة إلى أنّ البعثة كانت عن موت لا عن إغماء، و هذه الآية تدل على جواز الرجعة، كما وردت الأخبار بها و صارت كالضروري في هذه الأمة و قد احتج أمير المؤمنين بها على ابن الكواء في إنكار الرجعة ...»«[1136]»

في تفسير قوله –تعالى – :﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ

[1134] – سورة البقرة الآية :54ـ 55.

[1135] – سورة البقرة الآية 55 .

[1136] – بيان السعادة في مقامات العبادة، ج1، ص 105

وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴾«[1137]»قال : « ... و فديناه بذبح عظيم أي عظيم الجثة، أوعظيم القدر، قد اختلفت الأخبار في أنّ الذبيح كان إسماعيل أو إسحاق – عليهما السلام – و المشهور من الأخبار أنّه كان إسماعيل عليه السلام، و أنه كان جد نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و أنّ السلطنة كانت في أولاد إسماعيل عليه السلام و النبوة في أولاد إسحاق، و إنّ البشارة كانت أولا بإسماعيل، و ثانيا بإسحاق من سارة، و إنّ هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لإبراهيم، وإنّ هاجر حملت بإبراهيم وولدته اغتيضت سارة عليها لأنّها لم يكن لها ولد حينئذ فكانت تؤذي إبراهيم فاشتكى إلى الله فقال الله تعالى: إنّ المرأة مثل عظم الضلع، لو ذهبت تقيمها كسرتها، و لو أبقيتها استمعت بها، نج هاجر وإسماعيل من عندها، فذهب بها و بولدها بأمر الله و دلالة جبرائيل – عليه السلام – إلى مكة ولم يكن بها ماء ولا عمارة و لا أحد و إنّ بين بشارة إبراهيم بإسماعيل و بين بشارته بإسحاق كانت خمس سنين ،وروي عن الصادق أنّه سئل كم كان بين بشارة إبراهيم عليه السلام بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق؟ قال كان بين البشارتين خمس سنين، قال الله سبحانه « فبشرناه بغلام حليم » يعني إسماعيل و هو أول بشارة بشر الله بها إبراهيم عليه السلام في الولد، و لما ولد لإبراهيم عليه السلام إسحاق من سارة و بلغ إسحاق ثلاث سنين أقبل إسماعيل إلى إسحاق – عليهما السلام – و هو في حجر إبراهيم فنحاه و جلس مجلسه فبصرت سارة فقال : يا إبراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك و يجلس هو مكانه لا و الله لا تجاورني هاجروا ابنها في بلاد أبدا

[1137] – سورة الصافات : الآيات 102 ـ 107.

فنحهما عنى، و كان إبراهيم مكرما لسارة و يعزها و يعرف حقها، و ذلك لأنها كانت من ولد الأنبياء، و بنت خالته فشق ذلك على إبراهيم، و اغتم لفراق إسماعيل فلما كان في الليل أتى إبراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه إسماعيل موسم مكة فأصبح إبراهيم حزينا للرؤيا فلما حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم عليه السلام هاجر و إسماعيل في ذي الحجة من أرض الشام فانطلق بهما إلى مكة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام، فلما رفع قواعده خرج إلى منى حاجا و قضى نسكه بمنى ثمّ رجع إلى مكة فطاف بالبيت أسبوعا فلمّا صار في السعي قال لإبراهيم عليه السلام لإسماعيل – عليه السلام – يا بني إنّي أرى أني أذبحك في الموسم عامي هذا فانظر فماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر »«[1138]».

المبحث الثاني الإتجاهالإعتزالي :ومنهجه في تناول القصص القرءاني

المطلب الأول: تعريف المعتزلة ونشأتهم

الاعتزال في اللغة معناه الانفصال والتنحي، فالمعتزلة بناءً على هذا هم المنفصلون «[1139]» أمّا في الاصطلاح فهو اسم يطلق على طائفة ظهرت في الإسلام أوائل القرن الثاني الهجري،وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل منهج الحسن البصري«[1140]»

تعود نشأة هذه الفرقة إلى واصل بن عطاء الغزّال الذي كان تلميذا للإمام الحسن البصري ـ رحمه الله ـ

[1138] – انظر : بيان السعادة في مقامات العبادة، ج3، ص 334 –335.

[1139] ـ انظر :القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ،ج 4 ، ص 15، وانظر : لسان العرب ، ابن منظور، ج 11 ،ص 440.

[1140] ـ انظر :أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ج 1،ص 296.

ويروى أنّه دخل رجل على الإمام الحسن البصري رحمه الله ـ وهو بالمسجد في درسه فقال:يا إمام لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة : عندهم الكفر يخرج به عن الملة ، وهم وعيدية الخوارج ، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر ، والكبيرة عندهم لاتضر مع الإيمان ، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية،كما لاينفع مع الكفر طاعة ، وهم مرجئة الأمة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا ؟ فتفكر الحسن في ذلك ، وقبل أن يجيب قال : واصل بن عطاء : أنا لأقول مؤمن مطلقا ولا كافر مطلقا،بل هو في منزلة بين المنزلتين : لا مؤمن ولا كافر ، ثمّ قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل بن عطاء ، فسمي هو وأصحابه معتزلة.« »[1141]

وقال الإمام البغدادي:«ثمّ حدث في أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر ، وفي المنزلة بين المنزلتين ، وانضم إليه عمرو بن عبيد فطردهما الحسن عن مجلسه ، فاعتزلا إلى سارية من سواري مسجد البصرة ، فقيل لهما ولأتباعهما« معتزلة» لاعتزالهم قول الأمة في دعواهما أنّ الفاسق من أمة الإسلام لامؤمن ولا كافر[1142]».

المطلب الثاني : أصول وعقائد المعتزلة

لقد بنى المعتزلة مذهبهم هذا على أصول خمسة أجمعوا عليها رغم انقاسمهم إلى فرق وطوائف شتى،وهذه الأصول هي :التوحيد ، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين ،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمر الذي تجدر الإشارة إليه أنّ هذه الأصول لم ينص عليها واصل بن عطاء، وإنّما اصطلح عليها تلاميذه من بعده، واكتملت على يدي الهذيل العلاف الذي نظرّلهذه الفرقة

[1141] ـ انظر: الملل والنحل ،محمدبن عبد الكريم الشهرستاني ،ط2 ، تحقيق أبو عبد الرحمان المكي ،السعودية مكتبة أنور مصطفى الباز، 2007م ـ 1428 هـ ، ص 30.

[1142] ـ انظر: الفرق بين الفرق ،عبد القادر البغدادي، د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، دار الطلائع ، 2009م ، ص 92.

أصولها، واكتملت على يديه أصول الاعتزال، وقد كتب في الأصول الخمسة بعض فصول كتبه، ثمّ تتالت الكتب التي تحمل هذا المصطلح على يد جعفر بن حرب، والقاضي عبد الجبار وغيرهما من رجال المعتزلة، وفيما يلي شرح موجز لهذه الأصول :

الأصل الأول: التوحيد

قال القاضي عبد الجبار « والأصل فيه أنّ التوحيد في أصل اللغة : عبارة عمّا يصير به الشيء واحدا، كما أنّ التحريك عبارة عمّا يصير به الشيء متحركا ، والتسويد عبارة عمّا يصير الشيء أسودا ، ثمّ يستعمل في الخبر عن كون الشيء واحدا لما لم يكن الخبر صادقا إلاّ وهو واحد ، فصار ذلك كالإثبات فإنّ في أصل اللغة عبارة عن الإيجاب »«[1143]»وتوحيدهم يقوم فلى نفي صفات الباري عزوّجل ، ونفي الرؤية ، والقول بخلق القرءان .

الأصل الثاني :العدل

قال القاضي عبد الجبار :« اتفق كلّ أهل العدل على أنّ أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم ، وأنّ الله عزّ وجل أقدرهم على ذلك ولا فاعل لها، ولا محدث سواهم ،وأنّ من قال أنّ الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه ، وأحالوا حدوث فعل من فاعلين ومعنى العدل على هذا أنّ أفعاله كلّها حسنة ، وأنّه لا يفعل القبيح ، ولا يخل بما هو واجب عليه.«[1144]»، وقد أفضى بهم هذا الأصل إلى نفي كونه سبحانه وتعالى خالقا لأفعال العباد

[1143] ـ انظر : شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار أحمد ، تحقيق عبد الكريم عثمان ،ط 3 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1416 هـ ـ 1996 م ، ص 128.

[1144] ـ المصدر نفسه :ص 133

الأصل الثالث: الوعد والوعيد

قال القاضي عبد الجبّار :«وأمّا علوم الوعد والوعيد فهو أنّه يعلم أنّ الله وعد المطيعين بالثّواب ، وتوّعد العصاة بالعقاب ، وأنّه يفعل ما توّعد به وتوّعد عليه لا محالة ، ولا يجوز عليه الخلف والكذب»«[1145]» وعلى مقتضى أصلهم هذا فإنّهم يوجبون على ربّهم أن ينفذ وعده ، وأن يعطي العبد أجر ما كلّفه به من طاعات استحقاقا منه على الله مقابل وعد الله له إذا التزم العبد بجميع التكاليف التّي اختارها اللّه وكلّف بها عباده.

الأصل الرّابع :المنزلة بين المنزلتين

«والمقصود إنّ المعتزلة يريدون بالمنزلة بين المنزلتين : المؤمن صاحب المعاصي ، فهو عندهم ليس بمؤمن ولا كافر ، بل يفرد له حكم ثالث ، وهو تسميته فاسقا في الدنيا ، والحكم بخلوده في النار في الآخرة ، فاختلف حكمه واسمه في الدنيا فاستحق أن يكون في المنزلة بين المنزلتين »«[1146]»

والصحيح عند أهل السنة أنّ الفاسق أو العاصي ليس بخارج عن الملة ،أو مبعد عن دائرة الإسلام ، ولكن الحق أن يقال فيه إنّ مؤمن ناقص الإيمان ، وليس في نصوص القرءان والسنة مايدل على كفره أو خروجه عن ر بقة الإسلام ، وإنّما يكفر من الأمة من استحل ذنبا من الذنوب وهذا معروف في أصول الاعتقاد

الأصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وقد عرّف القاضي عبد الجبّار هذا الأصل فقال : « أمّا الأمر فهو قول القائل لمن دونه في المرتبة افعل ، والنهي: هو قول القائل لمن دونه في المرتبة لا تفعل ، وأمّا المعروف فهو كل فعل عرف فاعله حسنه ، أو دلّ عليه، ولهذا لا يقال في أفعال القديم تعالى معروف، لما لم يعرف حسنها ولا دلّ

[1145]ـ المصدر نفسه ، ص 136.

[1146]ـ انظر : أصول وتاريخ الفرق الإسلامية ، ج 1 ،ص 360

عليها ، وأمّا المنكر فهو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دلّ عليه، ولو وقع من الله تعالى القبيح لا يقال :إنّه منكر لما لم يعرف قبحه ولم دل عليه» «[1147]»

ومعنى هذا التعريف :أنّ المعروف والمنكر لابدّ أن يتضح أمرهما عند الشخص بأن يرى حسن المعروف ويدلل عليه ، ويرى قبح المنكر ويستطيع أن يدلل عليه ، وهذا بخلاف ما لو وقع من الله ـ افتراضا فعل القبيح ، فإنّه لا يستطيع أن يدلل عليه ، ولذلك فلا يوصف بالمنكر «[1148]».

المطلب الثالث :منهج المعتزلة في تفسير القرءان الكريم

إذا جئنا نستبين ملامح المنهج العام للتفسير الاعتزالي ،فأول ما تجدر الإشارة إليه أنّ المعتزلة من الفرق التّي سعت لتطويع النص القرآني لأرائهم ومعتقداتهم ، وذلك بحمل نصوص القرءان على فهمهم الخاص الذي يخدم مذهبهم ،وتأويل الآيات التي تتصادم مع أفكارهم الاعتزالية تأويلا بعيدا لا يوافق أصول الكتاب والسنة ولا تدل عليه قوانين اللغة ، ولا ريب أنّ مسلكا كهذا يفضي إلى مزالق وانحرافات غير مرضية وسنورد أهم الأسس التي اعتمد المعتزلة عليها في تفسيرهم للقرآن .

أولا :إقامة تفسيرهم على أصولهم الخمسة

قال الدكتور محمد حسين الذهبي : «والذي يقرأ تفسير المعتزلة ، يجد أنّهم بنوا تفسيرهم على أسسهم من التنزيه المطلق، والعدل وحرية الإرادة ، وفعل الأصلح ... , ونحو ذلك، ووضعوا أسسا للآيات التي ظاهرها التعارض ، فحكّموا العقل ، ليكون الفيصل بين المتشابهات، وقد كان من قبلهم

[1147]ـ انظر :شرح الأصول الخمسة : ص 141 .

[1148]ـ انظر: أصول وتاريخ الفرق الاسلامية : ج1 ، ص 363.

يكتفون بمجرد النقل عن الصحابة أو التابعين فإذا جاءوا إلى المتشابهات سكتوا وفوّضوا الأمر لله تعالى »«[1149]»

والناظر في كتبهم يلمس هذا ، ويتجلى له بتمام ،فما إن يروا في النص القرآني تعارضا مع أصل من أصولهم إلاّ وسعوا لتفسيره وتأويله حسب مقتضاهم ،وإن أدّى بهم إلى الخروج عن المعنى الظاهر الذي تدل عليه الآية ، وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية عن تفسيرهم للقرآن وفق أصولهم الخمسة فقال :« .... وهذا كما أنّه وقع في تفسير القرءان ، فإنّه أيضا وقع في تفسير الحديث ، فالذينأخطأوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا ما يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة ، كسلف الأمة وأئمتها وعمدوا إلى القرءان ،فتأولوه على آرائهم تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها ، وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه، ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم ، وهذا كالمعتزلة مثلا فإنّهم من أعظم الناس كلاما وجدالا، وقد صنّفوا تفاسير على أصول مذهبهم ، مثل عبد الرحمان بن كيسان الأصم شيخ إبراهيم بن إسماعيل بن علية الذي كان يناظر الشافعي ، ومثل كتاب أبي علي الجبائي، والتفسير الكبير للقاضي عبد الجبّار بن أحمد الهمداني، والجامع لعلم القرءان لعلي بن عيسى الرماني، والكشاف لأبي القاسم الزّمخشري .....«[1150]».

ثانيا :إنكارهم لما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة

إنّ تمجيد سلطان العقل وتقديسه عند المعتزلة دفعهم إلى إنكار ماثبت من أحاديث صحيحة تتصادم وتتعارض مع مذهب من مذاهبهم ، وليس معنى هذا أنّهم ينكرون الحديث جملة ولا يستدلون به في مجال التفسير ،بل المقصود إنكار ما يتعارض مع أفكارهم تارة ، وربّما تأولوه تأويلا بعيدا وفي ذلك يقول الدكتور محمد حسين الذهبي:«ثمّ إنّ هذا السلطان العقلي المطلق ، قد جرّ المعتزلة إلى إنكار ما صح من الأحاديث التي تناقض أسسهم وقواعد المذهبية ، كما نقل التفسير

[1149]ـ انظر: التفسير والمفسرون : ج 1 ، ص 265.

[1150]ـ انظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية،شرح مساعد الطيّار ، ص 141 ـ 142 .

الذي كان يعتمد أولا وقبل كل شيء على الشعور الحي، والإحساس الدقيق، والبساطة في الفهم ، وعدم التكلف والتعمق، إلى مجموعة من القضايا العقلية ، والبراهين المنطقية ، ممّا يشهد للمعتزلة، ـ رغم إعتزالهم ـ بقوة العقل وجودة التفكير، ومع أنّ هذا السلطان العقلي المطلق ، كان له الأثر الكبر في تفسير القرءان للمعتزلة، حتّى اضطرهم في بعض الأحيان إلى ردّ ما يعارضهم من الأحاديث الصحيحة .....» «[1151]»

وستأتي أمثلة لهذا المسلك الذي سلكه المعتزلة عند إيراد نماذج من تفسيرهم للقصص القرآني.

ثالثا: التركيز على الجانب اللغوي

من بين الأسس التي انتهجها المعتزلة في تفسير النص القرآني الاعتماد على الجانب اللغوي والتركيز عليه بشكل كبير ، ولا ريب أنّ هذا مسلك متفق عليه بين العلماء ،فحاجة المفسر للإلمام بلغة العرب وتبحره فيها أمر ضروري ، غير أنّ المعتزلة اتخذوا هذا الأساس لأغراض أخرى تخدم مذهبهم الاعتزالي لاسيّما في المجال العقدي، فهم يذهبون إلى إنكار صفات الباري عزّ و جل التي أثبتها لنفسه وأثبتها له علماء السنة ،بزعمهم أنّها تفضي إلى التشبيه ،فيجدون في اللغة مخرجا لنفي هذه الصفات بحمل المدلول اللغوي للكلمة على معنى آخر يؤيد مذهبهم ، وكذلك في بقية المسائل العقدية فعلى سبيل المثال هم يقولون بعدم جواز رؤية الباري عزّ وجلّ مع أنّ القرآن نص عليها، وأحاديث في السنة أكدتها فيعمدون إلى نفيها ويرون أنّها رؤية غير حقيقة ، ويأولونها بمعنى الرجاء والكرامة ، مستدلين على ذلك ببيت شعري يؤكد غرضهم وذلك في قول القائل :

وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما

فاستدلوا بهذا البيت على أنّ الرؤية في العربية لا تختص بالرؤية المادية فحسب ، بل تتعدى إلى المعاني المعنوية «[1152]» ،ونماذج هذا كثيرة في تفاسيرهم إلاّ أنّهم يتفاوتون في استخدام هذا الأسلوب

[1151] ـ انظر: التفسير والمفسرون ،ج 1، ص 265.

[1152] ـ انظر التفسير والمفسرون : ج 1 ، ص 267.

حسب التوسع والتمكن في اللغة ،ولهذا من يطالع تفسير الزّمخشري يجد نماذج كثيرة لهذا الأسلوب ، وقد

تكفلّ جماعة ببيانها ممّن اهتمّوا بتفسير الزّمخشري كابن المنير المالكي«[1153]» ، والإمام البلقيني«[1154]».

رابعا : التصرف في القرآءات القرآنية المتواترة وإنكارها

لقد وجد أئمة المعتزلة ومفسروهم على وجه الخصوص أنفسهم أمام أصل أصيل يتصادم مع بعض معتقداتهم ألا ـ وهو القراءات القرآنية المتواترة ـ ، ولا شك أنّ تعدد القراءات يفضي إلى تعدد معاني النص القرآني ، لكنّ المعتزلة راحوا يتصرفون فيها تصرفا غير لائق إذا كانت القراءة تتعارض مع فكرة لهم ، فتارة ينكرونها بقراءتها على غير ما أنزلت ،وتارة بحملها على معنى بعيد غير ظاهر وغير مراد فمثلا عند تفسير قولهم تعالى « وكلم الله موسى تكليما »«[1155]» ذهب بعضهم إلى قراءتها بنصب لفظ الجلالة على أنّه مفعول به ، وموسى بالرفع على أنّه فاعل ، وهذا كلّه من أجل إنكارهم صفة الكلام التي أثبتها الله لنفسه صراحة،وأثبتها نصوص السنة ، ومنهم من يلجأ إلى مسلك آخر غير هذا فيبقي اللفظ على ما هو عليه ،لكنّه يحمله على معنى بعيد غير مراد ، فيتأول الكلام بمعنى

[1153] ـ هو أحمد بن محمد بن منصور بن القاسم بن مختار القاضي ناصر الدين ابن المنير الإسكندراني المالكي ، ولد سنة عشرين وستمائة ، كان علامة في التفسير والأدب وفنونه ، ولي قضاء الإسكندرية وخطابتها ، من مؤلفاته :الإنتصاف من الكشاف وهو الذي اشتهر به ، وله ديوان خطب ، وتفسير حديث الإسراء وغيرها ، توفي سنة ثلاث وثمانون وستمائة .، انظر: الأعلام، الزركلي ، ج 1 ، ص 220.

[1154] ـ هو سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ابن شهاب الدين بن عبد الخالق بن مسافر بن محمد البلقيني الشافعي ، ولد سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، من فقهاء الشافعية أخذ العلم عن جماعة من أعيان عصره كالميدومي والأصفهاني ، وأبي حيّان ، وأجازه الحافظ المزي والإمام الذهبي ، من مصنفاته العلمية ،محاسن الاصطلاح في الحديث ، وشرحان لسنن الترمذي ، وتصحيح المنهاج في الفقه ، وغيرها من المؤلفات ، توفي بالقاهرة يوم الجمعة في الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمسة وثمان مائة ، انظر : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ابن العماد الحنبلي ، ج 7 ، ص 51.

[1155] ـ سورة النساء : الآية 164.

الكلْم الذي هو الجرح ، فالمعنى وجرّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن ، وهذا ليفر من ظاهر النظم الذي يصادم عقيدته ويخالف هواه «[1156]».

خامسا : التذرع بالمجاز وإنكار الحقائق الدينية

لقد اتخذ المعتزلة من المجاز وسيلة وغاية إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، فجحدوا به حقائق الكتاب والسنة ،وقد أخذوا هذا المسلك عن أسلافهم من الجهمية الذين نفوا به صفات الباري عزّ وجل ، وقد توسعوا في استعماله ، وأنكروا به كل ما يعارضهم ، مع أنّ الأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة ، فإذا مروا بآية تخالف هواهم عللّه بعضهم بأنّ هذا ضرب من الخيال والتمثيل ،وأفضى بهم هذا الأمر إلى إنكار حقائق ثابتة في معتقدات المسلمين ،فهم يقولون بنفي السحر وعدم جواز تسلط الجني على المخلوقات من الإنس ، مع أنّ القرآن أكد وقوع السحر وتأثيره وبيّنت السنة الأمر نفسه ، وثبت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم وأنّه صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من شياطين الجن ، وأنّ المؤمن قد يصاب بمس من الجن يؤدي به إلى الصرع ، وغير ذلك من الأمور الثابتة المعلومة ، لكنّ تمجيدهم لسلطان العقل وجعلهم معيار لهم في الإثبات والإنكار أفضى بهم إلى إنكار ما هو معلوم ، وفي ذلك يقول محمد حسين الذهبي :« وبعد فإنّ المعتزلة لم يقفوا هذا الموقف الذي لايتفق مع معتقدات أهل السنة ولم يعطوا العقل هذا السلطان الواسع في التفسير، إلاّ من أجل أن يبعدوا ـ كما يزعمون كل الأساطير الخرافية عن محيط الحقائق الدينية ، وليربطوا بين القرءان وعقيدتهم التي قامت على التوحيد الخالص من كل شائبة ...» «[1157] »

جهود المعتزلة في التفسير وأهم كتبهم

[1156] ـانظر : التفسير والمفسرون ، ج 1 ، ص 268.

[1157] ـانظر : التفسير والمفسرون، ج 1، ص 273

إذا ما جئنا نستطلع إنتاج المعتزلة كفرقة من الفرق المصنفة ضمن المفسرين بالرأي المذموم في المجال التفسيري نجد أنّ لهم إنتاجا لا بأس به في هذا المجال،فقد سعوا لخدمة مذهبهم والترويج له والدفاع عنه بكل ما أوتوا من قوة ، وحفظت لنا كتب طبقات المفسرين أسماء مؤلفات لبعض أعلامهم ،منها ما وصل إلينا ومنها ما فقد ولم يصل إلينا، فمّمن صنّف من علمائهم في التفسير جماعة ذكر بعضهم السيوطي في طبقات المفسرين ،وكذلك فعل تلميذه الدوادي من بعده ، ومن أشهر ما ذكروا:

ـ أبو بكر عبد الرحمان بن كيسان الأصم المتوفى سنة 240هـ.لكنّ كتابه هذا لم يصل إلينا

ـ إبراهيم بن إسماعيل بن علية صنّف تفسير للقرآن لكنّ كتابه هذا شأنه شأن تفسير بن كيسان فهو يعد في عداد المفقودات .

ـ محمد بن عبد الوهاب بن سلم أبو علي الجبائي ذكر ابن النديم والسيوطي أنّه وضع تفسيرا للقرآن الكريم ، لكنّ كتابه هذا شأنه شأن سابقيه ممّا ذكرنا

ـ أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي الحنفي المعروف بالكعبي المعتزلي ، المتوفى سنة 319هـ، وهذا التفسير أيضا مفقود .

ـ أبو مسلم ، محمد بن بحر الأصفهاني ، المتوفى سنة 322هـ، له كتاب ذكره ابن النديم والسيوطي ،واسمه جامع التأويل لمحكم التنزيل

ـ أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني المتوفى سنة 384 هـ،ذكر السيوطي أنّه وضع تفسير ، وأشار حاجي خليفة إلى وجود مختصر له قام بتأليفه عبد الملك بن علي المؤذن الهروي ، المتوفى سنة 489 هـ، لكن لم يصل إلينا واحد منهما

ـ عبيد الله بن محمد بن جرو الأسدي أبو القاسم النحوي العروضيالمعتزلي، المتوفى سنة 387هـ،ذكره السيوطي في طبقاته ولم يظهر كتابه للوجود .

ـ القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، المتوفى سنة 415هـ. ألّف كتابا سمّاه «تنزيه القرآن عن المطاعن » وقد طبع الكتاب عدة طبعات منها طبعة دار النهضة في بيروت بتحقيق عدنان زرزور ، وقد تكلم الدكتور عبد العظيم الزرقاني عن كتابه هذا فقال فيه :«..... وهو مرتب على مسائل تتضمن سؤالا وجوابه ، ولم تكن همته تفسير القرآن ، بل كان كل همه موجها نحو مذهبه لذلك تراه لم يفسر جميع القرآن ، بل يذكر من السورة الآية التي يستطيع أن يؤولها على مقتضى عقيدته **ويؤيد** به مذهب المعتزلة على نمط ما فعل الزّمخشري .....»«[1158] »

ـ علي بن الحسين العلوي الشريف المرتضي المتوفى سنة 436هـ ، والرجل كما قال عنه ابن حزم:« وكان إماميا فيه تظاهر بالاعتزال» «[1159] »، وقد وضع كتابا في التفسير سمّاه غرر الفوائد ودرر القلائد ، وهو عبارة عن أمالي أملاها في مجالس تشتمل على بحوث في التفسير والحديث ، لكنّه لم يستوعب آيات القرآن ،بل ركّز فيه صاحبه على الآيات التي تحتوي على المباحث العقدية وقد تكلّم الدكتور حسين الذهبي عن منهجه الذي انتهجه في أماليه فممّا قاله :« ..... فنجد السيد يسعى بكل جهوده إلى الوصول إلى مبادئه الاعتزالية عن طريق التفسير مستعينا في ذلك بنبوغه الأدبي ، ومعرفته بفنون اللغة وأساليبها ، حتّى إنّنا لنراه من الآيات التي تعارضه موقفا يلتزم فيه مخالفة ظاهر القرآن ، ويفضل فيه التفسير الملتوية لبعض الألفاظ على ما يتبادر منها إرضاء لعقيدته وتمشيا مع مذهبه»«[1160] ».

وبعد إيرادنا لجملة من مصنفاتهم في المجال التفسيرية يتبيّن ويتضح لنا أنّهم بذلوا جهودا عظيمة في خدمة معتقدهم من خلال تأويل النص القرآني ، وأنّ ما وصل إلينا منها يعدا قليلا جدا فإنّ الكثير من كتبهم قد فقد ،كشأن باقي التراث الإسلامي الذي طالته الأيادي وحالت بينه وبين الوصول إلينا عوامل جمّة ، كما تجدر الإشارة إلى أنّي سأكتفي بدراسة تفسير الإمام الزمخشري في بيان

[1158] ـ انظر مناهل العرفان : عبد العظيم الزرقاني ، ج 2 ، ص 74 .

[1159] ـ انظر : الفصل في الملل والنحل ، ج 5 ، ص 40.

[1160] ـ انظر التفسير والمفسرون : ج 1 ، ص 286

منهجه في تناول آيات القصص القرآن، وذلك باعتباره التفسير الكامل الذي وصل إلينا من تراث المعتزلة،علاوة على ذلك فقد امتاز عن سابقه ببراعته في إيراد معتقدات المعتزلة بطريقة ذكية ساعده على ذلك كله تبحره في اللغة وإلمامه الواسع بالبلاغة ،حتّى قال شيخ الإسلام بن تيمية في حقه « ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه ، وأكثر الناس لا يعلمون ، كصاحب الكشاف ونحوه ،حتّى إنّه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة»«[1161]»

أمّا تفسير القاضي عبد الجبار الهمداني ، و أمالي الشريف المرتضي، فقد أحجمت عن سرد نماذج من تناولهما لأنّهما كما سلف القول لم يتناول جميع القرآن بالتفسير ،بل كانت لهم إشارات لبعض معاني الآيات والمسائل المتعلقة بالتفسير.

المطلب الرابع :منهج الإمام الزمخشري في تناول القصص القرآني

الفرع الأول : التعريف بالإمام الزمخشري :

هو الإمام أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي ، الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان ،كانت ولادته يوم الأربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة

[1161] ـ انظر: مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، شرح مساعد الطيّار ، ص 143.

سبع وستين وأربعمائة من الهجرة النبوية الشريفة ، كان معتزلي الاعتقاد ، متظاهرا به حتّى نقل عنه أنّه كان إذا قصد صاحبا له واستأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذه له قل: أبو القاسم المعتزلي بالباب ،وأول ما صنف كتاب الكشاف ،ومن مؤلفاته «الفائق في غريب الحديث» و«أساس البلاغة» و«المفصل في النحو» و«الأنموذج في النحو» و «متشابه أسماء الرواة» و«المحاجاة بالمسائل النحوية» ، توفي في ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة النبوية الشريفة وجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة – رحمه الله .«[1162]»

الفرع الثاني- :منهجه في تفسيره وطريقته في مؤلفه :

يعد تفسير الإمام الزمخشري – رحمه الله- من قبل التفاسير التي عمد أصحابها إلى تقرير أصل مذاهبهم العقدية والانتصار لها وحمل وجوه القرآن علي ما يوافق أصولها ونبذ ما يخالفها عند وقوفه علي الآيات التي تصادم وتخالف مذهبه الإعتزالي .

ـ انتصاره لمذهب المعتزلة والدفاع عن عقائدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا بتأويل نصوص القرآن الكريم تأويلا يوافق مذهبه كما في قول المعتزلة بتخليد أصحاب الكبائر في النار واستشهاده بقوله

[1162]- انظر: وفيات الأعيان : ابن خلكان ،د ط ، تحقيق إحسان عباس، بيروت ، دار صادر، دت، ج 5 ، ص 273-268.

تعالي ((ومن يقتل مؤمنا متعمدا..))«[1163]» وكذلك انتصاره للحسن والقبيح العقليين عندهم ،والسحر والقول بخلق أفعال العباد لأنفسهم .

– حمله علي مخالفيه من الأشاعرة وأصحاب الحديث ووصفه لهم بالزيغ ورميهم بالضلال و التكفير ووسمهم بالحشويّة و المجبّرة والقدرية والمشبهة وغيرها من الألفاظ .

– إيراد المسائل الفقهية بشكل موجز دون تعصب لمذهب الحنفي مع إشارته لأراء المذاهب الأخرى كالشافعية والمالكية .

– الإقلال من إيراد الإسرائيليات وذكرها بصيغة التمريض الذي يشعر بالضعف ، وتأويلها تأويلا يناقض المعني المراد ، وقد أشار –رحمه الله وعفا عنه– إلي دواعي تأليفه لهذا التفسير ، حيث لحّ عليه جماعة من أتباعه وأصحابه أن يضع لهم تفسيرا يوافق معتقدهم وينتصر فيه لآرائهم ، ويدافع عنها ، فأجابهم إلى هذا الطلب بعد إلحاح وإصرار منهم ، فقال – رحمه الله– «ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية، الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية ،كلّما رجعوا إلي في تفسير آية فأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ، أفاضوا في الاستحسان والتعجب ، واستطيروا

[1163]ـ سورة النساء : الآية 93

شوقا إلى مصنّف يضم أطرافا من ذلك ،حتّى اجتمعوا إلي مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل فاستعفيت فأبوا إلاّ المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حدا بي إلى الاستعفاء علي علمهم أنّهم طلبوا ما الإجابة عليّ واجبة لا في الخوض فيه كفرض العين – ما أري عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله و تقاصر همهم عن أدني عدد هذا العلم – فضلا أن تترقي إلى الكلام المؤسس على علمي البيان والمعان ، فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من العلم في حقائق سورة البقرة ، وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والأذناب ... فلمّا صمّم العزم علي معاودة جوار الله و الاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من أهلها وقليل ما هم عطشى الأكباد إلى العثور علي ذلك المملي ، متطلعين إلى إيناسه حرصا علي اقتباسه فهزّ ما رأيت من عطفي وحرّك الساكن من نشاطي ..... فأخذت في طريقة أخصر من الأولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص في السرائر ، ووفق الله وسدد ، ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه– وكان يقدر في أكثر من ثلاثين سنة ، وما هي إلا آية من آيات هذا البيت المحرم

، وبركت أفيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم . أسال أن يجعل ما تعبت فيه سببا ينجيني ونورا علي الصراط يسعى بين يدي ويميني ونعم المسؤول)) «[1164]»

– امتاز الإمام الزمخشري –رحمه الله– عن سابقيه من أئمة المعتزلة كالقاضي عبد الجبار و الرّماني وغيرهم بنوع من الفطنة والذكاء في إيراد المسائل الاعتزالية وتقريرها في ثنايا تفسيره بطريقة الألغاز حتّى اغتر به أقوام ممن يخالفوه في معتقده وأوردوا بعض أرائه في تأويل بعض الآيات التي ذكر فيها بعض الاعتزلات دون تفطن منهم وهذا لفصاحته وقوة ذهنه، وفي ذلك يقوم شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– «ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحا ويدسّ البدع في كلامه ، وأكثر الناس لا يعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتّى أنّه يروج علي خلق كثير ممّن لا يعتقد الباطل في تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله ، وقد رأيت من العلماء المفسّرين وغيرهم ممن يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدي لذلك ».

ـ الاعتناء الجلي والاهتمام البالغ بإبراز الجانب البياني في القرآن الكريم من خلال تركيزه علي النكت البيانية وإثارة المباحث البلاغية ، فكان تفسيره امتدادا لهذا الاتجاه لمن جاء بعضه من المفسرين وهذا

[1164]– الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، د ط، دار الفكر، 1439 هـ، 1979م، ج2، ص 484.

ما يظهر في اعتناء الإمام البيضاوي بهذه الصناعة تقليدا له، وكذلك الإمام النسفي وأبو السعود صاحب الإرشاد ـ رحمهم ـ الله جميعا- .

- التذرع بالمعاني اللغوية والتصرف فيها وفق ما يؤيد مذهبه وينصره ، فيسعى إلى إقصاء كثير من المعاني اللغوية وإبطالها بشتى الحيل والأساليب إذا كانت تعارض مذهبه الاعتزالي.

- التركيز والاعتماد علي المجاز وأساليب التمثيل والتخييل فيما يبدوا في حقيقته غريبا وظهير، هذا جعله محل انتقاد ابن المنير المالكي صاحب الانتصاف الذي حطّ عليه بسبب سلوكه هذا المسلك الذي أساء فيه الأدب مع النبي صلي الله عليه وسلم والصحابة – رضي الله عنهم- وذلك بتوسعه وإغراقه في استعمال ألفاظ التخييل والتمثيل عنده تفسيره للآيات القرآنية .

- اللجوء إلى حمل نصوص المتشابه من القرآن علي المحكم منه .«[1165]».

[1165] ـ انظر: التفسير والمفسرون ،1 ، ص 306 ـ 327

الفرع الثالث:- نماذج من تفسير الإمام الزمخشري للقصص القرآني

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ

ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا

فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ

ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا

بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ

يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ

قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى

ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ

﴿«[1166]».«آل إبراهيم إسماعيل وإسحاق وأولادهما و«آل عمران» موسي وهارون ابنا عمران ابن

يصهر، وقيل عيسي وموسى ومريم بنت عمران بن ماثان، وبين العمرانين آلف وثمانمائة سنة ،و«ذرية» بدل من إبراهيم وآل عمران ، «بعضها من بعض» يعني أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسي وهارون من عمران وعمران من يهصر ويصهر من فاهث وفاهث من لاوىولاوى من يعقوب ويعقوب من إسحاق وكذلك عيسي بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن إيشا بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق ، وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلي الله عليه وسلم ، وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالي :«المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض» «[1167]»، «والله سميع عليم» يعلم من يصلح للاصطفاء، أو يعلم أنّ بعضهم من بعض في الدين ،أو«سميع عليم» لقول امرأة عمران ونيتها و «إذ» منصوب به ، وقيل بإضمار اذكر ، وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ، أم مريم البتول ، جدة عيسي عليه السلام ،وهي حنة بنت فاقوذ وقوله: «إذ قالت امرأة عمران» على أثر قوله «وآل عمران» ممّا يرجح أنّ عمران هو عمران بن

[1166]ـ سورة آل عمران : الآية 33 ـ 39.

[1167]ـ سورة التوبة : الآية 67.

ماثان جد عيسي عليه السلام ، والقول الأخير يرجحه أنّ موسي يقرن بإبراهيم كثيرا في الذكر ، فإن قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسي وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول .فما أدراك أنّ عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسي وهارون؟قلت :بكفالة زكريا دليلا علي أنّه عمران أبو البتول ، لأنّ زكريا بن آذان وعمران بن ماثان كان في عصر واحد ، وقد تزوج زكريا بنت أيشاع أخت مريم فكان يحيي وعيسي ابنتي خالة ، روي أنّها كانت عاقرا لم تلد إلي أن عجزت ، فبينما هي في ظل شجرة بصوت طائر و هو يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد وتمنّته ، فقالت:اللّهم إنّ لك علي نذرا شكرا أن رزقتني ولدا أن أتصدق به علي بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه ،فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل «محررا» معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء ، وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم ، وروي أنّهم كان ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خيّر الغلام بين أن يفعل وأن لا يفعل ، وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير للغلمان ، وإنّما بنت الأمر علي التقدير، أو طلبت أن ترزق ذكرا «فلمّا وضعتها» لما في بطني وإنّما أنث على المعني لأنّ ما في بطنها كان أنثى في علم الله أو علي تأويل الحبلة أو النفس أو النسمة، فإن قلت: كيف جاز انتصاب الأنثى حال من

الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الأنثى أنثي ، قلت : الأصل وضعت أنثى وإنّما أنت لتأنيث الحال لأنّ الحال وذا الحال لشيء واحد ، كما أنث الاسم في «وما كانت أمك» لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالي :((فإن كانتا اثنتين »«[1168]» وأمّا على تأويل الحبلة أوالنسمة فهو ظاهر كأنّه قيل أنّي وضعت الحبلة أو النسمة أنثى ،فإذا قلت فلما قالت :«إنّي وضعتها أنثى »وما أرادت إلاّ هذا القول ، قلت : قالته تحسرا لأنّها كانت ترجوا وتقدر أن تلد ذكرا ، ولذلك نذرته محررا للسّدانة و لتكلمها بذلك علي وجه التحسر والتحزن، قال الله تعالى «والله أعلم بما وضعت» تعظيما لموضوعها وتجميلا لها بقدر ما وهب لها منه ، والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت ..... ،فإن قلت: فلم ذكرت تسميتها مريم لربّها ؟ قلت : لأنّ مريم في لغتهم بمعني العابدة . فأرادت بذلك التقرير والطلب إليه أن يعصمها حتّى يكون فعلها مطابقا لاسمها وأن يصدق فيها ظنها بها ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة لها وله من الشيطان وإغوائه وما يرد من الحديث «ما من مولد يولد

[1168] ـ سورة النساء : الآية 176.

إلاّ الشيطان يمسّه حين يولد فيستهل صارخا من مسّ الشيطان إيّاه إلاّ مريم وابنها»«[1169]» فالله أعلم بصحته ، فإذا صح فهنا أنّ كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلاّ مريم وابنها كان معصومين وكذلك كل من كان صفتهما كقوله: «ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» واستهلا له صارخا من مسّه ، تخييل وتصوير بطمعه فيه كأنّه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممّن أغويته ونحوه من التخييل قول ابن الرومي (من الطويل) :

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد «[1170]»

وأمّا حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلاّ ولو سلّط إبليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه «فتقبلها ربها» وفرض بها في النذر مكان الذكر ، بقول «حسن» فيه وجهان : أحدهما أن يكون القبول اسم ما تقبل فيه الشئ كالسعوط والذوذ ولم يسقط به ويلد ، وهو اختصاصه لها بإقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك ،أو بأن تسلمها من أمها عقب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة ، وروي أنّ حنة حين ولدت مريم

[1169] ـ رواه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، سورة آل عمران ، باب : وإنّي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، رقم 4548، ج 3، ص 150 ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[1170] ــ ديوان ابن الرومي ، شرح الأستاذ أحمد حسين بسج ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1415هـ-1994 م، ج 1 ، ص 373.

لفّتها في خرقة وحملتها إلى المسجد و وضعتها عند الأحبار أبناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة ، فقالت لهم: ولكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنّها كانت ابنة إمامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم ، فقال لهم زكريا : أنا أحق بها عندي خالتها ، فقالوا: لا حتى نقترع عليها ، فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين إلى نهر فألقوا فيه أقلامهم ، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم ، فتكفلها و الثاني: أن يكون مصدرا علي تقدير حذف المضاف بمعني فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ، ويجوز أن يكون معني فتقبلها فاستقبلها ، كقولك تعجّله بمعني أستعجله ، وتقصّاه بمعني استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الأمر إذا أخذه بأوله وعنفوانه قال القطامي من الوافر:

وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا .

ومنه المثل «خذ الأمر بقوة » أي :فأخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن«و أنبتها نباتا حسن » مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها « [1171]»

[1171]- انظر: الكشاف ، الزمخشري، ج1 ، ص 548-552

:«هنالك» في ذلك المكان حيث هو قائم عند مريم في المحراب، أوفي ذلك الوقت قد يستعار هنا – وثمّ حيث للزمان ، لما رأي حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب أن يكون له من أيشاع ولد مثل ولد أختها حنة في النجابة والكرامة علي الله – وإن كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك ، وقيل لما رأي الفاكهة في غير وقتها انتبه علي جواز ولادة العاقر «ذرية» ولدا والذرية يقع علي الواحد والجمع «سميع الدعاء» مجيبه ، قرئ «فنادته الملائكة» وقيل: ناده جبريل عليه السلام ، وإنّما قيل الملائكة علي قولهم فلان يركب الخيل «أن الله يبشرك» بالفتح على بأنّ الله وبالكسر على أدت القول ، أو لأنّ النداء من القول وقرئ «يبْشرك» ويبشرك من بشرى وأبشره ويبشرك بفتح الباء ،ويحيي وإن كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسي و إذا كان عربيا فالتعريف ووزن الفعل كيعمر «مصدقا بكلمة من الله» : مصدقا بعيسي مؤمنا به ، قيل : هو أول من آمن به ،وسمي عيسي كلمة لأنّه لم يوجد إلاّ بكلمة الله وحدها وهي قوله :«كن» من غير سبب آخر، وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة ، كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود قومه أي يفوقهم في الشرف، وكان يحيي فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في أنّه لم يرتكب سئية قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا

لنفسه أي منعا لها من الشهوات وقيل: هو الذي يدخل مع القوم في الميسر ، قال الأخطل من البسيط: وشارب مربح الكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسوّار «[1172]»

فاستعير لمن لا يدخل في اللهو واللعب ،وقد روي أنّه مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال ما للعب خلقت «من الصالحين» ،نشأ من الصالحين لأنّه كان من أصل الأنبياء أوكان من جملة الصالحين كقوله :«وإنّه في الآخرة لمن الصالحين» ،«أنّي يكون لي غلام» استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم «وقد بلغني الكبر» كقولهم أدركته السنة العالية ، والمعني أثّر فيَ الكبر فأضعفني ، وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون «كذلك» أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال الوحيية مثل ذلك الفعل ، وهو خلق الولدين الشيخ الفاني والعجوز العاقر ، أو كذلك الله مبتدأ وخبر ، أي علي نحو هذه الصفة الله ، ويفعل ما يشاء بيان له أي يفعل ما يريد من الأفعال الخارقة للعادات «آية» علامة لأعرف بها لأتلقي النعمة إذا جاءت بالشكر «قال آيتك» تقف على تكليم الناس ثلاثة أيام، وإنّما خص تكليم الناس ليعلمه أنه يحبس لسانه عن القدرة علي تكليمهم خاصة مع إبقاء قدرته علي التكلم بذكر الله ولذلك قال «واذكر ربك إذا نسيت» يعني في أيام عجزك عن

[1172]ـ انظر : ديوان الأخطل ،ط 1 ، تحقيق محمد نعيم برير ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 2110 .1431هـ ، ص197.

تكليم الناس ، وهي من الكلمات الباهرة ،فإذا قلت : لما حبس لسانه عن كلام الناس ، قلت: ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره ، توقرا منه على حق قضاء تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من أجله ، كأنه لما طلب الآية من أجل الشكر قيل له «آيتك » أن تحبس لسانك إلاّ عن الشكر وأحسن الجواب وأوقعه ما كان مشتقا من السؤال ، ومنتزعا منه «إلا رمزا» إلاّ إشارة بيد أو رأس أو غيرهما وأصله التحرك . يقال ارتمز إذا تحرك ، ومنه قيل للبحر الرّاموز وقرأ يحيي بن وثّاب بضمتين جمع رموز كرسول أو رسل ، وقري «رمز» بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس نعت كقوله من الوافر:

متى ما تلقني فردينِ ترجفُ روانفُ إليتيكِ وتستطارُ«[1173]»

بمعنى إلّا متزامرتين كما يكلم الناس الأخرس بالإشارة ويكلمهم «[1174]»

في تفسير قوله تعالي:﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ

[1173] ــ البيت لعنترة ،انظر: خزانة الأدب لب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي، ط2 ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ،القاهرة ،مكتبة الخانجي، 1408 هـ ـ 1988م ،ج 7 ، ص 507.

[1174] – الكشاف : الزمخشري ، ج1 ، ص 555-557.

يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾«[1175]»قال –رحمه الله– :«هما ابنا آدم قابيل وهابيل ، أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر ، وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد أخاه وسخط فقال لهم آدم قرّبا قربانا ، فمن أيّكما تقبّل تزوّجها ، وقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل سخطا وحسدا ، وتوعده بالقتل ، وقيل: هما رجلان من بني إسرائيل «بالحق» تلاوة متلبسة بالحق والصحة ، أو اتله نبأ متلبّسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين، أو الغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لأنّ المشركين وأهل الكتاب كلّهم كانوا يحسدون رسول الله صل الله عليه وسلم ويبغون عليه أو واتل عليهم ،وأنت محق صادق «وإذ قربّا» نصب بالبناء أي: قصصهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف، والقربان اسم ما يتقرب به إلى الله من نسيكة،أو صدقة ، كما أنّ الحلوان اسم ما يحلى به

[1175]– سورة المائدة: الآيات 27-31.

أي : يعطي ، يقال قرّب صدقه وتقرّب بها . لأنّ تقرّب مطاوع قرب ، قال الأصمعي تقربوا وقت القمع ، فيعدّى بمعنى الباء حتّى يكون يعني قرب ، فإذا قلت :كيف كان قوله «إنّما يتقبل الله من المتقين» «جوابا» «لأقتلنّك»؟ قلت: لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله علي توعده بالقتل قال له : إنّما أوتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي ، فلم تقتلني ؟ ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها علي تقوى الله التي هي السبب في القبول ، فأجابه بكلام حكيم مع مختصر جامع لمعان وفيه دليل على أنّ الله لا يقبل طاعة إلاّ من مؤمن متّق ، فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم، وعن عامر بن عبد الله أنّه بكى حين حضرته الوفاة، فقيل له :ما يبكيك ؟ فقد كنت وكنت ، قال إنّي أسمع الله يقول «إنّما يتقبل الله من المتقين»، «ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك» قيل :كان أقوي من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرّج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لأنّ الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت ،قاله مجاهدا «إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك» أن تحتمل إثم قتلي لك لوقتلتك وإثم قتلك لي ..... فإن قلت: كيف جاز أن يرد شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار ؟ قلت : كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد ألم تر قول الله تعالي «وذلك جزاء الظالمين» وإذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده الحق لأنّه لا يريد إلاّ ما هو حسن ، والمراد

بالإثم وبال الفعل وما يجرّه من استحقاق العقاب ، فإن قلت : لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ الفعل ، والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله «لئن بسطت ...ما أنا بباسط»؟ ، قلت : ليفيد أنّه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ، ولذلك أكّده بالباء المؤكدة للنفي «وطوّعت له نفسه قتل أخيه» فوسعته ويسّرته من طاع له المرتع إذا اتسع ،وقرأ الحسن فطاوعت ، وفيه وجهان أن يكون مما جاء فاعل بمعنى فعل وأن يراد أنّ قتل أخيه كأنّه دعا نفسه إلى الإقدام عليه وطاوعته ولم تمنع ، وله لزيادة الربط كقولك: حفظت لزيد ماله ،وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة ، وكان قتله عند عقبة حرّاء ، وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم «فبعث الله غرابا» روي: أنّه أول قتيل قتل على وجه الأرض من بني آدم ، ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب علي ظهره سنة حتّى اروّح وخاف عليه السباع ، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل:أحدهما الآخر فهزّ له بمنقاره ورجليه ،ثمّ ألقاه في الحفرة «قال يويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي» ويروى أنّه لما قتله اسود وجهه وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال : ما كنت عليه وكيلا ،فقال: بل قتلته ولذلك سوّد جسدك ، وروي أنّ آدم جلس بعد قتله مائة لا يضحك وأنّه رثاه بشعر وهو كذب بحث وما الشعر إلا منخول ملحون ، وقد صح أنّ الأنبياء

عليهم السلام معصمون من الشعر «ليريه» أو ليريه الغراب أي ليعلمه ، لأنّه لما كان سبب تعليمه ،فكأنّه قصد تعليمه علي سبيل المجاز «سوءة أخيه» عورة أخيه وما لا يجوز أن ينكشف من جسه والسوأة الفضيحة لقبحها ، قال من (الخفيف) : يا لقومي للسوأة السّوْاء

أي الفضيحة العظيمة فكنّى بها عنها «فأوري» بالنصب علي جواز الاستفهام وقرئ بالسكون على فأنا أواري ، أو علي التّسكين في موضع النصب للتخفيف «من النادمين» علي قتله لما تعب فيه من حمله وتحيّر من أمره ، وثبت له من عجزه وتتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط أبيه ، ولم يندم ندم التائبين ، «من أجل ذلك»بعيب ذلك وعلته وقيل أصله من أجل شر إذا جناه يأجله أجلا ومنه قوله من الطويل: وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله ...

أي من أن جنى ذلك القتل الكتب وجرّه «كتبنا علي بني إسرائيل أنّه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض ...» «بغير نفس» بغير قتل نفس على وجه الاختصاص «أو فساد» عطف على

نفس بمعنى أوبغير فساد «في الأرض» وهو الشرك ، وقيل قطع الطريق، و«من أحياها» ومن استنقدها من بعض أسباب الهلكة قتل أو غرق أو هدم أو غير ذلك.....» «[1176]».

في تفسير قوله. تعالي. ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾«[1177]»قال ـ رحمه الله ـ :«المروادة مفاعلة من راد يرود إذ جاء وذهب ، فإنّ المعني خادعته عن نفسه أي : فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده يحتال عليه أن يغلبه عليه ويأخذه منه ، وهي عبارة عن التجمل لمواقعته إيّاها «وغلقت الأبواب» قيل : كانت سبعة ، وقرئ «هيت» بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء ، وبناؤه كبناء أين ، وعيط وهيت كجير وهيت كحيّت ، وهئت بمعني تهيأت ،يقال جاء يهيئ كجاء تجئ ، إذا تهيأ وهيئت لك والاسم من صلة الفعل ، وأمّا في الأصوات فالبيان كأنّه قيل : لك أقول هذا كما تقول: هلمّ لك ،«معاذ الله»:

[1176] ـ انظر: الكشاف ،ج 1 ، ص 624 ـ 627 .

[1177] – سورة يوسف : الآيات 23-24.

أعوذ بالله معاذ «إنّه» أنّ الشأن والحديث ،«ربي» سيّدي ومالكي يريد قطفير «أحسن مثواي» : حين قال: لك أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم «إنّه لا يفلح الظالمون» الذين يجازون الحسن بالسيء، وقيل أراد الزّناة لأنهم ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لأنّه مسبب الأسباب «ولقد همّت به وهمّ بها ...» همّ بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال من الطويل :هممتُ ولم أفعلْ وكدتُ وليتنِي تركتُ على عثمانَ تبكي حلائله .

ومنه قولك: ولا أفعل ذلك ولا كيدا ولا همّا ، أي ولا أكاد أن أفعله كيدا ولا أهم بفعله همًا ، حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي إذا همّ بأمر أمضاه ولم ينكل عنه وقوله «ولقد همّت به» معناه: ولقد همّت لمخالطته «وهمّ بها» وهمّ بمخالطتها «لولا أن رأى برهان ربه» جوابه محذوف ، تقديره : لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأنّ قوله وهمّ بها يدل عليه كقولك هممت بفعله لولا أنّي خفت الله معناه، لولا أنّي خفت الله ، فإذا قلت: كيف جاز علي نبي الله أن يكون منه همّ بالمعصية وقصد إليها؟ قلت : المراد أنّ نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وخرمه ميلا يشبه الهمّ هو القصد إليه كما تقتضيه صورة ذلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم ، وهو يكسر ما به ويردّه بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ، ولو

لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى همّا لشدّته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع ، لأنّ استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدّته ، ولو كان همّه كهمّها عن عزيمة لما مدحه الله بأنّه من عباده المخلصين ، ويجوز أن يريد بقوله «وهمّ بها» : وشارف أن يهم بها ، كما يقول الرجل قتلته لولم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته ، كأنّه يشرع فيه ، فإذا قلت قوله : «وهمّ به» داخل تحت حكم القسم في قوله «ولقد همّت به» :أم هو خارج منه ، قلت الأمران جائزان ، ومن حق القارئ إذا قدّر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه أن يقف على قوله «ولقد همت به» و يبتدئ قوله: «وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه» وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمّين ، فإن قلت : لم جعلت جواب «لولا» فإنه يدل عليه «هم بها» وهلاّ جعلته هو الجواب مقدما؟ قلت : لأنّ، لولا لا يتقدم عليها جوابا من قبل أنّه في حكم الشرط ، وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزّه من الجملتين مثل كلمة واحدة ، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة وأمّا حذف بعضها إذا دلّ الدليل عليه فجائز فإن قلت :فلم جعلت«لولا» متعلقة بـ«همّ بها» وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله: «ولقد همّت به وهمّ بها» لأنّ الهمّ لا يتعلق بالجوهر ولكن بالمعاني ، فلا بدّ من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلاّ من اثنين معا ، فكأنّه قيل : ولقد همّا بالمخالطة لولا أن منع

مانع أحدهما؟ قلت : نعم ما قلت ولكنّ الله جاء بالهمّين علي سبيل التفصيل حيث قال «ولقد همّت به وهمّ بها» فإن كان إغفاله إلغاء له ، فوجب أن يكون التقدير ولقد همّت بمخالطته وهمّ بمخالطتها على أنّ المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها «لولا أن رأى برهان ربه» فترك التوصل إلى حظّه من الشهوة ، فلذلك كانت «لولا» حقيقة أن تعلق بـ«همّ بها» وحده ، وقد فسّر هم يوسف بأنّه حل الهيمان ،وجلس منها مجلس المجامع وبأنّه حل ثكةسروايله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية علي قفاها، وفسر البرهان بأنّه سمع صوتا :إيّاك وإيّاها فلم يكترث له ، فسمعه ثانيا فلم يعمل به ، فسمع ثالثا فأعرض عنها ، فلم ينجح فيه حتّى تمثّل له يعقوب عاضا على أنملته ، وقيل ضرب بيده في صدره ، فخرجت شهوته من أنامله ،وقيل كل ولد يعقوب ولد له اثنا عشر ولد إلاّ يوسف فإنّه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين هم ، وقيل: صيح به يوسف لا تكن كالطائر : كان له ريش فلمّا زني قعد لا ريش له ، وقيل: بدت كف فيما بينهما ليس لها عضة ولا معصم . مكتوب عليها «وإنّ عليكم لحافظين كراما كاتبين»«[1178]» فلم ينصرف ،ثمّ رأى فيها «ولا تقربوا الزنا إنّه

[1178] ـ سورة الانفطار : الآية 10

كان فاحشة وساء سبيلا»«[1179]» فلم ينته، ثمّ رأى منها «واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله»«[1180]» فلم ينجح فيه ، فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول : يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء؟ وقيل:رأى تمثال العزيز وقيل: قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحي منه أن يرانا ،فقال يوسف: استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع البصير العليم بذات الصدور وهذا ونحوه مما يورده أهل الجبر الذين دينهم بهت الله تعالي وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل. «[1181]»ولو وجدت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلّته وعلى نوح وعلى أيوب ، وذكرت توبتهم واستغفارهم ، كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصا، فعلم بالقطع أنّه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنّه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتّى استحق من الله الثناء، فما أنزل من كتب الأولين ،ثمّ في القرآن الذي هو حجة الله علي سائر كتبه ومصداق لها ، ولم

[1179] ـ سورة الإسراء : الآية 32

[1180] ـ سورة البقرة : الآية 281.

[1181] – انظر : نفيه لصفات الله تعالي التي يثبتها أهل السنة و وسمه لهم بالحشويةورميهم بالمجبّرة كما هو ديدن المعتزلة والجهمية وغيرهم ممن ينفون الصفات و تقريره لمبدأ المعتزلة بقول أهل العدل.

يقتصر علي استيفاء قصته وضرب صورة كاملة عليها ليجعلها لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده إبراهيم عليه السلام ، وليقتدي به الصالحون الي آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبيت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيراد ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله هذه السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية ، وحلّ ثكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه بثلاث كرّات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم والوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جامد في مربضه لا يتحلل ولا ينتهي ولا يتنبه حتّى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ،و لو أنّ أوقح الزناة وأشطرهم وأحدقهم حدقة وأصلحهم لقي بأدنى ما لقي نبي الله ممّا ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما أفحشه و من ضلال ما أبينه .«[1182]»

[1182]- انظر الكشاف : الزمخشري ، ج3 ، ص 267-270.

المبحث الثالث :منهج الإباضية في تناول القصص القرآني

المطلب الأول: التعريف بالمذهب الإباضي و نشأته

تنتسب فرقة الإباضية إلى عبد الله بن أباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، فوجّه إليه عبد الله بن محمد بن عطية، فقاتله بنبالة ،وقيل إنّ عبد الله بن يحي الإباضي كان رفيقا له في جميع أحواله وأقواله «[1183]» ويرى البعض أنّ عبد اللهب بن أباض تيمي النسب فهو من بن تيم اللات بن ثعلبة من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس آل مقاعس التميمي، كان من أهل العراق جاء إلى الإمام جابر بن زيد لأخذ العلم عنه، وكان يناظره في أموره وفي مهماته الدينية وفيما يأتي منها وما يذر «[1184]»

وقد كان مذهبهم ظاهرا في البصرة أولا ،ثمّ انتقل إلى عمان ومكنّوا لأنفسهم بإقامة دولتهم في المغرب، ليمتد وينتشر مذهبهم إلى بلاد اليمن وخرسان ،و بعض البلدان شبه العربية «[1185]»وفي زماننا الحاضر يتواجدون بكثرة في عمّان واودي ميزاب بالجزائر ،وجبال نفوسة بالأراضي الليبية وبعض المناطق التونسية و كذلك زنجبار.

[1183] ـ انظر : الملل والنحل ، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ،دط ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ،بيروت ، دار الفكر ، دت ، ص134 .

[1184] ـ طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي ، سالم بن محمود بن شامس السيابي ، دط ، عمّان ،طبعة وزارة الثقافة والتراث القومي ، 1400 هـ ـ 1980م ،ص 77.

[1185] ـ المصدر نفسه : ص 79 ـ 80 .

المطلب الثاني: عقائد الإباضية

يمكن إجمال عقائد الإباضية في الأمور الآتية:

- **أولا**: فيما يتعلق بالذات الإلهية

يرى الإباضية أنّ معرفة البارئ عزّ وجل واجبة بالعقل قبل الشرع فلمّا ورد الشرع أعلن إيجابها «[1186]»

- **ثانيا**: فيما يتعلق بصفات البارئ عزّ وجل

هل هي :هو، أم هي غيره؟ فمذهب الإباضية أنّ صفاته الذاتية هي ذاته لا شيء زائد عليه «[1187]»

وهم يقومون بتأويل آيات الصفات تنزيها للبارئ عز وجل في مشابهته للخلق حسب اعتقادهم فيرون أنّ معنى العين حفظه تعالى لعباده ويده عبارة عن القدرة، واستوائه على العرش قهره وغلبته وفي ذلك يقول أحد أئمتهم: «وذلك لا يخفى على أهل العلم أنّ الله عز وجل خاطبهم بلسانهم وحاورهم بما يرى بعقولهم، فهم يفهمون الخطاب من تعسر القراءة قبل التحقق لمحتوى الخطاب، ولما تقرر في الشريعة أنّ الله عزّ وجل مباين لمخلوقاته في الذات والصفات والأفعال لم يعد لهم وهم ألو جهل في شيء من وحي الله عزّ شأنه فإنّ صفات المخلوق تخالف صفات الخالق تبارك وتعالى فلا يرتبك الفهم مهما كان في معرفة اللسان، فلذا لما كان الأخذ ومراقبة الأشياء المبصرة بالعين و هكذا عند الله تبارك و تعالى عن معانيها في مثل ما اعتبر في نفس ما في الإنسان فقال:«ولتصنع على عيني»«[1188]» فالعين في حق الله عزّ وجل معروفة بأنّها حفظه واليد مفهومة في حقّه قدرته لما قد نما من استقرار الفهم بإستحاله صفة الإنسان أن تكون صفة الرحمان وهكذا بقية الصفات كالقبضية

[1186] ـ انظر : طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي، سالم بن حمود بن شامس السيابي ، ص 11.

[1187] ـ انظر دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، عبد اللّه الأمين ، ط 2 ، بيروت ، دار الحقيقة ، 1991 م، ص 347.

[1188] ـ سورة طه :الآية 39 .

والاستواء والمجيء و الجد والمكر والجنب فإنّ هذه عبارات يتخاطب بها البشر فيما بينهم فخاطبهم الله عز وجل فيما بينهم وإياه لاستقرار معانيها عندهم في حق الله فلا يذهبون بها إلى غيرها وقد علموا أنّ الله جلّت قدرته مباين لهم في كلّها كما وضع لهم في ذلك قوله: « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»«[1189]»

- **ثالثا**: رؤية البارئ عز وجل:

يقول الإباضية بنفي رؤية البارئ و ينكرونها وحجتهم في ذلك قوله تعالى:« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»«[1190]» وبقوله تعالى لموسى « لن تراني» «[1191]» وهي عندهم تقتضي التأبيد ولأنّ إثبات الرؤية يستلزم إثبات أعضاء للبارئ عز وجل كالجسم و في ذلك يقول أحدهم: « لا يخفى أنّ القول بالرؤية يهدم التوحيد من أساسه و يقضي عليه من أصله فالرؤية توجب الحادث والله منزه وتنبت التحيز، وتقرر الظرفية، وتحقق التلون، وتقضي بالجهة ونحو ذلك فهذه كلها قوادح في صحة الألوهية يتعالى الله عزّ وجل عنها، ولم تبق صفة من الصفات الإلهية ثابتة على أساسها ولا قائمة على قواعدها ،فالذي يرى لا يصلح أن يكون ربا، فإنّ الرؤية للمخلوقات،وربّ الأرض والسماوات منزّه، والتكييف لا يليق بجلال الله وعظمته وهو من لوازمها والتمييز للذات العلية غير ممكن، القائل بالرؤية مخطئ خطأ لا يغتفر .... يتوب إلى الله و يستغفره، وما ورد مثبتا لها فقد أنكره المسلمون وحكموا بوضعه فإنّ أصله دسائس اليهود لعنهم الله»«[1192]»

رابعا: القول بخلق القرآن

[1189] ـ سورة الشورى : الآية 11.

[1190] ـ سورة الأنعام : الآية 103.

[1191] ـ سورة الأعراف : الآية 143.

[1192] ـ انظر: طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي ، سالم بن حمود بن شامس السيابي ،ص 107.

عند المحققين من الاباضية إنّه مخلوق، إذ لا تخلو الأشياء إمّا أن تكون خالقة أومخلوقة، وهذا القرآن الذي بأيدينا نقرؤه مخلوق لا خالق لأنّه منزل ومتلو، وهو قول المعتزلة والعلم غير المعلوم «[1193]»

خامسا:إنكار الشفاعة

يرى الإباضية أنّ الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر ومن مات مصرا غير تائب، وإنّما الشفاعة لمن مات على صغيرة، وقد نسي ذنبا أن يتوب منه، أولزيادة درجته في الجنة، أولتحقيق الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة لقوله تعالى:« ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع»«[1194]» وقوله تعالى «ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى»«[1195]» وقوله عليه الصلاة و السلام**لعشيرته**« لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس ويا صفية ويا فاطمة لا يأتيني الناس بأعمالهم و تأتوني بأنسابكم»«[1196]»

وقال جابر بن زيد والله ما لأهل الكبائر من شفاعة ، لأنّ الله أوعد أهل الكبائر النار في كتابه، وإن جاء الحديث عن أنس بن مالك « أنّ الشفاعة لأهل الكبائر فو الله ما غني عن القتل والزنا والسحر وما أوعد الله عليه النار ،ويلزم من هذه المسألة والتي قبلها أنّ الإيمان قولهم بلا حق وهو باطل، وبهذا قالت المعتزلة. «[1197]»

- **سادسا:** اعتقادهم في مخالفيهم من أهل القبلة

نقل الإمام الشهرستاني عن عبد الله بن يحي الإباضي قال: «إنّ مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين، ومناكحتهم جائزة، ومصاهرتهم حلال، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السريانية غيلة إلاّ بعد نصب القتال، وإقامة

[1193] ـانظر : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، ص 348.

[1194] ـ سورة غافر : الآية 18.

[1195] ـ سورة الأنبياء: الآية 28.

[1196] ـ رواه مسلم : كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى « وأنذر عشيرتك الأقربين » ، ج 2 ، رقم 350 ، عن عائشة رضي الله عنها ـ بألفاظ متقاربة ـ ، ص 82 .

[1197] ـ انظر : دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة: عبد الله الأمين ، ص 384.

الحجة، وقالوا إنّ دار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلاّ معسكر السلطان فإنّه دار بغي. وأجازوا شهادة مخالفيهم على أوليائهم، وقالوا في مرتكبي الكبائر إنّهم موحدون لا مؤمنون».«[1198]»

- **سابعا:** موقفهم من الصحابة- رضوان الله عليهم-

يميل الإباضية إلى موالة العمرين-أبي بكر و عمر- رضي الله عنهما ـ ، بينما يقفون موقفا غير محمود أمام الخليفتين الباقيين عثمان وعلي، فيرون أنّ أبا بكر سار في خلافته على مقتضى النبوة و نهج القرآن ومات والناس راضون عنه، وكذلك الشأن في عمر-رضي الله عنه- فقد سار على نهج صاحبه من قبل وفي ذلك يقول أحدهم: في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنّه كان «عاملا بما جاءت به النبوة تابعا لأوامرها قائما بما قامت به الأمة محافظا لسيرتها، وبذلك لم يفقد من النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ شخصه الكريم ونزول الوحي»و كذلك القول في عمر حيث يقول آخر:« سار مسيرة صاحبه وأعطى القوس باريها وأجرى الأمور مجاريها».

أمّا عثمان رضي الله عنه فيرون أنّه و العياذ بالله انعكس على طريقة صاحبيه وسار على غير هداهما في ظنهم، وذلك أنه فتحت عليه خزائن الدنيا في حكمه وعهده وأنّه ابتدع أمورا خالفه فيها كثير من الناس حتّى قتلوه وأتى علي – رضي الله عنه- فهم يعتقدون إمامته بعد أن بايعه الناس و لما له من نسب وسبق إلى الإسلام، لكنّه بعد قبوله التحكيم سقط عن الإمامة« وانتقلت البيعة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الذي بايعوه بعد التحكيم»«[1199]»

وأمّا معاوية – رضي الله عنه- فهم يرون أنّه شق عصا الطاعة وخرج عن إمامه وفق جماعة المسلمين حتى قال قائلهم:« فخرج معاوية على علي وعلى المسلمين، بل خرج على الدين. لما كان علي بن أبي طالب إمام عامة ثبتت إمامته بإجماع خرج عليه يشق عصا المسلمين ،ولا يبالي بما يكون من

[1198] ـ انظر : الملل والنحل :الشهرستاني ، ص 134.

[1199] ـ انظر : طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي ، سالم بن حمود، ص 73.

خصام وما يكون من دماء تسفك على غير حق، بل خرج على الإمام يشق طريق الخصام ولا يبالي بسفك دماء المسلمين» .«[1200]»

ويرون أنّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ،وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام قد مكنوا بيعتهم لعلي رضي الله عنه و استنفروا الجيوش لمحاربته مطالبة بدم عثمان،ويبرؤون السيدة عائشة رضي الله عنها بعد توبتها وندمها من موقف الجمل.«[1201]»

المطلب الثالث: التفسير عند الاباضية

إذا ما جئنا نستطلع إنتاج الإباضية كفرقة من فرق الخوارج في المجال التفسيري ألفينا أنفسنا أمام إنتاج ضئيل،و قليل، وإن قلنا إنّه يكون شبه منعدم، إذ ما قارنا ذلك بالطوائف الأخرى كالشيعة والمعتزلة وقد نبّه إلى ذلك فضيلة الشيخ حسين الذهبي وأشار إلى أنّه قد جمعه لقاء مع أحد أئمة الإباضية في القاهرة واستفسره عن قلة إنتاج الإباضية في الميدان التفسيري فأجابه قائلا ومعترفا بأنّ جهدهم قليل ولم يصل تفسير مكتوب عن أئمتهم إلاّ ثلاثة تفاسير أحدها في القديم وهو تفسير هود بن محكم الهواري من أهل القرن الثالث الهجري، وتفسير هيمان الزاد لمحمد بن يوسف اطفيش من العصر الحديث وكذلك كتابه تيسير التفسير «[1202]»

ويعزوا الشيخ الذهبي ويرجع سبب قلتهم في المجال التفسيري «الخوارج عموما والإباضية خصوصا» أنّ ذلك عائد لأمور ثلاثة:

- كون أغلب الخوارج من عرب البادية فأهل البدو يعتبروا بعيدين عن التطور العلمي والديني و الاجتماعي.

- شغلهم الدائم بالحروب لإنشاء دولتهم وتقرير عقائدهم.

[1200]ـ انظر : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد الرومي، ج 1 ، ص 296.

[1201]ـ انظر: الحقيقة والمجاز ، ص 11 ـ 12.

[1202]ـ انظر : التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي، ج 2، ص 315ـ 316.

– إخلاصهم الكبير في العقائد جعلهم يتحرجون من القول في القرآن بغير علم مخافة الكذب .«[1203]» ، حتّى إنّ بعضهم سئل لم تفسر القرآن؟ فقال :كلما رأيت قوله تعالى « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثمّ لقطعنا منه الوتين».«[1204]» أحجمت عن التفسير»«[1205]»وبناء على هذا أحببت أن أقصر دراستي عن منهجهم في التعامل مع القصص القرآني على تفسيرين هما تفسير هود بن محكم الهواري. و تيسير التفسير لمحمد بن يوسف اطفيش

المطلب الرابع:منهج هود بن محكم الهواري في تناول القصص القرآني

الفرع الأول: التعريف بالمفسر:

هو هود بن محكم بن هود الهواري نسبة إلى قبيلة هوارة من قبائل البرانس البربرية، التي كانت قاطنة بإفريقيا والمغرب بالقرب من قبيلة نفوسة الليبية، ومن بطونها من أقام ببلاد الجريد بالقرب من الحدود الجزائرية التونسية وكذلك بالأوراس وهو موظف الشيخ هود بن محكم.

كان أبوه قاضيا في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب المتوفى سنة 258هـ، وفي كنف هذا القاضي نشأ الشيخ هود لكن الكثير من المصادر أغفلت ذكر سنة مولده لكن يقدر بعضهم ذلك بأنّه في العقد الأول، أو الثاني من القرن الثالث الهجري.

أخذ العلم عن والده بعد حفظه لكتاب الله و تفقهه في مجالس العلم و حلقات الدروس التي كانت تعقد بالمساجد في القرى الجبلية ،لكنّ المصادر لم تذكر شيوخه الذين أخذ عنهم العلم فالمصادر في

[1203] ـ انظر :التفسير والمفسرون، ج 2 ، ص 317.

[1204] ـ سورة الحاقة : الآيات 44 ـ 46

[1205] ـ انظر: التفسير والمفسرون : ج 2 ، ص 318.

ترجمته لا تذكر شيئا من ذلك ،كما لم تذكر كتب السيرة والتراجم سنة وفاته، ويقدرها البعض بأنها كانت في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري أي حوالي سنة ثمانين ومائتين .«[1206]»

الفرع الثاني: نماذج من تفسير هود بن محكم الهواري للقصص القرءاني

قال في تفسير قوله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾«[1207]» قال:« ذكر بعض المفسرين أنّ الشياطين ابتدعت كتابا فكتبت فيه سحرا وأمرا عظيما، ثمّ أفشته في الناس وعلّموهم إياه فبلغ ذلك سليمان فتتبع تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه كراهة أن يتعلمها الناس، فلمّا قبض الله سليمان عمدت الشياطين فاستخرجوهما من مكانهما وعلّموها الناس، وقالت: هذا علم كان يستأثر به ويكتمه، فعذر الله سليمان، وأخبر أنّ الشياطين هي التي كتبت تلك الكتب وقال:«واتبعو ما تتلوا الشياطين» أي: من الكهانة والسحر «على ملك سليمان» أي: وما كان ذلك عن مشورته ولا عن أمره، ولا عن رضا منه، و لكنه شيء افتعلته الشياطين دونه، ولكن الشياطين الذين افتعلوا ذلك هم الذين كفروا يعلمون الناس السحر. قال الكلبي:« إنّ سليمان كان أصاب ذنبا فأحبّ الله أن يجعل عقوبته في الدنيا، فابتلاه بما كان من أمر الشيطان الذي كان خلفه وذهب ملك سليمان، فلمّا انقضت المدة ونزلت رحمة الله عليه ألقى الله في نفس الناس استنكار الشيطان، فمشوا إلى آصف، أحد الثلاثة

[1206] ـ انظر: مقدمة تفسير كتاب الله العزيز : هود بن محكم الهواري ، ط 1 ، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي ، الجزائر ، دار البصائر ،1462 هـ ـ 2005م ، ج 1 ، ص 17 ـ 21.

[1207] ـ سورة البقرة : الآية 102.

خزّان بيت المقدس، فقالوا: يا آصف إنّا قد أنكرنا قضاء الملك وعلمه، فلا ندري أنكرت ما أنكرنا أم لم تنكر، فقال: نعم، ولكنّي سوف أدخل على نسائه فإن كنّ أنكرن منه مثل الذي أنكرنا فذلك أمر عمّ الناس، فاصبروا حتى يكشف الله عنكم، وإن لم ينكرن منه مثل الذي أنكرنا فهو أمر خصصنا به فادعوا لملككم بالصلاح والعافية ، فانطلق آصف فدخل على نسائه، فسألهن عنه،فقلن: إن كان هذا سليمان فقد هلكنا وهلكتم، فخرج آصف فدخل على نسائه فأخبرهم، فدعوا الله ربهم أن يكشف عنهم. فلمّا رأت الشياطين الذي فيه الناس من الغفلة كتبوا سحرا كثيرا على لسان آصف، ثمّ دفنوه في مصلى سليمان، وفي بيت خزانته وتحت كرسيه وضربوا عنه وفشا الاستنكار من الناس للشيطان وانقضت أيامه، ونزلت رحمة من الله لسليمان، فعمد الشيطان إلى الخاتم فألقاه في البحر، فأخذه حوت من حيتان البحر، وكان سليمان يؤاجر نفسه من أصحاب السفن، بنقل السمك من السفن إلى البر على أن له سمكتين كل يوم، فأخذ سليمان يوما سمكتين فباع إحداهما برغيفين، وشق بطن الأخرى. فجعل يغسلها فإذا هو بالخاتم، فأخذه والتفت إليه الملاّحون فعرفوه فأقبلوا إليه فسجدوا له، وتفسير السجود في يوسف فقال: ما أحمدكم الآن على السجود، ولا ألومكم على ما كنتم تفعلون، وذلك أنّه كان إذا أصابه الجهد استطعمهم وقال: أنا سليمان بن داود فيكذبونه ويستخفون به، فأقبل سليمان إلى ملكه فعرفه الناسواستبشروا به وأخبرهم أنّه إنما فعله به الشيطان، فاستغفر ربه«[1208]» فقال:« رب اغفرلي و هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب»«[1209]»

[1208] ـ انظر: تفسير هود بن محكم الهواري ، ج 1 ، ص 127 ـ 128 .

[1209] ـ سورة ص : الآية 35.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1210]

قوله:«واتل عليهم نبأ ابني آدم» أي خبر ابني آدم « إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنّك قال إنّما يتقبل الله من المتقين» قال الكلبي: كانت حواء تلد في كل بطن اثنين: غلام وجارية، فولدت في أول بطن قابيل ابن آدم و أخته وفي البطن الثاني هابيل وأخته، فلمّا أدركوا أمر آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل وهابيل أخت قابيل: فقال آدم لامرأته الذي أمر به فذكرته لابنيها، فرضي هابيل بالذي أمر به و سخط قابيل لأنّ أخته أحسنهما، فقال ما أمر الله بهذا قط

ولكن هذا عن أمرك يا آدم، قال آدم فقرّبا قربانكما فأيّكما كان أحق بها أنزل الله نارا من السماء فأكلت الغربان، فرضيا بذلك فعهد هابيل وكان صاحب ماشية إلى خيار غنمه وزبد و لبن، وكان قابيل زرّاعا فأخذ من سوء زرعه، ثمّ صعد الجبل وآدم معهما فوضعا القربان على الجبل ،فدعا آدم ربه، وقال قابيل في نفسه لا أدري أيقبل مني أم لا، لا ينكح هابيل أختي أبدا فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتجنبت قربان قابيل لأنّه لم يكن زاكي القلب فنزلوا من الجبل، فانطلق قابيل على هابيل و هو في غنمه فقال: لأقتلنك قال: لم قال: لأن الله تقبل منك و رد علي قرباني، وتنكح أختي الحسناء و أنكح أختك القبيحة، ويتحدث الناس بعد اليوم أنك خير مني، فقال له هابيل:«لئن بسطت إلي يديك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنّي أخاف الله رب العالمين» ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:« إنّ الله ضرب لكم ابني آدم مثلا فخذوا بخيرهما ودعوا شرهما»

ذكر بعضهم قال: كان من قبلكم إذا تقربوا بقربان فتقبل الله منهم نزلت عليه من السماء نار فأكلته، فإذا رد عليهم خلوا عنه فأكلته السباع و الطيور «إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك» أي

[1210] ـ سورة المائدة: الآيتان 27 ـ 28 .

تستوجب إثمي و إثمك « فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين»، وقال بعضهم: إني أريد أن تبوء بإثمي إن قتلتني، ولإثمك الذي مضى من قبل قتلي

قوله:« فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله» قال مجاهد فستمنعه نفسه، وقال غيره فزينت له نفسه قتل أخيه فقتله «فأصبح من الخاسرين»قال الحسن الذي خسروا الجنة، « فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال: يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوء أخي» قال الحسن :بعث الله غرابين فقتل أحدهما صاحبه، ثمّ جعل يحثّ عليه التراب وابن آدم ينظر فقال: «يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي»

ذكر بعضهم قال: كان غرابين فقتل أحدهما الآخر فجعل الحي يحثي على الميت وذلك يعني ابن آدم، قال الكلبي :وكان قتله عشية، وغدا إليه غدوة لينظر ما فعل فإذا بغراب حي يحثي التراب على الميت فقال: ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوء أخي كما يواري هذا الغراب سوءة أخيه فدعا بالويل،«فأصبح من النادمين»ذكروا عن السدي أنّه قال: ثلاثة لا يقبل الله منهم توبة أبدا إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه أوبن الخطيئة، ومن قتل نبيا.....».«[1211]»

قال في تفسير قوله تعالى:﴿ ۞وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾«[1212]»

[1211] ـ انظر : تفسير هود بن محكم الهواري ، ج 1 ، ص 116 ـ 117 .

[1212] ـ سورة هود : الآيات 61 ـ 63.

قوله:« وإلى ثمود» يقول: وأرسلنا إلى ثمود «أخاهم صالحا» على الكلام الأول في عاد «قال يا قومي اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض» أي :مبتدأ خلقكم من آدم، وخلق آدم من طين، فهو خلقكم من الأرض «واستعمركم فيها» قال مجاهد: أعمركم فيها وقال الحسن: جعلكم عمار الأرض، وهو واحد كقوله:«ويستخلفكم في الأرض» أي: بعد الماضين «فاستغفروه» أي من الشرك «ثمّ توبوا إليه» منه «إنّ ربي قريب مجيب» أي: قريب ممن دعاه مجيب لمن دعاه، ذكروا أنّ موسى عليه السلام قال: يا رب أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك، فأوحى الله إليه أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا دعاني ،«قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا» أي :كنّا نرجوا أن لا تستقسم آلهتنا ولا نعبد غيرها «أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا في شك مما تدعونا إليه مريب» أي :من الريبة

«قال يا قومي أرأيتم إن كنت على بينة من ربي» أي أمر بيّن،أي: من النبوة «وآتاني» وأعطاني «منه رحمة» أي: النبوة «فمن ينصرني من الله إن عصيته» فيقتضي منه، أي: لا أحد «فما تزيدونني غير تخسير» يعني أجبتكم إلى ما تدعونني إليه لم أزدد به إلا خسرانا.

«ويا قومي هذه ناقة الله لكم آية» وكانوا قوم صالح قد سألوه أن يأتيهم بآية فأتاهم بالناقة. قال:« فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء» أي: تعقروها.«فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب» فقالوا آية ذلك ماذا، فنعلم أنّك صادق، قال آية ذلك أنّ وجوهكم تصبح أول يوم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة،فلمّا كان ذلك عرفوا أنه العذاب، فتحنّطوا وتكفّنوا فلما أمسوا تلفّفوا في الأنطاع، ثمّ صبحهم العذاب في اليوم الرابع بالرجفة ذكر بعضهم قال: ذكر لنا صالحا حين أخبرهم أنّ العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع والأكسية، وأطلعوا وقيل لهم آية ذلك أن تصفر ألوانكم في أول يوم، ثمّ تحمر من الغد، ثمّ تسود في اليوم الثالث وإنّهم لما عقروا الناقة تدامرو وقالوا عليكم بالفصيل ،وصعد الفصيل القارة ،و القارة

الجبل، حتى إذا كان اليوم الثالث استقبل القبلة وقال: يا رب أمي يا رب أمي، فأرسلت عليهم الصيحة عند ذلك .....».«[1213]».

المطلب الرابع :الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجه في تناول القصص القرءاني من خلال تفسيره تيسير التفسير

الفرع الأول :التعريف بالمفسر وطريقته في تفسيره

هو محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح اطفيش الوهبي نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي، الزعيم الأول للخوارج الإباضي، وهو من وادي ميزاب بصحراء الجزائر من بلاد المغرب. «[1214]»

ولد سنة 1236هـ في بلدة يزقن في واد ميزاب بالجزائر«[1215]»،ونشأ بين قومه وعرف عندهم بالزهد والورع، واشتغل بالتدريس والتأليف، حتّى قيل إنّه لم ينم في ليلة أكثر من أربع ساعات ،وهو شاب لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وانكبّ على القراءة والتأليف ، وله من المؤلفات في شتى العلوم ما يربوا على الثلاث مئة مؤلف «[1216]» ولقد خلّف الشيخ اطفيش ثروة هائلة من المصنفات في مختلف العلوم، فقد عكف على التأليف والتصنيف منذ صباه ومما صنّف في التوحيد: شرح كتاب التوحيدللشيخ عيسى بن تبغورين فهو من أهم مؤلفاته في علم الكلام، ومن مصنفاته في الفقه وأصوله: شرح كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، وله في الحديث وفاء الضمانة بأداء الأمانة ،وفي النحو نظم المغنى لابن هشام الأنصاري، وفي الفقه شرح كتاب النيل.....«[1217]»

[1213]ـ انظر : تفسير هود بن محكم الهواري، ج 2 ، ص 232 ـ 233.

[1214]ـ انظر : التفسير والمفسرون : الذهبي ، ج 2، ص 913.

[1215]ـ انظر : اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد الرومي ج1، ص 314.

[1216]ـ انظر : التفسير والمفسرون : الذهبي ، ج 2، ص 319، وانظر : الأعلام للزركلي، ج 7 ، ص 157.

[1217]ـ انظر: الأعلام : الزركلي ،ج 2 ، ص 319.

توفي في 23 «[1218]» ربيع الثاني سنة 1332وله من العمر ست وتسعون سنة.«[1219]».

أمّا فيما يتعلق بملامح منهجه في تفسيره ، فإنّه قد وضع مقدمة لذلك ذكر فيها دوافع تصنيفه له ، وذلك أنّ بعض طلابه والمعجبين به من أبناء مذهبه ومعتقده قد استعصى عليهم تفسيره هيمان الزاد وذلك لطوله الكبير ، وكذلك الحال بالنسبة لتفسيره الموسوم بداعي العمل ليوم الأمل ، فدفعه هذا لوضع تفسير ثالث يسلك فيه مسلك التوسط حتّى يتسنى لأتباعه قراءاته ولندع الكلام له يخبر عن ذلك فقال :... أمّا بعد ، فإنّه لما تقاصرت الهمم عن أن تهيم بهيمان الزاد إلى دار المعاد الذي ألفته في صغر السن ، وتكاسلوا عن تفسيري داعي العمل ليوم الأمل ، أنشطت همتي إلى تفسير يغتبط ولا يمل ، فإن شاء الله قبله بفضله وأتمّه قبل الأجل ، وأنا مقتصر على حرف نافع ، ولمصحف عثمان تابع ، وأسأل ذا الجلال أن ينعم علي بالقبول ، والإكمال آمين»«[1220]» .

من خلال قراءاتي لبعض الأجزاء من تفسيره اتضح لي أنّه يسلك في تفسيره منهجا تحليليا حيث يشير للمعاني اللغوية ويتعرض لشرح مفردات الآية ، ثمّ ينص بعد ذلك على ما يتعلق بالآية من جوانب نحوية أو بلاغية أو عقدية ، أو فقهية ، أو ما يخص سبب النزول وقصص القرآن ، إلاّ أنّه لا يتبع هذا بشكل منهجي من حيث الرتبة ، ولكن حيثما وجد في الآية شيء من هذه المباحث نص عليه مباشرة ، كما أنّ الشيخ قد اعتمد على طرق التفسير المعروفة عند العلماء ، فكان يفسر الآيات بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبأقوال الصحابة والتابعين ، فمن بين تفسيره للقرآن بالقرآن تفسيره لقول الله تعالى :« يأيّها النبي حرض المؤمنين على القتال »«[1221]» قال

[1218]ـ انظر : معجم المؤلفين : رضا كحالة، ج 12، ص 133.

[1219]ـ انظر : التفسير والمفسرون، ج 2، ص 319.

[1220]ـ تيسير التفسير :محمد بن يوسف آطفيش، تحقيق إبراهيم بن محمد طلاي ، الجزائر غرادية ، المطبعة العربية ، 1417 هـ ـ 1996م ، ج 1 ، ص 1.

[1221]ـ سورة الأنفال : الآية 65.

«[1222]»: حثّهم «على القتال » قتال الكفرة أي أزل حرضهم ، وهو الإشراف على الهلاك بالقتال ، إذ لولميقاتلوا لأشرفوا عليه قال الله عزّ وجلّ: «حتّى تكون حرضا أو تكون من الهالكين »«[1223]»، ومن تفسيره للقرآن بالسنة تفسير قوله تعالى:« غير المغضوب عليهم ولا الضالين»«[1224]» بأنّهم اليهود والنصارى قال في ذلك«[1225]» :« المغضوب عليهم اليهود المخالفين لهما قال صلى الله عليه وسلم :«المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى»«[1226]» ومن تفسيره بأقوال الصحابة ما ذكره عن ابن عباس في تفسير قول الله تعالى:« فلمّا أخذتهم الرجفة»«[1227]» قال :« الزلزلة الشديدة ، قال ابن عباس ، لأنّهم لم يفارقوا قومهم حين عبدوا العجل فعقبوا بالرجفة ، قال ابن عباس ، هم غير السبعين الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقةوماتوا ...»«[1228]» ومن تفسيره للقرآن بأقوال التابعين تفسير قول الله تعالى :«وإذا تتلى عليه آياتنا قالوا قد سمعنا»«[1229]» قال : «قرآننا قالوا قال النضر بن الحارث عند مجاهد وابن جبير و الجمهور»«[1230]»، وفيما يتعلق بالإسرائيليات ، فإنّه كان كثير الإيراد منها فلا تخلوا آية من آيات القصص القرآني إلاّ ويورد فيها جملة منها دون التعقيب عليها وبيان زيفها إلاّ في القليل النادر، وإنّما يكتفي عند ذكرها ببيان أنّ هذا قصص ويسرد الرواية ، فمن غريب ما ذكر مثلا تفسيره لقول الله تعالى : «واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان»«[1231]»حيث أورد ما يذكره القصاص في شأن سيدنا سليمان من دفنه لكتب

[1222] ـ انظر: تيسير التفسير ، ج 5 ، ص 363 .

[1223] ـ سورة يوسف الآية 85

[1224] ـ سورة الفاتحة : الآية 7 .

[1225] ـ انظر: تيسير التفسير ، ج 1 ، ص 7 .

6ـ رواه الترمذي ، أبواب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الفاتحة ، رقم 4029 ،ج 4 ، ص 271 ، عن عدي بن حاتم.

[1227] ـ سورة الأعراف : الآية 155

[1228] ـ انظر : تيسير التفسير ، ج 5 ، ص 196.

[1229] ـ سورة الأنفال : الآية 31.

[1230] ـ انظر: تيسير التفسير ، ج 5 ، ص 316.

[1231] ـ سورة البقرة : الآية 102

السحر وشأن صخر المارد وشأن الخاتم الذي أخذه من زوجة سليمان وتسلطه في ملكه ، ومع ذلك فإنّه نفى أن يتسلط على نسائه ، ثمّ روي كذلك ما قيل في شأن الملكان اللذان تعجبا من ذنوب الناس وارتكباهم للمعاصي ، فأنزلهما الله إلى الأرض وركّب فيهما الشهوة فراواد امرأة حتىّ مكنتهما من نفسها فعذّبهما الله عذاب الدنيا فعلقا بأواب بابل إلى قيام الساعة ، وعلق على هذه الرواية بأنّها بعيدة ، ثمّ قال :« ولو أنّه ممكن »«[1232]» ومن الإسرائيليات التي نبّه عليها وضعفها ما ذكره في شأن سفينة نوح ، حيث قال :في قول الله تعالى :« فأنجيناه والذين معه في الفلك »«[1233]»« وطولها في الأرض : ألف ذراع ومئتا ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع وستون ذراعا ، وعرضها ثلاثمائة وثلاثون ذراعا ، أو طولها في السماء : ثلاث وثلاثون ذراعا ، أو طولها في الأرض : ثمانون أو في السماء ثلاثون، وعرضها خمسون والذراع من المنكب ، وهذا من الإسرائيليات ، وفي بعض ذلك بعد »«[1234]» ، والشيخ رحمه الله يستطرد في ذكر المسائل اللغوية والنحوية والصرفية ، بيد أنّه في المسائل النحوية والصرفية ، لم يكن كثير النقل عن النحويين ، على العكس من الجانب اللغوي الذي يبحث في معاني الألفاظ فكان ينقل عن اللغويين من أمثال الأصمعي والزجاج وابن قتيبة والأنباري ، وفيما يتعلق بالمسائل الفقهية فإنّه لم يكن مكتفيا بالمذهب الإباضي ، بل كان يعرض في المسألة الفقهية الوحدة مذاهب الفقهاء من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم ، في بعد ونأي عن التعصب للمذهب الإباضي، لكنّه في بعض الأحيان يدلل على راجحة مذهبة بأقوال بعض الأئمة الأربعة الموافقة لما عندهم فمن المسائل التي يورد فيها مذهبه مع أقوال المذاهب الأربعة ما ذكره في تفسير قول اللهتعالى :«ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر »«[1235]» قال :« وأجازت الحنفية دخول المشرك المسجد ، وكرّهته المالكية والحنابلة ، وحرّمه

[1232] ـ انظر: تيسير التفسير ،ج 1 ، ص 202 ـ 203 .

[1233] ـ سورة الأعراف : الآية 64 .

[1234] ـ انظر: تيسير التفسير ، ج 5 ، ص 93 .

[1235] ـ سورة التوبة : الآية 17 .

أصحابنا ،ولو أوصى مشرك لمسجد لم تقبل وصيته عند الحنفية وتنفذ عندنا »«[1236]» ،وفي جوانب العقيدة فإنّ الآية إذا كانت تشتمل على مبحث عقدي فإنّه ينص على ذلك ويبّنه بعنوان أصول الدين ، و قدقدّمت الكلام عن بعض معتقداتهم ، وهو في تفسيره كثيرا ما يشير إليها ، كما أنّه يورد آراء الفرقة الأخرى ويناقشها كالمعتزلة ، ولمزيد الدراية بمنهجه فلينظر إلى ما كتبه الدكتور فهد الرومي عن منهج الشيخ اطفيش في هيمان الزاد فإنّ تيسير التفسير يعد اختصار وتهذيبا له كما نص الشيخ بنفسه على ذلك .

الفرع الثاني: نماذج من تفسير الشيخ أطفيش للقصص القرآني من خلال كتابه تيسير التفسير

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِۚ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾«[1237]»

[1236] ـ انظر: تيسير التفسير ، ج 5 ، ص 415 .

[1237] ـ سورة يسن : الآيات 13 ـ 19.

قال – رحمه الله–:«واضرب لهم مثلا أصحاب القرية»عطف قصة على أخرى، وإنشاء على إخبار، أوعلى محذوف بلا فاء أي :أنذرهم واضرب لهم مثلا «وأصحاب» مفعول أول و «مثلا» مفعول ثان أي:اجعل أصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الإصرار على التكذيب

«لغة»:واضرب المثل تطبيق حال غريبة بحال مثلها في الغرابة كقوله تعالى:« ضرب الله مثلا للذين كفروا....»«[1238]» وقد يستعمل ضرب المثل بمعنى ذكر أمر غريب، ولوبلا تطبيق للآخر، أي واذكر لهم قصة غريبة كالمثل، والتقدير: واضرب لهم مثلا أصحاب القرية «وأصحاب» بدل من مثلا على حذف مضاف، كما رأيت ومن القسم الأول ما شبه مضربه بمورده، نحو الصيف ضيعت اللبن

والقرية أنطاكية، ويدل أيضا ظهور المعجزة على أيديهم، كإبراء الأكمه وإحياء الموتى كما في بعض الآثار، روي أنّ الاثنين أخذا البندقيتين من طين فجعلاهما في موضع العينيين من صبي ممسوح كالجبهة فصارتا له عينين يبصر بهما، وأنّ ابنا لدهقان مات منذ سبعة أيام، أخذ الملك ذقنه حتى يجيء أبوه من السفر فطلب الملك منهما أن يحييا، فأحياه بإذن الله تعالى، وقالا هل تفعل ذلك آلهتك؟ فقال: لا، فآمن هو وقوم من رعيته، ومن لم يؤمن مات بصيحة جبريل، وقيل كفر وعزم على قتلهما وقتل الثالث، ولما حيي ابن دهقان قال لهم: أحذركم من الإشراك فإنّي أدخلت في سبعة أودية من النار.

قلت:و ذلك مختص بالأنبياء أصالة وغالبا إلا أنّه يحتمل أنه كرامة لغير الأنبياء لا معجزة إذ لم يدّعوا الرسالة، وأنّهم فهموا أنّهم مبلّغون عن الله تعالى، وفهموا أنّهم يدعون الرسالة من الله تعالى فنفوها عنهم، وهم لم يدّعوها، وإنّما بلّغوا عن عيسى عليه السلام، أولما كان مرسلهم مدّعي الرسالة عاملوهم معاملة مدّعيها بنفيها عنهم، قصدا إلى نفيها عنه.

قيل: والاثنان يوحنا وبولس،أو تومان وبولس، أو شمعون ويوحنا، أو صادق وصدوق،وقال إليهم لا إليها ،لأنّ الإرسال إلى من يكلّف ويعقل لا إلى الجماد.

[1238]ـ سورة التحريم : الآية 10.

«إذ جاءها المرسلون» بدل اشتمال من أصحاب وليس ظرفا والمعنى واضرب لهم نفس وقت مجيء المرسلين إليها، أوظرف لبدل اشتمال محذوف من قرية والرابط« ها »في جاءها أي الحادث ، أوالواقع إذ جاءها المرسلون ، أوبدل كل من أصحاب بتقدير أصحاب القرية وها عائدة إلى قرية

ولم يقل: جاءهم بردّ الضمير إلى أصحابإيذانا بأنّ المرسلين جاؤوا أصحاب القرية وأصحاب القرية في القرية، ولم يلقوهم خارجها، ولو قال: جاءهم لاحتمل أنّهم جاءهم وهم في غيرها خارجا ويجوز ردّ الضمير إلى الأصحاب بتأويل الجماعة فيتبادر أنهم جاءوهم وهم فيها كذلك والمرسلون هم الحواريون أرسلهم عيسى حين أراد الله له الرّفع إلى السماء، وإنما أسند الله الإرسال إليه تعالى في قوله – تعالى– «إذ أرسلنا إليهم اثنين» لأنّه هو الذي أمر عيسى عليه السلام بإرسالهم، وقال ابن عباس وكعب «المرسلون» أنبياء الله أرسلهم إلينا تقوية لعيسى عليه السلام بنصره وتصديقه فيما يقول، قبل رفعه إلى السماء، كما أرسل هارون تقوية ونصرة لموسى عليهما السلام.

ويدلّ قولهم « ما أنتم إلاّ بشر مثلنا» فإنّه رد على من قال إنّا رسل من الله تعالى لا على من لم يقل ذلك مثل الحواريين وهو الظاهر من قوله عز وجل «إذ أرسلنا إليهم اثنين»

وأما قوله عز وجل :« فكذبوهما» فتابع لقوله إليهم، بخلاف المجيء فإنّه لا يخصّ بأن يكون إلى العاقل، وأصحاب تلك القرية يعبدون الأصنام «فعززنا»أي: عززّناهم، أي صيرناهما عزيزين قويّين «بثالث»شمعون الصفاء، أوسمعان، أو شلوم ، أوبولص بالصاد، أو بالسين.

«قصص» لما سجنا وجلدا مائتي جلدة أتى هذا الثالث، حتّى توصل إلى الملك و أنس به ، وكان يعبد الله بحضرة الصنم، فظنّ الملك أنّه يعبد الصنم فكلّم الملك فيهما، فقال: حال الغضب بيني وبينهما، فالآن أحضرهما فقالا: إنّا نعبد إلها واحدا قادرا لا صنما عاجزا عن إحياء ما مات، فصدقهما الثالث«فقالوا» الاثنان والثالث، والعطف على «عزّزنا» أو على «كذّبوا»

«إنّا إليكم مرسلون» قائله واحد والاثنان متفقان معه،والسكوت رضى وقبول ونصرة، ولاسيما أنّهما قد حضروا معا وهكذا قاعدة تكلم الجماعة،فإنّه ليس بتكلم كل واحد، بل واحد مع اتفاق الباقين،

وكذا في قوله تعالى: «قالوا» أي أصحاب القرية للثلاثة «ما أنتم إلا بشر مثلنا»لا مزية لكم تختصون لأجلها بالرسالة من الله تعالى، أوبالمجيء بما جئتم « وما أنزل الرحمان» على أحد «من شيء»تدعوننا عليه، فهم مقرّون بالله وسمّوه الرحمن إشارة إلى أنّه عظيم الرحمة وكثيرها لا يحتاج إلى عبادتنا، ولا تضره أفعالنا، فهو يرحم من لا يعبده، وإنّما نعبد من الأصنام لتعيننا على مصالحنا وهي محتاجة ، ولذكرهم الرحمن علمنا أنّه لم يصح ما قيل: إنّهم قالوا: لا نعرف إلها غير أصنامنا وعلى صحته، فالمعنى: لا نعرف إله يحتاج للعبادة، والرحمن موجود لا يحتاج إليها.

قلت: ويبعد ما قيل لفظ الرحمن من كلام الله لا من كلامهم، وعن المعنى ما أنزل الله الذي تدعون وجوده شيئا، و إنّه ذكر لفظ الرحمن لحلمه وجلبهم إليه، وصرّحوا بمضمون قولهم: «ما أنتم» إلى «من شيء» في قولهم «إن أنتم إلا تكذبون» ولم يقل كاذبون: للدلالة على تجدّد الكذب واستمراره «قالوا»: أي هؤلاء المرسلون لهم أنبياء، أوغير أنبياء، قولان «ربنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون» منه والاستشهاد بعلم الله جار مجرى القسم في التأكيد والجواب، وأكدّوا أيضا بالجملتين الاسميتين وبإنّ و اللام.»«[1239]»

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ «[1240]»

قال الشيخ اطفيش –رحمه الله– «ألم تعلم يا محمد أومن يصلح للخطاب ما فعل ربك بهم من العذاب؟ وبثمود وفرعون لكفرهم، فليخف قومك تعذيبا مثله على كفرهم، وهم أبناء عاد بن عيص. أوعاص أوعوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم

«بلاغة» ومثل هذا حقيقة عرفية خاصة لا مجاز على الصحيح، لأنّه يقال بلا اعتبار علاقة

[1239] ـ تيسير التفسير : ج 12 ، ص 19 ـ 22.

[1240] ـ سورة الفجر : الآيات 6 ـ 14.

وملاحظة قريبة، وإنّما التجوز في التسمية الأولى قبل أن تشيع، وكذا تسميتهم إرم، اسم جدهم في الأصل، أوأبيهم عاد ،أوأمهم

«نحو»وصرّف باعتبار القوم أوالحي، أولكون وسطه كهند، ولو اعتبر معنى القبيلة، والجملة مفعول {ترى} علّق عنها بالاستفهام التعجبي

«نحو»إرم بدل عاد لا عطف بيان، لأنّهم عرفوا بعاد أكثر ما عرفوا بإرم، ومنع الصرف للعلمية

وتأنيث القبيلة، وقدر بعضهم: سبط إرم، وجعلاسما للقبلة فمنع لتأنيث القبيلة، وقيل: إرم لفظ أعجمي فمنع الصرف للعلمية والعجمة، وقيل إرم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح، وعن الكلبي:إرم هو الذي يجتمع إليه نسب عاد و ثمود وأهل السواد وأهل الجزيرة، وكان يقال: عاد إرم

و ثمود إرم ، فأهلك عادا وثمود، وأبقى أهل السواد و أهل الجزيرة،وقيل: إرم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك، وكانوا بمهرة موضع باليمن، وعاد أبوهم، وقيل المتقدمون من قوم عاد يسمون بإرم اسم جدهم.

«ذات العماد»: نعت لإرم، فإرم مؤنث والعماد القدود الطوال، على تشبيه قاماتهم بالأعمدة، ورجل معمد: طويل القامة، فقيل طول الواحد اثنا عشر ذراعا وأكثر وأطولهم أربع مئة ذراع، وهذا تفاوت عظيم عجيب وكان أحدهم يأخذ الصخرة العظيمة فيلقيها على الحي فيقتلهم، وعن ابن عباس: «العماد» الخيام والأعمدة، أهل بدو في الربيع، وإذا يبس النبت رجعوا إلى منازلهم، وهي منازل جنان وزروع بوادي القرى، وعاد هم الذين قالوا «من أشد منا قوة»«[1241]»،وقيل :هم بدويون دائما يحلون ويرتحلون، وقيل العماد الرفعة، أوالوقار، أوالثبات وطول العمر «التي لم يخلق مثلها في البلاد» لم يخلق مثل تلك القبيلة طولا وقوة في موضع من الدنيا، كأنّه قيل: لم يخلق مثل أجسامهم في الأرض، فالكلام على أجسامهم لا على البيان، وقيل: إرم اسم مدينة هي الإسكندرية وعليه محمد بن كعب، وقيل عن سعيد بن المسبب: دمشق، ويردهما أنّهما ليستا بلاد رمل وأحقاف ،

[1241]ـ سورة فصلت : الآية 15.

وقد قال الله عز وجل «واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف»«[1242]» إلاّ أن يقال ما هنا عاد الأولى، وما في الأحقاف عاد الآخرة، واختلفت منازلها،وقيل: مدينة بين عمان وحضر موت ذات رمال وأحقاف، فإذا كان إرم اسم مدينة، وقيل اسم أرضهم، وقيل مدينة عظيمة في اليمن ردّ الكلام إلى الأجسام بتقدير مضاف، أي أهل إرم،أوإلى البنيان، أي ألم تر كيف فعل ربك ببلاد عاد، أومدينة عاد، أو أرض عاد

«قصص»:وكان لعاد ابنان شداد وشديد ملكا الدنيا ومات شديد وخلص الأمر لشداد، وسمع بذكر الجنة فبنى ي مدينة في زعمه مثل الجنة في بعض الصحاري عدن، في ثلاثمائة سنة، وعمره تسعمائة سنة، قصورها وغرفها من الذهب والفضة،وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطردة، ولما تمّ بناؤها أقام في التجهز إليها عشر سنين، فسار إليها بأهل مملكته، ولما كان بينهم وبينها مسير يوم و ليلة بعث الله عليهم الصيحة فهلكوا كذا قيل، وهو كلام موضوع كما قال ابن حجر.

«قصص»وعن عبد الله بن قلابة أنّه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فوجدها مبنية بالذهب والفضة و الياقوت، وأنواع الجواهر والعيون، والشجر المثمر في أزقتها مفروشة بذلك وبالمسك فحمل ما قدر عليه مما فيها، فاستحضره معاوية فقص عليه، فبعث إلى كعب فسأله فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك، أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال، يخرج في طلب إبل له، ثمّ التفت فأبصر ابن قلابة فقال: والله ذاك الرجل، وهو كلام موضوع

وثمود قبيلة سميت باسم جدهم ثمود هم أخي جديس، وثمود وجد يس هما ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهم عرب عاربة، يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك، يعبدون الأصنام، ومنع الصرف للعلمية، وتأنيث القبيلة من الثمد، وهو الماء القليل الذي لا مدد له، وثمدنه النساء قطعن ماءه لكثرة وطئه، و ثمد السائلون ماله، وليس لفظا عجميا كما قيل «الذين جابوا الصخر

[1242]ـ سورة الأحقاف: الآية21.

بالواد»قطعوا الصخر في واد القرى وبنوا به بيوتا، أويقطعون الصخر، ويحلون محلها في الجبال بيوتا، قال الله عز وجل:« و تنحتون الجبال بيوتا»«[1243]»وهم أوّل من نحت الحجر والرخام، ويقال: بنوا بالحجارة ألفا وسبعمائة مدينة. وقيل الباء للسببية أوللآلة لجعلهم إيّاه محلا لمائهم» «[1244]».

المبحث الرابع :الاتجاه الصوفي و منهجه في تناول القصص القرآني

المطلب الأول: مفهوم التصوف و نشأته و تطوره

الفرع الأول : مفهوم التصوف

اختلف كثير من الباحثين والدّراسين في أصل التصوف وحقيقة هذه الكلمة التي اشتق منها، فأوّل ما يعتري الباحث عنهم من صعوبات هو الاختلاف في أصل هذه التسمية.

قال عبد الحليم محمود:«... أمّا أصل هذه الكلمة صوفي فقد اختلف فيها اختلافا كبيرا، و وضعت فروض متعددة و ليس بعضها بأولى من بعض و كلها غير مقبولة ... هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة فيقال رجل صوفي و للجماعة صوفية و من يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف، و ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس و لاشتقاق و الأظهر فيه أنّه كاللقب، فأمّا قول من قال إنّه من الصوف و تصوف إذا لبس الصوف، كما يقال تقمص إذا لبس القميص فذلك وجه، ولكنّ القوم لم يختصوا بلبس الصوف، ومن قال: إنهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة إلى الصفة لا تجئ على نحو الصوفي، و من قال: إنه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من

[1243] ـ سورة الشعراء : الآية 149.

[1244] ـتيسير التفسير : ج 16 ، ص 205 ـ 206.

الصفاء بعيد في مقتضي اللغة، و قول من قال إنّه مشتق من الصف فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى، ولكنّ اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف» «[1245]»

لقد وضع أتباع هذا الاتجاه عدة تعريفات لمعنى التصوف وفي ذلك يقول عبد الحليم محمود:«ولقد عبروا عن ذلك في صراحة لا لبس فيها، و في وضوح لا غموض فيه و نبدأ بذكر أقوالهم في تعريف التصوف...«[1246]»

«الصوفي من صفا قلبه» وهذا التعريف ينسب للإمام بشر الحافي

الصوفي:« من صفّى ربه قلبه فامتلأ قلبه نورا، و من حلّ في عين اللذة بذكر الله» و هذا التعريف ينسب لأبي سعيد الخزّار.

وقيل التصوف: «تصفية القلوب حتى لا يغادرها ضعفها الذاتي، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، و مجانبة نزوات النفس، ومنازلات الصفات الروحية، والتعلق بعلوم الحقيقة، وعمل كل ما هو خير إلى الأبد، و النصح الخالص لجميع الأمة و الإخلاص في مراعاة الحقيقة و اتباع النبي صلى الله عليه في الشريعة» و هذا التعريف منسوب للجنيد«[1247]».

[1245] – حقيقة التصوف: عبد الحليم محمود، ط2، مصر، دار المعارف، دت، ص 350.

[1246] – حقيقة التصوف :عبد الحليم محمود ،ص 436

[1247] – المصدر نفسه: ص 436 – 437

الفرع الثاني: الثاني: نشأته و تطوره

لقد اختلف الباحثون في منشأ التصوف كما اختلفوا في أصل هذه الكلمة ومصدرها الحقيقي الذي اشتقت منه، فيذهب البعض منهم إلى أنّ أصوله صينية أو هندية، و بعض يراها أنها من أصول يونانية أو فارسية، و بعض يرى أنّ أفكار التصوف استقيت من تعاليم النصارى و من طقوس رهبانهم و رجال دينهم، و بعض يرى أنّ التصوف وتعاليمه من الإسلام«[1248]»

ويرى شيخ الإسلام ابن تيميه أنّ منشأ التصوف كان من البصرة وأنّه كان فيها من يسلك طريق العبادة و الزهد، مما له فيه اجتهاد، كما كان في الكوفة من يسلك طريق الفقه و العلم ما له فيه اجتهاد و هؤلاء نسبوا إلى اللبسة الظاهرة، وهي لباس الصوف، فقيل في أحدهم صوفي، و ليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف، و لا هم أوجبوا ذلك و لا عللوا الأمر به، لكن أضيفوا إليه لكونه ظاهر الحال.«[1249]».

و يحدثنا ابن الجوزي – رحمه الله – عن أول ظهور لهذا الاسم و بيان المراد منه عند أصحابه، ثمّ بيان كيفية الغلو التي حدثت في الأتباع من بعدهم كلما تقادم عهد و تدافع جيل بعد جيل ،و ذاك أنه لبّس عليهم في كثير من أمور الدين حتى وصلت ببعضهم إلى قائد الكفر والعياذ بالله،«وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها أنّ التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة، وحمله على

[1248] – انظر: الصوفية في نظر الاسلام: سميح عاطف الزين، ط، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1405 هـ، ص 30

[1249] ـ انظر : مجموع الفتاوى ، ج 11 ، ص 6 ـ 7.

الأخلاق الجميلة من الزهد ،والحلم و الصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال والحسنة التي تكسب المدائح في الدنياوالثواب في الأخرى، و على هذا كان أوائل القوم، فلبّس إبليس عليهم في أشياء، ثمّ لبّس من بعدهم من تابعيهم، فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن الثاني، فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن، وكان أصل تلبيسه عليهم أن صدهم عن العلم، وأراهم أنّ المقصود العمل، فلمّا أطفأ مصباح العلم عندهم، تخبطوا في الظلمات، فمنهم من أراه أنّ المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة، فرفضوا ما يصلح أبدانهم و شبهوا المال بالعقارب، ثمّ جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر و الوسواس والخطرات وصنفوا في ذلك، مثل الحارث المحاسبي، و جاء آخرون فهذّبوا مذهب التصوف، و أفردوه بصفات و ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسمع و الوجد و الرقص، و التصفيق ... ثمّ مازال الأمراء،و الأشياخ يضعون لهم أوضاعا، و يتكلمون بواقعاتهم، و يتوق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ما فيه أو في العلوم حتّى سموه العلم الباطن، و جعلوا علم الشريعة العلم الظاهر، و منهم من نزح به الجوع إلى الخيلات الفاسدة فادّعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنّهم تحايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به و هؤلاء بين الكفر و البدعة، ثمّ تشعبت بأقوام منهم الطرق، ففسدت عقائدهم، فمن هؤلاء من قال بالحلول و منهم من قال بالاتحاد»«[1250]»، و قد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن انتساب بعض المبتدعة إليهم فقال: «و قد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع و الزندقة و لكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم، كالحلاّج مثلا فإنّ أكثر مشايخ الطريق أنكروه، و أخرجوه عن الطريق مثل الجنيد بن محمد سيد الطائفة، و غيره كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمان السلمي في طبقات

[1250] –: تلبيس إبليس ، د ط ، بيروت ـ لبنان ، دار الرائد العربي ،دت ، ص 163 ـ 164.

الصوفية، و ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد«[1251]»، ويرى الكثير أنّ سبب انحراف الصوفية عن تعاليم الإسلام و هذا يكمن في عزوفهم عن تعاطي العلم، و بعدهم عنه، فالجهل هو السبب الرئيس في سلوكهم لهذه المسالك المنحرفة، كما يؤكد البعض أنّ فشوّ هذا الاتجاه و انتشاره في أمة الإسلام إنّما كان بإيعاز من أعداء الإسلام الذين قدّموا لهم المساعدات التي من خلالها يبثون أفكارهم، فالصوفية بمبادئها وأفكارها كانت ممهدة السبيل و معبدة الطريق لأعداء الإسلام في الاستيلاء على ديار المسلمين، وذاك بدعوى أصحابها إلى الزهد و الانطواء و العكوف على إصلاح النفس و الاشتغال بتزكية القلوب فحسب – دون اهتمام بأمور الجهاد و منازعة الحكام ،فكان لها أكبر الأثر على الانهزام الفكري لدى المسلمين الذي جرّ إلى الحال الذي نعيش ولا حول ولا قوة إلا بالله»«[1252]»

المطلب الثاني : منهج الصوفية في التفسير

إنّ التصوف في الحقيقة عند علماء الاعتقاد قسمان:

تصوف نظري فلسفي: وهو التصوف الذي يقوم على دراسات و أبحاث فلسفية، وقد تطور هذا النوع وأدى بأكثر أصحابه إلى الإلحاد والخروج عن الإسلام بما أوردوه من اصطلاحات وعبارات تخالف الإسلام من أصوله ،وهو إلحاد فكري.

[1251] – انظر: مجموع الفتاوى: ج11،ص 18 .

[1252] – انظر: تأويل القرآن الكريم و مذاهب الفرق فيه، محمد بديع موسى، ط1، الأردن، دار الإعلام، 1429، 2008م، ص 477.

الثاني: تصوف عملي وهو القائم على التقشف والزهد والتفاني في الطاعة ،وقد أدى هذا القسم بطائفة كبيرة من المنتسبين إليه إلى أمور شركية من اتخاذ الأولياء و عبادة القبور اتخاذ الشكايا

ومجالس الذكر فكثر فيهم المشعوذون والدجالون و اتخذوا بعض الاصطلاحات و ضموها أسرارا و مكنونات لا يكشفها ولا يديريها إلاّ أصحاب المقامات ،وفسّروا على ضوءها آيات القرآن الكريم«[1253]».وبناء على هذا التقسيم فإنّ التفسير الصوفي ينقسم على قسمين:

الفرع الأول: التفسير الصوفي النظري:

ويمثل أقطاب هذا الاتجاه و معالمه ابن العربي ومن نحى منحاه من المتصوفة ،و هؤلاء قد بنو تصوفهم على مباحث فلسفة محضة ،و لذلك تأولوا نصوص القرآن وآياته بشكل فلسفي محض لأنّ آيات القرآن في الحقيقة لا تتفق مع النظريات الفلسفية التي يتبناها هؤلاء ،فلذلك يحرصون أن تتماشى تعاليمهم ونظرياتهم مع نصوص القرآن ،و يجتهدون اجتهاد بالغا لكي لا يحصل تعارض ،وفي ذاك يقول الدكتور محمد حسين الذهبي – رحمه الله – :«... غير أنّ الصوفي حرصا منه أن تسلم له تعاليمه و نظرياته يحاول أن يجد في القرآن ما يشهد له، أو يستند إليه، فتراه من أجل هذا يتعسف في فهمه للآيات القرآنية، و يشرحها شرحا يخرج بها عن ظاهرها الذي يؤيده الشرع وتشهد له اللغة»«[1254]»، ويقوم التفسير الفلسفي النظري على عدة أسس و مقومات يأتي في مقدمتها.

[1253] – انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي ،ج 1 ،ص 366.

[1254] – انظر: التفسير و المفسرون: ج2، ص 252.

1) القول بوحدة الوجود: وأول من طبق هذه النظرية من المتصوفة ابن عربي فيقوم بشرح الآيات على وفق هذه النظرية، حتّى إنه يخرج بالآية عن مدلولها الذي أراد الله تعالى«[1255]»،و من أراد الوقوف على ذلك فليرجع إلى كتابة النصوص والفتوحات المكية.

2) قياس الغائب على الشاهد: وذلك بفهم النصوص فهم خياليا منتزعا من المشاهد المحسوس«[1256]»

3) التفريق بين الحقيقة والشريعة«[1257]»

4) نظريات المقامات و هي أنّللنّفس البشرية مقامات ترقى من واحدة منها إلى أخرى، حتى تتصل بالملأ الأعلى مصدر المعرفة ومعانيها«[1258]»وهذا الاتجاه التفسيري القائم على هذه الأسس والدعائم لا يجوز قبوله بأي وجه من الوجوه يقول الدكتور محمد حسين الذهبي – رحمه الله – :«هذا هو رأينا في التفسير الصوفي النظري، فليس لدينا من المعاذير ما نستطيع أن نلتمسه للقوم حتّى نصحح لهم مثل هذا التفسير الذي يقوم على نظريات فاسدة تذهب بالدين من أساسه، و إذا صح و ما أراني أرتضى ذلك أن نغض الطرف عمّا قالوه في التفسير من بيان لحقائق الموجودات علويها وسفليها، وحقائق الملائكة والروح والعرش، والكرسي وأمثال ذلك فلا يصح أن نغض الطرف بحال ممّا قالوه من التفسير المبنى على وحدة الوجود ،و إذا أمكننا أن نتسامح في بعض عبرات شديدة

[1255] – المصدر نفسه : ج2، ص 253.

[1256] – المصدر نفسه: ج2، ص 254.

[1257] – الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث: عادل بن علي الشدي، ط1، الرياض، 2010-1431 م، ص 62-63.

[1258] – الاتجاهات المنحرفة في العصر الحديث : عادل الشدي ص 63 .

جرى بها لسان صوفي في أخذه الوجد، وارتفع به الحال وغاب عن نفسه فلم ير إلى الله أنا الحق، أو أنا الله فليس في مقدورنا أن نتسامح في مثل هذه التفاسير التي جرت بها ألسنة القوم ...»«[1259]».

الفرع الثاني: التفسير الصوفي أو الإشاري :

تعريفه : هو تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك و يمكن الجمع بينها و بين الظاهر المراد أيضا«[1260]»، وقد وضع العلماء ضوابط للتفريق بين التفسير الصوفي والنظري و التفسير الصوفي الإشارة و ذلك فيما يلي:

أولا: أنّ التفسير الصوفي النظري يبنى على مقدمات علمية تتقدم في ذهن الصوفي أولا، ثمّ ينزل القرآن عليها.أمّا التفسير الإشاري فلا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة يتمكن له فيها من سجعه العبارات هذه الإشارات القدسية ....

ثانيا: يرى صاحب التفسير النظري أن تفسيره يحتمل الآية كلها ولي و راءه معنى آخر أن تحمل الآية عليه، أمّا التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنّه كل ما يراد من الآية، بل يرى أنّ هناك معنى آخر تحتمله الآية ويراد منها أولا وقبل كل شيء، وذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل

[1259] – انظر: التفسير و المفسرون: ج2، ص 259 – 260 .

[1260] – انظر: اتجاهات التفسير: فهد الرومي- ج1، ص 367/ و انظر: التفسيرو والمفسرون: ج2، ص 261.

غيره«[1261]» ،ولقد اختلف العلماء في مشروعية هذا النوع من التفسير واختلف العلماء بين مؤيد له و معارض ولكلّ واحد منهم دليله و لنعرض لرأي الفريقين.

أ) أدلة المؤيدين استدلوا بجواز هذا النوع من التفسير بجمعة من الأدلة:

قوله صلى الله عليه وسلم: «لكل آية ظهر و باطن و لكل حرف حد ولكل حد مطلع»«[1262]»

قوله صلى الله عليه و سلم في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنه –:«أنّ عمرا كان يدخلني مع أشياخ بدر وفيه أنّ عمر قال ما تقولون في قوله تعالى: «إذا جاء نصر الله والفتح»فقال :بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، ومكث بعضهم فلم يقل شيئا، فقال: لي أكدا تقول: يا ابن عباس؟ فقلت لا، قال فما تقول: قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال إذا جاء نصر الله و الفتح و ذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنّه كان توابا فقال: ابن عمر لاأعلم منها إلا ما تقول»«[1263]» و يجاب عن هذا الدليل بالتالي:

[1261] – انظر: التفسير و المفسرون: ج2، ص 261.

[1262] – انظر : جامع البيان في تأويل القرآن : ابن جرير الطبري ، باب القول في اللغة التي نزل بها القرآن من لغات العرب ، ج 1 ، ص 9 ، عن عبد الله بن مسعود.

[1263] – رواه البخاري : كتاب تفسير القرآن ، سورة الفتح ، باب «فسبح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توابا» ، رقم 4970 ، ج 3 ، ص 1280.

1-أنّ النبي صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال:« اللهم فقه في الدين وعلمه من التأويل»«[1264]»و هذا يعطيه ميزة ليست لغيره من بقية الصحابة في التفسير ولا لغيرهم ممن جاء بعدهم، فلا يسوغ حينئذ قياس قول المفسر الصوفي أيا كانت منزلته على قول ابن عباس

2- أنّ ابن عباس لم ينفرد بهذا الفهم وحده، بل وافقه عمر رضي الله عنه فدلّ ذلك على أنّ المسألة معروفة عند بعض الصحابة و ليست إشارة خاصة طرأت على ذهن ابن عباس على وجه الخطور بالبال.

3- أنّ فهم ابن عباس لم يأت مخالفا لنص الآية، ولا لظاهر اللغة، فالنبي مرسل لغاية وهو التبليغ والدعوة، فإذا جاء نصر الله و الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد تحققت الغاية من حياته صلى الله عليه وسلم، ومعنى ذلك أنّه قد اقترب أجله، و يؤيده قوله:« فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا» حيث يكون التوبة و الاستغفار غالبا في نهاية الأعمال«[1265]»

أقوال بعض العلماء في التفسير الإشاري:

قول الإمام الزركشي – رحمه الله –: «كلام الصوفية في تفسير القرآن قيل إنّه ليس تفسير وإنما هو معان و مواجيد يجدونها عند الولاة»«[1266]»

[1264] – رواه البخاري : كتاب المناقب ، باب ذكر عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ، رقم 3567، ج 2 ، ص 917 ، عن عبد الله بن عباس

[1265] – انظر: الاتجاهات المنحرفة في العصر الحديث: عادل بن علي الشدي، ص 69.

[1266] – انظر: البرهان في علوم القرءان ، ج 2 ، ص 170 .

وقال الإمام ابن الصلاح – رحمه الله – عندما سئل عن كلام الصوفية في القرآن «وجدت عن الإمام الحسن الواحدي المفسر أنّه قال: صنّف أبو عبد الرحمان السلمي حقائق التفسير، فإن كان قد اعتقد أنّ ذلك تفسير فقد كفر، قال ابن الصلاح و أنا أقول الظن بمن يوثق به منهم أنّه إذا قال شيئا من أمثال ذلك أنّه لم يذكره تفسيرا، ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم فإنّه لو كان كذلك قد سلكوا مسلك الباطنية، وإنّما ذلك نظير منهم لما ورد به القرآن، فإنّ النظير يذكر بالنظير ،ثمّ قال: و مع ذلك فليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإلباس و الإيهام»«[1267]» ،وقال النسفي – رحمه الله –: «النصوص على ظواهرها و العدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطل: إلحاد»«[1268]»و علّق على قوله التفتازاني – رحمه الله – «سميت الملاحدة باطنية لإدعائهم أنّ النصوص ليست على ظواهرها، و مع ذلك فقيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التطبيقبينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الإيمان و محض المعرفان»«[1269]» ،و لقبول هذا النوع من التفسير وضع العلماء له عدة شروط مجملها أربعة أوخمسة

1) أن لا يتنافى وظاهر النظم القرآني الكريم

2) أن يكون له شاهد شرعي يؤيده

[1267] ـ انظر: فتاوى ابن الصلاح :دط ، القاهرة ، دارالحديث ، 1482 ـ 2007 م، ص 80 ـ 81

[1268] ـ انظر: شرح العقائد النسفية : السعد مسعود بن عمر التفتازني ، دط ، تحقيق كلورد سلامة ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1974 م ، ص 191.

[1269] ـ المصدر نفسه ، ص 192.

3) أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي

4) أن لا يدعى أنّ التفسير الإشاري هو المراد وحد دون الظاهر«[1270]»

5) أن يكون بينه و بين معنى الآية ارتباط و تلازم«[1271]».

وظهر التصنيف في هذا النوع من التفسير مبكرا ،لكنّ العلماء كانوا متفاوتين فيه فمنهم من جعله مقصده وصرف همته إليه ،و منهم من أشار إليه في معرض تفسيره إشارات خفيفة، والبعض الآخر أشار إشارات كبيرة.

ومن أهم هذه المؤلفات قديما وحديثا:

1) تفسير القرآن العظيم: لسهل التستري

2) حقائق التفسير لأبي عبد الرحمان السلمي

3) تفسير ابن عجيبة البحر المديد

4) روح البيان: الألوسي

5) ضياء الأكوان في تفسير القرآن أحمد سعد الدقاء«[1272]»

[1270] – انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد الرومي ،ج1، ص 374.

[1271] – انظر: الاتجاهات المنحرفة في التفسير:علي الشدي،ص 70.

[1272] – انظر: الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث، ص 72 و انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ج1، ص 376

المطلب الثالث: نماذج من تناول سهل التستري للقصص القرآني

الفرع الأول: التعريف بالمفسر:

هو الإمام العارف أبو محمد شيخ الصوفية: روى عن خاله محمد بن سوار وصحب ذي النون المصري قليلا لقيه في الحج، و عن عمر بن واصل وأبو محمد الحريري وعباس بن عاصم، ومحمد بن المنذر الهجمي، وجماعة وكان من أعيان الشيوخ في زمانه بعد الجنيد وله كلام نافع في التصوف والسنة وغير ذلك، ولد بتستر سنة مائتين و قيل سنة إحدى ومائتين، وكان رحمه الله معظما لأهل الحديث وأصحابه فروى عنه أنّه جاء إلى أبي داود مصنف السنن، فقال أريد أن تخرج لي لسانك هذا الذي حدثت به أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقبله فأخرجه له فقبله، وكان رحمه الله يقول:»« أصولنا ستة أشياء: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة وأكل الحلال وكف الأذى، والتوبة وأداء الحقوق، توفي سهل – رحمة الله عليه – في المحرم سنة ثلاث وثمانين وعاش ثمانين سنة أو جاوزها ويقال: مات سنة ثلاث و سبعين ومائتين والأول أصح«[1273]».

[1273] – انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين الذهبي، ط 1، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ج21، ص 189.

الفرع الثاني:- منهج سهل التستري في التفسير وطريقته في كتابة:

أول ما يلاحظ على تفسير الإمام سهل التستري أنّه تفسير صغير يقع في مجلد واحد لم يقصد فيه صاحبه استيعاب جميع آي القرآن وإنّما نظر لبعض الآيات من كل سورة، وهي بمثابة أقوال رويت عنه في معاني هذه الآيات فقام بعضهم بجمعها.

قدّمـ رحمه الله ـ لكتابه بمقدمة ذكر فيها أنّ للقرآن معنى ظاهر ومعنى باطن وأنّللقرآن حد ومطلع، وأنّ المعاني الظاهرة هي المعاني اللغوية التي يفهمها كل من ألمّ بلغة العرب وأحاط بلسانهم ،وأنّ المعاني الباطنة إنّما هي فتوحات ربانية يقبض الله بها على أوليائه ويخصهم بها دون غيرهم.

– و هو في تفسيره: يذكر المعاني الإشارية ويذكر معها المعاني الظاهرة وفي البعض الآخر يقتصر على واحد منها، و قد سلك في تفسيره هذا منحى أرباب السلوك وتزكية النفوس و تطهير القلوب و التركيز على الأخلاق«[1274]».

قال في تأويل قوله تعالى﴿ وَإِذْقَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾«[1275]»

[1274] –انظر: التفسير والمفسرون: محمد الذهبي: بتصرف: ص 282

«أفكان شاكا في إيمانه حتّى سأل ربه أن يريه آية ومعجزة ليصح معها إيمانه؟ فقال سهل: لم يكن سؤاله ذلك عن شك، وإنّما كان طلبا زيادة يقين إلى إيمان كان معه، فسأل كشف الغطاء بعيني رأسه ليزداد بنور اليقين يقينا في قدرة الله، وتمكينا في خلقه، ألا تراه كيف قال: «أولم تؤمن قال بلى» فلو كان شاكا لم يجب ببلى ولو علم الله منه الشك وهو أخبر ببلى وستر شكه لكشف الله تعالى ذلك، إذ كان مثلهما لا يخفى عليه، فصحّ أن طلب طمأنينته، كان على معنى طلب الزيادة في يقينه، فقيل: إنّ أصحاب المائدة طلبوا الطمأنينة بإنزال المائدة، وكان ذلك شكا فكيف الوجه فيه فقال: إنّإبراهيم عليه السلام أخبر أنّه مؤمن، وإنّما سأل الطمأنينة بعد الإيمان زيادة، وأصحاب المائدة أخبروا أنّهم يؤمنون بعد أنّ تطمئن قلوبهم كما قال: «وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا»«[1276]».

فأخبروه أنّ علمهم بصدقه بعد طمأنينتهم إلى معاينتهم المائدة يكون ابتداء إيمان لهم وقال أبو بكر وسمعته مرة أخرى يقول: «و لكن ليطمئن قلبي» أي :لست آمن أن يعارضني عدو لك، قلنا فقوله «ليطمئن قلبي »أي خلتي هذا لما أعلمه أنّك تحيي وتميت وسئل سهل إذا بلغ العبد إلى كفاح العيان ما علامته في البيان؟ فقال: يغلب بطرد الشيطان وهو أنّ النفس في معاينة الهوان ولا سبيل إليه للنفس والشيطان بعزلهما عن الشيطان إلاّ بحفظ الرحمان، وقال من الوافر:

كفايات الكفاح بحسن ظنــي كنَسْج العنكبوت بباب غار

وحسن الظن جاوز كلَّحَجْب وحسن الظن جاوز نُور نار

[1275] – سورة البقرة: الآية 260.

[1276] – سورة المائدة: الآية 113

علامات المقرَّب واضحاتٌبعيد أم قريب ليلُ سار

فمن كان الإله له عيانًا فلا نوم القرار إلى النهار

تقاضاه الإله لهم ثلاثا فهل من سائل من لطف بار

متى نجَس الولُوغ ببحر ود فدع شقي النباح بباب دار

ألايا نفس و الشيطان اخسؤا كبطلان الوساوس والغماز«[1277]»

قال في تأويله قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾«[1278]».

« يعني همّ بنفسه الطبيعية إلى الميل إليها، وهمّ بنفس التوفيق والعصمة الفرار منها ومخالفتها، ومعناه أنّه عصمه ربه، ولولا عصمة ربه لهمّ بها ميلا إلى ما دعته نفسه إليه، وعصمه ما عاين من برهان ربه عز وجل هو أنّه جاءه جبريل صلوات الله عليه في سورة يعقوب عليه السلام عاضا على إصبعه فولّى عند ذلك في الباب مستغفرا» .«[1279]»

المطلب الرابع :منهجالسلّمي في تناول القصص القرآني من خلال (حقائق التفسير)

الفرع الأول :ترجمة صاحب هذا التفسير :

[1277]ـ انظر: نفسير التستري ، ص 37 ـ 38

[1278] – سورة يوسف الآية 24.

[1279]ـانظر: تفسير التستري ، ص 81.

هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى أبو عبد الرحمان السلمي الصوفي النيّسابوري قدم بغداد مرّات وحدّث بها عن شيوخ خراسان منهم أبو العباس الأصم و أحمد بن محمد بن عبدوسالطرائقي وإسماعيل بن نجيد السلمي وغيرهم، كان ذا عناية بأخبار الصوفية و صنّف لهم سننا وتفسيرا و تاريخا قيل عنه أنّه كان يضع أحاديث للصوفية«[1280]»

قال الإمام الذهبي: – رحمه الله – في حقه «محمد بن الحسين أبو عبد الرحمان السلمي الصوفي صاحب المصنفات تكلم فيه وما هو بالحجة وقال الخطيب قال لي محمد بن يوسف القطان كان يضع الأحاديث للصوفية قلت: وله حقائق التفسير فيه تحريف كثير»«[1281]».

حدّث عنه الإمام الحاكم وأبو الحسن على بن أحمد المدين المؤذن وكانت وفاته في الثالث من شعبان سنة اثني عشر و أربعمائة بنيسابور«[1282]».

الفرع الثاني :منهج أبي عبد الرحمان السلمي في التفسير و طريقته في كتابه:

يقع كتاب حقائق التفسير لأبي عبد الرحمان السلمي في مجلدين ،وهذا الكتاب قصد فيه صاحبه استيفاء جميع سور القرآن الكريم، لكن دون التعرض لجميع آيات القرآن، وقد سار فيه على طريقة أرباب التصوف الذين يعرضون عن ظاهر القرآن ويبغون كشف المعاني الباطنة وقد تكلم في ثنايا

[1280] – انظر: تاريخ بغداد: أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ،د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د ت ، ج 2 ، ص 248.

[1281] – المغنى في الضعفاء:شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 1 ، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ـ 1997م ، ج 2 ، ص 286 ـ 287.

[1282] – انظر: الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ط 1،تعليق عبد الله عمر البارودي ،بيروت ، لبنان ـ دار الجنان ـ ،1408 هـ ـ 1988م ، ج3، ص 279

مقدمة تفسيره عن دواعي تأليفه لهذا الكتاب وهو أنه رام فيه جميع أقوال أهل الحقائق «الصوفية» في تفسير معاني الآيات القرآنية«[1283]» فقال: ـ رحمه الله ـ«... لما رأيت المتوسمين بالعلوم الظواهر سبقوا في أنواع فوائد القرآن من قراءات وتفاسير ومشكلات، وأحكام وإعراب ولغة ومجمل و مفسر، وناسخ ومنسوخ، ولم يشتغل أحد منهم بجمع فهم خطابه على لسان الحقيقة إلاّ آيات متفرقات نسبت إلى أبي العباس ابن عطاء وآيات ذكر أنّها عن جعفر بن محمد، على غير ترتيب وكنت قد سمعت في ذلك حروف استحسنتها أحببت أن أضم ذلك على مقالتهم وأضم أقوال مشايخ أهل الحقيقة وأرتبه على السور حسب وسعي وطاقتي، واستخرت الله في جمع شيء من ذلك، واستعنت به في ذلك في جميع أموري وهو حسبي و نعم المعين»«[1284]».

ولقد تكلم جمع من العلماء على تفسير الإمام السّلمي وعدوه من قبل التفاسير التي خرج بها أصحابها عن المنهج الحق وعدل عن سلوك طريق الصواب فصنّفوه ضمن التفاسير المنحرفة الباطلة فمن ذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيميه – رحمه الله – بعد أن عده من ضمن المفسرين الذين يخطئون في الدليل لا في المدلول فقال: «و أمّا الذين يخطؤون في الدليل لا في المدلول فمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم يفسرون القرآن بمعاني صحيحة، لكنّ القرآن لا يدل عليها مثل كثير ممّا ذكره أبو عبد الرحمان السلمي في حقائق التفسير و إن كان فيما ذكروه ما هو معان باطلة

[1283] –انظر: حقائق التفسير ، ج1، ص 20.

[1284] – حقائق التفسير : ج 1 ، ص21.

فإنّ ذلك يدخل في القسم الأول: وهو الخطأ في الدليل والمدلول جميعا حيث يكون المعنى الذي تصدره فاسدا»«[1285]».

وقال ـ رحمه الله ـ:«و كتاب حقائق التفسير لأبي عبد الرحمان السلمي يتضمن ثلاثة أنواع: أحدها: نقول ضعيفة عمّن نقلت عنه، مثل أكثر ما نقله عن جعفر الصادق، فإنّ أكثره باطل عنه وعامتها فيه من موقون أبي عبد الرحمان وقد تكلم أهل المعرفة في نفي رواية أبي عبد الرحمان حتى كان البيهقي إذا حدث عنه يقول حدّثنا من أصل سماعه،الثاني: أن يكون المنقول صحيحا لكنّ الناقل أخطأ فيما قال.

والثالث: نقول صحيحة عن قائل مصيب،فكلّ معنى يخالف الكتاب والسنة فهو باطل وحجته داحضة و كل ما وافق الكتاب و السنة و المراد بالخطاب غيره إذا فسر به الخطاب فهو خطأ، و إن ذكر على سبيل الإشارة والاعتبار والقياس فقد يكون حقا وقد يكون باطلا وقد تبيّن بذلك أنّ من فسر القرآن أو الحديث و تأوله على غير التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين فهو مفتري على الله ملحد في آيات الله محرّف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام»«[1286]»

[1285] – مقدمة في أصول التفسير لابن تيميه : شرح مساعد الطيار، ص 239 – 240.

[1286] – مجموع الفتاوى: ج13، ص 242 – 243 .

وقال: الذهبي – رحمه الله – :«و له كتاب يقال له حقائق التفسير وليته لم يصنفه، فإنّه تحريف وقرمطة، ودونك الكتاب فسترى العجب»«[1287]».

الفرع الثالث :نماذج من تناول السلمي للقصص القرءاني

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾«[1288]».

قال رحمه الله: «ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى» قال بعضهم :بشروا إبراهيم بأنّ نسب الخلة ثابتة ، وأنّها لا تنقطع.

قال: بعضهم بشّروه بإخراج محمد صلى الله عليه وسلم من صلبه، وأنّه خاتم الأنبياء وصاحب لواء الحمد، قال بعضهم: رسول الخليل إذا ورد فهو بشارة فإذا أدّى الرسالة فقد تمّ به بالبشرى، خصوصا إذا أدى من الخليل سلاما ألا تراه كيف فكر: قالوا سلاما من الخليل فقال: سلام من الخليل ثمّ به المراد، قوله تعالى «قالوا سلاما قال سلام»قال ابن عطاء: سلام لك رتبة الخلة من الزلل «قال

[1287] – انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : ج28، ص 307.

[1288] – سورة هود: الآيات 69 – 70

سلام» أي هذه السلامة التي توجب لي السلام من السلام، قال الترمذي: كانت الملائكة قصدوا هلاك قوم لوط فلمّا رآهم الخليل صلى الله عليه وسلم فزع منهم، فزادوا ذلك فيه فقالوا: سلاما، أي قد سلمت أنت أهلك، و قصدنا لهلاك الأمة العاصية فأنت ومن معك منا في سلامة وسلام، فقال: سلام – الحمد لله الذي أمنتني وأهلي من الهلاك .

«فما لبث أن جاء بعجل حنيذ» قال بعضهم :من آداب الفتوّة إذا ورد الضيف أن يبدأ أولا بإكرامه في الإنزال، ثمّ يأتيه بالطعام ،ثمّ بالكلام ألا ترى الخليل عليه السلام كيف بدأ بالطعام بعد السلام، فقال :فما لبث أن جاء بعجل حنيذ، وهو تعجيل ما حضر والتكلف بعد ذلك لمن أحب «قوله تعالى»: «فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم» سمعت غير واحد من أصحابنا يحكون عن البوشنجي أنّه قال: من دخل هذه الدويرة، ولم يبسط معنا في كسرة أو فيما حضر، فقد جفاني غاية الجفاء.سمعت أبا بكر بن إبراهيم يقول: سمعت أبا جعفر بن عبدوس يقول: من أشبع من طعام العقد أوالفتيان فقد أظهر كبره، وقيل في قوله: نكرهم: نكر أخلاقهم، مما تبين فيهم من الخير ...»«[1289]»

في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ

[1289]- انظر: حقائق التفسير ، ج1، ص 320 – 321 .

ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾«[1290]»قال – رحمه الله – قوله: « إنّ قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) قال: القاسم في جميع الأحوال بغى والطغيان و المفروح به محل الحزن ألا ترى الله يقول «إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم »:و قوله تعالى: «لا تفرح إنّ الله لا يحب الفرحين» قال سهل من فرح بغير مفروح به استجلب حزن لا انقضاء له.

قوله تعالى: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة» قال أبو عثمان: من لم يجعل حظه من دنياه آخرته ومن آخرته ربه فقد خاب سعيه وبطل عمله، ونصيب العبد من دنياه حفظ حرمات الله وحرمة الله أوليائه، والشفقة على عامة أوليائه وعباده.

قوله تعالى: «ولا تنسى نصيبك من الدنيا» قال بعضهم :أمره أن يأخذ ماله قدر عيشه، وأن يقدم ما سوى ذلك لآخرته، و سئل سفيان الثوري – رحمة الله عليه – عن قوله «ولا تنسى نصيبك من الدنيا» قال: لا تغفل عن عمرك في الدنيا أن تعمل بالطاعة.

قال بعضهم: نصيبك منها أن لا تغتر بها ولا تسكن إليها فإنّها لن تدم لأحد، ولم تبق له، قال الجنيد – رحمة الله عليه – في هذه الآية :لا تترك إخلاص العمل في الدنيا فهو الذي يقربك منه ويقطعك

[1290] – سورة القصص: الآيات 76-79.

عمّا سواه، قوله تعالى: «و أحسن كما أحسن الله إليك» قال القيم: اصرف وجهك عن الكل بالإقبال عليه كما أحسن الله حيث جعلك من أهل معرفته، وأحسن مجاورة معرفته يأته أحسن إليك حيث أنعم عليك بالإيمان، وهو من أعمّ النعم، و أحسن جوار نعمه فإنّه أحسن إليك في أن وفّقك لخدمته، وأحسن القيام بواجب عبوديته وإخلاص خدمته.

قوله تعالى: «إنما أوتيته على علم عندي» قال سهل – رحمة الله عليه – :ما تطرق أحد إلى نفسه ولا ادعى لنفسه حالا فتمت له، والسعيد من الخلق من صرف بصره عن أعماله وأقواله وفتح له سبيل الفضل والأفضال و رؤية منة الله عليه في جميع الأحوال، والشقي من زينت في عينه أعماله، وأقواله فافتخر بها وادعاها لنفسه فتهلكه سمومها يوم ما وإن لم تهلكه في الوقت ألا ترى الله تعالى كيف حكى عن قارون «إنما أوتيته على علم عندي»نسي الفضل وادعاها لنفسه فضلا، وخسف الله به الأرض ظاهر، فكم قد خسر بالأسرار وصاحبها لا يشعر بذلك وخسف الأسرار هو منع العصمة إلى الحول والقوة و إطلاق اللسان بالدعوة العريضة والعمى عن رؤية الفضل والقعود عن القيام بالشكر على ما أولى وأعطى حينئذ يكون وقت الزوال.

قوله تعالى: «فخرج على قومه في زينته» قال ابن عطاء – رحمة الله عليه – :أزين ما تزين العبد إليه المعرفة، ومن نزلت درجاته عن درجات العارفين فأزين ما تزين به طاعة ربه ومن تزين بالدنيا فهو مغرور في دينه.

سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: وقد سأله و حلّ في مجلسه أي الزينة أجمل؟ قال: الأخلاق الجميلة لو كان يفوقها شيء لزيّن بها حبيبه حيث قال: «وإنّك لعلى خلق عظيم»«[1291]»

قوله عز وجل: « و قال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن» قال بعضهم: العالم بربّه من يرى دوام نفسه و تتابع الآية لديه وقصور شكره عن نعمه و إفلاسه كما يظهر منه هذه صفة العلماء بالله«[1292]».

في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾«[1293]»قال –رحمه الله –«:سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا القاسم الاسكندراني يقول: سمعت أبا جعفر الفلسطيني في هذه الآية: قال: انبجست من المعرفة اثنتا عشر عينا، يشرب كل أهل مرتبة في مقام عين من تلك العيون على قدرها، فأول عين منها التوحيد والثاني عين العبودية والسرور بها، والثالثة عين الإخلاص، والرابعة عين الصدق، والخامسة عين التواضع، والسادسة عين الرضا والتفويض، والسابعة عين السكينة والوقار، والثامنة

[1291] ـ سورة القلم : الآية 4

[1292] – انظر: حقائق التفسير: ج1، ص 110-111-112

[1293] ـ سورة الأعراف: الآية 160.

عين السخاء والثقة بالله، والتاسعة عين اليقين، والعاشرة عين العقل، والحادية عشر عين المحبة، والثانية عشر عين الأنس والخلوة، ومنشرب من عين منها يجد حلاوتها ويطمع في العين التي هي أرفع منها من عين إلى عين حتى يصل إلى الأصل وإذا وصل إلى الأصل تحقق بالحق»«[1294]»

المطلب الخامس: منهج الإمام ابن عجيبة في تناول القصص القرآني

الفرع الأول :التعريف بالمؤلف ابن عجيبة :

هو الإمام أحمد بن محمد المهدي بن عجيبة الحسن الأنجري«[1295]» الإدريسي، الشاذلي، القاني، أبو العباس«[1296]»مفسر صوفي مشارك من أهل المغرب ،ولد سنة 1160 هـ له كتب كثيرة منها «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»مطبوع، و أيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عطاء الله السكندري، والفتوحات القديمة في شرح الأجرومية، وأزهار البستان في طبقات الأعيان، وغيرها توفي – رحمه الله – في الثامن من شوال سنة 1224هـ«[1297]».

الفرع الثاني: منهجه في كتابه البحر المديد

أفصح الإمام ابن عجيبة – رحمه الله – في مقدمة تفسيره عن دواعي تأليفه لهذا التفسير والخطوات التي سار عليها و المنهج الذي اعتمده فقال – رحمه الله – «وقد ندبني شيخي العارف الربّاني

[1294] – حقائق التفسير: ج1، ص 246 – 247 .
[1295] ـ انظر: الأعلام: الزركلي: ج1، ص 245.
[1296] – انظر: معجم المؤلفين: رضا كحالة، ج1، ص 163.
[1297] – المصدر نفسه: ج1، ص 163.

سيدي محمد البوزيدي الحسني، وكذلك شيخه القطب الجامع شيخ المشايخ مولاي العربي الدرقاوي الحسني أن أضع تفسيرا يكون جامعا بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، فأجبت سؤالهم وأسعفت طلبتهم، رجاء أن يعمّ به الانتفاع، ويكون ممتعا للقلوب والأسماع، مقدما في كل آية ما يتعلق بمهم العربية واللغة، ثمّ بالمعاني الألفاظ الظاهرة، ثمّ بالإشارات الباطنة، متوسطا في ذلك بين الإطناب والاختصار منتظرا في ذلك كله ما يفتح عليّ من خزائن الكريم الغفار وسميته البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. نسأل الله أن يكسوه جلباب القبول، و أن يبلغ فيه القصد المأمول، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم«[1298]».

الفرع الثالث: نماذج من تناول ابن عجيبة للقصص القرآني

قال في تأويل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾«[1299]».

قال – رحمه الله – «قلت :حق هذه الآية أن تتقدم قبل قوله إنّ الله يأمركم، وإنّما أخرها الحق ليتوجب العقاب إليهم مرتين على تلك المسارعة لامتثال أمر بينهم، وعلى قتل النفس، ولو قدّمها لكانت قصة واحدةبتوضيح واحد.

[1298] – البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد المهدي ابن عجيبة الحسنى، ط1، تحقيق عمر أحمد الرواي، بيروت، الكتب العلمية 1423 هـ - 2002 م، ج1، ص 19.

[1299] – سورة البقرة: الآيتان: 72 – 73 .

يقول الحق جل جلاله «و» و اذكروا «إذقتلتم نفسا» حرصا على الدنيا «فادراءتم» أي تدافعتم في شأنها كل قرية تدفع عنها والله تعالى«مخرج»ومبين«ما كنتم تكتمون» من القتل ومن قتله «فقلنا اضربوه» القتيل أقبره «ببعضها» قيل اللسان وقيل القلب وقيل الفخذ أوالذنب، فضربوه فيحيي، وأخبر بقائله كما تقدم «كذلك» أي كما أحيا هذا القتيل «يحيي الله الموتى» من قبروها ويريكم آياته الدالة على قدرته «لعلكم تعقلون» فتعلمون أنّه من قدر على إحياء نفس واحدة يقدر على إحياء الأنفس كلّها واستدلت المالكية: بالقصة على القدمية الحمراء وهي قبول موته بأنّ فلانا قتله، وفيه نظر لأنّ هذا يحيي بعد موته فلا يتطرقه الكذب و استدلت أيضا على حرمان القاتل من الإرث و فيه نظر: لأنّ هذه شريعة مني قبلنا يتطرقها النسخ، لكن ثبت في الحديث أنّه لا يرث والله تعالى أعلم.

الإشارة: إذ أمر الشيخ المريدين بذبح نفوسهم بخرق عوائدها، فهي تردد منهم في فعل ما تهرت به نفسه، كان ذلك دليلا على قلة صدقه وضعف نهايته، ومن بادر منهم إلى قتلها دلّ ذلك على صدقه وفلاحه و نجح نهايته، فإذا ماتت النفس بالكلية جيئت روحه بالمعرفة والمشاهدة الدائمة فلا موت بعدها أبدا قال تعالى: «لا يذوقون فيها الموت إلا الموتتى الأولى»«[1300]»و أمّا الموت الطبيعي فهو انتقال من مقام إلى مقام، وعن وطن ضيق إلى وطن واسع و أنشدوا:

لاتظنوا الموت موتا إنّه لحياةٌ هو غايةُالمنى

لا تَرُعْكُمْ هجمة الموت فما فهو الانتقال من هنا

[1300] – سورة الدخان الآية 56.

فاخلعوا الأجساد من أنفسكم تبصروا الحق عيانا بيّنا

قلت :و السيف الذي يجهز به على النفس ويكر قتلها هو الفقر والذل، فمن ذلّ نفسه بين أبناء جنسه، وخرق عوائد نفسه، و زهد في الدنيا ماتت نفسه في طرفة عين وحييت روحه و ظفر هو بقرة العين وهي معرفة مولاه والغيبة عمّا سواه و كمال الوقت ذبح، و كمال الوقت في ذبح النفس أن تكون متوسطة بين الصغر و الكبر، فإنّ الصغيرة جدا لا يؤمن عليها الرجوع، والكبيرة جدا قد يصعب عليها الشروع كاملة الأوصاف بحسن الزهد والعفاف ونشر الناظرين لبهجة منظرها وحسن طلعتها وكذلك من كان من أهل الشهود والنظرة، تسحر مشاهدته القلوب، ويسوقها بسرعة علام الغيوب لما أقيم به من مشاهدة الملكوت، حتّى عن من لاحظه تناسى أحوال البشرية، واستولت عليه أنوار الروحانية وغاب في ذكر الحبيب عن البعيد والقريب كما في الحديث «أولياء الله من إذا رق ذكر الله» وتكون أيضا هذه النفس غير من الله بطلب الدنيا والحرص عليها مسلمة لا عيب فيها ولا رق لشيء من الأثر عليها فحينئذ تصلح للحضرة، وتتمتع بنعيم الشهود والحضرة لم يبق لخصم الفرق معها تدراك ولا نزاع بل أقر الخصم وارتفع النزاع»«[1301]».

في تأويل قوله تعالى: ﴿ ۞وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ

[1301] – انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ج1، ص 97 – 98 .

أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾»[1302].

قال – رحمه الله –« قلت: رجلين بدل من «مثلا» وجملة جعلنا بتمامها: بيان للتمثيل، أوصفة رجلين «ما شاء الله» خبر أي هذا ما شاء الله أوالأمر ما شاء الله، أومبتدأ حذف الخبر أي الذي شاء الله كائن أو شرطية والجواب محذوف وأي شيء شاء الله كان «وهنالك ظرف مقدم»« والولاية مبتدأ، والظرف إشارة إلى الآخرة وهذا أحسن.

يقول الحق جل جلاله «و اضرب لهم» أي للفريقين، فريق المؤمنين والكافرين المتقدمين مثلا من حيث عصيان الكافر، مع تقلبه في النعيم، وطاعة المؤمن مع مكابدته مشاق الفقر وما كان مآلهما لا من حيث ما ذكر من أنّ الكافر في الآخرة كذا وللمؤمن كذا أي و اضرب لهم حالي «رجلين» مقدرين أومحققين هما أخوان من بني إسرائيل أو شريكان: كافر واسمه قطروس، ومؤمن واسمه يهودا

[1302] – سورة الكهف: الآيات من 32 ـ 43.

اقتسما ثمانية آلاف دينار، ورثاها من أبيهما، فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا، وصرف المؤمن نصيبه إلى وجوه البر روي: أنّ الكافر اشترى أرضا بألف دينار، فقال صاحبه المؤمن اللهمّ إنّ فلان اشترى أرضا بألف وإنّي أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق بألف دينار، ثمّ إنّ صاحبه بنى دارا بألف دينار، فقال المؤمن اللهم إنّ صاحبي بنى دارا بألف وإنّي أشترى منك دارا في الجنة بألف فتصدق بألف دينار، ثمّ إنّ صاحبه تزوج امرأة بألف دينار، فقال اللهم إنّ فلانا تزوج بألف دينار وإنّي أخطب منك من نساء الجنة بألف، فتصدق بألف دينار ثمّ إنّ صاحبه اشترى خادما ومتاعا بألف دينار، فقال اللهم إنّ فلان اشترى خادما ومتاعا وإنّي أشتري منك خادما ومتاعا من الجنة بألف فتصدق بألف دينار ثمّ أصابته حاجة فقال: لعلّ صاحبي يناولني معروفه فأتاه فقال :ما فعل مالك؟ فأخبره قصته فقال: أوإنّك لمن المصدقين بهذا والله لأعطيك شيئا فلما توفى آل أمرهما إلى ما ذكر الله في سورة الصافات بقوله: «قائل منهم إني كان لي قرين يقول أنك لمن المصدقين»«[1303]»

الإشارة: قد ضرب الله مثلا لمن عكف على هواه، وقصر همته على زخارف دنياه، ولمن توجه بهمته إلى مولاه، وقدم دنياه لأخراه، فكان عاقبة الأول الندم والخسران وعاقبة الثاني الهنا والرضوان أو لمن مع علمه واعتمد عليه و لمن تبرأ من حوله و قوته في طلب الوصول إليه قال في لطائف المنن : لا تدخل جنة علمك و عملك و ما أعطيت من نور و فتح فتقول كما قال من خذل فأخبر الله عنه

[1303] – سورة الصافات: الآيات 51 – 52.

بقوله:«ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا» و لكن أدخلها كما بين لك وقل كما رضي لك «ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله»«[1304]».

في تأويل قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾«[1305]»قال – رحمه الله – :يقول الحق جل جلاله «ولقد فتنا سليمان» أي: ابتليناه وألقينا على كرسيه سرير ملكه، «جسدا» شق ولد أوجنيا ثمّ«أناب» رجع إلى الله تعالى وأظهر ما قيل فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا أنّه قال: لأطوفن الليلة على سبعين أوتسع وتسعين امرأة تأتي كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهم فلم تحمل إلاّ امرأة واحدة جاءت بشق رجل قال نبينا عليه الصلاة والسلام والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون»«[1306]»فالفتنة على هذا: كونه لم يقل «إن شاء الله»والجسد هو شق الإنسان الذي ولد له، وقيل إنّه ولد له ابن، فأجمعت الشياطين على قتله، وقالوا إن عاش له ولد لم ننفك من خدمته، فلمّا علم ذلك، حمله في السحاب، فما شعر حتى ألقي كرسيه جسدا ميتا فتنبه لخطئه، حيث لم يتوكل على الله وقيل :إنّه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها، وأخذ بنتا له تسمى جرادة، من

[1304] ـ سورة الكهف : الآية 39

[1305] ـ سورة ص : الآية 34 ـ 39.

[1306] ـ رواه البخاري :رواه البخاري : كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : « ووهبنا لدواد سليمان نعم العبد إنّه أواب »، رقم 3424 ، ج 2 ، ص 361 ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ

أحسن الناس فاصطفاها لنفسه، وأسلمت على جفاء، وأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها، فأمر الشيطان فمثلوا لها صورته، فكانت تغدوا عليه وتروح مع ولائدها فيسجدن له كعادتهن في ملكه فأخبره صاحبآصف بذلك، فكسر الصورة وعاقب المرأة، ثمّ خرج إلى فلاة وفرش له الرماد، وجلس عليه تائبا إلى الله متضرعا وكانت له أم ولد يقال: لها أمينة إذا دخل للطهارة أو إصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان فيها ملكه فأعطاها بوصا، فتمثل لها بصورته شيطان، اسمه صخر وأخذ الخاتم، فتختم به، وجلس على كرسيه، فاجتمع عليه الخلق، ونفذ حكمه في كل شيء إلاّ في نسائه على المشهور، وغير سليمان على هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم، فأنكرته وطردته فعلم أنّ الخطيئة قد أدركته، فكان يطوف على البيوت يتكفف، وإذا قال: أنا سليمان حثوا عليه التراب، وسبوه، ثمّ عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين، فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبدو الوثن في بيته، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان حتّى دخلوا على نسائه، فقالوا: قد أنكرنا حكمه، فذهبوا حتى جلسوا بين يديه، فنشروا التوراة، فقرءوها، فطار من بين أيديهم والخاتم معه، ثم قذفه في البحر، فابتلعته سمكة، في يد سليمان، فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم، فتختم به، وخرّ ساجدا لله، وعاد إلى ملكه وقبض الجني ورد صخر فجعله وسط صخرة ورد عليه بأخرى، ثمّ أوقعهما بالحديد والرصاص، وقذفه في البحر فهو باق فيه فالجسد على هذا عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لأنّه تمثيل بما لم يكن كذلك والخطيئة تخالفه عليه السلام عن حالة أهله لأن اتخاذ التميز لم يكن محضورا حينئذ والسجود للصورة بغير علم منه لا يضره، وأبى

بعض المحققين هذه القصة، وقال: لا يصح ما نقله الإخباريون وأهل التفسير في هذا الموضع، من تشبه الشيطان بعينه وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمة و الجور في حكمه.

قال القاضي عياض: الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا، وقد عصم الله الأنبياء عن مثله ومثله لابن العربي أيضا، و حكيإنكاره عن السمرقندي، وقال الطبي أشبه الأقاويل في إلقاء الجسد هو شق الولد كما تقدم وخالفه ابن حجر و قال: «قال غيرو واحد من المفسرين أنّ المراد بالجسد المذكور شيطان، وهو المعتمد فالله أعلم غير أنّ التنزيه أسلم ...»

الإشارة :ما أعطى الله عبدا مكنة إلاّ بعد محنة، ولا وقع مقاما إلاّ بعد ابتلاء، وإمّا في البدن والحال، إمّا في الدين، إن صحبه رجوع وانكسار، كأنّ الله إذا أراد أن يرفع عبدا أهبطه إلى الأرض قهرية العبودية،ثمّشريعة إلى مشاهدة عظمة الربوبية، ثمّ حمّله الوجود بأسره يتصرف فيه بهيمنة كيف يشاء، ولذلك قيل في معصية آدم: نعمت المعصية أورثت الخلافة، وشاهده حديث أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى ومن كان الله عنده، ماذا يفوته ...»«[1307]».

المبحث الخامس :نقد منهج المفسرين بالرأي المذموم في معالجة القصص القرآني

المطلب الأول : النقد التفصيليللنماذج التي أوردتها من تفسير الإماميةالإثنى عشرية

الفرع الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الطبرسي

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾«[1308]» وقوله:« جملة قصة فرعون مع بني إسرائيل في البحر ما ذكره ابن عباس أنّ الله أوحى إلى موسى أن يسري ببني إسرائيل من مصر ....فتمثل له جبريل على فرس أنثى وديق وتقحم

[1307] – انظر: البحر المديد: ج6، ص 219 – 221 – 222.

[1308] ـ سورة البقرة : الآية 50.

البحر فلمّا رآها الحصان تقحم خلفها » فأقول : إنّ المولى تبارك وتعالى قد نصّ في كم موضع من كتابه على هلاك فرعون وجنده وإنجاء موسى وقومه ، وإن كانت بعض الآيات أوضح من بعض في شأن التفصيل في كيفية الإغراق فآية البقرة ذكرت فرق البحر لموسى وقومه وغرق فرعون بدون شيء من التفصيل ،وسورة يونس ذكرت دعوة موسى وأخيه هارون عليهما السلام على فرعون وقومه وبيان استجابة الله لهما ، كما ذكرت مجاوزة بني إسرائيل للبحر وإتباع فرعون وجنوده لهم ووقوعهم في الغرق وتحسر فرعون وندمه عند غرقه ، وأمّا سورة الشعراء فقد تكلمت عن ذلك بشيء من التفصيل فتكلمت عن تجمع الجمعين وخوف أصحاب موسى ، وطمأنة موسى لهم ، ثمّ يأتي الوحي الإلهي والذي يأمر موسى عليه السلام بضرب عصاه حتّى ينفلق البحر والذي صار كما ذكر كالطود العظيم والذي معناه الجبل العظيم ، وهذا منتهى ما قصه القرآن في شأن غرق آل فرعون ، وأمّا ما ذكره الإمام الطبرسيفي شأن العدد الذي سار به موسى مع قومه بأنّه ستمائة ألف وعشرين ألف ، وأنّ فرعون أتبعه في ما يقارب ألف ألف حصان سوى الإناث ، فهذه كلها مزايدات لا دليل عليها وعارية عن الصحة ، وفيها جري وراء ما أبهم الله وممّا لا فائدة مرجوة بالعلم به والذي ينقص ويذهب ببهاوة وحلاوة التفسير ،، فهي لا شك من مجازفات بني إسرائيل وإفراطهم في ذكر الأخبار والولوع بكل شاردة وواردة ، وقد تلقفها عنهم جماعة من المسلمين وسودوا بها صحف الكتب ، وقد استنكر ذكر هذا الأمر عدد مستفيض من المفسرين وحفاظ الحديث ، فمن ذلك ما ذكره الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ:حيث قال :« ... فأمّا ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات من أنّه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس، منها مائة ألف على خيل أدهم ففيه نظر ، وقال : كعب الأحبار : فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم ، وفي ذلك نظر، والظاهر أنّ ذلك من مجازفات بني إسرائيل ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، والذي أخبر به القرآن هو النافع ، ولم يعين عددهم إذ لا فائدة تحته ، لأنّهم خرجوا بأجمعهم» «[1309]» وقال : الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ :« وقد أخرج الفريابيوعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود في قوله :« إنّ هؤلاء

[1309] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ،ج 5 ، ص 185.

لشرذمة قليلون »«[1310]» قال : ستمائة ألف وسبعون ألفا ، وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أنّهم كانوا ستمائة ألف ...وأقول هذه الروايات المضطربة قد روي عن كثير من السلف ما يماثلها في الاضطراب والاختلاف ولا يصح منها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم »«[1311]» ، والكلام في هذه الجزئية نظير الكلام على ما ذكره في كيفية اقتحام فرعون البحر من أنّ جبريل نزل على فرس أنثى فلمّا رآها فرس فرعون انطلق يجري ورآها وبذلك دخل فرعون البحر وتبعه جنوده ، فأطبق الله البحر عليهم ، فالناظر في هذا الكلام يدرك سخافته وتفاهته ، فمن الذي أخبرنا بأنّ فرعون كان يركب فرسا ذكر وأنّ جبريل نزل وهو يركب أنثى فرس ، فهذا كله من خرافات بني إسرائيل التي ينبغي أن ينزّه عنها القصص القرآني ، فالإغراق حصل بنص القرآن أمّا الجريان وراء بعض الجزئيات والتفصيلات في كيفيته فينبغي الإعراض عنه خصوصا وأنّه لا دليل على ذلك ، والله أعلم .

إنّ الجوانب المضية التي يحسن الوقوف عليها من خلال هذه القصة والاستبصار بما فيها هو أن يدرك الفرد المسلم بيان قدرة الله عزّ وجل حيث أيّد نبيه موسى عليه السلام بمعجزة جعلها نجاة له من الطاغية فرعون وجنده ، كما يلمس فيها الفرد المسلم وعد الله لأنبيائه بنصرهم وتمكينهم وهلاك أعدائهم وهذا كله من مقاصد القصص القرآن وأغراضه التي كان حريا علينا أن نقف عندها ونتعظ بها ، حتّى لا يصاحبنا اليأس والقنوط من غلبة الأعداء وسيطرتهم على الأوضاع والأحوال حينا من الدهر، فعلينا أن ننهض ونقاوم ونقدم الأسباب والنصر من عند الله تعالى ، وقد وقفت على كلام نفيس للحافظ ابن كثير رحمه الله علّق فيه على هذه القصة فقال :«... أي في إنجائه أولياءه فلم يغرق منهم أحد وإغراقه أعداءه فلم يخلص منهم أحد آية عظيمة وبرهان قاطع على قدرته تعالى العظيمة وصدق رسوله فيما جاء به عن ربّه من الشريعة الكريمة والمناهج المستقيمة ...»«[1312]»

[1310]ـ سورة الشعراء : الآية 54 .

[1311]ـ انظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ،ج 4 ، ص 127 ـ 128.

[1312]ـ انظر: البداية والنهاية ، ج 1 ، ص 272 .

وأمّا تفسيره لقول الله جلّ وعلا :﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾[1313] وقوله :« ثمّ بعث عليهم الطوفان فضرب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا إلى البرية ....فلمّا دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني إسرائيل »

فأقول : إنّ الله قص علينا في كتابه حياة نبيه موسى وما لاقاه من أذى بني إسرائيل وما تعرض له في سبيل دعوتهم لعبادة الله وهذا شأن الأنبياء والمرسلين ، وفي هذه الآيات يخبر المولى جلّ وعلا عن أخذه لبني إسرائيل بالآيات لما طغوا وتجبّروا واستعبدوا بني إسرائيل ، فأرسل عليهم آياته تخويفا وإنذرا لهم ، وهي ما قصه الله علينا في سورة الأعراف والإمام الطبرسي في معرضه تفسيره لهذه الآيات قد تعرض لشرح صنوف العذاب التي أرسلها الله على بني إسرائيل ونقل فيها أقوالا وآثارا وأغلبها من الإسرائيليات وهي من النوع الذي يجوز روايته بحيث أنّها لا تتعارض مع نص القرآن ولا صريح السنة

وألفاظ القرآن تدل عليها ،وإن كان فيها بعض المزايدات في كيفية تسلط هذه الآفات عليهم كالطوفان والجراد والقمّل والدم والضفادع ، والطبرسي لم يكن مبتدعا في ذكره هذه الأخبار فقد استقاها من كتب أهل السنة خصوصا تفسير الإمام الطبري «[1314]» الذي ساق آثارا أغلبها عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي ، وغيرهما من التابعين ، كما ذكر الشوكاني جماعة ممّن رووا هذه الآثار كابن أبي حاتم ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر وأبو الشيخ وغيرهم ممّن صنّف في التفسير بالمأثور ، وقد رووها لكونهم لم يرو في ذكرها بأسا ، لكنّ الاقتصار على ما ورد في القرآن أفضل وأكمل .

إنّ ما قصه الله علينا في شأن بني إسرائيل في هذه الآية فيه دلالة وعبرة على قدرة الله تعالى ، وكيف يمهل الكافرين المكذبين لرسله وأنبيائه ، ثمّ يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وهذا هو جزاء أمة كبني إسرائيل ترى الآيات عيانا جهارا ولا ترعوي ولا تنثني ، وفي هذا كله درس للنبي صلى الله عليه وسلم

[1313] ـ سورة الأعراف : الآية 133.

[1314] ـ انظر: جامع البيان في تفسير القرآن ، ج 9 ، ص 26 ـ 27.

ولأصحابه وأمّته ليعلموا حال الأنبياء مع أقوامهم فيكون في ذلك تثبيتا لهم وتبشيرا لهم بأنّهم منصورون فالظلم والكفر وإن طال واستفحل فعقباه للزوال والنصر والتمكين لدين الله وأنبيائه وأتباعهم وهذه سنة الله في الكون .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾« [1315]» وقوله :أي واذكر يا محمد حين دعا ربّه لما امتدّت المحنة به ....فينبغي لكل عاقل إذا أصابته محنة أن يصبر عليها ولا يجزع ، ويعلم أنّ عاقبة الصبر محمودة » فأقول :قد صدق القول في قوله : واذكر يا محمد حين دعا ربّه ، فلا شكّ أنّ هذا الخطاب موجه له صلى الله عليه وسلم خصوصا ، ثمّ لمن بعده من المؤمنين وبالأخص أهل البلاء والذي يكتب في محامد الإمام الطبرسي في تفسيره لقصة أيوب عليه السلام أنّه أعرض عمّانسجه القصاصون ، ودوّنه الإخباريون من المعتنين بالإسرائيليات في شأن نبي الله أيوب ، وذاك بأنّه أصيب بالأمراض المنفرة وأنّ دواب الأرض أكلت من لحمه وانّه ألقي في المزبلة إلى غير ذلك ممّا ذكروه ممّ لا يليق بأنبياء الله ورسله ، وتعدوا القرآن والسنة إلى مزايدات لا مستند لها إلاّ سلطان العقل والخيال ، فالقرآن ما زاد إلاّ على دعاء أيوب لربّه واستجابة الله له ، وذكر الطريقة التي شفي بها وما أمره الله به من ضرب أهله حتّى لا يحنث فهذا كل ما ورد في القرآن ، وقد أضرب الإمام الطبرسي عن ذلك إلاّ أنّه أورد قولا عن كعب في شأن أولاده وكم كان عددهم ، وهذا ممّا لا دليل عليه ولا فائدة فيه ، لكنّه ختم تفسير الآيات بإشارة إلى ما تضمنته القصة وحوته من دروس أخلاقية وتربوية ، حيث ذكر أنّ في قص الله لنبأ أيوب عليه السلام عزاء وعبرة وموعظة لأهل البلاء بأن يلتجئوا إلى الله ويتوكلوا عليه ، وليصبروا فإنّ عاقبة الصبر محمودة ، وهذا الذي نبّه عليه مقصد من مقاصد القرآني في الإشارة والحث على الأخلاق الفاضلة التي تحلى بها الأنبياء والرسل ،وضرورة الإقتداء بهم عمليا وخلقيا ، فقصة أيوب ما

[1315] ـ سورة الأنبياء : الآيتان 83 ـ 84 .

سيقت إلاّ لتؤصل لخلق فاضل ونبيل امتدحه الله وامتدح المستمسكين به والمتواصين به ألا وهو خلق الصبر .والله تعالى أعلى وأعلم .

الفرع الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الطباطبائي

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى :«﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾»[1316] وقوله :« بيان »« قصة أخرى من قصص بني إسرائيل وهي نبأ بلعم بن باعورا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلوه عليهم يتبيّن به أنّ مجرد الاتصال بالأسباب العادية لا يكفي في فلاح الإنسان وتحتم السعادة له ... والآية الجامعة أنّهم غافلون » فأقول : لقد أحسن الإمام الطباطبائي في التمهيد لهذه القصة قبل أن يتناولها بالتفسير والتحليل فهو أعطى مقدمة ضمّن فيها الحكمة والعبرة في سوق الله تعالى لخبر هذا الرجل ، حيث أشار كما يفهم من كلامه إلى أنّ هذا الإنسان قد أوتي من الحكمة والعلم والمعرفة بالله ما لم يعطى لنظرائه من علماء زمانه ، لكنّه لم يعمل بما آتاه الله ، ولم يوظف نعمة الله فيما هو مشروع ، بل اغتر بنفسه وأخذه العجب فركن إلى هواه ، فكان سبب هلاكه.

وأمّا قوله :« وقد اختلف المفسرون في تعيين من هو صاحب النبأ في هذه الآية ... فلا وقع لقول من قال إنّه مجرد نبأ غير واقع » فأقول :إنّ ما ذكره من اختلاف المفسرين في تعيين هذا الرجل صحيح ، فقد اختلف في تعيينه المتقدمون والمتأخرون من جميع الطوائف والمذاهب ، وتكلمت عن ذلك في معرض الكلام ، فذكر أنّ البعض يسميه بلعم بن باعورا ، وآخر يقول إنّه أمية بن أبي على

[1316] ـ سورة الأعراف : الآيتان 175 ـ 177.

النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن أبي زمنين ـ رحمه الله ـ وقلت أنّه لا يمكن الجزم بأنّ المراد به واحد بعينه ، والراجح أن يقتصر الواحد على ما ذكر الله ويقر به ويأخذ العظة من قصته وخبره سواء كان بلعم أو أمية بن أبي الصلت ، أو أبو عامر الرّاهب ، ثمّ إنّ الإمام الطباطبائي قد أكّد بأنّ هذا خبر حقيقة وقصة واقعية لا مثل أو تخييل كما يتشدق به البعض من منكري صدق وواقعية القصص القرآني بتقليدهم لمذهب المعتزلة كما سيأتي إيضاحه عند الكلام على منهج المعتزلة في تناول القصص القرآني، وبهذا يكون قد دفع هذا القول و أجاد فيه ، إلاّ أنّه في البحث الروائي ساق عدة أقوال في تعيين هذا الرجل الصلت ، وآخر يقول إنّه أبو عامر الراهب ، ثمّ علق في آخر ما أورده بأنّ هناك قصصا لا جدوى في استقصائها ، فالأصل كما نقل عن إمامهم أبي جعفر أنّه بلعم ، ثمّ جعله الله مثلا لكل من آثر هواه ، ونحن نقول : إنّ ما ذكره الله حق سواء كان المعنى بلعم أو أحد غيره ، إلاّ أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالمثل صالح ومنطبق على كل من كانت حاله هكذا .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾«[1317]» وقوله : « إنّ الله بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل فمرّوا بإبراهيم فسلموا عليه وهم معتمون .....فبشرها بإسحاق » فأقول : إنّ الله قد قصّ علينا في كتابه حبر لوط في كم سورة وذكر إرسال رسله ليهلكوا قوم لوط وما جرى بينهم وبين نبي الله إبراهيم عليه السلام وتبشيره بالولد ، لكنّ الذي يستوقف المطالع

[1317] ـ سورة هود : الآيات 70 ـ 76.

لكتب التفسير هو الخوض في تعيين عدد هؤلاء وكيفية نزولهم ودخولهم على إبراهيم كما هو شأن الطباطبائي هنا فما ذكره من نزول أربعة ملائكة معتمين لا صحة لها وإنّما هي إسرائيليات يتلقفها المولعون بذلك ولا مستند لهم فيها ، وكان حرّيا عليه أن يعرض عن ذلك ، وأمّا قوله :«فقال لهم إبراهيم لما جئتم ؟ فقالوا في إهلاك قوم لوط ...قال فإنّ فيها لوطا» أقول إنّ هذه المحاورة التي ذكرها بين إبراهيم والملائكة قد أخذها من كتب التاريخ وقد أورد هذه القصة بتمامها من تاريخ الإمام الطبري «[1318]» والكلام عنها كالكلام عن سابقتها ، فالمجادلة بينه وبينهم واقعة لا محال ، أمّا معرفة تفاصيلها وجزئيتها ممّا استغنى القرآن عنها ينبغي الاستغناء عنها حيث لا دليل من السنة الصحيحة يؤكدها أو يؤيدها

إنّ هذه القصة تؤكد نصرة الله لأنبيائه ورسله والتمكين لهم في الأرض ،وأخذ الظالمين المكذبين لله ورسله ، وفي هذا كله تسلية وتثبيت لقلب النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من أذى قومه من المشركين المنافقين ومن اليهود ،وفيها رفع لمعنويات صحبه الكرام بأن يصبروا ويثبتوا على الإيمان .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴾«[1319]» وقوله :« ذكر سبحانه اسمهما في كلامه وعدّهما من الأخيار» فأقول :قد وقع خلاف بين بعض العلماء فيحقيقة اليسع وذي الكفل هل هما من الأنبياء أم هم رجال من الصالحين؟ وإن كان البعض منهم يجمع على أنّ اليسع نبي وأنّه كان بعد نبي الله إلياس بعث من بعده إلى قومه يدعوهم لعبادة الله ، وقد ذكر هذا الإمام ابن كثير رحمه الله فقال : « قال إسحاق بن بشر أبو حذيفة أنبأنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال : كان بعد إلياس اليسع عليهما السلام فمكث الله ما شاء أن يمكث بمنهاج إلياس وشريعته حتّى قبضه الله عزّ وجل إليه »«[1320]» وأمّا ذو الكفل فقد اختلفوا في شأنه فمنهم من زعم أنّه ابن أيوب عليه السلام لأنّ الله تعالى أورد قصته بعد قصة أيوب في سورة

[1318]ـ انظر: تاريخ الطبري ، ج 1 ، ص 297 .

[1319]ـ سورة ص : الآية 48 .

[1320]ـ انظر: البداية والنهاية ، ج 2 ، ص 4.

الأنبياء ، وبعضهم يقول : إنّه رجل صالح وحاكم مقسط خلّفه اليسع في الحكم بين الناس ، لكنّ الصحيح كما قال الحافظ ابن كثير أنّه من الأنبياء حيث يقول : «فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنّه نبي عليه الصلاة والسلام وهذا هو المشهور »«[1321]» والإمام الطباطبائي قد مال إلى هذا فقال في شأن ذا الكفل فيما نقله عن الإمام أبي جعفر أحد أئمتهم لما سئل عن ذي الكفل فأجاب بأنّه كان من الأنبياء ، واستدلّ على ذلك بكون المولى جلّ وعلى قرنه مع الأنبياء وهذا هو الصحيح في نظري والمشهور عند علماء السنة ، ثمّ إنّ الشيء المستفاد من ذكر الله جلّ وعلا لهؤلاء وتوصية نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم إنّما هو من أجل التأسي والاقتداء بمنهجهم في الدعوة إلى الله والاستقامة على صراطه ، وقد أكّد هذا القصد الإمام الطبري رحمه الله فقال :« ... يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد اذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وما أبلوا في طاعة الله فتأس بهم واسلك مناهجهم في الصبر على ما نالك في الله والنفاذ لبلاغ رسالته »«[1322]»

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾»«[1323]»وقوله : وفي الدرر المنثور أخرج جرير عن ابن عباس قال : كان سليمان إذا أراد أن يدخل الخلاء أو يأتي شيئا من شأنه أعطى الجرادة...فبرأ الناس من سليمان » فأقول : إنّ كلاما كهذا يدرك القارئ له من أنّه من خرافات بني إسرائيل التي حشيت بها كتب التفسير ، فأوردها الملعون بكل غريب ، دون بعد نظر لما لها من أخطاء وأضرار تمس العقيدة الإسلامية ، فمنصب النبوة شيء مقدس له خصوصيته وكل ما يمس فيها أو يخدش من منصبها وجب طرحه ونبده ، وقد سبق وأن نقلت عن القاضي عياض بطلان مثل هذا القول ، وأنّه لا سبيل لتسلط الشيطان أو تحكمه في شأن من شؤون الأنبياء ، وقد تعقبها الإمام الطباطبائيبقوله : وهي قصة طويلة من جملة القصص الواردة في عثرات الأنبياء

[1321]ـ المصدر نفسه ،ج 1 ، ص 225

[1322]ـ انظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن ، مج 10 ، ج 23 ، ص 111.

[1323]ـ سورة البقرة : الآية 102

مذكورة في جملتها » وهذا القول منه يشعر بعدم ارتضائه لها ، لكنّه كان من الأفضل أن يبيّن عوارها بنقد أفصح وأوسع ، وأمّا قوله :« ... إلاّ ما سمعت من رسول اللهقال : إنّ الملائكة قالت ياربّ كيف صبرك على بني آدم في الخطايا ... فهما منكوسان بين السماء والأرض معذّبان إلى يوم القيامة» فأقول : قد تكلمت عن هذه الرواية في معرض الكلام عن النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الثعالبي وأبنت بطلانها ممّا نقلته من أقوال: عن القاضي عياض والحافظ ابن كثير ـ رحمهما الله ـوالإمام الطباطبائي قد حكم عليها بأنّها خرافة من الخرافات كشأن خرافات اليونان ،وأنّها طعنت صراحة في قداسة الملائكة وطهارتهم التي نص عليها القرآن الكريم فألصقوا بهم بهتانا وكذبا قبائح الزنا وشرب الخمر ، وقد حكم عليها الإمام الطباطبائي بأنّها من دسائس اليهود التي أعان على روايته الشغفون بمثلها من الغرائب والإسرائيليات ، والحق أنّ الإمام أجاد في ذلك وأفاد فهذا الذي أن يحتدى ويقتدى به في التعامل مع مثل هذه الغرائب .

الفرع الثالث:النقد التفصيلي لنماذج الشيخ محمد جواد مغنية

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾« [1324]» وقوله :« وخير ما قرأته في هذا الباب ما جاء في كتاب النواة في حقل الحياة للسيد العبيدي مفتي الموصل ، لأنّه اعتمد على قول جماعة من علماء الآثار .... وقد أنبأنا التاريخ بما كان من شأن بختنصر ملك بابل من غزوه فلسطين بعد سليمان ... فتخريبه بيت المقدس » فأقول : إنّ إنكاره على جماعة من المفسرين كالرّازي والطبرسي ، ونقمه على الشهيد سيد ـ قطب رحمه الله ـ هروبه من تفسير الآية والجري وراء شرح التنويم المغناطيسي وغيرها من الأمور التي ذكرها ، ثمّ يقوم هو بعد ذلك بسرد حكاية لا مستند لها يرويها عن رجل اعتمد فيها على ما وصلت إليه جماعة من علماء الآثار ، فإنّه ما زاد الآية إلاّ تعقيدا ، فما الشيء الذي استفدنا منه ، فهو بقوله هذا لم يصل إلى تفسير صحيح للآية ، وإن كان قد نزّه وقوع الملائكة في تعلم السحر وتعليمه وحمل معنى الملكين على أنّهما دهاة من بطانة الملك تقمّصا ثوب الزهد والتقشفليفسدوا ملك سليمان فاعتنقوا اليهودية وعلموا الناس

[1324] ـ سورة البقرة : الآية 102 .

السحر ، فنحن نتفق معه بأنّ الملكين منزّهين عن مثل هذا ، لكنّ القصة والحكاية هي التي يتوقف فيها فإنّ التنزيه مطلوب ولا شك ، لكنّ تأكيده وتقويته يكون بمستند صحيح .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾»[1325]» وقوله : « لم يفصح الله سبحانه عن اسم القرية ، ولا عن اسم المار بها ومن هنا اختلف المفسرون ...وأيضا اختلفوا في القرية هل هي بيت المقدس أو غيرها ، ولا دليل على التعيين ولا القائيلين به إلاّ الإسرائيليات » فأقول : قد أراد بقوله هذا أن يؤكد أنّ مثل هذه الآيات من المبهمات التي لا يعود ذكرها بكبير فائدة فلذلك أعرض المولى عن تعيين القرية واسم المار بها فالأصل على المفسر أن يعرض عن الجريان ورآها ، وهذا صحيح ، إلاّ أنّ جل المفسرين كما قال ابن عطية وأبو حيان وابن كثير قد اشتهر تعيين المار على القرية بأنّه عزير أو إرميا والقرية بيت المقدس وهذا القول يذكره كل أهل التفسير والصحيح كما قال هو أنّها مأخودة من أهل الكتاب ومدارها على وهب بن منبه ، وإن روى بعض هذه الأقوال كبار الصحابة كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض التابعين كمجاهد وقتادة وهم بلا ريب قد أخذوها من من بعض مسلمة الكتاب ، هم رووها لكونها لا تناقض ولا تتعارض مع أمور العقيدة ولا تمس دين الإسلام ، إلاّ أنّ الأصل كما أسلفت القول هو إعراض المولى جلّ وعلى عن إيراد وتعيين المبهمات كشأن الكثير من آيات القصص القرآني ولا يعنى بهذه التفاصيل والجزئيات ، وإنّما يقتصر على موطن ومكمن العبرة والدرس

[1325] ـ سورة البقرة : الآية 259 .

وقوله : «واختلفوا في هذه العظام هل هي عظام عزير أم عظام حماره ....لتنبه إلى طول الأمد » فأقول : إنّ ما ذكره في شأن العظام هل هي عظام عزير أو الحمار ؟ قد تكلم المفسرون في ذلك كثيرا وكل ما ذكروه لا دليل عليه يؤيده وإنّما هي أقوال اجتهادية رووها عن جماعة التابعين كالسدي وغيره ، فمنهم من يقول إنّ الله أحيا عينيه وسائر جسده ميت ، ثمّ أحيا جسده وهو ينظر ، وعلى هذا تكون العظام هي عظام الرجل ، فقد شاهد كيفية إحياء الله عزّ وجلّ له ، وقال البعض :أنّ الله لما أحياه نظر إلى عظام حماره وهي تلوح من بياضها فبعث الله ريحا فجمعتها من كل موضع من تلك المحلة ، ثمّ ركب كل عظم في موضعه حتّى صار حمارا قائما من عظام لا لحم عليها ، ثمّ كساها الله لحما وعصبا وعروقا وجلدا ، وبعث الله ملكا فنفخ في منخري الحمار ، فنهق كله بإذن الله عزّ وجل ، وذلك كله بمرأى من العزير ...»«[1326]» فهذا أقصى وجل ما يذكره المفسرون في شأن العظام ، ونحن لا نمكن الجزم أي العظام هي فقد تكون عظام الرجل أو عظام الحمار ، وعلى كل فالمعجزة بذلك حاصلة وظاهرة ، إذ القصد من القصة كلها بيان قدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة ، وتدليل على البعث والنشور ، وفي هذا كله خطاب لمنكري البعث من مشركي العرب ، وكثير من آيات القصص القرآني جاءت تؤكد هذه الحقيقة وتنص عليها ،وما ذكره الشيخ من كون الراجح أنّها عظام الحمار وأنّ القول بأنّها عظام الرجل تقول على الله بلا علم ، فنقول له إنّه لا يوجد دليل على ما ذهبت إليه وإن جنح البعض إلى هذا الرأي ، فكذلك القول بأنّها عظام الرجل فلا دليل عليه وإن جنح البعض إلى ذلك أيضا ، وجمع البعض بين ذلك كما قلت سابقا بين كونها عظامه وذلك عندما أحيا الله عينيه ، ثمّ أحيا سائر جسده،وبين كونها عظام الحمار لما أمره الله الرجل بأن ينظر إليه ،فهذا منتهى القول في ذلك ، والمهم أنّ القصد قد حصل وفهم وهو القدرة على الإحياء والإماتة ، والتدليل على البعث .

[1326] ـ انظر: تفسير ابن كثير ، ج 1 ، ص 559.

الفرع الرابع:النقد التفصيلي لنماذج سلطان بن محمد بن حيدر الجنابذي

فأمّا تفسيره لقول الله جلّ وعلى:﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ[1327]» وقوله :«روي في تفسير الإمام «ع»شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾« يعني العياشي إنّها شجرة علم محمد صلى الله عليه وسلم وآل محمد عليهم السلام الذين آثارهم الله تعالى به دون سائر خلقه ...وشجرة علم محمد صلى الله عليه وسلم وآل محمد إشارة إلى مقام النفس الجامع لكمالات الكثرة والوحدة» فأقول :إنّ هذا من التأويل الذي لا يحتمله اللفظ ولا يدل عليه بحال فالآية لا تحتمل ما يقوله الشيخ ، وقد حمل الآية على معنى لا تقتضيه القصة ولا سياق الكلام ولا يدل عليه سباق الكلام ولا لحاقه ، وإنّما دفعه لذلك تعصبه لأهل البيت ومذهبه الشيعي ، وهو بهذا يصدق عليه القول بأنّه من الصنف الذي يعتقد معنى من المعاني ويريد تطويع النص القرآني له ، وهذا تأويل غير مقبول ، فالقصة كما معلوم للكل في شأن نبي الله آدم ونهي الله عزّ وجل له ولأمنا حواء الأكل من الشجرة ، ثمّ بيان كيفية غواية الشيطان لهما وأكلهما من الشجرة وهذا ما تقتضيه الآية لا غير ، فمن أين له أن يقول إنّ المعني بها شجرة علم محمد وآل محمد وغيرها من الخرافات التي ذكرها ، وبالتالي فهذا التأويل باطل لا يناسب سياق الكلام كما أنّ فيه تأسيسا لمذهب مغالي في حب آل البيت فحب آل البيت لا شك أنّه من أصول معتقدات أهل السنة ، لكن دون المغالاة التي يقع فيها أصحاب التشيع وبذلك يخرجون عن مشروعيته ، وقصة آدم في القرآن سواء في هذه السورة أو غيرها من سور القرآن الكريم أتت لتنبه على عداوة الشيطان لبني آدم .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ

[1327]ـ سورة البقرة : الآية 35 .

﴾«[1328]» وقوله :« ورد في الأخبار من أنّهم أمروا أن يقتلوا أنفسهم بالسيوف وأنّهم كانوا سبعين ألفا ....وهذه الآية تدل على جواز الرجعة كما وردت بها الأخبار » فأقول : إنّ صريح القرآن يدل دلالة واضحة لا لبس فيها على ما وقع فيه بنوا إسرائيل من عبادة العجل واتخاذه إلها ، فجعل تعالى من توبتهم أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده على قول ، وقيل أمر كل واحد منهم أن يقتل من لقي من والد وولد بالسيف على رأي وقيل قتل كل واحد ممّن عبد العجل قرينه في العبادة ، والمهم أنّ جنس توبتهم التي أمرهم الله بها هي قتل أنفسهم ،وأمّا ما ذكره من العدد وأنّهم كانوا سبعين ألفا وأنّ الذين عبدوا العجل كانوا ستمائة ألف والذين لم يعبدوا كانوا اثنى عشر ألفا فأمر الذين لم يعبدوا بقتل من عبدوا وفي الحقيقة إنّ تعيين مثل هذا العديد لا مستند له من الصحة إلاّ الإسرائيليات ومرويات الكتاب وإلاّ فمن أحصاهم وعدّهم بهذا العدد ، والشيخ لم يكن بدعا في إيراد مثل هذه الأقوال فقد في مثل ذلك طائفة من علماء السنة ومفسريهم الأفذاذ كالطبري ، وابن كثير وغيرهم من المفسرين فقد أوردوا مثل هذه الأخبار والآثار ،وهي كما قلت لا تعدوا أن تكون من أخبار بني إسرائيل ، إلاّ أنّ الذي استوقفني في تفسيره لهذه الآية هو ما ذكره من قوله أنّ كلام الله تعالى:« ثمّ بعثناكم من بعد موتكم لعلّكم تشكرون » أنّ في ذلك دليلا على الرجعة والتي هي من معتقداتهم كما تقدم القول عن أصولهم ، وهذا تأويل باطل لا يدل عليه سياق الكلام ولا تقتضيه الآية فالكلام موجه لبني إسرائيل فهم المعنيون به والبعث لهم هو إحياءهم بعد موتهم وقد وقع ذلك وهذا من قدرة الله ، وأمّا الذي أشار إليه فغير صحيح ،وإنّما أراد أن يخدم معتقده فحمل الآية على غير معناها الصحيح ، فضلا عن بطلان معتقدهم هذا كما أسلفت القول عنه .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ

[1328]ـ سورة البقرة : الآيتان 55 ـ 54 .

﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾« [1329]» وقوله :« قد اختلفت الأخبار في أنّ الذبيح كان إسماعيل أو إسحاق والمشهور من الأخبار أنّه كان إسماعيل ....يابني إنّي أرى أنّي أذبحك في الموسم عامي هذا» فأقول : قد تكلمت عن قصة الذبيح عند ذكر النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الخازن وفصلت فيها القول ، وأبنت أنّ الراجح فيمن هو الذبيح أنّه إسماعيل عليه السلام بما نقلته من نصوص العلماء وما ذكره الشيخ هنا فصحيح فقد أكد بأنّ الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، ثمّ ما ذكره من باقي الأخبار في القصة فإنّه هو المشهور وهو المتداول بين أهل التفسير ، وليس فيه شيء يناقض الأصول

المطلب الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الزمخشري الاتجاه الإعتزالي

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . . . فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ

يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾« [1330] وقوله :روي

أنّها كانت عاقرا لم تلد إلي أن عجزت ، فبينما هي في ظل شجرة إذ بصوت طائر و هو يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد وتمنّته ، فقالت:اللّهم إنّ لك علي نذرا شكرا أن رزقتني ولدا أن أتصدق به علي بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه ،فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل» فأقول : إنّ ما أورده الإمام الزمخشري في هذه القصة هو ما ينقله جلّ المفسرين وغالبيتهم فقد اشتهرت هذه القصة عندهم وليس لها مستند صحيح من السنة يوثق به وإنّما هي من مرويات بني إسرائيل وهذ النوع تجوز روايته والله أعلم طالما أنّه لم يتعارض مع ما هو مقرر في شريعتنا ولم يكن فيه خدش بمقام النبوة وحط من مكانتهم ، وإن كان الإضراب أولى من هذا كله وضرورة الاكتفاء بما ورد

[1329] ـ سورة الصافات : الآيات 102 ـ 107.

[1330] ـ سورة آل عمران : الآيات 33 ـ 39.

في القرآن أو صحيح السنة والآثار ، وكما قلت فإنّ القصة ليس فيه من المزايدات البعيدة والغريبة ، لذا اقتصر الشيخ علىما اشتهر في ذلك وعلى ما تدل عليه ألفاظ الآيات فحسب والله أعلم .

وأمّا قوله :« ألا ترى كيف أتبعته طلب الإعاذة وله من الشيطان وإغوائه وما يرد من الحديث ما من مولود يولد إلاّ يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان إيّاه إلاّ مريم وابنها » فالله أعلم بصحته فإذا صحّ هنا أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلاّ مريم وابنها كانا معصومين ... واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتمثيل ... وأمّا حقيقة المس و النخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ...» فأقول : إنّ في كلامه إنكارا لحقيقة يؤمن بها أهل السنة ويعتقدونها وهي جواز إذاية الشيطان أو الجني للمسلم وإمكان التلبس به وصرعه ، وقد ثبت ذلك في نصوص القرآن والسنة ، وما لجأ الزمخشري لذلك إلاّ تعصبا لمذهبه الإعتزالى الذي ينفي إمكانية صرع أو إذاية الشيطان للجني ، وما ذكره من شكه في صحة الحديث فنقول له إنّ الحديث ثابت ومروي في صحيح البخاري في كتاب التفسير ، وفي كتاب أحاديث الأنبياء ، وقد ردّ الحافظ ابن حجر على الزمخشري في إنكاره لهذا الحديث فقال ـ رحمه الله ـ : وقد طعن صاحب الكشاف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال : إن صحّ هذا الحديث فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه ، إلاّ مريم وابنها فإنّهما كانا معصومين ، وكذلك من كان في صفتهما ، لقوله تعالى:« إلاّ عبادك منهم المخلصين»«[1331]» قال : واستهلال الصبي صارخا من الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنّه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممّن أغويه ، وأمّا صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا ، ولو ملك إبليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا انتهى ، وكلامه متعقب من وجوه ، والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ، ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء ، بل ظاهر الخبر أنّ إبليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته ، لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا ، واستثنى من المخلصين مريم وابنها فإنّه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك فهذا وجه الاختصاص ولا يلزم منه تسلطه على غيره من المخلصين ، وأمّا قوله:« لو ملك

[1331] ـ سورة الحجر : الآية 40

إبليس إلخ »فلا يلزم كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع أن يستمر ذلك في حق كل احد ...»«[1332]» وليت الأمر وقف عند الإمام الزمخشري ومن يعتقد مذهب الإعتزال فحسب فقد قال : بهذا القول جماعة من أرباب المدرسة العقلية كالإمام والشيخ محمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، فقد ذكر هذا الأخير في تفسير المنار هذا القول ونصره ونافح عنه ، وهذا أمر عجيب فقد حاكوا الإمام الزمخشري في القول بالتخييل والتمثيل ،كما هو مذهبهم وسيأتي بيان ذلك عند معرض الكلام على النماذج التي أوردتها من تفسير المدرسة العقلية ، ولا شك أنّ هذه القصة قد اشتملت على مثل عظيمة وحوت دروسا وعبرا ، وقد وقفت على كلام نفيس للإمام محمد رشيد رضا يتكلم فيه عن بعض ما اشتملت عليه القصة من مثل فقال :«...وقفّى على ذلك بهذه القصة التي تزيل شبه المشركين وأهل الكتاب في رسالته وتردها على وجوههم ، ردّ عليهم بما يعرفونه من أنّ آدم أبو البشر وأن الله اصطفاه بجعله أفضل من كل أنواع الحيوان ، وتمكينه هو وذريته من تسخيرها، وهذا متفق عليه بين المشركين وأهل الكتاب ، ومن اصطفاء نوح وجعله أبا البشر الثاني وجعل ذريته هم الباقين ، ومن اصطفاء إبراهيم وآله على البشر ، فإنّ العرب وأهل الكتاب كانوا يعرفون ذلك ، فالأولون يفخرون بأنّهم من ولد إسماعيل وعلى ملة إبراهيم كما يفخر الآخرون باصطفاء آل عمران على من بني إسرائيل حفيد إبراهيم ، فالله سبحانه وتعالى يرشد هؤلاء وأولئك وجميع البشر إلى أنّه هو الذي اصطفى هؤلاء بغير مزية سبقت منهم تقتضي ذلك وتوجبه عليه ، فإذا كان له الأمر في اصطفاء من يشاء من عباده وبذلك اصطفى هؤلاء على عالمي زمانهم ، فما المانع به من اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على العالمين ، كما اصطفى أولئك ، لا مانع يمنع ذلك عند من يعقل ، فإن قيل إنّه لم يعهد ان بعث نبيا من غير بني إسرائيل عند وجودهم ؟ أليس ذلك بمحض مشيئته ، بلى وبمحض مشيئته اصطفى محمد صلى الله عليه وسلم ، فهذه المثل مسوقة لبيان أنّه تعالى يصطفي من خلقه من يشاء ... ومن هذه المثل قصة مريم فإنّ أمّها إذا كانت قد ولدت وهي عاقر على خلاف المعهود كما نقل أو يقال إذا كان قبول الأنثى محررة لخدمة بيت الله على

[1332]ـ انظر: فتح الباري ، ج 8 ، ص 212 .

خلاف المعهود عندهم وقد تقبله الله ، فلماذا لا يجوز أن يرسل الله محمدا من غير بني إسرائيل على خلاف المعهود عندهم ...»«[1333]»

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾«[1334]» وقوله :هما ابني آدم قابيل وهابيل ... وقيل هما رجلان من بني إسرائيل » فأقول :إنّ ما ذكره الإمام الزمخشري ـ ـ رحمه الله ـ هو المشهور والمتداول بين أهل التفسير وما ذكره في شأن قصتهما هو الذي عليه جماهير المفسرين ، وأمّا القول بأنّهما رجلان من بني إسرائيل فغير صحيح البتة ، وهذا القول ينسب إلى الحسن البصري رحمه فهو القائل بذلك ، وقد نبّه على ذلك الحافظ ابن كثير فقال : «... فهذه أقوال المفسرين في هذه القصة وكلهم متفقون على أنّ هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن ، وكما نطق به الحديث في قوله : إلاّ كان على بني آدم الأول كفل من دمها لأنّه أول من سنّ القتل » وهذا ظاهر جلي ، ولكن قال ابن جرير حدّثنا وكيع ، حدّثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن البصري ، قال : كان الرجلان اللذان في القرآن اللذان قال الله : «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق » من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابني آدم لصلبه ، وإنّما كان القربان من بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات ، وهذا غريب جدا ، وفي إسناده نظر ...»«[1335]»وقوله : ولما قتله تركه

[1333] ـانظر :تفسير المنار ، ج 3، ص 242 .

[1334] ـ سورة المائدة : الآية 27 ـ 31

[1335] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 2 ، ص 551.

بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب ...ولذلك اسّود جسدك » فأقول :هذا كله من قبيل الإسرائليات ومرويات أهل الكتاب ككعب ووهب بن منبه ، حملها عنهم بعض التابعين كمجاهد وغيره من التابعين ، ولا يشهد لما ذكره شيء صحيح يوثق به ، وأمّا قوله :وروي أنّ آدم جلس بعد قتله مائة لا يضحك وأنّه رثاه بالشعر ... وقد صحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر » فأقول : إنّه أشار بذلك إلى ما ينسبه البعض لنبي الله آدم عليه السلام من قوله الشعر ، وهذه من أعظم الافتراءات والافتيات على أنبيائه ، وقد تكلم العلماء في ذلك كثيرا وبيّنوا بطلان هذا القول منهم الإمام الذهبي رحمه الله الذي يقول في ذلك :« أحمد بن محمد المخرمي ، عن عبد العزيز بن الرماح ، عن ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال لما قتل ابن آدم أخاه قال آدم عليه السلام :تغيرت الأرض ومن عليها فوجه الأرض مغبّر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون وقلّ بشاشة الوجه المليح

فأجابه إبليس اللعين: تنح عن البلاد وساكنيها ففي الخلد ضاق بك الفسيح

وكنت بها وزوجك في رخاء وقلبك من أذى الدنيا مريح

فما انفكت مكايدتي ومكري إلى أن فاتك الثمن الربيح

رواه عنه أبو البختري عبد الله بن محمد بن شاكر وسمعه من ابن أبي البختري إسماعيل بن العباس الوراق ، فالآفة المخرمي أو شيخه »«[1336]» والإمام الزّمخشري قد أنكر ذلك وأحسن دفعه عندما قال :وهو كذب بحت وما الشعر إلاّ منخول ملحون ، وقد صحّ أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من الشعر».

[1336] ـانظر :ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، ج1 ، ص 154 ـ 155.

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1337] »وقوله :« وقد فسّر همّ يوسف بحل الهميان وجلس منها مجلس المجامع ...فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه» فأقول : لقد تكلمت عن هذه الآيات في معرض النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن أبي زمنين ـ رحمه الله ـ وأبنت بطلان ما نسب وألصق بنبي الله يوسف عليه السلام من مثل هذه الترهات والخرافات ، وقلت بما سقته من كلام العلماء برآة الأنبياء وعصمتهم من مثل هذه القاذورات من المعاصي والمنكرات ، وأنّ مثل هذه الأخبار من دسائس أهل الكتاب التي قصدوا بها الحط من مقام الأنبياء ، وأمّا عن موقف الزّمخشري ـ رحمه الله ـمنها فإنّه لا يمكنني إلاّ أن أقول : إنّ الإمام الزّمخشري يستحق العلامة الكاملة والثناء البالغ فقد أبلغ وأجاد في دحض وتفنيد مثل هذه الأقوال وتنزيه عن نبي الله يوسف عمّا نسب وأبلغ عندما قال في خاتمة تفنيده ونقده لهذه الأقوال عندما قال :«ولو أنّا أوقح الزناة وأشطرهم وأحدقهم حدقة وأصلحهم لقي بأدنى ما لقي نبي الله ممّا ذكروا لما بقي له عرض ينبض ولا عضو يتحرّك فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلا ما أبينه» .

المطلب الثالث : النقد التفصيلي لنماذج الإباضية

الفرع الأول : الكلام على النماذج التي أوردتها من تفسير هنكم بن هود الهواري

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ

[1337] ـ سورة يوسف : الآية 23 ـ 24.

بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾»«[1338] وقوله :ذكر بعض المفسرين أنّ الشياطين ابتدعت كتابا فكتبت فيه سحرا وأمرا عظيما ....ولكن الشياطين الذين افتعلوا ذلك هم الذين كفروا يعلمون الناس السحر » فأقول قد تكلمت عن هذه الآية في كم من موضع من النماذج التي أوردتها كالنماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الثعالبي من المفسرين بالمأثور، والإمام الطباطبائي من المفسرين بالرأي المذموم وأبنت بطلان ما نسب إلى نبي الله سليمان من تعلم السحر والإمام هود بن محكم الهواري قد ذكر ما يذكره جلّ المفسرين في هذا وصرّح هو بذلك عندما قال : ذكر كثير من المفسرين ،ثمّ إنّه بعد ذلك ذكر ما قرّرته الآية من بطلان ما نسب إلى نبي الله سليمان من السحر ، بل الشياطين هي التي فعلت ذلك ، لكنّ الذي لا يوافق عليه الإمام هود بن محكم الهواري هو ما نقله عن الكلبي بقوله :« إنّ سليمان كان أصاب ذنبا فأحبّ الله أن يجعل عقوبته في الدنيا فابتلاه بما كان من أمر الشيطان الذي خلفه ....فأقبل سليمان إلى ملكه فعرفه الناس واستبشروا به وأخبرهم أنّه إنّما فعله به الشيطان »فقد تكلمت عن هذه الرواية في كم موضع ، وقلت أنّه لا يجوز بحال أن يسلط جني على نبي من أنبياء الله فيتصرف في ملكه وسائر أموره ، فهذا ممّا يخدش ويزري بمقام النبوة ،وقلت إنّ الذنب الذي اقترفه أو بلي بسببه على الصحيح من أقوال العلماء هو كونه لم يستثني في المشيئة عندما قال : لأطوفنّ الليلة على تسع وتسعين امرأة تلد كل واحدة منهن غلاما يجاهد في سبيل الله فلمّا لم يقل إن شاء الله لم يعطى مطلوبه ، وهذا هو التفسير الصحيح لبلائه والله أعلم ،والإمام هود بن محكم الهواري لم يعلق على هذه الرواية ولم ينبه على بطلانها ، إذ كان عليه أن لا يذكرها ، ولما ذكرها فقد ألزم نفسه الحجة والبرهان كي يبطلها وينزّه أنبياء الله عن مثل هذه الخرافات .

[1338] ـ سورة البقرة : الآية 102.

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾«[1339]»فأقول : قد تكلمت عن هذه الآيات عند ذكر النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الزمخشري وما ذكره هود بن محكم الهواري هو عين ما ذكره الزمخشري وجلّ المفسرين وهذه القصة كغيرها من قصص القرآن لا تخلوا من إسرائيليات تلصق به ، وفي ذلك يقول : الدكتور فضل حسن عباس :« وقد أكثر المفسرون والقصاص من الحديث في نبأ ابني آدم ، وكثير ممّا ذكروه ، ليس له سند يعتمد عليه ، فمن ذلك أنّهم أدخلوا عنصر المرأة ، فقالوا كان يولد لآدم توائم ابن وبنت ، فيتزوج كل أخت الآخر ، وإنّ قابيل كان نصيبه أخت هابيل ، ولم تكن على شيء من الجمال لذا غضب وحسد أخاه ، وهذه فرية ليس لها أساس من كتاب أو سنة ، كما قالوا : إنّ الله بعث غرابين قتل أحدهما الآخر ليعلم القاتل كيف يواري سوأة أخيه ، وهذه تتعارض كذلك مع صريح القرآن الكريم ....»«[1340]» وكما قلت فالإمام هود بن محكم الهواري ذكر ما اعتمده جلّ المفسرين ، لكن كان عليه ان يشير إلى بعض ما حوته القصة والجزئية التي أرادت علاجها ، وبيان الدروس والعبر ،وتجلية المقاصد المهمة فيها ، فالقصة جاءت لتحذر من أمر بغيض وخلق ذميم متى تأصل في القلب فإنّه يورد المهالك ويورث البغضاء والشحناء بين الناس ،وهو داء الحسد الذي حذرّ منه النبي صلى الله عليه وسلم لما قال : إيّاكم والحسد فإنّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» وقال عليه الصلاة والسلام محذرا أصحابه منه ومبيّنا لهم بأنّه داء عضال كان في الأمم قبلهم خصوصا اليهود الين وصفوا في كتاب الله « دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم الحسد والبغضاء ...»فالآيات جاءت معالجة لهذا

[1339] ـ سورة المائدة : الآيتان 27 ـ 28

[1340] ـ انظر: قصص القرآن الكريم ، ص 717 ـ 718

الداء ومحذرة من الاتصاف لأنّه من سمات اليهود والأعداء كما قال تعالى :« ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من إيمانكم كفار حسدا من عند أنفسهم »«[1341]»

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾«[1342]»فأقول : لقد تكلمت على تفسير قصة نبي الله صالح في معرض النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام البيضاوي وأشرت إلى ما حوته القصة من دروس وتوجيهات تخص الدعاة والمصلحين ،و ذلك بوقوفهم على طريقة دعوة الأنبياء لأقوامهم وتلطفهم في دعوتهم ، وتعرض لصنوف الاضطهاد والعذاب ومقابلتهم لذلك كله بالرفق واللين بغية انقياد أقوامهم لأوامر الله ، وغيرها من الجوانب المضيئة في القصة ،والإمام هود بن محكم الهواري نقل ما اشتهر عن المفسرين في ذلك ،وإن كان تفسيره للقصة لا يخلوا من بعض الإسرائيليات ،ولكنّه في تفسير لا يشير إلى جماليات القصة وأهدافها ودروسها ، فهو في مسلكه هذا متماش إلى حد بعيد مع المفسرين بالمأثور الذين شأنهم الروايات من غير تنويه على العبر التي حوتها القصة والله أعلم .

الفرع الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الشيخ اطفيش في كتابه تيسير التفسير

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ ۘ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ

[1341] ـ سورة البقرة : الآية 109 .

[1342] ـ سورة هود : الآيات 61 ـ 63 .

ٱلْمُبِينُ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمْۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾»«[1343]» فأقول : قد تكلمت عن قصة أصحاب القرية في معرض النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام ابن أبي حاتم ـ رحمه الله ـ وبيّنت ما فيها والشيخ اطفيش قد نقل ما اشتهر عن جماعة المفسرين وغالب ذلك كله إسرائيليات لا دليل على صحتها ،فمن ذلك قوله بأنّ القرية أنطاكية وتعيينها لم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة وإنّما هي أقوال من بعض الإخباريين وتواترت عند التابعين من السلف وقد ضعف ابن كثير القول بأنّها أنطاكية من وجوه عدة كما ذكرت ذلك من قبل ، وكذلك الشأن في أسماء الرسل الثلاثة فالله أبهمهم ولا فائدة تعود من ذكرهم ،وكذلك الكلام في شأن ما ظهر على أيديهم من معجزات وفي كونهم رسل من عيسى عليه السلام وغيرها ممّا سطره الشيخ رحمه الله غالبها إسرائيليات كان عليه أن يحقق القول فيها أو يعرض عنها أو يشير إلى ضعفها ، لكنّ الشيخ أوردها كالمقر لها ، ولم يشر إلى ما في القصة من توجيهات أو دروس ، وإن كان كثير الاعتناء بالجوانب النحوية أو البلاغية المتعلقة بآيات القصة ، والشيخ يشبهه في منهجه أو مسلكه هذا مسلك بعض المفسرين بالمأثور الذين شأنهم رواية ما هبّ ودب والجمود على الروايات التي تناقلها من سبقهم والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾» وما ذكره في نسب عاد فقد نقله من كتب السير والتواريخ وذكر هذا النسب ابن إسحاق كما نقله عنه الإمام ابن كثير في تفسيره«[1344]» وأمّا ما ذكره في شأن قوتهم ووجه تسميتهم بإرم ذات العماد فقد ذكر نحو ذلك عن جماعة من المفسرين بألفاظ متقاربة وأوردوا عنه صلى الله عليه وسلم حديثا في أنّ الواحد منهم كان يحمل الصخرة على

[1343] ـ سورة يسن : الآيات 13 ــ 19.

[1344] ـ انظر: ج 7 ، ص 284.

الحي فيهلكهم ، فالله أعلم بصحته ،وغير ذلك ممّا أورده الشيخ اطفيش والمهم أنّ الله عزّ وجل وصفهم بالقوة وأنّهم أوتوا بسطة في الأجسام كما دلّ عليه صريح القرآن ، أمّا الجري وراء طول ذراع الواحد منهم وغيرها من التقريرات التي لا طائل من ورائها فالأفضل الإعراض عنها ، وأمّا قوله : «وكان لعاد ابنان شداد وشديد ملكا الدنيا ومات شديد وخلص الأمر لشداد، وسمع بذكر الجنة فبنى ي مدينة في زعمه مثل الجنة في بعض الصحاري عدن، في ثلاثمائة سنة، وعمره تسعمائة سنة، قصورها وغرفها من الذهب والفضة،وأساطينها من الزبرجد والياقوت ....وهو كلام موضوع كما قال ابن حجر» فأقول : إنّ الإمام اطفيش يشير بقوله هذا إلى ما سطره الإخباريون وتناقله عنهم المفسرون في شأن هذه المدينة حيث أوردوا فيها غرائب وعجائب كانت محال انتقاد جمع من العلماء فبيّنوا زيفها ودحضوا باطلها فممّن وهّن هذه الرواية الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ حيث قال :«ومن زعم أنّ إرم مدينة من ذهب وفضة وهي تنتقل في البلاد فقد غلط وأخطأ وقال ما لا دليل عليه »«[1345]» ، وقال في موضع آخر : وقال في موضع آخر « ... وإنّما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير ممّا ذكره من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها : إرم ذات العماد مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأنّ حصباءها لآلئ وجواهر وترابها بنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لأنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب ، وأنّها تنتقل فتارة تكون بالشام ، وتارة باليمن وتارة بالعراق ، وتارة بغير ذلك من البلاد ، فإنّ هذا كله من خرافات الإسرائيليين ، من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك »«[1346]» وممّن أنكر هذه الرواية العلامة ابن خلدون حيث قال : وأبعد من ذلك وأغرق في الوهم ما يتناقله المفسرون في سورة الفجر في قوله تعالى :« ألم تر كيف فعل ربّك بعاد إرم ذات العماد »«[1347]» فيجعلون لفظة إرم اسما لمدينة وصفت بأنّها ذات عماد أي أساطين ، وقالوا إنّها مدين لقوم عاد بصحاري عدن وأنّها مدينة عظيمة قصورها من ذهب وأساطينها من ياقوت

[1345]ـ انظر: البداية والنهاية ،ج 1 ، ص 120.

[1346]ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 7 ، ص 285.

[1347]ـ سورة الفجر : الآيتان 6 ـ 7 .

وزبرجد ، وفيها الأنهار والأشجار ، ثمّ أهلكهم الله تعالى ...»«[1348]» والشيخ اطفيش نقل بعد ذلك عن الحافظ ابن حجر ، لكن الأحرى والأجدر به أن لا يرويها مطلقا .

وقوله : «وعن عبد الله بن قلابة وعن عبد الله بن قلابة : أنّه خرج في طلب إبل له فوقع عليها فوجدها مبنية بالذهب والفضة و الياقوت، وأنواع الجواهر والعيون، والشجر المثمر في أزقتها مفروشة بذلك وبالمسك فحمل ما قدر عليه مما فيها، فاستحضره معاوية فقص عليه، فبعث إلى كعب فسأله فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك، أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال، يخرج في طلب إبل له، ثمّ التفت فأبصر ابن قلابة فقال: والله ذاك الرجل، وهو كلام موضوع» فأقول الكلام عن هذه الرواية نظير الكلام على الرواية السابقة وقد حكم بضعفها الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ حيث قال:« ... فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صحّ إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلق ذلك أو أنّه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أنّ ذلك له حقيقة في الخارج وليسكذلك ، وهذا ممّا يقطع بعدم صحته ...»«[1349]»ثمّ الشيخ حكم بعد ذلك عنها بالوضع والأولى لو أضرب عنها هو وغيره من المفسرين.

إنّ قصة نبي الله هود مع قومه في سورة الفجر أو في غيرها من سور القرآن التي ذكرت خبر قوم عاد إنّما جاءت لتؤكد دروسا وتحذر من مغبة الغرور والاستكبار والطغيان فهؤلاء إنّما غرهم حالهم وماهم عليه من قوة في الأجسام ومن تطاول في البنيان فجرّهم غرورهم إلى الكفر برسالة الله التي جاءهم نبي الله هود بها فلم يوظفوا ما أعطاهم الله من قوة في أمور الدين والخير بل عتوا وتجبروا وكذّبوا نبي الله ، فكان جزاؤهم أن انتقم الله منهم شرّ انتقام كما هو الحال في الأمم المكذبة للرسل وما أحسن كلام الدكتور فضل حسن عباس عندما تكلم عن هذه القصة فقال :... هذه قصة هود مع قومه ، والذي نلحظه من خلال ما مرّ بنا من آيات كريمة أنّ هودا عليه السلام إضافة إلى دعوة قومه للتوحيد والإيمان بالله وعبادته كان هناك أمر آخر جدير بأن ينبه قومه له ، ذلك ما كان يجده أولئك

[1348] ـ انظر: المقدمة ،

[1349] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 7 ، ص286.

من أنفسهم من هذه الغطرسة والشدة والقوة والبطش نجد ذلك مبثوثا في أكثر السور التي عرضت للحديث عن عاد ، والقوة حين تكون بعيدة عن الحق وحين تنبعث من النفوس المعرضة المستعلية تصير سببا من أسباب الطغيان بل من أخطر أسبابه ، إنّها تحمل أصحابها فتنسيهم أول بديهة من البديهيات ، وهي أنّهم خلقوا ليموتوا فبقدر ما تجدهم يبنون في الدنيا مشيدين متفاخرين ، إنّهم يهدمون من جانب آخر بنيانهم الإنساني فيصبح البطش طبيعتهم والتجبر ديدنهم فلا تزداد قلوبهم إلاّ قسوة ومن هنا فهم أبعد ما يكونون عن أن يتأثروا بنصح ناصح ، أو برقة واعظ لقد أعمتهم القوة عن كل شيء...»«[1350]»

المطلب الرابع :النقد التفصيلي لنماذج التي أوردتها من تفسير الصوفية

الفرع الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام التستري

تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾«[1351]»

«أفكان شاكا في إيمانه حتى سأل ربه أن يريه آية ومعجزة ليصح معها إيمانه ؟ فقال : سهل لم يكن سؤاله ذلك عن شك ، و إنما كان طلبا زيادة يقين إلى إيمان كان معه ....وإنّما سأل الطمأنينة بعد الإيمان زيادة وأصحاب المائدة أخبروا أنّهم يؤمنون بعد أن تطمئن قلوبهم »فأقول : الشيخ رحمه الله أن يقرر أنّ إبراهيم عليه لم يحصل له شك في قدرة الله لما سأل كيفية إحياء الموتى ، فالشك في أمور العقائد غير جائز في حق الأنبياء كما قال القاضي عياض ، و إنّما طلب ذلك زيادة في اليقين والاطمئنان وهذا قول سديد منه ، ثمّ قاس حال نبي الله إبراهيم

[1350] ـ انظر: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ، ص 104.

[1351] ـ سورة البقرة : الآية 260

على حال الحواريين مع نبي الله عيس عليه السلام لما سألوا نزول المائدة فإنّ ذلك لم يكن عن شك منهم في قدرة الله وإنّما أرادوا اطمئنان قلوبهم كما قال تعالى :«وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين »«[1352]» ، ثمّ قوله :«إذا بلغ العبد إلى كفاح العيان ما علامته في البيان ؟ فقال : يغلب بطرد الشيطان وهو أنّ النفس في معاينة الهوان ولا سبيل إليه للنفس والشيطان بعزلهما عن الشيطان إلاّ بحفظ الرحمان » فأقول : الشيخ رحمه الله قد استعمل بعض مصطلحات التصوف والمعروفة عند أرباب السلوك في تحليل بعض المقامات التي يصل إليها العابد من خلال طاعته لله جلّ وعلا ، وكلام الشيخ لا يشوبه شيء من الاعتقادات الفاسدة التي توجد في كلام بعض المتصوفة ، والشيخ لم يجعل تأويله هذا هو الظاهر والمراد الأول من الآية ، بل ذكره بعد تفسير الظاهر من الآية ، ومسلك كهذا لا تعقيب عليه ما دام كلامه سالما من بعض الشطحات التي تكثر عند من يدّعي التصوف والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[1353]» وقوله :«يعني همّ بنفسه الطبيعية إلى الميل إليها،...وعصمه ما عاين من برهان ربه عز وجل هو أنّه جاءه جبريل صلوات الله عليه في سورة يعقوب عليه السلام عاضا على إصبعه فولّى عند ذلك في الباب مستغفرا» فأقول : قد تكلمت عن قصة يوسف في كم موضع من النماذج التي أوردتها كتفسير الإمام ابن أبي زمنين والإمام الزمخشري و تكلمت عمّا نسج حول القصة من خرافات إسرائيلية لا علاقة لعلم التفسير البتة ،

[1352] ـ سورة المائدة: الآية 113

[1353] ـ سورة يوسف : الآية 24.

والإمام التستري قد تكلم عنها بشيء مقتضب وأشار إلى معنى همّه وبأنّها الفكرة والخاطرة وقد تكلمت عن هذا فيما مضى ، ثمّ هو أشار إلى عصمة الله له من الوقوع في هذه الفاحشة ، لكن الشيخ رحمه الله فسّر برهان الله تعالى الذي رآه يوسف عليه السلام بأنّ جبريل تمثل له في صورة يعقوب عليه السلام عاضا على إصبعه ، وهذه من الإسرائيليات والخرافات التي أولع بها كثير من القصاص والإخباريين وتناقلها المفسرون ، والأصح من كل هذا أن ينزّه قصص القرآن عن مثلها .

الفرع الثاني :النقد التفصيلي لنماذج الإمام السلمي

تفسيره لقول الله تعالى :﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾«[1354]» وقوله : قال بعضهم بشروه بنسب الخلة وأنّها لا تنقطع ، قال بعضهم بشروه بإخراج محمد صلى الله عليه وسلم من صلبه ، وأنّه خاتم الأنبياء وصاحب لواء الحمد ...» فأقول : إنّ الشيخ رحمه الله فسّر البشارة بمعنى بعيد عن ظاهر الآية ، فهي لا تدل على ذلك لا من قريب ولا من بعيد ، فالبشارة على ما هو مشهور هو تبشيره بالولد وهو هنا إسحاق عليه السلام ، وما ذكره الشيخ بأنّ البشارة هي تبشيره بالخلة فهذا غير صحيح وتفسير للآية بما لا تدل عليه ، وإن كانت صفة الخلة ثابتة لسيدنا إبراهيم عليه السلام بصريح قول الله تعالى :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾«[1355]» فكان الإمام السلمي كما قال العلماء في شأنه إنّه من المفسرين الذين أخطؤوا في الدليل لا في المدلول بحيث يفسر القرآن بمعاني صحيحة لكنّ الآية لا تدل على ذلك المعنى ،

[1354] ـ سورة هود : الآيتان 69 ـ 70.

[1355] ـ سورة النساء : الآية 125 .

وقوله بعد ذلك في قوله تعالى :«فلمّا رأى أيديهم لا تصل إليهم نكرهم وأوجس منهم خيفة » سمعت غير واحد من أصحابنا يحكون عن البوشنجي أنّه قال من دخل هذه الدويرة ولم يبسط معنا في كسرة ، أو فيما حضر فقد جفاني غاية الجفاء ، سمعت أبا بكر بن إبراهيم يقول: سمعت أبا جعفر بن عبدوس يقول: من أشبع من طعامالعقد أوالفتيان فقد أظهر كبره» فأقول : إنّ نقل كلام كهذا من بعض أقطاب الصوفية وغلاتها للتدليل على بعض معاني الآيات باطل وغير صحيح فما وجه الربط بين توجس إبراهيم من ضيوفه لما أبو الأكل من العجل الحنيذ وبين ما نقله عن هذا الإمام من الصوفية ، فترفع ضيوف إبراهيم عن الأكل لأنّهم كما قال الحافظ ابن كثير ملائكة والملائكة لا همة لهم إلى الطعام ولا يشتهونه «[1356]» وأمّا إنكار هذا الإمام عن أتباعه عدم دخول دار معينة ورفض الأكل معه فلا مدخل لما نقله السلمي عن الرجل في التفسير ولا متعلق له به ، فهو كلام مرفوض ، وكذلك القول فيما ذكره بعد ذلك عن أبي جعفر بن عبدوس بأنّ من شبع من طعام العقد والفتيان فقد أظهر في الكبر ،وهذا من تراهات الصوفية وخرافاتهم ومن تلبيس إبليس عليهم إذا راحوا يحرمون على أنفسهم ما أحل الله لهم من المباحات والطيبات ، فلا هم أورع وأتقى من سيد الخلق الذي أكل الحلوى والعسل وكان يأكل من الطيبات ، فهذا وأمثاله من الكلام ينبغي أ ينزّه منه التفسير عموما والقرآن خصوصا .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو

[1356] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 3 ، ص 563.

حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾«[1357]» وقوله : قال القاسم في جميع الأحوال بغى والطغيان والمفروح به محل الحزن ...سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: وقد سأله و حلّ في مجلسه أي الزينة أجمل؟ قال: الأخلاق الجميلة لو كان يفوقها شيء لزيّن بها حبيبه ...» فأقول : إنّ الشيخ رحمه الله لم يتعرض لظاهر القصة بذكر جزئياتها وتفصيلاتها المشهورة عند المفسرين ، وإنّما رام بيان ما حوته من بعض قضايا التصوف ومقامات السلوك التي هي طريقة القوم عندهم ، فنقل عبارات مشايخ الصوفية فيما تعلق بتلك الموضوعات التي استنبطها من القصة ، وإن كان ما نقله ليس فيه غلو أو فساد في الاعتقاد ، إلاّ أن الإشارة إلى هذه المباحث دون تحليل وتفسير ظاهر النص القرآني ـ القصة ـ أمر غير محمود فلو فسر القصة بما تقتضيهأصول التفسير وبما هو متعارف عليه ثمّ لمح فيما بعد إلى هذه الإشارات الصوفية لكان أفضل والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾«[1358]» وقوله :«:سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا القاسم الاسكندراني يقول: سمعت أبا جعفر الفلسطيني في هذه الآية: قال: انبجست من المعرفة اثنتا عشر عينا، يشرب كل أهل مرتبة في مقام عين من تلك العيون على قدرها، فأول عين منها التوحيد والثاني عين العبودية والسرور بها، ...ومنشرب من عين منها يجد حلاوتها ويطمع في العين التي هي أرفع منها من عين إلى عين حتى يصل إلى الأصل وإذا وصل إلى الأصل تحقق بالحق» فأقول : إنّ الآيات تتحدث عن قصة نبي الله موسى لما طلب السقي منه سبحانه وتعالى فاستجاب الله له حيث أمره أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشر عينا على عدد أسباطهم لكل واحد منهم

[1357] – سورة القصص: الآيات 76-79.

[1358] ـ سورة الأعراف : 160.

عين وفي هذا تعريف لبني إسرائيل بنعم الله عليهم ومع ذلك يجحدونها ويكذبون رسل الله ، وأمّا ما ذكره الإمام السلمي فلا متعلق له بالتفسير ولا تدل عليه الآية في شيء من ذلك وإنّما هو كلام لبعض المتصوفة يتحدث فيه عن مقام المعرفة بالله ومراتبها ، لكن جعل هذا تفسيرا للآية فهذا باطل ولا يوافق عليه ، فإنّ هذا عدول عن ظاهر النص القرآني ولا يمكن القول بأنّ هناك معاني باطنة للآية يمكن استنباطها والتي منها هذا الكلام وأمثاله من كلام المتصوفة .

الفرع الثالث :النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن عجيبة

فأمّا تفسيره لقول الله تعالى : : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا

[1359]» وقوله :«قلت ﴿ اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾« :حق هذه الآية أن تتقدم قبل قوله إنّ الله يأمركم، وإنّما أخرها الحق ليتوجب العقاب إليهم مرتين على تلك المسارعة لامتثال أمر بينهم، وعلى قتل النفس، ولو قدّمها لكانت قصة واحدةبتوضيح واحد ...واستدلت المالكية: بالقصة على القدمية الحمراء وهي قبول موته بأنّ فلانا قتله، وفيه نظر لأنّ هذا يحيي بعد موته فلا يتطرقه الكذب و استدلت أيضا على حرمان القاتل من الإرث وفيه نظر: لأنّ هذه شريعة من قبلنا يتطرقها النسخ، لكن ثبت في الحديث أنّه لا يرث والله تعالى أعلم».

فأقول :قد تكلمت عن هذه القصة في معرض النماذج التي أوردتها من تفسير الإمامين ابن أبي حاتم وبن كثير ـ رحمهما الله ـ والذي استوقفني من كلام ابن عجيبة هو قوله : «قلت حق هذه الآية أن تتقدم قبل قوله إنّ الله يأمركم » فقوله هذا ذكره غير واحد من المفسرين كالإمام الزمخشري والإمام البيضاوي ، وقد تعقب الشيخ الطاهر بن عاشور هذا القول وبيّن أن القصتين مختلفتين فلا يوجد

[1359] ـ سورة البقرة : الآيتان 72 ـ 73

ثمت تقديم وتأخير فقال : ... قيل إنّ أول هذه القصة هو المذكور بقوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها » الآيات وإنّ قول موسى« إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة»ناشئ عن قتل النفس المذكورة ، وإنّ قول موسى قدّم هنا لأنّ خطاب موسى عليه السلام قد نشأ عنه ضرب من مذامهمفي تلقي الشرائع وهو الاستخفاف بالأمر حين ظنوا هزؤا والإعنات في المسألة فأريد من تقديم القصة تعدد تقريعهم هكذا ذكر صاحب الكشاف والموجهون لكلامه ، ولا يخفى أنّ ما وجّهوا به تقديم جزء القصة لا يقتضي إلاّ تفكيك القصة إلى قصتين تعنون كل واحدة منهما بقوله إذ مع بقاء الترتيب على أنّ المذام قد تعرف بحكايتها والتنبيه عليها بنحو قوله :«أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ـ وقوله ـ وما كادوا يفعلون » فالذي يظهر لي أنّهما قصتان أشارت الأولى وهي المحكية هنا إلى أمر موسى إياهم بذبح بقرة وهذه هي القصة التي أشارت إليها التوراة في السفر الرابع وهو سفر التشريع الثاني ... وبعد أن روي القصة من كتاب التوراة قال :هكذا ذكرت القصة بإجمال أضاع المقصود وأبهم الغرض من هذا الذبح أهو إضاعة ذلك الدم باطلا أم هو عند تعذر معرفة المتهم ؟ وكيفما كان فهذه بقرة مشروعة عند كل قتل نفس جهل قاتلها وهي المشار إليها هنا ، ثمّ كان ما حدث من قتل القتيل الذي قتله أبناء عمّه وجاءوا مظهرين المطالبة بدمه وكانت تلك النازلة نزلت في يوم ذبح البقرة فأمرهم الله بأن يضربوا القتيل ببعض تلك البقرة التي شأنها أن تذبح عند جهل قاتل نفس ، وبذلك يظهر وجه ذكرهما قصتين ...»«[1360]» ، ثمّ إنّ قوله:« واستدلت المالكية بالقصة على القدمية الحمراء وهي قبول موته بأنّ فلانا قتله » فهو يشير إلى مسألة من مسائل الفقه استنبطت من هاته القصة وهي قبول قول المقتول بأنّ فلانا قتله أو أنّ دمه عند فلان ،

[1360]. انظر: التحرير والتنوير ، ج 1 ، ص 546 ـ 547

وقد تكلمت عنها من قبل وقد وقع في ذلك خلاف بين المالكية وغيرهم من بقية المذاهب الأخرى ، ومحل ذلك كتب الفقه فمن أراد الوقوف على تفاصيلها فليرجع إلى كتب الفقه .

وأمّا قوله :الإشارة: إذ أمر الشيخ المريدين بذبح نفوسهم بخرق عوائدها، ومن تردد منهم في فعل ما همّت نفسه، كان ذلك دليلا على قلة صدقه وضعف نهايته، ومن بادر منهم إلى قتلها دلّ ذلك على صدقه وفلاحه و نجح نهايته، فإذا ماتت النفس بالكلية جيئت روحه بالمعرفة والمشاهدة الدائمة فلا موت بعدها ...فحينئذ تصلح للحضرة، وتتمتع بنعيم الشهود والحضرة لم يبق لخصم الفرق معها تدراك ولا نزاع بل أقر الخصم وارتفع النزاع» فأقول : إنّ الشيخ رحمه الله قد تكلم عن ظاهر الآيتين أولا ، ثمّ عرّج بعدها على المعاني الإشارية التي حوتها ، فتفسيره لظاهر الآيات أولا وبعدها المعاني الإشارية هو الطريق الأمثل لهذا النوع من التفسير الذي أجازه العلماء ، وحتّى المعاني الإشارية في تفسيره تتصل وتتربط بالمعنى الظاهر ارتباطا وثيقا فلا يوجد ثمّت انفصال بين تلك المعاني مع تخيره للعبارات الهادفة التي تقرب الجانب السلوكي والأخلاقي الذي حوته الآيات ، فالإشارات التي يشير إليها دائما تتوافق مع سياق الآية ، فلا يتكلف معان لا يتحملها السياق القرآني أو أقولا شاذة تروى عن بعض المتصوفة ،وهذا منهج عام له في تفسيره كما أشار إلى ذلك حسن عزوزي قائلا:« وقد عمل ابن عجيبة على الجمع بين المعاني الظاهرة لآيات القرآن الكريم ومعانيها الإشارية على نحو

أعطى لظواهر النصوص مكانتها اللائقة بها باعتبارها الأصل الذي ينبني عليه غيره فاستوفاها حقها التام ، وبوّأ الإشارة مكانتها التي لا هيمنة فيها على العبارة ولا افتئات فيها عليها ...»[1361]«

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى :«وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ..... وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرٗا ﴾«[1362]»

فأقول : قد تكلمت عن هذه الآيات في العديد من النماذج التي أوردتها عن بعض المفسرين في تناول القصص القرآني كتفسير ابن عطية لهذه القصة ، والملاحظ على الإمام ابن عجيبة هو سيره على ما مضى عليه المفسرون من إيراد بعض الإسرائيليات في شأن الرجلين من ذكر اسمهما وكونهما من بني إسرائيل وما كان من حالهما من جنس ما ذكره ابن عجيبة وهذه كلها إسرائيليات لامستند لها من الصحة ، فالإضراب عنها أولى والاكتفاء بظاهر القرآن وما قصّه الله جلّ وعلا أولى ، والشيخ بعد ذلك يمضي على عادته بعد استيفاء المعنى الظاهر للآية وإشباع الكلام فيه يتطرق إلى جانب الإشارة ، وإشارته دائما كما قلت مرتبطة بظاهر الآيات ، فما ذكره في هذا المقام لا شيء فيه وهو كلام مقبول سليم من الخرافات والأقوال الشاذة للمتصوفة .

وأمّا تفسيره لقوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ

[1361] ـانظر: الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير ، د ط ، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1422 هـ ـ 2001 م ، ج 2 ، ص 7 .

[1362] ـ سورة الكهف الآيات 32ـ 43

وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ

﴿﴾[1363]

وقوله :«وقيل: إنّه ولد له ابن، فأجمعت الشياطين على قتله، وقالوا إن عاش له ولد لم ننفك من خدمته، فلمّا علم ذلك، حمله في السحاب، فما شعر حتى ألقي كرسيه جسدا ميتا فتنبه لخطئه، حيث لم يتوكل على الله وقيل :إنّه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها، وأخذ بنتا له تسمى جرادة، من أحسن الناس فاصطفاها لنفسه.....وقذفه في البحر فهو باق فيه فالجسد على هذا عبارة عن صخر سمي به وهو جسم لا روح فيه لأنّه تمثيل بما لم يكن كذلك والخطيئة تخالفه عليه السلام عن حالة أهله لأن اتخاذ التميز لم يكن محضورا حينئذ والسجود للصورة بغير علم منه لا يضره»أقول قد تكلمت عن قصة سيدنا سليمان عليه السلام في سورة ص في معرض النماذج التي أوردتها من تفسير الإمام الطبري وبعض المفسرين الآخرين وفصلت القول فيما نسج حول هذه القصة والإمام ابن عجيبة قد أورد إسرائلية من الإسرائيليات التي اشتهر وراج نقلها في قصة سيدنا سليمان وقد قلت من قبل أنّها باطلة ومن وضع الزنادقة و دسائس اليهود التي قصدوا بها الحط على الأنبياء والانتقاص من شأنهم ، والأصح في ذلك كله أن تفسر فتنة سيدنا سليمان عليه السلام بما ورد في الحديث الذي ذكرته فيما مضى وهو الوجه الصحيح الذي حمل عليه المفسرون الآية ، ثمّ إنّ الشيخ بعد أن ساق هذه الرواية نقل استهجان العلماء لها وعدم قبولها وذلك فيما نقله عن القاضي عياض ـ رحمه الله ـ من أنّه لا يجوز تسلط الجني على أحد من الأنبياء والتصرف في ملكه وشؤونه فالأنبياء

[1363] ـ سورة ص : الآيات 34 ـ 39.

معصومون من هذا ، وقد كان حريا به أن يعرض عن هذه الرواية ويكتفي بما جاء في الحديث فحسب ، ثمّ الشيخ بعد ذلك على عادته بعد إفاضة القول في ظاهر الآية يشرع في جانب الإشارة ببيان ما اشتملت عليه من علم السلوك والتربية الروحية ومسائل الرقائق والشيخ يركز على ربط المعاني الظاهرة بجانب الإشارة فيحرص دائما على أن يكون المعنى الإشاري له دلالته من المعنى الظاهري وعادة جملة أقواله وإشاراته ليس فيها ما يستنكر ويكون كلامه مقبولا ، إلاّ في بعض الأحيان فإنّه يستعمل مصطلح المريد ويريد به شيخ من شيوخ الطرق الصوفية وهذا من المصطلحات المحدثة ، فإنّ المعاني الروحية وتزكية القلوب والأنفس لا يحتاج فيها إلى شيوخ الطرق وإنّما تنال وتحصل بالالتزام بأمور الشرع واتباع السنة وكثرة الذكر ومجاهدة النفس ، والله أعلم .

الفصل الرابع :

منهج المدرسة العقلية في تناول القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

منهج المدرسة العقلية الحديثة في تناول القصص القرآني

لقد ظهرت بوادر هذا الاتجاه في التفسير في العصر الحديث تحت غطاء الإصلاح الاجتماعي لأوضاع الإسلام والمسلمين، الذي كان يعيش تحت وطأة الاستعمار، المسيطر على دول الإسلام في ذلك الزمان في مشارق الأرض ومغاربها، موازاة مع تأثر بعض المسلمين بالحضارات الغربية، وما آلت إليه أوضاع أوروبا، فبهرها هذا التطور وأدهشها، فأحبّت مضاهاة هذا التطور والسير على خطاه بغية النهوض بحال المسلمين، بالإضافة إلى جهود المستعمرين في محاربة الإسلام وأهله في هذه الدار بالتضييق على المصلحين ومحاصرتهم والتمكين للمرجفين والذين في قلوبهم مرض من أبناء الديار المسلمة من السيطرة على المساجد ودور الإصلاح والتعليم،و أوزع لهم الاستعمار «فكرة فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية...»«[1364] ».

فظهرت طائفة من علماء ذلك الزمان أخذت على عاتقها فكرة الإصلاح بمنظور يتماشى مع العلم الحديث ويعطى للعقل مجاله الذي يرتاض فيه في حدود الدين ونزع فكرة معاداة الدين للعلم والعقل، فحاولت معالجة هذه المسائل في ضوء تفسير النصوص القرآنية، وتفسير القرآن الكريم وفق هذا المنهج، مع التحرر من كثير من المباحث المألوفة عند المفسرين في التعامل مع النص القرآني من الإكثار من المسائل النحوية و البلاغية و الاستطراد في عرضها وسنذكر ذلك عند الإشارة إلى منهج هذه المدرسة عموما في التفسير قبل بيان منهجها في تناول القصص القرآني.

ولقد كان لهذه المدرسة أقطاب وأعلام حملوا راية هذا المسلك والمنحى ودافعوا عنه وناهضوا لأجله لذلك لزم في هذا المبحث عرض بعض آراء هؤلاء وبيان طريقتهم في تناول القصص القرآني مركّزين على أربعة مصلحين هم: جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، و المراغي.

[1364] ـ انظر: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ،فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، ط 2 ، السعودية ،1403 هـ 1983 م ، ج 1 ، ص 69 ـ 70 .بتصرف

المبحث الأول :المنهج العام في التفسير عند أصحاب المدرسة العقلية

لقد ارتكز أصحاب المدرسة العقلية في تفسير القرآن الكريم على قواعد وأسس كانت هي منطلقهم في هذا الإصلاح تحت لواء التفسير ولقد ذكر صاحب التفسير والمفسرون بعض هذه القواعد وأسهب في إيرادها صاحب اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر أحبت إيرادها ملخّصة كي تكون عونا على فهم منهج هذه المدرسة في التفسير عموما قبل الخوض في منهجها في تناول القصص القرآني.

الأساس الأول: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم

جعل أصحاب المدرسة العقلية الاجتماعية الوحدة الموضوعية أساسا في فهم القرآن الكريم«[1365]» قال رشيد رضا: «من نظر في ترتيب السور كلّها في المصحف يرى أنّه قد روعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة و من حكمته أنّ في ذلك عونا على تلاوته وحفظه فالناس يبدءون في قراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطوال إلى المئين فالمثاني فالمفصل أنفى للملل وأدعى إلى النشاط، ويبدءون بحفظه من آخره لأنّ ذلك أسهل على الأطفال، ولكن في كلّ قسم من الطول والمئين والمفصّل تقديما لسور قصيرة على سور أطول منها، ومن حكمة ذلك أنّه قد روعي التناسب في المعاني السور مع التناسب في السور أي مقدار الطول والقصر ويتجسّد هذا الأساس في التفسير والتركيز عليه عند الموازنة بين أقوال المفسرين ومحاولة الأخذ بما يتناسب مع موضوع السورة«[1366]».

[1365] – اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري: فهد الرومي: ج2،ص 718.

[1366] – تفسير المنار: محمد رشيد رضا: ط2، بيروت، دار المعرفة، ج7، ص 287.

الأساس الثاني: الوحدة الموضوعية في السورة القرآنية

عمد أصحاب هذا الاتجاه إلى ردّ التفاسير التي تخالف الوحدة الموضوعية في السورة، مع اهتمامهم ببيان الغرض العام في السورة حتّى يكون محور ارتكاز في التفسير«[1367]» وستأتي نماذج من تفسير القصص القرآني أعمل فيها أصحاب هذا الاتجاه هذا الأساس.

-الأساس الثالث: تحكيم العقل في التفسير

لا ينتاب أحدا من العقلاء ، أو يتطرق الشك إلى واحد من الفضلاء ما أعطته شريعة الإسلام للعقل من مكانة، فنصوص القرآن حافلة بالآيات التي تدعوا إلى إعماله وعدم إهماله، لا سيّما في الآيات التي تكلمت عن عقائد المشركين وأبطلتها، مع الدعوة إلى استعمال البرهان العقلي للنظر والتفكر في ملكوت الله، غير إنّ إطلاق العنان للحرية العقلية أفضى إلى مزالق، وأدّى إلى مثالب جنت الويلات على عقائد المسلمين وثوابتهم في القديم والحديث، فحملهم التقديس العالي له لإنكار كثير من الحقائق الشرعية والمسلّمات اليقينية، وقد جار أصحاب المدرسة العقلية نهج أسلافهم من المقدّسين للعقل من المعتزلة وإن لم يوافقهم في بعض الأصول إلاّ أنّ تأثرهم بهم في هذا المجال ظاهر وبيّن، وقد أرسى هذا الأساس الشيخ محمد عبده ومن جاء بعده كمحمد رشيد رضا والمراغي يقول: الشيخ محمد عبده:«الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضك إلى العقل ومن قاضك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور ، أو يثور عليه؟»«[1368]».

وسيتجلّى بوضوح هذا الأساس من خلال ذكر نماذج لتفسير أصحاب هذه المدرسة للقصص القرآني

[1367] – اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: فهد الرومي: ج2، ص278.

[1368] – الإسلام و النصرانية: محمد عبده، د ط ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، دت ، ص 45.

الأساس الرابع: إنكار التقليد و التحذير منه.«[1369]».

حرص أقطاب هذه المدرسة حرصا شديدا على ذمّ التقليد ونبذه والتشنيع عليه غير أنّ حرصهم الزائد كما يقول الدكتور فهد الرومي«[1370]» أوقعهم في نوع من التخليط بين أمور العقائد والأحكام الفقهية، فقاموا باستنباط بعض الأحكام خالفوا فيها إجماع الأوائل من أئمة المذاهب بطريقة مستغربة منجرّة عن الأساس السابق وهو المغالاة في تحكيم العقل.

الأساس الخامس: التقليل من شأن التفسير بالمأثور

لقد عمد أصحاب المدرسة العقلية كما يقول فهد الرومي إلى التقليل من شأن التفسير بالمأثور بشكل غير مباشر، مع التشكيك فيه وعدم الاحتجاج به في كثير من المواطن، وقد كانت لهم أساليب في التعامل مع التفسير بالمأثورة، فتارة يوردون ما يتعلق بالآية من السنة النبوية، وحينا ما يفسرها، وحينا رابعا يرفضون التفسير بالمأثور وإن صح«[1371]» وصنيعهم في التفسير يظهر بجلاء استخدام هذه الأساليب.

الأساس السادس: التحذير من التفسير بالإسرائيليات

لقد نقم أصحاب المدرسة العقلية من سبقهم من المفسرين إيرادهم للإسرائيليات وإفراطهم في ذكرها في تفاسيرهم، وبالغوا في هذا الإنكار حتّى دفع بهم إلى إنكار الإسرائيليات الموافقة لما في شريعة الإسلام، وذاك أنّ أئمة التفسير لما ذكروا أنواع الإسرائيليات فصّلوا فيها القول، ورأوا أنّه لا حرج من إيراد ما هو موافق لشريعة الإسلام وفي القرآن والسنة ما يصدقه«[1372]»كما أفضى بهم هذا الإنكار للإسرائيليات للطعن في بعض الأحاديث وتجريح بعد الصحابة، والعياذ بالله والممعن نظره

[1369] – انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ج2، ص739.

[1370] – المصدر نفسه: ج2، ص 739.

[1371] – المصدر نفسه: ج2، ص 745.

[1372] – المصدر نفسه: ج2، ص 746.

يتجلّى له بوضوح أنّ هذا عائد إلى غلوّهم في تحكيم العقل والتحاكم إليه في القضايا التفسيرية، كما أنّهم كانوا متناقضين في هذا الموضوع، حيث سوّلوا لأنفسهم إيراد إسرائيليات مكذوبة ،ومخالفة للنص القرآني والحديث النبوي، وما ذلك إلاّ سعيا لتقرير منهجهم«[1373]».

الأساس السابع: الشمول في القرآن الكريم

من أسس التفسير عند أصحاب المدرسة العقلية القول بالشمول ويعنون به شمول هداية القرآن لكلّ الأفراد دون الاختصاص بجنس معين، وكذلك الوقائع والأحداث لا تقتصر على من نزلت فيهم بل تتعدّاهم إلى غيرهم، لكنّ حرصهم على هذا الشمول فيه نوع من المغالاة فإنّ آيات القرآن منها ما نزل على أسباب معينة وخصّ بأفراد بعينهم لا يكن إسقاط الحكم على من جاء بعدهم، وحرص أصحاب هذه المدرسة على تمسّكهم بهذا المبتدأ بتقريره في ثنايا أقوالهم، و في ذلك يقول: الشيخ محمد عبده –رحمه الله – « إنّ القرآن هاد ومرشد إلى يوم القيامة وإنّ معانيه عامة وشاملة، فلا يعد ويوعد ويعظ ويرشد أشخاصا مخصوصين وإنّما أنيط وعيده، وتفسيره وإنذاره بالعقائد والأخلاق والعادات التي توجد في الأمم و الشعوب»«[1374]» ويقول الشيخ محمد رشيد رضا « فإن كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت ينطق حكمه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان»«[1375]».

[1375] – لمزيد من التفصيل في القضيه راجع: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر هجري، فهد الرومي، ج2، ص 754 – 755.

[1374] – تفسير المنار: ج1، ص 179.

[1375] – المصدر نفسه: ج1، ص153.

المبحث الثاني : أقطاب المدرسة العقلية و نماذج من تفسيرها لآيات القصص القرآني

المطلب الأول: جمال الدين الأفغاني

ترجمة الإمام الأفغاني: اتّفق من ترجموا للسيد جمال الدين على أنّ اسمه محمد جمال الدين، واسم أبه صفدر، و قد حرّف هذا الاسم من كتبوا ترجمته بالعربية فقالوا صفنر، وصفدر لفظ فارسي من ألقاب الإمام علي، مركب من كلمة «صف» العربية و «در» وصف من فعل دريدان بمعنى افترس أو اقتحم«[1376]»، وقد وقع خلاف بين من تعرّضوا له بالترجمة في مكان مولده مع اتفاقهم على سنة الولادة و ذلك في عام «1254هـ 1838م»، لكن المحل مختلف فيه فقيل في: أسعد آباد قرية من قرى كيل من أعمال كابل من بيت عظيم في بلاد الأفغان، حنفي المذهب، أمّا عن ولادته كانت في أسد آباد قرب همدان من أعمال فارس«[1377]»، و يذهب البعض إلى أنّه إيراني الأصل وإنّما تستّر بالنسبة للأفغان لأغراض دينية وسياسة وذلك بغية الظهور بمظهر السنية لا الشيعية والتحرر من قيد الحكومة الإيرانية«[1378]».

أمّا عن نشأته العلمية فقد تكلم الشيخ محمد عبده عن شيء منها في ترجمته رسالة الدهريّين وممّا قاله: «تلقّى علوما برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان، وكناية وتاريخ، ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وكلام وتصوف، ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة علمية سياسة ومنزلية وتهذيبية، وحكمة نظرية طبيعية وإلهية، ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة أفلاك ومنها نظريات الطب والتشريح، أخذ جميع تلك الفنون عن أساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد و على ما في الكتب الإسلامية المشهورة

[1376] – العروة الوثقى: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده: ترجمة تعليم مصطفى عبد الرازق، ط3، بيروت دار الكتاب الغربي، 1403هـ-1983 م،ص 17-18.

[1377] – المصدر نفسه : ص 17.

[1378] – المصدر نفسه : ص 18

واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة سنة، ثمّ عرض له سفر إلى البلاد الهندية، فأقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الأوروبية الجديدة، وأتى بعد ذلك إلى الأقطار الحجازية لأداء فريضة الحج، وطالت مدة سفره إليها نحو سنة وهو ينتقل من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر حتّى وافى مكة المكرمة في سنة« 1273هـ - 1756 م» فوقف على كثير من عادات الأمم التي مرّ بها وأصاب من ذلك فوائد غزيرة، ثمّ رجع بعد آداء الفريضة إلى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الأمير د وست محمد خان«[1379]».

كما تحدث الشيخ الفاضل ابن عاشور عن نشأته وشيء من سيرته العلمية وبعض رحلاته وممّا قاله: « ... كلّ هذه الدواعي للنظر والنواحي في التأمل كانت مبذولة للسيد جمال الدين الأفغاني في البلاد الهندية لما سافر إليها شابا سنة 1271هـ وهو ابن ثمانية عشر عاما، قد استكمل تخرجه في العلوم العالية ببلاد أفغانستان، فأقام في الهند نحوا من سنتين يستكمل العلم بتعاطي الرياضيات على الطريقة الأوروبية ويستكمل العمل بالتأمل في تلك الاعتبارات الحكيمة الاجتماعية التي ينطق بها وضع الحياة في القارة الهندية، ولا سيّما وضع الحياة الإسلامية من عموم المجتمع الهندي واوصل مسيره من الهند في سفرة طويلة كثيرة المراحل عبر الأقطار، حتى انتهى إلى الحرمين الشريفين فحج سنة 1273هـ ورجع إلى وطنه الأفغاني وقد ملأ و طاف خبرة بأحوال الأقطار وتجارب الأمم»«[1380]».

توفي جمال الدين الأفغاني في يوم الثلاثاء التاسع من مارس سنة 1877م، وبالضبط في حدود الساعة الثانية عشر وثلاثة عشر دقيقة عقب آلام لحقت به، و يذهب الكثير من الإيرانيين إلى أنّ حالة وفاته يسودها نوع من الغموض ، وذلك لأنّه لقح في شفته بمادة سامة، وسبّبت له حالة مرضية تشبه السرطان، ويقولون أنّ ذلك من كيد أبي الهدى، وأمر السلطان بدفنه لساعتين من

[1379] – انظر : رسالة الرد على الدهريين: محمد عبده، ط، الجزائر، دار الشهاب للطباعة و النشر، ص 16 – 18.

[1380] – انظر: التفسير و رجاله: محمد الفاضل ابن عاشور:ط1، دار السلام، القاهرة، 1429هـ،2008 م، ص 164.

وفاته، فسيّر نعشه بين جموع عديدة من الشرطة مخافة فتنة مباغتة من أنصاره الذين كانوا في ريب من أسباب موته«[1381]».

ذكر نماذج من تناول جمال الدين الأفغاني للقصص القرءاني

لم يفرّغ الشيخ جمال الدين الأفغاني نفسه لتفسير القرآن الكريم، بل كان يتكلم عن بعض الآيات القرآنية في معرض دروسه العلمية لأنّه كما يقول الدكتور فهد الرومي غلب عليه النشاط السياسي، ومن ثمّ فلم يكن له تفسير مستقل، وإنّما كان تفسيره آية هنا وآية هناك بين ثنايا مقالاته«[1382]».

ومن بين أقواله التفسيرية التي بقيت منقولة محفوظة تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾«[1383]»قال –رحمه الله– « قرأت في القرآن أمرا تغلغلت في فهمه روحي وتنبهت إليه بكليتي و هو « و إذ قال ...» فاندهشت الملائكة لهذا النبأ و لهذه المشيئة الربّانية إذ علمت أنّ ذلك الخليفة سيكون الإنسان وأنّ ذلك الإنسان الخليفة سيصدر منه موبقات وسيئات أعظمها وأهمّها أنّه يسفك الدماء فقالت بملئ الحرية و المتناسبة مع الملأ الأعلى وعالم الأنوار والأرواح الذي لا يصح أن يكون هناك شيء من رياء و نفاق «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» ووقعت الملائكة عند هذا الحد من الطعن«[1384]» في الإنسان ولم تذكر باقي السيئات من أعماله إذ رأتها لغوا بالنسبة لهذين الموضعين الفساد. يسفك الدماء ... و بأبسط المعاني أنّ الله تعالى أفهم الملائكة أنّه أنكم علمتم ما في

[1381] – انظر: العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني: محمد عبده، ص 27 – 28.

[1382] – انظر :منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: فهد الرومي ،ص 86.

[1383] ـ سورة البقرة : الآيتان 30 ـ 31.

[1384] – انظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني:تأليف محمد باشا المخزومي ، ط 2 ،لبنان ، دار الفكر الحديث ، 1965م ـ 1385 هـ ، ص 92 – 93.

خليفتي في الأرض وهو الإنسان من الاستعداد لعمل الفساد وسفك الدماء وجعلتهم ما أعددته لصونه وصرفه عن الإتيان بالنقيضين المذكورين ألا وهو العلم فقال تعالى: «وعلّم آدم الأسماء كلها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين»«[1385]».

-تفسيره لقوله -تعالى- ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴾: «[1386]» قال: «غضب سليمان عليه السلام على الهدهد، إذ تفقده ولم يجده فلمّا حضر قال: «جئتك من سبأ بنبأ يقين» غير ملفّق ولا مشوب بكذب كما تفعل أكثر الجواسيس مع الملوك و الحكام « إنّي وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء و لها عرش عظيم»«[1387]» دينهم ومعتقدهم ... فلمّا جاء الكتاب إلى ملكة سبأ جمعت فورا مجلس الأمة و قالت «يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى يشهدون» «[1388]»

وبعد أن تناول مجلس الوزراء اليوم مثلا واستخرجوا إحصاءا من سجلاتهم بما عندهم من المعدّات الحربية أعلنوا الملكة وأنبئوها أنّه في إمكانهم محاربة سليمان بما توفر لديهم من القوة إذ هي وافقت على إعلان الحرب « قالوا نحن أولوا قوة و أولوا بأس شديد و الأمر إليك فانظري ماذا تأمرين»«[1389]» ... فردّ سليمان الهدية و تحفّز لإخراج الملكة وقومها أذلة بالحرب وأراد أن يريها ما لديه من القوّة وما تسخر له من رياح وتجري بأمره طيارات مثلا وسرعة و نقل الأخبار بأسرع من البرق التلغراف اللاّسلكي مثلا »«[1390]».

[1385] - سورة البقرة: الآية 30 - 31

[1386] - سورة النمل :الآية 20 .

[1387] - سورة النمل: الآية 23.

[1388] - سورة النمل : الآية 32.

[1389] ـ سورة النمل : الآية 33

[1390] -انظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني : 100 - 101

المطلب الثاني : منهج الشيخ محمد عبده في تناول القصص القرآني

الفرع الأول :التعريف بالإمام محمد عبده:

ولد الشيخ محمد عبده حسن خير الله في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت من أعمال مديرية محافظة البحيرة في سنة 1849 م – 1266 هـ، في أسرة تعتز بكثرة رجالها، ومقاومتهم لظلم الحكام، وتحملهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات هجرة وسجنا، وتشريدا، و موتا، وضياع وثروة«[1391]»

تلقى الشيخ محمد عبده – رحمه الله – تعليمة الأول في كتائب القرية شأنه في ذلك شأن أترابه من أبناء بلده و عصره فحفظ القرآن بالقرية وهو في سنّ السابعة، ثمّ ذهب إلى الجامع الأحمدي بطنطا ليحضر هناك دروس تجويد القرآن الكريم في سنة 1862م«[1392]».

تلقى دروسه الأزهرية في الجامع الأحمدي، لكنّ طريقة التدريس في ذلك الوقت جعلته يعرض عن المجالس العلمية، فقفل راجعا إلى قريته سنة 1865م ـ 1282 هـ،وتزوج وعزم على العمل بالزراعة مع أبيه وإخوته ،لكنّ والده رفض ذلك وقرّر إعادته إلى الجامع الأحمدي في نفس العام«[1393]».

في عودته إلى الجامع الأحمدي ارتبط بالشيخ درويش خضر أحد الصوفية فألقى إليه ببعض«[1394]» من حكمة التصوف، فعادت إليه الرغبة في طلب العلم ،ثمّ رواده التفكير في الذهاب إلى القاهرة وللالتحاق بالجامع الأزهر، فحضر دروس كبار العلماء في مختلف العلوم الأزهرية مع الاشتغال

[1391] – الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين: محمد عمارة، ط2، مصر، دار الشروق 1408 هـ 1988 م، ص 24

[1392] – المصدر نفسه ص 25

[1393] – المصدر نفسه ص 25

[1394] – الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين : محمد عمارة ،ص 26

بالتصوف«[1395]» وعند قدوم جمال الدين الأفغاني إلى القاهرة لازمه وحضر دروسه وانتفع به أيما انتفاع.

تحصّل الشيخ محمد عبده على شهادة العالمية سنة 1877 م، و نالها من الدرجة الثانية وكان سنة ثمانية وعشرين عاما، ولو لا إصرار رئيس لجنة الامتحان الشيخ محمد المهدي العباسي، شيخ الأزهر، على نجاحه لرسب، لأنّ بعض الأعضاء تواصوا على إسقاطه لصحبته لجمال الدين الأفغاني«[1396]».

ولقد تقلّد الشيخ محمد عبده عدة مناصب في مصر وغيرها من البلدان فعيّن مدرسا للتاريخ بمدرسة دار العلوم، وعيّن مدرس للعلوم العربية في مدرستي الألسن والإرادة«[1397]».

وبعد نفي الإمام الأفغاني من مصر عزل من مناصب التدريس في دار العلوم والألسن وأقام بقريته محلة بمصر، ليعود بها إلى الاشتغال في بعض الوظائف الحكومية كالقضاء والصحافة والسياسة مع استمرار المراسلات بينه وبين إمامه الأفغاني الذي كان مقيما في الأستانة وحصل بينهما نوع من الخصومة بسبب خوف محمد عبده من الإنجليز، حتّى أنّه لما توفي جمال الدين الأفغاني لم يقم الإمام محمد عبده برثائه، واكتفى بالحزن عليه وقال:«إنّ والدي أعطاني حياة يشاركني فيها علي محروس، والسيد جمال الدين أعطاني حياة أشارك بها محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى، والأولياء والقدّيسين، ما رثيته بالشعر لأنّي لست شاعر ما رثيته بالنثر لأنني لست بناثر، رثيته بالوجدان والشعور لأنني إنسان أشعر وأفكر».

مؤلفات الإمام و مقالاته العلمية و الفكرية

من أهم مقالاته الصحفية:

[1395] – العروة الوثقى: محمد عبده ص 31.

[1396] – انظر: الإمام محمد عبده مجدد الدنيا والدين: محمد عمارة ص 29.

[1397] – انظر: العروة الوثقى: محمد عبده ،ص 32.

ـ الكتابة والقلم

-العلوم الكلامية و الدعوة إلى العلوم العصرية «[1398]».

-حكم الشريعة في تعدد الزوجات

-العدالة والعلم

-تأثير التعليم في الدين و العقيدة«[1399]».

-إنشاء مجلة العروة الوثقى مع شيخه جمال الدين الأفغاني«[1400]».

-تحقيق مقامات بديع الزمان الهمداني

-تحقيق نهج البلاغة«[1401]».

-ترجم رسالة الرد على الدهريّين لشيخه جمال الدين الأفغاني«[1402]».

-تحقيق وشرح دلائل الإعجاز

-تحقيق أسرار البلاغة للجرجاني«[1403]».

[1398] - الإمام محمد عبده: مجدد الدنيا و الدين، ص 30 .
[1399] - المصدر نفسه: ص 33.
[1400] - المصدر نفسه: ص 34.
[1401] - المصدر نفسه : ص 37.
[1402] - المصدر نفسه: ص 38.
[1403] - المصدر نفسه:ص 45.

الفرع الثاني : الشيخ محمد عبده و منهجه في التفسير:

إذا ما جئنا نستكشف منهج الإمام محمد عبده ألفينا أنفسنا ملزمين بالحديث عن تراثه في التفسير قبل الخوض في الحديث عن منهجه لأنّ المطالع لسيرة الرجل وحياته الإصلاحية يجده لم يضع تفسيرا كاملا ولم يكن ينوي القيام بذلك، وإنّما كان توجهه إلى مجال التفسير والكتابة فيه بحث بعض المقربين إليه من تلاميذته، وفي مقدمتهم الشيخ محمد رشيد رضا الذي يحكي لنا في مقدمة المنار اتصاله بالشيخ ودعوته إلى الكتابة في التفسير ومن جملة ما قاله «اتصلت بالشيخ في الصحوة الصغرى لليوم الذي وصلت فيه إلى القاهرة فكان اتصالي به من أول يوم كاتصال اللازم البيّن بالمعنى الأخص بلزومه، وكان أوّل اقتراح لي عليه أن يكتب تفسيرا للقرآن ينفخ فيه من روحه التي وجدنا روحها ونورها في مقالات «العروة الوثقى» الاجتماعية العامة، فقال: إنّ القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه، فله تفاسير كثيرة أتقن بعضها ما لم يتقنها إلى تفسير كامل، فاقترحت عليه أن يقرأ درسا في التفسير، وكان ذلك في شعبان سنة 1315 هـ، ثمّ كررت عليه الاقتراح في رمضان»[1404].

ثمّ سرد الشيخ محمد رشيد رضا قصة أخرى مع شيخه حثّه فيها على كتابة تفسير، لكنّه كان يتعلل ببعض العلل ويتحجج ببعضها ، فكان ممّا ذكره الشيخ محمد عبده «إنّ الكلام المسموع يؤثر في النفس أكثر ممّا يؤثر الكلام المقروء لأنّ المتكلم و حركاته وإشاراته و لهجته في الكلام كل ذلك يساعد على فهم مراده من كلامه، وأيضا يمكن السامع أن يسأل المتكلم لما يخفى عليه من كلامه،فإذا كان مكتوبا فمن يسأل أنّ السامع يفهم ثمانين بالمائة من مراد المتكلم والقارئ لكلامه يفهم عشرين بالمائة، ومع ذلك كنت أقرأ التفسير وكان يحضره بعض طلبة الأزهر وبعض طلبة المدارس الأميرية، وكنت أذكر كثيرا من الفوائد التي يحتاج إليها حالة العصر فما اهتم لها أحد فيما

[1404] – تفسير المنار: محمد رشيد رضا ، ج1، ص 12.

أعلم، مع أنّها كان ممّا حقها أن تكتب، وما علمت أحدا كتب منها شيئا خلا تلميذين قبطيين من مدرسة الحقوق، وكانا يراجعاني في بعض ما يكتبان وأمّا المسلمون فلا ...» «[1405]».

ويمضي الشيخ محمد رشيد رضا في سرد قصصه مع أستاذه وإلحاحه عليه ليكتب تفسيرا يخاطب فيها روح العصر ومتطلباته ويذكر أنّه مازال ملحا عليه حتّى شرح الله صدره للعودة إلى دروس التفسير من الجامع الأزهر قال – رحمه الله – : «ولم أزل به حتى أقنعته بقراءة التفسير في الأزهر فاقتنع وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف أي في غرة المحرم سنة 1317هـ،وانتهى منه في منتصف المحرم سنة 1323 هـ عند تفسير قوله ـ تعالى ـ : « و كان الله بكل شيء محيطا»«[1406]» من سورة النساء فقرأها زهاء خمسة أجزاء في ست سنين ...»«[1407]».

وقد سعى في دروسه التّفسيرية أن يسلك منهجا يعتني ببيان ما أغفله المفسرون الأوائل ويتوسع فيه، ويختصر ما اعتاده أئمة التفسير من بسط القول فيه كالإعراب والمسائل اللغوية و البلاغية مع اعتماد على تفسير الجلالين في قراءة عباراته لكونه مختصرا، ثمّ يترسّل في الكلام على معنى الآية بما فتح الله به عليه وبما جادت به قريحته«[1408]».

ولقد كان الإمام محمد رشيد رضا يهتم بتدوين ما يقوله شيخه ويحرص على نسخه ونقله و تبيضه، ثمّ بداله أن يفسره في جريدة المنار فباشر ذلك بمراجعة شيخه محمد عبده الذي كان ينقحه ببعض الزيادات ،أو الحذف، وفي الجملة كان معجبا بما يقوم به الإمام محمد رشيد رضا، غير أنّ تدوين الشيخ رضا لتلك المجالس التفسيرية كان فيه بعض التصرف والزيادة منه مع المحافظة على نقل أقواله وعزوها إليه، لكن بعد وفاته حرص الشيخ محمد رشيد رضا على عدم زيادة على أقول الشيخ والاقتصار على قوله فحسب.

[1405] – تفسير المنار: محمد رشيد رضا: ج1، ص 13.

[1406] – سورة النساء : الآية 125 .

[1407] ـ تفسير المنار: رشيد رضا: ج1، ص 14.

[1408] – المصدر نفسه: ج1، ص 15.

كما أشار الدكتور محمد عمارة في حديثه عن الشيخ محمد عبده إلى أنّه سعى في إقامته ببيروت في تفسير بمنهج عقلي حديث لم يسبق في الشرق منذ يقظته، طبّق فيه منهج أستاذه الأفغاني وكان ذلك بالمسجد العمري ببيروت، فكان يعقد درسه به ثلاث ليال في الأسبوع و اجتذب درسه هذا الحركة الفكرية و الثقافية هناك حتى أن المستنرين من المسيحيين كانوا يجتمعون على باب المسجد لسماعه، و لما حالت ضوضاء الشارع دون سماعهم له طلبوا منه السماح لهم بالوقوف داخل المسجد إلى جوار الباب؟... و استمرت دروسه هذه في التفسير حوالي السنتين ولم يسجل لنا منها شيء» «[1409]»

الفرع الثالث :ذكر نماذج من تناول الإمام محمد عبده لآيات القصص القرآني

تفسير قصة آدم عند الشيخ محمد عبده: قال في تأويل قوله –تعالى– ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ «[1410]».

: «... وبقي ممّا يتعلق بهذا التفسير مسألتان قد أكثر الكلام فيهما، وهما مسألة خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم و مسألة عصمه آدم، فأمّا الأولى فليس في القرآن نص فيها ولا يلزمنا حمل قوله تعالى: «وخلق منها زوجها» على ذلك لأجل مطابقة سفر التكوين، فإنّ القصة لم ترد في القرآن كما وردت في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب حكاية تاريخية، وإنّما جاء القرآن بموضع العبرة في خلق آدم واستعداد الكون لأن يتكمّل به، وكونه قد أعطى استعداد في العلم والعمل لا نهاية لهما ليظهر حكم الله ويقيم سنّته في الأرض فيكون خليفة له، وكونه لا يسلم من داعية الشر، والتأثر بالوسوسة التي تحمل على الهضبة، ولكنّ التاريخ غير مقصود له لأنّ مسائله من حيث هي تاريخ

[1409] – انظر: الإمام محمد عبده مجدد الدنيا و الدين: ص 39

[1410] – سورة البقرة: الآيات 35 – 37 .

ليست من مهمات الدين من حيث هو دين، وإنّما ينظر الدين من التاريخ إلى وجه العبرة دون غيره، لم يبيّن الزمان والمكان كما بيّنا في سفر التكوين، وكما بيّانها سببا رفض الباحثين في الكون وتاريخ الخليفة لدين النصرانية، لأنّ العلم المبني على الاختبار والمشاهدة أظهر خطأ ما جاء من التاريخ في التوراة، ووجدت لإنسان آثار في الأرض تدل على أنّه أقدم ممّا حدّدته التوراة في تاريخ تكوينه فقام فريق من أهل الكتاب، يركب التّعاسيف في التأويل.

«أقول» فإنّ قلت: إنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين في تعليل التوصية بالنساء «فإن المرأة خلقت من ضلع»«[1411]»قلنا إنّه على حد قوله – تعالى – «خلق الإنسان من عجل» كما قالوا في شرحه، و سيأتي في تفسير القصة من سورة الأعراف. و لم يتعرض شيخنا في الدرس لقوله – تعالى – : «وخلق منها زوجها» ولكنّه كتب بعد ذلك وقبل ما ستراه عنه في تفسير سورة النساء ما نصه: «وأمّا قوله تعالى في سورة النساء «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها»«[1412]» و في سورة الأعراف «هو الذي خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها ليسكن إليها»«[1413]» فقد قال غيره أحد من المفسرين: إنّ المعنى من جنسها كما قال في سورة الروم «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة و رحمة»«[1414]» فإنّ المعنى هناك على أنّه خلق أزواجا من جنسنا، ولا يصح أن يراد أنّه خلق كل زوجة من بدن زوجها كما هو ظاهرا «قال»: وأمّا مسألة عصمة آدم فالجري على طريقة السلف يذهب بنا إلى أنّ العصيان والتوبة من المتشابه، كسائر ما ورد في القصة ممّا لا يركن العقل إلى ظاهره، ولنا أن نقول: إنّ تلك مخالفة صدرت منه قبل أن

[1411] ـ أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء ،باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ، رقم ، ج ،ص ، عن أبي هريرة رضي الله عنه

[1412] ـ سورة النساء : الآية 1.

[1413] ـ سورة الأعراف: الآية 189.

[1414] ـ سورة الروم : الآية 21.

يدركه عزم النبوة كما قال جل شأنه «فنسى ولم نجد له عزما»«[1415]» والاتفاق إنّما هو على العصمة عن مخالفة الأوامر بعد النبوة ،وقد يكون الذي وقع من آدم نسيانا، فسمّى تفخيما لأمره عصيانا، والنسيان والسهو مما لا ينافي العصمة، فإن جعلنا الكلام كله تمثيلا فحديث الإخلال بالعصمة مما لا يمر بذهن العاقل.

وأمّا تفسير الآيات على طريقة الخلف في التمثيل فيقال فيه: إنّ القرآن كثير ما يصور المعاني بالتعبير عنها بصيغة السؤال والجواب، أو بأسلوب الحكاية لما في ذلك من البيان والتأثير، فهو يدعو بها الأذهان إلى ما وراءها من المعاني كقوله – تعالى – «يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد» «[1416]» فليس المراد منها أنّ الله تعالى يستفهم منها وهي تجاوبه، وإنما هو تمثيل لسعتها وكونها لا تضيق بالمجرمين مهما كثروا، ونحوه قوله عز وجل بعد ذكر الاستواء إلى خلق السماء «فقال لها و للأرض ائتياني طوعا أوكرها» «[1417]» والمعنى في التمثيل الظاهر.

«أقول» وهذا الأمر يسمّى أمر التكوين، ويقابله أمر التشريع، وإنّما سمي أمر التكوين للتعبير عنه في التنزيل بقوله تعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»«[1418]» فهو تصوير لتعلق إرادة الربوبية بالإيجاد، ولا أذكر عن أحد المفسرين المتبعين للأثر تصريحا بأنّ الأوامر في قصة آدم من أمر التكوين إلاّ الحافظ ابن كثير فإنّه ذهب في تفسير قال «فاهبط منها» من سورة الأعراف إلى أنّ الأمر فيه أمر قدري كوني،ومثله ما في معناه من قصة آدم ومن الآيات الأخرى من مخاطبة إبليس للرب وجوابها في شأن إغوائه للبشر وإنظاره إلى يوم القيامة قال الأستاذ الإمام ما مثاله: وتقرير التمثيل في القصة على هذا المذهب أنّ إخبار الله الملائكة بجعل الإنسان خليفة في الأرض وعبارة عن تهيئة الأرض وقوى هذا العالم وأرواحه التي بها قوامه ونظامه لوجود نوع من المخلوقات يتصرّف فيها فيكون كمال الوجود في هذه الأرض وسؤال الملائكة عن جعل خليفة يفسد في الأرض لأنّه

[1415] – سورة طه: الآية 115.

[1416] ـ سورة ق: الآية 30.

[1417] ـ سورة فصّلت : الآية 11.

[1418] ـ سورة مريم : الآية 35.

يعمل باختياره ويعطي استعدادا في العلم والعمل لا حدّ لها هو تصوير لما في استعداد الإنسان لذلك، وتمهيد لأنّه لا ينافي خلافته في الأرض وتعليم آدم الأسماء كلها بيان لاستعداد الإنسان لعلم كلّ شيء في من الأرض، وانتفاعه بها في استعمارها وعرض الأسماء على الملائكة وسؤالهم عنها وتنصّلهم في الجواب تصوير لكون الشعور الذي يصاحب كل روح من الأرواح المدبرة للعوالم محدودا لا يتعدى وظيفته وسجود الملائكة لآدم عبارة عن تسخير هذه الأرواح والقوى له ينتفع بها في ترقية الكون بمعرفة سنن الله تعالى في ذلك وإباء إبليس و استكباره عن السجود تمثيل لعجز الإنسان عن إخضاع روح الشر إبطال داعية خواطر السوء التي هي مثار التنازع والتخاصم، والتعدي والإفساد في الأرض ولولا ذلك لجاء على الإنسان زمن يكون فيه إفراده كالملائكة بل أعظم، أو يخرجون عن كونهم من هذا النوع البشري هذا الملخص ما تقدم في سابق آيات القصة، وأمّا التمثيل فيما نحن فيه منها فيصح عليه أن يراد بالجنة الراحة والنعيم فإنّ من شأن الإنسان أن يجد الجنة هي الحديقة ذات الشجر الملتف ما يلدّ له من مرأى ومأكول ومشروب ومشموم ومسموع، في ظل ظليل وهواء عليل، وماء سلسبيل كما قال تعالى في القصة من سورة طه «إنّ لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى و أنّك لا تظمأ فيها ولا تضحى»«[1419]».

ويصح أنّ آدم نوع الإنسان كما يطلق اسم أبي القبيلة الأكبر على القبيلة، فيقال كلب فعلت كذا ويراد قبيلة كلب، و كان من قريش يعني القبيلة التي أبوها قريش، و في كلام العرب كثير هذا و يصح أن يراد بالشجرة معنى الشر و المخالفة كما عبّر الله تعالى في مقام التمثيل عن الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، وفسّرت بكلمة التوحيد وعن كلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة، فسّرت بكلمة الكفر، وفي الحديث تشبيه المؤمن بشجرة النخل ،و يصح أن يكون المراد بالأمر بسكنى الجنة، بالهبوط منها أمر التكوين تقدّم أنّ الأمر الإلهي قسمان: أمر تكويني وأمر تكليفي

[1419] – سورة طه الآية: 118.

والمعنى على هذا أنّ الله تعالى كون النوع البشري على ما نشاهده في الأطوار التدريجية التي قال فيها سبحانه «وقد خلقكم أطوار»«[1420]» فأولها طور الطفولية، وهي لا همّ فيها ولا كدر، و إنّما هي لعب ولهو، كأنّ الطفل دائما في جنته ملتفّة الأشجار يانعة الثمار جارية الأنهار، متناغمة الأطيار، وهذا معنى «اسكن أنت و زوجك الجنة» وذكر الزوجة مع أنّ المراد بآدم النوع الآدمي للتنبيه على الشمول وعلى أنّ استعداد المرأة كاستعداد الرجل في جميع الشؤون البشرية، فأمر آدم و حواء بالسكن وأمر تكوين، أي أنّ تعالى خلق البشر، ذكورا وإناثا هكذا وأمرهما بالأكل حيث شاءا عبارة عن إباحة الطيبات وإلهام معرفة الخير والنهي عن الشجرة عبارة عن إلهام معرفة الشر، وأنّ الفطرة تهدى إلى قبحه و وجوب اجتنابه، وهذان الإلهامان اللّذان يكونان للإنسان في الطور الثاني وهو طور التمييز هما إيراد قوله تعالى: «وهديناه النجدين»«[1421]» ووسوسة الشيطان وإزلاله لهما عبارة عن وظيفة تلك الروح الخبيثة التي تلابس البشرية فتقوى فيها داعية الشر، أي إنّ إلهام التقوى و الخير أقوى في فطرة الإنسان، أو هو الأصل، و لذلك لا يفعل الشر إلاّ بملابسة الشيطان لوسوسته إليه، والخروج من الجنة مثال لما يلاقيه الإنسان من البلاء والعناء بالخروج عن حد الاعتدال الفطري و أمّا تلقى آدم الكلمات وتوبته فهو بيان لما عرف في الفطرة السليمة من الاعتبار بالعقوبات التي تعقب الأفعال السيئة، ورجوعه إلى الله تعالى عند الضيق والتجائه إليه من الشّدة والتوبة لله على الإنسان ترد ما عليه النصارى من اعتقاد أنّ الله قد سجل معصية آدم عليه السلام وعلى بنيه إلى أن يأتي عيسى و يخلصهم منها وهو اعتقاد تنبذه الفطرة ، و يردّه الوحي المحكم المتواتر فحاصل القول: أنّ الأطوار الفطرية للبشر ثلاثة طور الطفولة وهو طور نعيم و راحة وطور التمييز الناقص وفيه يكون الإنسان عرضة لاتباع الهوى بوسوسة الشيطان، و طور الرشد و الاستواء وهو الذي يعتبر فيه بنتائج الحوادث، و يلتجئ فيه عند الشدة إلى القوة الغيبية العليا التي منها كل شيء وإليها يرجع الأمر كله، فهكذا كان الإنسان في أفراده مثال للإنسان في مجموعة «قال الأستاذ» كأن تدرّ الإنسان في حياته الاجتماعية ابتدأ ساذجا سليم الفطرة، قويم الوجهة مقتصرا في طلب حاجاته على القصد و العدل

[1420] ـ سورة نوح : الآية 14.

[1421] – سورة البلد الآية:10.

متعاونا على دفع ما عساه يصيبه من مزعجات الكون وهذا هو العصر الذي يذكره جميع طوائف البشر ويسمونه بالذهبي، ثمّ لم يكلّفه هذا النعيم المرفه فمدّ بعض أفراده أيديهم إلى تناول ما ليس لهم طاعة للشهوة، وميلا مع خيال اللذة، و تنبّه ما كان نائما في نفوس سائرهم فثار النزاع وعظم الخلاف، و استزّل الشفاء، و هذا هو الطور الثاني وهو معروف في تاريخ الأمم، ثمّ جاء الطور الثالث و هو طور العقل و التدبر ووزن الخير والشر بميزان النظر والفكر، وتحديد حدود للأعمال تنتهي إليها نزعات الشهوات، ويقف عندها سير الرغبات و هو طور التوبة والهداية إن شاء الله»[1422]».

في تفسير قوله –تعالى –﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾«[1423]»

قال الشيخ محمد عبده –رحمه الله –« جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذي لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، فهو في هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتاب في تنسيق الكلام وترتيبه على حسب الوقائع حتّى في القصة الواحدة ،وإنّما ينساق الكلام فيه بأسلوب يأخذ بمجامع القلوب، ويحرك الفكر إلى النظر تحريكا، ويهزّ النفس للاعتبار هزا، وقد راعى في قصص بني إسرائيل أنواع المنن التي منحهم الله تعالى إياها، وضروب الكفران والفسوق التي قابلوها بها، وما كان في أثر كلّ ذلك من تأديبهم بالعقوبات، وابتلائهم بالحسنات والسيئات، وكيف كانوا يحدّثون في أثر

[1422] – تفسير المنار: ج1، ص 281 – 284 .

[1423] – سورة البقرة الآية:68-72.

كل عقوبة توبة، ويحدث لهم في أثر كلّ توبة نعمة، ثمّ يعودون إلى بطرهم وينقلبون إلى كفرهم» «[1424]».

قال الشيخ محمد رشيد رضا في تأويل قوله –تعالى– ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ «[1425]» قال –رحمه الله– «الاستفهام هنا للتعجب والعبرة والخطاب، فهي توجه إلى من لم ير، ولم يعلم ذلك، والتقدير: ألم ينته علمك أيها المخاطب إلى حال هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم «و هم ألوف حذر الموت» فإنّ حالهم عجيبة من حقّها ألا تجهل، فإنّهم في كثرتهم أحق بأن يكونوا لهم من الشجاعة ما يربأ بهم عن الخروج من وطنهم حذرا من الموت.

قال شيخنا الأستاذ الإمام في هذا المثل ما مثاله:« وفي تفسير ابن كثير عن ابن جريح عن عطاء أنّ هذا مثل أي لا قصة وقعت ،أطلق القرآن القول في هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم ولم يعين عددهم ولا أمّتهم ولا بلدهم ولو علم لنا خيرا في التعيين والتفصيل لتفضل علينا بذلك في كتابه المبين فتأخذ القرآن على ما هو عليه لا دخل فيه شيئا من الروايات الاسرائيلية التي ذكروها، وهي صارفة عن العبرة لا مزيد كمال فيها، من السياق أنّ أولئك القوم قد خرجوا من ديارهم بسائق الخوف من عدو مهاجم لا من قتلهم فقد كانوا ألوفا أي كثيرين ،وإنّما هو الحذر من الموت الذي يولد الجبن في أنفس الجبناء فيريهم أنّ الفرار من القتل هو الواقي من الموت، وما هو إلاّ سبب الموت بما يمكن الأعداء من رقاب أهله»«[1426]» قال أبو الطيب:

[1424] ـ انظر: تفسير المنار ، ج 1 ، ص 364.

[1425] – سورة البقرة الآية 243.

[1426] ـ انظر: تفسير المنار ، ج 2 ، ص 457.

يرى الجبناء أنّ الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم «[1427]».

المطلب الثالث :منهج الإمام محمد رشيد رضا في تناول القصص القرآني

الفرع الأول : التعريف بالإمام محمد رشيد رضا :

هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بن بهاء الدين بن ملا على خليفة القلموني، البغدادي الأصل: الحسيني النسب: صاحب مجلة المنار، وأحد رجل الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، و تنسّك ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف«[1428]»

رحل الشيخ محمد رشيد رضا إلى مصر سنة 1315هـ، فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له وقد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثمّ أصدر مجلة المنار لبثّ آرائه في الإصلاح الديني والاجتماع، وأصبح مرجع الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة ،ولما أعلن الدستور العثماني سنة 1326هـ زار بلاد الشام واعترضه في دمشق و هو يخطب على منبر الجامع الأموي، أحد أعداء الإصلاح، فكانت فتنة عاد على إثرها إلى مصر، وأنشأ مدرسة الدعوة و الإرشاد، ثمّ قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها وغادرها على إثر دخول الفرنسيين إليها سنة م1920 فأقام في وطنه الثاني بمصر«[1429]».

توفي الشيخ محمد رشيد رضا فجأة في سيارة كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة ودفن بالقاهرة في 23 جمادى الأولى «[1430] ».

[1427] ـ انظر : العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، شرح ناصيف اليازجي ، ط 1 ، بيروت ، مكتبة الهلال ، 1995م ، ج 1 ، 397، ولفظ الشطر الأول: يرى الجبناء أنّ العجز عقل.

[1428] – انظر: الأعلام : خير الدين الزركلي، ج6، ص 126.

[1429] – المصدر نفسه :ج6، ص 126.

[1430] – انظر :معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: رضات كحالة، ط، دار حياء العروة الوثقى، ج9، ص 313 – 310

ومن أ شهر آثاره ومؤلفاته العلمية:

-مجلة المنار: أصدر منها 34 مجلدا

-تفسير المنار: صدر منه اثنا عشر مجلدا لم يكمل

- تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده – ط ثلاث مجلدات

-نداء للجنس اللطيف: مطبوع

- الوحي المحمدي: مطبوع

-الخلافة: مطبوع

-أصول التشريع العام مطبوع

-شبهات النصارى وحجج الإسلام مطبوع«[1431]».

الفرع الثاني : منهج الشيخ محمد رشيد رضا في التفسير

في الحقيقة إنّ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا يعد امتداد لمدرسة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده خصوصا هذا الأخير فقد لازمه وتخرّج على يديه ، وأخذ منه نزعته العقلية والاجتماعية ومن يقرأ له لا يكاد يجد فرقا بينه وبين محمد عبده ، إذ يلتقيان في كثير من الأصول التي انتهاجها في التفسير ، ومنها الأصول الآتية :

عدم التقيد بأقوال المفسرين في كثير ممّا ذهبا إليه

عدم تحكيم العقيدة في النص ، وإنّما يحكمان النص في العقيدة

عدم الخوض في الإسرائيليات أوتعيين المبهمات

[1431] – انظر: معجم المؤلفين :رضا كحالة ، ج6، ص 126.

رفض الإعتماد على الأحاديث غير الصحيحة ، وحرية فهم الصحيح منها إذا عارض منطوقها ما ذهبا إليه في تفسير النص القرآني

الاعتماد على الأسلوب السهل الذي يبين هداية القرآن الكريم «[1432]»ويحدثنا الدكتور حسين الذهبي عن هذا التطابق البيّن بين الإمامين في المنهج فيقول : «وأمّا منهجه فهو عين منهج الأستاذ الإمام محمد عبده ، فلا تقيد بأقوال المفسرين ، ولا تحكم للعقيدة في نص القرآن ، ولا خوض في إسرائيليات ، ولا تعيين لمبهمات ، ولا تعلق بأحاديث موضوعة ، ولا حشد لمباحث الفنون ، ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم ، بل شرح للآيات بأسلوب رائع وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة وتوضيح لمشكلات القرآن ، ودفاع عنه يرد ما أثير حوله من شبهات ، وبيان لهدايته ، ودلالة إلى عظيم إرشاده ، وتوقيف على حكم تشريعه ، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه ، وبيان لسنن الله في خليقته » «[1433] » لكن يلاحظ عن الإمام محمد رشيد رضا قد عدل عن هذا المنهج بعد وفاة شيخه ، وأصبح يستطرد في ذكر المسائل العلمية والوجوه الخلافية من الأقوال اللغوية والنحوية ، وكذلك في طريقة تعامله مع السنة النبوية في كونها مصدرا من مصادر التفسير النبوي ، وصرّح هو بنفسه عن هذا المسلك في مقدمة المنار «[1434]» وقد تميّز ببعض الآراء المنكرة والغريبة مضاهيا في ذلك شيخه محمد عبده ،ونقم عليه بسببها ، فمن ذلك تذرعه المفرط بالمجاز والعدول عن الحقائق لكون المعنى الحقيقى يبدوا مستغربا ، وهذا مذهب المعتزلة القائلين بالتخيل والتمثيل والذي أنكروا به كثيرا من الأحاديث الصحيحة ،ومنها نفيه حقيقة السحر، وأنّه لا تأثير له كما يقول أهل المعتزلة ،وهو في هذا يحاكي شيخه محمد عبده الذي قلّد الزّمخشري في ذلك .

[1432] ـ انظر: دراسات حول القرآن ، إسماعيل أحمد الطّحان ، ط2 ، الكويت ـ مكتبة الفلاح ـ ، 1408 هـ ـ 1988م ، ص 217.

[1433] ـ انظر: التفسير والمفسرون ، ج 2 ، ص 425 .

[1434] ـ انظر: تفسير المنار ، ج 1 ، ص 16 .

الفرع الثالث :ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ «[1435]»

بيّن الله في هذه الآيات واقعة من وقائعهم مع موسى عليه الصلاة والسلام الذي أخرجهم الله على يده من الرق والعبودية واضطهاد المصريين لهم إلى الحرية والاستقلال وملك أمرهم ، وكونهم على هذا كلّه كانوا يخالفونه ويعاندونه حتّى فيما يدعوهم إليه من العمل الذي تتم به النعمة في دنياهم التي هي أكبر همهم ، ليعلم الرسول بهذا أنّ مكابرة الحق ومعاندة الرسل خلق من أخلاقهم الموروثة عن سلفهم ، فيكون ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه والسلام ومزيد من عرفان بطبائع الأمم وسنن الاجتماع البشري ، وبهذا يظهر حسن نظم الكلام ووجه اتصال لاحقه بسابقه «وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين » أي واذكر أيّها الرسول لبني إسرائيل وسائر الناس الذين تبلغهم دعوة القرآن إذ قال موسى لقومه بعد أن أنقذهم من ظلم فرعون وقومه وأخرجهم من أرض العبودية ، اذكروا نعمة الله عليكم بالشكر له والطاعة لأنّ ذلك يوجب المزيد وتركه يوجب المؤاخذة والعذاب الشديد ولفظ نعمة يفيد العموم بإضافته إلى اسم الله تعالى ، وقد بيّن لهم موسى مراده بهذا العموم بذكر ثلاثة أشياء كانت حاصلة بالفعل ، بعد نعمة إنقاذهم من المصريين التي هي بمعنى النفي والسلب ، وهذه الأشياء الحاصلة المشهودة هي أعظم أركان النعم ومجامعها التي يندرج فيها ما لا يحصى من الجزئيات الدينية

[1435] ـ سورة المائدة : الآيتان 20 ـ 22

و الدنيوية .... «يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم» المقدسة المطهرة من الوثنية لما بعث الله فيها من الأنبياء دعاة التوحيد وفسّر مجاهد المقدسة بالمباركة ويصدق بالبركة الحسية والمعنوية ، وروى ابن عساكر أنّ الأرض المقدسة ما بين العريش إلى الفرات ، وروى عبد الرزّاق وعبد بن حميد عن قتادة أنّها الشام ، والمعنى واحد ، فالمراد بالقطر السوري في عرفنا وهذا يدل أنّ هذا التحديد لسوريا قديم ، وحسبنا أنّه من عرف سلفنا الصالح ، وقالوا إنّه هو مراد الله تعالى ، ولا أحق ولا أعدل من قسمة الله تعالى وتحديده ، وفي اصطلاح بعض المتأخرين أنّ سورية هي القسم الشمالي الشرقي من هذا القطر والباقي يسمونه فلسطين ، والقول الأول هو الصحيح ، فإنّ بني إسرائيل ملكوا سورية فسوريا وفلسطين شيء واحد في هذا المقام ، ويسمون البلاد المقدسة أرض الميعاد ، فإنّ الله تعالى وعد بها ذرية إبراهيم ، ويدخل فيما وعد الله به إبراهيم الحجاز وما جاوره من بلاد العرب ، وقد خرج موسى ببني إسرائيل من مصر ليسكنهم إلى الأرض المقدسة التي وعدوا بها من عهد إبراهيم عليه السلام ، وإنّما كان يريد موسى عليه السلام بأرض الموعد والبلاد المقدسة ما عدا بلاد الحجاز التي هي أرض أولاد عمّهم العرب قال الدكتور : بوست في قاموس الكتاب المقدس : اختص اسم فلسطين أولا بأرض الفلسطينيين ، ثمّ أطلق على كل أرض الإسرائيليين غرب الأردن فكان يطلق عليها في الأصل اسم كنعان ، وكانت فلسطين أرضا معروفة أيضا بالأرض المقدسة وأرض إسرائيل وأرض الموعد واليهودية ، وهي واقعة على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط بين سهول النهرين الدجلة والفرات ....«ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين »لا ترجعوا عمّا جئتكم به من التوحيد والعدل والهدى إلى الوثنية أو الفساد في الأرض بالظلم والبغي وا تّباع الهوى ، فيكون هذا الرجوع إلى الوراء انقلاب خسران تخسرون فيه هذه النعم ، ومنها الأرض المقدسة التي ستعطونها جزاء على شكر النعم التي تقدّمتها ، فتعود الدولة فيها لأعدائكم ، وذلك أنّ شكر النعم مدعاة لمزيدها ، وكفرها مدعاة سلبها وزوالها والوجه الآخر في الارتداد على الأدبار النكوص عن دخولها والجبن عن قتال من فيها من الوثنيين ، وقد فرض الله عليهم قتالهم ، والخسران على هذا قيل هو خسران ثواب الجهاد ، وخيبة الأمل في امتلاك البلاد ، والذي أجزم به أنّ المراد بالخسران تحريم الأرض المقدسة على المخاطبين وحرمانهم من خيراتها ... «قالوا يا موسى إنّ فيها قوما جبّارين ،وإنّا

لن ندخلها حتّى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون »كان استبعاد المصريين لبني إسرائيل قد أذلهم وأفسد عليهم بأسهم ، وكان بنو عناق الذين يسكنون أمامهم في أدنى الأرض المقدّسة أولو قوة وأولو بأس شديد ، وكانوا كبار الأجسام ، طوال القامات ، وهو المراد من كلمة جبّارين ....أمّا ما روي في التفسير المأثور من وصف هؤلاء الجبّارين ، فأكثره من الإسرائيليات الخرافية التي كان يبثها اليهود في المسلمين ، فرووها من غير عزو إليهم ، كقولهم إنّ العيون الاثنى عشر الذين بعثهم موسى إلى ما وراء الأردن ليتجسسوا ويخبروه بحال تلك الأرض ومن فيها قبل أن يدخلها قومه ، رآئهم أحد الجبارين فوضعهم كلهم في كسائه أو في حجرته ، وفي رواية كان أحدهم يجني الفاكهة فكان كلّما أصاب واحدا من هؤلاء العيون وضعه في كمّه مع الفاكهة ، وفي رواية أنّ سبعين رجلا من قوم موسى استظلوا في ظل خف رجل من هؤلاء العماليق ...وهذه القصة مبسوطة في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر العدد الذي هو السفر الرابع من أسفار التوراة ، وفي أولها أنّ الجواسيس تجسسوا أرض كنعان كما أمروا وأنّهم قطعوا في عودتهم زرجونة فيها عنقود العنب واحد حملوه بعتلة اثنيين منهم مع شيء من الرمّان والتين ، وقالوا لموسى وهو في ملأ بني إسرائيل قد صرنا إلى الأرض التي بعثتنا إليها ، فإذا هي بالحقيقة تدّر لبنا وعسلا ... فأنت ترى أنّه ليس في الرواية المعتمدة عند بني إسرائيل تلك الخرافات التي بثّوها بين المسلمين في العصر الأول ، وإنّما فيها من المبالغة إنّهم لخوفهم ورعبهم من الجبّارين احتقروا أنفسهم حتّى رأوها كالجراد واعتقدوا أنّ الجبابرة رأوهم كذلك ، وأمّا حمل زرجون العنب والفاكهة بين رجلين فلا يدل على مبالغة كبيرة في عظمها وقد يكون سبب ذلك حفظها لطول المسافة ، والعبرة في هذه الروايات الإسرائيلية التي راجت عند كثير من علماء التفسير والتاريخ وقلّ من صرّح ببطلانها ، أو الرجوع إلى كتب اليهود المعتمدة ليقفوا على المعتمد عليه عندهم فيها ، إذ لم يقفوا عند ما بيّنه القرآن من أخبار الأنبياء والأقوام ، هي أنّ النبي لو كان أخذ ما جاء عن بعض أهل الكتاب كما يزعم بعضهم وبعض الملاحدة لكان ما جاء نحو ما يذكره هؤلاء الرواة الذين غشّهم اليهود ، مع أنّه كان يسهل عليهم من الاطلاّع على كتبهم والتمييز بين

حكايتهم عن اعتقادهم وبيّن كذبهم ، ما لا يسهل على الرجل الأمي في مثل مكة التي لم يكن فيها يهود ولا كتب ...» «[1436]»

قال في تفسير قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾»«[1437]»« أي فأنزلنا عليهم هذه المصائب والنكبات حال كونها آيات بينات على صدق رسالة عبدنا موسى بأن توعدهم بها قبل وقوع كل واحدة منها تفصيلا لا إجمالا لتكون دلالتها على صدقه واضحة لا تحتمل التأويل بأنّها وقعت بأسباب لا دخل لرسالته فيها فاستكبروا عن الإيمان به استكبار ، مع اعتقاد صحة رسالته وصدق دعوته باطنا وكانوا راسخين في الإجرام والذنوب مصرين عليها فلا يهون عليهم تركها ، جاء في سورة الإسراء أو بني إسرائيل أنّ الله أعطى موسى تسع آيات بيّنات ، وقد عدّ هنا منها خمسا ، وهي مذكورة في التوراة على غير هذا الترتيب ، وهو غير مراد وعطف بعضها على بعض بالواو لا يقتضيه ،فأمّا الطوفان فمعناه في اللغة ما طاف بالشيء وغشيه وغلب عليه في طوفان الماء سواء كان من السماء أو الأرض وكذلك كل ما ينزل من السماء بكثرة تغشي الأرض قال ابن كثير اختلفوا في معناه فعن ابن عباس في روايات كثيرة الأمطار المغرقة المتلفة للزرع والثمار وبه قال الضحاك بن مزاحم وعن ابن عباس رواية أخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال ، وقال ابن جرير: حدّثنا هشام الرّفاعي حدّثنا يحي بن هيمان حدّثنا المنهال بن خليفة عم الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة رضي الله عنه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت ، وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحي بن هيمان به وهو حديث غريب ، وقال ابن عبّاس في روايه أخرى هو أمر من الله طاف بهم ، ثمّ قرأ فطاف عليهم طائف من ربّك وهم نائمون » أقول: أمّا حديث عائشة المرفوع فهو ضعيف لا يثبت بمثله قول مخالف للمتبادر من اللغة فيحيي ابن هيمان الذي انفرد به هو كوفي العجلي كان من العباد ضّعفه الإمام أحمد وقال حدّث عن الثوري

[1436] ـ انظر: تفسير المنار ، ج 6 ، ص 322 ـ 333.

[1437] ـ سورة الأعراف : الآية 133.

بغرائب ، وقال غيره إنّه كان صدوقا لا يتعمد الكذب ، ولكنّه كثير الخطأ والنسيان، وقد أصيب بالفالج فتغير حفظه ، وهذا هو الصواب ، والمنهال بن خليفة العجلي كوفي الذي روى عنه ضعفه ابن معين وغيره وقال البخاري منكر الحديث ، وقال ابن حبّان كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير فلا يجوز الاحتجاج به ، وهذا طعن مبيّن السبب فهو مقدّم على توثيق البزّار له ، وكذلك الحجاج بن أرطأة الكوفي القاضي مدلس ضعيف لا يحتج به ، وأولى الآثار بالقبول قول ابن عباس الأول الموافق للمتبادر من اللغة أي طوفان المطر ، وما عدا ذلك من الإسرائيليات ، وأولاها بالقبول ما لا يخالف القرآن من أسفار التوراة نفسها وهو ما ننقله عنه :

جاء في الفصل التاسع من سفر الخروج ، ثمّ قال الرّب لموسى بكر في الغداة وقف بين يدي فرعون ، وقل له : كذا قال الرّب إله العبرانيين أطلق شعبي ليعبدوني ، فإنّي منزل في هذه المرة جميع ضرباتي على قلبك وعلى عبيدك وعلى شعبك ، لكي تعلم أنّه ليس مثلي في جميع الأرض ، وأنا الآن أمد يدي وأضربك أنت وشعبك بالوباء فتضمحل من الأرض غير أنّي لهذا أبقيك لأريك قوتي ، ولكي يخبر باسمي في جميع الأرض وأنت لم تزل مقاوما لشعبي ، ها أنا ممطر في مثل هذا الوقت من غد بردا عظيما جدا لم يكن مثله في مصر منذ أسست إلى الآن ...» «[1438] »، ثمّ مضى في تفسير معنى الجراد والقمل بنفس الطريقة فيذكر المعاني اللغوية ،وبعض أقوال المفسرين ، ثمّ يسوق نصوصا من أسفار التوراة يؤيد بها صدق مقولته .

قال في تفسير قول الله تعالى :﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى

[1438] ـ انظر:تفسير المنار ج 9 ، ص 89 ـ 90.

ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾ «[1439]»

«أي واقرأ أيّها الرسول على هؤلاء المشركين المكذبين لك من قومك ، فيما أوعدتهم من عقاب الله لهم على سابق سنته في المكذبين لرسله من قبلك خبر نوح ذي الشأن العظيم «إذ قال لقومه يا قوم إن كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله » أي نبأهم حين قال لهم هذا القول فكذبوه فأغرقناهم ونجيناه هو ومن آمن معه وجعلناهم خلائف الأرض لا جميع أنباء قصته معهم المفصلة في سورة هود التي نزلت قبل هذه السورة ووضعت بعدها في المصحف ليعلموا من هذا النبأ الخاص سنته تعالى في نصر رسله على المكذبين من قبلهم ، وإنّه كذلك ينصرك عليهم ، فيهلك المكذبين لك المغرورين بكثرتهم وقوتهم وقلة من اتبعك وضعفهم ، وإنّ هؤلاء الضعفاء سيكونون خلائف الأرض في قومهم وغير قومهم من سكان الأرض ، قال نوح عليه السلام لقومه بعد أن طال مكثه فيهم يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته وحده والإصلاح في الأرض فملوا مقامه ، وسئموا وعظه وائتمروا به يا قوم إن كان قد كبر أي شق وعظم عليكم قيامي فيكم ، أو مكاني من القيام بما أقوم به من دعوتكم إلى عبادة ربّكم وتذكيري إياكم بآياته الدالة على وحدانيته ووجوب عبادته وشكره والرجاء في ثوابه للمؤمنين المتقين ، أو الخوف من عقابه للمشركين المجرمين التذكير يطلق على الإعلام بالآيات والدلائل في أنفس الناس وفي الآفاق فيدركها العقل وتقتضيها الفطرة حتّى يكون بيانها تذكيرا أو كالتذكير لمن فقهها بشيء كان يعرفه بالقوة ، فعرفه بالفعل ، ويطلق على الوعظ والنصح المشتمل على عواقب الأمور ، وسيأتي في السورة التالية قوله لهم « ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم »«[1440]» « فعلى الله توكلت » دون غيره من المؤمنين الذين تستضعفونهم أي إن كان كبر عليكم ذلك وأردتم التقصي منه بالإيقاع بي فإنني قد وكلت أمري إلى الله الذي أرسلني واعتمدت عليه وحده بعد أن أديت رسالته بقدر طاقتي .... «ثمّ اقضوا إلي ولا تنظرون » ... أي لا تمهلوني

[1439] ـ سورة يونس : الآيات 71 ـ 73 .

[1440] ـ سورة هود : الآية 34.

بتأخير هذا القضاء وتنفيذه بعد استيفاء تلك المقدّمات كلّها هذه الآية من أبلغ آيات القرآن عبارة وأجمعها على إيجازها للمعاني الكثيرة من علم النفس ودرجة إيمان الأنبياء المرسلين وثقتهم بالله عزّ وجل وشجاعتهم ، واحتقارهم لكل ما في الحياة الدنيا من أسباب الخوف من غيره والرجاء فيما سواه وبيان خاتمهم لسنته تعالى فيهم وفي أقوامهم ، وحسن وعظه بوحي ربّه تعالى فهو يضرب لحاله ومقامه معهم مثل نوح مع قومه في غرور كل منهم بكثرتهم وقوتهم وتكذيبهم واحتقارهم لرسوله ولمن آمن معه من الضعفاء والفقراء ، ولما يعتزّ به كل من الرسولين من التوكل على الله والاعتماد عليه في النصر والعزة وحسن العاقبة ، والجزم بإهلاك المصرين على تكذيبه ، ونجاة المؤمنين المتبعين له بجعلهم خلائف الأرض وأصحاب السلطان فيها ... «فكذّبوه فنجيّناه ومن معه في الفلك » أي فأصرّوا على تكذيبه بعد أن أقام لهم الحجة بقوله وعمله على حقية دعوته وبرآته من كل خوف منهم إذا كذّبوا ، ورجاء فيهم إذا آمنوا ، فنجيناه هو ومن آمن معه في السفينة كما عبّر به في سورة العنكبوت ، وهو يطلق على الجمع أيضا كما قال:« وترى الفلك مواخر فيه»«[1441]» ، ويفرق بينهما بالقرآئن ، إن لم توصف بالجمع كالبواخر « وجعلناهم خلائف » يخلفون المكذبين في الأرض كلها على قلتهم وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا بعد أن أنذرهم وأ وعدهم العذاب أي وأغرقناهم لأنّهم كذّبوا بآياتنا «فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » أي فانظر أيّها الرسول بعين بصيرتك وعقلك كيف كانت عاقبة القوم الذين أنذرهم رسولهم وقوع عذاب الله عليهم فأصروا على تكذيبه ، فكذا تكون عاقبة الذين يصرون على تكذيبك من قومك وكذلك تكون عاقبة المؤمنين المتبعين لك .

قدّم ذكر تنجية المؤمنين واستخلافهم على إغراق المكذّبين وقطع دابرهم لأنّه الأهم في سياق صدق الوعد والوعيد من وجهين أولهما : تقديم مصداقية الوعد لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتسرية حزنه على قومه ومنهم ، وثانيها كونه هو الأظهر في الحجة على أنّهما أي:« الوعد والوعيد» من

[1441] ـ سورة النحل : الآية 14.

الله تعالى القادر على إيقاعهما على خلاف ما يعتقد المشركون المغرورون بكثرتهم وقلة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ...»«[1442]»

المطلب الرابع :الشيخ محمود شلتوت ومنهجه في تناول القصص القرآني

الفرع الأول :التعريف بالشيخ محمود شلتوت

ولد الشيخ محمود شلتوت في الثالث والعشرين من أبريل عام 1893م في قرية مينية بني منصور مركز إيتاي البارود – بمحافظة البحيرة بمصر – ، والتحق بكتاب القرية وأتمّ حفظ القرآن، ثمّ التحق بمعهد الإسكندرية الديني عام 1906م ،و كان الأول دائما أثناء دراسته إلى أن نال الشهادة العالمية عام 1918م، وصار موضع تقدير شيوخه، وعرف بالذكاء وسعة الإطلاع، وفور تخرجه عيّن مدرسا بمعهد الإسكندرية، ثمّ نقل مدرسا بالقسم العالي بالأزهر الشريف.

شارك في ثورة 1919م بقلمه ولسانه، وجرأته... ولم يكد يمضى على تعيينه مدرسا في المعهد الديني بالإسكندرية ثماني سنوات ،حتّى نقل عام 1927م إلى جامع الأزهر مدرسا في القسم العالي في الفقه والأصول.

استقال من التدريس بالجامع الأزهر مع عدد من كبار العلماء الأزاهرة رفض دعوتهم لإصلاح أحوال الأزهر والدراسة فيه واتّجه للعمل في المحاماة في المحاكم الشرعية، وفي فبراير عام 1935 أعيد إلى عمله بالأزهر ،و عيّن مدرسا بكلية الشريعة بعد خمسة أعوام من عزله ،ثمّ عين وكيلا لكلية الشريعة عام 1937م

و لما أراد قانون تطوير الأزهر أن يكون منصب شيخ الأزهر دينيا فقط لا علاقة له بالسلطات الإدارية في الأزهر خاض الشيخ موجة ضد هذا العدوان... وكتب مذكرات شجاعة إلى رئيس

[1442] ـ انظر: تفسير المنار ، ج 11 ، ص 461 ـ 463 .

الجمهورية جمال عبد الناصر، ثمّ اضطر لتقديم استقالته من مشيخة الأزهر في 16 ربيع الأول عام 1383 الموافق لـ: 6 أغسطس 1963.

ثمّ أصيب الشيخ – رحمه الله – بمرض فتوفي بعد خمسة أشهر من تقديمه للاستقالة وانتقل إلى جوار ربه في 27 رجب 1383 هـ الموافق لـ: 13 ديسمبر 1963 عن عمر ناهز سبعين عاما.

كان رحمه الله يحظى باحترام كبير من العلماء و الرؤساء.«[1443]»

الفرع الثاني :ذكر نماذج من تناول الشيخ محمد شلتوت للقصص القرآني

تكلم الشيخ محمد شلتوت في معرض حديثه عن سورة البقرة عن مناهج الناس في فهم القصص القرآني فقال – رحمه الله – «يجدر بنا أن نقف هنا وقفة نبيّن فيها منهاج الناس في شأن هام يتعلق بفهم القصص القرآني، فإنّ مما قيل في هذا القصص: إنّ كثيرا مما قصه القرآن لم يكن معروفا من قبل، لا في الكتب الإلهية ولا في الآثار التاريخية وقد قيل هذا في تلك القصة بالذات»«[1444]».

وقام – رحمه الله – بعرض منهج الشيخ محمد عبده و رشيد رضا في تناول قصة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾«[1445]» و عقّب عليهما وقام بنقدهما و بيّن الداعي الذي حملهما على هذا الصنيع وهو البغية في التخلص من الاعتراضات التي يوردها المستشرقون ويثيرها أعداء الإسلام وذكر أنّ هذا التأويل الذي عمدا إليه لا تساعد عليه لغة العرب ولا سياق الكلام و مدلوله، ثمّ أشار – رحمة الله عليه – إلى تقسيم مناهج الناس في فهم القصص القرآني وبدأ يذكر منهج المؤولين للقصص:

قال – رحمه الله –«:منهج المؤولين للقصص ورأينا فيه: هذا أحد المناهج التي عرفناها للناس في فهم القصص القرآني، وهو صرف الكلام عن مدلوله اللغوي إلى معنى آخر دون ما يدعوا إلى هذا التأويل

[1443] – انظر: الأعلام ، الزركلي ، ج 7 ، ص 173 .

[1444] – تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت، د ط،مصر،دار الشروق، د ت ، ص 41

[1445] – سورة البقرة: الآية 72.

وصاحبه قد يحكّم فيه مجرد الاستبعاد لما يؤدّيه الكلام من المعنى الظاهر، وكثيرا ما يقصده بعض الباحثين دفعا لما يثيره خصوم القرآن على القرآن، ويدخل في هذا القسم تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى – عليه السلام – بالإحياء الروحي، وحمل النمل في قصة سليمان على أنّه قبيلة ضعيفة، و تأويل الكواكب في قصة إبراهيم بأنّها جواهر نورانية نورها عقلي، لا حسي، وما نقله البيضاوي عن بعض الصوفية في معنى المائدة التي أنزلها ... وهذا المنهج هو من طريقة التأويل التي أسّسها الباطنية في القرآن الكريم، عرفة هبها عن دلالته العربية، وفيه احتفاظ بمدلول الكلام واوقع يدل عليه، و لكنّه صرف للفظ عن معناه الوضعي إلى هذا المعنى الواقعي الذي يزعمه المؤول مدلولا للكلام«[1446]».

ثمّ أشار – رحمة الله عليه – إلى الضابط الذي ينبغي أن يضبط به هذا المسلك والاتجاه وهو أن يراعى فيه قانون التأويل الذي ينص على عدم التعارض مع أي أصل ديني، أو يمس أمرا من أمور الاعتقاد ومراعاة قواعد اللغة العربية، وإلاّ فهذا النوع من التأويل باطل وفاسد لا ينبغي الميل إليه والجنوح له، ثمّ تكلم عن منهج القائلين بالتخييل: فقال :«أمّا المنهج الثاني من المناهج التي عرفها الناس في فهم القصص القرآني فهو يتفق مع المنهج الأول في ناحية ويخالفه في ناحية، إذ هو صرف الألفاظ عن معانيها الحقيقية كما في المنهج الأول، ولكن لا إلى واقع يزعم و يدّعى أنه مراد، وإنما إلى تخييل ما ليس بواقع واقعا، فلا يلزم فيه الصدق ولا أن يكونا إخبارا بما حصل، وإنّما هو ضرب من القول شبيه بما يوضع من حكايات بين أشخاص مفروضين، أو على ألسنة الطيور والحيوان، للإيحاء فقط بمغزى الحكايات من الإرشاد إلى فضيلة، والحث عليها، أو التحذير من رذيلة والتنفير منها «[1447]» .

ثمّ نقل رحمه الله نصا من كلام ابن تيميه أشار فيه أنّ هناك طائفة من الفلاسفة عمدت إلى ما رأته بعقولها أصلا لما جاءت به الأنبياء فما وافق مبدأهم هذا قبلوه، وما خالف نبذوه ونصّ ابن تيميه هو كالآتي «و منهم أهل الوهم والتّخييل الذين يقولون إنّ الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر، وعن

[1446] – تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت، ص 45-46.

[1447] – المصدر نفسه: ص 46.

الجنة والنار والملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنّهم خاطبوهم بما يتخيلون ويتوهمون من أنّ الأبدان تعاد، وأنّ لهم نعيما محسوسا، وعتابا محسوسا وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر، لأنّ من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون ويتخيلون من أنّ الأمر هكذا وإن كان هذا كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور، إذ كنت دعوتهم ومصلحتهم لا تكمن إلاّ بهذه الطريقة»«[1448]».

ثمّ عاد – رحمه الله – إلى بيان تناقض هذا المنهج وما فيه من خلط وتضارب يزيل عن النص القرآني قدسيّته، وهيبته ومكانته في نفوس المسلمين وتشكيكهم في أصولهم وثوابتهم.

فقال – رحمه الله – «ولا شك أنّ القرآن إذا استقبلت دراسته على هذا النحو من الخلط و الخبط

والإدعاء، فقد اقتحمت قدسيته، وزالت عن النفوس روعة الحق فيه وتزلزلت قضاياه في كلّ ما تناوله من عقائد وتشريع وإخبار، و شبيه بهذا ما فعله قوم زعموا أنّ ما جاء في الكتاب الكريم من الآيات الدالة على أنّ الله يعلم جزئيات الأشياء وتفاصيلها،لا يراد به معناه الظاهر ولا معنى آخر وإنّما سيق ليورث رغبة ورهبة في قلوب الناس«[1449]» و في هؤلاء يقوم الإمام الغزالي: «و هم معترفون بأنّ هذا ليس من التأويل ولكن قالوا: لما كان صلاح الخلق في أن يعتقدوا أنّ الله عالم بما يجري عليهم ورقيب عليهم جاز للرسول أن يفهمهم ذاك، وليس بكاذب من أصلح غيره فقال: ما فيه صلاحه، وإن لم يكن كما قاله، وهذا القول باطل قطعا، لأنّه صريح بالتكذيب و طلب للعذر في أنّه لم يكذب، ويجب إحلال منصب النبوة، ونقول نحن، وأولى مقام الألوهية عن هذه الرذيلة، ففي الصدق وإصلاح الخلق به مندوحة عن الكذب»

ثمّ ذكر – رحمة الله عليه – منهج المسرفين في قبول الروايات:

[1448] – درء تعارض العقل والنقل :أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه، تحقيق محمد رشاد سالم ، د ط ، الرياض ، دار الكنوز الأدبية ، 1391 هـ ، ج 1 ، ص 3.

[1449] – تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت: ص 47.

فقال: «أمّا المنهج الثالث، فهو منهج جمهور المفسرين، و يقوم على الإفراط في تحكيم الروايات الواردة من طرق مختلفة في فهم القصة القرآنية، و اعتبار كل ما ورد متصلا بالقصة بيانا و تفصيلا لما جاء في القرآن، كما اتخذ الفقهاء الأحاديث المتصلة بآيات التفريغ بيانا و تفصيل أو تكميلا لما ورد في الآيات من أحكام، و كما اعتبر الفقهاء الأحاديث مصدرا ثانيا للتشريع اعتبر هؤلاء الروايات في القصة مصدرا ثانيا للقصة بعد القرآن الكريم. و الرأي السليم أنه إذا صح اتخاذ الأحاديث التشريعية مصدرا ثانيا للأحكام مبينا أومتصلا أو مكملا لأنّ العلماء بحثوها و ميّزوا صحيحها من ضعيفها، فلا يصح ذلك في الروايات القصصية لأنّها لم تبحث كما بحثت هذه، فهذا المنهج فيه إفراط وأيّ إفراط، وذلك يتمثل في كثير من كتب التفسير حينما تصل إلى قصص الأنبياء مع أممهم، كما نراه في حال بني إسرائيل في التيه، وكما نراه في وصف المائدة التي أنزلها الله»«[1450]».

ثمّ ساق – رحمه الله – نموذجا من تفسير الإمام أبي السعود في كتابه العقل السليم لبعض القصص القرآني وذاك في تأويل قوله – تعالى –:﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ «[1451]».

ثمّ ذكر – رحمه الله – المنهج الذي يرجحه ويختاره في تناول القصص القرآني فقال – رحمه الله –:« المنهج المختار: هذه المناهج مترددة بين إفراط وتفريط في شأن القصص القرآني، وما ينبغي أن يستقبل به حتّى يحقق الغاية المقصودة من قصه على الناس بالعبرة والموعظة وحتّى يحدث التسلية للدّعاة والمصلحين، وحتّى يتبيّن للناس أنّه القصص الحق المطابق للواقع الذي لا مرية فيه ولا تزيّد ولا تخييل وعلى أساس أنّ الحق وسط بين باطلين، نقرر المنهج الرابع الذي يجب استقبال القصص القرآني على أساسه، وهو المنهج السليم والصراط المستقيم إن شاء الله، وخلاصته الوقوف عند ما ورد في القرآن الكريم مع الاحتفاظ بدلالة الألفاظ اللغوية على معانيها وإفادتها لواقع هي تعبير صحيح عنه، دون تزيّد عليه بما لم يرد فيه اعتمادا على روايات لا سند لها كما صنع المفرطون، و

[1450] – تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت ص 47-48

[1451] – سورة المائدة: الآية :114.

دون تحيف لها فيها، باعتبار أنّ الكلام تخييل لا يعبر عن واقع كما فعل المفرطون و دون صرف للألفاظ عن معانيها الوضعية إلى معان أخرى، من غير صارف يمنع إجراء الكلام على ظاهره، كما فعل أهل التأويل، الذين حرّفوا كثيرا من القرآن على ظاهره كما فعل أهل التأويل، الذين حرفوا كثير من القرآن عن مواضعه ونكبوا قانون العربية التي نزل بها»«[1452]»

المطلب الخامس :الشيخ المراغي ومنهجه في تناول القصص القرءاني

الفرع الأول :ترجمة الشيخ المراغي

الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي: مفسر مصري من العلماء تخرج بدار العلوم سنة 1909، ثمّ كان مدرسا للشريعة الإسلامية بها، وولي نظارة بعض المدارس و عيّن أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم، وتوفي بالقاهرة له كتب منها الحسبة في الإسلام: مطبوع، الوجيز في أصول الفقه مطبوع مجلدان، وتفسير المراغي ثمانية مجلدات، وعلوم البلاغة مطبوع«[1453]».

الفرع الثاني : منهج الشيخ في تفسيره

إنّ الحديث عن منهج الشيخ في تفسيره يستدعينا للحديث عن إنتاجه وإسهامه في التفسير عموما ،ويذكر البعض أنّه ولج هذا الميدان من خلال عقده لبعض الدروس الدينية بالمساجد فكان يتناول آيات من كتاب الله تعالى بالتفسير ، ولم يتعرض للقرآن كله ، فكان كلامه في التفسير انتقائيا لبعض الآيات ، ركزّ في هذه الدروس على الآيات الحاوية والمتضمنة للأصول الكبرى للإسلام والمتضمنة للأخلاق ، والمبادئ التي تنتظم بها حياة المسلمين ، فمن الآيات التي عناها بالتأويل قول الله تعالى : في سورة البقرة ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

[1452] ـ تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت ، ص 50.

[1453] – انظر:الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج1، ص 258

وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾«[1454]» وكذلك تأويل قول الله تعالى ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾»«[1455]» إلى قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾»«[1456]» تفسيره لسورة الحجرات وغيرها من الآيات وبعض السور القصار ،وقد طبعت دروسه هذه في مجلدات ، وقد خطى في تفسيره لهذه الآيات منهجا ركزّ فيه على بيان الآيات الدالة على قدرة الله تعالى ، والتي تدعوا البشر إلى الإنابة والعودة لله تعالى ، مع الإشارة إلى القضايا العلمية في عصره ، والتي لا تتعارض مع القرآن الكريم ، مبينا ذلك في أسلوب دقيق استطاع فيه أن يوفق بين القضايا العلمية في عصره ،وبين دعوة القرآن إلى العلم ، وهو في تفسيره لهذه الآيات كان مستعينا بكلام من سبقه من المفسرين ، ناهجا طرقهم في تفسير النص القرآني من التركيز على تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابة والتابعين ، وأساليب اللغة والقواعد المتعارف عليها عند المفسرين ، وهو في ذلك كله ناهج نهج أستاذه وقدوته في الإصلاح الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ ، فكان معرض عن الخوض في المبهمات ، ونابذا ومقللا من الإسرائيليات ، مركزا على إظهار أسرار التشريع وبيان محاسن الإسلام في هذا الجانب ،مع الاهتمام بقضايا المجتمع ومشكلات المسلمين ، ساعيا وداعيا إلى مواطن الشفاء ومبينا لمراكز الداء ، مقترحا لطرق العلاج والاستئصال ، كما أنّه كان ناقما على الفلاسفة وبعض النظريات الفلسفية التي يحاول أصحابها تأويل نصوص القرآن على ضوئها ،ولكنّه مع ذلك يدعو المفسر والمسلم أن يكون ملما ببعض النظريات العلمية الحديثة كي يستعين بها على بعض الآيات ما لم يكن هناك تعارض بينها وبين الدين ، وقد كان نائيا عن التعصب للآراء والتقيد بالمذاهب وأقوال الرجال ، فكان متسما

[1454] ـ سورة البقرة : الآية 177 .

[1455] ـ سورة آل عمران : الآية 133.

[1456] ـ سورة آل عمران :الآية 138 .

بالحرية في الرأي المنضبط يعمل رأية ولا يقف عند ما سطره من قبله ، بل يدلي برأيه «[1457]» ، وقد أشار الدكتور محمد حسين الذهبي إلى قيمة تفسيره فقال : «... وخاتمة المطاف في هذه الدروس التي ألقاها الأستاذ الأكبر في التفسير أنّه منها كما ـ قيل ـ أمران عظيمان لهما خطرهما في الحياة الدينية : كانت عاملا قويا في توجيه المسلمين ونشئهم الطيب الطاهر إلى الجانب الديني ، ولفت أنظارهم إلى ما في كتاب الله من تشريع حكيم ، وأدب جمّ كريم ، وإرشاد قيم مفيد ، فحببت إليهم الدين وزينته في قلوبهم ، وهرعوا إليه يتعرفون حكمه وأحكامه ، ويتلمسون بها حياة طيبة ونهضة قوية أساسها الدين والخلق الكريم... »«[1458]».

الفرع الثالث :ذكر نماذج من تناول الشيخ المراغي للقصص القرآني

في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾«[1459]».

قال – رحمه الله – : «... بعد أن ذكر سبحانه في الآيات التي قبل هذه شرع القتال لحماية الحق وبذل المال في سبيل الله لعزة الأمة ومنعتها، وأنّ من ينحرف عن ذلك يتردى في مهاوى الردى كما وقع لمن خرجوا من ديارهم فارّين من عدوهم على كثرة عددهم. هنا تبيين قصة قوم من بني إسرائيل

[1457] ـ انظر: التفسير والمفسرون ، محمد حسين الذهبي ، ج 2 ، ص 433 ـ 438 ، بتصرف

[1458] ـ المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 446.

[1459] – سورة البقرة : الآية 246-247.

أخرجوا من ديارهم وأبناءهم بالقهر، كما خرج أصحاب القصة الأولى بالجبن، واستحقوا الخزي والنّكال، لكن هذه القصة جاءت مفصّلة تبين ما في القصة الأولى المجملة، فإنّ الأولى تصرّح بأنّ موتهم كان بذهاب استقلالهم، وأنّه نتيجة لفرارهم وضعف عزيمتهم، لكن لم يذكر سبب إحيائهم وإن كان قذفهم مما جاء بعدها من الأمر بالقتال وبذل المال أنّ هذا هو سنة الله في إحياء الأمم.

أمّا هذه القصة فقد فصّلت احتياج هؤلاء الناس للقتال لمدافعة الغارين عليهم واسترجاع ديارهم من بين أيديهم، فبذلوا الوسع في الاستعداد للدفاع لكنّ الضعف قد بلغ معهم كل مبلغ، فتولوا وأعرضوا عن القتال إلاّ قليلا منهم، ألهمهم الله رشدهم فاعتبروا وانتصروا، وقد جاء قصص القرآن للعبرة

والموعظة كما قال: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب»«[1460]» و من ثمّ لم يذكر إلاّ ما تمس الحاجة إليه من الفائدة، أمّا ذكر التفاصيل والجزيئات فربّما شغل عن ذلك إلى ما فيها من خلاف ربما يذهب الثقة بها، ومن قبل اقتدى كثير من المؤرخين في العصر الحديث بطريق القرآن فلا يذكرون إلاّ الأمور الكلية، ولا يحفلون بالجزيئات تسمع أواخر أسباب ضبطها، ونقل أخبارها بتصويب الوقائع والأماكن، وسهولة الانتقال من مكان إلى مكان وإنّك لترى في ذكر أخبار الحروب في العصر الحاضر التناقض الواضح في رسائل الفريقين المختصمين فيها، ممّا يرفع الثقة بها، وإذا جاء في كتب بني إسرائيل المعروفة عند النصارى بالعهد العتيق، أوفي كتب التاريخ القديمة ما يخالف ما في القرآن في باب القصص، فعلينا ألا نحفل به ولا نكلف أنفسنا الجواب عنه عنه، فحال التاريخ قبل الإسلام كانت حالكة الظلام فلا يوثق إذ ذاك برواية، كما أنّ الكتب الدينية ليست لها أسانيد متواترة، و قد صرّح القرآن بأنّ أتباع موسى نسوا حظا مما ذكروا به وحفظوا نصيبا، وهذا الذي حفظوه حرفوه، وإنّ أتباع عيسى فعلوا مثل ما فعل أصحاب موسى فلا ثقة بما جاء في قصص العهدين العتيق والجديد، ممّا يسمى مجموعة الكتاب المقدس.«[1461]».

[1460] ـ سورة يوسف : الآية 111.

[1461] ـ تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي: ط1، مصر، مكتبة مصطفى الحلبي وأ ولاده، 1365 هـ، 1946م، ج1، ص214 ـ 215.

في تفسيره لقول الله – تعالى –﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَادِ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ «[1462]».

قال – رحمه الله – بعد أن قام بشرح المفردات وإيضاح المعنى الجملي ما نصه :«ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد»؟ أي : لم تعلم أيها الإنسان كيف أهلك ربك عادا الأولى الذين كانوا أشد الناس أجساما وأطولهم قامة وأرفعهم مكانة، والذين لم يخلق في البلاد كلها مدينة كمدينتهم.

وثمود الذين جابوا الصخرة بالواد أي ثمود الذين قطعوا الصخر ونحتوه و بنوا منه القصور والأبنية العظيمة كما قال في آية أخرى «وينحتون من الجبال بيوتا فارهين»«[1463]» وفي هذا دليل على ما أنعم الله به عليهم من القوة والعقل وحسن التدبير.

وفرعون ذي الأوتاد أي وفرعون ذي المباني العظيمة التي شادها هو ومن قبله من فراعنة مصر في قديم الأزمان كالأهرام وغيرها وما أجمل التعبير عمّا تركه المصريون من الأبنية الباقية بالأوتاد، فإنّ شكل هياكلهم العظيمة شكل الأوتاد المقلوبة، إذ يبتدئ البناء عريضا وينتهي بأدق ممّا بدأ، ثمّ وصف من سبق ذكرهم بأقبح الأوصاف فقال: «الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد» أي هؤلاء الذين سلف ذكرهم من عاد وثمود وفرعون قد استعملوا سلطانهم وقوّتهم في هضم حقوق الناس، واغترّوا بعظيم قدرتهم، فكانوا سببا في إفساد البلاد.

ذاك أنّ من اغتر بنفسه، وتهاون بحقوق غيره واعتدى عليها، وأخذ ما ليس له، ولم يعط الذي عليه – يكون قد فك شمل الجماعة وأفسد في البلاد، فيختل نظام العمران، ويقف دولاب التعامل،

[1462] ـ سورة الفجر : الآية 6 ـ 14.

[1463] – سورة الشعراء: الآية 149.

ويوجس كل امرئ خيفة من بني جلدته، ولا شك أنّ أمما هذه حالها تكون عاقبتها الخراب والدمار، و من ثمّ ذكر عاقبة أمرها فقال: «فصبّ عليهم ربك سوط عذاب»، أي :فأنزل الله تعالى بهم ألوانا من البلاء، و شديد العذاب، وقد شبه سبحانه ما أوقعه بهم من صنوف العذاب، وما صبّه عليهم من ضروب الهلاك – بالسوط يضرب به في العقوبات والله يوقع العذاب بالأمم عقوبة لها من أنواع التفريط في أوامر دينه ثمّ ذكر العلة في تعذيبه لهم فقال: «إنّ ربك لبالمرصاد» أي: إنّ شأن ربك ألاّ يفوته من شؤون عباده نقير ولا قطمير، ولا يهمل أمة تعدّت في أعمالها حدود شرائعه القويمة، بل يأخذها بذنوبها أخذ العزيز المقتدر، كما يأخذ الراصد القائم على الطريق من يمر به بما يريد من خير أو شر لا يفرط فيما رصد له،و قد أجمل الله في هذه الآيات ما أوقعه بهذه الأمم من العذاب، و فصّله في غير موضع من كتابه الكريم، فقال في سورة الحاقة: «فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ... »»«[1464]»، والحكمة في تكرار القصص في القرآن الكريم، وفي ذكر بعضها على طريق الإشارة في بعض المواضع، وبالتفصيل في بعض آخر أنّه قد يكون الغرض تارة إقامة الحجة على قدرته تعالى، وتوحده في ملكه، وقهره لعباده حينا، وترقيق للقلوب المخاطبين حينا آخر، وإنذار عباده و إعذارهم مرة ثالثة، ولا شك أنّ كل مقام من الكلام له لون منه من بسط وإيجاز لا يكون لغيره، وقد عرفت أنّ الغرض هنا تطييب خاطر الرسول صلى الله عليه وسلم

[1464] ـ سورة الحاقة: الآيتان 5 ـ6

وأصحابه بأنّ الله سيمهل الكافرين ولا يهملهم، وهو ليس بغافل عنهم، وحينئذ تدرك أنّ الإشارة – إلى هذه الأمم أخذت وعذّبت ولم تترك سدى كافية جدّ الكفاية لمن فكّر وتدبر» «[1465]».

المبحث الثاني :نقد النماذج التي أوردتها من تفسير المدرسة العقلية

المطلب الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام جمال الدين الأفغاني

في تفسير قول الله تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾«[1466]» وقوله : « قرأت في القرآن أمرا تغلغلت في فهمه روحي وتنبهت إليه بكليتي و هو « و إذ قال ...» فاندهشت الملائكة لهذا النبأ و لهذه المشيئة الربّانية إذ علمت أنّ ذلك الخليفة سيكون الإنسان وأنّ ذلك الإنسان الخليفة سيصدر منه موبقات وسيئات أعظمها وأهمّها أنّه يسفك الدماء .... و بأبسط المعاني أنّ الله تعالى أفهم الملائكة أنّه أنكم علمتم ما في خليفتي في الأرض وهو الإنسان من الاستعداد لعمل الفساد وسفك الدماء وجعلتهم ما أعددته لصونه وصرفه عن الإتيان بالنقيضين المذكورين ألا وهو العلم» فأقول قد سبق وأن أشرت إلى أنّ الشيخ جمال الدين الأفغاني لم يضع تفسيرا كاملا وإنّما تكلم عن بعض الآيات في ثنايا مقالاته فقط ، ولذا فالشيخ لم يتعرض لكل آي القرآن أو كتابة تفسير كامل أوضح فيه منهجه الذي يسير عليه حتّى يمكننا محاكمته إلى منهجه ونقد بعض أقواله وآرائه العلمية في التفسير ، وما ذكره في تفسير هاتين الآيتين ليس فيه ما يستغرب أو يستنكر ، بل مشى مع ظاهر الآيتين وما تدل عليهما من إخبار الله تعالى

[1465] – تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي ، ج29، ص 143-145.

[1466] ـ سورة البقرة : الآيتان 30 ـ 31.

لملائكته بأنّه سيجعل في الأرض خليفة ، فراح الشيخ يحلل هذا الحوار الذي بين الله تعالى وملائكته بأسلوبه الخاص مبينا وجه اعتراض الملائكة على هذا الخليفة الذي سيصدر منه أفعال لا ترضي الله تعالى ولا عباده المؤمنين ، فكيف له أن يكون خليفة في الأرض مع ما هو متصف به ، فبيّن الشيخ أنّ الله تعالى قد ردّ على الملائكة اعتراضهم بأنّه ركب في هذا الخليفة شيئا يمنعه ويصونه من ارتكاب واقتراف ما ذكر في شأنه من إفساد في الأرض وسفك الدماء وهو العلم الذي خصه به عن سائر المخلوقات في الأرض فبالعلم يقي هذا الخليفة في الأرض ما يمكن أن يقع فيه من الإفساد والقتل ، هذا منتهى قول الشيخ وكما قلت لا شيء يستنكر في كلامه هذا والله أعلم .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴾ : «[1467]» وقوله:« غضب سليمان عليه السلام على الهدهد، إذ تفقده ولم يجده فلمّا حضر قال: «جئتك من سبأ بنبأ يقين» غير ملفّق ولا مشوب بكذب كما تفعل أكثر الجواسيس مع الملوك و الحكام ... وأراد أن يريها ما لديه من القوّة وما تسخر له من رياح وتجري بأمره طيارات مثلا وسرعة و نقل الأخبار بأسرع من البرق التلغراف اللاّسلكي مثلا »«[1468]» فأقول : إنّ الشيخ ـ رحمه الله ـ قد تكلم عن قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وما كان من شأن الهدهد الذي غاب عن أنظار مملكة سليمان فتفقده ولم يجده ، فتوعده بالعقاب ،لكن لما رجع إليه أخبره بما شاهده من وقوع هذه الملكة وقومها في الشرك وعبادة الله إلى آخر ما جاء في القصة ، لكن الشيء الملاحظ على الشيخ جمال الدين الأفغاني هو استعماله لبعض المصطلحات البعيدة نوعا ما عن التفسير ، وإنّما هي مصطلحات علمية وسياسية تنبئ عن واقع الشيخ الذي عاش فيه ، فلميله واعتنائه الشديد بالمجال السياسي وهموم الأمة في ذلك الوقت نراه يستعمل مثل هذه العبارات في مقالاته وخواطره ، حتى فيما يتعلق بالنص القرآني فنراه يستعمل مصطلح مجلس الوزراء ومجلس الأمة تمثيلا لاجتماع ملكة سبأ بجنودها في شأن سليمان عليه السلام

[1467] – سورة النمل :الآية 20 .

[1468] –انظر: خاطرات جمال الدين الأفغاني : 100 – 101

، وكذلك تشبيه سرعة نقل الأخبار لسيدنا سليمان عليه السلام من قبل الهدهد والجن بسرعة الطائرات والتلغراف اللاسلكي ، وكما قلت فهذه مصطلحات لوسائل حديثة راجت في عصره والشيخ يمثل بها على بعض المعاني القرآنية .

المطلب الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الشيخ محمد عبده

في تفسير قول الله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ «[1469]». وقوله : «وبقي ممّا يتعلق بهذا التفسير مسألتان قد أكثر الكلام فيهما، وهما مسألة خلق حواء من ضلع من أضلاع آدم و مسألة عصمه آدم، فأمّا الأولى فليس في القرآن نص فيها ولا يلزمنا حمل قوله تعالى: «وخلق منها زوجها» على ذلك لأجل مطابقة سفر التكوين، فإنّ القصة لم ترد في القرآن كما وردت في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب حكاية تاريخية ... لأنّ العلم المبني على الاختبار والمشاهدة أظهر خطأ ما جاء من التاريخ في التوراة، ووجدت لإنسان آثار في الأرض تدل على أنّه أقدم ممّا حدّدته التوراة في تاريخ تكوينه فقام فريق من أهل الكتاب، يركب التّعاسيف في التأويل» فأقول :إنّ الشيخ ـ رحمه ـ تعرض في هذه الآيات لقصة آدم وحواء وما كان من إغواء الشيطان لهما ، ثمّ أشار إلى مسألة خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام ، وأراد أن ينفي حقيقة ذلك بحمله معنى قوله تعالى : «وخلق منها زوجها » على أنّ المراد الجنس لا معنى أنّها خلقت من ضلع الرجل ، والشيخ لا يوافق على ذلك ، فإنّ هذا مسلم به وكما صرّحت به السنة الصحيحة فقد روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال :« إنّ المرأة خلقت من ضلع أعوج ، وإنّ أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن

[1469] – سورة البقرة: الآيات 35 – 37 .

استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج » «[1470]» قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أنّ حواء خلقت من ضلع آدم«[1471]» قال الله تعالى : «خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » «[1472]» كما أنّ جل المفسرين قد فسروا الآية بهذا المعنى فقالوا إنّ حواء خلقت من ضلع آدم عليه السلام قال الإمام ابن كثير ـ رحمه الله ـ «وخلق منها زوجها » وهي حواء عليها السلام خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم ، فاستيقظ فرآها فأعجبته فأنس إليها وأنست إليه»، وقال الإمام البيضاوي :« ... لأنّ حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال ....» وهذا التفسير الأخير من الإمام البيضاوي هو الذي ينبغي أن تحمل عليه الآية فخلق حواء من ضلع آدم صحيح ، بينما باقي النساء خلقن من أصلاب الرجال ، وهذا والله أعلم هو الصحيح أمّا الدعوى إلى إنكار هذا الحديث الصحيح ، فلا تقبل وموقف المدرسة العقلية من التفسير الأحاديث ومن تفسير السنة للقرآن معروف فهم يقللون من شأنه ويعمدون إلى تأويل الأحاديث المشكلة عندهم والتي تتعارض مع بعض الحقائق الكونية والقضايا العلمية تارة بالتشكيك في صحة هذه الأحاديث أو الطعن في رواتها وأخرى بتأويلها تأويلا بعيدا ، وهذا صنيع الإمام محمد عبده في كم موضع من المواضع التي فسر فيها بعض الآيات القرآنية ، ثمّ الشيخ بعد ذلك مضى في تفسير الآيات وأشار إلى منهج التمثيل ووسمه بأنّه مذهب الخلف وقد تكلم الشيخ محمود شلتوت عن هذا المذهب في ما نقلته عنه من كلام سابق ، فالقول بالتمثيل إنّما الغرض منه صرف الكلام عن مدلوله اللغوي الذي يحتمله إلى معنى آخر لا يحتمله وكذلك صرف المعاني الظاهرة إلى معاني بعيدة الغرض من ذلك كله كما أشار الشيخ هو دفع الشبه التي يثيرها الأعداء حول بعض الحقائق الدينية ، لكن هذا منهج غير صحيح ، فإنّ الرد على المخالف لا يستلزم رد ما صح من الحقائق الدينية ، ولذا نجد الشيخ في هذه الآيات راح يقرر هذا المنهج بفرض بعض المعاني كجعل الجنة المراد به الراحة وحمل آدم على الجنس ، وإن كان هذا الكلام صحيح فإنّ

[1470] ـ انظر: صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء، ج 4 ، ص 178.

[1471] ـ انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ، ج 5 ، ص 315

[1472] ـ سورة النساء: الآية 1

الجنة من شأنها أن يوجد فيها نعيم وكذلك يطلق على آدم النوع الإنساني والجنس ، لكنّ الآيات أكدت نزول آدم من الجنة بسبب عصيانه وأنّه هو نبي الله لا الجنس الآدمي ، وكذلك قوله بأنّ المراد من الشجرة الشر ، وهذا إن أراد الشيخ يحمله على معنى الآيات ويفسر بها القصة فغير صحيح ، والشيخ بطريقته هذه في ردّ بعض الأحاديث الصحيحة وإنكاره لبعض الحقائق الثابتة ، وصرفه للكلام عن ظاهره متأثر جدا بطريقة الزمخشري في كشافه ،وقد وقفت على كلام نفيس للإمام الشهيد سيد قطب ـ رحمه الله ـ يحكي فيه عن طريقة الشيخ وتلميذه محمد رشيد رضا فقال :«... إنّنا ندرك ونقدر دوافع المدرسة العقلية التي كان الأستاذ الإمام ـ رحمه الله ـ على رأسها في تلك الحقبة، ندرك ونقدر دوافعها إلى تضييق نطاق خوارق العادات والغيبيات في تفسير القرآن وأحداث التاريخ ، ومحاولة ردها إلى المألوف المكشوف من السنن الكونية ,,, فلقد كانت هذه المدرسة تواجه النزعة الخرافية الشائعة التي تسيطر على العقلية العامة في تلك الفترة كما تواجه سيل الأساطير والإسرائيليات التي حشيت بها كتب التفسير والرواية في الوقت الذي وصلت فيه الفتنة بالعلم الحديث إلى ذروتها ، وموجة الشك في مقالات الدين إلى قمتها فقامت هذه المدرسة تحاول أن ترد إلى الدين اعتباره على أساس أنّ كل ما جاء به موافق للعقل ، ومن ثمّ تجتهد في تنقيته من الخرافات والأساطير ، كما تحاول أن تنشئ عقلية دينية تفقه السنن الكونية ....» «[1473]» ، ثمّ يعود الشيخ سيد قطب ، ويؤكد أثر الغلو في هذا المنهج على تفسير القرآن الكريم ، فيقول :« ولكن مواجهة ضغط الخرافة من جهة وضغط فتنة العلم من جهة أخرى تركت آثارها في تلك المدرسة ، من المبالغة في الاحتياط والميل إلى جعل مألوف السنن الكونية هو القاعدة الكلية لسنة الله ، فشاع في تفسير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ـ كما شاع في تفسير تلميذه الأستاذ محمد رشيد رضا ، والأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي ـ رحمهم الله جميعا في هذا التفسير الرغبة الواضحة في رد الكثير من الخوارق إلى مألوف سنن الله دون الخارق منها وإلى تأويل بعضها بحيث يلائم ما يسمونه بالمعقول ، وإلى الحذر والاحتراس الشديد في تقبل الغيبيات ، ومع إدراكنا وتقديرنا للعوامل البيئية الدافعة لمثل هذا

[1473] ـ انظر: في ظلال القرآن ، ج 8 ، ص 670

الاتجاه ، فإنّنا نلاحظ عنصر المبالغة فيه ، وإغفال الجانب الآخر للتصور القرآني الكامل ، وهو طلاقة مشيئة الله وقدرته من وراء السنن التي اختارها الله ـ سواء المألوف منها للبشر أو غير المألوف ـ هذه الطلاقة التي لا تجعل العقل البشري هو الحاكم الأخير ، ولا تجعل معقول هذا العقل هو مرد كل أمر بحيث يتحتم تأويل ما لا يوافقه ـ كما يتقرر في تفسير علام هذه المدرسة » «[1474]»

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ... وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ «[1475]»وقوله : «جاءت هذه الآيات على أسلوب القرآن الخاص الذي لم يسبق إليه ولم يلحق فيه، فهو في هذه القصص لم يلتزم ترتيب المؤرخين ولا طريقة الكتاب في تنسيق الكلام ... ثمّ يعودون إلى بطرهم وينقلبون إلى كفرهم» أقول: ليس في كلامه هذا ما يستنكر أو ما يجدر التعقيب عليه ، فالشيخ رحمه الله أراد أن يشير إلى منهج القرآن في عرض القصص القرآن وأخبار الأمم المتقدمة بأنّه يختلف في الطريقة والغاية والهدف عن كتابة المؤرخين والمعتنين بأخبار الأمم ، فالقصص القرآن لا يراعي ما يراعيه الروائيون والكتاب من ضرورة مراعاة التاريخ وترتيب الأحداث ، فالقرآن متعال ومنزه عن ذلك كله فغرض القرآن من سوق قصص الأنبياء وأحوالهم مع أممهم إنّما هو للعبرة والعظة ، وذلك كله في أسلوب ينمي على أنّ القرآن كلام الله لا كلام البشر ، هذا هو مراد الشيخ والله أعلم .

وأمّا تأويله لقول الله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾«[1476]» وقول الشيخ محمد رشيد رضا قال الإمام الأستاذ : «وفي تفسير ابن

[1474] ـ انظر: في ظلال القرآن ، ج 8 ، ص 671.

[1475] ـ سورة البقرة : الآيات 68 ـ 72 .

[1476] ـ سورة البقرة : الآية 243.

كثير عن ابن جريح عن عطاء أنّ هذا مثل أي لا قصة وقعت أطلق القرآن القول في هؤلاء الذين خرجوا من ديارهم ولم يعين عددهم ولا أمّتهم ولا بلدهم ... وهي صارفة عن العبرة لا مزيد كمال فيها» فأقول :ما ذكره عن ابن كثير في نقله عن عطاء أنّ هذا مثل ، فذكر الإمام ابن كثير لهذا القول عن عطاء صحيح وموجود في كتابه ، لكنّه ذكره كرواية عنه فحسب ، وليس مرجحا له أو معتبرا صحته فالقول بأنّ هذه القصة مجرد مثل غير صحيح ، بل ما ذكره عن هؤلاء صحيح وثابت لا مرية فيها ولا يعلم عن أحد إنكار وقوع هذه الحادثة والقول بأنّها مجرد مثل فحسب ، وهذا القول يفتح باب الطعن في القصص القرآني وذلك في تجريده عن الحقيقة والواقعية ولو كانت كل قصص القرآن مجرد مثل ، لانتفت العبرة والعظة من سوقه و ما كان لهذا القصص أن يتبوأ منزلة عظمى ومحورا مهما من محاور القرآن ، ثمّ ما ذكره من إطلاق القرآن لعدد هؤلاء الذين خرجوا دون تعيينهم صحيح ، فوجب الوقوف عند ما وقف القرآن عند دون الجري وراء المبهمات التي لا طائل من ذكرها ، ولو كان فيها ما يتوقف عليه فهم الآية أو مكمن الموعظة من القصة لذكره القرآن ، وهذه الأقوال من الإسرائيليات التي حشا بها أصحاب التفسير بالمأثور كتبهم وأكثروا منها .

المطلب الثالث : النقد التفصيلي لنماذج الإمام محمد رشيد رضا

في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾« [1477]» وقوله : «بيّن الله في هذه الآيات واقعة من وقائعهم مع موسى عليه الصلاة والسلام الذي أخرجهم ... ليعلم الرسول بهذا أنّ مكابرة الحق ومعاندة الرسل خلق من أخلاقهم الموروثة عن سلفهم ، فيكون ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه والسلام» أقول : إنّ الإمام محمد رشيد رضا قد استهل تفسير القصة ببيان

[1477] ـ سورة المائدة : الآيتان 20 ـ 22

موضوعها العام الذي تدور حوله ، بكونها تخص واقعة من وقائع بني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام ، ثمّ ذكر ـ رحمه الله ـ الغاية والعبرة من سوق هذه القصة وهي إعلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بحقيقة اليهود وعادتهم في تكذيب أنبياء الله و إلحاق الأذى بهم ، وبذلك يكون الشيخ قد أشار إلى غرض من أغراض القصص القرآني والمتمثل في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ، فطريقة الشيخ هذه جد رائعة ومستحسنة ، يجدر على المعتنيين بتحليل القصص القرآني وتفسيره أن يعتنوا بها ، فالإشارة منذ الوهلة إلى العبرة والموعظة المتوخاة من القصة وربطها بالدعوة المحمدية يضفي عليها نوعا من أسلوب التشويق الذي يجعل القارئ في تطلع لقراءتها بغية الوقوف على جمالها ، وقوله :« أمّا ما روي في التفسير المأثور من وصف هؤلاء الجبّارين ، فأكثره من الإسرائيليات الخرافية التي كان يبثها اليهود في المسلمين ، فرووها من غير عزو إليهم ... هذه القصة مبسوطة في الفصل الثالث عشر والرابع عشر من سفر العدد الذي هو السفر الرابع من أسفار التوراة» أقول : إنّ ما ذكره الشيخ فيما روي في شأن الجبابرة ووصفه بالإسرائيليات الخرافية ، فهذا صحيح وقد سبق وأن بينت من قبل بطلانها وزيفها فيما نقلته عن الإمام ابن قتيبة وأنّها من وضع الزنادقة الذين أرادوا أن يشوه دين الإسلام والقرآن الكريم ،فاستهجان الشيخ لها وإنكاره عن بعض المفسرين روايتهم لها دون التنبيه على وضعها فهذا صحيح وهو اللازم ، لأنّ جمّا من المفسرين قد سودوا بهذه الرواية صحائف كتبهم ، لكنّ الشيخ بعد ذلك أراد أن يبين ضعفها بما نقله ممّا يسمى بالكتاب المقدس عند اليهود التوراة وبيّن أنّ هذه الرواية غير موجودة بعينها في كتابهم ومن ثمّ حكم عليها بالبطلان فإن شيئا مثل هذا تأباه مقاييس النقد العلمية ، فلا يعقل أن يستدل على بطلان رواية أو حكاية بكتاب محرف نالته أيادي الاختلاق والاصطناع ، ثمّ نأتي ونحكمه في النقد فهذا غير صحيح ويتعارض مع معايير النقد العلمية ، والشيخ محمد رشيد رضا قد استعمل هذا المنهج كم من مرة في تفسيره المنار ، وقد نبّه الدكتور حسين الذهبي عن منهجه هذا وأشار إلى خطأه ، ويعود الشيخ بعدها ويؤكد ضرورة العودة إلى كتبهم والاعتماد عليها في إبطال المرويات الإسرائيلية ، فكيف لنا أن نبطل باطل بباطل ، فأصول السنة الصحيحة بيّنت لنا كيفية التعامل مع أخبار بني إسرائيل ،

وأباحت الرواية عنهم فيما لم يعلم كذبه أو لم يظهر تعارضه مع أصول الشرع ، وأمرتنا أن نزهد فيما لا فائدة منه ولا طائل من ورائه ، فلما نعدل عن هذا ونلجأ لمثل هذا المسلك ؟

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾«[1478]»

بالنسبة لتفسيره لهذه الآية وأهم ما يلاحظ عليه في ذلك نقله لكثير من الروايات في بيان حقيقة هذه المصائب التي عوقب بها بنوا إسرائيل ، وأنا اكتفيت بذكره لمعنى الطوفان ، فالشيخ نقل عدة أقوال عن السلف في بيان صفته وحقيقته ، ليخرج في الأخير بتضعيف بعض الآراء وترجيح قول سيدنا ابن عباس في أنّ الطوفان هو كثرة الأمطار المتلفة للزروع ، وهذا هو المعنى الذي يتوافق مع السياق وتقتضيه اللغة ، فترجيحه صحيح والله أعلم ،لكنّ الشيخ يعود ويؤكد أنّ أولى الآثار بالقبول بعد قول ابن عباس ممّا لا يخالف القرآن من أسفار التوراة ، فالعجب من الشيخ كيف يضعف الإسرائيليات ويستنكرها بشدة ، وهذا عموما من خصائص ومزايا المدرسة العقلية ، وبعدها ينقل أقوالا ممّا يسميه هو بأسفار التوراة ، ولا شك أنّ فيما وصل إلينا منها محرف وباطل ، فكيف يستأنس به ، أو كيف يرجح به في بعض الأحيان .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾«[1479]»

[1478] ـ سورة الأعراف : الآية 133 .

[1479] ـ سورة يونس : الآيات 71 ـ 73 .

وقوله : «أي واقرأ أيّها الرسول على هؤلاء المشركين المكذبين لك من قومك ، فيما أوعدتهم من عقاب الله لهم على سابق سنته في المكذبين لرسله من قبلك ... ليعلموا من هذا النبأ الخاص سنته تعالى في نصر رسله على المكذبين من قبلهم» فأقول: إنّ هذا استهلال رائع من الإمام محمد رشيد رضا على عادته ، فقد أشار إلى فائدة سوق هذه القصة ، وهي بيان سنن الله في الأمم المكذبة للرسل ، ونصره لأنبيائه وأتباعهم المستضعفين ، وفي هذا كله تثبيت لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له ممّا يلاقيه من إذاية قريش له ولأتباعه ، فالشيخ يحرص دائما في مقدمة تفسير القصة على بيان الغرض منها وهذا كما قلت من قبل إنّه مسلك جيد وجب استعماله، ثمّ مضى بعدها رحمه الله في بيان ما لاقاه نوح عليه السلام في سبيل الدعوة إلى الله من قومه ويربط بعدها الشيخ واقعة نوح مع قومه بحاله صلى الله عليه وسلم مع مشركي قريش ويؤكد أنّ هذا كله من أجل تسليته وتسريته صلى الله عليه وسلم ووعده بالنصر ليبعث الطمأنينة في نفوس أتباعه ، وهذا التفسير من الشيخ في غاية الدقة ويعبر عن سر القصص القرآني الهادف .

المطلب الرابع : النقد التفصيلي لنماذج الشيخ محمود شلتوت

إنّ الشيخ رحمه الله لم ينقل عنه تفسير كامل للقرآن كله ، وإنّما فسر بعض الآيات من القرآن الكريم ، و من جملة ما قام الشيخ بتفسير هو قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[1480] «فاستوقفته هذه الآية الواردة في شأن القتيل من بني إسرائيل ، فراح يتحدث عن طريقة بعض المفسرين في التعامل مع قصص القرآن - يعني في ذلك الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا فقام بنقدهما مبرزا عيوب المنهج الذي اعتمدوه وهو منهج التخييل والتمثيل وحكم عليه بأنّه مذهب يفضي إلى نزع القداسة عن النص القرآني ويسلب من القصص القرآني مقاصده وفوائده ،ويعرج بعدها للحديث عن منهج آخر وهو منهج المسرفين في سرد الروايات الإسرائيلية و غرائب الآثار ، ليخرج بتقرير المنهج المختار الواجب اعتماده وهو ضرورة

[1480] – سورة البقرة: الآية 72.

الوقوف على ما ورد في القرآن مع المحافظة على معاني الألفاظ اللغوية دون صرفها إلى معاني باطلة لا يقتضيها السياق ونبذ كل الروايات الباطلة التي لا مستند لها ، وهذا الذي اقترحه الشيخ هو عين الصواب إذبه يظهر كما ذكر هو هدف القصص القرآني ويستخلص منه العظة والعبرة ويحصل به التأسي والاتعاظ ، وليت الشيخ وضع تفسير كاملا للقصص القرآني وطبق هذا المنهج لكان عملا في غاية الدقة والإبداع نظرا لسعة علم الشيخ ،لكن وللأسف لم ينقل عنه تفسير كامل و ما ذكره في كتابه هو تفسير لبعض الآيات من القرآن ، وفي كلامه عن القصص القرآني ساق نموذجا من تفسير أبي السعود في تفسير قصة طلب الحواريين للمائدة ، وعلق على أقوال العلماء في تفسير هذه القصة

المطلب الخامس :النقد التفصيلي لمناهج الشيخ أحمد المراغي.

في تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ «[1481]» وقوله :« بعد أن ذكر سبحانه في الآيات التي قبل هذه شرع القتال لحماية الحق وبذل المال في سبيل الله لعزة الأمة ومنعتها، وأنّ من ينحرف عن ذلك يتردى في مهاوى الردى كما وقع لمن خرجوا من ديارهم فارّين من عدوهم على كثرة عددهم. هنا تبيين قصة قوم من بني إسرائيل أخرجوا من ديارهم وأبناءهم بالقهر ... أمّا هذه القصة فقد فصّلت احتياج هؤلاء الناس للقتال لمدافعة الغارين عليهم واسترجاع ديارهم من بين

[1481] ـ سورة البقرة : الآيتان 246 ـ 247 .

أيديهم، فبذلوا الوسع في الاستعداد للدفاع لكنّ الضعف قد بلغ معهم كل مبلغ، فتولوا وأعرضوا عن القتال إلاّ قليلا منهم، ألهمهم الله رشدهم فاعتبروا وانتصروا» فأقول: قد استهل الشيخ تفسير القصة ببيان موضوعها ووجه ارتباطها بما قبلها ليظهر أوجه التناسب بين آي القرآن وبعد إشارته لموضوعها ، ذكر منهج القرآن في عرض القصة القرآنية بأنّ من خصائصه عدم التركيز على التفاصيل والجزئيات ، وإنّما يكتفي بموطن العبرة والعظة ، وهذا صحيح فالمنهج القصصي في القرآن يختلف عن باقي القصص الأخرى المولعة بإيراد شتى الأساطير ،ليذكر بعضها منهج التعامل مع أخبار بني إسرائيل ومرويات النصارى ،فما جاء منها مخالفا للقرآن والسنة وجب علينا رده وعدم ذكره ، وأن لا ندخر جهدا في الرد عليه ، لأنّ كتب بني إسرائيل قد نالها التحريف كما أخبرنا ربنّا بذلك ، والحق الذي يقال : إنّ هذا هو المنهج الصواب في التعامل مع قصص القرآن الكريم والذي يظهر ويتجلى بها بهاء القصص ورونقه ، فمنهج الشيخ يفهم من طيات كلامه هذا ، وقد التزم به فيما جمع عنه من تفسير لبعض الآيات .

وأمّا تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ «[1482]».

أقول : ليس في تفسير الشيخ لهذه القصة ما يستغرب أو يستنكر ، بل على النقيض من ذلك فالشيخ تمسك بظاهر الآيات وحلل القصة بناء على ما ورد في القرآن بأسلوب رائع ، ومراع في ذلك كله الإشارة إلى الجوانب المضية التي تضمنتها القصة من عبر ودروس فركز على سنة الله عزّ وجل في أخذ الأمم المكذبة للرسل والعاتية والطاغية بأنّ مصيرها للزوال ، حيث ذكر أنّ قوم عاد وثمود قد اغتروا بقوتهم وبما منحهم الله فلم يراعوا شكر نعمه ولم يوظفوها في طاعة الله ، بل طغوا بها على العباد ، فكان من حالهم ما قصه الله علينا ، ثمّ تعرض الشيخ إلى قضية من قضايا القرآن عموما

[1482] ـ سورة الفجر : الآية 6 ـ 14.

والقصص القرآني خصوصا ألا وهي قضية التكرار ، وقد أفضت فيها القول سابقا ، والشيخ ذكر بعض حكم وفوائد تكرار القصص القرآني، فعدّد منها إقامة حجة الله على العباد ، وترقيق قلوب المخاطبين ، وإنذارهم تارة أخرى ، ليؤكد في الأخير الغرض العام من ذكر قصة عاد وثمود وفرعون في سورة الفجر .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

الاتجاهات المنحرفة في تناول قضايا من القصص القرآني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاتجاهات المنحرفة في تناول قضايا من القصص القرآني

لقد نبتت نابتة وظهرت طائفة ممّن يتقفرون العلم وينسبون إليه في القرن الماضي ممّن تلقت تعاليمها في ديار الإسلام وترعرعت في بلاده وما إن استوت على ساقها وتبوأت مكانا في تلك الديار بعثهم مسؤلون من بلادهم لمواصلة دراستهم وتنمية معارفهم ،بغية الاستفادة والتعرف على المناهج التعليمية ، وقد كان يتوقع من هؤلاء أن يكونوا سفراء للإسلام ودعاة له معرّفين بتعاليمه وداعين لأخلاقه ، سيّما وأنّ غالبيتهم ممّن تلقى معارف إسلامية وتخرّج من الأزهر ومدارس القضاء الشرعي ، وغيرها من كليات الآداب ، لكنّهم كانوا نقيض ذلك ، إذ انبهروا بالحضارة الغربية وجذبهم سحرها فراحوا يحاكون مثقفيها فيما تلقوه منهم وما لبثوا أن عادوا إلى ديار الإسلام متشرّبين بالمشارب الخبيثة ومستقين من الموارد العفنة ، فشنوا حربا على الإسلام وأهله ، ولبسوا في ذلك أثواب مختلفة دعاة تارة للتحرير وأخرى للتنوير ، فشككوا المسلمين في الثوابت والأصول بالطعن تارة في القرآن ومرّة في السنة ، وتارة في اللغة العربية ، وهم في ذلك كلهم مقلدة استأجرهم الغرب ليكونوا عدوا وحزنا على الإسلام وأهله ، فكانوا كالباباغوات يرددون كل ما قيل لهم ولم يأتوا بشيء جديد إلاّ الترويج لأفكار من استأجرهم وقد وقفت على كلام نفيس للشيخ الدكتور فضل حسن عباس وهو يصف هذه الطائفة فقال « كان من المتوقع ، بل من الواجب وقد اتصل الشرق بالغرب أن يفيد المسلمون من ذلك التقدم العلمي الذي كان للغرب فيه قصب السبق ، وكنّا نرجو أن تنقل هذه التقنية العلمية حتّى يفيد منها المسلمون ولكن كان الأمر على العكس من ذلك حيث وجدنا أنّ أولئك المثقفين الذين هيأت لهم ظروفهم أن يتصلوا بالغرب وقضوا فيه حقبة من أعمارهم ، رجعوا حربا على هذا الدين وحضارة هذه الأمة ، فوجدنا حملة مسعورة في النصف الأول من هذا القرن ، وهذه الحملة المسعورة لم تكن لتقتصر على حملة واحدة من زوايا تلك الحضارة ، وإنّما جاءت لتشمل التاريخ والتشريع ،بل اللغة كذلك ... ثمّ تعدت ذلك كله فتحدّت مشاعر الأمة وعواطفها لتنال من هذا القرآن الكريم والسنة المطهرة وقدسيّتهما .

وكانت في ذلك كله حاكية مقلدة لا تصدر عن أساس من المنهجية والبحث العلمي اللذين تدّعيهما هذه الفئة على الرغم من أنّها لبست ــ خداعا ثوب الوطنية ورفعت زورا شعائر التحرير إلاّ أنّها كانت أشد فتكا وأكثر ضرار و أنكى إيذاء من المستعمر الذي أرضعهم لبان حقده وكفره وفجوره ».«[1483]»

ولذا فإنّي أحاول أن أعرض أنموذجا من أفكار هؤلاء الذين يتبنون هذا الفكر وذلك بالكلام على صاحب رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم المدعو أحمد خلف الله

المبحث الأول : رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم

هذه عبارة عن رسالة جامعية تقدّم بها أحمد خلف الله لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الملك فؤاد الموسومة بجامعة القاهرة الآن ــ كلية الآداب ــ تحت إشراف : أمين الخولي ، وأمين من الأدباء المشتغلين بالفن الأدبي ومن بين الزعماء الذين كان لهم قصب السبق في إنشاء المدرسة البيانية مع زوجته عائشة بنت الشاطئ وبعض الأدباء ، وكان في بدايته متخرجا من مدرسة القضاء الشرعي ، ثمّ عيّن بعدها مدرسا بكلية الآداب ، وليوله الأدبي ونبوغه فيه كان يدعوا لتجديد الدراسات الأدبية والتي تعتني بخلق الحس الفني عند الأدباء ، «[1484]» فتأثر به كثير من الطلاب والتفوا حوله وتخرجوا على يده وكان من بين هؤلاء أحمد خلف الله الذي قدّم هذه الرسالة لنيل درجة الدكتواره تحت إشراف أمين الخولي ، وقد قوبلت بالرفض في أواسط المصريين وصبّوا عليها جام غضبهم على الطالب والمشرف ، وقد حكمت طائفة من علماء الأزهر بردّة صاحب الرسالة والمشرف وذلك لما رأو فيها من ضلالات وأباطيل ، لكن راح البعض ممن ينافح عن مثل هذه الأفكار إلى إرجاع رفض هذه الرسالة لأمور سياسية وظروف كانت تمر بها البلاد حيث يرى بعضهم أنّ أحمد أمين الذي كان عضوا في لجنة المناقشة قد كانت بينه وبين أمين الخولي خلافات ، ولم يكن مرشحا للمناقشة ، وإنّما أوزع إلى الدكتور عبد الوهاب حمودة بأن

[1483] ــ القصص القرآني نفحاته وإيحاؤه ،ص 425.

[1484] ــ انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : عبد الكريم الخطيب ، ص 275 ، والقصص القرآني نفحاته وإيحاؤه ، فضل حسن عباس ، ص 427 .

يتنازل عن المناقشة ليتولى هو مكانه ، وبعد ها أمر أحمد أمين الدكتور عبد الوهاب بك عزّام عميد الآداب ومدير الجامعة بالنيابة أن يأخذ فيها رأي المسؤولين قبل أن يأخذ رأي العلماء ، وذلك كله ليجنب حاكم البلاد في ذلك السنهوري باشا من ضجيج وغضب الشارع حول هذه الدراسات ، فهو يرى أنّ أحمد أمين قد قدّم تقريره حول الرسالة على أساس سياسي ليخدم به السنهوري لا على أساس ديني «[1485] » ، ولكنّي أقول إنّ مثل هذه التعليلات التي يعلل بها أصحاب هذا الفكر والذين ينافحون عن مثل هذه الدراسات أقول إنّها تعليلات واهية وباطلة من وجوه :

أولا : أنّ رجال الأزهر الأوائل ما كانت لتأخذهم في الله لومة لائم ولا كانوا يتزلّفون إلى أبواب السلاطين طلبا لما في أيديهم حتّى يغضوا الطرف عن مثل هذه القضايا التي تمس بقداسة القرآن الكريم ، وإن وجد منهم ذلك فهم قلة ، وما كان للبقية أن تسكت .

ثانيا : لو سلمنا جدلا أنّ هناك نوعا من التحامل على المشرف وصاحب الرسالة ، فإنّ معايير النقد عندنا أن ننظر إلى ما كتب فيها ثمّ نحكم ، وهذا ما سنعرض إليه ، وقد حكم على هذه الرسالة من جاء بعده من غير رجالات الأزهر ، وأبانوا ما فيها من أباطيل ومنكرات تمس قداسة النص القرآني .

المبحث الثاني :نقد أفكار الرسالة ومضامينها

المطلب الأول : إخضاع القصة القرآنية لمعايير النقد الأدبي

إنّ الدكتور أحمد خلف الله بحكم ميوله الأدبية والفنية وتأثره البليغ بأستاذه في المجال الأدبي الفني ، اندفع بنوع من الحماسة في دراسة القصة القرآنية ، وكأنّها كبقية النصوص الأدبية التي تحكمها المعايير النقدية متجاهلا أو متناسيا أنّ هذا كلام الله تعالى المعجز بألفاظه ومعانيه ، وقد تكلم عبد الكريم الخطيب عن حماسته و اندفاعه الخالي من المنهجية والرؤية العلمية قائلا: «وقع

[1485] ـ انظر : مقدمة رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم ، أحمد خلف الله ، ط 4 ، شرح وتعليق خليل عبد الكريم ، القاهرة ، سينا للنشر ، 1999م، ص 17 ـ 18 ـ 19 .

الدكتور خلف الله تحت تأثير الدراسة الفنية للأدب العربي ، وامتلأ بتلك النشوة الروحية التي كان يبعثها الأستاذ أمين الخولي في تلاميذه ، في دراسته للنصوص الأدبية ، وتقويمه لها وقد أغراه ذلك بأن يدخل بمشاعره تلك إلى ساحة القرآن الكريم ، وأن يتناوله تناول النصوص الأدبية ، وإن كان كلام الله هو الذروة التي لا تسامى من الفصاحة والبيان ....» «[1486] »

وإنّ الناظر في رسالته يرى أنّ أول خطأ وقع فيه هو الخلط بين مصطلح القصة القرآنية ومفهومها وبين القصة الأدبية في اصطلاح المحدثين ، ومن ثمّ أراد أن يجعل المعنى الاصطلاحي للقصة الأدبية هو المعنى المراد من مصطلح القصة القرآنية لذا راح يعيب على المفسرين الأوائل عدم تدقيقهم لمصطلح القصة فقال :« أمّا علماء اللغة فقد اكتفوا من الحديث عن القصة بتحديد مبهمات وتعريفات ناقصة ، بل هم اكتفوا بما يستثيره لفظ قصة في الذهن من معنى وذلك ليس بالغريب عنهم فيما نرى فشأن علماء اللغة وبخاصة من هم من أبناء اللغة العربية أن يذكروا لنا معاني الألفاظ ، أو ما تستثيره الألفاظ في الأذهان من صور وليس من شأنهم أن يذكروا الحد ود والتعريفات العلمية ...والمعاني التي وقف عندها علماء اللغة عند حديثهم عن مادة قصص كثيرة ولعلّ أقربها إلى ما نحن بصدده من حديث أدبي ما رواه اللغويون عن الأزهري وعن الليث يقول الأول: القص فعل القاص إذا قص القصص والقصة معروفة ، ويقول الثاني : القص اتبّاع الأثر ويقال خرج فلان قصصا في أثر فلان وقصا وذلك إذا اقتّص أثره ، وقيل القاص يقص القصص لأتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا ، أمّا في كتب التفسير فتخطوا المسألة خطوة إلى الأمام ذلك لأنّهم ينظرون إلى المسألة باعتبارين : اعتبار لغوي يعتمدون فيه على الحصيل اللغوي الذي صوّرنا لك طرفا منه واعتبار ديني ينظرون فيه من وجهة نظر خاصة هي قصد القرآن الكريم من قصصه أو أهدافه التي يرمي إليها ...» «[1487] » ، ثمّ اختار تعريفا للرّازي قال عنه بأنّه قريب من المعنى الأدبي والرّازي بتعريفه يدخل المعنى الأدبي ، ثمّ قال : ونحن مع احترامنا لكل من اللغويين والمفسرين لا نستطيع ونحن ندرس القصص الفني أن نقف عند هذه الحدود ، لأنّا حين نذكر القصة إنّما نقصد شيئا آخر أهم من متابعة الخبر أو الحديث

[1486] ـ انظر : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه : عبد الكريم الخطيب ، ص 281.

[1487] ـ الفن القصصي في القرآن الكريم ، أحمد خلف الله ، ص 151 ـ 152 .

نقصد العمل الأدبي الذي يكون نتيجة تخيل القاص لتخيل حوادث وقعت من بطل لا وجود له أو لبطل له وجود، ولكنّ الأحداث التي دارت حوله في القصة لم تقع ، أو وقعت للبطل ، ولكنّها نظمت في القصة على أساس فني بلاغي فقدّم بعضها وأخرّ آخر ، وذكر بعضها وحذف آخر ، أو أضيف إلى الواقع بعض لم يقع ، أو بولغ في التصوير إلى الحدّ الذي يخرج بالشخصية التاريخية عن أن تكون من الحقائق العادية والمألوفة ويجعلها من الأشخاص الخياليين ، ذلك هو الذي نقصده عندما نذكر لفظ قصة في الميدان الأدبي وهو الذي نقصده إليه من درسنا للقصص الفني في القرآن الكريم ...» «[1488]»

من خلال هذه الفقرة التي أوردناها من كلامه يتضح لنا ما يلي:

أنّ في كلامه نوعا من التطاول على اللغويين الأوائل وبعض المفسرين فكيف سمح لنفسه أن يقرر أنّ أهل اللغة إنّما يعبرون عن الألفاظ بما تستثيره في الأذهان من صور ولا يذكرون الحدود والتعريفات العلمية ، إنّ قولا مثل هذا باطل ومردود فلو استقرينا التعاريف الاصطلاحية لكثير من المصطلحات لوجدنا أنّها مستقاة من مدلولها اللغوي ، ونحن نحاكمه إلى لفظ القصة الذي يتكلم عنه هو فنقول :« لفظ القصة في لغة العرب أصلها من المتابعة لأنّ القاص يتبع الخبر بعضه بعضا ، والاسم منه القص ، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها ، لأنّه يتتبع معانيها وألفاظها ، أو هو قاص لأنّه يقص القصص تباعا خبر بعد خبر وممّا تقدّم يتبين لنا أنّ القصص معناه المتابعة كما أكدّ هذا المعنى القرآن الكريم ، كما أنّ هذه المتابعة لا تكون إلاّ عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق ، وروايتها على وجهها ويؤيد ذلك أنّ القصص بمعنى القطع ، فأنت عندما تقص الحديث تقطع بصحته ، دون زيادة أو نقصان كما يمكن أن نستدل بهذا المعنى اللغوي على أنّ القصة لا تكون قصة في أصل وضعها ، إلاّ إذا قطع بصحتها فليس فيها مجال للخيال والكذب ، وبهذا ترى أنّ القصة في أصل اللغة حقيقة واقعة لأنّ القاص تتبع الأثر وأتى به مستوعبا كل وجوه الصحة والصدق فيه ...» «[1489]» لكنّ أحمد خلف عدل عن

[1488] ـ انظر: رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص 150 ـ 151.

[1489] ــ انظر : الصدق والواقعية في القصة القرآنية ، أمين محمد عطية باشا، ص 4 ــ 5 .

هـذه الحقيقـة اللغويـة لا لشـيء إلاّ لتقريـر مبـدأ مـن مبادئـه الـتي يـدعوا إليهـا وهـو نفـي الصـدق والواقعيـة لـذلك قـال :« ... لأنّـا نحـن حـين نـذكر القصـة إنّمـا نقصـد شـيئا آخـر أهـم مـن متابعـة الخـبر ، أو الحـديث ، نقصـد ذلـك العمـل الأدبي الـذي يكـون نتيجـة تخيـل القـاص لحـوادث وقعـت مـن بطـل لا وجـود لـه ... ذلـك هـو الـذي نقصـده عنـدما ذكـر لفـظ قصـة في الميـدان الأدبي وهـو الـذي نقصـد إليـه مـن درسـنا للقصـص الفـني في القـرآن الكـريم ومـن هنـا يجـب علينـا أن نقـف لنبحـث عـن ذلـك القصـد الأدبي أو الفـني مـن قصـص القـرآن الكـريم فهـل وجـد ذلـك القصـد أو لم يوجـد ...» ففـي كلامـه خلـط بـين تعريـف القصـة والمقاصـد والأغـراض الأدبيـة للقصـص الأدبي الحـديث الـذي مـن عناصـره الخيـال والتمثيـل وهـذا مـا يريـد هـو أن يطبقـه علـى قصـص القـرآن الكـريم ، وهـذا تكلـف وإلـزام بعيـد لا مسـتند لـه ، وإنّمـا أراد بـذلك أن يطبـق قواعـد النقـد الأدبي للقصـص الأدبي علـى قصـص القـرآن الكـريم ، وفي ذلـك يقـول الـدكتور أمـين محمـد عطيـة باشـا :« ... فنقطـة الخطـأ الأولى في مـنهج المؤلـف تكمـن في هـذا الخلـط بـين القصـص باصـطلاحه القـرآني الأصـيل ، وبـين القصـص باصـطلاحه الأدبي الحـديث ، وإنّـه لمـن التعسـف أن نحمـل أي كلمـات نـص قـديم ظـلالا جديـدة لاتصـدر عنهـا ولا تمـت إليهـا بصـلة ، إنّ الحقيقـة الـتي لا شـك فيهـا أنّ مقـاييس النقـد القصصـي تتغـير وتتبـدل ، وذلـك ممّـا يجعلهـا ذات خطـر كبـير إذا طبقـت علـى القـرآن الكـريم الـذي يتغـير إعجـازه ولا تختلـف روعتـه بـاختلاف الأجيـال والأزمـان ، والـدليل علـى ذلـك أنّ الدارسـين للقصـة مكثـوا زمنـا طـويلا يعتقـدون أنّ القصـة المثلـى تتكـون مـن العـرض والعقـدة والحـل مستشـهدين لـذلك بمـا قـرأوا لأسـاطين القصـاص في الشـرق والغـرب ثمّ جـدّ وقـت ينكـر أن تلتـزم القصـة بهـذا المـنهج التقليـدي ، إذ لـيس مـن الضـروري أن يكـون لكـل قصـة عقـد تتطلـب الحـل عـن قـوم ، كمـا أنّـه لـيس مـن الضـروري عنـد أقـوام آخـرين أن يكـون لكـل قصـة حـل نهـائي يـتم بـه الفصـل الأخـير ، إذ أنّـه مـن الجـائز فنيـا لـدى هـؤلاء أن تظـل النهايـة مفتوحـة غـير منغلقـة ليـذهب كـل قـارئ في تصـويرها كمـا يشـاء فمـاذا نصـنع إذا عمـد ناقـد في زمـن مـا إلى قصـة قرآنيـة ليبحـث عـن خطواتهـا الـثلاث محـاولا اكتشـافها ولم يهتـد إلى خطـوة منهـا قـد يـراه ناقـد لا حـق لا يقـل عنـه في مرتبة النقدية شيئا غير ذي بال .»[1490]

[1490] ـ انظر : الصدق والواقعية في القرآن الكريم ، ص 18.

المطلب الثاني : ادّعاؤه أنّ القصص القرآني مأخوذ من أهل الكتاب

إنّ أحمد خلف الله لم يكن مبتدعا لهذه المقالة دون غيره ، وإنّما هو مقلد لأقوال المستشرقين والحاقدين على الإسلام والقرآن الكريم ، فقد ذهب إلى ماقاله وردّده في رسالته المستشرق جولد تسهير الذي يرى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أفاد من تاريخ العهد القديم وأخذ منه قصص الأنبياء حيث قال :« فتبشير النبي العربي ليس إلاّ مزيجا منتخبا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثرا عميقا ، والتي رآها جديرة بأن توقظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه »«[1491]».

إنّ الذي يندد به خلف الله هو عين ماقاله جولد تسهير ، وإنّ غيّر الأسلوب ، ولوى النصوص وبدّل فيها ظنّا منه أنّ مثل هذا يخفى على المسلمين ، ولندع الكلام له ليتضح مذهبه أشدّ الوضوح قال :« والظاهرة التي يحسن بنا الإلتفات إليها في هذا المقام ، هي أنّ القرآن حين جعل هذه الإخبار ، أي التي وردت في قصصه من آيات النبوة ، وعلامات الرسالة جعلها أيضا مطابقة لما في الكتب السابقة ، أو لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار حتّى ليخيل إلينا أنّ مقياس صدقها وصحتها من الوجهة التاريخية ، ومن جهة دلالتها على النبوة والرسالة أن تكون مطابقة لما يعرفه أهل الكتاب من أخبار ...» «[1492]»

إنّ في ظاهر كلامه إيحاء بأنّ مصادر القصص القرّآني عموما والقرآن خصوصا هو من معارف اليهود والنصارى وقد أوقف صدق القصص القرآني أن يكون مطابقا لما عندهم في كتبهم أو ممّا تداوله أحبارهم ، وأنّ كل ما جاء فيه كان معروفا عند أهل الكتاب ، وقد بنى مقالته من خلال ما ثبت في السنة بأنّ قريشا كانت تتردد على اليهود طالبة منها أسئلة تعجز بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنّ اليهود كانوا يستدلون على صدق نبوته بسؤاله عن بعض أخبار الأنبياء السابقين ، وأراد أن يدلل على صدق ما ذهب إليه بقصتين من قصص القرآن الكريم وهما قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنيين حيث قال : «ولكننا نريد أن نقف من كل ذلك عند

[1491] ـ انظر : العقيدة والشريعة في الإسلام ، جولد تسهير ، ترجمة محمد يوسف موسى ، ص 12

[1492] ـ انظر: الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص 53.

قصتين اثنتين ، كانتا موطن اختبار النبي صلى الله عليه وسلم لمعرفة صدقه من كذبه ، أو لمعرفة : هل هو نبي أو متنبئ ؟ وهما قصة أصحاب الكهف ، وقصة ذي القرنيين ...» وقد استدل بقصة الكهف على أنّ الله عزّ وجل لم يكن يخفى عليه عددهم ولا عدد لبثهم ، وإنّما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بذلك العدد المذكور عند أهل الكتاب حتّى يدلل على أنّ الوحي من السماء ، فأهل الكتاب تضاربت بينهم الأقوال في عددهم ، وفي عدد لبثهم فلذلك لم يصرّح القرآن بعددهم الحقيقي ، وإنّما ذكر أقوالا مختلفة حتّى تكون موافقة لما عند أهل الكتاب وهذا نص كلامه « أمّا قصة أصحاب الكهف فنقف منها في هذا الموطن عند مسألتين الأولى : مسألة عدد أهل الفتية ، والثانية مدة لبثهم في الكهف .

أمّا من حيث العدد فليس يخفى أنّ القرآن لم يذكر عددهم في دقة وإنّما ردّ الأمر بين «ثلاثة رابعهم» «[1493]» «و خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب » «[1494]» وليس يخفى أنّ القرآن الكريم قد ختم هذه الآية بتلك النصيحة التي يتوجه بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى :« قل ربي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلاّ قليل فلا تمار فيهم إلاّ امرأ ظاهرا ... »«[1495]» ما معنى هذا الترديد في العدد؟ وما معنى هذه النصائح؟

لا نستطيع أن نقول إنّ المولى سبحانه وتعالى كان يجهل عدد الفتية من أهل الكهف وأنّه من أجل هذا لم يقطع في عددهم برأي فالمولى سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وإنّه ليعلم السر وأخفى، وإنّما نستطيع أن نقول إنّ هذا لم يكن إلاّ لحكمة والحكمة فيما نعتقد هي أنّ المطلوب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يثبت أنّ الوحي ينزل عليه من السماء ، وأن يثبت ذلك لا بالعدد الحقيقي للفتية من أصحاب أهل الكهف فذلك لم يكن موطن الإجابة وإنّما بالعدد الذي ذكره اليهود من أهل المدينة للمشركين من أهل مكة حين ذهب وفدهم يسأل ليسأل عن أمر محمد هل هو نبي أو متنبي ، وإذا كان أحبار اليهود قد اختلفوا في أمر العدد وذكر كل واحد منهم عددا معينا كان على القرآن أن ينزل بهذه الأقوال

[1493] ـ سورة الكهف : الآية 22

[1494] ـ سورة الكهف : الآية 22.

[1495] ـ سورة الكهف : الآية 22

حتّى يكون التصديق من المشركين بأنّ محمدا عليه السلام نبي ، ولو ذكر القرآن العدد الحقيقي ، وأعرض عن أقوال اليهود لكان التكذيب قائما على أنّ محمدا لم يعرف عدد الفتية وليس وراء هذا إلاّ أنّ الوحي لا ينزل عليه من السماء ». «[1496]»

أقول : إنّه ما أورد هذه القصة والتي بعدها إلاّ ليقرر هدفه الذي يرمي والذي وضع من أجله هذه الرسالة وهي نفي الصدق والواقعية عن القصص القرآن ، وأنّ القرآن في قصصه لم يقصد الصدق من هذه الأحداث ، وأنّ هناك نوعا من التعرض بين الوقائع التاريخية والقصص القرآني حيث قال :« موقف القرآن من قصة أصحاب الكهف موقف من لا يحكي الحقيقة التاريخية ، وإنّما يحكي أقوال اليهود التي قد تطابق الحقيقة وقد لا تطابقها ، ومن هنا لا يصح أن يتوجه أي اعتراض على هذه القصة من حيث اختلافها مع الواقع ، لأنّ تحقيق هذا الواقع ليس المقصود من القصة في القرآن الكريم ...» فهذا طعن صريح منه وواضح في نفي الصدق والواقعية عن القصص القرآني ، وفتح لباب المشككين في سلامة القرآن من التحريف والتبديل من المستشرقين وغيرهم من الحاقدين على الإسلام وقد ردّ هذه المزاعم وفنّدها بأسلوب رائع وراق في نفس الوقت عبد الكريم الخطيب حيث قال :« وهذا رأي فيما نرى يصيب القرآن في صميمه من ، من حيث يراد به أن يكون سياجا يحميه من نقولات المنقولين وشغب المشاغبين .

وإنّي لأستسمح الدكتور العفو والمعذرة إذا أنا ذكرت قصة الدبة التي أرادات أن تحمي صاحبها من ذبابة سقطت على وجهه ، فرمته بحجر ، فقتلتهما معا ،ومعذرة مرة أخرى فما أجد لهذا الحال شاهدا أصدق وأوضح من هذا الشاهد .

فأولا : إذا سلمنا بأنّ القرآن قد جاء في قصصه بما يطابق ما عند اليهود من معارف ، وذلك ليثبت لهم ، ولمن تلقى عنهم من مشركي مكة ــ صدق محمد ، وأنّه نبي ، وأنّه لو جاءهم بالواقع الذي يخالف ما عندهم لما سلموا له ، نقول لو سلّمنا بهذا القول في القرآن لكان معنى ذلك أنّ القرآن ليس كتابا خالدا مع هذه الرسالة الخالدة التي جاء بها ، و أنّه إنّما جاء يعيش في هذه البيئة المحدودة، لزمن محدود ، ولهذا جاء على وفق تفكيرها وما يقع في هذا التفكير من حق

[1496] ـ انظر : الفن القصص في القرآن الكريم ، ص 84 ـ 85.

أو باطل .»«[1497]» ، ثمّ يمضي رحمه مستطردا في الرد على شبهه ، ومزاعمه ، وتعليلاته للآيات التي استدل بها من سورة الكهف ، فيحسن مراجعة ما ذكره إذ لا يتسع المقام إلى ذكر ذلك كله

المطلب الثالث : دعوى تعارض القرآن مع الوقائع التاريخية والقول بوجود أساطير في القرآن

لقد انطلق في تقرير هذه النظرية من تأصيلاته التي أصلّها من قبل والتي يدعوا فيها إلى دراسة القصص القرآني كأي نص أدبي يبحث فيه الأديب عن الجانب البياني ، والذي من خصائصه وعناصره التخييل والتمثيل ، وقد أراد بكل هذا نفي الوقائع والحقائق التاريخية ، حيث عاب على المفسرين والأدباء الأوائل إنكار القياس الشعري ووقوفهم عند حدود الصدق المنطقي الذي يعني أنّ الصدق مطابقة القول للواقع وفي ذلك يقول :« إنّ الأقدمين قد لمسوا الحقيقة الفنية أو الأدبية حين عرّفوا الصدق في كتب البلاغة وحين اختلفوا في هذا التعريف ، ولقد أضرّوا بالدراسة الأدبية حين وقفوا عند الصدق المنطقي ورجّحوا التعريف القائل بأنّ" الصدق هو مطابقة القول للواقع ذلك لأنّهم بهذا التعريف قد دفعوا غيرهم من المفسرين ورجال الدين إلى إنكار وجود القياس الشعري ، وفي الحقيقة الفنية في كل من القرآن الكريم وكلام الأنبياء» «[1498]» ثمّ يعود ويبرئ نفسه من القول بأنّ كل القصص القرآني فيه الجانب الخيالي ، فيقول :« وهنا أحب أن أصرح بأني لا أقصد إلى القول بأنّ كل المواد القصصية في القصص التمثيلي القرآني وليدة الخيال ، لأنّ بعضها قد يكون وليد الأحداث الواقعية ، وذلك هو الواضح من قصة الملكين السابقة وما فيه من أحداث من تاريخ دواد عليه السلام » «[1499] » ، ولكنّه يرجع ويناقد نفسه ، ويؤكد جريان القرآن في مناحيه البيانية على أساس الاعتقادات والتخيلات لا على أساس الصدق والواقعية ، ويدلل على دعواه بشرحه لقوله

[1497] ـ انظر : القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص 290.

[1498] ـ انظر: الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص 186 .

[1499] ـ انظر: الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص 187.

تعالى « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون »«[1500]» . حيث قال :« القرآن يجري كما ترى في فنّه البياني على أساس ما كانت تعتقد وتتخيل ، لا على ما هو الحقيقة العقلية ، ولا على ما هو الواقع العملي ، ولعلّه أن يكون من ذلك حديث القرآن عن المنافقين ، في قوله تعالى «إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول الله ، والله يعلم إنّك لرسوله والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون» فإنّا نراه يقيم تكذيب المنافقين على ما أساس ما هو الحق و الواقع فلقد كان المنافقون يعتقدون أنّ محمدا غير مرسل ربّه وكان الحق والواقع إنّه لرسول الله وقول المنافقين له إنّك لرسول الله يتفق مع الحق ويختلف وما يعتقدون ومن هنا رماهم القرآن بالكذب ، وحذّر النبي عليه السلام منهم » «[1501]» إ نّه بكلامه هذا يريد أن يحمل القرآن ما لا يحتمل ،فكلام القرآن يحكي موقف المنافقين من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووصف الله إياهم بالمنافقين يقتضي أنّهم يبطنون خلاف ما يظهرون ، وهذا هو معنى النفاق ، وقد أقروا ظاهرا بأنّ النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من ربه ، لكنّهم في باطنهم منكرون لذلك ، والله عليم بكل أحوالهم ظاهرها وباطنها فجار الله ا لمنافقين في ظاهر كلامهم الذي هو في الأصل الصدق ، وغضّ الطرف عنه ،ثمّ أبان باطنهم وما انطوى عليه من خلاف الظاهر ، فما قالوه بألسنتهم تخالفه قلوبهم ، وفي ذلك يقول عبد الكريم الخطيب :« فهذه هي صورة النفاق ، وذلك هو وجه المنافقين :« يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم » «[1502]» فإذا قال المنافقون لرسول الله :« نشهد إنّك لرسول الله » فهذا القول قالوه فعلا ولكن بألسنتهم ، أمّا في قلوبهم فقد فضحهم الله تعالى به إذ يقولون «والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » أي لكاذبون فيما قالوه بألسنتهم ولم تعتقده قلوبهم ، إنّ قلوبهم منطوية على التكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كان قولهم لغوا لا محصل له ... إنّه حق أريد به باطل ... روي أنّ منافقا مدح عليا كرّم الله وجهه ، فقال له الإمام علي أنا دون ما قلت ، وفوق ما تعتقد ، فالمسألة إذن ليست تحقيق الصورة الفنية كما يقول

[1500] ـ سورة المنافقين : الآية 1

[1501] ـ انظر: الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص

[1502] ـ سورة آل عمران : الآية 167.

الدكتور ، ولكنّها تقرير حقيقة لا سبيل إلى تحقيقها إلاّ بإظهار هذا التناقض الذي يعيش فيه المنافق بين ما ينطق به لسانه وما يعتقده في قلبه ... ونريد أن يسأل الدكتور نفسه مرة أخرى : ماذا يكون موقفه ولو بينه وبين نفسه ـ مع إنسان يعلم سوء رأيه فيه ، ثمّ إذا هذا الإنسان يلقاه بالمديح ، ويكيل له الثناء ؟ ألا يقول لنفسه إنّ هذا الإنسان كاذب منافق ؟ أم أنّه لا يقول هذا القول في صاحبه هذا إلاّ إذا كان في حال إنشاء فني ، وفي حالة وضع لعمل فنّي ؟ » «[1503]».

إنّ دراسة القصص القرآني من جانب بياني أو بلاغي ليس أمرا معيبا ،بل هو جانب ينبغي أن يراعى في تفسير القرآن كله ،دون قصصه ،إذ به يتضح الكثير من أسرار القرآن وإعجازه ولا شك أنّ في النكت البيانية على اختلاف أنواعها من مباحث التقديم والتأخير ، والحذف والإضمار ، ومباحث التشبيه والاستعارة والكناية يضفي نوعا من الجمال في كشف أسرار النص القرآني ، لكنّا هذا كله منضبط بضوابط لا تتعارض مع أصل من أصول القرآن ، ولا تقدح في شيء من قداسته ، أمّا الإندافع لخوض غمار مثل هذا النوع من الدراسات وكأنّ القرآن كأي نص أدبي يجوز فيه ما يجوز في النصوص الأدبية من نثر وشعر ،أمر غير مرضي ، يؤدي بصاحبه للخروج عن المنهج الصحيح والله أعلم .

ثمّ إنّ صاحب رسالة الفن القصصي في القرآن الكريم لم يقف عند هذا الحد ، بل راح يدّعي وجود أساطير في القصص القرآني ، ناسيا أو متغافلا أنّ الأسطورة مصطلح خاص بالقصص الأدبي وأنّ إدراجه في القصص القرآني يعني وجود خرافات وترهات في أخبار القرآن ، وهذا الذي لا يقول به واحد من عقلاء المسلمين.

لقد بدأ تأصيله لهذه القصة بوضع عنوان اصطلح عليه باسم القصة الأسطورية ، وذكر أنّه لم يعرف عن أحد من المفسرين القول بوجود القصة الأسطورية في القرآن ، بل صرّح بأنّ هناك نفورا من هذا المصطلح عند المتأخرين ، ثمّ ذكر أنّ بعض المفسرين أصلّ و أشار

[1503] ـ انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، ص 301.

لوجود شيء من القصة الأسطورية في القرآن الكريم وقد جعل الإمام الرّازي والشيخ محمد عبده من القائلين بهذه الفكرة ونقل عنهما نصين يدلل بهما على صدق ما يرمي إليه ولندع الكلام إليه : «... أمّا هنا فلم يقل أحد من المفسرين بوجود القصة الأسطورية في القرآن ، بل على العكس نرى من بعض المحدثين نفورا من لفظ الأسطورة ومن القول بأنّها في القرآن ولو إلى حد ما .

نعم نحن لا ننكر أنّ بعض المفسرين من أصحاب اللمحات قد فتح الباب و أجاز القول بوجود القصة الأسطورية ، وأصلّ لذلك أصولا مهمة لهذه الفكرة مثل تقريره أنّ هناك جسما للقصة أو هيكلا للحكاية وأنّ هناك أمورا أخرى ، والجسم والهيكل غير مقصود أمّا المقصود حقا هو ما في القصة من توجيهات دينية أو خلقية وهو ما ذهب إليه الأقدمون كالإمام الرّازي ، وهو ما قرّره الأستاذ الشيخ محمد عبده في صراحة ووضوح حين تحدّث عن التعبيرات البيانية ، وأنّها قد تقوم على شيء من الخرافات الوثنية ، وهذه هي أقوال هذين العالمين .

جاء في الرّازي عند تفسير قوله تعالى :« بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » «[1504]»من سورة يونس ما يلي : الأول أنّهم كلّما سمعوا شيئا من القصص قالوا ليس في هذا الكتاب إلاّ أساطير الأولين ولم يعرفوا أنّ المقصود منها هو نفس الحكاية ، بل أمور أخرى مغايرة لها » فنحن نلحظ أنّ الرّازي هنا يفرق بين شيئين : الأول : هيكل القصة ، أو جسم الحكاية ، الثاني ما في القصة من توجيهات دينية ، نحو قواعد الدولة الإسلامية ، ومبادئ الدين الحنيف.

والرّازي يلحظ أنّ الأمر وهو هيكل القصة ، أو جسم الحكاية هو الذي أدخل الشبهة على عقول المشركين حين ظنّوا أنّه المقصود من القصص ، ومن أجل هذا ذهبوا إلى ما

[1504] ـ سورة يونس : الآية 39.

ذهبوا إليه من أنّ القرآن أساطير الأولين ، والرّازي يقرر أنّ المقصود أمور أخرى مغايرة لهذا من الجسم من القصة » «[1505] » ، ثمّ نقل بعد ذلك نصا عن الإمام محمد رشيد رضا في المنار يذكر فيه قول الأستاذ في تفسير قصة هاروت وماروت في البقرة يقرر فيه أنّ ما جاء في القصص هو للعبرة لا لبيان التاريخ ، والحمل على اعتقاد الجزئيات ، وأنّ القرآن ينقل عنهم كل شاردة وواردة صادقة كانت ،أم كاذبة فقال[1506] : «وجاء في المنار من حديث عند تفسيره لقصة هاروت وماروت من سورة البقرة ما يلي : قال الأستاذ الإمام ما مثاله : بيّنا غير مرة أنّ القصص جاءت في القرآن لأجل الموعظة والاعتبار لا لبيان للتاريخ والحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عند الغابرين وإنّه ليحكي من عقائدهم الحق والباطل ومن تقاليدهم الصادق والكاذب ومن عادتهم النافع والضار لأجل الموعظة والاعتبار فحكاية القرآن لا تعدو موطن العبرة ولا تتجاوز موطن الهداية ، ولا بدّ أن يأتي في العبرة أو السياق و أسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح ،وقد يأتي في الحكايات بالعبارات المستعملة عند المخاطبين أو المحكي عنهم ،وإن لم تكن صحيحة في نفسها كقوله :« كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»«[1507]» ، وكقوله «بلغ مطلع الشمس » «[1508]» ، وهذا الأسلوب مألوف فإنّنا نرى كثيرا من كتاب العربية وكتاب الإفرنج يذكرون آلهة الخير والشر في خطبهم ومقالاتهم لا سيما في سياق كلامهم عن اليونان والمصريين القدماء ولا يعتقد أحد منهم شيئا من تلك الخرافات الوثنية »«[1509]».

والجواب عمّا أورده من كلام الإمامين الرّازي و محمد عبده كالآتي :

[1505] ـ انظر : التفسير الكبير : الفخر الرّازي ، ج 17، ص 97.

[1506] ـ المصدر نفسه : ص 200.

[1507] ـ سورة البقرة : الآية 275

[1508] ـ سورة الكهف : الآية 9

[1509] ـ انظر : تفسير المنار ، ج 1 ، ص 399.

أولا : كلام الرّازي يظهر من خلال ما نقله عن الإمام الرّازي أنّه قوّله ما لم يقوله فصاحب الرسالة لم ينقل كلام الرّازي كاملا حتّى يفهم مقصوده ونص الرّازي كالآتي قال : بعد ذكره للآية القرآنية « بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله » قال : «واعلم أنّ هذا الكلام يحتمل وجوها الوجه الأول : أنّهم كلّما سمعوا شيئا من القصص ، قالوا ليس في هذا الكتاب إلاّ أساطير الأولين ولم يعرفوا أنّ المقصود منها ليس هو نفس الحكاية ، بل أمور أخرى مغايرة لها ، فأولها ، بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ، ونقل أهله من العز والذل ، ومن الذل إلى العز ، وذلك يدل على قدرة كاملة ، وثانيها أنّها تدل على العبرة من حيث أنّ الإنسان يعرف بها أنّ الدنيا لا تبقى فنهاية كل متحرك سكون ، وغاية كل متكون أن لا يكون ، فيرفع قلبه عن حب الدنيا ، وتقوى رغبته في طلب الآخرة ، كما قال تعالى : «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب» «[1510]» ، وثالثها أنّه صلى الله عليه وسلم لما ذكر قصص الأولين من غير تحريف ولا تغيير مع أنّه لم يتعلم ولم يتلمذ ، دلّ ذلك على أنّه يوحى إليه من الله تعالى ...» «[1511]».

من خلال كلام الرّازي نستبين ما يلي

أنّ الرّازي ذكر في تفسير هذه الآية ما تحتمله الآية من وجوه ولم يجزم بصحة وجه واحد ممّا ذكره ، ولهذا لا نجزم أنّ مراد الرّازي من الآية ما ذكره من الوجه الأول ، والذي تشبث به صاحب الرسالة .

أنّ في كلام صاحب الرسالة نوعا من البتر فهو لم يسق نصه كاملا وإنّما اكتفى بما يتوهمه هو أنّ الرّازي يقول بوجود الأساطير ، لأنّ من يتتبع كلام الرّازي يجد صاحب الرسالة حمل الضمير في كلمة منها من قوله ولم يعرفوا أنّ المقصود منها على الأساطير على قاعدة عودة الضمير على أقرب مذكور ، لكنّ مقصود الرّازي كما يفهم من سياق كلامه بعد هذه

[1510] ـ سورة يوسف : الآية 111.

[1511] ـ انظر: التفسير الكبير (تفسير الرّازي) : ج 17 ، ص 98.

اللفظ يتوجه إلى لفظ القصص حيث قال :أنّهم كلمّا سمعوا شيئا من القصص قالوا ليس في هذا الكتاب إلاّ أساطير الأولين ، ولم يعرفوا أنّ المقصود منها، فكلامه يعود على القصة ،وليس على لفظ الأساطير بدليل أنّ الرازي راح بعد ذلك يعدد أغراض سياق القصة فقال : ولم يعرفوا أنّ المقصود منها ليس هو نفس الحكاية ، بل أمور أخرى ، فأولها بيان قدرة الله ...، والله أعلم .

أنّ نص الرّازي لا يفهم منه القول بنفي الواقعية والصدق وأنّ ما في القرآن غير صحيح ،وإنّما أراد أن يبين أنّ غرض القرآن من سياق القصص لا ينحصر على ذكر الأحداث ، وإنّما سيق ليستخلص منه المسلمون الدروس والعبر والله أعلم.

لو سلّمنا فرضا وجدلا أنّ هذا هو مراد الرّازي من كلامه فإنّه لا يقبل منه ، ولو وافقه أحد آخر فليس في هذا إجماع من المفسرين ، ولا ينبغي القول أنّ في كلامه نوعا من التأصيل لوجود هذه القصة الأسطورية ، لأنّ التأصيل لشيء كهذا ينبغي أن يكون فيه نوعا من الإجماع على هذا القول وكثرة القائلين به ، أمّا أن يؤخذ كلام من واحد ويؤصل به منهج فغير صحيح .والله أعلم

وقد أراد المشرف على الرسالة أمين الخولي أن يبرر هذا العمل ويضفي عليه شفافية البحث العلمي بادعائه أنّ هذا المنهج كان يدعوا إليه الشيخ محمد عبده بين جدران الأزهر منذ أربعين سنة ، وهذا كذب بيّن على الشيخ وافتراء وافتيات عليه ، فميل محمد عبده إلى العقل وموقفه من بعض القصص القرآني لم يفض به البتة إلى الطعن في مصداقية القصص القرآني أو إنكار حقيقته ، فهذا لا يسلم به للمشرف ولا لتلميذه ، وقد أشار إلى هذا توفيق الحكيم وعلق عليه بقوله :« إنني أحب أن ألفت النظر إلى نقطة الخطورة فيها تلك هي قوله أنّ الأستاذ محمد عبده انتهى إلى مثل هذه الآراء منذ اثنين وأربعين عاما إذا كان هذا القول إذا كان هذا القول صحيحا كما يقول الأستاذ الخولي ، فإنّ نطلب تعليلا لما

صرنا إليه وعلى المسؤولين من رجال الدين أن يوضحوا الموقف ، فإنّه لا يرضيهم أن نرجع اليوم في عهدهم القهقرى ... بعد نهضة إسلامية بعثها الإمام الأستاذ » «[1512]»

وأختم هذا الفصل بكلام لمصطفى صبري فيما يتعلق بالرسالة وبدعاوى بعض الإلحاديين والحداثيين المشككين في صدق القرآن وبعض حقائق دين الإسلام وثوابته « عجبا لوقع المسلمين تعتدي طائفة من المنتسبين للإسلام على الإسلام ، فإذا ما علت أصوات الصادقين بالاحتجاج قامت طائفة من ذوي النفوذ بحمايتهم منهم والدفاع عنهم ويستقيل رئيس الوزراء « والسبب حماية البحث العلمي » ؟ أرأيتم لو أنّ باحثا نشر شيئا من خيانة أولئك الوزراء على الشعب وهو صادق فيما يقول ، ويثبت بالحجة والبرهان ما الذي سيقع عليه ويحل ؟ هذا وهو صادق فكيف إذا كان كاذبا هل سيدافع عنه أولئك ويسكتون بحجة حماية البحث العلمي

إنّي لواثق أنّ زوار الفجر سيزرونه ، وإن لم ينصبوا له المشنقة أمام الجمهور نصبوا له ما هو أشد في الزنزنات المظلمة ، أرأيتم هذا الذي اعتدى على العقائد الإسلامية هل واجه شيئا من ذلك ، ولكنها الأصابع الخفية تلعب من وراء الستار

يقوم بعد الفينة والفينة من سولت له نفسه الخروج عن الإسلام في ناحية من نواحيه الإعتقادية ، فيثور عليه فئة من الغيورين على دينهم ، ويحميه منهم رجال من الوزراء المستبطنين ما أظهر الخارج ، وإن لم يحمه حام عاجلا ففي المستقبل القريب أو البعيد ينال الرجل مكافأة خروجه بأضعاف ما كان له من المراكز والمناصب يوم خرج وثار عليه المستنكرون ... ويكون هذا المصير غبطة لآخرين فتتكرر المهزلة في أيام أخرى على مسائل أخرى مماثلة » «[1513]»

[1512] ـ انظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير ، فهد الرومي ، ص 449.

[1513] ـ انظر: موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين ، مصطفى صبري ،د ط ، المكتبة الإسلامية ، 1369 هـ ـ 1950 م ، ج 1 ، ص 318.

الفصل الختامي :

نحو نموذج أمثل في تفسير القصة القرآنية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قد أشرت في مقدمة الرسالة إلى أنّني أختمها بفصل أبين فيه بعض المقترحات والخطوات الواجب تباعها في دراسة القصة القرآنية ، والتي تحافظ على أهداف وأغراض القصص القرآني ، وذلك بغية الوصول إلى منهج أمثل وتكاملي في دراسة القصة القرآنية ، مع ضرب نموذج في تفسير قصة من قصص القرآن ، وقد طرق هذه الفكرة بعض الباحثين ، فاقترحوا بعض الاقتراحات ووضعوا بعض المعالم التي رأوها جديرة بالإتباع والتي تحافظ على جمال القصص القرآني وتحقق أغراضه وأهدافه ، وقد أفدت منها كما ضمنتها بعض المقترحات من بنات فكري والتي لاحظتها من خلال جولاتي في حومات هذا البحث والإطلاع على طريقة بعض المفسرين في معالجة القصص القرآني

المبحث الأول : المقترحات والخطوات التي تحقق المنهج الأمثل في دراسة القصة القرآنية

1 ـ الاكتفاء في تفسير القصة بما ورد في القرآن أو ما جاء في صحيح السنة دون تعد وتجاوز فقد رأينا فيما أوردناه من نماذج لبعض المفسرين تجاوزهم في حدود الروايات و ولوعهم بالغرائب والروايات المنكرة ، فألصقوا بالقصة القرآنية خصوصا والقرآن عموما خرافات وأباطيل حالت دون الوصول إلى الغرض الحقيقي من قصص القرآن الهادف

2 ـ الابتعاد عن الجري وراء المبهمات واستقصاء بعض التفاصيل والجزئيات التي أضرب عنها القرآن ولم يذكرها ، فليس فيها كبير فائدة يتوقف عليه فهم القصة ، وإلاّ أورده القرآن وفصله .

3 ـ التنبيه على بطلان المرويات والأخبار القادحة في شريعة الإسلام والماسة بقداسة وعصمة الأنبياء فقد شاهدانا فيما أوردناه من نماذج عن بعض المفسرين استباحتهم لبعض الأقوال المنكرة والمشينة في بعض عقائد الإسلام دون بيان زيفها وبطلانها .

4 ـ التجرد من المقررات والمعتقدات المذهبية الباطلة والمنحرفة ، فقد شاهدانا انطلاق كم هائل من المفسرين في تفسير القصة القرآنية من منطلقات عقدية جعلتهم يحرفون الكلم عن مواضعه فشوهوا القصة القرآنية بتأويلات باطلة لا يساعد عليها سياق الكلام ولا يقتضيها اللسان العربي .

5 ـ بيان أسباب النزول الصحيحة المتعلقة بالقصة والاعتماد عليها دون ما سواها من الأخبار العارية عن الصحة .

6 ـ بيان معان الألفاظ الواردة في القصة

7 ـ البحث في مناسبة القصة لسياقها الخاص و العام ، والربط بين خصائصها وخصائص السورة الواردة فيها ، وإبراز الخصائص القرآنية في منهج عرضه للقصة القرآنية ، وتوزيع حلقاتها على السور القرآنية ومناسبات ذلك «[1514]»

8 ـ تجميع الآيات الواردة في القصة وترتيبها ترتيبا مصحفيا ، أو ترتيبا يراعى فيه أسباب النزول ، وهذا يساعد في تحليل القصة وبيان أغراضها وأهدافها ، وأهم ما اشتملت عليه من توجيهات ، وقد ظهرت بوادر هذا الأسلوب في دراسة القصة على يد الشيخ الشهيد سيد قطب ، ثمّ اكتمل وتأصل على يد فضيلة الشيخ فضل حسن عباس في كتابيه (القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته) ، وكتاب قصص القرآن) «[1515]»

9 ـ العناية بتحليل عناصر القصة ، وذلك ببيان شخصياتها وحوادثها وطريقة الحوار ، فعلى الباحث أو الدارس أن يجيلها ويظهرها حتّى يتسنى إبراز القيم الجمالية والفنية للقصة القرآنية . «[1516]»

10 ـ الحرص التام والأكيد على ضرورة إبراز العظات والدروس والعبر المستخلصة من القصة وربطها دائما بواقع الدعوة المحمدية .

[1514] ـ انظر:. اتجاهات التأليف ومناهجه في القصص القرآني ، سليمان على محمد الدقوري ، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة اليرموك بالأردن ، تحت إشراف فضلية الشيخ فضل حسن عباس ، 1426هـ ـ 2005م ، ص 385.

[1515] ـ المصدر نفسه :383.

[1516] ـ المصدر نفسه : 385.

المبحث الثاني: نموذج من قصة أصحاب الجنة بمراعاة الخطوات المقترحة

قال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ «[1517]»

سبب نزول القصة

في الحقيقة لم يأت في السنة خبر صحيح في سبب نزول هذه الآيات ، وإنّما تداول بعض المفسرين حكايات وروايات في شأن أصحاب الجنة هؤلاء وأين كانوا وفي أي زمان و جدوا وكلها عارية كما قلت عن مستند صحيح يوثق به من ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير بقوله :« ثمّ قد ذكر بعض السلف أنّ هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء ، وقيل كانوا من أهل الحبشة ن وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل ، فلمّا مات ورثه بنوه قالوا : لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء ولو أنّا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلمّا عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء»»[1518]»

[1517] ـ سورة القلم : الآيات 17 ـ 33

[1518] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ،ج 7 ، ص 87

هذا ما يورده جل المفسرين على اختلاف مناهجهم ومذاهبهم في شأن هؤلاء ، وعلى كل حال فالأمر لا يهم من أي بلد كانوا أو في أي زمان وجدوا ، فالقرآن لا يهتم بالتفاصيل والجزئيات بقدر ما يحرص على بيان العبرة ، فالقصة ثابتة ولا محال فوجب الإيمان بذلك والجري وراء ما سكت عنه القرآن تزيد لا يغني ولا يسمن في تفسير القصة شيئا .

بيان معاني الألفاظ الواردة في القصة

قد ورد في هذه الآيات بعض الألفاظ التي يحتاج إلى بيان معناه حتّى يكتمل التحليل والتفسير التام للقصة ، ولذا وجب شرح غريبها

قوله تعالى :« إنّا بلوناهم » البلوى حقيقتها الاختبار وهي هنا تمثيل بحال المبتلى في إرخاء الحبل له بالنعمة ليشكر أو يكفر ، فالبلوى المذكورة هنا بلوى الخير .

قوله تعالى : «ليصرمنها » الصرم قطع الثمرة وجذاذها

قوله تعالى : «مصبيحين» أي داخلين في الصباح أي في أوائل الفجر

قوله تعالى : «لا يستثنون » أي أنّهم لا يستثنون من الثمرة شيئا للمساكين .«[1519]»

قوله تعالى:«فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون» الطواف هو المشي والمراد به هنا أنّ الجنة قد أصابتها آفة سماوية «[1520]»

قوله تعالى : «وغدو على حرد قادرين » الغدو الخروج ومغادرة المكان في أول النهار ، والحرد يطلق على المنع وعلى الصد القوي أي السرعة والغضب «[1521]»

[1519] ـ انظر: التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور، ج 29 ، ص 80 ـ 81.

[1520] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج7 ، ص 87.

[1521] ـ انظر: التحرير والتنوير ، ج29 ، ص 83 ـ 84 .

مناسبة آيات القصة لما قبلها

إنّ المولى جلّ و علا قد ضرب هذا المثل لكفار قريش مخبرا إياهم أنّ كفران النعم وجحود شكرها سبب في زوالها ومستوجب لعقوبة الله تعالى ، فحال قريش كحال هؤلاء فأراد الله أن يضرب المثل لقريش بهم ، غير أنّ نعمة هؤلاء كما قص الله علينا كانت فيما أعطاهم من خيرات وجنان فمنعوا حق المساكين فيها ، بينما نعمة قريش كانت فيما أودعهم الله من نعمة الأمن وسعة الرزق ، وأكملها وأتمّها عليهم ببعث خاتم الأنبياء فكذبوه وأنكروا ما جاءه به وحاربوه وفي صدد هذا يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله هذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة» «[1522]»،وقد أحسن تصوير هذه المناسبة الشيخ محمد طاهر بن عاشور فقال : « ...والجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا دعت إليه مناسبة قوله «أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين »«[1523]» ، فإنّ الإزدهاء والغرور بسعة الرزق المفضيين إلى الاستخفاف بدعوة الحق وإهمال النظر في كنهها ودلائلها قد أوقعا من قديم الزمان أصحابهما في بطر النعمة وإهمال الشكر فجّر ذلك عليهم شر العواقب ، فضرب الله للمشركين مثلا بحال أصحاب هذه الجنة لعلهم يستفيقون من غفلتهم وغرورهم ...»«[1524]»

تحليل القصة

هذه القصة كما بيّنها القرآن الكريم تحكي خبر إخوة ورثوا عن أبيهم بستانا مليئا بالخيرات ، وكان هذا الوالد قائما فيه بحق المساكين والضعفاء ، فلمّا أفضى إلى ربّه آلت هذه الخيرات لأولاده من بعده ، فوسوس إليهم الشيطان بترك ما كان أوبوهم عليه من الإحسان للفقراء وأنّهم لو انتهجوا

[1522] ـ انظر: تفسير القرآن العظيم ، ج 7 ، ص 87.

[1523] ـ سورة القلم :الآية 14 ـ 15

[1524] ـ انظر : التحرير والتنوير ، ج29، ص 79.

نهج أبيهم أصابهم الفقر ، فأجمعوا أمرهم على منع المساكين من أخذ ثمارها ، وصور القرآن طريقة اجتماعهم وما كان منهم بأسلوب رائع فأخبر عن اتفاقهم وعزمهم وكيف كان انطلاقهم في تخافت وسر تام ،فلمّا مضوا إلى حديقتهم وجدوها خاوية الوفاض من الخيرات ، فاندهشوا من ذلك ، حتّى إنّ البعض منهم يرجع القول إلى صاحبه يخبره بأنّهم ربّما قد ضلوا الطريق وليست هي جنتهم التي يعرفونها ، لكنّها الحقيقة ، فقد عوقبوا بما عزموا عليه من منع حق الفقراء والمساكين ، فكان عاقبة أمرهم أن أذهب الله خيراتهم ، حيث أصابت جنتهم جائحة أفسدت كل ما فيها ، وبعد إيقانهم أنّ ما حل بهم كان جزاء لفعلهم ، تدخل أوسطهم سنا أو رأيا وحكمة يعاتبهم قائلا لهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ، ليعترفوا بعضها بأنّهم كانوا ظالمين ،وبعد يمضي القرآن في الحديث عن لوم بعضهم البعض فكل واحد يلقي باللوم على أخيه ، يقول الدكتور فضل حسن عباس في صدد هذا « ويصور القرآن الكريم هذا الذهول الذي أصابهم ، فإنّ كل واجد منهم كان في واد بعيد عن صاحبه كان في شرود بعيد وذهول وهلع ، يصور لنا القرآن كل هذا بهذه الكلمة المعبرة «فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون » أقبل بعضهم على بعض وكأنّه كان بعيدا عن صاحبه يتلاومون كيف لا ، وقد كان أملهم أن يغدوا على حرث ، ولكنّهم غدو على حرد لقد صمموا على أن يكون هذا الحرد وهذا المنع لغيرهم ، فأبى الله إلاّ أن يكون لهم ، وهاهم يلوم بعضهم بعضا ، وكأنّك بهم وأصواتهم يختلط بعضها ببعض يقول بعضهم لبعض :

أحدهم : ويح فلان لقد كان هو السبب في كل شيء هو الذي اقترح لكم فكرة الشؤم .

الثاني : لا ، لست أنا الذي بدأت ، أنت الذي قلت هذا

الثالث : ويحكما لقد اجتمعتما دون ان نعلم وقررتما هذا القرار الخبيث

الرابع : لقد نصحتكم فأبيتم الاستماع

الخامس ويحك ولكنك قلتها كلمة في فمك كأنّما قلتها وأنت مستحي من نفسك

وقد أفرغوا ما في جعبتهم من تلاوم ولكن ماذا يجدي ؟ لا يجدي شيئا ، وهاهم يدعون على أنفسهم بالويل والهلاك ، يا ويلنا إنّا كنّا طاغين ، وتثور في نفوسهم جذوة إشراق ، ولكن بعد ماذا ؟ بعد حلول الدبرة وخراب البصرة ...»«[1525]»

ويحلل الشهيد سيد قطب رحمه الله هذه القصة بأسلوبه الرائع قائلا «.... ومن خلال نصوصها وحركاتها نلمح مجموعة من الناس ساذجة بدائية أشبه في تفكيرها وتصورها وحركتها باهل الريف البسطاء السذج ، ولعل هذا المستوى من النماذج البشرية كان أقرب إلى المخاطبين بالقصة ، الذين كانوا يعاندون ويجحدون ، ولكن نفوسهم ليست شديدة التعقيد ، إنّما هي أقرب إلى السذاجة والبساطة .

والقصة من ناحية الأداء تمثل إحدى طرق الأداء الفني للقصة في القصة ، وفيها مفاجآت مشوقة ، كما أنّ فيها سخرية بالكيد البشري العاجز أمام تدبير الله وكيده ، وفيه حيوية في العرض حتّى لكأنّ السامع أو القارئ يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامها وتتوالى ، فلنحاول أن نراها كما في سياقها القرآني .

ها نحن أولاء أمام أصحاب الجنة ـجنة الدنيا لا جنة الآخرة ، وهام أولاء يبيتون في شأنها أمرا لقد كان للمساكين حظا من ثمرة هذه الجنة ـ كما تقول الروايات على أيام صاحبها الطيب الصالح ، ولكن الورثة يريدون يريدوا أن يستأثروا بثمرها الآن ... وان يحرموا المساكين حظهم ...»«[1526]»

ويمضي سيد رحمه الله في تفسيره بأسلوبه البديع محللا لهذه القصة ومبينا براعة القرآن في عرضها وما حوته من أساليب التهكم والسخرية وبعض المفاجآت المشوقة .

[1525] ـ انظر: قصص القرآن الكريم ، ص 735 ـ 736.

[1526] ـ في ظلال القرآن ،ج 6 ، ص 3666.

الدروس والعبر المستفادة من القصة

أول ما حوته القصة من دروس وأغراض وعبر هو تسليته صلى الله عليه وسلم ممّا يلاقيه من عناد قريش وآذاهم وتكذيبهم له ولما جاء وصنوف ما يتعرض إليه من السخرية والاستهزاء فجاءت هذه القصة مخففة عنه بإخباره جل وعلا لحقيقة قريش وأنّ مثلهم كمثل أصحاب الجنة الذين بلونهم بالنعم فلم يرعوها حق رعايتها فانتقمنا منهم ، فكذلك حال هؤلاء الذين لم يعرفوا النعمة التي جئتهم بها المتمثلة في إخراجهم من الظلمات إلى النور ، فنحن نجازيهم بمثل أصحاب الجنة .

والقصة كذلك توضح سنن الله في الأمم المتقدمة والحاضرة فالمولى ساق هذه القصة لقريش لعلهم يتعظوا ويعتبروا ، فيكفوا عمّا هم فيه من إذايته صلى الله عليه وسلم وصحابته ،كما أنّ القصة قصدت تثبيت قلوب الصحابة رضوان الله عليهم وأن لا يغتروا بما عليه المشركون من المال والثراء فكله ابتلاء لهم ، وفي هذا المقام يقول سيد ـ رحمه الله ـ« وكذلك يسوق إلى قريش هذه التجربة من واقع البيئة وممّا هم متداول بينهم من القصص ، فيربط بين سنته في الغابرين وسنته في الحاضرين ، ويلمس قلوبهم بأقرب الأساليب إلى واقع حياتهم ، وفي الوقت ذاته يشعر المؤمنين بأنّ ما يرونه على المشركين من كبراء قريش ـ من آثار النعمة والثروة إنّما هو ابتلاء من الله ، له عواقبه وله نتائجه ن وسنته أن يبتلي بالنعمة كما يبتلي بالبأساء سواء ، فأمّا المتبطرون المتنعمون بما هم فيه من نعيم ، فذلك كان مثلا لعاقبتهم ...» «[1527]»

في القصة كذلك دعوة للتخلص من الجشع والطمع اللذان إذا ما استحوذا على قلب المرء جرّاه إلى منع حقوق الله التي افترضها عليه فيمنع الزكاة والصدقات وحق المساكين والفقراء، فأصحاب الجنة هؤلاء أعماهم حب الذات والأنانية والجشع عن أداء ما افترض عليهم ، فجزاهم الله على صنيعهم بالحرمان وإهلاك جنتهم ، وفي هذا كله درس للأغنياء

[1527] ـ في ظلال القرآن ،ج 6 ، ص 3666.

وأربـاب الأمـوال أن يراعـوا حقـوق الله فيمـا أودعهـم واسـتأمنهم واسـتخلفهم عليـه مـن المـال فلا ينسوا حق الفقراء والمساكين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة

خاتمة

بحمد الله تعالى أكون قد أتممت هذا البحث ، وفي ظلاله قمت باستخلاص جملة من النتائج وجب تدوينها والتنبيه عليها ،كما هي العادة في أي بحث علمي ، وجملة النتائج التي سجلتها كالآتي:

1 ـ تباين مناهج المفسرين في معالجة القصص القرآني كل بحسب مذهبه الاعتقادي وميله العلمي .

2 ـ تعدد الطرق عند المفسرين في معالجة القصص القرآني .

3 ـ إسراف كثير من المفسرين بالمأثور في إيراد الروايات الغريبة والشاذة التي تشوه القصص القرآني وتصرف عن بيان الغرض الذي سيق من أجله .

4 ـ تفاوت المفسرين بالمأثور في نقد هذه المرويات وتضعيفها وبيان زيفها وبطلانها، فالغالب منهم يوردها دون التنبيه على بطلانها إلاّ النزر القليل منهم كأمثال الحافظ ابن كثير .

5 ـ جولان كثير من المفسرين في ساحات التكلف والتنقيب عن المبهمات التي أضرب عنها القرآن ولا يتوقف عليها فهم هذا القصص.

6 ـ إغفال المفسرين بالمأثور للجوانب التربويه والإعجازية والأغراض السامية للقصة القرآنية ، فلا يشيرون عند تناولهم للقصة إلى الأهداف والعبر والدروس التي اشتملت عليها إلاّ في القليل النادر عند البعض منهم.

7 ـ مضاهاة كثير من المفسرين بالرأي المحمود لأصحاب المأثور في سرد الإسرائيليات

8 ـ استنكار البعض من المفسرين بالرأي المحمود للروايات الشاذة والغريبة وتنبيههم على ضعفها وبطلانها، وإنكارهم على من يوردها، وعدم ذكرها في كتبهم كأمثال ابن عطية وابن جزي ، وأبي حيان.

9 ـ إشارة الكثير منهم إلى بعض الدروس والعبر التي اشتملت عليها كأمثال ابن عطية والرّازي وأبي حيان و الألوسي وابن عاشور .

10 ـ نقلهم لكثير من المسائل العلمية في تفسير القصص القرآني كالرّازي الذي ينقل المسائل الكلامية إلى تفسير القصة ويسهب في ذلك ممّا يشغل القارئ أو المطالع عن إدراك الجوانب والأهداف التي حوتها القصة وأشار هو إليها .

11ـ تطويع كثير من أصحاب الفرق والمذاهب الكلامية القصة القرآنية إلى أهوائهم واعتقاداتهم بحملهم معاني القصص على معاني باطلة لا يدل عليها السياق القرآني بأي وجه من الوجوه كما هو الشأن عند كثير من الرافضة ، وبعض الغلاة من المتصوفة كأمثال الإمام السلمي

12 ـ إنكار بعض الفرق المنحرفة لكثير من الحقائق الدينية التي تشير إليها القصة أو تدل عليها عند مخالفتها للمذهب الاعتقادي كما هو الشأن عند الزمخشري.

13 ـ تقليل البعض من المفسرين بالرأي المذموم للإسرائيليات وعدم الإكثار منها ودفع ما من شأنه الحط والازدراء بالأنبياء أو بعض الثوابت والمسلمات الدينية ، مع تفاوت بينهم في بيان أغراض القصة وأهدافها.

14 ـ إغراق البعض من ممجدي العقل والغلاة في تحكميه في استعمال بعض المناهج الخاطئة في معالجة القصة القرآنية كالتخييل والتمثيل اللذان شاعا عند محمد عبده وأكثر من هذا الأسلوب في تفسيره لكثير من قصص القرآن ،فهذه الأساليب من شأنها أن تفسح الطريق أمام المشاغبين من المشككين في صدق وواقعية القصة القرآنية

15 ـ انكار بعض أصحاب المدرسة العقلية للإسرائيليات الواردة في بعض القصص مع تحاكم البعض منهم في ترجيح أو تضعيف بعض الروايات إلى كتب التوراة والإنجيل كما هو الشأن عند محمد رشيد رضا.

16 ـ إشارة أقطاب المدرسة العقلية إلى الجوانب التربوية والأغراض النبيلة للقصة القرآنية واهتمامهم البالغ ببيانها في تفسيرهم .

ثمّ إنّي أختم هذا البحث بجملة من التوصيات :

ـ حث الباحثين المعتنين بالتفسير والدراسات القرآنية أن يولوا القصة القرآنية عناية كبيرة في أبحاثهم ومشاريعهم العلمية.

ـ هذه الدراسة تفتح الأفق للباحثين في القصة القرآنية أن يتبعوها بدراسات أخرى ، فهذا البحث يحتاج إلى دراسات مكملة له .

ـ أقترح على الباحثين أن يفردوا كل تفسير بدراسة خاصة يقفون فيها حقيقة على منهج إمام من الأئمة في معالجة القصة القرآنية ، فالنماذج والأمثلة في مثل هذه الدراسة قد لا توقف الباحث على المنهج الصحيح لذلك الإمام فيكون هناك إغفال للمنهج الصحيح لذلك الإمام.

ـ ضرورة تخليص كتب التفسير ممّا سطر فيها من أخبار وروايات باطلة تفسد جمال القصة القرآنية ، فيحسن للمعتنين بمثل هذه الدراسات أن يتناولوا هذه الكتب بالبحث فيخرجون هذه الروايات تخريجا علميا يبرزون ضعف هذه الأخبار فيكون في ذلك عون للقارئ في ذلك التفسير.

ـ الاعتناء ببيان الجوانب الإعجازية والأهداف التربوية في القصة القرآنية ، كأن تفرد أبحاث خاصة في إبراز أغرض قصة من قصص القرآن .

هذا منتهى ما أردت بسطه وقوله في خاتمة البحث ، فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان .

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة	الرقم	الصفحة
﴿ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾	7	663
سورة البقرة	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾	2	17
﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾	23	48
﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ﴾	28	385
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾	30	33 ـ 750 ـ 751 . 785
﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	31	750 ـ 751 ـ 785
﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	34	33
﴿ وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	35	352 ـ 609 ـ 716 ـ 757 ـ

		787
﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾	36	ـ205 ـ294 ـ757 787
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	37	ـ146 ـ757 787
﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا ﴾	38	69
﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾	43	100
﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾	50	ـ33 606
﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ ﴾	50	ـ705 583
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾	54	ـ611 717
﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾	55	ـ611 ـ636 717
﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾	59	150
﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ	60	ـ480 559

﴿ ٱلۡحَجَرَۖ ﴾		
﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا ﴾	61	480 - 559
﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾	65	449 - 552
﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ ﴾	67	190 - 221 - 317 - 353 - 435 - 548 - 575
﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ ﴾	68	435 - 790 - 819
﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ ﴾	69	287. 435. 762 - 819
﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ﴾	70	435 - 762 - 819
﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ ﴾	71	435 - 762 - 819

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا ﴾	72	697- 762- 735- 775- 794- 824
﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾	73	222- 697- 735
﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ ﴾	75	169
﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾	78	174
﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾	79	174
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	83	79
﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	100	175
﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾	102	235- 326- 418- 544- 600- 604- 663- 656

ـ713 ـ714 724		
726	109	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾
70	111	﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾
35	120	﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾
35	124	﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ ﴾
391	125	﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾
ـ36 ـ450 553	127	﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾
37	128	﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾
ـ37 391	129	﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾
384	130	﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ ﴾
391	131	﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾
36	135	﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۘ ﴾	146	169 ـ 175
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ ﴾	173	495
﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ ﴾	177	808
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ ﴾	184	159
﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾	187	153 ـ 167
﴿ ۞ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ ﴾	189	100 ـ 157
﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ ﴾	196	151
﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	199	158
﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴾	203	150
﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾	228	138 ـ 344
﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٞ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾	243	184 ـ 223 ـ 319 ـ 763 ـ 790

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ﴾	246	361 ـ 521 ـ 781 795
﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا ﴾	247	781 ـ 795
﴿ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ ﴾	248	225 ـ 321
﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾	250	237 ـ 330
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾	258	34 ـ 36 ـ 70 ـ 87
﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾	259	34 ـ 37 ـ 606 ـ 715
﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾	260	294 ـ 36 ـ 684 ـ 731
﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴾	269	107
﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي	275	

﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾		812
﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾	281	647
سورة آل عمران	الرقم	الصفحة
﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ ﴾	13	338
﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾	23	170
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ ﴾	24	170
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا ﴾	33	631- 719
﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	34	631. 719
﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا ﴾	35	44 -631- 719
﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ ﴾	36	44- 631- 719
﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ﴾	37	631- 719
﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ ﴾	38	463- 631- 719
﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ ﴾	39	463-

		631 ـ 719
﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾	40	463
﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾	41	463
﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾	44	67
﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	50	80
﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾	78	267
﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ ﴾	83	17
﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ﴾	122	158
﴿ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	133	780
﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	138	780
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾	152	86
﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾	167	809
سورة النساء	الرقم	الصفحة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾	1	758 ـ 788
﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾	7	152
﴿ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ﴾	11	151
﴿ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾	43	140
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾	44	170
﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴾	45	170
﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾	46	170
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	59	146 ـ 149
﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾	66	352
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾	93	626
﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾	123	146
﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾	125	392 ـ 733
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	164	645

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾	157	175
﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾	162	168
﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾	164	11 621_
﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾	176	_343 633
سورة المائدة	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾	3	_80 _135 147
﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾	12	_216 _226 _313 426 547 _
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾	15	171
﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	16	171
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ	19	171

ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ ﴾		
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾	20	485 ـ 561 ـ 767 791
﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾	21	485 ـ 561 ـ 767 791
﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾	22	485 . 561 . 767. 791
﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ ﴾	23	485 ـ 561
﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾	24	485 ـ 561
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا ﴾	25	485 . 561
﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾	27	79 . 639 . 658 . 722

		724
﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	28	639 ـ 658 ـ 722 724
﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	29	693 ـ 722
﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	30	639 ـ 76 ـ 722
﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ ﴾	31	639 ـ 722
﴿ ۞ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ ﴾	41	81 ـ 170 267
﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ﴾	43	81
﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ ﴾	44	167
﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾	45	79
﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾	48	66 ـ 172

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾	67	148
﴿ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ ﴾	72	171
﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ ﴾	73	171
﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ﴾	77	171
﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾	83	168
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾	105	152
﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴾	111	366 ـ 524
﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ ﴾	112	366 ـ 524
﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾	113	366 ـ 524 ـ 685 731
﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	114	368 ـ 778

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۖ ﴾	115	368
سورة الأنعام	الرقم	الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ﴾	20	167
﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ ﴾	33	73
﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ ﴾	34	73
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴾	42	75
﴿ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾	38	107
﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾	43	75
﴿ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ ﴾	70	139
﴿ قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾	71	36
﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾	75	87
﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ ﴾	76	87

﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ ﴾	77	87
﴿ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ ﴾	78	87
﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ ﴾	79	87
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾	82	110 ـ 152 361
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ﴾	90	72 ـ 90
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	103	651
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ ﴾	112	518 ـ 605
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ ﴾	121	495
﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ ۖ ﴾	136	77
﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾	137	77

﴿ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ ﴾	138	81
﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَا ﴾	139	81
﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ ﴾	145	147
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖ ﴾	146	80
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ ﴾	155	108
سورة الأعراف	الرقم	الصفحة
﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾	23	146
﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	33	574
﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ﴾	35	11
﴿ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾	52	107
﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ	59	78

﴿ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾		
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ﴾	64	665
﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	65	71 ـ 78
﴿ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡۚ ﴾	69	217 ـ 316
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾	73	71 ـ 78 ـ 406 . 536
﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ ﴾	74	406 ـ 536
﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي ﴾	79	409
﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ ﴾	85	71 ـ 79 ـ 411 ـ 541
﴿ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ ﴾	86	412

﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيۡبٗا كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَاۚ ﴾	92	543
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾	94	75
﴿ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾	95	75
﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ ﴾	133	584 ـ 707 ـ 770 ـ 793
﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ ﴾	138	76
﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾	143	651
﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾	146	19
﴿ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ ﴾	155	663
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾	157	169
﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب	160	480 ـ 694

﴿ بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ ﴾		735
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾	175	34 ـ 211 ـ 218 ـ 243 ـ 308 ـ 332 ـ 591 ـ 709
﴿ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ ﴾	176	65 ـ 86 ـ 92 211 ـ 243 ـ 308 ـ 332 ـ 591 ـ 709
﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾	177	243 ـ 349 ـ 591 ـ 709
﴿ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾	178	591
﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ ﴾	189	208 297 ـ 437 ـ

ـ549 758		
ـ208 ـ297 300 ـ437ـ 549	190	﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾
437	191	﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾
الصفحة	**الرقم**	**سورة الأنفال**
88	9	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾
88	17	﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ ﴾
663	31	﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾
74	52	﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ ﴾
74	53	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ ﴾
154	60	﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾	65	662
سورة التوبة	الرقم	الصفحة
﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ ﴾	5	279
﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ ﴾	17	664
﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ ﴾	37	100
﴿ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ ﴾	67	632
﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي ﴾	113	37
﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ ﴾	114	37 ـ 391
سورة يونس	الرقم	الصفحة
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ ﴾	15	576
﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ ﴾	39	811
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي		17

﴿ ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	57	
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	71	800 - 793
﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	72	800 - 793
﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾	73	800 - 793
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾	75	452 - 554
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾	76	452 - 554
﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾	77	452 - 554
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴾	79	454 - 555
﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾	80	454 - 555
﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	81	453 - 454 - 555

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾	82	454 - 555
﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ ﴾	94	167
سورة هود	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾	13	48
﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾	25	364 - 522
﴿ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴾	26	364 - 522
﴿ وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾	34	772
﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾	36	62 - 364 - 524
﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴾	37	62 - 364 - 524
﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴾	38	62
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ ﴾	40	185 - 378

		530
﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴾	42	529
﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾	43	256
﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾	45	ـ 42 ـ 374 ـ 529 554
﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ، عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ، عِلْمٌ ۖ ﴾	46 46	ـ 42 ـ 374 529ـ
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ، عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	47	42
﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	48	ـ 42
﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	49	ـ 14 ـ 67 ـ 434 ـ 516 533

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾	61	659 726
﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾	62	659 - 726
﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ ﴾	63	659 - 726
﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ ﴾	69	420 - 544 - 596 - 690 - 733
﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ ﴾	70	420 - 544 - 594 - 596 - 690 711 - 733
﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾	71	323 - 420 . 544 - 594 . 711
﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ ﴾	72	420 - 544 . 594 .

		711
﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾	73	594 ـ 711
﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴾	74	594. 737
﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴾	75	594. 711
﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴾	76	37 ـ 594 ـ 711
﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ ﴾	87	91
﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ﴾	100	82
﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ ﴾	101	82
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ ﴾	102	82
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴾	117	75
﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾	119	48

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ ﴾	120	66
سورة يوسف	الرقم	الصفحة
﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾	3	ـ 65 263
﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾	5	12
﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾	20	184
﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ ﴾	23	ـ 210 ـ 303 ـ 306 ـ 643 723
﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ ﴾	24	ـ 42 ـ 210 ـ 263 ـ 303 ـ 305 ـ 306 ـ 307 ـ 643 . ـ 686 ـ 723 732

﴿ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾	31	605
﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾	32	306 ــ 307
﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾	39	32
﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾	40	33
﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾	53	306
﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾	55	32
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ﴾	56	32
﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾	57	32
﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾	58	32
﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾	72	548
﴿ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴾	74	80

﴿ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	75	80
﴿ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ ﴾	76	80
﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ﴾	85	663
﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ ﴾	102	67
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ ﴾	110	161
﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ ﴾	111	65 ـ 92 ـ 86 ـ 176 . ـ 262 ـ 288 ـ 782 813
سورة الرعد	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾	11	74
﴿ وَقَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَلِلَّهِ ٱلۡمَكۡرُ جَمِيعٗاۖ يَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٖۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾	42	147
﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ ﴾	43	167

سورة الحجر	الرقم	الصفحة
﴿ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ﴾	15	139
﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾	29	33
﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٖ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴾	33	33
﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	40	720
﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾	71	124
﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴾	91	160
سورة إبراهيم	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾	4	109
﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾	7	400
﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ ﴾	9	14
﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴾	28	158 - 558

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾	35	38
﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	36	38
﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	37	38
﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾	50	139
سورة النحل	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾	14	773
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	44	116. 149ـ
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	36	ـ 72 298
﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	64	148
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾	112	74
﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ	120	160

﴿		
سورة الإسراء	الرقم	الصفحة
﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾	4	606
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾	9	107
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	15	75 - 365 - 377
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾	29	19
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾	30	19
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾	32	307 - 647
﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾	94	169
﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾	95	169
﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا۟ ۚ ﴾	107	168

﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾	108	168
سورة الكهف	الرقم	الصفحة
﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾	9	57 - 467 - 812
﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾	10	57 - 467
﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾	11	57 - 467
﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾	12	57 - 467
﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾	13	13 ـ 28 - 57 - 467
﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ ﴾	14	28 ـ 467
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ ﴾	15	467 ـ
﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾	16	467 ـ
﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ﴾	17	467 ـ

﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ ﴾	18	467
﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ ﴾	19	467
﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذٗا أَبَدٗا ﴾	20	489
﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ ﴾	21	467
﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ وَيَقُولُونَ خَمۡسَةٞ سَادِسُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ رَجۡمَۢا بِٱلۡغَيۡبِۖ ﴾	22	467 - 806
﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾	23	467
﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾	24	467
﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾	25	467
﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾	26	467
﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾	28	527
﴿ ۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ﴾	32	370 - 527 - 700

766		
370 ـ 527 ـ 726 ـ 700 766	33	﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾
370 ـ 527 ـ 700 766	34	﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾
372 ـ 700 766	36	﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾
372 ـ 700 766	37	﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾
372 ـ 700 766	38	﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾
372 ـ 700 ـ 701 766	39	﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾
700 766	40	﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾	41	700 ـ 766
﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾	42	90 ـ 700 766
﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾	43	700 ـ 766
﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾	59	86
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾	60	34 ـ 58
﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾	61	58
﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴾	62	58
﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾	63	58
﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	64	1011 ـ 58
﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً ﴾	65	58 ـ 91
﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾	66	61

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾	67	58
﴿ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴾	68	58
﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾	69	58
﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾	70	58
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ ﴾	71	58
﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾	72	58
﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴾	73	58
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴾	74	58
﴿ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾	75	58
﴿ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴾	76	58
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ ﴾	77	58
﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾	78	58

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾	79	59
﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾	80	59 ـ 196 280
﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾	81	59 ـ 196
﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ ﴾	82	59 ـ 206
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾	83	194 ـ 508 ـ 563
﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾	84	91 ـ 508 ـ 563
﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾	109	49
سورة مريم	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾	8	204 ـ 258 294
﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾	18	61

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾	19	61
﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾	23	61
﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾	24	61
﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾	28	153
﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾	30	79
﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾	31	79
﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	35	759
﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾	36	385
﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾	41	38 ـ 43 ـ 383 ـ 532
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾	42	38 . 43 ـ 383 . 532

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴾	43	38 ـ 43 ـ 383 ـ 532
﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾	44	38 ـ 43 ـ 383 ـ 532
﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾	45	43 ـ 45 ـ 383 ـ 532
﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ ﴾	46	43 ـ 45 ـ 389
﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾	47	43
﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴾	48	43
﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴾	49	43 ـ 390
﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾	50	43 ـ 390
﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزٗا ﴾	98	88
سورة طه	**الرقم**	**الصفحة**

﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	9	55
﴿ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴾	10	55
﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	17	481
﴿ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴾	20	465
﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾	25	87
﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾	26	87
﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾	27	87
﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾	28	87
﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾	36	56
﴿ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴾	37	56
﴿ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾	38	56
﴿ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾	39	56 ـ 650
﴿ إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ ﴾	40	56

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾	45	63
﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	46	63 ـ 386
﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾	47	63
﴿ إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	48	63
﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾	49	30 ـ 70
﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	50	30 ـ 70
﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾	51	30
﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾	52	30
﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾	53	30
﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾	54	30
﴿ ۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴾	55	30
﴿ وَلَقَدۡ أَرَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾	56	30 ـ 31
﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ﴾	99	67

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	115	759
﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾	118	760
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾	124	136
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾	131	259
سورة الأنبياء	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴾	15	88
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	22	70
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾	25	20 ـ 78 ـ 298
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾	28	652
﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾	51	39 ـ 441 ـ 551
﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾	52	39 ـ 441 ـ 551

﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾	53	ـ 39 384 ـ441ـ 551
﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	54	ـ 39 ـ 462 551
﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴾	55	ـ 39 . 441 551
﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	56	ـ 39 . 441 . 551
﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴾	58	ـ 39 . 441 551
﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾	59	ـ 39 ـ 441 551
﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾	60	ـ 39 ـ 441 551
﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾	61	ـ 39 ـ 441 551
﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾	62	ـ 39 ـ 441

		551
﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾	63	ـ 39 . 441 551
﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	64	ـ 39 . 441 551
﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾	65	ـ 39 . 441 551
﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾	66	ـ 39 ـ 441 551
﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	67	ـ 462 551
﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾	68	. 441 551
﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	69	ـ 185 ـ 462 551
﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾	70	ـ 441 551
﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾	71	ـ 441 551
﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	83	ـ 213 ـ 311

		587 ـ 708
﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾	84	213. ـ 328 ـ 587 708
﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾	78	34
﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾	98	495
سورة الحج	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾	52	409. 439. 494. 538. 549. 562
﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾	53	409 ـ 439 ـ 494 538. ـ 549 562
﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ ﴾	78	384 ـ 391

سورة النور	الرقم	الصفحة
﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾	63	149
سورة الفرقان	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾	32	46
﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ﴾	33	95 ـ 115
﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ﴾	35	52
﴿ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا ﴾	36	52
﴿ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَأَصۡحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونَۢا بَيۡنَ ذَٰلِكَ كَثِيرٗا ﴾	38	23
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾	63	19
سورة الشعراء	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾	54	706
﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	69	14 ـ 39

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾	70	39
﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾	71	39
﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾	72	39
﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾	73	39
﴿ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾	74	39
﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾	75	39
﴿ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴾	76	39
﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	77	39 - 391
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾	78	39
﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴾	79	39
﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾	80	39
﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾	81	39
﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾	82	39

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾	83	39
﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾	119	255
﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾	149	671 - 783
سورة النمل	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	6	67
﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾	10	212 - 311
﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾	16	91
﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾	20	751 - 786
﴿ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾	23	751
﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾	32	751
﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾	33	751

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾	37	185
﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ ﴾	40	246 ـ 333
﴿ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴾	41	246 ـ 333
﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴾	42	61 ـ 246 ـ 333
﴿ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ ﴾	44	61ـ 246 ـ 333
﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	62	386
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾	76	11 ـ 172
﴿ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	77	172
سورة القصص	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ	4	57

﴿ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾		
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾	5	57
﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	10	45
﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	11	11 ـ10 44
﴿ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾	12	44
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ ﴾	25	12
﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾	26	45
﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾	34	87
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ ﴾	43	283
﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	44	68
﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ ﴾	45	68

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	46	68
﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾	52	168
﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾	53	168
﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ ﴾	76	185. 396. 535. 692. 734
﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾	77	396. 535. 692. 734
﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴾	78	396. 535. 692. 734
﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	79	401. 692. 734
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾	80	401
سورة العنكبوت	الرقم	الصفحة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ ﴾	17	40
﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾	31	596
﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾	32	596
سورة الروم	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ الٓمٓ ﴾	1	14
﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾	2	14
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ﴾	21	758
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	47	23
سورة السجدة	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾	22	393
سورة لقمان	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	13	31

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾	14	31
﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾	15	31
سورة الأحزاب	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾	33	154
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾	36	258 ـ 260
﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾	37	36 ـ 260 ـ 275 276
﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾	43	88
سورة سبأ	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾	15	392 ـ 533
﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾	16	393 ـ 533

﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾	17	90 ـ 412 ـ 533
﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾	18	394
﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾	45	88
سورة فاطر	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾	6	89
﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾	32	137
﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾	41	134
سورة يسن	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾	12	353
﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾	13	24 ـ 197 ـ 228 ـ 281

		322 ـ 665 ـ 727
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾	14	298 ـ 285 ـ 691 . 754
﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴾	15	691 ـ 754
﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾	16	282 ـ 691 ـ 754
﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾	17	282 ـ 691 ـ 754
﴿ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾	18	691 ـ 754
﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	19	691 ـ 754
﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	20	285
﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾	29	88
سورة الصافات	**الرقم**	**الصفحة**

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴾	51	701
﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴾	52	701
﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾	91	40
﴿ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴾	92	40
﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾	93	40
﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾	99	40
﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	100	40
﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾	101	40
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾	102	40 ـ 229 ـ 322 ـ 423 ـ 545 ـ 612 ـ 718
﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴾	103	440 ـ 391 ـ 423 ـ 545 ـ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		612 ـ 718
﴿ وَنَدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾	104	40 ـ 423 ـ 545 ـ 612 ـ 718
﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	105	40 ـ 423 ـ 545 ـ 612 ـ 718
﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴾	106	40 ـ 423 ـ 545 ـ 612 ـ 718
﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾	107	40 ـ 391 ـ 423 ـ 545 ـ 612 ـ 718
﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾	108	40 ـ 423 ـ 545

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	109	40 ـ 423 ـ 545
﴿ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	110	40 ـ 545
﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	111	40 ـ 423 ـ 545
﴿ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	112	323
﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴾	113	
﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾	171	73
﴿ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴾	172	73
﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾	173	73
سورة ص	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴾	21	230 ـ 324
﴿ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ﴾	24	325 ـ 457 ـ 555

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾	25	325
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	29	108 342 ـ
﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾	34	ـ203 ـ701 ـ739
﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾	35	ـ657 701 739
﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾	36	ـ701 739
﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾	37	ـ701 739
﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾	37	ـ701 739
﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾	38	739
﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	39	ـ701 739
﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾	48	ـ599 711

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الزمر	الرقم	الصفحة
﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	11	47
﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾	12	47
﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	13	47
﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴾	14	47
﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾	15	47
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾	23	106 ـ 107
﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾	53	465
سورة غافر	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾	18	652
﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾	26	28

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾	27	28 ـ 29
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴾	28	30 ـ 31 87
﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾	29	28 ـ 87
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴾:	30	28 ـ 87
﴿ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴾	31	28 ـ 88
﴿ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴾	32	28 ـ 88
﴿ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾	33	28 ـ 88
﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ ﴾	34	29 ـ 88
﴿ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾	35	30 ـ 35 88
﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴾	36	28 ـ 88

﴿ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴾	37	28 ـ 88
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾	38	28 ـ 88
﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴾	39	28 ـ 88
﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ ﴾	40	28 ـ 88
﴿ ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾	41	28 ـ 88
﴿ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّارِ ﴾	42	28 ـ 88
﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾	43	28 ـ 88
﴿ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾	44	28
﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴾	45	84 ـ 28
﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾	46	28 ـ

		84
﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾	47	84
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾	48	84
﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾	49	85
﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	50	85
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾	51	85 ـ 82
﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾	52	82 ـ 85
﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	53	85
﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	54	85
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾	78	502
سورة فصلت	**الرقم**	**الصفحة**

﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾	11	787
سورة الشورى	الرقم	الصفحة
﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ ﴾	15	695
﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	11	651
﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَۚ ﴾	13	20 ـ 72
﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾	30	147
سورة الزخرف	الرقم	الصفحة
﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾	23	69 ـ 384
﴿ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾	24	69 ـ 384
﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾	45	168
سورة الدخان	الرقم	الصفحة
﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾	56	698

سورة الأحقاف	الرقم	الصفحة
﴿ ۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ ﴾	21	670
سورة محمد	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾	24	342
﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ﴾	31	14
سورة الفتح	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	4	321
﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ ﴾	26	321
﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ ﴾	27	14
سورة الحجرات	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾	1	150
سورة ق	**الرقم**	**الصفحة**

﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴾	1	176
﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴾	30	759
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾	37	86
سورة الذاريات	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾	24	597
﴿ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	30	597
سورة الطور	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾	35	70
سورة النجم	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴾	8	148
﴿ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴾	9	148 ـ 160
﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴾	10	160
﴿ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾	11	160

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾	12	160
﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾	18	161
﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾	19	78 ـ 496 ـ 575
﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾	20	78 . 519
﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾	21	78
﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾	22	78
﴿ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ ﴾	23	78
﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾	37	391
سورة القمر	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾	9	32
﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾	18	32
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴾	23	32

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴾	33	33
﴿ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴾	41	33
﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴾	19	598
سورة المنافقون	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾	1	809
سورة التحريم	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ ﴾	10	666
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ ﴾	11	45
﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾	12	44
سورة القلم	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	4	694
﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ ﴾	14	822

﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	15	822
﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾	17	60 ـ 472 . 513 . 558 . 566 . 820
﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾	18	60 ـ 472 ـ 513 ـ 558 ـ 566 . 820
﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾	19	60 ـ 472 ـ 513 . 558 . 566 . 820
﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾	20	60 ـ 472 ـ 513 . 558 . 566 . 820

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ فَنَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴾	21	60 ـ 472 . 513 . 558 . 566 . 820
﴿ أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾	22	60 ـ 472 . 513 . 558 . 566 . 820
﴿ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴾	23	60 ـ 472 . 513 . 558 . 566 ـ 820
﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾	24	60 472 ـ 513 . 558 ـ 566 ـ 820
﴿ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴾	25	60 ـ 472 . 513 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		558- 566- 820
﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴾	26	60- 472- 558. 820
﴿ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴾	27	60. 472- 558. 820
﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴾	28	472. 558- 820
﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾	29	472- 559. 820
﴿ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴾	30	472- 558- 820
﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾	31	472. 558. 820
﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴾	32	472. 558. 820

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الحاقة	الرقم	الصفحة
﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴾	5	784
﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾	6	\784
﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴾	44	655
﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴾	45	655
﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾	46	655
سورة المعارج	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾	19	147
﴿ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴾	20	147
﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾	21	147
سورة نوح	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾	14	761
﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾	15	69

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾	16	69
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	17	69
﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾	26	255
سورة المدثر	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾	24	605
﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾	25	605
﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾	52	146
سورة القيامة	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾	19	115
﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾	22	353
﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾	23	353
سورة النازعات	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴾	1	138

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴾	2	138
﴿ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴾	3	138
﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾	15	41
﴿ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾	16	41
﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	17	41
﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴾	18	41
﴿ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾	19	41
﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾	20	41
﴿ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴾	21	41
﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴾	22	41
﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾	23	41
﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	24	41
﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾	25	41

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾	26	41
سورة عبس	الرقم	الصفحة
﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾	31	135
سورة التكوير	الرقم	الصفحة
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴾	15	103
﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾	17	138
سورة الانفطار	الرقم	الصفحة
﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾	10	647
سورة المطففين	الرقم	الصفحة
﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾	20	556
سورة البروج	الرقم	الصفحة
﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾	4	249. 334. 499. 563

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ﴾	5	249. 334. 499. 563
﴿ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ﴾	6	249. 334. 499. 563
﴿ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ﴾	7	249ـ 334ـ 499. 563
﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾	8	334ـ 249. 499. 563
﴿ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾	9	249ـ 334ـ 499. 563
سورة الطارق	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾	2	147
﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾	3	147

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الفجر	الرقم	الصفحة
﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾	1	138
﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾	2	138
﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾	3	138
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾	6	668 . 729 . 783. 796
﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾	7	668 . 729 ـ 783 796
﴿ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾	8	668 ـ 783 . 796
﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾	9	668 ـ 783 . 796
﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾	10	668 ـ 783 ـ 796
﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴾	11	668 ـ 783 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		796
﴿ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾	12	668 ـ 783 ـ 796
﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾	13	668 ـ 783 ـ 796
﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾	14	668 ـ 783 ـ 796
سورة البلد	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾	10	761
سورة الشمس	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾	1	500
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾	9	499
سورة الفيل	**الرقم**	**الصفحة**
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾	1	35
سورة قريش	**الرقم**	**الصفحة**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾	1	165
﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾	2	165

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآحاديث والآثار النبوية

الحديث	الصفحة
أتعرف الناسخ والمنسوخ	348
إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به	162
إذا حدثكم أهل الكتاب	301
إذا همّ عبدي بسيئة فلم يعملها	306
أرحم أمتي بأمتي أبوبكر	126
استقرئوا القرآن من أربعة	126
أشركنا في دعائك	482
أقول فيها برأي	343
ألا أخبرتهم أنهم كانوا يستمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم	153
ألسنا من فقراء المهاجرين	486
الأمة معلم الخير والقانت المطيع	160
أمتهوكون فيها يابن الخطاب	173
أنا أولى الناس بعيسى بن مريم	75
إنّ القوة الرمي	154
إنّ بني إسرائيل كتبوا كتابا	172
أنّ عمرا كان يدخلني مع أشياخ بدر	172
إنّ من البيان لسحرا	605
أنا ابن الذبيحين	425
انتهى علم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ستة	130
إنّك لعريض القفا	153
أنّه جاءه رجل من الشام فقال له من أين جئت	133
إنّه ليغان على قلبي	410
إنّي رأيت قرني الكبش في الكعبة	323
أوتيت خمسا لم يؤتهن أحد قبلي	365

ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر	153
أيّنا لم يظلم نفسه	110 ـ 152
بلغني أنّه رؤيت ضبع وأولادها	488
بلغوا عنّي ولو آية	173
تحدثوا عن بني إسرائيل	174
تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنّهم لن يهدوكم	173
التفسير على أربعة أوجه	117
الحج عرفة	151
حدّثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن	117
حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	173 . 177
حملت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي	151
خلق الله آدم وطوله في السماء	315
دخل الخلاء فوضع له وضوءا	119
دعا له أن يؤتى الحكمة مرتين	119
ذكروا بن مسعود عند عبد الله بن عمر	129
ذلك القرض ومن نوقش الحساب عذب	110
رأى جبريل له ستمائة جناح	161
رأى رفرفا أخضر قد سد الأفق	161
ضرب الله صراطا مستقيما	137
عرضت المصحف على ابن عباس	162 ــ 163
فينا نزلت نحن الطائفتان	159
فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم	68
قالت كذبوا	161
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة	129

قلت يارسول الله أنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة واحدة	151
قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا	150
كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية	173
كان رسول الله يحدثنا عامة ليلة	174
كان قارون من السبعين المختارة	397
كان من أراد أن يفطر ويفتدي	159
كانت بنوا إسرائيل إذا كان لأحدهم	486
كانت قريش ومن دان دينها	158
كانوا في الجاهلية إذا أحرموا	158
كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء	173
لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فتكذبوا بحق	134
لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم	173
لأطوفنّ الليلة على سبعين	290
لكل آية ظهر وبطن	679
لم يكونوا يسألون عن الإسناد	177
اللهم علمه الحكمة	119
اللهم هؤلاء أهل بيتي	154
ليس كما تقولون لم يلبسوا إيمانهم بظلم بشرك	152 344.
ما تجدون في شأن الرجم	81
مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا	72
ما في القرآن آية إلاّ وقد سمعت فيها شيئا	136
ما كان أفقه بعد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أصحاب ابن مسعود	132
من وضع هذا قال: قلت: ابن عباس	119
ما من مولود يولد إلاّ الشيطان يمسه	634
مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا	410
المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى	663

نعم ترجمان القرآن	119
هم أهل الكتاب جزؤه أجزاء	160
هم كفار أهل مكة	158
والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله	129
والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت	115

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	عدد الأبيات	الشاعر	الصفحة
أبو خليفة ولدته أخرى وأنت خليفة ذاك الكمال	1	بلا نسبة	464
ألا أيها المرتئى في الأمور سيجلوا العمر عنك تبيانها	1	بلا نسبة	339
ترتع ما غفلت حتّى إذا ادّكرت فإنّما عي إقبال وإدبار	1	الخنساء	375
تغير كل ذي طعم ولون وقلّ بشاشة الوجه المليح	2	بلا نسبة	723
تمنّى كتاب الله أول ليلة تمنّى داود الزبور على رسلي	1	حسان بن ثابت	494
تنح عن البلاد وساكنها ففي الخلد ضاق بك الفسيح	3	بلا نسبة	723

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تهدي رؤس المترفين الأنداد إلى أمير المؤمنين الممتاء	1	رؤبة العاملي	367
جَالَـتْ لِتَصْـرَعَنِي فَقُلْـتُ لَهَـا اَقْصِـرِي إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامُ	1	امرؤ القيس	492
حلفـــت بـــالله حلفـــت فـــاجر لناموا فما أن من حديث ولا صالي	1	امرؤ القيس	499
فَلَثِمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا شَرْبَ النَّزِيفِ بِبَرْدِ مَاءِ الحشْرَجِ	1	عمر بن أبي ربيعة	509
قد رابني أنّ الكرى أسكرتنا لو كان معنيا بها لهيتا	1	بلا نسبة	210
قد كان ذو القرنين عمرو مسلما ملكا تدين له الملوك و تحسد	3	تبع اليماني	195
كفايات الكفاح بحسني ظنّي كنسج العنكبوت بباب غار	7	التستري	685
لا تظنوا الموت موتا إنّه لحياةٌ هو غايةُ المنى	3	بلا نسبة	698

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد	1	ابن الرومي	635
لنحن الأولى قلتم فأنّى ملئتم برؤيتنا قبل اهتماما بكم رعبا	1	بلا نسبة	453
متى ما تلقني فردينِ ترجفُ روانفُ أليتيكِ وتستطارُ	1	عنترة بن شداد	639
ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء	3	ابن الرقيات	454
هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله	1	ضابئ بن الحارث	644
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الأرامل	1	أبو طالب بن عبد المطلب	480
وإذا نظرت إليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما	1	جميل بن معمر	620

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأكرم أخاك الدهر ماء متما كفى بالممات فرقة وتنائيا	1 1	إياس بن القائف	490
وأهل خباء صالح ذات بينهم قد احتربوا في عاجل أنا آجله	1	خوات بن جبير	643
وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعا	1	القطامي	636
وشارب مربح الكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسار	1	الأخطل	637
وليس بها إلاّ الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همّد	1	أمية بن أبي الصلت	468
وَمُـــدَجَّجٍ كَـــرِهَ الكمَـــاةُ نزَالـــهُ لا مُمعنٍ هَرَبًا ولاُ مُستَسْلم	7	أبو الطيب المتنبي	3
يرى الجبناء أنّ الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم	1	أبو الطيب المتنبي	764

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
ابن أبي حاتم	188
ابن أبي زمنين	206
ابن المنير المالكي	620
ابن جزي	427
ابن حزم	98
ابن عاشور	505
ابن عجيبة	695
ابن عطية	359
ابن قتيبة	45
ابن كثير	219
أبو السعود	459
أبو حيان	443
اطفيش	661
الأفغاني	748
الألوسي	474
الباجي	198
البغوي	214
البلقيني	621
البيضاوي	402
التستري	683
الثعالبي	248
جواد مغنية	603
الخازن	227
الرّازي	380

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رشيد رضا	764
الزركشي	46
الزمخشري	625
سلطان محمد بن حيدر الجنابذي	608
السلمي	687
السيوطي	123
الطباطبائي	588
الطبرسي	508
الطبري	199
القاسمي	239
القاضي عياض	290
الكواشي	100
محمد عبده	752
محمود شلتوت	774
المراغي	779
النسفي	415
هود بن محكم الهواري	655

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم : برواية حفص عن عاصم ، دط ، مجمع الملك فهد ، المملكة العربية السعودية ، دت .

1) ابن جزي و منهجه في التفسير، علي محمد زبيري، ط1 ، دمشق ، دار العلم، ج 1407هـ، 1987م

2) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، فهد الرومي ، ط 3 ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، 1418هـ _1997م

3) الاتجاهات المنحرفة في التفسير في العصر الحديث: عادل بن علي الشدي، ط1، الرياض، 2010- 1431 م

4) أثر التطور الفكري في التفسير: مساعد مسلم ، ط1 ، بيروت ،مؤسسة الرسالة، 1984م

5) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ط1، تحقيق محمد بن عبد الله عنان، القاهرة، 1395هـ -1975م

6)الإحكام في أصول الأحكام ، د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1989م

7) إحياء علوم الدين ، ط 1 ، د ت ، دمشق ، دار ابن قتيبة ، 1412 هـ ـ 1992م

8) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1411هـ-1990م

9) الاستيعاب في بيان الأسباب ، سليم بن سعيد الهلالي ـ محمد موسى آل نصر ، ط 1 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1425هـ

10) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير : محمد بن محمد أبو شهبة ، ط 4 ، القاهرة ، مكتبة السنة ، 1408 هـ .

11) الإسرائيليات في التفسير والحديث: محمد حسين الذهبي، ط4، القاهرة، مكتبة وهبة ، 1990م

12) الإسلام و النصرانية: محمد عبده، د ط ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، دت

13) أصل الشيعة وأصولها : محمد الحسين آل كاشف الغطا، ط 1 ، بيروت ، دار الأضواء ، 1410 هـ ـ 1990م

14) أصول التفسير وقواعده : خالد عبد الرحمان العك ، د ط ،دار النفائس ، 1406هـ – 1986م

15) أصول الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، ط 1 ، بيروت ، دار المرتضى ، 1426 هـ ـ 2005 م

16) أصول وتاريخ الفرق الإسلامية : مصطفى بن محمد بن مصطفى ، د ط ، دم ، 1424 هـ ـ 2003

17) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1416 هـ ـ 1996 م

18) الأعلام :قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين :خير الدين الزّركلي،ط 5 ، بيروت ، دار العلم للملايين، دت .

19) الأعلام قاموس تراجم المشاهير الرجال و النساء من العرب و المستعمرين المشرقين ، خير الدين الزركلي: ط7، بيروت، دار العلم للملايين، 1986م

20) أعيان الشيعة ، السيد محسن الأمين ، دط ، تحقيق حسن الأمين ،بيروت، دار التعارف للمطبوعات 1406 هـ ـ 1986م

21) الآلوسي مفسرا ، محسن عبد الحميد ، ط 1 ، بغداد ، دار المعارف ، 1388 هـ ـ ، 1969م

22) الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين: محمد عمارة، ط2، مصر، دار الشروق 1408 هـ 1988 م

23) إملاء ما من به الرحمان من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن: د ط، مراجعة و تعليق نجيب الحامدي، بيروت، المكتبة العصرية، 1428هـ/ 2001م

24) الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ط 1،تعليق عبد الله عمر البارودي ،بيروت ، لبنان ـ دار الجنان ـ ،1408 هـ ـ 1988م

25) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو الخير البيضاوي الشافعي، د ط ، دار الفكر ، 1402 هـ ـ 1982م

26) أوائل المقالات ، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري ، ط 1 ، تحقيق إبراهيم الأنصاري ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، مطبعة مهر

27) بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي ، ط 3 ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، 1403 هـ ـ 1983م

28) البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، ط1 ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ـ على محمد معوض ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993 م

29) البحر المحيط :أبو حيان الأندلسي ، ط 1 ، تحقيق عبد الرزاق مهدي، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ،1423 هـ ـ 2002م

30) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: أبو العباس أحمد بن محمد المهدي ابن عجيبة الحسنى، ط1، تحقيق عمر أحمد الرواي،بيروت، الكتب العلمية 1423 هـ - 2002 م،

31) البداية و النهاية، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير، ط1، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مصر، دار هجر للطباعة و النشر و الإعلان، 1417هـ 1997م

32) البداية والنهاية ، ط 1 ، د ت ، بيروت ، دار المعارف ، السعودية ، مكتبة النصر ، 1966م

33) البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة ، عبد الفتّاح القاضي ، ط 5 ، القاهرة ، دار السلام ، 1432 هـ 2011م

34) البرهان في علوم القرءان ،ط 3، دار الفكر ، 1400 هـ. 1980م

35) بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد بن حيدر الجنابذي

36) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ط 1 ، تحقيق محمد بن عبد الرحمان بن قاسم ، مكة المكرمة ،مطبعة الحكومة ،1392هـ

37) تاج العروس من جواهر القاموس : أبو فيض مرتضى الزبيدي ، دط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،1994م

38) تاج العروس من جواهر القاموس: م ط، تحقيقي عبد الستار أحمد فرّاج، الكويت، وزارة الإرشاد و الأنبياء، 1965م

39) تاريخ بغداد: أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي ،د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د ت

40) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 1 ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1413هـ ـ 1993م

41) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، د ط ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، مصر ، دار المعارف ، 1960 م

42) تأويل مشكل القرءان ،: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ط1، تحقيق أحمد صقر ،مصر ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، 1373هـ ـ 1954م

43) تأويل القرآن الكريم و مذاهب الفرق فيه، محمد بديع موسى، ط1، الأردن، دار الاعلام، 1429، 2008م

44) تأويل مختلف الحديث ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دط ، بيروت ، دار الجيل ، 1411 هـ 1991 م

45) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور،دط ،الدار التونسية للنشر ، دت

46) تذكرة الحفاظ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، د ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت

47) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ،: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، ط 1 ، تصحيح محمد سالم هاشم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ، 1998م

48) التسهيل لعلوم التنزيل : أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، دط ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي ، إبراهيم عطوة عوض ، القاهرة ، أم القرى للطباعة والنشر ، دت

49) التسهيل لعلوم التنزيل ، أبو القاسم محمد بن جزي الكلبي ، ط 1، تحقيق عبد الزاق مهدي ، بيروت، دار إحياء التراث العربي ، 1425 هـ ـ 2005م

50) التصوير الفني في القرآن : سيد قطب ، ط13 ، بيروت ،دار الشروق

51) التعريفات : الجرجاني ،ط 4 ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1418هـ ـ 1998م

52) تفسير ابن أبي حاتم، ط6 تحقيق أسعد محمد الطيب، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1417هـ 1997م

53) تفسير التابعين عرض ودراسة ومقارنة ، محمد بن عبد الله بن علي الخضيري ، دط ، السعودية ، دار الوطن للنشر ، دت

54) تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ، ط 1 ، تحقيق محمد باسل عيون السود ،بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1432 هـ.

55) تفسير الصحابة ، عبد الله أبو السعود بدر،ط 1 ، دار بن حزم ، 1421هـ ـ 2000 م

56) تفسير العياشي :محمد بن مسعود العياشي ، د ط ، تحقيق: هاشم الرسول المحلاتي ، طهران ، المكتبة العلمة الإسلامية ، د ت

57) تفسير القرءان العظيم،ابن كثير، بيروت، دار الأندلس ، ط6 ،م 1984 م،

58) تفسير القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أبي عيسى بن أبي زمنين ، ط 1، تحقيق حسين بن عكاشة ـ محمد بن مصطفى ، القاهرة ، الفاروق الحديثية للطباعة والنشر ، 1432 هـ .2002 م

59) تفسير القرآن العظيم : أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السّخاوي ، ط 1 ، تحقيق موسى علي موسى ـ أشرف محمد عبد الله القصاص ، القاهرة ، دار النشر للجامعات ، 1430 هـ ـ 2009م

60) تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، دط ، بيروت ، دار الأندلس ، د ت

61) تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت، د ط،مصر،دار الشروق، د ت

62) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ط 2 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1978م

63) التفسير الكبير : (مفاتيح الغيب)، الفخر الرازي ،ط 3،دت ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، د ت.

64) تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي: ط1، مصر، مكتبة مصطفى الحلبي وأ ولاده، 1365 هـ، 1946م

65) تفسير المنار: محمد رشيد رضا: ط2، بيروت، دار المعرفة ، دت .

66) تفسير كتاب الله العزيز : هود بن محكم الهواري ، ط 1 ، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي ، الجزائر ، دار البصائر ،1462 هـ ـ 2005م

67)تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر المخزومي ،د ط ، تحقيق عبد الرحمان طاهر بن محمد السورتي ، إسلام باد ، الهند ، مجمع البحوث الإسلامية ، د ت.

68) التفسير و رجاله: محمد الفاضل ابن عاشور:ط1، دار السلام، القاهرة، 1429هـ،2008 م

69) التفسير والمفسرون : محمد حسين الذهبي ، ط8 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1424 هـ ـ2003م.

70) تقريب التهذيب ، ط 2 ، تحقيق صلاح الدين عبد الموجود ، القاهرة ، دار ابن رجب ، 1431 هـ ـ 2010م

71) التقرير في أسانيد التفسير : عبد العزيز بن مرزوق الطريفي ، ط 1 ، السعودية ، دار المنهاج ، 1432هـ.

72) تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي ، د ط ، دت ، بيروت ـ لبنان ، دار الرائد العربي ،دت

73) تهذيب اللغة ،ط 1 ، تحقيق أحمد عبد الرحمان مخيمر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1425 هـ ـ 2004م .

74) تيسير التفسير :محمد بن يوسف آطفيش، تحقيق إبراهيم بن محمد طلاي ، الجزائر غرادية ، المطبعة العربية ، 1417 هـ ـ 1996م.

75) جامع البيان عن تأويل آي القرءان : محمد بن جرير الطبري ، ط 1 ،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، القاهرة مركز البحوث والدراسات العربية بدار هجر، 1422هـ ـ 2001 م.

76) جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، دط ،بيروت، دار الفكر ، دت .

77) الجامع المسند «سنن الترمذي» :محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط 2 ، تحقيق عبد الرحمان محمد عثمان ،بيروت ، دار الفكر ، 1403هـ ـ 1983م .

78) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط1 ، تحقيق محمد عجّاج الخطيب ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1412 هـ ـ 1991م.

79) لجرح والتعديل : أبو محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم ، ط 1 ، الهند ، دار المعارف حيدر آباد ، 1371 هـ ـ 1952م .

80) جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ط 1 ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1987م

81) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان الثعالبي ،د ط ، تحقيق عمّار طالبي ، ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ، دت

82) الحدود في الأصول ، ط 1 ، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1424 هـ ـ 2003م

83) حقائق التفسير:(تفسير السلمي) ،أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي،ط 1 ، تحقيق سيد عمران ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1421هـ ـ 2001 م .

84) حقيقة التصوف: عبد الحليم محمود، ط2، مصر، دار المعارف، دت.

85) خاطرات جمال الدين الأفغاني: تأليف محمد باشا المخزومي ، ط 2 ،لبنان ، دار الفكر الحديث ، 1965م ـ 1385 هـ .

86) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، ط 2 ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، القاهرة مكتبة الخانجي ، 1408 هـ ـ 1988م .

87) الدخيل في التفسير، إبراهيم عبد الرحمان خليفة ، دط ، دم، دت .

88) درء تعارض العقل و النقل :أحمد بن عبد الحليم ابن تيميه، تحقيق محمد رشاد سالم ، د ط ، الرياض ، دار الكنوز الأدبية ، 1391 هـ .

89) دراسات حول القرآن ، إسماعيل أحمد الطّحان ، ط2 ، الكويت ـ مكتبة الفلاح ـ ، 1408 هـ ـ 1988م.

90) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة و المعاصرة ، عبد اللّه الأمين ، ط 2 ، بيروت ، دار الحقيقة ، 1991 م .

91) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ضبط وتصحيح عبد الوارث محمد علي ، ط 1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ـ 1997م .

92) الديباج المذهب في معرفة أعيان المذاهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، ط 1 د هنيف علي عمر، مصر، مكتبة الدينية، 1423هـ -2003م .

93) ديوان الأخطل ،ط 1 ، تحقيق محمد نعيم برير ، بيروت ، المكتبة العصرية ، 2110 م 1431هـ.

94) ديوان امرؤ القيس ، د ط ، تحقيق درويش الجويدي ،بيروت ، المكتبة العصرية ، 1430 هـ ـ 2009م

95) رسالة الألوسي و منهجه في التفسير، صالح فريوي ، رسالة ماجستير جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 1424هـ - 2003م

96) رسالة الرد على الدهريين: محمد عبده، ط، الجزائر، دار الشهاب للطباعة و النشر، دت

97) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي ط1، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت ، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1994م.

98) زاد المسير في علم التفسير : أبو الفرج عبد الرحمان بن الجوزي ،ط 1 ، تحقيق محمد بن عبد الرحمان بن عبد الله ، دار الفكر ، 1407 هـ ـ 1987م

99) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط 1 ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ عبد القادر الأرناؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1431 هـ 2010م

100) سنن أبي دواد : أبوداد سليمان بن الأشعث السجستاني ، د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الفكر ، د ت

101) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 2 ، تحقيق ، شعيب الأرناؤوط ـ علي أبو زيد ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1404 هـ ـ 1984 م

102) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ، د ط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت

103) شرح الأصول الخمسة : القاضي عبد الجبار أحمد ، تحقيق عبد الكريم عثمان ،ط 3 ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، 1416 هـ ـ 1996 م

104) شرح العقائد النسفية : السعد مسعود بن عمر التفتازني ، دط ، تحقيق كلورد سلامة ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1974 م

105) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ،أحمد بن الأمين الشنقيطي ،دط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1432هـ.2011م

106) شرح مقدمة أصول التفسير لابن تيمية : مساعد الطيار، ط2، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428 هـ

107) شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، ط 1 ، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1410 هـ ـ 1990م

108) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي ، دط ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، دت

109) الشيخ أحمد بن عجيبة ومنهجه في التفسير ، د ط ، المملكة المغربية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1422 هـ ـ 2001 م

110) لصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري ،ط 4 ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطا، بيروت ،دار العلم للملايين ،1984م

111) صحيح البخاري :محمد بن إسماعيل البخاري ،دط ،دار الفكر ،1424هـ ـ 2003

112) صحيح مسلم بشرح النووي : تحقيق عصام الصبابطي ـ حازم محمد ـ عماد عامر ،ط 1 ، القاهرة ، دار الحديث ، 1415هـ ـ 1994م

113) الصدق والواقعية في القصة القرآنية ، أمين محمد عطية باشا

114) الصوفية في نظر الاسلام: سميح عاطف الزين، ط، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1405 هـ

115) طبقات المفسرين ،جلال الدين للسيوطي ، ط 1 ، بيروت ،دار الكتب العلمية ، 1403 هـ ـ 1983م

116) طبقات فحول الشعراء ، ج 1 ،محمد بن سلام الجمحي ،د ط ، تحقيق محمود محمد شاكر ،جدة ، دار المدني ، دت.

117) طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الإباضي ، سالم بن محمود بن شامس السيابي ، دط ، عمّان ،طبعة وزارة الثقافة والتراث القومي ، 1400 هـ ـ 1980م

118) ظلال القرآن : سيد قطب ،ط 7 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1391هـ ـ 1971م

119) العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، شرح ناصيف اليازجي ، ط 1 ، بيروت ، مكتبة الهلال ، 1995م

120) العروة الوثقى: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده: ترجمة تعليم مصطفى عبد الرازق، ط3، بيروت دار الكتاب الغربي، 1403هـ-1983 م

121) عقائد الإمامية ، محمد رضا المظفر، ط 2 ، دم ، 1380 هـ.

122) العقيدة والشريعة في الإسلام ، جولد تسهير ، ترجمة محمد يوسف موسى .

123) علل الحديث : أبو محمد عبد الرحمان بن أبي حاتم، دط ، بيروت ، دار المعرفة ، 1405هـ ـ 1985م .

124) فتاوى ابن الصلاح : أبو عمرو بن الصلاح ،دط ، القاهرة ، دار الحديث ، 1482 ـ 2007 م .

125) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دط ، تصحيح وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ محب الدين الخطيب ، بيروت ، دار المعرفة ، د ت

126) الفرق بين الفرق ،عبد القادر البغدادي، د ط ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، دار الطلائع ، 2009م

127) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم ،ط 1 ، تحقيق محمد إبراهيم نصر ـ عبد الرحمان عميرة ، السعودية ، مكتبة عكاظ ، 1402 هـ ـ 1982 م

128) الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي ، ط4، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428هـ ط4، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، السعودية، دار ابن الجوزي، 1428هـ

129) الفن القصصي في القرآن الكريم ، أحمد خلف الله ، ط 4 ، شرح وتعليق خليل عبد الكريم ، القاهرة ، سينا للنشر ، 1999م

130) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، د ط ، دم ، دار الفكر ، د ت .

131) القاموس المحيط ، الفيروز آبادي د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د ت .

132) قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية : إميل يعقوب ـ مي شيخان ، ط1 ، بيروت ، دار العلم للملايين ، 1987م

133) قصص الأنبياء : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، ط 10 ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، الكويت ، مؤسسة غراس للنشر ، 1426 هـ ـ 2005م .

134) قصص القرآن الكريم ، فضل حسن عباس ،ط 3 ، الأردن ، دار النفائس ، 1430 هـ ـ 2010م .

135) القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته ،: فضل حسن عباس ،د ط ، الجزائر ، شركة الشهاب للنشر والتوزيع ، د ت

136) القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، د ط، بيروت، دار المعرفة ،دت

137)كتاب الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ،ط 1 ، الهند ، حيدر آباد ، دائرة المعارف العثمانية ، 1401 هـ ـ 1981 م

138) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، د ط، دار الفكر، 1439 هـ، 1979م .

139)كشف الأسرار : روح الله الخميني ، ط 1 ، الأردن ، دار عمّار ، 1408 هـ ـ 1987م

140)كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : حاجي خليفة ، دط ، بيروت ، دار الفكر ، 1402 هـ ـ 1982 م .

141) لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن ، البيضاوي ،دط ، بيروت ، دار الفكر ، 1399هـ ـ 1979م .

142) لسان العرب : أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، د ط ، دار المعارف، دت .

143) لسان العرب ، ابن منظور ، ط 1 ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1426 هـ ـ2005م

144) لسان الميزان ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دط ، الهند ، مؤسسة الأعظمي للمطبوعات ، 1406 هـ ـ 1986م .

145) متن اللغة : محمد رشيد رضا ، دط ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1379 هـ ـ 1960 .

146) مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، ط 1 ، تحقيق نعيم حسين زرزور ،بيروت ، دار الكتب العلمية ،1408 هـ ، 1988 م

147) مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، ط 1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1406 هـ ـ 1986 م

148) مجموع الفتاوى ، ط 1، جمع وترتيب عبد الرحمان بن محمد بن قاسم النجدي ، السعودية ، مطابع الرياض ، 1381هـ .

149) محاضرة أسانيد التفسير ومنهجية الحكم عليها ، حاتم بن عارف العوني .

150)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، ط 1 ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1413 هـ ـ 1993م .

151) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات أحمد الله بن أحمد بن محمد النسفي،د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، دت.

152) المستدرك على الصحيحين ،أبو عبد الله الحاكم النيسابوري ، د ط ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، دت .

153) المصنف ، عبد الرزاق الصنعاني ، د ط ، تحقيق حبيب الرحمان الأعظمي ، دم ، منشورات المجلس العلمي، دت .

154) المصنف في الأحاديث والآثار ، أبو بكر بن أبي شيبة ، ط 1، تحقيق مختار أحمد الندوي ، الهند ، الدار السلفية ، د ت.

155) معالم التنزيل :الحسين بن محمد أبو محمد البغوي، ط1 ،بيروت ، دار المعرفة، 1986 م

156) معجم الأدباء ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1411هـ ـ 1991م

157) معجم المفسرين من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر ، عادل نويهض ، ط 1 ، لبنان ، مؤسسة نويهض الثقافية ،1403 هـ ـ 1983م

158) المعجم المفصل في اللغة والأدب : إميل يعقوب ، دط ، بيروت دار العلم للملايين ، د ت.

159) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية: رضات كحالة، ط، دار حياء العروة الوثقى ، دت .

160) معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس، د ط ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر، 1402هـ ـ 1981.

161) معرفة السنن والآثار ، أبو أحمد بن الحسين البيهقي ، د ط ، تحقيق عبد المعطي قلعجي ، حلب ، دار الوعي ، 1411هـ ـ 1991م

162) المغنى في الضعفاء:شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، ط 1 ، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1418 هـ ـ 1997م

163) المفردات في غريب القرءان : الرّاغب الأصفهاني ، ط1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1428 هـ ـ 1998 م

164) المفردات في غريب القرآن ،أبو القاسم الحسين بن محمد (الرّاغب الأصبهاني) ، ط 1 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1418 هـ ـ 1998م .

165) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار ، ط 2 ، السعودية ، دار ابن الجوزي ، 1427هـ .

166) مقالات في علوم القرآن و التفسير: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيّار، ط1، السعودية، دار المحدث، 1415 هـ

167) المقدمة ،عبد الرحمان بن خلدون ، د ط، تحقيق أحمد حامد الطاهر ، القاهرة ، دار الفجر للتراث ، 1431هـ ـ 2010م

168) مقدمة ابن خلدون « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، عبد الرحمان بن خلدون ،د ط ، بيروت ، دار الجيل ، د ت

169) مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة ، أبو القاسم الرّاغب الأصبهاني ، ط 1 ، تحقيق حسن فرحات ، الكويت ، دار الدعوة ، 1405 هـ ـ 1984م

170) الملل والنحل ، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ،دط ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ،بيروت ، دار الفكر ، دت .

171) الملل والنحل ،محمدبن عبد الكريم الشهرستاني ،ط2 ، تحقيق أبو عبد الرحمان المكي ،السعودية مكتبة أنور مصطفى الباز، 2007م ــ 1428 هـ .

172) من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزّ وجل :محمد سعيد رمضان البوطي ،دط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ،1420 هـ ،1999م .

173) المنار المنيف في الصحيح والضعيف : ط 1 ، تحقيق عبد الفتّاح أبو غدة ، سوريا ـ حلب ـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، 1390 هـ ـ 1970 م .

174) مناهل العرفان في علوم القرآن : د ط ، بيروت ، دار الفكر ، دت .

175) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ط 1 ، تحقيق محمد رشاد سالم ، السعودية ،1406 هـ ، 1986م .

176) منهاج السنة النبوية ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، ط 1 ، تحقيق محمد رشاد سالم ، السعودية ، 1406 هـ ـ 1986م

177) منهج الإمام النسفي في توجيه القراءات القرآنية في تفسيره: فهمي سحر كردية، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة: قسم التفسير وعلوم القرآن.

178) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير ،فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، ط 2 ، السعودية ،1403 هـ 1983 م .

179) الموافقات في أصول الأحكام : أبو إسحاق إبراهيم اللّخمي الشاطبي ، د ط ، بيروت ، دار الفكر ، دت .

180) موقف العقل والعلم من رب العالمين وعبادة المرسلين ، مصطفى صبري ،د ط ، المكتبة الإسلامية ، 1369 هـ ـ 1950 م .

181) ميزان الإعتدال في نقد الرجال : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، د ط ، تحقيق علي البجاوي ، بيروت ، دار المعرفة ، دت .

182) الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، د ط ، بيروت ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات ، 1411هـ ـ 1991 م .

183) النبوة والأنبياء : محمد علي الصابوني ، ط 2 ، دم، 1980 م

184) نظرات في القرءان : محمد الغزالي ، دط ، باتنة ، دار الشهاب للطباعة والنشر، د ت .

185) نظرات في قصص القرآن، محمد قطب عبد العال، مجلة دعوة الحق ، 1986، العدد 59.

186) الوجوه والنظائر لكتاب الله العزيز : أبو عبد الله الحسين بن محمد الدّامغاني ، ط1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 م .

187) الوشيعة في نقد عقائد الشيعة ، د ط ، موسى جار الله ، القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، دت .

188) وفيات الأعيان: ابن خلكان،د ط، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، دت .

فهرس الموضوعات

الإهداء.....

المقدمة..... أ

فصل تمهيدي : القصة عند العرب قبل مجيء الإسلام..... 1

الباب الأول : القصص القرآني..... 8

الفصل الأول: تعريف القصة القرآنية 9

المبحث الأول: القصة في مفهومها اللغوي..... 10.

المبحث الثاني: تعريف القصة اصطلاحا 12

المطلب الأول: القصة الأدبية..... 12

المطلب الثاني: القصة القرآنية 13

الفصل الثاني:أهمية القصص القرآني ومكانته بين موضوعات القرآن..... 15

المبحث الأول: أهمية القصص القرآني وقيمته بين محاور القرآن..... ... 16

المبحث الثاني: القصص القرآني بين موضوعات القرآن..... 17

الفصل الثالث: طريقة القرآن في عرض القصص القرآني 26

المبحث الأول:طريقة القرآن في عرض القصص 27

المبحث الثاني: تكرار القصة في القرآن..... 45

المطلب الأول: فوائد تكرار القصص القرآني..... 47

الفصل الرّابع: الخصائص الفنية للقصة القرآنية.....54

المبحث الأول: التنويع في الاستهلال..... 55

المبحث الثاني: تنوع طريقة المفاجأة 58

المبحث الثالث: العرض التمثيلي..... 62
الفصل الخامس: أغراض وفوائد القصة القرآنية..... 64
المبحث الأول: أغراض القصة القرآنية..... 65
المطلب الأول: إثبات الوحي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم..... 66
المطلب الثاني: في عرض قصص القرآن..... 68
المطلب الثالث: وحدة الدين والعقيدة لجميع الأنبياء..... 70
المطلب الرابع: معرفة سنن الله.....73
المطلب الخامس: معرفة النظام التشريعي..... 78
المطلب السادس: بيان تأييد الله للأنبياء وأتباعهم..... 81
المطلب السابع: الاتعاظ والاعتبار..... 86
المطلب الثامن : معرفة ما يلزم الدعوة من صفات وأساليب..... 87
المطلب التاسع: بيان قدرة الله وعظمته 88
المطلب العاشر: التنبيه إلى عداوة الشيطان.... 89
المطلب الحادي عشر :أهداف تربوية مختلفة 89
الباب الثاني: علم التفسير 93
الفصل الأول: تعريف التفسير والتأويل وبيان الفرق بينهما 94
المبحث الأول : تعريف التفسير لغة واصطلاحا..... 95
المطلب الأول : مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح.....101
المبحث الثاني معنى التأويل لغة واصطلاحا..... 97
المطلب الأول: التأويل لغة 97
المطلب الثاني : التأويل في الاصطلاح 98
الفصل الثاني أهمية التفسير والحاجة إليه..... 105

المبحث الأول: أهمية علم التفسير 106
المبحث الثاني :بيان الحاجة إلى تفسير القرآن..... 109
الفصل الثالث: نشأة التفسير وتطوره 114
المبحث الأول: نشأة التفسير.....115
المبحث الثاني: مراحل التفسير وخطواته..... 116
المطلب الأول: مدرسة التفسير بمكة..... 118
المطلب الثاني: مدرسة التفسير بالمدينة..... 125
المطلب الثالث: مدرسة التفسير بالعراق.....129
المبحث الثاني: خصائص التفسير ومميزاته في هذه المرحلة.....134
المطلب الأول: مرحلة الصحابة.....134
المطلب الثاني: مرحلة التابعين..... 135
المطلب الثالث: توجيه الخلاف بين السلف في التفسير..... 136
المبحث الثالث : مرحلة تدوين التفسير بعد عصر الصحابة.....140
المطلب الأول: التدوين غير المستقل..... 140
المطلب الثاني: التدوين المستقل..... 141
الفصل الرابع: التفسير بالمأثور وأهم خصائصه.....143
المبحث الأول: حول التفسير بالمأثور وأهم خصائصه..... 144
المطلب الأول: معنى التفسير بالمأثور..... 144
المطلب الثاني.: مصادر التفسير بالمأثور..... 145

الفرع الأول: تفسير القرآن بالقرآن.....145

الفرع الثاني: السنة النبوية..... 148

الفرع الثالث: تفاسير الصحابة..... 155

الفرع الرابع : تفسير التابعين 162

المبحث الثاني: أسباب ضعف التفسير بالمأثور..... 164

المطلب الأول:الإسرائيليات 164

المطلب الثاني: حذف الإسناد 177

المطلب الثالث: الوضع في التفسير 179

الباب الثالث منهج المفسرين بالمأثور في معالجة القصص القرآني..... 181

الفصل الأول: نماذج من معالجة المفسرين بالمأثور للقصص القرآني..... 182

المبحث الأول : تفسير بن أبي حاتم 188

المطلب الأول : التعريف بالمفسر 188

المطلب الثالث : التعريف بتفسير بن أبي حاتم وبيان منهجه فيه..... 189

المطلب الثالث :نماذج من تفسير بن أبي حاتم للقصص القرآني..... 190

المبحث الثاني : جامع البيان في تفسير القرآن (المشهور بتفسير الطبري) 199

المطلب الأول : التعريف بالمفسر 199

المطلب الثاني : التعريف بتفسير الطبري 200

المطلب الثالث : خصائص تفسير الطبري 201

المطلب الرابع : نماذج من تفسير ابن جرير للقصص القرآني 203
المبحث الثالث : تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين 206
المطلب الأول : التعريف بالمفسر 206
المطلب الثاني : منهج بن أبي زمنين في التفسير 207
المطلب الثالث : ذكر نماذج من تناول ابن أبي زمنين للقصص القرآني 208
المبحث الرابع : معالم التنزيل للبغوي 214
المطلب الأول : التعريف بالمفسر 214
المطلب الثاني : التعريف بالتفسير 215
المطلب الثالث : ذكر نماذج من فسيره للقصص القرآني 216
المبحث الخامس : تفسير ابن كثير ..... 219.
المطلب الأول : التعريف بالمفسر 219
المطلب الثاني : تعريف موجز بتفسير ابن كثير 220
المطلب الثالث :نماذج من تفسير ابن كثير للقصص القرآني 221
المبحث السادس : تفسير الخازن 227
المطلب الأول : التعريف بالمفسر 227
المطلب الثاني :التعريف بتفسيره 227
المطلب الثالث : ذكر نماذج من تفسير الخازن للقصص القرآني 228
المبحث السابع : تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان) 233

المطلب الأول : التعريف بالمفسر 233

المطلب الثاني: التعريف بتفسير الثعالبي 234

المطلب الثالث : ذكر نماذج من تفسير الثعالبي للقصة القرآنية 235

المبحث الثامن : منهج القاسمي في تناول القصص القرآني 239

المطلب الأول : التعريف بالمفسر 239

المطلب الثاني : التعريف بتفسيره ومنهجه فيه 240

المطلب الثالث : نماذج من تأويل الشيخ القاسمي للقصص القرآني 243

الفصل الثاني : الدراسة النقدية 251

المبحث الأول : النقد الإجمالي 252

المبحث الثاني :النقد التفصيلي 268

المطلب الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن أبي حاتم 268

المطلب الثاني : النقد التفصيلي لنماذج ابن جرير الطبري 288

المطلب الثالث : النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن أبي زمنين 297

المطلب الرابع : النقد التفصيلي لنماذج الإمام البغوي 313

المطلب الخامس : النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن كثير 317

المطلب السادس : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الخازن 322

المطلب السابع : النقد النقد التفصيلي لنماذج الإمام الثعالبي 326

المطلب الثامن : النقد التفصيلي لنماذج الإمام القاسمي 332

الباب الرابع : القصص القرآني عند المفسرين بالرأي 336

الفصل الأول : تعريف التفسير بالرأي وشروطه وضوابطه 337

المبحث الأول : مفهوم التفسير بالرأي 338

المطلب الأول : مفهوم الرأي 338

الفرع الأول : التفسير بالرأي المحمود 341

الفرع الثاني : التفسير بالرأي المذموم 350

المبحث الثاني : نظرات في كتب التفسير بين الأثر والرأي 353

الفصل الثاني : المفسرون بالرأي المحمود ومنهجهم في معالجة القصص القرآني 358

المبحث الأول : الإمام ابن عطية ومنهجه في تناول القصص القرآني 359

المطلب الأول : التعريف بالمفسر وكتابه ومنهجه العام فيه 359

الفرع الأول : ترجمة صاحب التفسير 359

الفرع الثاني : التعريف بتفسير ابن عطية ومنهجه العام فيه 359

المطلب الثاني نماذج من تناول ابن عطية للقصص القرآني 361

المبحث الثاني : الإمام فخر الدين الرّازي ومنهجه فية تناول القصص القرآني 380

المطلب الأول : التعريف بالمفسر.....380

المطلب الثاني : التعريف بتفسير الرّازي ومنهجه العام فيه.....380

المطلب الثالث : نماذج من تفسير الإمام الرّازي للقصص القرآني.....383

المبحث الثالث : الإمام البيضاوي ومنهجه في تناول القصص القرآني.....402

المطلب الأول : التعريف بالمفسر 402

المطلب الثاني : منهج الإمام البيضاوي في تفسيره.....402

المطلب الثالث : نماذج من تفسير الإمام البيضاوي للقصص القرآني.....406

المبحث الرابع : منهج الإمام النسفي في تأويل القصص القرآني.....415

المطلب الأول : التعريف بالإمام النسفي.....415

المطلب الثاني :منهجه العام في تفسيره.....416

المطلب الثالث : ذكر نماذج من تناول الإمام النسفي للقصص القرآني.....418

المبحث الخامس : منهج الإمام ابن جزي في تناول القصص القرآني 427

المطلب الأول : التعريف بالمفسر 427

المطلب الثاني :منهج ابن جزي في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل.....429

المطلب الثالث : نماذج من تناول ابن جزي لآيات القصص القرآني.....433

المبحث السادس : منهج الإمام أبي حيان في تناول القصص القرآني.....443

المطلب الأول : التعريف بصاحب التفسير..... 443

المطلب الثاني : التعريف بتفسير الإمام أبي حيّان ومنهجه فيه..... 446

المطلب الثالث : نماذج من تناول الإمام أبي حيّان للقصص القرآني.....449

المبحث السابع : منهج الإمام أبي السعود في تناول القصص القرآني..... 459

المطلب الأول : التعريف بالمفسر.....459

المطلب الثاني : التعريف بكتاب إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم وبيان منهج أبي السعود فيه . 460

المطلب الثالث : نماذج من تفسير أبي السعود للقصص القرآني 463

المبحث الثامن : منهج الإمام الألوسي في تناول القصص القرآني 474

المطلب الأول : التعريف بالإمام الألوسي 474

المطلب الثاني : منهجه في تفسيره وطريقته في مؤلفه..... 476

المطلب الثالث : نماذج من تناول الإمام الألوسي للقصص القرآني 479

المبحث التاسع : الشيخ الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تناول القصص القرآني 505

المطلب الأول : التعريف بابن عاشور.....505

المطلب الثاني التعريف بتفسير ابن عاشور ومنهجه فيه.....505

المطلب الثالث : نماذج من تناول الشيخ الطاهر بن عاشور للقصص القرآني.....508

المبحث العاشر :النقد الإجمالي.....515

المبحث الحادي عشر : النقد التفصيلي.....521

المطلب الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن عطية.....521

المطلب الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الرّازي.....532

المطلب الثالث : النقد التفصيلي لنماذج الإمام البيضاوي.....536

المطلب الرابع : النقد التفصيلي لنماذج الإمام النسفي.....544

المطلب الخامس : النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن جزي.....548

المطلب السادس : النقد التفصيلي لنماذج الإمام أبي حيان الأندلسي 552

المطلب السابع : النقد التفصيلي لنماذج الإمام أبي السعود.....556

المطلب الثامن : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الألوسي.....559

المطلب التاسع : النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن عاشور.....563

الفصل الثالث : المفسرون بالرأي المذموم ومنهجهم في معالجة القصص القرآني.....568

المبحث الأول : منهج الشيعة الامامية في تناول القصص القرآني.....569

المطلب الأول : مفهوم التشيع ونشاته.....569

المطلب الثاني : أصول وعقائد الشيعة الامامية الإثنى عشرية.....571

المطلب الثالث : منهج الامامية الإثنى عشرية في تفسير القرآن الكريم.....574

المطلب الرابع : منهج الإمام الطبرسي في تناول القرآني من خلال تفسيره مجمع البيان.....580

الفرع الأول : ترجمة المؤلف 580

الفرع الثاني : التعريف بالتفسير وطريقة مؤلفه فيه.....580

الفرع الثالث : نماذج من تناوله للقصص القرآني..... 583

المطلب الخامس : منهج الإمام محمد حسين الطباطبائي في تناول القصص القرآني..... 588

الفرع الأول : ترجمة المؤلف والتعريف بتفسيره وطريقته فيه 588

الفرع الثاني : ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني 591

المطلب السادس: منهج جواد مغنية في تناول القصص القرآني من خلال تفسيره التفسير الكاشف.. 603

الفرع الأول : التعريف بالمؤلف وطريقته في تفسيره..... 603

الفرع الثاني : ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني..... 604
المطلب السابع : منهج سلطان محمد بن حيدر الجنابذي في تناول القصص القرآني..... 608
الفرع الأول : التعريف بالمفسر وطريقته في كتابه 608
الفرع الثاني : ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني..... 609
المبحث الثاني : الاتجاه الإعتزالي ومنهجه في تناول القصص القرآني.....614
المطلب الأول : تعريف المعتزلة ونشأتهم.....614
المطلب الثاني : أصول وعقائد المعتزلة.....615
المطلب الثالث : منهج المعتزلة في تفسير القرآن الكريم.....618
المطلب الرابع : منهج الإمام الزمخشري في تناول القصص القرآني.....625
الفرع الأول : التعريف بالإمام الزمخشري.....625
الفرع الثاني : منهجه في تفسيره وطريقته في مؤلفه.....626
الفرع الثالث : نماذج من تناول الإمام الزمخشري للقصص القرآني.....630
المبحث الثالث : منهج الإباضية في تناول القصص القرآني.....649
المطلب الأول : التعريف بالمذهب الإباضي ونشأته.....649
المطلب الثاني : عقائد الإباضية.....649
المطلب الثالث :التفسير عند الإباضية.....654
المطلب الرابع : منهج هود بن محكم الهواري في تناول القصص القرآني.....655
الفرع الأول :التعريف بالمفسر.....655

الفرع الثاني : نماذج من تفسير هود بن محكم الهواري للقصص القرآني.....656
المطلب الرابع : الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ومنهجه في تناول القصص القرآني.....661
الفرع الأول : التعريف بالمفسر وطريقته في تفسيره.....661
الفرع الثاني : نماذج من تفسير الشيخ اطفيش للقصص القرآني.....665
المبحث الرابع : الاتجاه الصوفي ومنهجه في تناول القصص القرآني.....671
المطلب الأول : مفهوم التصوف ونشأته وتطوره.....671
الفرع الأول : مفهوم التصوف.....671
الفرع الثاني نشأته وتطوره.....673
المطلب الثاني : منهج الصوفية في التفسير.....675
الفرع الأول : التفسير الصوفي النظري.....676
الفرع الثاني : التفسير الصوفي أو الإشاري.....678
المطلب الثالث : نماذج من تناول سهل التستري للقصص القرآني.....683
الفرع الأول : التعريف بالمفسر.....683
الفرع الثاني : منهج سهل التستري في التفسير وطريقته في كتابه 684
المطلب الرابع : منهج السلمي في تناول القصص القرآني..... 687
الفرع الأول : ترجمة صاحب هذا التفسير.....687
الفرع الثاني : منهج أبي عبد الرحمان السلمي في التفسير وطريقته في كتابه.....688
الفرع الثالث : نماذج من تناول السلمي للقصص القرآني.....690

المطلب الخامس : منهج الإمام ابن عجيبة في تناول القصص القرآني 695

الفرع الأول : التعريف بالمؤلف ابن عجيبة 695

الفرع الثاني : منهجه في كتابه البحر المديد 696

الفرع الثالث : نماذج من تناول ابن عجيبة للقصص القرآني.....697

المبحث الخامس : نقد منهج المفسرين بالرأي المذموم في معالجة القصص القرآني.....705

المطلب الأول : النقد التفصيلي للنماذج التي أوردتها من تفسير الإمامية الإثنى عشرية.....705

الفرع الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الطبرسي.....705

الفرع الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الطباطبائي.....709

الفرع الثالث : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الشيخ محمد جواد مغنية.....714

الفرع الرابع : النقد التفصيلي لنماذج سلطان بن محمد بن حيدر الجنابذي.....716

المطلب الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الإمام الزمخشري الاتجاه الاعتزالي.....719

المطلب الثالث :النقد التفصيلي لنماذج الإباضية 724

الفرع الأول : النقد التفصيلي لنماذج محكم بن هود الهواري 724

الفرع الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الشيخ اطفيش في كتابه تيسير التفسير.....727

المطلب الرابع : النقد التفصيلي لنماذج التي أوردتها من تفسير الصوفية 731

الفرع الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام التستري.....731

الفرع الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الإمام السلمي.....733

الفرع الثالث : النقد التفصيلي لنماذج الإمام ابن عجيبة 736

الفصل الرابع : منهج المدرسة العقلية في تناول القصص القرآني.....742

المبحث الأول : المنهج العام في التفسير عند أصحاب المدرسة العقلية 744

المبحث الثاني : أقطاب المدرسة العقلية ونماذج من تفسيرها لآيات القصص القرآني 748

المطلب الأول : جمال الدين الأفغاني 748

المطلب الثاني : منهج الشيخ محمد عبده في تناول القصص القرآني 752

الفرع الأول : التعريف بالإمام محمد عبده.....752

الفرع الثاني : الشيخ محمد عبده ومنهجه في التفسير.....755

الفرع الثالث : ذكر نماذج من تناول محمد عبده لآيات القصص القرآني.....757

المطلب الثالث : منهج الإمام محمد رشيد رضا في تناول القصص القرآني.....764

الفرع الأول :التعريف بالإمام محمد رشيد رضا.....764

الفرع الثاني : منهج الشيخ محمد رشيد رضا في التفسير.....765

الفرع الثالث : ذكر نماذج من تناوله للقصص القرآني.....767

المطلب الرابع : الشيخ محمود شلتوت ومنهجه في تناول القصص القرآني.....774

الفرع الأول : التعريف بالشيخ محمود شلتوت 774

الفرع الثاني : ذكر نماذج من تناول الشيخ محمود شلتوت لآيات القصص القرآني..... 775

المطلب الخامس : الشيخ المراغي ومنهجه في تناول القصص القرآني..... 779

الفرع الأول :ترجمة الشيخ المراغي 779

الفرع الثاني : منهج الشيخ في تفسيره 779

الفرع الثالث : ذكر نماذج من تناول الشيخ المراغي للقصص القرآني 781

المبحث الثاني : نقد النماذج التي أوردتها من تفسير المدرسة العقلية 785

المطلب الأول : النقد التفصيلي لنماذج الإمام جمال الدين الأفغاني.....785

المطلب الثاني : النقد التفصيلي لنماذج الشيخ محمد عبده 787

المطلب الثالث : النقد التفصيلي لنماذج الإمام محمد رشيد رضا ..... .791

المطلب الرابع : النقد التفصيلي لنماذج الشيخ محمود شلتوت 794

المطلب الخامس : النقد التفصيلي لنماذج الشيخ أحمد المراغي 795

الفصل الخامس : الاتجاهات المنحرفة في تناول قضايا من القصص القرآني 798

المبحث الأول : رسالة الفنّ القصصي في القرآن الكريم 800

المبحث الثاني : نقد أفكار الرسالة ومضامينها ..... .801

المطلب الأول : إخضاع القصة القرآنية لمعايير النقد الأدبي.....801

المطلب الثاني : ادّعاؤه أنّ القصص القرآني مأخوذ من أهل الكتاب.....805

المطلب الثالث : دعوى تعارض القرآن مع الوقائع التاريخية والقول بوجود أساطير في القرآن.....808

الفصل الختامي : نحو نموذج أمثل في تفسير القصة القرآنية.....817

المبحث الأول : الخطوات والمقترحات التي تحقق المنهج الأمثل في دراسة القصة القرآنية.....818

المبحث الثاني : نموذج من قصة أصحاب الجنة بمراعاة الخطوات المقترحة.....820

خاتمة :.....826

الفهارس :.....830

فهرس الآيات القرآنية.....832

فهرس الأحاديث والآثار النبوية 918

فهرس الأبيات الشعرية.....921

فهرس الأعلام 925

فهرس المصادر والمراجع.....927

فهرس الموضوعات.....945

ملخص البحث باللغة العربية

ملخص البحث باللغة الفرنسية

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية